عدد ١

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي الجامع الزيتونة المعمور

الجزءان ١-٢	تونس في محرم - صفر ١٣٦١ وفي جانفي - فيفري ١٩٤٢	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

١ ٥

فهرس العدد

المجلد الخامس — الجزء الاول

صفحة	المقال	صاحبه
٢	فاتحة المجلد الخامس	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
	القرآن الكريم	
٣	تفسير آيات من سورة « المؤمنون » ..	» » » »
	الحديث الشريف	
٧	شرح حديث ان الدين يسر	محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة
	الفتاوى و الاحكام	
١٢	حكم الوقف اذا لم يذكر الواقف حدود العقار الموقوف	شيخا الاسلام محمد بيرم الثالث - ابراهيم الرياحي
١٣	سؤال وجوابه	لصاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي
	التاريخ	
١٤	تتمة لقصيدة عقد الدر والمرجان	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية
١٨	القضاء الشرعي في القديم	صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي
١٩	تاريخ تاسيس القيروان	الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد
٢٢	التاريخ عند العرب قبل الاسلام وبعده.	العالم المدرس الشيخ سيدي احمد المهدي النيفر
٢٥	الاسعاف الخيري الاسلامي	مدير المجلة
	الادب	
٢٧	قصيدة..................	الشيخ علي النيفر
٢٨	قصيدة..................	ابو الحسن بن شعبان
٢٩	الوصية العظمى	الامام الاعظم ابوحنيفة النعمان
٣١	تخريج الدلالات............	....
٣٢	الطريقة المرضية في الاجراءات الشرعية	....

عدد ١

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها علماء جامع الزيتونة المعمور

الجزءان ١-٢	تونس في محرم - صفر ١٣٦١ وفي جانفي - فيفري ١٩٤٢	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة المجلد الخامس

الحمد لله الذي قدر فهدى وسلط الحق على الباطل فانخذل وغوى نشهد انه الله الذي بيده ملكوت السموات والارض واليه القول الفصل يوم العرض ونشهدان سيدنا محمدا رسوله وصفيه الذي هدى به الخليقة وزكى به الانفس فسلكت اقوم طريقة صلى الله وسلم عليه وعلى آله الاطهار واصحابه الاخيار ما تعاقب الليل والنهار .

اما بعد فالمجلة تستهل عامها الخامس والعالم في خضم لا عهد للانسانية بمثله ان صح هذا القول حروب طارت شراراتها الى اصقاع متنائية فاتت على الاخضر واليابس ومزقت الشمل فايقضت المتنعم والبائس ومدت مخالبها الى العظيم والحقير ولم يسلم من اثرها الغني والفقير والنفوس من هولها تتنفس الصعداء والعيون تبكي الدهماء طغت المادة على العقل فسخرته بدل ان يسخرها وتحكمت فيه والمادة سلاح قاتل يخدع الانسان ويتربص به حتى اذا تمكن منه وعلم شدة تاثيره عليه هوى به الى حيث لا رافة ولا هوادة ولا حنان قتل الانسان ما اكفره ينشد الحرية وهو اول مستبد ، ينادي باعلى صوته بطلب العدل وهو اول ظالم غشوم ينكر الفساد وهو اول مفسد في الارض

رحماك ربي ان الناس طغى بعضهم على بعض وتنازعوا العز والسلطان وجهلوا او تجاهلوا الحق فعموا وصموا فنكلوا بانفسهم ولبئس ما يصنعون

اجل انها نتيجة لازمة لعالم ملىء سخرية وصخب نزعت من قلوب ساكنيه الرافة والحنان وخلعوا لباس العفة والمرؤة وتحكمت فيهم الشهوات وباتوا يضمرون المكر والخديعة والطغيان

ان كثيرا من الشعوب والامم قد استبدلت السلم بالحرب والقت بالحياة الى الموت واتخذت من حضارتها ما تعلمت منه كيف يسهل عليها الهدم في اقرب لمح البصر واستمدت من معارفها ما سهل عليها القضاء على صروح المدنية الشامخة التي اقامها عقل الانسان في قرن وان شئت قلت في قرون فاتت عليها في شهور وتركت معظمها مسجلا على الاوراق بعد ان كان مقاما على سطح الكرة يتفيأ الناس ضلاله ويتنعمون بانعمه فمضت معالم كامس الدابر وانهارت صروح ودكت اركان ومضت حوادث شيبت من هولها الولدان ولا يعلم احد كيف يكون مصير هذا العالم وما فيه من حضارة وما سيفاجئنا من حوادث واخطار

واني اهيب باخواني ان لا يتركوا الحوادث تمر بهم من غير ان يستفيدوا منها ويعتبروا ويخلعوا عنهم الاوهام والظنون ويعملوا بما امرهم الله به ويتحكموا في نفوسهم ولا يتركوا الاهواء تقذف بهم في المهالك فان الانسان العاقل يستفيد في كل آن وحين من حوادث الزمن ويبذل قصارى وسعه ويجتهد كل الجهد ليتعلم كيف يستفيد والمرء باخيه

اللهم علمنا ما لا نعلم ووفقنا لمعرفة انفسنا واهدنا صراطك المستقيم صراط الذين إنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الظالين

محمد الشاذلي ابن القاضي

القرآن الكريم

تفسير سورة (المؤمنون)

بقلم محمد الشاذلي ابن
القاضي مدير المجلة

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ .

كنا بينا معاني الآيات التي صدرت بها هذه السورة وهي تتعلق بامر العبادة واحوال المؤمن في معاملاته مما يجب عليه مراعاته مما يحفظ له عرضه ونسبه . وكيف بشر الله المؤمنين باعلى المراتب في الجنة ووعدهم بالفوز العظيم .

ثم قفى عليها سبحانه بذكر بعض صفاته الدالة على تفرده سبحانه في ملكوته وانه الخالق الرازق الذي يستحق العبادة والامتثال لاوامره ومنهياته واقام على ذلك من الدلائل اربعة انواع .

الاول منها هو الذي اشارت اليه هذه الآيات المتعلقة بادوار خلق الانسان وما يطرأ عليه من الاحوال فذكر سبحانه لتقلبات خلقه سبعة ادوار ثم عقبها بحالتين هما غاية كل انسان .

اما ادوار الخلق التي يتقلب اليها العبد فاولها ما جاء في قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الخلق الانشاء والتكوين واذا اراد سبحانه شيئا يقول له كن فيكون ومن التكوين ربط الاشياء باسباب لها تحدث عندها . وال في الانسال للجنس فوقع اللفظ على جنس الانسان ومن ابتدائية متعلقة بالخلق والسلالة الخلاصة وهي في الاصل ما سل من الشيء واستخرج منه قالوا فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودة من الفعل كالخلاصة وأخرى لا تكون مقصودة منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل القسم الاول فهي خلاصة ما بقى بعد السل وهي مقصودة بالسل .

وفي الكشاف هذا البناء يدل على القلة . وسمي الولد سلالة لان اصله وهو الماء سل من جميع البدن ولهذا المعنى سميت النطفة سلالة ايضا ومن اطلاقهم على الولد سلالة قول الشاعر :

فجاء به عضب الاديم غضنفر سلالة فرج كان غير حصين

واختلف المفسرون في المراد من الانسان فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد منه آدم عليه السلام فآدم سل من الطين وخلقت ذريته من ماء مهين كما جاء في قوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. وحكى ابن جرير ان الانسان في هذه الآية ولد آدم . والطين هنا اسم آدم عليه السلام اي مجازا باعتبار الحالة التي كان عليها وخلق منها والسلالة الاجزاء المبثوثة التي تخلصت وصارت ماء والاظهر ان يكون المراد الجنس . وان جعله نطفة متولدة من السلالة وهي ما خلص من فضل الاغذية على اختلاف انواعها حيوانية ونباتية وهي متولدة ايضا من سلالة خلصت من طين والآية متحملة الدلالة على هذا المعنى .

ويمكن ان يقال ان هذه الآية جاء فيها ذكر الدور الاول مجملا وقد وقع تفصيله في غيرها من الآيات على حد قوله تعالى : ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون .

وجاء البيان في قوله تعالى في سورة الحج فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .

وجاء في خلق آدم انه من صلصال من حمأ مسنون . قال ابن كثير وهو الطين اللازب اي الذي جاء ذكره في الآية الاخرى قال وذلك من تراب كما جاء في الآية الاخرى وهي قوله وقد بدأ خلق الانسان من طين. كما جاء في خلق نسله وانه من سلالة من ماء مهين. والظاهر ان من في قوله من سلالة ابتدائية ومن الثانية في قوله من ماء مهين بيانية بينت السلالة واما من الثانية في الآية التي نحن بصدد تفسيرها وهي قوله من طين فيبعد ان تكون بيانية وان قال به بعضهم فيحتمل ان تكون تبعيضية او ابتدائية كالاولى اما متعلقة بمحذوف صفة لسلالة اي من صفة هذه السلالة انها من خلاصة من طين او متعلقة بسلالة

ثم ذكر الدور الثاني بقوله سبحانه (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الضمير على التفسير الاول عائد على غير مذكور وهو النسل بتقدير مضاف اي جعلنا نسله وأما على التفسير الثاني فهو عائد على الجنس باعتبار افراده والمعنى خلق جوهر الانسان اولا من سلالة من طين ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة.

والنطفة هي القليل من الماء وتطلق على القطرة وربما تقع على الكثير والمراد بها الماء المتجمع في صلب الرجل الذي يكون مقره بالجماع رحم الزوجة وهو القرار المكين فالمراد بالقرار مكان القرار الذي يستقر فيه الماء وجاء التعبير بالقرار الذي هو مصدر مبالغة في التمكن ووصفه بالمكانة مع ان التمكن وصف النطفة على طريق المجاز للمجاورة او يكون ذلك كناية عن جعل النطفة مصونة

ثم ذكر الانتقال الثالث بقوله تعالى :(ثم خلقنا النطفة علقة) اي ، حال النطفة التي علقت بالرحم

الى علقة بمالابسها من العوارض التى عرضت لها حتى صارت دما جامدا بعد ان كانت مـاء خلصا من الصلب والترائب .

ولما كان تكوين النطفة مقره الصلب والترائب عبر في جانبه بالجعـل ومكان الانتقال الى العلقة وباقي الانتقالات هو الرحم عبر في جانبها بالخلق باعتبار ما طرا فيه من تغير الاعراض التي استحال اليها الجسم كانه خلق جديد غير الخلق الاول

ثم ذكر الانتقال الرابع بقوله عز وجل : (فخلقنا العلقة مضغة) اي قطعة لحم على مقدار ما يمضغ في الحجم .

ثم ذكر الانتقال الخامس بقوله تعالى : (فخلقنا المضغة عظاما) اي صيرناها بخلق منا عظامـا متعددة متصلبة بعد ان كانت رخوة ولتنوع العظام جاء التعبير معه بالجمع

ثم ذكر الانتقال السادس بقوله سبحانـه : (فكسونا العظام لحما) وبما ان اللحم يستر العظم عبر عن الستر بالكسو .

ثم ذكر الدور السابع الذي يتم به الخلق بقوله تعالى (ثم انشأناه خلقا آخر) اي انشاناه انشاء غاير به اعراض الاول ولما كان هذا الخلق هو الذي اصبح به انسانا لما خلق فيه من الروح وما صوره عليه من لاجزاء الظاهرة والباطنة وماكون في اعضائه من الحواس كان هذا الخلق كانه انشاء ليس هو الانشاء الاول.

فتبارك الله الخالق المصور وتعالى شانه في قدرته وحكمته فهو المستحق للتعظيم والثناء والعبادة وهو (احسن الخالقين) خلقا وتقديرا

ثم الخلق هنا بمعنى التقدير ولذلك قالوا يصح وصف غيره تعالى به . وحسن خلقه تعالى باتقان المخلوق واحكامه على صورة قدر عليها ليس في مقدور احد مجاراتها

ثم ذكر سبحانه الغاية التي ينتهي اليها كل انسان فقال عز وجل (ثم انكم بعد ذلك لميتون) اي لصائرون الى المـوت والمشار اليه هو ذلك الامر الذي يبلغ اليه الانسان بعد الخلق الاخير فهو صائر الى الموت بعد انقضاء اجله المقدر واسم الاشارة يشير الى علو مقام تلك الحالات التي انتقل اليها الانسان في اطوار خلقه وهي اطوار عجيبة الصنع تسترعي التامل والنظر في حال منشئها وخالقها وتدل على عظيم قدرته وان مدبرها هو المستحق للخضوع له وطاعته المنادية بالاعتراف به

ثم قال تعالى (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) اي بعد تلك الموتة . والبعث هو الاعادة بعد طرو الفـناء على الانسان بالموت فبين سبحانه ان الانسان له نشأتان النشأة الاولى من العدم واطوارها ما بينته الآيات السابقة ثم يطرأ على هذه النشأة العدم فيصار الى المـوت ثم انكم يوم القيامة تبعثون وهي النشأة الاخرة يوم المعاد وقيام الارواح الى الاجساد فتحاسب الخـلائق وتوفى كل نفس عملها وجزاءها وتجد ما قدمته في نشأتها الاولى حاضرا

فهذه الآيات تضمنت الدلالة على الصانع القدير المنشىء لهذا الانسان الذي تلك الطوار تصويره ومع

ذلك جحد وطغى واعرض عن امر ربه ونسي ما كان عليه فاقام عليه الحجة وذكره بيوم الجزاء الاكبر . وانه لا محالة اليه صائر وسيحاسب على ما فرط في جانب الله حسابا عسيرا .

اما الذين آمنوا واتقوا واطاعوا الله ورسوله فسيجزون جزاء مشكورا ويحاسبون حسابا يسيرا ويكون مأواهم الجنة ولباسهم فيها حريرا

وصفوة القول ان الله تعالى ندب الخلق للتامل في آياته وامعان النظر في مخلوقاته ليحصل لهم العلم به سبحانه على الوجه الذي لا يعتريه ريب ولا يداخله الشك ويحصل لهم اليقين بوحدانيته تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال من عموم قدرته وشمول علمه وكمال حكمته وعظيم رحمته واحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه فانه بذلك تعرف الى عباده ودعاهم للتفكير في آياته حتى يحصل لهم اليقين ويتطهروا من الضلال المبين

واول ما يستدعي النظر فيه والتامل منه ان ينظر الانسان الى نفسه وما ركبت عليه فهو اول شاهد على الخالق المصور الحكيم يقول الله سبحانه (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فدعاه عز وجل الى النظر والفكر في بدء خلقه ووسطه ومنتهاه فان في ذلك من الدلائل على الخالق البارئ القدير الذي صوره فأحسن صورته ما يزيل عن العقول اللبس والغواية ويرشدها الى الصراط المستقيم . ولله در ابن قيم الجوزية حيث قال : لم يكرر سبحانه على اسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والتراب ولا لنتكلم بها فقط ولا لمجرد تعريفنا بذلك بل لامر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب واليه جرى ذلك الحديث

اي بل للتعرف الى عباده باخص صفاته واقامة الحجة عليهم حتى اذا فكروا في خلق انفسهم وما اشتمل عليه من باهر القدرة حصل لهم اليقين

وهذه الادوار التي تمر على الانسان اذا تاملها ونظر اليها بعين البصيرة حصل له الايمان بمنشئها سبحانه ينظر الى النطفة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وانتنت كيف استخرجها رب الارباب العليم القدير من بين الصلب والترائب منقادة لقدرته على ضيق طرقها واختلاف مجاريها الى ان ساقها الى مستقرها من الانسان وكيف مهد السبيل فجمع بين النوعين الذكر والانثى والقى المحبة بينهما وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة الى الاجتماع والمضاجعة الذي هو سبب تخليق الولد وكيف جعل ذلك الماء في قرار مكين ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشربة علقة حمراء تضرب الى سواد ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في حقيقتها وشكلها ثم حولها الى عظام مجردة لا كسوة عليها مباينة لما كانت عليه في هيئتها وقدرها وملمسها ولونها وكيف فصل تلك الاجزاء فجعل منها الصلب ومنها الاعصاب والعروق والاوتار وربط بعضها مع بعض وكيف كسا العظام لحما ركبه عليها وجعله وعاء لها وغشاء حافظا وكيف صورها فاحسن صورها وشق لها السمع والبصر والفم والانف وسائر المنافذ ومد اليدين والرجلين وبسطهما وقسم رؤوسهما بالاصابع ثم قسم الاصابع بالانامل وركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل له قدر يخصه ومنفعة تخصه الى غير ذلك من حسن التركيب وابداع الخلق فتبارك الله احسن الخالقين وتنزه عما يقوله المبطلون .

الحديث الشريف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ

(رَوَاهُ إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ مُحَمَّدُ بْنُ اسْمَاعِيلَ الْبُخَارِي فِي صَحِيحِهِ)

البيان

بقلم محمد الهادي
ابن القاضي امين المجلة

اخرج الامام البخاري في صحيحه هذا الحديث الشريف عن ابي هريرة رضي الله عنه وهو. حديث جليل القدر كبير الفائدة عظيم الموقع لما اشتمل عليه من المعاني السامية والحكم الخالدة والبشارة للمؤمنين والتسهيل على المسلمين بان هذا الدين يسر وليس بعسر وان القليل من الاعمال كاف لتحصيل النجاة في العقبى اذا كان مع الاخلاص وحسن القصد فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى

يقول السيد الاعظم والهادي الاكرم : إن الدين يسر . المراد بالدين شريعة الاسلام . قال الله تعالى : (ان الدين عند الله الاسلام) وللعلماء كلام في مفهوم حقيقة الاسلام والايمان فبعضهم يقول انهما متحدان وبعضهم يقول انهما متغايران وذلك بناء على ان حقيقة الاسلام انقياد وامتثال ظاهري بتعاطي اعمال الشريعة السمحة . وحقيقة الايمان تصديق القلب واذعانه بوحدانية الله سبحانه وتعالى وان محمد رسوله الصادق في كل ما بلغ عن ربه وهذا ذهابا مع ما تقتضيه اللغة من مدلول اللفظين والحق ان المراد بالدين الاسلام والايمان جميعا ولا يكون اسلام حتى يكون ايمان بمعنى ان الاعمال الظاهرة لا تكون مقبولة عند علام الغيوب ما لم تكن صادرة عن عقيدة ثابتة في القلب ويقين صادق واذعان متين فتكون كالثمرة بالنسبة الى الشجرة او بعبارة اوضح كالاثر دالا على مؤثره وهذا القول تؤيده النصوص القرآنية الكثيرة التي تدل دلالة صريحة على ان النجاة الكاملة في الآخرة متوقفة على الايمان الذي هو التصديق بالقلب وعلى الاسلام الذي هو العمل الظاهري قال تعالى : (ان الذين

آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) وقال تعالى : (الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقال : (والعصر وان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

فانت ترى ان الله جعل مناط الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة مرتبطان بالايمان والعمل الصالح الذي هو الاسلام ولعله قد بان لك ان المراد بالدين في الحديث الايمان والاسلام معا لتلازمهما شرعا كما بيناه وحيث علمت معنى الدين وانه اعم من الاسلام والايمان فاليك معنى كونه يسرا

تتجلى سهولة هذا الدين ويسره في ثلاثة مظاهر الاول في وضوح تعاليمه الثاني في متانة حججها وسطوع ادلتها وبراهينها الثالث في عظم فوائدها وجليل آثارها ولنشرح كل واحد من هذه المظاهر بمنتهى الاختصار حسبما تسعه هذه الكلمة

اما وضوح تعاليم الدين فان الناظر اليها مجردة عن اي مصدر او مستند يجد لها تغلغلا في النفوس ويجد في القلوب استعدادا لقبولها فهي كما قال تعالى في شانها : (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ذلك انها في عقائدها وفي عباداتها وفي احكام معاملاتها تجلو على القلب المثل الاعلى لما ينبغي ان يكون عليه نظام هذا الوجود

فاما العقائد فلم ترهق العقول بما تعيا عن فهمه بل هدتها الى ما يزيل الحيرة ويحل لغز هذا الوجود فقد ارشدت الانسان الى ان ما يقع عليه حسه وتدركه نفسه من هذا العالم كاف لان ينتهي به الى وجود واجب الوجود متصفا باكمل الصفات واجدها غير خاضع لعوامل الكون والفساد ولكنه مصدر لكل ما يبدو من الآثار ويكون هو المهيمن على جميعها المتصرف في كل شؤونها من صغير وكبير ودل باهر صنعه على عظيم علمه وحكمته وقدرته وارادته فهو الحي القيوم وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وهو الرحمن الرحيم والغنى عن كل شيء وكل شيء اليه محتاج . ولا شك انه لا يحل مشكلة الوجود الجامع لهذه العوالم وما حوت من ارتباط وتماسك وصلاح وحكمة وما يعتريها من تغير وانحلال وحركة وسكون سوى هذه العقيدة السهلة التي تتحدر الى العقل الانساني من الملكوت الاعلى لا يحجبها عنه الا اعوجاج في تربيته

فالتوحيد امر جبلي في تكوين الانسان وطبعه وعليه قام الاسلام وشيء قليل من النظر في الكون كاف لتقرير هذا المعنى وتثبيته قال تعالى : (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) وقال : (او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض) وقال : (قل سيروا في الارض فانظروا) وقال : (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر) كل هذه الآيات تأمر بالنظر الذي خلقت لاجله وتبين الآية الاخيرة منها ان الرسول مذكر والتذكير لا يكون

الا بشيء سبق العهد به والعهد هنا فطرة الانسان التي تجذبه جذبا عنيفا الى التفكير فيما حوله من عوالم الكون ليهتدي من وراء هذا التفكير الى مبدع الكائنات الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد .

وفي كل شيء له آية ❁ تدل على انه الواحد

ويعزى الى اعرابي سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بما عرفت ربك ؟) فقال البعرة تدل على البعير واثر السير يدل على المسير فسموات ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج افلا تدل على اللطيف الخبير . وبالجملة فان سهولة الايمان بالله تحدث عنها جميع الموجودات لكل من كان له قلب

وان من مظاهر رحمة هذا الآله العظيم الحكيم الرحيم ان يتعهد العقل بهداة يرشدونه اذا ضل ويقومونه اذا اعوج يؤيدهم بادلة ظاهرة وآيات باهرة هي امارات انهم رسل من عنده يبلغون عنه وهم في بلاغهم صادقون وانهم لما كان هذا شانهم يجب ان يكونوا امناء صادقين وان يكون لهم من رجاحة العقل والفطنة ما يقتدرون به على اداء مهمتهم وارشاد امتهم وان هذا من القبول بحيث لا تأباه العقول .

ولم يزد الاسلام في أمر العقائد على ذلك وما يتفرع عنه مما يلزمه او هو مستفاد منه وذلك هو الايمان بالله وكتبه وملائكته ورسله .

واما العبادات فقد جاءت الشريعة في هذا الباب بما هو انور في نظر العقل من الشمس في رابعة النهار فجعلت اركان الاسلام خمسة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا . ولكل ركن منها في تهذيب النفوس وتنظيم شؤون المجتمع ابلغ اثر واعظم حظ ففي الشهادتين تعويد النفوس الا تصدر في اعمالها الا عن بصيرة بالامر واستيقان بصحته فمهما عمل ومهما ترك فهو فرع اعترافه ويقينه بخضوعه لله وحده . وفي اقام الصلاة تذكير النفس مرارا في كل يوم وليلة بعظمة الخالق واستحضار نعمه . والوفاء بشكرها استزادة لها بالشكر وفيها من نيل شرف المثول بين يدي أحكم الحاكمين مع خلوص النفس وطهارة الظاهر والباطن ما يغرس في النفس الانسانية الشعور بالعزة اذ من يشعر انه عبد للملك الاعلى لا تحدثه نفسه انه عبد لمن دونه . وفي الزكاة جمع القلوب وتقوية اواصر المحبة والعطف بين الامة وذلك كافل لسعادة الجميع . وفي الصيام قمع للنفس وتحديد لغلوائها وهذا لا يخفى على من جربه وذاقه وهل الحج الا اجتماع جماعة المسلمين كل عام في صعيد واحد مستشعرين معنى العبودية خاضعين لرب لا شريك له يتعارفون فيتساندون . فحسبك ان كل تكاليف الاسلام واعماله لذيذة مألوفة ومشحونة بالحكم والمصالح التي ترجع الينا نحن معاشر المكلفين وهذا هو شان الشريعة في وضوح تعاليمها في عقائدها وعباداتها .

واما في المعاملات فاعمد الى اي باب من أبوابها سواء أكانت معاملات خاصة كنظم الاسرة او

عامة كعقود النظم المدنية من بيع واجارة ورهن وضمان وامثالها فانه يتجلى لك من ذلك ما لو اجتمعت العقول متضافرة على ان ياتوا بخير منه شامل لجميع الشعوب ما وجدوا لذلك سبيلا هذا عدا ما بثت من اخلاق فاضلة ومكارم سنية تطهر النفوس من ادناسها وارجاسها

هذا ما تسعه هذه الكلمة المختصرة عن وضوح تعاليمها واما متانة براهينها وقوة حججها فذلك متجل في معجزات الرسول (صلعم) وهي نوعان معجزات خاصة كنبع الماء من بين اصابعه (صلعم) ومعجزة دائمة خالدة ما بقي وجوب العمل بهذه الشريعة المطهرة تلك هي معجزة القرآن وان وجوه اعجاز القرآن كثيرة وليس هذا محل بسطها اظهرها ما يرجع الى بلاغة اسلوبه وقوة بيانه وان دلائل صدق الرسول هي الشمس المشرقة لا يعمى عنها الامن كان على بصره غشاوة

واما عظم فوائدها وشمول نفعها فانها في هذا الباب تنقسم الى قسمين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة فاما سعادة الدنيا فلقد جاءت هذه الشريعة الغراء والعالم على اشد ما يكون من شقاق واضطراب وافتراق واختلاف جاءت وقد تاصلت في الناس عادات ممقوتة وفوارق مرذولة جعلت الانسانية تئن من ويلاتها انينا موجعا. فرض الناس على بعضهم ضروبا من فنون الاستعباد والذل حتى تربت فيهم عقيدة انهم ليسوا من طينة واحدة فجاء الاسلام مزيلا لهذه الفوارق مقررا ان لا يتخذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله وانه لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى فتنبه الانسان الى حقوقه وهب يطالب بها واستيقظ من سباته فخضع القوي لحكم الاله الاقوى واسترد الضعيف حقه المفقود وسعد الناس بذلك

واما الانتفاع الاخروي. فحسبك منه ان هيأ الدين سببه واضحا سهل التناول فاتحا باب السعادة الابدية على مصراعيه حاثا على اجتيازه بابلغ انواع الحث والتحضيض حتى كاد يقودهم الى الجنة بالسلاسل وكلما سدوا بابا بالاعراض فتح لهم بابا بالتوبة الى آخر ساعات الحياة فاي رحمة واي نعمة اعظم وابلغ وايسر من هذه الرحمة والنعمة

وحيث كان الدين من السهولة والتيسير بما قد عرفت فهو غالب وليس بمغلوب وهو قوله في الحديث لن يشاد الدين احد الاغلبه والمشادة المبالغة في الدين بحيث تبلغ حد المغالبة والمعنى لن يغالب الدين اي مخلوق كائنا من كان الاغلبه الدين وصرعه

وحيثما قد تحقق يسر الدين وسهولته وانه من المتانة والاحكام بحيث لا يغالبه مخلوق فسدد وقارب وابشر اي خذ بالامر الوسط المعتدل لا الى الافراط بحيث يشق عليك الامر ويغلبك الدين ولا الى التفريط بحيث تتبع الرخص والامور السهلة فتكون من المقصرين فكلا الطرفين خسار ووبال والاعتدال هو النجاح والكمال وقد نص النبي (صلعم) على الاعتدال في حديث عبد الله بن عمر حيث قال له: صم وافطر وقم ونم فان لنفسك عليك حقا ولدينك عليك حقا ثم عمم له بعد ذلك فقال: واعط كل ذي حق حقه. فالسداد ان تمشي في الامور كلها على ما رسمه لك الشرع من غير افراط ولا

تقصير ومن نعم الله تعالى على المؤمن انه مثاب على كل اعماله حتى الدنيوي منها ما دام يبغي بذلك وجه الله الكريم فلو سعى في معاشه ممتثلا الامر في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلو من رزقه فهو مثاب على هذا السعي ما دام ينوي امتثال الامر ولو ضاحك زوجه وواصلها ناويا بذلك ان تغض بصرها عن النظر لغيره وعف نفسه فله ثواب واي ثواب يدل لذلك ما جاء في قول النبي (صلعم) وفي بضع أحدكم صدقة. فتعجب الصحابة وقالوا يارسول الله اياتي احدنا شهوته وله فيها صدقه فقال لهم ارايتم ان وضعها في حرام اكان عليه وزر ؟ قالوا نعم قال فكذلك لو وضعها في حلال كان له اجر. فدين يجعل للذات مثابا عليها لهو دين المدنية الحقة والسهولة واليسر والجمال والكمال يؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام عجبا للمؤمن ان امره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا والايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقليل من عبادي الشكور وبشر الصابرين .

والتقريب بمعنى التسديد وقال بعض العلماء التقريب هو ان تقارب السداد والمعنى اذا لم تستطع ان تاخذ بالسداد والاعتدال الذي هو غاية الكمال فاجتهد لتقارب اهل السداد في اعمالهم فان من قارب الشيء يعطى حكمه بشرط ان لا يخل بالواجب والا كان من العاصين .

فاذا اديت الفرائض كاملة ثم اخذت من النوافل الى حد ما جاء في الحديث القدسي وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه . فانت موفق الى ابلغ حدود التوفيق وان عجزت فخذ من النوافل والمندوبات بالمقدار الذي لا يشق عليك فان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وعلى كلا الامرين فابشر وتفاءل بالخير الذي وعدك به الله في دار الجزاء واملا قلبك رجاء بتحقيق ما وعدك به الكريم فان الله لا يخلف الميعاد .

واستعن على بلوغ درجة السداد او التقريب الذين تلزمهما البشرى بالغدوة وقت الصباح والروحة وقت المساء وشيء من الدلجة آخر الليل فان النفس في هذه الاوقات انشط ما تكون للعبادة والطاعة ولان هذه الاوقات مع ما فيها من نسيم عليل ومنظر جميل فيها عبرة شروق الشمس وغروبها وآخر الليل فيه افول الكواكب بعد طلوعها وكل اولئك مظهر بارز من آيات ربك الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويسخر الشمس والقمر فيورثك التدبر يقينا فوق يقين ولا يسعك الا ان تسبح باسم ربك العظيم .

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والارض وعشيا وحين تظهرون



الفتاوى والاحكام

حكم الوقف اذا لم يذكر الواقف حدود العقار الموقوف

نقل العلامة المنعم الشيخ الشاذلي بن القاضي في تنقيح الفتاوي التونسية عن فتاوي عالم الدنيا الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي نص السؤال الاتي وجواب شيخ الاسلام البيرمي الثالث عنه ثم ذكر جوابه عنه

(السؤال) بعد ان قدم الموثق ذكر املاك على ملك من يشهد بتحبيسها بعد من غير تحديد قال اشهد فلان المالك المذكور انه حبس جميع ما ذكر على نفسه مدة حياته ثم على ضريح الشيخ سيدي عمر الغريب بعد وفاته يصرف ذلك اي غلة ما ذكر بعد اقامتها على بناء قبة الشيخ والصدقة عليه . والمسؤل منكم ان تجيبونا بصحة هذا الحبس او سقمه مع بيان وجه كل مدعم بنص صريح ولا اقتناع لنا بالاشارة والتلويح فقد اختلج بالصدر من كون هذا التحبيس على النفس وانه خال عن الحكم الصادر على وجهه وان المحبسات غير تامة التحديد مع ما انظم الى ذلك من كونه بديار لا تؤمن من الاستيلاء عليها وتبديلها عن سننها فربما ذلك ادعى الى صرفها الى ورثة محبسها .

فاجاب شيخ الاسلام البيرمي الثالث بما نصه :

نحمدك يا من وفق من شاء لتصحيح وقف افعاله على اصلاح مناله وشمل الكافة عميم افضاله من غير تحديد لنواله ، ونصلي ونسلم على نبيك محمد المعصوم من الزلة في سائر احواله ، وعلى الناسجين على منواله ، من صحبه وآله ، هذا وقد اجلت الفكر في مطاوي هذا السؤال ، مع ما بي من ضعف الحال ، بالسقم الموجب لتشتيت البال والجواب والله الهادي الى صوب الصواب :

ان الوقف على الوجه المشروح في السؤال صحيح لازم بمجرد تلك الصيغة المنقولة عن الواقف كما هو قول ابي يوسف المصرح بترجيحه وان الفتوى عليه حسبما افصح عن ذلك غير واحد من نقلة التصحيح كالزاهدي في شرح القدوري والقنية وصاحبي المحيط والخلاصة ، ولا يقدح في ذلك تحبيس الواقف على نفسه كما بسطه في بغية السائل ناقلا عن الظهيرة وان عليه الفتوى . ولا يقدح فيه ايضا عدم التحديد على ما في المسئلة الثانية والثلاثين في تحديد العقار من البغية ولفظها بعد كلام : لا يشترط لصحة الوقف في نفس الامر التحديد بل يصح بقول الواقف وقفت على كذا وان لم يذكر الحدود اصلا ولا يبطل الوقف بمجرد قول الشهود لم يحدها لنا ولا نعرفها ولا هي مشتهرة ونقل عن هلال تاويل قول من قال : ان الوقف بلا تحديد باطل بان الشهادة به باطلة قال : وهذا يجب ان يتنبه اليه المفتي والقاضي لئلا يقع في ابطال الوقف بمجرد ذلك الخ .

واما ما اشير الى القدح به في السؤال من كون الموقوف لا يؤمن عليه من الاستلاء فهذا غاية انتاجه استبداله بما يؤمن عليه من ذلك دون حله من اصله كما لا يخفى . نعم اذا تعذر استبداله وغلب على الظن الاستيلاء عليه فلا حرج في تقليد راي الامام وغيره ممن يرى عدم لزومه اذ التقليد باب واسع . قاله فقير ربه وغريق ذنبه المعتمد على فضل مولاه الكريم الاكرم محمد بن محمد بن محمد بيرم المفتي الحنفي بتونس المحمية صينت عن البلية غرة اولى الجمادين من عام ١٢٥٧ .

واجاب عنه خاتمة المحققين الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي بما نصه :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين . وبعد فالجواب والله الموفق للصواب ان الحبس صحيح لازم بمجرد قول المحبس حبست لكن لا يتم الا بالحوز معاينة في حياة المحبس وجواز امره لان الحوز شرط في تمامه وفائدة صحته ولزومه بدون الحوز الجبر على التحويز اذا اباه المحبس . ثم ان حدد المحبس فالامر واضح وان كان مشهورا أغنى ذلك عن التحديد والا فلا يقضى به اذ القضاء انما يكون على معين ولا تعين لعدم الشهرة والتحديد وكون الحبس في النازلة المذكورة على النفس مما يوجب عدم تمام الحبس لمنافاة ذلك الحوز المشترط في تمامه ويلزم من عدم الشرط عدم المشروط كما هو معلوم لكن لما اتصل به حكم الذي لا يشترطه كان تاما ولا يحل نقضه لان القضاء في المسائل الخلافية يرفع الخلاف خصوصا وقد وقع القضاء بالصحة والموجب معا . كتبه الفقير الى ربه ابراهيم بن عبد القادر الرياحي عفى عنه آمين . اه

سؤال وجوابه

ورد على ادارة المجلة السؤال الاتي وقد اجاب عنه العلامة صاحب الفضيلة المحقق الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي واليك نص السؤال وجوابه

سؤال - بالبلاد التونسية مصانع تقوم بتنظيف الثياب على اختلاف انواعها بالطريقة المعروفة عند الجمهور (التنظيف بالشايح) وهي طريقة تبقي على الثوب جدته ورونقه سيما الثياب الصوفية بحيث يوجد فرق كبير بين هذه الطريقة وبين الغسل المعتاد بديارنا ويقوم عليها اناس بعضهم من المسلمين وبعضهم من غيرهم فهل يجوز للمسلم الانتفاع بذلك ولا حرج عليه اعني بالاخص هل تجوز الصلاة في تلك الثياب المغسولة في هذه المصانع وبهذه الطريقة ام لا ؟ جوابكم الشافي ماجورين

اما بعد حمدا لله وصلاته وسلامه على سيدنا محمد نبيه الأواه وآله وصحبه ومن اقتدى بهداه فالجواب عن السؤال المذكور والله الموفق الى الصواب ان لا حرج على المسلم في الصلاة بالثياب المنظفة على الصفة التي ذكر السائل ما لم يثبت ان التنظيف بنجس على ما صرح به فقهاؤنا في مثل هذا ومنه ما نقله الحطاب في شرح قول صاحب المختصر ولا يصلى بلباس كافر بخلاف نسجه ونصه : وقال ابن شعبان في الزاهي والثياب التي يلي غسلها الكفار طاهرة وكذلك نسج المجوس وان لم يغسل. انتهى وفي المدونة النص على الصلاة بما ينسجه اهل الذمة قال فيها : وما نسجوه فلا بأس به مضى الصالحون على هذا وقال الشيخ ابو عمران الفاسي : وما عمله الصناع كالخياط والخراز محمول عندنا على الطهارة كالمنسوج كافرا كان او مسلما حتى قال كل ذلك محمول عندنا على الطهارة حتى يظهر خلاف ذلك ويتحقق. نقله الحطاب ايضا وله رحمه الله بسطة ممتعة في الموضوع تراجع فيما كتبه على قول الشيخ خليل ولا يصلي بلباس كافر بخلاف نسجه. افتيت السائل بهذا وانا عبيد ربه محمد البشير النيفر لطف الله به

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

تتمة لقصيدة عقد الدر والمرجان

في سلاطين ءال عثمان

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة

نظم العلامة الشيخ محمد بيرم الثاني (١) قصيدته المعروفة التي جمع فيها اسماء سلاطين ءال عثمان من بداية ظهورهم في سنة ٦٩٩ الى سلطان زمانه سليم خان الثالث وتناقل الادباء هذه القصيدة الفريدة من بعده بحيث لا تخلو منها المكاتب العربية التونسية عامة وخاصة وفي عام ١٣١١ ظهر الجزء الخامس من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار للشيخ محمد بن مصطفى بيرم (٢) دفين حلوان - مصر - متضمنا للقصيدة المشار اليها متبوعة بذيل لصاحب التاليف ابتداه من حيث انتهى سلفه المبرور وانهاه بدولة السلطان عبد الحميد خان الثاني الذي تقدم للدست العثماني في سنة ١٢٩٣ ومنه يفهم ان هذا النظم الفرعي لم يتقدمه ذيل قبله للنظم الاصلي من ءال بير الاعلام غير ان الحقيقة التاريخية كانت مستورة بحجاب الخفاء الا ان الاقدار ساقت لمكتبتنا في هذه الاثناء نسخة من قصيدة عقد الدر والمرجان بخط مؤلفها رحمه الله متبوعة في ءاخرها من خط غيره بذيل لابن المؤلف الشيخ محمد بيرم الثالث يستفاد من تعليق عليه ان الشيخ الثالث كتب هذا الذيل باقتراح من السلطان محمود خان الثاني وهذا مما يحمل على الظن وان الحفيد البيرمي صاحب كتاب صفوة الاعتبار لم يقف على هذا الذيل الاول اذ لو كان خلاف ذلك لكان ابتداءه لما الحقه بالقصيدة المتحدث عنها من حيث

(١) افقه فقهاء السادة الاحناف في زمنه كان معاصروه يلقبونه بابي يوسف الثاني ولد سنة ١١٦٢ وتقدم للفتوى والقضاء وكانت بحاره العلميه زاخرة وتونس به فاخرة الى ان حن الى الدار الآخرة في سنة ١٢٤٧

(٢) كان رئيسا لجمعية الاوقاف واستاذا فذا بجامع الزيتونة هزته رياح الاقدار للديار الشرقية وتوفي بمصر سنة ١٣٠٧ وله بها عقب محسوب في صف الاعيان من اهل الرفعة والشان

انتهى نظم الشيخ الثالث لا من حيث انتهى النظم الاصلي فلاجل اشهار هذا الذيل الاول بين اهل الادب احببت الحاق هذا الفرع باصله مع ما سيتبعه من ذيول اخرى متعلقة بالموضوع وليتصور القاري شكل هذا الهيكل الادبي باجمعه يلزمني في البداية الاشارة للاساس الذي بني عليه فهذا الاساس افتتحه الشيخ محمد بيرم الثاني بقوله :

اقدم قبل القصد شكرا لمنعم ... علينا بما أربى على كل انعم
على عز هذا الدين والملة التي ... وان لحقت فازت بفضل التقدم
واتبعه ازكى الصلاة مسلما ... على اشرف المخلوق قدرا واعظم
نبي له وصف النبوة ثابت ... وءادم بين الماء والطين فاعلم
محمد من قد اظهر الله دينه ... بمكة ذي البيت العتيق المعظم

واسترسل في هذه المقدمة حتى البيت السادس عشر حيث ابتدا بذكر اول السلاطين وهو عثمان خان الذي تولى الملك في سنة ٦٩٩ فقال :

فاولهم عثمان باكورة العلا ... مذيق الردا من باسه كل مجرم

وختم نظمه رحمه الله بدولة معاصره السلطان سليم خان الثالث الذي جلس على العرش العثماني في سنة ١٢٠٣ فقال :

سليم ابن خاقان الخواقين مصطفى ... لدينك يا مولاي صنه وسلم
فلا زال منها قائم اثر قائم ... الى زمن المهدي وعيسى بن مريم

هنا ختام النظم الاصلي واليك الابيات التي ذيل بها الشيخ محمد بيرم الثالث قصيدة ابيه مبتدا بالسلطان مصطفى خان الرابع الذي تقدم لكرسي الخلافة في سنة ١٢٢٣ فقال :

ومن بعده قد قام بالامر مصطفى ... همام به ثغر العلا ذو تبسم
سرت فيه من عبد الحميد جلالة ... فاكرم به نجلا لاصل معظم
وقد لاح في افق الخلافة بعده ... شقيق له محمود اهل التقدم
هو الملك الخاقان من خضعت له ... رقاب البرايا من فصيح واعجم
تطلع من بيت السلاطين مثل ما ... تطلع بدر التم من بين انجم
اعد لهذا الدين ما لم تجد له ... قريحة ذي لب وجيش عرمرم
وحسبك ما ابدا بترتيب جنده ... فانت تراه مثل عقد منظم
فلا زال منصور الجناب متمما ... لاركان نصر الدين خير متمم

ثم الحق بهذا الذيل الاول ذيلا ثانيا عند وفاة السلطان محمود خان الثاني وجلوس السلطان عبد المجيد خان الاول على الاريكة العثمانية في سنة ١٢٥٥ فقال :

ولما تناهى في الكمال ونفسه ... تؤم المعالي من عظيم فاعظم
تصاعد في افق الجلال لجنة ... شهيد سقام اجرها خير مغنم
فاظلمت الدنيا بفقد امامها ... وعم اولي الالباب افضع ماتم

وما عبس المحزون حتى تبسمت ثغور الليالي بالسعيد المعظم
امام الورى عبد المجيد ومن غدا لبيعته الاذعان من كل مسلم
فما مات من أحيا الرسوم بنجله وما فات من ابقى لنا خير ضيغم
فلا زال من ذا البيت تبدو أيمة تضيء الدجا نورا اضاءة انجم

الى هنا انتهى ما الحقه الشيخ الثالث بنظم الشيخ الثاني ولم يكن له ان يزيد على ذلك لالتحاقه بربه في سنة ١٢٥٩ على عهد معاصره السلطان عبد المجيد خان الاول ولم نقف لابنه الشيخ محمد بيرم الرابع على شيء في هذا الموضوع رغم وفاة هذا السلطان في زمنه وقيام اخيه السلطان عبد العزيز خان مقامه سنة (١٢٨٧) ولكن حفيدهم الشيخ محمد بن مصطفى بيرم صاحب كتاب صفوة الاعتبار نظم في سنة ١٢٩٧ ذيلا مستكملا لعقد الدر والمرجان ابتداء من حيث انتهى جده صاحب النظم الاصلي وختمه بدولة معاصره السلطان عبد الحميد خان الثاني كما سبقت الاشارة لذلك .

هذا وعلاوة على ما تقدم لنا نفثه من هذه الآثار البيرمية الجليلة في هذا المقام نضيف لذلك دررا اخرى لغيرهم من فضلاء التونسيين تسنى لنا الوقوف عليها بعنوان ملحق للقصيدة التي نحن بصددها ضمنها ناسج بردها ذكر سلاطين ثلاثة : عبد العزيز خان ومراد خان الخامس وعبد الحميد خان الثاني ويلوح من طالعة هذا الملحق انه من بنات افكار الاديب الشهير الشيخ محمد التطاوني كما ستراه على ان ديوان الاديب الفذ والمؤرخ الضليع الشيخ الباجي المسعودي تضمن نص هذا الملحق بحروفه في باب عنوانه : وقال مخاطبا الاكتب الشيخ محمد التطاوني لما الحق بنظم الشيخ بيرم الثاني أبياتا في ذكر السلطان » فعسى ان هذا الغموض يزول اشكاله بهمة غيرنا من الاخوان المتازين بالاحاطة بالادب التونسي والعاظين على دواوينه بالنواجذ واليك نص هاتيك الابيات

وقد الحق التطاوني محمد خلائف جاءت بعد نظم المعظم
فقال ولم يلحق بقوله شأو من مقاله فيهم كالجمان المنظم
اتى بعده عبد العزيز وباله اما ما حوى بالعز فضل التقدم
أتى قبة الاسلام وهي على شفا يقول الا يادار مية فاسلم
بدا امره من حيث ما كان صنوه اليه انتهى بالحزم والعزم فاعلم
اعد من الاجناد والعدد التي تجرع منها الروس كيسان علقم
ولكن لامر شاءه الله خلعه سرى له في جنح من الليل مظلم
فساقوه سوقا والسماء تجوده بمنهل مزن والمحاجر بالدم
وقام مراد الخلق بعده للتي مرامها شان كل خرق معمم
ولكن مراد الحق بين عجزه فعوض من عبد الحميد بضيغم
بليث هصور لا يبالي بمن عوى حواليه من ذئب وكلب مذمم
فوجه نحو الروس وجه اهتمامه يجر خضما من خميس عرمرم
ولكن لسوء الحظ خانت ثقاته فاصبح صلح الروس اجزل مغنم

ويا رب صلح هو للحرب عـدة كما اعتد ذو ضغن ببادي التبسم
لامـر قصي مـا تعمـد جذعـه لانـف اشـم لا يـأم بمرغـم
به استعزل الزبـاء وهي اعز من اعـز عـزيز كان للعز ينتمي
فجرعهـا كاس الردا فص خـاتم ولم يغنهـا قرع لسن التنـدم
كذاك نرى "روسي ان شاء ربنا يخر صريعـا لليدين وللفم

قلت هذا منتهى ما وقفت عليه من اصل وفرع من منظومة عقد الدر والمرجان في سلاطين ءال عثمان من مبتدا ظهورهم في سنة ٦٩٩ الى جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني ونظرا لكون دولتهم دامت بعد ذلك مـدة نصف قرن فقد رايت من الوفاء بالعهد ومن خدمة التاريخ اضافة حلقات تكميلية لسلسلتهم الدرية من حيث انتهت الملاحق الاول في سنة ١٢٩٣ كما تقدم ذكره الى انقراض دولتهم في سنة ١٣٤٢ بخلع عبد المجيد خان الثاني الذي جلس على كرسي الخلافة في سنة ١٣٤١ بعد هروب ابن عمه السلطان وحيد الدين خان الوارث لها سنة ١٣٣٦ عن اخيه السلطان محمد رشاد خان الذي تولاها في سنة ١٣٢٧ بعد خلع اخيهما السلطان عبد الحميد خان الثاني وفي ذلك قلت :

اذا رمت اتمـاما لذا العقد فانتبه وواصل بما قد قيل نظم المتمـم
محمد بن الخوجة المقتـدي بمن تقـدمـه في جمعـهـم بتنظـم
فقـال بعون الله واعلمـه انـه تباعا لما قال الحفيد ابن بيرم :
ولكن امر الله لابـد حاصـل فخاب الرجا واختل حال المقدم
لذا قام اهل الامر والنهي كلهم وحلـوا جميعـا في سراية انجم (١)
هنالك فكوا عقـدة البيعة التي بقت ثلث قرن في ولاء مطهم
ونادوا بليل يا (رشاد) اليك هي بفرض ورد يا كريم ابن اكرم
اليك الاولى يدعون طرا وقلبهم يقول الاهي اصلح الحال وانعـم
وفي عهـده قامت قيامة كل من حوته بقاع الارض من نسل ءادم (٢)
ودام على عـرش الخـلافة تسعـة وبعضا من العـام المتابع فاعلـم
(وحيد لدين) الله من بعده اتى وهـذا شقيق الـراحل المتقـدم
وكانت بلاد الترك عند قيامه بضعف وحرب مع هموم وفي دم
فلم يستطع شيئا من العمل الـذي يداوي به اجراحهـا قـدر درهم
وولى فرارا نحو ملطة (٣) خائفا جيوش كمال مصطفى المتهجم
لـذاك اقامـوا بعـده بخـلافة (عبـد المجيد) بن العزيز المعظم
ولمـا اراد الله انفـاذ حكمه قضى بزوال الامر من يده افهـم
فكان ختام البيت فيه وكلهم سلاطين للاسـلام اشبـال ضيغـم

(١) هي قصر يلدز ومعنى يلدز في العربية نجم
(٢) اشارة للحرب العالمية التي شارك فيهـا نحو ثلاثين دولة من دول المعمورة ودامت من اواسط سنة ١٣٣٢ الى اوائل سنة ١٣٣٧ (١٩١٤-١٩١٨)
(٣) اي مالطة سقطت الفها لضرورة الوزن

القضـاء الشرعي في القـديم

بقلم العلامة النحرير الحجة الأستاذ
الشيخ محمد البشير النيفر المفتي المالكي

« الزغبي »

هو ابو يوسف يعقوب الزغبي بضم الزاي كذا ضبطه بعضهم فيما أذكر من كبار فقهاء عصره وأئمته المحققين وله ذكر في كبير الشيخ ابن ناجي على المدونة ولي قضاء الانكحة بتونس وارتقى منه الى قضاء الجماعة بعد وفاة الشيخ ابي مهدي عيسى الغبريني ، وكان المرشح لمنصب قضاء الجماعة يومئذ الشيخ البرزلي ولكنه كان يمتنع من قبوله حتى قال لا أقبله ولو ضربت بالسوط وسأله السلطان عن صحة ما نسب اليه من هذا فقال نعم وانا على قولي فتقدم الشيخ الزغبي حينئذ ، نقل هذا الشيخ عظوم في مبحث الخيار الشرطي من برنامجه عن الشيخ ابن ناجي وكان المترجم من ثقات القضاة وأمنائهم نقل عنه الشيخ ابن ناجي أنه ما زال ينقض حكم نفسه توفي رحمه الله سنة ٨٣٤

القسنطيني

هو أبو القاسم بن سالم الوشتاتي القسنطيني كذا في الزركشي وفي نيل الابتهاج قاسم بن محمد أخذ عن الشيخ أبي مهدي عيسى الغبريني وأبي يوسف يعقوب الزغبي وبرع في الفقه وغيره حتى قال بعض تلاميذه : الامام العالم العلامة مفتي الانام ورئيس الفقهاء الاعلام فريد دهره وحجة عصره شيخنا قاضي الجماعة بتونس شيخ الشيوخ . . . جامع أشتات العلوم معقولها ومنقولها اه

ومن تلاميذته ابن ناجي ونقل عنه في شرح المدونة ولي رحمه الله الخطابة بجامع التوفيق والفتيا به وولي قضاء الجماعة في شهر رمضان سنة ٨٣٤ بعد وفات الشيخ الزغبي وفي ايام قضائه حلت مسألة وهي أن رجلا أوصى لاول ولد يولد لبنته فولدت ولدا ميتا واختلفت فتاوي الشيوخ ولم يحكم القاضي بشيء فلما ولي صاحب الترجمة قال ان مراد الموصي أول ولد يولد حيا لان القصد بالوصية النفع ولا ينتفع الا الحي

ولما توفي الشيخ البرزلي ولي مكانه اماما وخطيبا ومفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة وأقام رحمه الله في خططه الى أن طعن عند سلامه من صلاة الصبح بجامع الزيتونة في ١٧ صفر سنة ٨٤٦ لا سنة ٨٤٧ كما في نيل الابتهاج وقتل طاعنه في الحين والقي خارج المسجد وأخذ صاحب الترجمة الى داره فكتب وصيته وتوفي في الليلة القابلة وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة ودفن بالزلاج (يتبع)

فيادارهم نوحي بعين تاسف — وقدي ثياب الدهر في كل موسم
وسبحان من لا ينقضي دوم ملكه — ولا مهرب ايقن من قضاء محتم
وصل على مسك الختام محمد — وشرف وكرم يا الاهي وسلم

محمد بن الخوجه

تاريخ تاسيس القيروان
وسورها الى اليوم

بقلم المؤرخ الاعدل الشيخ محمد طراد القيرواني

لا يخفى ان مدينة القيراون هي أول مدينة اسلامية احدثت بالقطر الافريقي وأول قبلة بهذا الشمال باجمعه ولذا كانت مطمح انظار الباحثين من جميع الاجناس ومحط رحال السواح والمستطلعين في كل العصور والاجيال اذ يرى الباحث فيها سطورا اعتبارية مكتوبة على واجهات ما ابقته الدهور من معاهدها الجميلة يقرا فيها كل مطالع لها نهاية العظمه ومزيد الاعجاب والاكبار لمن ابقوا هاته المفاخر واشادوا هاته الاثار وكيف كانت قوة الدولة وعظمة الملك وتبحر العمران

ان البناء اذا تعاظم امره اضحى يدل على عظيم الشان

وللخوض في هذا الموضوع نواح عديدة نخصص هذا المقال لتاريخ تاسيسها وكيفيته وتاريخ بناء سورها من نشأته الى الآن

تاسيس مدينة القيروان

اما التاسيس فانه اختطها الرجل الصالح القايد العظيم الصحابي بالمولد سيدنا عقبة ابن نافع الفهري الملقب بالمستجاب لماريء من استجابة دعائه في الحين رضي الله عنه وعن ساير اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة خمسين من الهجرة (الموافق لنحو سنة ٦٧٠ ميلادية) لما اتى في غزوته الثانية موفدا من الخليفة سيدنا معاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنه واقطع مساكنها ودورها للناس وبنى مسجدها الجامع وبنى داره بها قبلي هذا الجامع فدعيت دار الامارة وتمم بناءها وعمرت مساكنها في ظرف خمسة اعوام وسماها (القيروان) لان هذا اللفظ يطلق على القافلة لنزول الجيش واستقراره بمكانها . والقيروان لفظ فارسي معرب . ثم ان عقبة لما رجع الى المشرق واتى عوضه الامير ابو المهاجر دينار موفدا من نفس هذا الخليفة لم يرتض المكان الذي اختطه لها عقبة فبنى مدينة اخرى قربها وسماها (تيكروان) . وتيكروان هاته لم يتعرض احد من المؤرخين لبيان جهتها من القيروان الاصلية . غاية الامر انهم قالوا انشاها قرب القيروان ولم يزيدوا على ذلك والذي يفهم من كلام المعالم ومن بعض رسوم عتيقة عند تعرضها لذكر مسجد عتيق جدا كان اقامه بعض متقدمي التابعين قال فيه صاحب المعالم: انه جاء قرب مقبرة سحنون ان تيكروان هاته جاءت قريبة من الجهة الشرقية الجوفية من القيروان وبمقتضاه يكون مكان وموقع تيكروان بالمحل الذي يسمى اليوم بهنشير (قزانه) وهو الذي بين ذراع التمار وبين وادي بودبوس

ولما رجع عقبة الى الخليفة معاوية وشكى له ما لقي من ابي المهاجر وعده بارجاعه الى افريقية وتوفي الخليفة قبل انجازه الوعد ولما خلفه ابنه اليزيد انجز وعد والده لعقبة واعاده عاملا له عليها سنة ٦٢ اثنين وستين فتوجه لها وخرب تيكروان واعمر القيروان وكان معه من بين عسكره القادم به خمسة وعشرون نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فجمع هؤلاء الصحابة ووجوه اصحابه وكبار العسكر ودار بهم حول القيروان واقبل يدعو لمدينته ويقول في دعائه : اللهم املاها علما وفقها واعمرها بالمطيعين من عبادك العابدين واجعلها عزا لدينك واعز بها الاسلام وامنعها من جبابرة الارض . والجميع يؤمنون على دعائه . وان هذا الدعاء استجابه الله من اولئك الفاتحين الطاهرين فكانت القيروان اول مدن الاسلام فقها وعبادة وبركة واما قوله واعز بها الاسلام فان ذلك بقي محفوظا في ذاكرة كل من تولى على القيروان

ولذا لما بنى المعز بن باديس الصنهاجي سور القيروان كما ياتي وبنى ابوابها كتب على باب ابي الربيع ما نصه : (هذه مدينة عز الاسلام) وقد بقيت القطعة المكتوب عليها هاته الجملة الى اليوم فان الداخل من باب تونس يجد في اعلا الخد الايسر لهذا الباب قطعة رخامية مكتوبا عليها ذلك بالخط الكوفي الجميل المزهر «اي المكتوب وسط زهور منقوشة» على الصخر تاخذ بمجامع القلوب .

اسوار المدينة

أول سور بني للقيروان السور الذي بناه القايد محمد بن الاشعث الخزاعي لما وجهه الخليفة ابو جعفر المنصور العباسي واليا على مصر وامره باستنقاذ افريقية من يد الثوار ووجه لها ابن الاشعث ابا الاحوص العجلي سنة ١٤٢ وخرج له الثاير ابو الخطاب فهزمه الخطاب واستولى له على عسكره فرجع ابو الاحوص لمصر منهزما . فأمر المنصور ابن الاشعث بالمسير الى افريقية بنفسه فسار لها ابن الاشعث في اربعين الفا وقتل ابا الخطاب وكثيرا من البربر ودخل القيروان غرة جمادى الاولى سنة ١٤٣ المذكورة وامر ببناء سورها في قعدة من تلك السنة (١٤٢) . وتم بناؤه في رجب من سنة ١٤٦

ولما انتظم حاله بها قام عليه عيسى بن موسى بن عجلان من جنده في جماعة من قواده واخرجوه من القيروان سنة ١٤٨ . ولما بلغ ذلك للخليفة المنصور عهد بولاية افريقية الى الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي وكتب عهده بذلك اواخر جمادى الاخيرة من عام ١٤٨ .

والاغلب بن سالم هذا من اصحاب ابي مسلم الخراساني وكتب المنصور الى الاغلب كتابا يوصيه فيه بالعدل بين الرعية وبحسن السياسة في الجند

فكان هذا السور اول سور للقيروان وجعل دورته اثني عشر ميلا والميل عندهم اذ ذاك ثلاثة آلاف ذراع لا الفان فقط كما هو الآن والذراع تسعة واربعون صانتيميتر بحساب اليوم فتكون بحساب اليوم ثمانية عشر كيلوميتر .

ابواب المدينة في القديم

وللمدينة اربعة عشر بابا كل باب له اسم خاص به وهي : (١) باب النخيل (٢) وباب الحديث (٣) وباب الفصيل (٤) وباب الطراز (٥) وباب القلالين (٦) وباب سحنون الفقيه (٧) وباب مراد (٨) وباب ابي عبد الله (٩) وباب نافع (١٠) وباب سلم (١١) وباب الريح (١٢) وباب اصرم (١٣) وباب ابي الربيع (١٤) وباب تونس . فباب تونس في الجهة الجوفية ومكانه الان امام مواجل فسقية الاغالبة الموجودة الان على حالها الاصلي خارج المدينة . اما باب ابي الربيع فهو قبلة المدينة بحيث ان مكانه الآن غربي الطريق الذاهب الى سوسه وهذان البابان متقابلان تقابلا هندسيا مستقيما بينهما طريق يخترق المدينة ويقسمها الى قسمين قسم شرقي والآخر غربي ويسمى هذا الطريق بسماط القيروان ولم يبق منه اليوم الا ما كان مارا امام الضلع الغربي للجامع الاعظم وبقي على اتساعه القديم وكان طول هذا السماط على ما ضبطه البكري في تاريخه خمس كيلوميترات بحساب اليوم فمن باب تونس قديما الى الجامع الاعظم (كيلوميتر) واحد ومن الجامع الى باب ابي الربيع الاربع (كيلوميترات) الباقية وبهذا يعلم مقدار ما ذهب من مساحة مدينة القيروان بسبب الفتن والتخريب الذي توالى عليها في عصور مختلفة وبذلك يعلم ايضا ما ذكره المؤرخون ان عدد سكانها كان مليونا من الانفس ويستدل على صحة هذه الاحصائية ايضا بادلة متعددة تضيق عنها هذه العجالة .

ثم ان القايد محمد بن الاشعث لما دخل القيروان وامر ببناء السور ووقع الشروع فيه وتم بناءه في رجب سنة ١٤٦ فهدمه الامير زيادة الله الاول ابن ابراهم بن الاغلب سنة ٢٠٩ انتقاما من اهل القيروان لما ناصروا القايم عليه منصورا المعروف بالطبندي وذلك لما انهزم هذا الثاير وخرج من القيروان منهزما يوم الاربعاء منتصف جمادى الاولى سنة ٢٠٩ المذكورة فبقي السور مهدما من ذلك الوقت الى سنة ٤٤٤ حيث بناه المعز بن باديس بن منصور الصنهاجي سلطان القيروان اذ ذاك بولاية من العبيديين الذين كانوا بالقيروان وانتقلوا منها لمصر وابقوا سيادتهم على افريقية حيث ابقوا خلفاءهم فيها والد المعز المذكور ووالده قبله وجده، ولما قطع الخطبة باسمهم ونقض بيعتهم اغرى عليه المعز العبيدي اعراب صعيد مصر واباح لهم اجتياز المملكة الافريقية وجعل دينارا لكل اعرابي يريد الهجوم على افريقية مع ما يغنمه من نهبها . فهجموا على القيروان في رمضان من سنة ٤٤٩ وكان اتيانهم من سوسة فدخلوا من باب ابي الربيع المذكور وشرعوا ينهبون ويخربون ويهدمون سورها واجلوا سكانها وفعلوا الافاعيل المنكرة . وافضعها تبديد خزانة الكتب العظمى التي كانت بمقصورة الجامع الاعظم من جمع الاغالبة ومن بعدهم وبالاخص ما زاده وما جمعه المعز بن باديس الصنهاجي المذكور الذي كان مولعا بامتلاك الكتب العلمية على اختلاف فنونها وتباين مواضيعها حتى ما كان بغير القلم العربي كالقلم العبري وغيره وجعل نساخا لا شغل لهم غير النسخ ومن بينهم النساخ الشهير الحارث بن مروان الذي ما زالت اوراقه مبعثرة ببقايا مكتبته التي جعلها بالجامع الى اليوم ومنها اوراق من بعض تآليف ابن الجزار الحكيم الشهير .

فبقيت القيروان مهدمة السور وعمها الخراب ولم يبق بها الا القليل من السكان العجز او من عز عليه مبارحتها كالعلامة ابي القاسم السيوري الذي توفي بها سنة ٤٦٠ على ما ذكره في المعالم . وان وجد تحبيسه بعض كتبه على طلبة العلم بالقيروان سنة اثنين وستين واربعمائة الذي دل دلالة صريحة على انه عاش لهذا العام (٤٦٢) اذ لو لم يكن حيا فيه لقيل اوصى بتحبيسه ولا يقال حبس . ثم لما رجع العمران للقيروان عند ما استولى الخليفة عبد المؤمن بن علي وتغلب على دولة يوسف بن تاشفين وانصاره الملثمين واستنقذ المهدية من يد النورمانديين وانتظمت الممالك المغربية في سلك سلطنته ورجعت السلطة الاسلامية للمهدية يوم عاشوراء سنة ٥٥٥ المسمى في اصطلاح المؤرخين بعام الاخماس واستولى ابو حفص عمر بن يحي جد الملوك الحفصيين وصفا الجو لابي زكرياء يحي بن عبد الواحد ومهد الدولة لآل ابي حفص انشأ سور القيروان وجعل مصلى العيدين المجعول الآن مدرسة قرءانية (يتبع)

التاريخ عند العرب

قبل الاسلام وبعده

« ١ »

بقلم العالم المدرس الشيخ احمد المهدي النيفر

لقد اعتاد الوعاظ وخطباء الجوامع منذ عصور قديمة الى اليوم اذا ءاذن نجم ذي الحجة بالافول ، وقرب ان يبدو هلال المحرم للانظار ان يدعو الناس الى الاعتبار بذلك الاقبال والادبار ويذكروهم بان هذا التغير في الايام والاشهر والاعوام نذير بتناقص الاعمار ودنو الاجال وينصحوا لهم بتدارك ما فرط منهم من سيء الاعمال التي تعقبها الحسرة ويطول عليها الحساب والتاهب للسفر المنتظر بين الفينة والفينة قبل ان يفاجئهم هادم اللذات وتنقطع بهم الاسباب فيندمدا ولات ساعة مندم

والف كتاب العصر في مفتتح كل سنة جديدة ان يودعوا السنة المنصرمة ويعرضوا الاحداث التي مرت بهم وما اصابهم من سراء وضراء وما لاقوا من حلو ومر وخير وشر ويستقبلوا مع ذلك التوديع عامهم الجديد بقلوب كلها آمال واماني ونفوس مترعة بالرجاء ترقب الخير وتامل النجاح والسن لواهج بالتضرع والدعاء الى الله الذي بيده الخير والشر وتصريف الامور ان يروا في عامهم الذي يستقبلونه رفاهة العيش وسعادة الحياة

اما انا في مقالي هذا فلا احب ان ادخل على قرائي السآمة والملال وابعث فيهم الاسى واثير فيهم الذكرى المحزنة واذكرهم بصروف الدهر وفواجعه واملا اسماعهم بالقوارع والزواجر بل حرصي شديد عظيم ان يكون مقالي الذي يقراونه طريفا فكها يسر القلب ويمتع العقل ويروح على النفس ويذكر بخير الايام وزاهر الاعوام . ومن خير الايام التي يذكر بها اليوم الذي بدئي فيه بعمل التاريخ الهجري ، ولذلك كان موضوعه : بداية التاريخ الاسلامي وبماذا ارخت العرب قبل بزوغ شمس الاسلام

العرب قبل ظهور الاسلام وحتى بعد ظهوره لم يكن لديها تاريخ منضبط تتسلسل عنه الكوائن والاحداث ، وتحفظ به امورها ومصالحها ، لانها أمة بداوة ليس بها من حاجة الى التنظيم والضبط وبحسبها ان تسند بعض الحوادث والشؤن الى واقعة من الوقائع التي مرت بها في حياتها كانت بسيطة او عظيمة ، حتى اذا تقادم العهد وطال عليها الامد والم حادث جديد تركت الواقعة الاولى وارخت بالحدث الملم

وتلك شنشنة الامم الغير المتحضرة، والجماعات الساذجة، الا ترى ان العامة والنسوة في بلادنا حتى لهذا العهد يؤرخون بالحوادث النادرة الوقوع، او ذات الاثر العظيم، مثل عام بوبراك (المجاعة) وعام الثلجة (نزول الثلج والبرد) وعام الكوليرة.

قلنا ليس للعرب تاريخ منضبط متسلسل يرجع الى مبدأ قار لانا لم نعثر في آدابها وآثارها على ما يدل لذلك. ومبلغ ما عرفنا عنها، انها كانت تؤرخ في بعض الاحايين بالحوادث التي تنتابها وبالحروب التي تخوض غمارها، وتؤرخ في احايين اخرى بالعاهات الطبيعية النازلة بها، او بوفاة ذوي الشرف والقدر، وتؤرخ تارة بولاية ملك من ملوك العجم الذين يربطها بهم الجوار. لكنها قبل ان تؤرخ بهذه الحوادث والامور. أرخت بشيء آخر طبيعي اهتدت اليه بمقتضى الفطرة وهذا الشيء هو النجوم التي تتلالأ في الزرقاء.

وقد أرخت بالنجوم لانها الشيء الذي وقعت عليه اعينها لما تفتحت واول شيء من الطبيعة استرعى اهتمامها ولفت نظرها فمثلها في الاهتداء اليها مثل الوليد في الاهتداء للنجدين.

ولهذا لهجت بذكر النجوم على السنة شعرائها وكهانها: وناطت بظهورها المسر والمحزن من الاحداث والنوازل. وانها الطبيعة التي فتنت البشر منذ بدء الخليقة، ولا زالت تفتنهم الى نهاية الخليقة

وممن صرح بان العرب ارخت في القديم بالنجوم ابوبكر الصولي في كتابه: ادب الكتاب او الكاتب قال: ومنه صار الكتاب يقولون نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم. وذكر الشهاب الخفاجي: ان قولهم: نجمت المال اذا وزعته كانك فرضت ان تدفعه عند طلوع كل نجم ثم اطلقوا النجم على وقته ثم على الوظيفة التي تؤدى في الوقت المضروب. فافاد كلام الشهاب ان النجم صار في عرف الكتاب مرادا به القسط الذي يدفع في الاجل المعين وانهم اذا اطلقوه كانهم فرضوا ان القسط يدفع عند طلوعه من دون ان ينص على ان ذلك كان عند العرب الاقدمين لا مجرد فرض. ولذلك عقبه السيد المرتضى بتحقيق اصل الاستعمال لهذا اللفظ على نحو ما اشار له الصولي قال في شرح القاموس: كانت العرب تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها وغيرها، فتقول إذا طلع النجم حل عليك مالي ويريدون بالنجم الثريا وباقي المنازل فلما جاء الاسلام وجعل الله الاهلة مواقيت لما يحتاجون اليه من معرفة اوقات الحج والصوم وحلول الديون سموها نجوما اعتبارا بالرسم القديم الذي الفوه.

والنجم يطلق في اللغة ويراد به كل كوكب ثم صار خاصا بالثريا عند الاطلاق وعلما لها قال شاعرهم:

طلع النجم غديه   فابتغى الراعي كسيه

وفي الحديث: اذا طلع النجم ارتفعت العاهة. فاراد بالنجم الثريا وقوله ارتفعت العاهة ابطال

لمزاعم العرب فيها وذلك انهم يقولون ان بين طلوعها وغروبها امراضا ووباء وعاهات في الناس والابل والثمار . وقال ساجع العرب : اذا طلع النجم فالحر في خدم، والعشب في حطم، والعانات في كدم،

واذا كان قدماء العرب يؤرخون بالنجم وكان أهل العربية يستعملون مادته في الوظيفة ملاحظين المعنى القديم ومعتبرين الرسم المألوف . فان متأخري الفقهاء ما فتئوا يوقتون بالنجوم في كتبهم الى وقت الناس هذا

وهذا ابو الضياء خليل من فقهاء المالكية في القرن الثامن الهجري وقت خروج الساعي الذي يأخذ الزكاة من اصحابها بطلوع الثريا في مختصره الفقهي الذي يتدارسه طلبة المعاهد الدينية اوقتنا قال في باب الزكاة : وخرج الساعي ولو بجدب طلوع الثريا بالفجر

وللعرب من قديم عناية خاصة بامر النجوم وبالسماء بصفة عامة . اذ ضرورة عيشهم وحياتهم التي يحيونها تقضي بذلك . فهم يتطلعون للاجرام العلوية ويهتمون بشأنها اهتداء بها في سراهم وارتيادا لصوادق الانواء وتوقيتا لمعاملاتهم البسيطة وتعليقا على بزوغها وافولها للآمال

وقد استفاض ذلك في كلامهم بين نثير ونظيم فجاء الرواة وائمة العربية من بعدهم ونبشوا عن ذلك التراث الدفين واخرجوا لنا جواهر غالية هي درة في جبين التأليف وقد جمعوا في هذه الكتب المؤلفة ما كان للعرب في النجوم والسماء من المعرفة والاعتقاد والمزاعم وممن الف في ذلك ابوبكر ابن دريد اللغوي وسمى كتابه : الانواء . وابن الاعرابي وابو الحسن النضر بن شميل النحوي . وابو اسحاق الزجاج النحوي . وابو حنيفة الدينوري

وقد اثرت مزاعم العرب الجاهلية في النجوم في عقلية كثير من الشعراء الاسلاميين وان كانوا من اصحاب النضوج الفكري والعقل المستنير كابي العلاء المعري وابي الطيب المتنبي قال الاول متأثرا باقوالهم في سهيل :

لا تحسبي ابلي سهيلا طالعا   بالشام فالمرعي شعلة قابس

وقال الثاني في حساده :

وتنكر موتهم وانا سهيل   طلعت بموت اولاد الزناء

احمد المهدي النيفر

اجتماعيات

الاسعاف الخيري الاسلامي

ان اعظم ما تتشوق اليه النفس الطاهرة واعظم امنية يتمناها المرء في حياته لتكون له ذخرا ليوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم هي مرضات الله عز وجل فهي غاية اهل الفضل والتقوى. وللحصول على هذه الغاية مسالك وطرق ومن الواضح بل ومن السهل الميسور على المؤمن الذي يرتجي رضاء مولاه ان يكتسبه بالسعي وراء ما يحبه الخالق ويرضاه ، ومن ذلك السعي في اغاثة اهل الفاقة المحتاجين والايتام والارامل الذين خيم عليهم البؤس وحط عليهم بكلكله وقد توافر عددهم في هذه السنوات وتركتهم ازمة الفقر وقلة الثياب عرات ولما احس بهم اهل الكرامة والاحسان حنوا لضعفهم وعجزهم وقلة ما بيدهم وفكروا في اتخاذ اسباب اغاثتهم ونهضوا بهذا المشروع الجليل مشروع «الاسعاف الخيري» تحت رعاية الجمعية الخيرية الاسلامية وانتخبوا رئيسها السيد البشير معاوية رئيسا لهذا المشروع ووافق مجلس الخيرية على ان يكون فرعا من فروع الخيرية له ذاتيته الخاصة ويديره مجلس مستقل عن مجلس الخيرية وماليته مستقلة عن مالية الخيرية ثم وقع عرضه على رجال الحكومة فام وفد يتركب من السيد البشير معاوية وكاتب المجلس الشاذلي ابن القاضي والشيخ اسماعيل بن التهامي الوزارة الكبرى واعلم صاحب الدولة المولى الوزير الاكبر بالمشروع فحصل على موافقته واستحسن المشروع استحسانا عظيما وطلب منه الوفد عرضه على الحضرة العلية وان يكون المشروع يعمل تحت اشرافها فعين الساعة واليوم ولما حضي الوفد بالمثول بين يدي حضرة سيدنا ومولانا احمد باشا باي صاحب المملكة اعلم سدته بما وقع عليه العزم وطلب ان يكون الفرع كاصله تحت اشراف الحضرة الشامخة العلية فاجاب ابقاه الله لذلك بعد ما استحسن المشروع ودعا للقائمين عليه بالاعانة والتوفيق .

ثم وقعت مقابلة جناب الكاتب العام بالدولة التونسية وعرض المشروع عليه فاستحسنه ووافق عليه ووعد بمد يد المساعدة من طرف الحكومة ووعد بتخصيص مركز جامعة النقابات بنهج قرطاج لايواء من لا ماوى له واعطائه للمشروع

ثم شرع اعضاء المشروع في العمل وواصلوا السعي في جمع التبرعات التي يمدهم بها اهل البر والاحسان وتحضير البدلات لاكساء العرات واعداد مركز لايواء الشرد .

اما الهيئة الساهرة على المشروع فيتركب مكتبها من السادة الفضلاء :

البشير معاوية رئيس الخيرية	رئيس
ابراهيم النيفر المدرس من الطبقة الاولى بالكلية الزيتونية	نائب الرئيس
محمد الشاذلي ابن القاضي المدرس من الطبقة الاولى بالكلية الزيتونية	كاتب المجلس
احمد شلبي	امين مال
الصادق بسيس	نائب الكاتب
اسماعيل بن التهامي	نائب امين المال

ويساعدهم عدد من الاعضاء غير محدود برقم نذكر منهم السادة الشيخ الطيب التليلي المدرس بالكلية الزيتونية والشيخ علي الباوندي المدرس بالكلية الزيتونية والسيد التيجاني الغراب والسيد بلحسن ابن منصور والسيد صلاح الدين بن عز الدين والسيد محمد الفتني والشيخ حسن الخياري والسيد الحبيب شلبي وغير هؤلاء من رجال البر والمروءة .

وقد تولى المشروع اكساء جمع من الفقراء فوجا بعد فوج واتخذ مأوى بنهج باب سعدون زنقة الجليب رقم ٣ لايواء العجز والايتام والمتشردين من الاطفال جمع فيه عددا منهم يقوم بمصالحهم وجعل فريقا من الاطفال تحت رعاية بعض اهل الصنائع ليتعلموا في مصانعهم الحرف وادخل البعض منهم لمدارس التعليم وارجع بعض البطالين لبلدانهم الى غير ذلك من الاعمال . ولا يفوتنا ان نذكر منها مهرجان (الاسعاف) الذي اقيم بقاعة المحاضرات بقصر الجمعيات يوم الجمعة في جانفي ساهم فيه العالم الاديب الشيخ الفاضل بن عاشور المدرس بالكلية الزيتونية فالقى محاضرة كان موضوعها (حاتم الطائي وشعره)

و شيخ الادباء الشيخ العربي الكبادي بقصيدة بليغة والشيخ علي النيفر المدرس بالكلية الزيتونية والشيخ ابو الحسن بن شعبان فالقى كل منهما قصيدة يجدها القاري في باب الادب من هذا العدد

والشيخ الطاهر القصار المدرس بالكلية الزيتونية فالقى قصيدة من جيد شعره

والشيخ الشاذلي خزندار فالقى قصيدة عصماء وتم المهرجان الحافل تحت تاثير ما القى على الاسماع من عذب النثر وروائع الاشعار وكان اظهر ما في قاعة الاحتفال العدد العظيم من تلامذة الكلية الزيتونية الذين اعتيد منهم الاقبال على المهرجانات الادبية والنوادي العلمية نسجل هذا ونحن فخورون بهم بارك الله لنا في شباب الزيتونة الناهض

وفي الختام المجلة تساهم بدورها في رفع صوتها بالنداء لاهل البر والاحسان ان يقبلوا على مشروع الاسعاف الخيري ويمدوا له الاعانة حتى يتسنى له البقاء والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه .

الادب

فكونوا حديثا طاب في فم من وعى

القصيدة الخريدة التي القاها العلامة الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة في مهرجان الاسعاف الخيري

ارقت له صوتا أرن فأسمعا — أصخت له مني فؤادا ومسمعا
دوى في الفضاء الفسح يسترحم الورى — فأضرم أحشاء وأسبل أدمعا
يصعده بؤس أناخ بمعشر — فلم يبق فيهم للسعادة موضعا
يهيب بأهل الوفر أن يمنحوهم — من الوفر ما يأسو الفؤاد المروعا
يناشدهم ان يبذلوا العرف للاولى — تنكر دهر نحوهم وتقنعا
وسامهم خسفا وعسفا فأصبحوا — يحلون ميدان التعاسة مرتعا
وأوردهم ورد الشقاء منغصا — وجرعهم كأسا من الفقر مترعا
فلم يجدوا من تافه القوت بلغة — ولا من مهين اللبس ثوبا مرقعا
ولا من حقير الكن ما يدفع الاذى — من القر عنهم او من الريح زعزعا
غدوا والردى منهم على قيد غلوة — يكادون من بؤس يلاقون مصرعا
فهبوا لتخفيف الذي ناء ركنهم — بمحمله حتى وهى وتضعضعا
ورقوا لهم اخوانكم قد رماهم — فم اضهم ريب الزمان وصدعا
ومدوا لمن قاموا باسعافهم يدا — واجروا لهم من سلسل العرف مشرعا
هم نفر قد أجمعوا أمرهم على — معونة من لم يلف للضر مدفعا
قد ادرعوا بالحزم والعزم وامتطوا — جواد اجتهاد خب حينا وأوضعا
فاووا شريدا ثم هم مهدوا له — الى العمل المجدي وللنجح مهيعا
وطاوي الحشى خاوي الوفاض أتاهم — فأطعم بطنا من قراهم وأشبعا
ولابس طمر لا يواريه امهم — فنال كسا منهم تجاوزن مطمعا
فدونكم هذي المكارم فاضربوا — بسهم لكم فيها وخفوا لها معا
فانتم كرام العرب اجود بالندى — من الريح ان هبت واطيب موقعا
وما حاتم الطائي الا نموذج — لجودكم الفياض ان واجب دعا
فسيروا على منهاج اسلافكم لكي — تنالوا تليد المجد والفخر أجمعا
وتبقوا لكم ذكرا كابناء حاتم — به يغتدي أنف الحواسد أجدعا
وتبنوا لكم في الخلد قصرا مشيدا — فكل امرء يجزى غدا بالذي سعى
وكل امرء يبقى حديثا اذا قضى — فكونوا حديثا طاب في فم من وعى

علي النيفر

في سبيل الاسعاف الخيري

الدرة اليتيمة التي القاها الشاعر الفحل الشيخ
ابو الحسن بن شعبان في مهرجان الاسعاف

رقوا لهاتيك الجسوم العاريه ... فالبرد يفتك والعواصف قاسيه
رقوا لهاتيك الجسوم وبادرو ... ها بالعطايا الجمة المتواليه
رقوا لهاتيك الجسوم وكفكفوا ... بيد السخاء من الدموع الهاميه
هذا الشتاء مكشر عن نابه ... يسطو باهوال تشيب الناصيه
وثباته لا يستطاع نزالها ... وكروبه تمسي وتصبح طاغيه
أضحى الشقاء مخيما فرمى فلم ... تخطىء مراميه القلوب العانيه
وبدا لها في كل ناحية كما ... تبدو الوحوش الفاتكات الضاريه
أيان سرت رأيت من طعناته ... في الانفس الحيرى كلوما داميه
وترى جموع البائسين عليهمو ... خرق ممزقة الجوانب باليه
بجوانب الطرقات تلقاهم على الد ... دقعا نياما في الليالي الداجيه
والريح صاخبة تزمجر حولهم ... غضبى تهدد بالكوارث داويه
لا تستقر جنوبهم مما تلا ... قي من أذى هجماتها المتتاليه
اين الكساء وأين منهم ما يقي ال ... أجساد من هذي الشرور العاتيه
ولرب أطفال تفاقم بؤسهم ... وغدوا كامثال الزهور الذاويه
وأرامل فقدت معيلا كان يغ ... ذوها بما يسعى فباتت طاويه
باتت تئن من الخصاصة لا ترى ... من حولها إلا عيونا نابيه
لهفي على المرزوء كيف تشب في ... أحشائه الارزاء نارا حاميه

***

هذي المشاهد كيف لا تلقى لها ... ممن يشاهدها قلوبا حانيه
ولقد دوت أنات من يشقى بها ... أفلا نلاقيها بأذن صاغيه
تأبى المروءة أن نراهم في الشقا ... ء ولا نمد يدا لدرء العاديه

***

قل للذين تبوءوا الفرش الوثيـ ... رة واحتموا خلف السجوف الواقيه
واستمرؤا دفئا به تحنو على ... أجسادهم تلك البرود الضافيه
هل تذكرون المعوزين وأنتمو ... تتمتعون بهذي الحياة الراضيه
جودوا فخير الجود ما أبقى على ... رمق وخير الراحتين العاليه
جودوا فأنتم من سلالة امة ... آثارها في الجود ليست خافيه
لا تكبروا شأن الحطام وأرصدو ... ه للمكارم والخصال الساميه
فأجل ما أسدى الثراء لذى الثرا ... ما قد أتى من صالحات باقيه

***

حيا الاله صنيع من قد سارعوا ... يستمطرون ندى الاكف الساخيه
واستنهضوا الهمم التي هبت لاس ... عاف العفاة ولم تكن بالوانيه

***

يا قوم هل من يرتجي بنواله ال ... حسنات في هذي الحياة الفانيه
هـذا المجال مجالها فتسابقوا ... لا زالت النعمى عليكم ضافيه

الوصيـة العظمى

للامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه

هذه وصية ابي حنيفة رحمة الله تعالى عليه . اجتمع اليه اصحابه واستوصوا منه وصية على طريق اهل السنة والجماعة . فامر بخادمه حتى اجلسه وقعد على ظهره واسنده اليه ثم قال :

يا اصحابي واخواني وفقكم الله تعالى ان مذهب اهل السنة والجماعة اثنا عشر نوعا فمن كان يستقيم على هذه الخصال لا يكون مبتدعا ولا صاحب هوى فعليكم يا اصحابي واخواني بهذه الخصال حتى تكونوا في شفاعة النبي عليه السلام يوم القيامة .

اولها – الايمان وهو اقرار باللسان وتصديق بالجنان والمعرفة بالقلب . والاقرار وحده لا يكون ايمانا لانه لو كان الاقرار وحده ايمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين . وكذلك المعرفة بالقلب وحدها لا تكون ايمانا لانها لو كانت ايمانا لكان اهل الكتاب كلهم مؤمنين كما قال الله في حق المنافقين : والله يشهد ان المنافقين لكاذبون . وكما قال في حق اهل الكتاب : الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم .

والايمان لا يزيد ولا ينقص لانه لا يتصور زيادته الا بنقصان الكفر ولا يتصور نقصانه الا بزيادة الكفر وكيف يجوز ان يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمنا وكافرا . والمؤمن مؤمن حقا والكافر كافر حقا وليس في الايمان شك كما انه ليس في الكفر شك لقوله تعالى اولئك هم المفلحون حقا واولئك هم الكافرون حقا .

والعاصون من امة محمد عليه السلام من اهل التوحيد كلهم مؤمنون حقا وليسوا بكافرين حقا والعمل غير الاركان والايمان غير العمل بدليل ان كثيرا من الاوقات يرتفع العمل عن المؤمن ولايجوز ان يقال ارتفع عنه الايمان فان الحائض يرفع الله تعالى عنها الصلاة ولا يجوز ان يقال ارتفع عنها الايمان او امرها بترك الايمان وقد قال لها الشارع دعي الصوم ايام حيضك ثم اقضيه ولا يجوز ان يقال دعي الايمان ثم اقضيه ويجوز ان يقال ليس على الفقير الزكاة ولا يجوز ان يقال ليس على الفقير الايمان

ونقول بان تقدير الخير والشر كله من الله تعالى لانه لو زعم احد تقدير الخير والشر من غيره لصار كافرا وبطل توحيده ان كان له توحيد .

الثـاني – اعلم بان الاعمال ثلثة .فريضة وفضيلة ومعصية. فالفريضة بامر الله تعالى ومشيئته

ومحبته ورضائه وارادته وقضائه وقدره وتخليقه وتوفيقه وحكمه وعلمه كتابته في اللوح المحفوظ . واما الفضيلة فليست بامر الله تعالى ولكن بمشيئته ومحبته وحكمه ورضاه وتقديره وعلمه وتوفيقه وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ . واما المعصية فليست بامره ولكن بمشيئته لا بمحبته و قضائه لا برضائه وبتقديره لا بتوفيقه بل بخذلانه يؤاخذنا بها وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ .

الثالث – نقر بان الله على العرش استوى كما قال الله تعالى الرحمن على العرش استوى معناه استوى من غير ان يكون له حاجة واستقرار عليه بل هو الموجد للعرش وغيره وهو حافظ العرش من غير احتياج فلو كان محتاجا اليه لما قدر على ايجاده وحفظه وتدبيره مثل المخلوقين ولو كان محتاجا الى الجلوس والقرار عليه فقبل العرش اين كان الله تعالى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

الرابع – نقر بان كلام الله غير مخلوق ووحيه وتنزيله وصفته لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقرؤ بالالسنة محفوظ في الصدور والحبر والكاغذ والكتابة كلها مخلوقة لانها افعال العباد وفعل المخلوق مخلوق وكلام الله تعالى غير مخلوق لان الكتابة والحروف والكلمات كلها دلالة للقرآن لحاجة العباد اليه وكلام الله تعالى قائم بذاته ولكن معناه مفهوم لهذه الاشياء فمن قال بان كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر والله تعال معبود لا يزال كما كان وكلامه مقرو ومكتوب ومحفوظ من غير زوال عنه .

الخامس – نقر ان افضل هذه الامة بعد نبينا محمد عليه السلام ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين لقوله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم وكل من كان اسبق فهو افضل عند الله ويحبهم كل مؤمن تقي ويبغضهم كل منافق شقي .

السادس – نقر بان العبد مع اعماله واقواله واقراره ومعرفته مخلوق فلما كان الفاعل مخلوقا ففعله اولى ان يكون مخلوقا .

السابع – نقر بان الله تعالى خلق الخلق ولم يكن لهم طاقة لانهم ضعفاء عاجزون محدثون والله تعالى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون . والكسب بالعمل حلال وجمع المال من الحلال حلال وجمع المال من الحرام حرام . والناس على ثلاثة اصناف المؤمن المخلص في ايمانه والكافر الجاحد في كفره والمنافق المداهن في نفاقه والله تعالى فرض على المؤمن العمل وعلى الكافر الايمان وعلى المنافق الاخلاص لقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم .

والثامن – نقر بان الله تعالى جعل الاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل لانه لو كان قبل العفل لكان العبد مستغنيا عن الله وقت الفعل وهذا خلاف حكم النص لقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء . ولو كان بعد الفعل لكان من المحال لانه يلزم حصول الفعل قبل الاستطاعة بلا استطاعة ولا طاقة

التـاسع — نقر بان المسح على الخفين جائز للمقيم ليلة ويوما وللمسافر ثلاثة ايام ولياليها لان الحديث ورد هكذا فمن انكره يخشى عليه الكفر لانه قريب من الخبر المتواتر. والقصر والافطار للمرض وفي السفر بنص الكتاب لقوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة والافطار قوله تعالى ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر .

العـاشر — نقر بان الله تعالى امر القلم بان يكتب فقال القلم ما ذا اكتب يا رب فقال الله تعالى اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة لقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر .

الحادي عشر — نقر بان عذاب القبر كائن لا محالة وسؤال منكر ونكير حق لقوله تعالى سنعذبهم مرتين ولورود الاحاديث . والجنة والنار حق وهما مخلوقتان لاهلهما الآن لا تفنيان ولا يفنى اهلهما لقوله تعالى في حق المؤمنين اعدت للمتقين . وفي حق الكفرة أعدت للكافرين . خلقهما الله للثواب والعقاب . والميزان حق لقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . وقراءة الكتب حق لقوله تعالى : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

الثـاني عشر — نقر بان الله تعالى يحيى هذه النفوس بعد الموت ويبعثهم في يوم كان مقداره الف سنة للجزاء والثواب واداء الحقوق لقوله تعـالى وان الله يبعث من في القبـور. ولقاء الله تعالى لاهل الجنة حق ويرونه اهل الجنة بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة . وشفاعة رسولنا محمد عليه السلام حق لكل من هو من اهل الجنة. وان كان صاحب الكبيرة. وعائشة بعد خديجة الكبرى رضي الله عنهما افضل نساء العـالمين وهي ام المؤمنين ومطهرة عن الزنـا وبرية عما قالت الروافض . واهل الجنة فيها خالدون واهل النار في النار خالدون لقوله تعالى في حق المؤمنين اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وفي حق الكفار اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون.

طبع تـاليف نـفيس

تم طبع كتاب تخريج الدلالات السمعية في الوظائف التي كانت بالصدر الاول وفي التراجم - بالمطبعة الرسمية التونسية

وهو كتاب بديع الاسلوب جم الفوائد نادر الوجود عديم النظير

وكانت النسخة الوحيدة منه بالشمال الافريقي من بين الكتب النفيسة بجامع الزيتونة ولما كانت تنقص القسم العاشر منه سعى بعض اهل العلم في جلب القسم المذكور من مكتبة المنعم احمد تيمور بمصر وطبع الكتاب كاملا باشارة بعض الموظفين في الوزارة الكبرى واذن جناب الوزير المنعم سيدي مصطفى دنقزلي عام ١٩٢٥ بطبع ١٥٠٠ نسخة من هـذا التاليف على ان يكون ثمنه ذخيرة لمكتبة جامع الزيتونة صاحبة التاليف تشترى منه الكتب المفيدة وتطبع منه ما يهم اهل العلم والمطالعين بعد تامين الثمن بادارة الاوقاف على نظر لجنة تنظيم الكتب بالجامع

وقد حصل سرور عظيم لاهل العلم بطبع هـذا التاليف النفيس ولكن طال شوقهم الى اقتنائه على الاسلوب المقرر لطبعه اي على طريق ادارة الجامع ولكن طال انتظارهم مع ان النسخ المذكورة بلغ انها جاهزة بالمطبعة الرسمية ولذلك يؤملون الاسراع بسراح هذا الكتاب الى الجامع قصد الانتفاع وحتى لا يحصل له الضياع

الهدايـا والتقاريض

الطريقـة المرضيـة في الاجـراآت الشرعيـة

في هذه السنوات التي نشق عبابها وتضطرم سفينة الحياة بامواجها ركدت حركة التاليف على قلة ما كنت تنتجه وبطبيعة الحال قل صدور المطبوعات والكتب العلمية والادبية بيد ان اصحاب العزائم الصادقة لا تؤثر فيهم الحوادث بل ربما تكون لهم اشد باعث على الجد في العمل والسعي في سد الثلمات وتكميل ما ينقص الجماعات .

وفي مقدمة هؤلاء العلامة الهمام الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي بالديار التونسيـة المكلف بمشيخة التعليم بالكلية الزيتونية حيث ابرز في هذه الضروف درة من درر بحره الزاخر سطع بريقها في سماء المعارف فازالت من غوامض المشكلات ما ارتاحت له النفوس حتى صح لقائل ان يقول لا عتر بعد عروس .

واذا كان التعليم بالكلية الزيتونيـة يطلب من جهابـذة الاساتـذة والمدرسين ان يجددوا طريقـة التاليف حتى يسهـل على الناشئة اقتطاف زهـرات المعارف يانعـه ويطلب منهم التـآليف التي دعا اليها نظام التعليم الحديث وهي الآن مفقودة فها قد شق فضيلة شيخ الجامع الطريق فالف الطريقة المرضية في الاجراءات الشرعية وهو لعمري عمل جليـل سد به حاجة طلاب العلم بالزيتونة اولا وبالذات حيث ان هذا الفن داخل في برامج التعليم العالي والمعلم كان يجد امامه مصاعب في التحضير فضلا على التلامذة الذين ليس لهم مادة مهياة يرجعـون اليها في المراجعة ولطالما صبت النفوس لمصنف مستقل في هذا الفن يسد الخلة حتى برز كتاب الطريقة المرضية .

فجاء كتابـا في ثلاثة اجزاء على حسب اقسام التعليم العالي بـالمعهد قـد جمع مسائل فقه القضاء وما يتصل بذلك من الاجراءات الشرعية على قواعد المذهب المالكي الزكي باسلوب سهل المأخذ واضح المسالك متين الترصيع قـويم المنهج والتقسيم عذب المورد جامعا يلتقط منه المتعلم درر الفن وديوانا نافعا يسهل على القاضي والحاكم طرق الاجراءات التي يلزمـه عبورها ومرجعـا ثمينا يلتجيء اليه كل من دعته الحاجة اليه .

فجاء مجددا لما سبقه جامعا لما تفرق في غيره مع ضم ما دعت اليه الضروف الحالية والعصور المتاخرة من الاجراءات. وابرز مظاهر هذا المصنف الثمين اراء الشيخ التى اجلاها بشيء من الادلة واعتمد عليها في الترجيم . وهي طريقة مرضية تنبيء عن استقلال في الراي كما عرف ذلك عن فضيلته وتجلت فيه نفسيـة المؤلف في جلاء ووضـوح فلم يكن تأليفا اقتصر فيه على جمع المسائل المتفرقـة والوقوف عند ذلك

ونحن نعلم ان كثيرين لا يرون هذا الراي ولكن الحقيقة احق ان يصدع بها واحق ان تتبع وما اضر بالهيآت العلمية مثل ما اضر بها الوقوف في التاليف عند النقل المجرد من غير ان تظهر نفسية المؤلف في تاليفه ما دام مجال البحث والنظر فسيحا .

وليس قصدنا تحبيذ نسف كل ما يقع تحت انظار الكتاب بل انـا نحبذ ونؤيد وندعو للعمل والانتاج الفكـري فيما هو داخل تحت نطاق النظر مدام مجال البحث سائغ العبور عند اهل الراي الصحيح ولا تصادمه القواعد العلمية المسلمة والا كان من الخطا في الراي الذي لا يقره ذو عقل سليم

ونحن نشكر لفضيلة الشيخ الاستاذ هذا المجهود العظيم لله والعلم والدين ونتفاءل للمعهد خيرا ببروز امثال هذا المؤلف النفيس ونؤمل من اصحاب الفضيلة وشيوخ التدريس بالمعهد ان يكونوا على غراره ويبرزوا لنا من التصانيف مايكثر به الانتاج العلمي وتعم به الفائدة وما ذلك على هممهم بالامر العسير ونسال الله ان يمد في عمر فضيلة شيخ المعهد حتى يبقى رمزا وذخرا للعلم والانتاج العلمي والفضيلة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

فى الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزءان ٣-٤ | تونس ربيع الاول والآخر ١٣٦١ مارس-افريل ١٩٤٢ | المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

للمطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

فهرس العدد

صحيفة	المقال	صاحبه
٣٣	امر علي في العمل بالخط والرسوم	....
	التفسير	
٣٥	تفسير آيات من سورة المؤمنون	بقلم الشاذلي ابن القاضي
	الحديث	
٤٠	باب الدين يسر شرح	العلامة الشيخ الصادق المحرزي
	الفتاوي والاحكام	
٤٧	تحرير في مسألة سقوط الحق بمرور الزمن	العلامة الشيخ محمد المختار بن محمود
	الوعظ والارشاد	
٥٠	ذكرى بعثة الرسول خطبة سرية	الشيخ الجيلاني حمزه
	التاريخ	
٥٢	بايات الدولة المرادية	امير الامراء المؤرخ الكبير محمد بن الخوجه
	الادب	
٥٨	المستشرقون	المستشرق الكبير م. برشي
٦٠	عود على بدء	المؤرخ الكبير محمد بن الخوجه
٦١	احتفال بهيج بمدرسة الهداية	....
٦١	خطاب	رئيس جمعية ضعفاء التلامذة
٦٤	بين المغرب وتونس	....
٦٦	(مرثية فقيد الاحسان الابر الحاج احمد ابن الامين)	الشيخ الطاهر القصار

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزءان ٣ـ٤	تونس في ربيع ١ والآخر ١٣٦١ وفي مارس ـ افريل ١٩٤٢	المجلد الخامس

امر علي

في العمل بالخط والرسوم

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعالى اعماله وبلغه آماله الى من يقف على امرنا هذا من الخاصة والعامة اما بعد فبناء على ما لمسالة العمل بالخط والرسوم من الاهمية اذ الرسوم هي التي اقيمت عليها دعائم الاحتجاج على جميع التصرفات والانتقالات الشرعية ـ وبناء على ما في عبارات بعض الفقهاء من الحنفية مما يقتضي عدم العمل بالخط والرسوم مما افضى الى اتخاذ ذلك ذريعة الى تلاعب بعض نظار الاوقاف بنصوص الواقفين وشروطهم والعمل في الاوقاف طبق شهواتهم حتى اذا ما قام عليهم قائم يطلب اصلاح ذلك الفساد ويطلب اتصاله بحقه واستدل برسم الوقف عارضوه بانه خط وجرى عمل النظار بخلافه فلا يحتج به ولو كان الرسم غير مستراب في نظر القاضي ـ وبناء على ان مثل هذا الاضطراب من شانه ان يبقى الناس غير مطمئنين على حقوقهم وعلى اوقافهم بالخصوص التي نصوصها محترمة كنصوص الشارع ـ ورغبة منا في حفظ حقوق رعايانا وصونها عن عبث الايدي المفسدة ـ وبعد اطلاعنا على نتيجة المفاوضة التي وقعت بين جناب مشائخ المجلس الشرعي الحنفي وبعض مدرسي الطبقة العليا من

الحنفية بالجامع الاعظم ادام الله عمرانه في يوم الاثنين سابع جمادى الاولى والثاني من جوان الفارطين (١) وعلى راي جناب وزيرنا للعدلية وجناب المعتمد بوزارة العدلية وما قرره جناب الكاتب العام بدولتنا وما عرضه جناب وزيرنا الاكبر اصدرنا امرنا هذا بما ياتي :

الفصل الاول

اذنا لمشائخ المجلس الشرعي باعتبار الرسوم وسائر الخطوط حجة كسائر الحجج الشرعية ولا يقدم عليها عمل النظار عند قيامها عملا بقول من يرى ذلك من معتمدي فقهاء الحنفية مع ابقاء الحق للمحتج عليه بها في الطعن فيها بسائر انواع الطعن التي يمكن توجيهها على سائر الحجج التي يقع الادلاء بها عند التخاصم ولا يقع الغاؤها بمجرد كونها خطا بل ينظر القاضي في مستندات الطعن فان وجدها صحيحة قبلها والغى الرسم والاردها وقبل الرسم - ويصدر بذلك حكما تحضيريا يكون كتمهيد للحكم النهائي في النازلة وينص عليه بصلب ذلك الحكم .

الفصل الثاني

جناب وزيرنا للعدلية مكلف باجراء العمل بما تضمنه امرنا هذا . (٢)

وكتب في ٢٠ رمضان وفي ١١ اكتوبر سنة ١٣٦٠ - ١٩٤١

---

(١) انعقد هذا الاجتماع في عشية اليوم المذكور في (بيت الفطور) من دار الباي بتونس - تحت رئاسة جناب وزير العدلية سيدي عبد الجليل الزاوش - حيث تعذر الحضور على جناب المولى الاكبر سيدي الهادي الاخوة - وبمحضر جناب وزير القلم والاستشارة سيدي احمد ابن الرايس (رحمه الله) وحضر من مشايخ المجلس الشرعي الحنفي جناب مولانا شيخ الاسلام سيدي محمد الطيب بيرم والشيخ سيدي علي بن الخوجه المفتي الثالث والشيخ سيدي محمد المختار بن محمود المفتي الحنفي الرابع ورئيس تحرير هاته المجلة - والشيخ سيدي محمد الحطاب بوشناق المفتي الخامس . والشيخ سيدي محمد دامرجي القاضي الحنفي وتخلف الشيخ سيدي محمد بن الخوجه حيث تعذر عليه الحضور - ولما المشايخ المدرسون الذين حضروا فهم الشيخ سيدي الصادق المحرزي والشيخ سيدي الشاذلي الجزيري والشيخ الشاذلي بن القاضي واخوه الشيخ سيدي محمد الهادي - كما حضر بالجلسة جناب شيخ المدينة السيد محمد سعد الله وتولى كتابة الجلسة - وانما كان الاجتماع خاصا بالفقهاء الحنفية لان هذا الاجتماع ناشيء عن وقوع خلاف بين مشايخ المجلس الشرعي الحنفي في مسئلة العمل بالخط والرسوم . وان كانت الفقرة الاولى من الفصل الاول من الامر عامة في خطاب مشايخ المجلسين الحنفي والمالكي في اعتبار الرسوم وسائر الخطوط حجة كسائر الحجج وانها لا تسقط بمجرد كونها خطا بل لا تسقط الا بما تسقط به سائر الحجج الشرعية .

(٢) نشر هذا الامر بالرايد الرسمي العربي عدد ٨٤ المؤرخ يوم ٣٠ رمضان سنة ١٣٦٠ وفي ٢١ اكتوبر سنة ١٩٤١ ونشر بالرائد الرسمي الفرنسي عدد ١٢٦ المؤرخ بيوم ٢١ اكتوبر سنة ١٩٤١

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ۝ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (من سورة المؤمنون)

التفسير بقلم محمد الشاذلي
ابن القاضي مدير المجلة

ان الله تعالى بعد ان بشر المؤمنين بالفلاح ووعدهم الجزاء الاوفى على ما يقدمونه لانفسهم من خير وطاعة لله الذي خلقهم وخلق ارزاقهم ، اقام على استحقاقه الطاعة والعبادة انواعا من الادلة على طريقة القرءان في قرن المسائل بدلائلها والبراهين الناطقه بصحتها حتى ينقطع عذر الانسان وكان النوع الاول من الادلة يرجع الى خلق الانسان وتكوينه والادوار التي يتقلب فيها الى ان يتم خلقه وهو الذي جاء ذكره في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ، ثم ذكر ما يطرأ عليه من الاحوال التي تنتهي ببعثه ونشوره لينال جزاء ما قدمت يداه من خير او شر المذكور في قوله تعالى : ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم

يوم القيامة تبعثون) فهذا احد الادلة الدالة على قدرته سبحانه في خلقه يلمسه الانسان في نفسه (وفي انفسكم افلا تبصرون) .

ثم ذكر عز وجل النوع الثاني من الدلائل وهو يتعلق بخلق السماوات (فلخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس) ولكن قدم ما يتعلق بخلق الانسان لان ما سواه كانه خلق من اجله

قال سبحانه : ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق'. هي السماوات السبع وجاء التعبير عنها بالطرائق وذلك اما لتطارق السماوات بمعنى كون بعضها فوق بعض على حد قولهم طارق الرجل نعليه اذا جعل نعلا على نعل واطبقه عليه وطارق بين الثوبين اذا لبس ثوبا فوق ثوب والعرب تسمي كل شي فوق شيء طريقة والجمع طرائق وهذا المعنى ذكره الخليل والفراء والزجاج . قال الزجاج هو كقوله تعالى:الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا

او طرائق بمعنى مسالك تسلكها الملائكة في نزولهم وعروجهم او تسلكها الكواكب السيارة في مسيرها

وفي خلق السماوات آيات بينات على وجوده تعالى وقدرته بما اشتملت عليه من اجرام وما هي عليه من نظام وما يتصل منها بالعالم السفلي مما تفيضه من ماء ونور ومواد تبعث الحياة فيه بعد ان لم يكن شيئا مذكورا على مقدار خاص وفق الحكمة الآلهية .

فهذه المقدرات تدل على القادر دلالة الآثار على المؤثر زيادة على ما تدل عليه من العظمة والرحمة والتفرد بالخلق فخلق هذه العوالم تبعث في نفس البصير الرغبة في فهم هذه الكائنات ودراسة طبائعها ولو على الاجمال لتتجلى الحقيقة ناصعة لا يسترها حجاب ولا يغطي نورها سحاب فتتوارى عن الابصار .

تامل في هذه الكواكب التي يغشاك ضوؤها آناء الليل واطراف النهار وما هي عليه من نظام وكيف اختلفت في المقادير والابعاد على نسب محكمة وكيف حافظت على اعتدالها في الجاذبية التي ضمنت لها النجاة ولولاها لا نفلتت تلك الكواكب واصطدمت ببعضها وخر من في الارض صعقا وهلكت العوالم باسرها ولكن شاءت ارادة القادر الحكيم ان يحفظ هذا العالم الى قدر معلوم . وان يحيطه برحمته التي وسعت كل شيء .

قتل الانسان ما اكفره تقوم بين يديه الادلة فيعاند وتدمغه الحجة فيطغى ويجحد انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . وهو مع ذلك يخوض في نعم الله السابغة عليه الظاهرة والباطنة المتصلة بخلقه والمفككة عنه . بما يحيط سبحانه عبده من كريم عطائه وما يفيضه عليه من خزائن رحمته وكذلك يخاطبه خطاب مذكر بقوله : وما كنا عن الخلق غافلين) فليس سبحانه بمهمل امر مخلوقاته بل هو المدبر العليم بمصالحهم المنزل رحمته على مخلوقاته الحافظ لهم على وفق ارادته وما قدره لهم لا يتطرقهم فساد ولا اختلال الى اجل مسمى على وفق حكمته وهو العليم الحكيم عليم بما عليه الخلق فيحاسبهم عليه يوم البعث لا تخفى عليه خافية ولا يغفل عما يصنعون .

وال في الخلق اما ان تكون للجنس واما ان تكون للعهد والمعهود انواع المخلوقات التي دلت

عليها الآيات المتقدمة وهي على الوجه الاول للاستغراق . وجاء الاظهار بذكر الخلق دون الاضمار لما فيه من زيادة تقرير صفة الخلق له تعالى دون سواه ولما يشير اليه من نفي الغفلة الامر الذي تتطلبه حالة المخلوق المفتقر الى خالقه على الدوام وانه يرقبه في جميع احواله وتصرفاته وتوطئة لذكر ما يصلح معاشهم وفيه بيان علمه تعالى بعد بيان قدرته .

ثم قال تعالى : وانزلنا من السماء ماء بقدر) هذا ثالث الادلة والسماء جهة العلو التي يملاها الهواء في مبدئها بالنسبة الينا وينقطع في ابعادها ويعمرها الاثير الذي تدخر فيه الافلاك السيارة وتستقر على صفحاته الثوابت صنع الله الذي اتقن كل شيء وهو أحكم الحاكمين وامواجه هي التي تنقل الينا هذا النور الذي يغشى العالم ويغمره .

وقد اتفق اهل العلم من القدماء والمحدثين على ان ما بين الارض والسماء يصح ان يطلق عليه اسم الفضاء لان الخلاء مستحيل بالبرهان لانه لو فرض ان مكانا خاليا فهو اما ان يفرض انه مضيء او مظلم والضوء والظلمة لا ينفكان عن كونهما جوهرا او عرضا فان كان جوهرا فهو غير خال بل هو عامر وان كان عرضا فهو يستحيل ان يقوم بنفسه فيتعين ان يقوم بجوهر فثبت ان لا فراغ موجود في الكون غاية الامر ان الاجرام منها ما يدرك ومنها ما لا يدرك بالعين المجردة .

كذلك هذه الابعاد التي بين الكواكب والارض يتخللها النور وهو لا يصل الا محمولا على جرم فثبت ان لا فضاء ولا خلاء ايضا .

والماء النازل هو المطر الذي وصف سبحانه ادوار انتقالاته في قوله : الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق اي المطر - يخرج من - خلاله . (ق) وجعل سبحانه نزوله بمقدار يكون به صلاح المخلوقات وعلى مقتضى الحكمة الالهية وذلك على وفق قوله عز وجل : وإن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم)

ثم ذكر الله تعالى بعض احوال هذا الماء النازل بما فيها من الدلالة على الانعام والترهيب فقال : (فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون) اسكانه في الارض هو اقراره فيها او سلوكه ينابيع وانهارا يسقى بها الزرع والنبات وانواع الحيوان فان حياة الارض ومـا اشتملت عليه الارض بالماء الذي يرجع كله الى المطر النازل من السماء

ولا يبعد اذا قلنا ان اسكانه في الارض هو بقاؤه فيها بقلب عينه الى صور اخر وهو النفع الشامل الذي يحصل من الماء

واما الذي لا يقع الانتفاع بعينه فهو الذي جاء ذكره بقوله تعالى : (وانا على ذهاب به لقادرون) اي كقدرته تعالى على انزاله وجعله مستقرا ينتفع به قدرته على جعله لا ينتفع به والذهاب به وفي هذا تهديد للناس حتى لا يأمنوا مكر الله (افأمنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) واشعار بل دلالة واضحة على سعة رحمة الله بهم وامتنان عليهم بما تفضل به سبحانه على خلقه من اوجه الانعام . فليس هذا النزول ومـا يترتب عليه من المصالح هـو امر طبعي بعثت به الطبيعة عفـوا كما يتخرص بذلك المتخرصون بل هو بتقدير العزيز القدير (قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين) .

ولبيان ما يحصل من الآثار العظام والنفع العام باسكانه في الارض قال عز وجل : فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب) وهذا الانشاء انشاء ايجاد وتكوين وذكر نوعين من اعظم انواع

الفواكه وهما مع ذلك يصلحون لخالص التغذية عند بعض البشر كما يرشد اليه قوله تعالى بعد في وصفها : لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون فقد جمع بين كونها فاكهة وبين كونها غذاء يؤكل بهذا القصد ولا خصوصية لهذين النوعين من الثمار بل غيرهما مما يثمره الماء كثير وبه جاء قوله لكم فيها فواكه كثيرة . على أنه من اوجه الانتفاع بها ما يحصل بالبيع والشراء من الرزق الذي ينتفع به المرؤ في معاشه وهذا التعميم يتحمله اللفظ على طريقة المجاز اوالكناية .

فمن الجنات تتفكهون وتطعمون ومن هذه الجنات وجوه ارزاقكم فادوا واجب الشكر على ما انعم به سبحانه ان كنتم تفقهون .

وعطف عليها نوعا ثالثا من الثمرات فقال : وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين . اي وانشا لكم شجرة هي شجرة الزيتون تخرج من طور سيناء هو جبل الطور الذي شرفه الله تعالى بمناجاة موسى عنده وهو بين مصر وفلسطين في الارض المعروفة الآن بسيناء هذه قطعة من ارض مصر في شكل شبه جزيرة يحدها البحر الاحمر غربا وخليج العقبة شرقا الذي ينتهي ببلدة العقبة وفي سينا محجر الطور المشهور التابع للحكومة المصرية المعروف بجبل الطور فقوله طور سيناء اي الطور الذي في سيناء

وقد كانت في التخطيط القديم من اراضي فلسطين ـ الشام الجنوبية ـ ويقال له ايضا طور سينين وقد قرأ اكثر السبعة سيناء بفتح السين والمد وقرا الاعمش بالقصر سينا وقرئى سنا بكسر السين والقصر وخص وصفها بالخروج من هذا المكان مع انها تخرج منه ومن غيره بل خروجها من غيره اكثر للتعظيم فيكون مدحا لها اشعر به ذكر المكان على حد قوله سبحانه (زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) في الدلالة على شرفها بما يشعر به قوله يضيء والاضاءة والنور من عظم آثارها التي استحقت به هذا المدح والشرف زيادة على ما فيها من المصالح الجمة التي كلها تنطق عظيم النفع ووفرته . وللدلالة على جهة النفع العظمى قال تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسة بالدهن . والدهن عصارة ثمرتها فملابستها به هي بالحقيقة ملابسة ثمرة الشجرة .

وكون الزيت الذي هو عصارة الزيتون دهنا بمعنى تتخذ لذلك فينتفع به لغير الاكل فيسرج به ويسهل على الآلات حركتها الى غير ذلك من المصالح التي تتعلق بنفس الانسان وما يتصل بالانسان من حاجياته وضرورياته .

وقوله سبحانه وصبغ للاكلين اشارة الى نوع آخر من الانتفاع به وهو كونه يتخذ للاكل ويصبغ به الطعام .

وقد كان صلى الله عليه وسلم ياكل الزيت ورغب في ذلك . روى الترمذي عن عمر ابن الخطاب مرفوعا كلوا الزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة . وروى ابو نعيم عن ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كلوا الزيت وادهنوا به فانه شفاء من سبعين داء منها الجذام . وقد كشف الطب عن انواع من العلل يفيد الزيت في معالجتها .

وتخصيص هذه الشجرة المباركة بالذكر لاستقلالها بمنافع زائدة . ولكونها ليست من الفواكه لم تذكر مع النخل والاعناب .

ثم ان الله تعالى بعد ان ذكر النعم الواصلة الى الانسان من الماء والنبات والاستدلال بها على عظيم قدرة القادر الحكيم جل جلاله ذكر الانسان بالنعم الواصلة اليه من جهة الحيوان فقال تعالى : وان لكم في الانعام لعبرة) الانعام جمع نعم وهو يطلق على الابل والشاة او خاص بالابل كما في القاموس وهو في الآية يترجح ان يكون بالمعنى الاعم لان الآية سيقت في معرض الاستدلال والامتنان . والعبرة الاسم من الاعتبار والمعنى ان لكم فيها آيات تعتبرون وتستدلون بها على الصانع الحكيم المنعم بجلائل النعم

وقد فصل سبحانه ما فيها من اوجه الاعتبار فذكر منها اربعة اوجه الاول ما تضمنه قوله نسقيكم مما في بطونها والمراد به اللبن يشربه الانسان وينتفع به بجميع انواع الانتفاع ووجه الاعتبار فيه أنه يتخاص من بين الفرث والدم بامر الله تعالى فيستحيل الى مادة طاهرة والى لون وطعم موافق للشهوة وتتجمع في الضرع يسقى منه الانسان والبهيمة)ويصلح للتغذية وينتفع به بانواع كثيرة من وجوه الانتفاع

الوجه الثاني ما تضمنه قوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة فان في الانعام منافع جمة منافع في اصوافها وشعرها ووبرها ومنافع في كسبها ومنافع اخرى والاجمال يدل على ارادة الجميع والتذكير به

الوجه الثالث ما تضمنه قوله سبحانه ومنها تأكلون) وفي افراد منفعة الاكل بالذكر دلالة على عظمها وكونها نوعا من الانتفاع مغايرا لما سبق وانه انتفاع باعيانها بعد الذبح فهي مغايرة المنافع التي تحصل منها وهي حية .

الوجه الرابع ما تضمنه قوله عز وجل : وعليها وعلى الفلك تحملون) بمعنى انكم تنتفعون بها نوعا آخر من الانتفاع العجيب وهي كونها مسخرة لكم كما قال تعالى (او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون) وقادرة على حملهم وحمل اثقالهم الى البلد النائية عن وطنهم كما قال سبحانه (وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم)

والضمير في قوله وعليها يعود على الانعام باعتبار ما يصلح منها للحمل وهي الابل فانها التي كانت ركوبهم الى الاماكن النائية وهي التي تحمل اثقالهم فهي سفائن البر كما ان الفلك سفائن البحر قال ذو الرمة:(سفينة بر تحت خدي زمامها (١)) والضمير عائد على بعض ما يدل عليه المعاد فهو على نحو ما جاء في قوله تعالى: والمطلقات يتربصن بانفسهم ثلاثة قروء (ثم قال: وبعولتهن احق بردهن) فان الضمير في بعولتهن راجع الى بعض مدلول قوله والمطلقات وهو نوع المطلقات طلاقا رجعيا .

وقد ذكر الله نوعا آخر من الامتنان وهو انه كما سخر لهم الانعام لتحملهم في البر سخر لهم الفلك يحملهم في البحر ومنفعة الركوب والحمل هي من اعظم المنافع التي انعم الله بها على العباد والانسان قد يكون في غفلة عن ادراك قيمة النعمة حتى اذا داهمته الحوادث علم مقدارها اليس الناس اليوم في جميع جهات العالم قد فقدوا كثيرا من حاجياتهم بسبب قلة ما يحملون عليه اثقالهم في البر والبحر فهل نراهم تنبهوا ورجعوا الى مصدر النعم فآبوا اليه وخضعوا لربوبيته وقدروا الله حق قدره انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وكذلك يذكرهم الله وهم عن ذكر ربهم غافلون .

---

(١) يريد ناقته (صيدح)

الحديث الشريف

باب الدين يسر*

وقول النبي احب الدين الى الله الحنيفية السمحة

حدثنا عبد السلام بن مطهر قال حدثنا عمر بن علي عن معق بن محمد الغفاري عن سعيد ابن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَبِشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ

البيان

بقلم العلامة النحرير الشيخ سيدي الصادق المحرزي الاستاذ بالكلية الزيتونية

بنيت الشريعة المطهرة على التيسير وعدم الشدة في المشروعات قال تعلى وما جعل عليكم في الدين من حرج . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة . اي السهلة وليس المراد من نفي الحرج انتفاء اصل المشقة اذ هي نوعان معتادة وهي التي لا تخلو عنها عمل العبد في ضرورياته من اكتساب معاشه وملبسه ومسكنه ومثلها لا يعد في العرف مشقة ولا يقصد الشارع رفعها عن التكاليف ضرورة ان التكليف طلب ما فيه كلفة . وغير معتادة وهي التي تضيق لها الصدور وتؤثر على المرء في جسمه او ماله وربما ادت الى الانقطاع عن كثير من الاعمال النافعة وهذا النوع هو المراد بالحرج الذي نفاه الله تعالى عن الدين رفقا بعباده الضعفاء . الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ومن اجل ذلك شرعت الرخص في كثير من الاحكام كالفطر للمسافر واباحة ما حرم عند الضرورة . وانتفاء اصل الحرج لاينافي حصوله في بعض المشروعات بحسب اختلاف الازمنة والاحوال والامور الجزئية لا تخرم القواعد وبسبب ذلك أن العوارض الطارئة قد يقع للعباد ابتلاء

* درس الحديث الشريف الذي القاه العلامة النحرير الشيخ سيدي محمد الصادق المحرزي الاستاذ بالكلية الزيتونية بمسجد المدرسة المرادية بعد عصر يوم ١٧ رمضان عام ١٣٦٠ الماضي

واختبار للصبر وصدق العزيمة حتى يظهر للعيان من ءامن بربه على بينة ممن هو في شك قال تعلى (وماجعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) وقال تعلى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) وجاء في ءاية الانفال في وقوف الواحد للاثنين بعد ما نسخ وقوفه للعشرة والله مع الصابرين قال بعض الصحابة لما نزلت الآية نقص من الصبر بقدر ما نقص من العدد ومن الاسباب اظهار عظمة الربوبية على العباد فيحق عليهم امتثال اوامره واجتناب نواهيه على الاطلاق اذ هم عبيده فلا حق لهم لديه ولا حجة لهم عليه ان شاء رحم وليس لهم سوى الالتجاء اليه تعلى عند الشدة بطلب العفو والاحسان .

فقد اخرج القرطبي في سبب نزول قوله تعلى آمن الرسول من آخر سورة البقرة من رواية ابي هريرة رضي الله تعلى عنه انه قال : لما نزلت آية ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) اشتد ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجثوا على الركب وقالوا يا رسول الله كلفنا من الاعمال بالصلاة فصلينا وبالصوم فصمنا وبالجهاد فجاهدنا وقد نزلت عليك هذا الآية فلا نطيقها فقال صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال بنوا اسرائيل سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما قالوها وذلت بها السنتهم انزل الله تعلى آية آمن الرسول . وحكى فيها قولهم : وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) بعد الثناء عليهم بالايمان بالله وملائكته وكتبه ثم رفع عنهم الحرج الذي تضمنته آية المحاسبة عما يخطر في النفس بقوله: لا يكلف الله نفسا الا وسعها) واختلف المفسرون في طريق رفع الحرج فقيل الآية الثانية ناسخة للاولى واستشكل بان آية المحاسبة عما في النفس من قبيل الخبر والخبر لا يدخله النسخ لما يلزم عليه من الكذب تعلى الله على ذلك واجيب بان الآية وان كان لفظها الخبر فمعناها الانشاء اذ المعني تثبتوا فان الله محاسبكم عما يبدوا في نفسكم على وزان قوله تعلى (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلب مائتين من الذين كفروا) فلفظه الخبر وقد نسخ بقوله تعلى: الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ان يكن منكم مائة صابرة تغلب مائتين) اذ معناه التزموا ذلك واصبروا واختار الرازي ان آية المحاسبة عما في النفس محكمة وفيها اجمال وقع بيانه بقوله تعلى لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقال في بيان ذلك : لان آية المحاسبة تعم بظاهرها جميع ما يبدوا في النفس من الخواطر على قسمين منها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله في الوجود وان لم يقع لمانع او لغير مانع وهذا يؤاخذ به العبد الا اذا كان تركه لخوف الله تعلى ومنها ما لا يكون كذلك بل تكون امورا خاطرة بالبال كالهواجس التي لا يمكنه دفعها عن نفسه ويكره وقوعها ولكنه لا يمكنه دفعها ولا يوطد نفسه عليها اذا وقعت وهذه غير مؤاخذ بها وهذا على وزان قوله تعلى : لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وعلى كلا الوجهين فقد دلت الآية على عدم مؤاخذة العبد بما ليس في وسعه وذلك من اليسر في الدين .

وقد ترجم البخاري للحديث باول فقرة منه كما جرت به عادته في كثير من أبوابه اقتداء بالكتاب العزيز واسلوبه الحكيم في اسماء سوره فمن السور ما سميت بما اختصت به من الوقائع كسورة البقرة وءال عمران والنساء ومنها ما سميت باول ءاية منها كسورة طه وياسين ، والمراد من الدين هنا الاعمال وحمل اليسر عليها الذي هو مصدر اما على ضرب من المبالغة كقولهم رجل عدل او على حذف مضاف اي ذو يسر قال العيني ووصفه باليسر اما لذاته كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة واما نسبة لغيره من الاديان فان الله تعلى رفع عن هاته الامة ببركة نبيها صلى الله عليه وسلم الاصر الذي كان على الامم قبلها كعدم جواز الصلاة الا في المساجد وعدم الطهارة بالتراب وقد جعلت لنا الارض مسجدا وطهورا وطهارة الثوب بقطع محل النجاسة منه وجازت طهارته لنا بغسله وقبول التوبة بالقتل كما قال تعلى في حق بني اسرائيل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم) وقبلت التوبة من هاته الامة بالاقلاع عن الفعل والندم والعزم على عدم العود

وعطف البخاري رحمه الله تعلى على الترجمة قوله صلى الله عليه وسلم احب الدين الى الله الحنيفية السمحة يشير بصنيعه هذا الى افضلية اليسر في العبادة على التعمق فيها والمراد انه اكثر ثوابا عنده اذ المراد بالمحبة كثرة الثواب وقد قال صلى الله عليه وسلم خير دينكم اليسرة ، والحنيفية من الحنف وهو في الاصل الميلان وسمي الاحنف بن قيس بالاحنف لان في شقه ميلانا والمراد هنا الميل عن الباطل الى الحق وصف به ابراهيم عليه السلام كما قال تعلى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا لميله عن قومه في اعتقادهم الباطل الى الاعتقاد الحق قيل لم يكن في زمانه من يعبد الله سواه وقد امر صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه السلام وقد وصفت شريعته صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة اي التي لا حرج فيها في الدنيا والآخرة بفضل الله تعلى

وقوله صلى الله عليه وسلم ولن يشاد احد هذا الدين الا غلبه المشادة المغالبة قال في الفتح اي لا يتعمق احد في الاعمال الدينية ويترك الرفق فيها الا اعجز وانقطع ، قيل وفي الحديث اشارة الى ان الاخذ بالعزيمة في موضع الرخصة الشرعية تنطع في الدين ولذا كره الصوم للمريض واستعمال الماء في الطهارة المفضي لحصول الضرر

وقد اخرج البخاري رحمه الله عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله الم اخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يا رسول الله قال فلا تفعل صم وافطر وقم ونم فان لجسدك عليك حقا ولعينك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولزورك - اي ضيفك - عليك حقا وان بحسبك ان تصوم من كل شهر ثلاثة ايام فان لك بكل حسنة عشرة امثالها فاذا ذلك صيام الدهر كله قال عبد الله فشددت فشدد الله عليَّ قلت يا رسول الله اني اجد قوة على اكثر من ذلك فقال صم صيام نبي الله داود فكان عبد الله يقول بعد ما

كبر وعجز عن المحافظة عما التزم به يا ليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تضمن الحديث ان على الانسان حقوقا منها المحافظة على هيكله كلا وبعضا فلا يستعمل جوارحه فيما يضر بها ويفشلها عما خلقت لاجله كما هو مقرر في فروع الشريعة ومن هنا وجب التطبب بقدر الامكان قال تعلى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكان قاتل نفسه كقاتل غيره والعياذ بالله

ومنها حق الزائر وهو الضيف بالمؤانسة والاكرام فقد روي ان سلمان الفارسي رضي الله عنه دخل بيت ابي الدرداء وكان صلى الله عليه وسلم اخا بينهما في الهجرة فرأى زوجه متبذله فقال لها ما لي اراك متبذله فقالت له ان اخاك أبا الدرداء يصوم النهار ويقوم الليل تعني لا ارب له في الفراش فلما جاء أبو الدرداء وترحب به وقدم له الطعام قال له سلمان كل فقال اني صائم فقال لا آكل حتى تاكل فأكل ولما جاء وقت النوم واراد أبو الدرداء ان يتهجد ليله كعادته قال له سلمان نم فنام ثم استيقض واراد ان يقوم فقال له سلمان نم فنام حتى جاء وقت الفجر قال له قم الآن فقاما وتهجدا ما شاء الله ثم قال له سلمان يا أبا الدرداء ان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولزوجك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه فجاء أبو الدرداء الى رسول الله صلى الله عليه وسليم واخبره بما وقع وما قال سلمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله سلمان حق (أوكما قال) فانت ترى كيف افسد أبو الدرداء صومه رعيا لحق الضيف وترك قيام الليل امتثالا لامره .

وقد قفت في كتاب الف با لابي الحجاج يوسف البلوى على ان ام الدرداء زوج ابي الدرداء اسمها خيره ولما خطبها ابو الدرداء وتزوجت به قالت اللهم ان ابا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا اللهم فانا اخطبه اليك واسالك ان تزوجني به في الجنة فقال لها ابو الدرداء فان اردت ذلك وكنت الاولى فلا تتزوجي بعدي فمات ابو الدرداء وكانت ذات حسن وجمال فخطبها معاوية فقالت والله لا اتزوج زوجا في الدنيا حتى اتزوج ابا الدرداء في الجنة انتهى . قلت وهذ ايدل على حسن معاشرة ابي الدرداء وجميل اخلاقه ويؤيد هذا ما ورد في الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم قال ليس احد من اصحابي الا لو شئت لاخذت عنه ليس ابا الدرداء فالحديث يشهد بكمالات لابي الدرداء لان اخذت من المآخذة بحسن المعاتبة .

قال ابن هشام في المغني وهذا الحديث كان سببا في اقبال سبويه على علم النحو وذلك انه كان يروي الحديث على حماد فروى هذا الحديث وقال ليس ابو الدرداء بالرفع فقال له حماد لحنت يا سبويه قال ليس ابا الدرداء فان ليس هنا استثنائيه لانافيه فقال سبويه لاطلبن علما لايلحنني فيه حماد واشتغل بعلم النحو حتى بلغ فيه ما بلغ .

ومنها حقوق الزوجية وهي كثيرة واعظمها حق الفراش عند القدرة عليه ولا يخفى ما فيه من المصلحة الشرعية والحيوية اذ هو سنة نبوية جمعت بين المثوبة الاخروية وقضاء الشهوة البشرية والتناسل لمباهات خير البرية .

ويذكر ها هنا ما روي ان امراة جاءت الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعلى عنه وعنده كعب بن ميسون فقالت يا امير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه . فقال لها عمر : نعم الرجل زوجك ، فرددت كلامها وعمر لا يزيدها على ذلك ، فقال كعب : يا امير المؤمنين انها تشكو زوجها في هجره لفراشها . فقال له عمر : كما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فارسل الى زوجها فجاء فقال لها كعب : ما تقولين ؟ فقالت :

يا أيها القاضي الحكيم رشده الهى خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبده نهاره وليله ما يرقده
ولست في امر النساء احمده

فقال لزوجها ما تقول ؟ فقال :

زهدني في فرشها وفي الكلل اني امرؤ اذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول

فقال كعب :

ان لها عليك حقا يا رجل تصيبها في اربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنك العلل

فقال له عمر : من اين لك هذا الحكم ؟ فقال ان الله اباح للحر اربع زوجات فلكل واحدة يوم وليلة فاعجب ذلك عمر رضي الله عنه وجعله قاضيا على البصرة . وهذا الذي اعجب عمر هو قول الامام ابي حنيفة اولا ثم نقل عنه انه قال يؤمر الزوج ديانة ان يؤنسها بصحبته احيانا من غير ان يكون في ذلك شيء موقت .

وقد جاء في بعض روايات حديث الباب ان عبد الله بن عمرو قال يا رسول الله وما صيام داود عليه السلام فقال كان يصوم يوما ويفطر يوما .

روي عن ابن عباس رضي الله تعلى عنهما ان داود عليه السلام كان ملكا لبني اسرائيل فشد الله ملكه بالنبوة واتاه الحكمة وفصل الخطاب اي الخطاب الفاصل بين الحق والباطل وانه كان يجزي زمانه اربعة ايام يوما لعبادة ربه ويوما للاشتغال بنفسه ويوما للقضاء ويوما لوعظ بني اسرائيل وان فتنته المشار اليها بقوله تعلى وظن داود انما فتناه هي انه فعل ما هو خلاف الاولى في حقه روي انه خطب امرأة على خطبة رجل من مؤمني قومه وداود لم يعلم بخطبته فآثره اهلها على خطيبها الاول وتزوجها فعاتبه الله على ترك السؤال بطريق التعريض اللائق به كما قصه الله على نبيه في كتابه العزيز بقوله : وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغي بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي

له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب (اي غلبني في الحجاج . وفي المثل من عزبز اي غلب سلب) فقال داود (بعد ما تبين له وجه الحكم) لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (ثم قال على وجه الارشاد والتسلية للمظلوم) وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم فظن داود انما فتناه (اي علم انهما ملكان وان ما وقع فتنة له حيث رأى الخصمين صعدا الى السماء) فاستغفر ربه وخررا كعا واناب .

قال ابن عباس كان النبيء صلى الله عليه وسلم يسجد في سورة ص ويقول سجدها داود توبة ونسجدها شكرا لله على قبول توبته وهي عند ابي حنيفة من السجدات الواجبة في التلاوة .

وقد جاءت حكاية قصة داود عليه السلام اصلا لعدة فروع في شريعتنا منها انه يجوز للخصم في مجلس الحكم ان يقول للقاضي اتق الله في امري اخذا من قوله : فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط . وينبغي للقاضي ان لا يتحرج من قوله اقتداء بداود عليه السلام .

ومنها اطلاق الركوع على السجود قال البزازي ذهب الامام ابو حنيفة وصاحباه الى ان الركوع يغني عن السجود في سجدة التلاوة في الصلاة او خارجها اخذا بظاهر قوله تعالى وخر راكعا واناب وقوله صلى الله عليه وسلم سجدها داود توبة فنسجدها شكرا وايده صاحب الكشف بان السجود لم يشرع عبادة مقصودة وانما شرع للخضوع والركوع خضوع فجاز اغناؤه عنه .

ومنها انه ينبغي للمرء اذا اراد ان يخطب امرأة ان يسال هل هي مخطوبة لغيره اولا لئلا تقع خطبته على خطبة غيره لما يورث ذلك من المشاحنة والضغينة في القلوب وقد نهى النبيء صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله لا يبيع احدكم على بيع اخيه ولا يخطب على خطبته ومن هنا حسن ما جرت به عادة اهل تونس من اشهار المراكنة في الزواج بقراءة الفاتحة في المجتمعات حتى لا تقع الخطبة على الخطبة .

واستشكل ظاهر قوله صلى الله عايه وسلم ولا يخطب احدكم على خطبة اخيه بان عمومه يقتضي النهي عن ان يخطب الرجل امراة على خطبة غيره حتى يدعها خطيبها الاول وفي ذلك ضرر على المراة اذ قد يخطبها ويتركها معلقة واجيب بان الحديث وان كان ظاهره العموم فيحتمل ان يراد به الخصوص بان يكون النبيء صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل خطب امراة فرضيته واذنت في انكاحه فخطبها من هو ارجح عندها منه فرجعت عن الاول فنهى صلى الله عليه وسلم عن خطبة المراة في هذه الحالة لما فيها من الفساد ويؤيد الحمل على الخصوص ما روي ان فاطمة بنت قيس ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم ان معاوية ابن ابي سفيان وابا جهم خطباها فقال لها . اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة ابن زيد فان هذا الحديث يدل على جواز الخطبة على الخطبة ما لم تقع المراكنة بين الزوجين وبذلك يقع تخصيص حديث لا يخطب احدكم على خطبة اخيه .

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الباب فسددوا وقاربوا عبارتان متقاربتان من جهة المعنى اريدبهما التوسط في العبادة بين الافراط والتفريط وهوامر من السداد بالفتح وهو الصواب و بالكسر البلغة من الشيء وما يسد به المتاع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من تزوج امراة لدينها بارك الله له فيها وفي دينها ومن تزوجها لمالها وجمالها فهو سداد من عوز .

وقد ذكر الحريري في درة الغواص ان الخليفة المامون ساق هذا الحديث من رواية هشيم عن ابن عباس واورده بفتح السين في لفظة سداد وكان ذلك بمحضر النظر بن شميل فقال النظر صدق هشيم يا امير المؤمنين ثم ساق الحديث من رواية اخرى واورده بكسر السين وكان المامون متكئا فاستوى جالسا وقال : يا نظر كيف قلت سداد بالكسر ؟ قلت : فان السداد بالفتح هنا لحن . فقال : او تلحنني ؟ قلت لا وانما لحن هشيم وكان لحانا فتبع امير المؤمنين لفظه . قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد بفتح السين الصواب وبالكسر البلغة من الشيء وكل ما سددت به شيئا فهو سداد له . قال : او تعرف العرب ذلك ؟ قلت نعم هذا الرجي يقول :

اضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المامون : قبح الله من لا ادب له وامر له بجائزة . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حفظوا ابناءكم ديوان شعركم فان في حفظ لغتكم حفظ دينكم .

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الباب واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) الغدوة السير في اول النهار والروحة السير في ءاخره والدلجة السير في ءاخر الليل والمراد هنا بيان الازمنة الثلاثة واطلقت عليها هاته الكلمات تشبيها للعابد بالمسافر وطاعته لربه بالزاد والمسافر لا يحمل معه من الزاد الا ما قل وانما اختيرت هاته الاوقات للعبادة لان بدن العبد يكون فيها انشط اذ وقت الظهيرة قد يحصل فيه الفشل ولذا استحب الابراد بصلاة الظهر واختير من الليل ءاخره لانه الوقت الذي يقع بعد النوم والاستراحة من اشغال النهار قال تعالى ان ناشئة الليل اشد وطأ واقوم قيلا ولانه وقت السحر الذي يتجلى فيه الخالق سبحانه على مخلوقاته وقد اثنى الله تعالى على المتقين بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون سبحانك اللهم استغفرك واتوب اليك .

هذا وقد اخرج البخاري رحمه الله تعلى من روايته عن ابي هريرة رضي الله عنه اكثر الصحابة رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اخرج له المحدثون في الصحاح من الاحاديث المرفوعة خمسة ءالاف وثلاثمائة واربعة وسبعين حديثا روى منها البخاري في صحيحه هذا خمسمائة وستة وثلاثين حديثا اولها قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة منه وءاخرها قوله صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان للرحمان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . (انتهى)

الفتاوى والاحكام

تحرير مسئلة سقوط الحق بمرور الزمان

سؤال

الحمد لله .

ما قولكم رحمكم الله . في نازلة ، صورتها ان وكيل وقف المدرسة الصادقية قد عثر على وجود انزال لفائدة الوقف ، موظف على العقار الكائن بنهج نابولي عدد ٦٥ بتونس قدره فرنكات ٣٣ في السنة . وذلك بمناسبة تقديم مطلب تسجيل للعقار المذكور من طرف مالكه . فقدم وكيل المدرسة الصادقية الى المجلس المختلط اعتراضا في ذلك بموجب رسم لديه لم يمكن تطبيقه على العين الا بفضل مطلب التسجيل . وطلب من المجلس المذكور التنصيص على الانزال بالحكم الذي سيصدره في النازلة . وفعلا وقع ذلك بحكم مؤرخ في ١٩ افريل سنة ١٩٣٨ مع بيان حدوث الانزال من تاريخ شهر رجب سنة ١٢٩٩ هجرية الموافق لشهر ماي الافرنجي سنة ١٨٨٢ فقام عند ذلك الوكيل المذكور لدى المحكمة ذات النظر بمطالبة المستنزل بدفع معلوم الانزال من تاريخ توظيفه الذي هو شهر رجب سنة ١٢٩٩ الى تاريخ الحكم الصادر في تسجيل العقار المذكور الذي تضمن اثبات الانزال واعتراف المدعى عليه به فهل للوكيل المذكور الحق في طلب معلوم الانزال المذكور وان مضى عليه زمان طويل لم يطلبه فيه ام ليس له الحق في ذلك نظرا لمرور الزمان ؟ ونلاحظ هنا ما اشرنا اليه سابقا من ان عدم طلب وكيل المدرسة لمعلوم الانزال المذكور انما سببه عدم تمكنه من تطبيق رسمه الا بعد تقديم مطلب التسجيل المتعلق بذات العقار كما تقدمت الاشارة اليه . جوابكم الشافي تثابون وتؤجرون

الجواب

بقلم الشيخ محمد المختار بن محمود
المفتي الحنفي ورئيس تحرير المجلة

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وعلى ءاله وصحبه ومن والاه

وبعد فالجواب ان وكيل المدرسة الصادقية له الحق في مطالبة المستنزل بدفع معلوم الانزال من تاريخ توظيفه في شهر رجب من عام ١٢٩٩ الموافق لشهر ماي سنة ١٨٨٢ الى تاريخ صدور الحكم بتسجيل العقار في افريل سنة ١٩٣٨ ولا حق للمستنزل في ان يمتنع عن الدفع ويتمسك بسكوت وكيل المدرسة الصادقية عن مطالبته هذه المدة الطويلة بمعلوم الانزال وذلك للقاعدة الشرعية المتفق عليها والتي نقلها صاحب الاشباه في (كتاب القضاء والشهادات والدعاوي) وهي (ان الحق لا يسقط بمرور الزمان)(١) وذلك لان الحق شيء قد تقرر في ذمة المطالب به فلا سبيل لاسقاطه

(١) انظر صفحة ٢٥٣ من الجزء ١ من كتاب الاشباه

بمرور الزمان عليه على ان معلوم الانزال في قضية الحال زيادة عن تقرره بعقدة الانزال . فقد تأيد بالحكم الذي اصدره المجلس المختلط بتسجيل العقار المنزل ، حيث صرح فيه بان هذا الانزال موظف على العقار من عام ١٨٨٢ . وعلاوة على ذلك فان المستنزل معترف بهذا الحق ولم يدع الخلاص وانما غاية ما ادعاه ان سكوت صاحب الحق يبطل به حقه في المطالبة وهذه دعوى مردودة لا حظ لها من الصحة فى نظر الشرع العزيز على انا لو فرضنا ان سكوت وكيل المدرسة الصادقية هذه المدة الطويلة من شأنه ان يكون مسقطا لحقه في المطالبة بمعلوم الانزال فاننا نجد سكوته لم يكن ناشئا عن اهمال او تقصير او تغافل عن المطالبة بهذا الحق بل سببه انه لم يتوصل الى تطبيق رسم الانزال على العقار المنزل الا بعد ما قام المستنزل يطلب تسجيله فعند ذلك امكنه التوصل الى تعيين العقار الموظف عليه الانزال ثم القيام بمطالبة المستنزل بدفع معلوم الانزال

فان قلت انه قد صرح في كتب بعض الفقهاء من الحنفية بان صاحب الحق اذا سكت عن المطالبة بحقه اكثر من خمس عشرة سنة يسقط حقه في المطالبة . وفي صورة الحال نجد صاحب الحق قد سكت عن المطالبة اكثر من خمسين عاما فكيف افتيتم بان له الحق في المطالبة رغما عن هاته المدة الطويلة .

قلت هذه شبهة قد يظهر في بادي الرأي انها وجيهة وانها مناقضة لما قررناه وعليه فينبغي التعرض للجواب عنها بما يشفي الغليل حتى يتضح المقام ويكشف عن محياه اللثام فنقول: ان سقوط الدعوى بمرور خمس عشرة سنة ليس من اصل الفقه ، وانما هو شيء امر بالعمل به بعض المتاخرين من سلاطين الدولة العثمانية الذين كان امرهم نافذا في المشرق والمغرب ، وامتثل الفقهاء للعمل بهذا الامر بناء على القاعدة الفقهية التي تقتضي وجوب امتثال الرعية لما يأمر به الامير ، ومن ذلك الوقت صار المتاخرون من فقهاء الحنفية يصرحون بان الحق يسقط بمرور خمسة عشر عاما عن المطالبة به كما اوضح ذلك وحققه الشيخ ابن عابدين في (تنقيح الفتاوي الحامدية) في اول كتاب الدعوى . وقد وقع ضبط ذلك وتحريره في المجلة الشرعية العثمانية المؤرخة في ٩ جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ حيث جعل فيها باب خاص بهذا الموضوع عنوانه (الباب الثاني في حق مرور الزمان) وتعرض للمسئلة ابن نجيم في كتابه (الاشباه والنظاير) ومحشيه الحموي — وتعرض لها صاحب الخيرية وصاحب الفتاوى الطرابلسية وغيرهم من المتأخرين والذي تحرر عندي من كلامهم ان الدعوى لا تسقط بمرور الزمان الا باربعة شروط وهي : ١ — ان يكون سكوت صاحب الحق من غير عذر . ٢ — وان لا يكون المطلوب بالحق معترفا به . ٣ — وان لا يكون الحق راجعا لوقف . ٤ — وان لا يكون راجعا لمحل يعود نفعه للعموم

١ — فاما اشتراط ان يكون السكوت من غير عذر ، فقال : في تنقيح الحامدية من كتاب الدعوى ما نصه : (قال في البحر نقلا عن المبسوط ترك الدعوى ثلاثا وثلاثين سنة ولم يكن مانع من الدعوى لا تسمع دعواه لان ترك الدعوى مع التمكن يدل على عدم الحق ظاهرا اه) . (١)

وقال فيها ايضا ان ابا السعود شيخ الاسلام بالدولة العثمانية سئل عن الدعوى اذا تركت بعذر شرعي خمسين سنة فهل تسمع فاجاب بانها تسمع اذا كان العذر قويا اه (٢)

وقد وضح ذلك في المجلة العثمانية حيث ورد في المادة — ١٦٦٣ — منها ما نصه : (والمعتبر في هذا الباب يعني مرور الزمان المانع لاستماع الدعوى ليس هو الا مرور الزمان الواقع بلا عذر ، واما الزمان الذي مر بعذر شرعي فلا يعتبر) اه

٢ — واما اشتراط ان لا يكون المطلوب بالحق معترفا به ، فقال : في تنقيح الحامدية من كتاب الدعوى ما نصه (اعلم ان عدم سماع الدعوى بعد مضي ثلاثين سنة او بعد الاطلاع على التصرف ليس

---

(١) انظر صفحة ٣ جزء ٢ من كتاب الدعوى

(٢) انظر صفحة ٦ جزء ٢ من كتاب الدعوى

مبنيا على بطلان الحق في ذلك وانما هو مجرد منع للقضاة عن سماع الدعوى مع بقاء الحق لصاحبه حتى لو اقر به لزمه ولو كان ذلك حكما ببطلانه لم يلزمه) اه (١) وجاء في المادة — ١٦٧٤ — من المجلة العثمانية مانصه (لا يسقط الحق بتقادم الزمان بناء عليه : اذا اقر واعترف المدعى عليه صراحة في حضور الحاكم بانه للمدعى عنده حق في الحال في دعوى وجد فيها مرور الزمان بالوجه الذي ادعاه المدعي فلا يعتبر مرور الزمان ويحكم بموجب اقرار المدعى عليه) اه

٣ — واما اشتراط ان لا يكون الحق راجعا لوقف . ففي الفتاوي الخيرية من كتاب الدعوى ما نصه (ان السلطان نصره الله تعالى فيما اشتهر عنه انه استثنى مع المنع — اي منع سماع الدعوى بعد خمس عشرة سنة — ثلاث مسائل من الدعاوي تسمع بعد المدة المذكورة ١ — مال اليتيم ٢ — والوقف ٣ والغائب) اه (٢)

ومثله في تنقيح الحامدية من كتاب الدعوى(٣) وفي الفتاوي الطرابلسية من كتاب الدعوى(٤)

٤ — واما اشتراط ان لا يكون الحق عائدا الشيء يعود نفعه للعموم . ففي الفتاوي الطرابلسية ان المنافع العائدة الى العموم لا تسقط فيها الدعوى بمرور الزمان (٥) ونقل ذلك عن المجلة العثمانية من المادة — ١٦٧٥ — ونصها (لا اعتبار بمرور الزمان في دعاوي المال التي يعود نفعها للعموم) اه

وانت — رعاك الله — اذا امعنت النظر في قضية الحال وفي الشروط المتقدمة وجدتها مفقودة بتمامها (١) فالمدعي انما سكت عن المطالبة بمعلوم الانزال لانه تعذر عليه تطبيق رسم الانزال على العقار المنزل على ما صرح به في السؤال . وعليه فسكوته بعذر . وقد علمت ان السكوت اذا كان بعذر فانه لا يسقط به الحق مهما طال الزمان بمرور الزمان(٢) والمدعى عليه معترف بالحق وانما اراد ان يتمسك بمرور الزمان وقد علمت ان المدعى عليه اذا كان معترفا بالحق فانه لا حق له في التمسك بمرور الزمان (٣) ومعلوم الانزال راجع لوقف المدرسة الصادقية وقد علمت ان الحقوق الراجعة للاوقاف لا تسقط بمرور الزمان (٤) وان المدرسة الصادقية من قبيل المصالح العمومية التي يعود نفعها للعموم ضرورة انها مدرسة علمية لبث العلوم والمعارف بين الناس واي منفعة اعم واشمل من ذلك وقد علمت ان الحقوق العائدة الى المنافع العمومية لا تسقط بمرور الزمان .

وعليه فقد اتضح الحال وزال الاشكال وثبت ان لوكيل المدرسة الصادقية ان يطالب المستنزل بمعلوم الانزال ابتداء من تاريخ توظيفه في عام ١٢٩٩ الموافق لعام ١٨٨٢ وان لا حق للمدعى عليه في التمسك بمرور الزمان لعدم توفر شروط الانتفاع بهذا الحق على ما تقدم تقريره مفصلا هذا ما ظهر في الجواب افتيت به وانا الفقير الى ربه محمد المختار بن محمود المفتي الرابع الحنفي بالديار التونسية كان الله له

---

(١) انظر صفحة ٤ جزء ٢ من كتاب الدعوى (٢) انظر صفحة ٧٠ جزء ٢ من كتاب الدعوى
(٣) انظر صفحة ٦ جزء ٢ (٤) انظر صفحة ١٢٢ (٥) انظر صفحة ١١٨

الوعظ والارشاد

خطبة منبرية

ذكرى بعثة الرسول

صلى الله عليه وسلم

بقلم الفاضل الزكي الواعظ الشيخ الجيلاني
حمزه الخطيب بجامع الحنفية بالمهدية

الحمد لله الذي شرف ربيع الاول بارسال محمد الى كافة الناس بشيرا ونذيرا. الحمد لله الذي بعثه رحمة لكل موجود ونور به الوجود تنويرا ، فقال يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، نور به جميع الاقطار ، وانزل عليه في كتابه العزيز تشريفا له ولاصحابه الاخيار ، محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، جعل طاعة رسوله طاعة له ، فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله ، واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله بعثه الله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه اجمعين .

اما بعد فيا عباد الله ، في مثل هذا الشهر المبارك ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مصلح البشر ومنقذ الانسانية من وهدة السقوط والانحلال ، في مثل هذا الشهر ولد نبي الرحمة وبحر الحكمة وامام الهدى وعين الكمال ، ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوم اشرب في قلوبهم الكفر يعبدون الحجارة ويئدون البنات ، ويستقسمون بالازلام ، ويصدقون الكهان ، في حوادث المستقبل من الايام يظلم بعضهم بعضا ، ويبيد القوي منهم الضعيف ، فكانت ولادته خيرا وبركة عليهم بل على العالم اجمع ، حيث اخرج الناس من الظلمات ، وافهمهم كيف يكون الطريق الموصل لعلو شانهم ومكانتهم ، حتى اصبح بفضل بعثته الاعرابي الجلف حكيما حليما ، والقاسي الغليظ شفيقا رحيما ، والبخيل الحريص سخيا كريما ، والمشرك بالله عابدا والمفتون بالدنيا زاهدا وبذلك تبدلت تلك الاخلاق الغليظة بالرقة والحكمة ، والارواح الخبيثة بالطهار والذمة والاشباح الفاترة بالنشاط والهمة .

وصدق الله اذ يقول (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديكم الى صراط مستقيم) نعمتان عظيمتان نطقت بهما هذه الآية ياعباد الله ، اما الاولى فالنور الباهر الذي ابلج من جزيرة العرب فاضاء الشرق والغرب ،

واخرج الناس من الظلمات الى النور . ذلكم النور هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وسماه الله نورا . وقدمه في الذكر على القرءان تنويها بشرفه واعلاء لقدره . واما النعمة الثانية فهي القرءان الذي انزل دستورا حكيما . للافراد والامم . يهديهم في ظلمات الشبهات والجهالة . ويشفيهم من امراض الفتنة والضلالة (كتاب لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فجدير بنا يا معشر المسلمين . ان نتبع رسولنا . ونتخذه اسوة في القول والعمل . حيث انه لا سبيل لنا للوصول الى الله الا عن طريق الرسول . فمن زعم غير ذلك فهو مفتون . كيف لا والله يقول : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم ويغفر لكم ذنوبكم) فسيرة النبي صلى الله عليه وسلم . دستور في العبادات والعادات . والمسلمون في كل زمان احوج ما يكونون الى طريق واحد يسلكونه . ومنبع واحد يستقون منه . وقائد واحد يتبعونه . فالمنبع هو القرءان والقائد هو سيدنا محمد سيد ولد عدنان . قال تعالى (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ومما يحيرنا اننا نرى المسلمين غيروا وحدتهم الى اختلاف وتنازع وتفرق . فبعد ان كانوا اخوانا متحابين متالفين . صاروا متدابرين متنافرين . نسوا الله فانساهم انفسهم وودعوا طريق الرسول فودعهم السلام . ولزمهم الخصام . فغير الله ما بهم من عدة الرذلة وتلك هي العاقبة لكل سليم يضرب عن الغداء . فما بالكم بمريض ينبذ ناجع الدواء . الذي اتى به سيد الاطباء محمد خاتم الانبياء . من لدن خالق الارض والسماء . هذه عاقبة من تجنب النور يا عباد الله . وسار في حالك الظلام فلا يامن غائلة الطريق . (افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم .

والله لا ترتفع لنا عزة ولا كرامة الا اذا رجعنا الى ربنا . وسرنا على نهج طريق نبيئنا . فطريقه اشرف الطرق واجلها . واعظم السبل واكملها . كيف لا وقد جمع صلى الله عليه وسلم اكمل الفضائل من صدق وامانة . وعفة وصيانة . وعدل واحسان . وجود وسخاء ياكل مع الفقراء والمساكين ويبشر في وجوههم لا يكذب ولا يخون ولا يحتال ولا يتكبر ويزور اصحابه ويعود مرضاهم ويذكر الله في كل احواله . ها انكم قد سمعتم يا عباد الله كيف كان النبيء صلى الله عليه وسلم متحليا بمكارم الاخلاق فاين نحن من هذه الاخلاق المحمدية . فهلم يا اخواني الى التحلي بالاخلاق المحمدية . ونبذ الاخلاق الدنية . هلم يا قوم نتخذ من حياة الرسول درسا وعبرة لنرجع للاسلام رونقه وصفاءه . ونعيد له بهجته ورواءه . يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانكم اليه تحشرون . في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين

نسال الله التوفيق الى الاهتداء بهدي نبيئه كما نبتهل الله سبحانه وتعالى ان يعيد مثال هذا الشهر المنير على الامة الاسلامية بالخير والسعادة والفوز والسيادة وان يهيء لها ما يحقق قوله (ولله العزة ولرسوله والمؤمنين)

الجيلاني حمزة الخطيب بجامع الحنفيه (بالمهديه)

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

بايات الدولة المرادية

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

ظهر بتونس في بحر القرن الحادي عشر جماعة من الموالي تسموا كلهم باسم مراد عند اعتناقهم للاسلام في عهود متقاربة وقد اتخذوا لهم يومئذ هذا الاسم لما فيه من معاني التفاءل بالخير والبشارة لمقتبسة من اسمي سلطانين عثمانيين معاصرين لتلك الازمنة وهما السلطان مراد خان الثالث الذي تولى السلطنة من سنة ٩٨٣ الى سنة ١٠٠٣ والسلطان مراد خان الرابع الذي تولى السلطنة من سنة ١٠٣٢ الى سنة ١٠٤٩

واكثر اولئك المرادين مذ كانوا على دين النصرانية كانوا من غزاة البحر ومثل ذلك كان حالهم بعد دخولهم في حظيرة الاسلام فكانوا يغالبون المنايا ويغلبونها لسعادة قدرت لهم في عالم الارواح ولقد حفظ التاريخ لبعضهم ذكرا محمودا وسمعة بعيدة في بطون الاوراق وابقى اسماء الآخرين منهم في صحيفة النكرات. فاما الذين اشتهروا في معترك الحياة فمن زعمائهم مراد بوشواطه وهذا هو مراد الاول رأس العائلة المرادية التي هي بيت القصيد من هذه النبذة التاريخية . ومنهم مراد الثاني حفيد مراد المتقدم وكان من رجالات عصرهما الزعيم اصطا مراد المشهور بالقبدان (قبطان) الذي سياتي الكلام عليه يليهم في الشهرة من معاصريهم مراد برتقيز ومراد قريق ومراد رايس والقايد مراد وغيرهم من المرادين الكثيرين الذين لعبوا دورا بميدان البايليك في تونس بعد دخولها في طاعة ءال عثمان

والمقصود من هذه العجالة هو بيان كيف نشات الدولة المرادية وهل يصح القول بما ذهب اليه المؤرخ الثبت البحاثة الكبير مسيو كرانشان من كتاب هذا العصر حيث يرى ان اصل الاسرة المرادية ما زال معتجرا بذيول الغموض ومن العسير بزعمه معرفة من هو راس هذا البيت من اولئك المرادين الكثيرين لاسيما ثلاثة منهم وهم مراد الاول ومراد الثاني واصطا مراد ـ ونقطة الشك في معتقد صاحبنا المؤرخ القايم بها حصرها فيما ننقله عنه من تحريره المفيد في الموضوع الذي نشره بالجزء الاخير من المجلة التونسية لسان حال مشيخة قرطجنة ونص عبارته :

لا شيء اكثر اشتباكا وغموضا من تاريخ البايات المراديين الذين حكموا تونس مدة قريبة من القرن ابتدات نحو سنة ١٦١٠ وانتهت في عاشر يونيه سنة ١٧٠٢ وان تشابه اسماء ثلاثة من اولئك الذوات كل منهم كان اسمه مرادا مع وجود مراد ءاخر ارتد (عن النصرانية) ايضا وصار دايا بعد ان كان قائد اسطول للقرصنة باضافة فقدان الضبط والتدقيق في عبارة الكتاب من العرب الذين يسمون في اغلب الاحوال الامراء المراديين باسماء غير التي سماهم بها المؤرخون الفرنساويون يتكون من مجموعه التباس وتشويش من شانه تعسير الوقوف على الحقيقة وايجاد مجال فسيح للغلط المستمر . فاصطا مراد ومراد الاول ومراد الثاني تناولهم الوقوع في الغلط المشار اليه حتى بالنسبة للمؤرخين القادرين على الكتابة بالمعنى الصحيح اهـ

لا جرم ان الالتباس الذي اشار اليه هذا الكاتب الضليع ليس له اساس صحيح فيما يلوح لان المؤرخين التونسيين ضبطوا بالتدقيق بداية الدولة المرادية (١) كما ضبطوا اخبارها في التالي مع بيان من عاصرهم من المرادين الآخرين وهم متفقون على ان راس العائلة المرادية هو مراد الاول اصيل جزيرة كرسيكه وفيما نعلم انه كان يدعى في النصرانية باسم جاك سانتي فلما اعتنق الاسلام وهو صغير السن تمذهب بالمذهب الحنفي واتخذ له من الاسماء مرادا وبالتالي اشتهر باسم مراد بوشواطه قياسا على انه كان لكل مراد من معاصريه نعت يميزه عن غيره من المرادين الذين تقدمت اسماؤهم ءانفا

فمراد الاول راس الدولة المرادية ليس هو حفيده مراد الثاني الذي كان من الطبقة الثالثة بالنسبة لجده مراد الاول وكان الفاصل بينهما الامير الشهير حمودة باشا بن مراد الاول واسمه الاصلي محمد وكنيته ابو عبد الله ولفظ حمودة تصغير في مقام تلطيف لاسم محمد وليست كنيته من اسمه كما تبادر لفهم بعض مؤرخي الافرنج فحسبوه رجلا ءاخر فابو عبد الله محمد باشا هو نفسه عينه حمودة باشا بن مراد الاول . ولا شبهة بين مراد هذا وبين اصطا مراد الذي هو متاخر عنه في الزمان

فمراد الاول تولى بايا سنة ١٠٢٢ وارتقى لمنصب الباشا ومات سنة ١٠٤١ وكان اصله كما اسلفنا من جزيرة كرسيكه واسمه في النصرانية سانتي . واسطا مراد كان مثله من الموالي ولكنه كان اصيل بلد جنوه وكان اسمه بيزوزو في النصرانية واعتنق الاسلام في كهولته وضرب بسهم مصيب في دولة الامير يوسف داي بن مصطفى التركي فكان هو خلفه في منصب الداي (لا الباي) عند انقضاء يوسف المذكور سنة ١٠٤٧ ومات اصطا مراد بدوره سنة ١٠٥٠ ولم يتحصل على منصب الباي ولا على منصب الباشوية اللذين كانا اذاك في قبضة حمودة باشا بن الباشا مراد باي الاول ولقد اثبت التاريخ

---

(١) ممن قام بهذا الضبط من الكتاب التونسيين نذكر اسماء جماعة من الكتاب الثقاة وهم الشيخ ابن ابي دينار والوزير السراج والشيخ حسين خوجه والشيخ محمود مقديش والشيخ حسين ابن مصطفى الترجمان والشيخ محمد بيرم الثاني والشيخ احمد بن ابي الضياف والشيخ الباجي المسعودي والسيد حسن عبد الوهاب من مؤرخي هذا العصر

ان السلطان خاطبه بالباشا ابن الباشا وهذا اللقب لم يقل احد بان الداي اصطا مراد كان محرزا عليه

على ان الداي اصطا مراد ترك بعده ذرية معروفين لا زالت اعقابهم موجودين لهذا الزمان على عكس ءال مراد فان ذريتهم انقطعت باجماع المؤرخين كما سياتي بيانه ولزيادة الايضاح نقول :

ان لكل من مراد باي الاول والداي اصطا مراد قبر معروف وكذلك لاعقابهم وكل هذه القبور مطرزة باسمائهم وحيثياتهم وتواريخ وفياتهم فقبر مراد باي الاول الذي تخلى عن منصب البايليك لابنه حمودة عند ارتقائه لمسند الباشليك في سنة ١٠٤١ التي قضى فيها نحبه اشتمل على اسمه وحيثيته وتاريخ وفاته بعبارة ننقلها هنا بحروفها على ما هي عليه من ضعف وتحريف

بهجة الملك في المقام السعيد — عن ضريح الهمام ذا التمجيد
مراد باشا اميرها والمفدا — كان فردا من الزمان الفريد
نخبة الدهر في اكتساب المعالي — عاش في العز والصلاح السديد
شيد الفخر رفعه عن اساس — في ذرى المجد والعلو الرشيدي
رحم الله روحه وحباه — بالرضى والقبول يوم الوعيد
ان هذا الطريح ارخ بنور — فبدار السلام فيها مزيد (١)

سنة ١٠٤١

واما ضريح الداي اصطا مراد فالعبارة المنقوشة عليه هذا نصها :

هذا مقام حفه الاسعاد — فيه استقر القبدان مراد
داي العساكر ذو المعالي من له — خضع العزيز وذلت الاساد
كان الجهاد شعاره و دثاره — حتى توفى وهو نعم الزاد
قهر العداة حياته لم ينهه — عن حربهم مال ولا اولاد
كانت به الخضراء تونس نزهة — ايامها بوجوده اعياد
لما تولى الامر والنهي اكتست — حلل الجمال وامها القصاد
ايام دولته السعيدة عندنا — فتحت لسلطان الورى بغداد
يا طالما ركب البحار وجاءنا — بغنايم كمدت بها الحساد
روى الاله ضريحه صوب الرضا — والعفو فهو المنعم الجواد
واحله دار السلام كرامة — في يوم هول خافه الزهاد
لما قضى نحبا عليه تجددت — احزاننا بل ذابت الاكباد

(١) مصراع التاريخ غير مطابق لعام الوفاة الذي هو صحيح بالاجماع ولا تعجب لذلك فان حالة العلم بتونس في العصر المرادي كانت اوهى من بيت العنكبوت لان ايامهم كانت ايام فتن ومحن وهموم وغموم.

توفى في ١٨ ربيع الانور سنة ١٠٥٠ رحمه الله فتكون وفاته بعد مراد باي الاول بتسع سنين وقبل وفاة مراد باي الثاني الذي سياتي الكلام عليه بخمس وثلاثين سنة وقد ترك اصطا مراد بعده ابنا اسمه علي وعلي هذا ترك بعده ولدا اسمه محمود ومحمود ترك ابنا اسمه حمودة وهو الذي قتله الباشا علي باي الاول ظلما في حدود سنة ١١٤٨ ومن حمودة هذا تناسل عقب ءال اصطا مراد الموجودين لهذا الزمان

اما سلسلة البايات المراديين فقد وردت نظما ونثرا بالضبط الصحيح في كتب التاريخ التونسي كما اسلفنا وممن عرف بهم من الكتاب التونسيين الشيخ حسين بن مصطفى الترجمان فقد اشتمل ديوانه على ذكرهم حيث قال :

مراد باي اول ملوك الدولة المرادية هو صاحب الدار (يعني دار الباي المعروفة بسراية المملكة بتونس) والعلو والمخازن ترك ولده المعظم محمد باشا المدعو حمودة باشا وهو الذي احدث قرب الدار حماما (حمام نهج دار الجلد) ودارين واحدة لولده محمد الحفصي صاحب سوق الشواشية (سوق الحفصي المعروف) وواحدة لولده مراد باي الوسط (يعني مراد الثاني) باني المدرسة المرادية وهو الذي بنى المحكمة فوق القهوة (هذه القهوة اقيم مكانها في اوايل هذا القرن اقسام ادارة المحافظة) وهو الذي تنسب اليه الدار الان (يعني دار الباي) وحمودة باشا ترك ولده مرادا وولده محمد الحفصي وولي بعده مراد (الثاني) ولما مات مراد ترك محمد (بالفتح) صاحب جامع سيدي محرز وعلي ورمضان فاستبد بالامر بعده ولده محمد وحاربه اخوه علي الحرب المشهورة الى ان انجلى الامر وتم لمحمد وبعده ولي اخوه رمضان وبعده ولي مراد (الثالث) بن علي وهو ءاخرهم ومدة دولتهم ٨٣ سنة اه .

قلت ان تربتهم الموجودة بصحن جامع حمودة باشا ضمت اعظم مراد باي الاول وابنه حمودة باشا وابنه مراد باي الثاني واخيه محمد الحفصي (مات بجزيرة كندية اي كريت سنة ١٠٩٧ وجيء برفاته لتونس ودفن جوار سلفه) ومحمد (بالفتح) بن مراد الثاني واخيه علي ولكل منهم قبر عليه عبارة ناطقة بنسبته لصاحبه عدا علي المتوفى سنة ١٠٩٧ فانه لم نقف له على حجارة بالكتابة ناصة به وبعد انقراض دولتهم على يد ابراهيم الشريف في سنة ١١١٤ بقي من عقبهم اربعة ذكور منهم صبي في الرابعة من عمره حكم ابراهيم المذكور بقطع رؤوسهم جميعا لمحو ذكرهم من عالم الوجود وهكذا كان (١)

اما رمضان باي بن مراد الثاني فلا قبر له لان حفيده للاخ مراد باي الثالث اخرجه من رمسه

(١) قال المؤرخ حسين خوجه : فقدم عليه (اي على مراد الثالث) احد خدامه من اغوات جنده (ابراهيم الشريف) وغدر به وضربه ببندقته فاصابه وقتل وقطع راسه وابني عمه (اي محمد بن مراد الثاني) وبقية اولادهم حتى لم يبق من ذرية مراد باشا احد اه

الذي قبر به في سوسه سنة ١١٠٩ وحرق رفاته ونسفها في اليم وبقي الظالم مراد الثالث المذكور فهو بدوره ليس له قبر معروف لانه لما وقع الفتك به من يد الباي ابراهيم الشريف قطعوا راسه ودفعوه للصبيان يلعبون به ولايدرى اين جعلوا حفرته ومثله جثث الاربعة الذكور الباقين منهم الذين قطعت رؤوسهم صبرا فكلهم ليست لهم قبور معروفة وغاية ما يعلم من امرهم هو عرض رؤوسهم للاشهاد مع راس مراد الثالث بالقصبة ليرى مبصر ويسمع واع .

والخلاصة ان جملة من تولى الامارة من ءال مراد ثمانية بايات امتاز منهم ثلاثة بافعال البر والمعروف اولهم اشهرهم حموده باشا صاحب الجامع المجاور لزاوية الشيخ سيدي احمد بن عروس ومؤسس مستشفى العزافين الذي هو جد المستشفى الصادقي الموجود بتونس لهذا الزمان وباني الحنايا لمواجهة لباب ابي سعدون ومشيد معالم الزاوية الصحابية بالقيروان (١) توفي رحمه الله سنة ١٠٧٦ هجرية (١٦٦٦ للميلاد) ثم ابنه مراد باي الثاني ومن مئآثره المدرسة المرادية المعروفة وقنطرة وادي مجردة ببلد مجاز الباب وجامع الحنفية بباجة وجامع بلد جاره بقابس وتوفي سنة ١٠٨٦ ثم ابنه محمد (بالفتح)

---

(١) يتوهم الكثير من كتاب الافرنج ان هذه الزاوية كان تاسيسها في عهد الصدر الاول بعد الفتح الاسلامي والحقيقة انها من مبرات الباي صاحب الخيرات والقربات محمد حمودة باشا المرادي كما تشهد بذلك العبارة المنقوشة على باب مدرستها ونصها بحروفها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

اسس هذه الزاوية المباركة ومتن قواعدها الملك الهمام صاحب الصدقات والقربات ابو عبدالله محمد باشا صاحب كرسي مدينة تونس ابن الملك الهمام المرحوم برحمة الملك الجواد ابي الخيرات مراد باشا وجعل الزاوية لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي زمعة البلوي على يدي صانعها (كذا) الشقيقين البانيين لها احمد ومصطفى اولدي (كذا) احمد الاندلسي دسم (كذا) تمت بتاريخ اوائل شهر الله رجب عام اثنين سبعين (كذا) والف اهـ

ويوجد بداخل قبة الضريح المبارك فوق الباب الابيات الاتية ننقلها بحروفها مع ما بها من غموض وتحريف وسقوط في الوزن

ايا زائرا قبر النبي الذي اعتلى	ابي زمعة من حاز مجدا مكملا
عليك ان رمت امرا تنل به	لان به الداعي يجاب معجلا
وقائد اهل القيروان بمحشر	به قد حوت فخرا كيثرب وانجلا
محمد باي نجل كهف مرادنا	لمنشي ذا الحسنى يزيد تجملا
فعامله بالاحسان يا خير ناصر	وبلغه ما يرجوه منك تفضلا
وفي عام ست مع تسعين بعد الف	لقد تمها واليمن قد جا واقبلا

وعبارة هذا التاريخ تدل على ان قبة الضريح بنيت في عهد محمد (بالفتح) بن مراد الثاني لا في زمن مؤسس الزاوية محمد حمودة باشا الذي كانت وفاته سنة ١٠٧٦

وبقي بالزاوية الصحابية اثر تاريخي ءاخر وهو المزولة الموجودة بسطاح الزاوية ونص العبارة المنقوشة على هذه الحجارة :

صنعة محمد بن فارس في عام طضش (يوافقه بحساب الجمل عام ١٠٩٩)

ابن مراد الثاني صاحب الجامع العظيم المواجه لزاوية الشيخ سيدي محـرز بن خلف وتوفي سنـة ١١٠٨ والخمسة الاخرون هم مراد الاول ومحمد الحفصي ورمضان وعلي وابنه الظالم مراد الثالث

ويلوح ان الاشتباه الذي حصل لكتاب الافرنج في حقيقة نشاتهم جاء من الغلط الذي تضمنه كتاب مراسلات بايات تونس مع ملوك فرنسا للمؤرخ بلانطي فهذا الكتاب الذي جمع فأوعى اشتمل على غلط تاريخي واضح لان مؤلفه ذكر فيه حمودة باشا المرادي بعنوان ابن للداي اصطا مراد اصيل بلد جنوه حالة كون حمودة باشا كان ابوه مراد الاول اصيل جزيرة كرسيكه وكل من كتب في الدولة المرادية من الفرنساويين بعد بلانطي المذكور ارتكب الغلط الذي اشرنا اليه باعتماده عليه ومن الغلط ايضا الذي ارتكبه المؤرخ بلانطي نعته للزعيم اصطا مراد قبل ولايته خطة الداي بلفظ « باي تونس » وهي خطة لم يتولها اصطا مراد قط بدليل ما ذكره بلانطي نفسه بالصحيفة ١٢٣ من الجزء الاول من تاريخه حيث نقل عبارة مكتوب صدر في شهر نوفمبر ١٦٣٧ من ملك فرنسا لويس الرابع عشر خاطب به الزعيم اصطا مراد ونص محـل الحاجة منه : الى الشهير السعيـد في مشاريعه السيد اصطا مراد جنرال قراصنة تونس وبنزرت بافريقيا - من لويس الذي هو بنعمة الله ملك فرنسا ونفار السلام الخ »

فالداي اصطا مراد كان من معاصري مراد باي الاول وابنه حمودة باشا ومن رجالات دولة يوسف داي بن مصطفى التركي وكان اصطا مراد يومئذ هو صاحب الحول والطول في كل ما يرجع للغزو والقرصنة البحرية التي هي راس مال الدولة في هاتيك الايام المظلمة ولكنه لم يتول خطة باي على راس بايليك تونس ولا باشا على راس الباشليك بها وهاتان الخطتان تولاهما مراد باي الاول وابنه حمودة وأعقابه والله يرث الارض ومن عليها

محمد بن الخوجه

ويستفاد من بعض محاريب صحن الضريح انه تناوله التجديد في عـام ١٢١٨ كما تدل عليه هذه العبارة المكتوبة بزليج تلك المحاريب ونصها :

الملك لله عمل الاسط شنوف عام ١٢١٨ - قلت هذا العام يوافق عصر المرحوم حمـودة باشا ابن علي باي الثاني بن الباي حسين بن علي رحمه الله

وءاخر تجديد تناول عمارة الزاوية الصحابية تم سنة ١٣٦٠

اصـلاح غلـط

وقع غلط في الآية الاولى التي وقع تفسيرها في الجزء السابق رسمت هكذا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم خلقناه نطفة في قرار مكين والصواب ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين

المستشرقون

المحاضرة القيمة التي القاها الاستاذ المستشرق م. برشي رئيس قسم الترجمة بالكتابة العامة امام مذياع تونس القومية وقد درس فيها اعمال جماعة من المستشرقين المهتمين بالبحوث الاسلامية

ايها المستمعون الكرام

اسمحوا لي قبل البحث في موضوعنا هـذا ان اتلو على مسامعكم نبذة مما كتبه احد مؤرخي الادب العربي العصري في مصر ، في شان المستشرقين وما قاموا به من الاعمال ، قال :

« المستشرقون هم جماعة من علماء الغرب تفرغوا للبحث في الآثار الشرقية . ولما كانت اللغة العربية ارقى لغات الشرق واغناها بالمؤلفات الخطيرة ، كثر الراغبون في دراستها والمقبلون على تحصيل آدابها . وقد نبغ من فضلاء الاجانب افراد اماثل بلغوا من العربية مبلغا بعيدا ، ووضعوا في لغاتهم تاليف غراء عن لغات العرب وادبياتهم واخلاقهم واخبارهم وسائر شؤونهم ، لا يتمالك المطلع عليها من الاعجاب بسعة علمهم ودقة نظرهم ، فضلا عما هو مشهور من بعد غورهم في المباحث العميقة وحنكتهم في حل المشكلات واستجلاء الغوامض ؛ بما فطروا عليـه من الولوع في التنقيب والتنقير والعناية بجمع الآثار وامهات الكتب للمقابلة والتنظير والاستنتاج ، فأماطوا اللثام عن كثير من مبهمات المسائل ؛ فجاؤوا بالعجب العجاب . ولم تقف خدمتهم لهذه اللغة عند هذا الحد ، بل استنطقوا الالسنة بعاطر الثناء على همتهم واريحيتهم ؛ بما نشروا من آثار السلف التي اخرجوها من زوايا النسيان فجعلوها من قراء العربية على حبل الذراع . ولهم في ابراز المكنونات الثمينة مزايـا فريدة من الدقة والامانة والعناية . . . . »

ان هذا الاعتراف بفضل المستشرقين الصادر من مؤلف شرقي ، جدير بشكرنا وامتناننا نحن معشر المستعربين ، ولو كان فيه ما فيه من المبالغة ـ اذ اعمـال المستشرقين كسائر الاعمال البشرية لا تخلو من الهفوات والغلطات ، وان كان في مجموعها السمين راجحا والغث مرجوحا .

ولكن ما كان الداعي الذي حمل الافرنج على الاشتغال بلغـات وادب الشرق وخصوصا باللغة العربية ؟ من المعلوم ان اللغات الشرقية كانت مجهولة او تكاد في اروبا قبل الحروب الصليبية ، واول من تعاطي دراستها هم الرهبان بايعاز من البابوية في القرون الوسطى الى القرن السابع عشر من المسيح . وما كان الغرض من ذلك ـ والحق يقال ـ الا غرضا دينيا محضا يتجلى لنا في مظهرين : اولهما رغبة البابوية في حل بعض المعضلات والمعميات التي كانت عالقة بالكتب الدينية . فاضطر الرهبان الى دراسة العربية كي يستطيعوا القيام باداء المهمة الملقاة على عواتقهم اذ كانت العلوم العربية المترجمة عن كتب ارسطو وغيره احسن معوان على ذلك ـ والمظهر الثاني من هذا الغرض كان تعميم دين النصرانية في الشرق ـ الا انهم اخفقوا الاخفاق التام من هاته الوجهة الاخيرة ولم تكلل مساعيهم بالنجاح الا من

وجهة اعم وانفع للبشرية ، الا وهي اماطة اللثام عن المدنية العربية وتشجيع النصارى على اقتطاف ثمارها

ولقد كانت للكتب العربية التي نقلها الرهبان من مؤلفات ارسطو وامثاله الفضل في انارة عقول الافرنج كما انارت عقول العرب قبلهم .

فمن ذلك التاريخ تطورت افكار متنوري الافرنج نحو الشرقيين عامة ونحو العرب خاصة فاخذوا في تعلم اللغات الشرقية حبا في العلم لذات العلم وشفاء لغليلهم وتعطشهم الى مناهل تلك اللغات المعبرة عن افكار اناس لا يمتون اليهم بصلة الدم والرحم، بل برابطة الذهن الوقاد والسعي المشترك وراء تحقيق الامثلة العليا التي ينتهي اليها طلب العلم والبحث عن مكامنه اينما وجدت .

بقي علينا ان نستعرض اعمال نخبة من المستشرقين منذ القرن السابع عشر حتى نرى هل ان الثناء العاطر الذي وجهه اليهم ذلك المؤلف الشرقي الكريم مع زمرة من زملائه المعروفين ، كان في محله ، وهل اصاب مدحه كبد الحقيقة ام اخطأ الهدف اطراء . ولنقتصر لضيق الوقت والمقام على اختيار اشهر المشاهير منهم .

من بين مستشرقي القرن السابع عشر يجدر بنا اذ نذكر اولا Thomos Erepenius ثم تلميذه Jacob Golius الهولانديين ثم بعد ذلك Barthélémy d'Herbelot الفرنسوي

ولد Thomas Erpenius van Erpe سنة ١٥٨٤ في بلدة بركم بهولاندا ودرس اللغات الشرقية في جامعة ليدن تحت ارشاد Joseph Skaliger احد المستشرقين الهولانديين ايضا ثم سافر الى فرنسا وانجلترا وايطاليا والمانيا حيث استكمل معلوماته في اللغات الشرقية وخصوصا العربية وكان ذلك بفضل معاشرته لبعض الشرقيين المقيمين هنالك ورجع سنة ١٦١٣ الى وطنه حيث عين استاذا في جامعة ليدن ثم ترجمانا للحكومة الهولاندية واعتنى بانشاء مطبعة شرقية واشهر مؤلفاته كتاب في الصرف والنحو جدد طبعه ثلاث مرات وهو عبارة عن ملخص مفيد شامل لقواعد اللغة العربية مصنف بغاية الوضوح مؤلف باللغة اللاتينية التي كانت اذ ذاك لغة العلم والعلماء وقد ترجم ايضا الى اللاتينية تاريخ المكين وامثال لقمان الحكيم وفاز Erpenius بشهرة خالدة في احياء اللغة العربية في الغرب وكان لكتبه انتشار عظيم .

اما Golius فانه ولد بلاهاي عاصمة هولاندا سنة ١٥٩٦ ، وتخرج من جامعة ليدن ايضا حيث درس اللغات الشرقية وخصوصا العربية تحت ارشاد Erpenius ، ثم سافر في اوائل القرن السابع عشر الى المغرب الاقصى حيث اقام مدة مع سفير هولاندة هناك وبعد اوبته الى مسقط راسه خلف Erpenius في تدريس اللغة العربية بالجامعة وبعد ذلك سافر الى الشام لا لاغراض تجارية كما قيل غلطا ولكن للبحث عن مخطوطات عربية قد سمع بوجودها في تلك الديار، ثم رجع الى هولاندا حيث كرس بقية عمره على العلم وتصنيف كتب ثمينة، منها المعجم العربي اللاطيني الشهير ،

عـود على بـدء

بعد نشر النبذة التي كتبتها تعليقا على قصيدة عقد الدر والمرجان بالجزء عـدد ١ - ٢ من المجلد الخامس من هذه المجلة ورد علي كتاب كريم والدر من معدنه لا يستغرب خاطبني به الاديب الفذ العالم النحرير المدرس الشيخ علي النيفر تضمن وقوفه على اربعة ابيات من نظم العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع ذيل بها قصيدة جده المشار اليه بمناسبة جلوس السلطان عبد المجيد خان اثر وفاة والده السلطان محمود خان الثاني في سنة ١٢٥٥ فاتماما لما سبق مني نشره من الجواهر البيرمية اصلا وفرعا بخصوص تلك القصيدة التاريخية بادرت لنقل الابيات المشار اليها هنا شاكرين للفاضل النيفري والنابغة العبقري هنايته بالادب التونسي اظهارا لمفاخر جامع الزيتونة بالكشف عن درره المكنونة وهذا نص الابيات

ولما خبت انوار محمود وانطوت محاسنه طي الرداء المقمقم

تعطر نادي الملك من نشر نجله ووارثه عبد المجيد المعظم

واشرق في افق الخلافة بدره وعمر غاب الملك اشرف ضيغم

فلا برحت اغصان دولة ملكهم تغذى بماء النصر ذات تنعم

فهل من سبيل لمعرفة هل ان الشيخ محمد بيرم الرابع اكتفى في تذييله لقصيدة جده بالاشارة فقط لدولة السلطان عبد المجيد خان ام الحق بالابيات المتقدمة غيرها عند قيام السلطان عبد العزيز خان مقام اخيه عبد المجيد خان في سنة ١٢٧٧ اذ من المعلوم ان الناظم ادرك دولة عبد العزيز خان والتحق بربه في سنة ١٢٧٨ وعنه ورث الشيخ الجد مسند المشيخة الاسلامية رحم الله الجميع .

محمد بن الخوجه

المطبوع في ليدن سنة ١٦٥٣ وهو من اهم المآخذ التي عول عليها مستعربو الافرنج فيما بعد ، لتصنيف قواميسهم العربية وذلك لغزارة مادته ودقة وضعها . ومما نشره Golius ايضا امثال الطغرائي . وتوفي سنة ١٦٦٩

اما Barthélémy d'Herbelot فانه ولد في باريس سنة ١٦٣٥ والتحق بجامعتها حيث عني بتعلم اللغات الشرقية ثم قصد ايطاليا واختلط في ثغورها بالنزلاء الشرقيين ، وعند عودته الى فرنسا انتدبه Fouquet وكيل المالية اذ ذاك تحت رئاسة الوزير الخطير Mazarin لديوانه الخاص . وكان Fouquet حاميا للعلماء والادباء فقرر ر d'Herbelot مرتبا سنويا يكفيه مؤونة المعاش . فتيسر له الانقطاع الى العلم ثم بعد اعتزال Fouquet عين كاتب سر ومترجما للغات الشرقية في بلاط الملك لويس الرابع عشر ثم بعد ذلك رجع الى ايطاليا حيث اهدى اليه الغراندوق فرديانان التوسكاني مجموعة من انفس المخطوطات الشرقية ثم عاد الى فرنسا باستدعاء من الوزير الجليل Colbert فاستقبله الملك لويس الرابع عشر بكل ترحاب وعينه مدرسا للغات الشرقية بمعهد فرنسا بباريس الى ان توفاه الله سنة ١٦٩٥ . ومن مؤلفاته القيمة كتاب سماه « المكتبة الشرقية » Bibliothèque orientale التي هي عبارة عن دائرة معارف شرقية باللغة الفرنسية مرتبة على حروف الهجاء والحقت بها فيما بعد زيادات مهمة من طرف المستشرق الفرنساوي Antoine Galland والمستشرقيين الالمانيين Reiske et Schultens الذين كانوا في طليعة مستشرقي القرن الثامن عشر .

ايها المستمعون الكرام .

هذا ما تيسر اليوم من الكلام على المستشرقين واعمالهم وعند فرصة اخرى سنتعرض لذكر بعض مشاهير القرون التالية فالى اللقاء عن قريب ان شاء الله .

في مدرسة الهداية

احتفال بهيج

اقامت جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم حفلة مساء يوم الخميس في ٢٨ ربيع الثاني ١٤ ماي الافرنجي وكان في مقدمة الحاضرين جناب امير الامراء سيدي محمد التركي مدير التشريفات نائبا عن الحضرة العلية وجناب امير الاي سيدي محمد الاخوة نائبا عن المولى الوزير الاكبر وجناب سيدي محمد بيرم كاتب سر صاحب المعالي وزير العدلية نائبا عن جنابه وجناب شيخ الجامع الاعظم ورجال الشرع العزيز والمشائخ المدرسون وجناب الشهم الهمام سيدي محمد شنيق رئيس الحجرة التجارية والشيخ سيدي عبد العزيز بن شعبان كاهية رئيس القسم الاول والسيد محمود بن عثمان المنشي بالقسم الاول نائبا عن امير الامراء سيدي محمد قاسم رئيس القسم الاول وجم غفير من اعيان الامة وسراتها وقد افتتح الاحتفال بتلاوة آيات من الذكر الحكيم وتبارى الخطباء والشعراء الاشادة بالمشروع فخطب اولا رئيس الجمعية ثم الشيخ علي النيفر الكاتب الثاني للجمعية فانشد قصيدة عصماء ثم الشيخ الطاهر القصار المدرس بجامع الزيتونة فانشد قصيدة من رائق شعره ثم عدد من نجباء المعهد الزيتوني ممن في كفالة الجمعية ، وختم الاحتفال قبيل الغروب

والمجلة تهني الجمعية على نجاحها المطرد فيما تقوم به من الاعمال الجليلة لفائدة تلامذة جامع الزيتونة

وهذا نص الخطاب الذي القاه العالم الفاضل الشيخ السيد محمد العزيز النيفر رئيس جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه في الحفل الذي اقامته الجمعية المذكورة بمدرسة الهداية :

الحمد لله الذي جعل العلم سراجا وهاجا ومحجة واضحة للسعادة ومنهاجا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هدى الخلق الى طريق الحق ففاز بالسعادة من اهتدى بهداه وباء بالخسران من اطاع الشيطان فاغواه وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء والشهب الراجمة للاعداء . وبعد فلا شيء اشرف من العلم وبخاصة علوم الشريعة ومن اراد الله به خيرا فقهه في الدين وبما ان ضعفاء الامة اكثر من اغنيائها حيث كانوا هم السواد الاعظم كان اكثر من يتوجه الى دراسة العلوم الفقراء وكثيرا ما يكون منهم حملة الشريعة النجباء وهم احوج الناس للاعانة وقد كان صدر هاته الامة من زمن النبوة يتعاونون على القيام بواجبات الحياة وعلى العلم ايضا فقد روى البخاري رضي الله عنه عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الاسواق وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في اموالهم وان ابا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون فدل الحديث على ان ابا هريرة كان منقطعا لطلب العلم باعانته عليه

الصلاة والسلام فهذا يمكن ان يكون اصلا للاعانة على طلب العلم ولهذا وقع تاسيس جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه لاعانتهم على طلب العلم وكفايتهم في ضرورياتهم من مأكل ومسكن وملبس وكتب وتم ذلك بعد تعب وصعوبات جمة شان كل خير وان على كل خير مانعا وعلى العلم موانع وقد وقعت المصادقة على هاته الجمعية بالقرار الوزيري عدد ٦٧٤ المؤرخ في ٢٨ المحرم وفي ٢ ماي سنة ١٣٥٤ - ١٩٣٦ ولكن لموانع قوية يعلمها الله كاد ان يقضى عليها وهي في مهدها لولا ان تداركها الصدر الهمام عمدة الانام من له بالعلم واهله عناية والذاهب في الاعانة على ذلك لاقصى غاية سيدي الهادي الاخوة الوزير الاكبر ادام الله اجلاله وحرس بمنه كماله فلزم ان يتريث في تشكيلها بسبب ذلك لاواخر سنة ١٣٥٥ - ١٩٣٦ فانتشلها من وهدة السقوط بل رفعها الى اوج العلا فتشكلت بصفة رسمية وبادرت الى العمل وقد كان اول عمل قامت به المثول بين يدي اميرنا الهمام ومفزع الخاص والعام واسطة عقد الامارة ومن غدا عز هذا القطر وفخاره سيدنا احمد باشا باي فتنازل ايده الله فوضع الجمعية تحت رعايته واشرافه وامدها بعطاياه السنية السنوية فكان قدوة صالحة لرعاياه المطيعين ثم كونت الجمعية دعاية لهذا المشروع وزعت في الآفاق لتكوين المشتركين وجمع الاشتراكات فوجدت اعانة من العامة والخاصة وكيف لا تجد ذلك ومكانة جامع الزيتونة من النفوس معلومة وابناؤه نصراؤه منتشرون في طول البلاد وعرضها وقد كان ذلك في شعبان وفي اكتوبر من العام المذكور ثم كونت لجنة دعاية يترأسها الفاضل الزكي العالم الشيخ سيدي الحاج احمد العياري شفاه الله وكان من ابرز اعضائها وانشطهم ثلة من المدرسين انقطعوا لذلك العمل الخيري فجازاهم الله خيرا ثم في يوم الجمعة اوائل ذي القعدة وغرة جانفي سنة ١٣٥٥ — ١٩٣٧ شرعت في اطعام فريق من ضعفاء التلامذة وهم الذين ضمتهم اليها بعد بحث دقيق وعقدت العزم على اعانتهم وعددهم مائة ريثما تنتظم حالتها المالية وترتقي فتزيد على ذلك اذ ليس لها اذ ذاك من بلغة تتبلغ بها لخير مقصدها الا اعانة الله وصالح النية وكان ذلك بمطعم الخير الابر الحاج محمد بن ميلود الغدامسي الكائن بباب الجديد عدد ٧٣ على شروط كانت مفيدة جدا للجمعية بحيث كان صاحب المطعم جازاه الله خيرا ممن اعان هذا المشروع الخيري مدة كانت الجمعية في اشد الاحتياج الى ذلك وكم كنا نتجشم من متاعب في جمع المال والعاصمة وحدها لا تفي بالحاجة ولا تسد العوز فكم فيها من جامع للمال في خير او غيره فلزم السفر الى بعض الافاق ممن يظن باهلها الخير واليسر ولا ننسى ما مد به الجمعية من التعريف والاشادة والثناء الفاضل الزكي العالم الواعظ المرحوم الشيخ سيدي عبد العزيز الباوندي في اجتماعاته بمراكز الاملاآت القرآنية بتونس وبعض جهات المملكة التونسية فكانت اعانة ثمينة يجب ان نذكرها في هذا المقام ثم قيض الله الخير الابر المنقطع لاعمال البر سيدي الحاج احمد بن الامين مؤسس هاته المدرسة الفسيحة على ما ترون من نظام وبساطة ورائده في ذلك الفاضل الزكي العالم الشيخ سيدي محمد الزغواني عضد هاته الجمعية الايمن ومن

ذلك التاريخ اضافت الجمعية الاسكان الى الاطعام وصار مطبخ الجمعية بالمدرسة تتولى الطبخ به بنفسها وكان ذلك ترقيا عظيما بلغته الجمعية وتسنى لها بذلك زاحة عظيمة بواسطة مؤسس المدرسة الذي اعان الجمعية برايه وماله وعمله نسال الله ان يجازيه خير الجزاء يوم لا ينفع مال ولا بنون وكان ذلك سببا للاقتصاد في المصاريف في المال واقبال الناس على التبرعات الثمينة لاسيما بمواد الطعام ولولا مباشرة الطبخ لما امكن لها الاستحصال عليها هذا ولا ننسى ما قام به اعضاء المجلس الكبير من المساعي المتكررة وما تجشموه في سبيل تخصيص اعانة دولية من الميزان العام لهاته الجمعية وبخاصة المفضال سيدي محمد شنيق والغيور سيدي الطاهر بن عمار فكان ذلك نفعا مستمرا ان شاء الله وذلك ما نشكر عليه جناب الحكومة راجين منها مزيد الالتفات لهذا المشروع

واليكم احصائية موجزة دقيقة في بيان المقبوض والمصروف وعدد التلامذة الواقع اطعامهم في كل سنة

السنة	المقبوض	المصروف	عدد التلامذة
سنة: ١٩٣٧-٣٨-١٣٥٦-٥٧	٦٦١٧٢«٠٥	٤٠٩١٩«٦٥	١٠٠
سنة: ١٩٣٨-٣٩-١٣٥٧-٥٨	٥٠٨٦٨«٨٠	٨٦٦٠٤«٨٥	١٧٥
سنة: ١٩٣٩-٤٠-١٣٥٨-٥٩	٤٢٨٩١«٢٠	٣٣٧٨٤«٧٥	١٥٠
سنة: ١٩٤٠-٤١-١٣٥٩-٦٠	٤٨٤٦١«٨٠	٤٢٦٦٣«٤٠	١٥٠
سنة: ١٩٤١-٤٢-١٣٦٠-٦١	٥٠٩٨٠«٢٠	٦٠٥٨٦«٩٠	١٥٠
سنة: ١٩٤٢-١٣٦١	٨٣٨٩٨«٠٠	٥٧٥٥٤«٠٠	١٥٤

والمتامل من هاته الاحصائية المختصرة يدرك ما ربحته الجمعية من مباشرة امر الطبخ بنفسها فبينما في سنة ١٩٣٨ كانت المصاريف فرنكات ٨٦٦٠٤«٨٥ كانت المصاريف في الاعوام بعده دون ذلك بكثير مع ان الاعوام بعده يشتمل اغلبها على تكاليف السكنى والقيام بمصاريف المدرسة مع ان المصاريف اذ ذاك لا نسبة بينها وبين المصاريف في الاعوام بعدها خصوصا في هاته السنة التي تفاحش فيها ارتفاع الاسعار هذا وفي هاته السنة ابتدات الجمعية باكساء بعض التلامذة ممن كانت حالتهم توجب الاسعاف فاضافت الاكساء الى الاطعام والاسكان وكان ذلك بتبرع بعض ذوي الاحسان جازاه الله خيرا وجملة ما انفق في هذا السبيل فرنكات ٨٥٠٠ وهو وان كان مقدارا زهيدا فان الجمعية تؤمل ان تخطو خطوات فسيحة في هذا السبيل فيما يستقبل واعتمادها على الله ثم على عطايا المحسنين حقق الله الامل واعان على خير العمل

وقبل ان نختم الكلام نرفع اكف الابتهال الى الكريم المتعال ان يديم بقاء امير البلاد وملاذ العباد محفوفا باشباله الاعلام وآل بيته الكرام وكافة وزرائه الفخام لاسيما وزيره الاكبر من له على العلم واهله المنن الوفيرة والمساعي المتتابعة الشهيرة التي بعد مداها وبلغ الاقاصي مداها وفي الختام نوجه الشكر الوفير والثناء الكثير لمن اعان هذا المشروع على اختلاف الاعانات سيما السادة الفلاحون الذين تبرعوا على الجمعية ببعض محصولاتهم وكذلك السادة التجار الذين يتعهدون الجمعية بوافر عطاياهم ويغدقون عليها في مختلف المناسبات ولمن لبوا نداء الجمعية واجابوا داعي البر خصوصا مولانا شيخ الجامع الاعظم. اهـ

بين المغرب وتونس

حول وفاة وزير القلم والاستشارة

الشيخ سيدي احمد ابن الرايس

على الساعة الخامسة من مساء يوم الاربعاء غرة ربيع الاول سنة ١٣٦١ الموافق ليوم ١٨ مارس سنة ١٩٤٢ توفي جناب وزير القلم والاستشارة بالدولة التونسية الشيخ سيدي احمد ابن الرايس عن سن تناهز السبعين عاما رحمه الله رحمة واسعة وعامله بخفي لطفه .

يتحدر الفقيد رحمه الله من عائلة عريقة في المجد والفضل بالبلاد التونسية ، هي احدى العائلات التركية التي قدمت الى البلاد التونسية من منذ زمن طويل . وحافظت على مكانتها ومجدها بحسن الاخلاق والمحافظة على الشرف ، والتربية العالية .

ابتدأ الفقيد حياته كسائر افراد العائلات الاسلامية العريقة بتعلم القرءان حتى اجاده حفظا وتلاوة ، ومات وهو يحفظه عن ظهر قلب ، ودخل بعد ذلك الى جامع الزيتونة الاعظم فاخذ من العلوم الاسلامية العربية بنصيب حسن ، ثم اشتغل بالحياة الاقتصادية التي حببها اليها وفرة ما تركه لـه ءاباؤه واجداده من الزياتين والاراضي الشاسعة . ولم يلتفت الى الوظائف الادارية التي كان لا يلتفت اليها الا من كان بالاملاق ، مترقبا ان تكون عاقبته الاخفاق ، لما فيها من الضغط والعسف والارهاق .

ولما تولى الملك المقدس المبرور سيدنا محمد الحبيب باشا باي رحمه الله في عام ١٣٤٠ وكانت لـه بالفقيد علاقة الوداد والمصاهرة قربه اليـه واولاه خطـة (صاحب الطابع) (١) فبقي مباشرا لهـا مدة طويلة الى ان تولى وزيرا للقلم والاستشارة فباشرها بحذق ودراية رغما عن كونه لم يسبق له عهد بالوظايف الادارية .

وكان رحمه الله مظهرا للادب الرفيع ، والتربية العالية ، ودماثة الاخلاق ، وحسن الحديث ، يميل في مجالسه الى المحادثات العلمية ، ويتحدث في كثير من الحوادث التاريخية ، وعلى الاخص تاريخ الدول الاسلامية في العصور الاولى الذي كان يستحضر منه شيئا كثيرا .

وقد كنا حضرنا معه في مجالس اصلاح التعليم بجامع الزيتونة الاعظم التي كنت تنعقد بدار الباي

---

(١) وظيفة صاحب الطابع بتونس وظيفة لا علاقة لها بالخدمة الادارية وليس لصاحبها مظهر من مظاهر المتوظفين . وانما صاحبها هو الذي يتولى وضع طابع الامير على الاوامر والمعاريض التي يصدرها في المجلس الخاص الذي يجتمع فيه الامير مع وزرائه في كل يوم خميس .

في خلال عام ٥٨ - ١٣٥٧ - ٣٩ - ١٩٣٨ - تحت رئاسته . فكان يمثل الاعتدال والاستقامة وعدم التحيز . وكان يسعى بغاية اللطف في تقريب مسافة الخلف بين اعضاء ذلك المجلس بحيث كان لا يشتد ولا يحتد مهما قوي النزاع وتباينت الافكار

وكذلك كانت صفته عند ما اجتمعنا معه في المجلس الذي انعقد للنظر في مسئلة العمل بالخط والرسوم الذي اشرنا اليه في طالعة هذا العدد . (٢)

وقد كانت حياة الفقيد من لدن شب حتى شاب سود الذوائب مثالا للعفة والاستقامة وطهارة الذيل . فلم تحفظ له مواقف مريبة ولم يكن من اصحاب الدسائس والاغراض السافلة ولم يكن من اولئك الذين يبيعون الاعراض في سبيل الاغراض وينتهكون الحرمات لتحقيق بعض المصالح والشهوات وينبشون القبور ليشيدوا على انقاضها القصور فكان مترفعا عن ذلك كله عارفا بقيمة نفسه محافظا على همته .

وقد كان رئيسا للوفد التونسي لجمعية الحرمين الشريفين عند ما ينعقد بالجزاير او بالمغرب بحيث باشر رئاسة الوفد المذكور في جميع الاعوام التي كان متوليا فيا لوزارة القلم - ما عدى العام الذي تراس فيه على الوفد المذكور الى الجزاير جناب العلامة الجليل صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور - وقد حصلت له بسبب ذلك روابط متينة بين اعيان الفضلاء بالقطرين الشقيقين

وكان من اولئك الفضلاء حضرة الفقيه العالم الاديب الشيخ احمد سكيرج قاضي مدينة (سطات) بالمغرب الاقصى فلما بلغ خبر موته الى المغرب . رثاه الشيخ المذكور بقصيدة مؤثرة عبر فيها عن صدق الوداد . والمحافظة على العهد . وابدى فيها اشتياقه الى تونس والى احبابه فيها . وارسل بها الى جناب صدر الدولة المولى الوزير الاكبر صحبة مكتوب لطيف . فاجابه عنه جناب المولى الوزير الاكبر بمكتوب اعرب فيه عن شكره . وتقدير حسن عاطفته وبره .

وتسجيلا لهذا المظهر الرفيع بين القطرين الشقيقين اردنا ان نثبت هنا القصيدة والمكتوبين .

(مكتوب الشيخ احمد سكيرج لجناب المولى الوزير الاكبر)

المقام الذي رفع الله مقداره واشرق بين العوالم انواره سيادة الصدر الاعظم الوزير الاكبر المعظم صدر الدولة عظيم الصولة سيدي الهادي الاخوة زادكم الله بسطة في العلم والجسم والسلام عليكم وعلى كل من هو منكم واليكم بعد تقبيل العتبة العالية بالله والدعاء لمولانا ولي الانعام مولانا

---

(٢) في اثناء هذا المجلس جرت بيني وبين الفقيد رحمه الله مناقشة حيث انه في اثناء النزاع في احدى المسايل المعروضة رغب مني انهاء المناقشة قبل الفراغ من الكلام الذي نرغب في القائه متعللا بان تطويل المناقشة يفضي الى اتساع مسافة الخلف بين الناس . فقلت له : ان جلالة الملك لم ياذن بعقد هذا المجلس الا ليقدم كل منا حججه التي توضح مدعاه . فاذا قطعت كلامي نقل الى الامير ابتر فلا ياخذ من نفسه الماخذ المطلوب ولا نصل من هذا الاجتماع الى الغاية المنشودة . فقال لي رحمه الله : انني انا السبب في عقد هذا الاجتماع وانا الذي اقترحت على جلالة الامير اجتماعكم لتاخذ المسئلة حظها من النظر . ولا شك انه اراد بذلك تسجيل مزية هذا الاجتماع اليه . فاردنا اثبات كلامه هنا حتى يسجل له ما اراد .

الباشا باي وتقديم مراسم التعظيم والتبجيل ولحاشيته الكريمة من وزراء وامراء وعلماء وغاية جهد امثالي دعاء او ثناء واليكم ارفع تعازينا الحارة من صميم افئدتنا في المصاب الجلل بما نعاه البرق على جناح الاثير من فقد ذلكم السياسي الخبير محبكم وحبيب الجميع السمي السامي المرحوم سيدي احمد ابن الرايس ولله ما اعطى وله ما اخذ وانا من اجله لمحزونون ولا نقول الا ما يرضي الرب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعظم الله اجركم فيه وبارك في عمركم تحت جناح السعادة لدى حضرة مولانا الباي الذي نرجو منكم تقديم احتراماتنا لجلالته دامت عناية الله به متمتعا بالعافية دنيا ودينا ودام له البقاء في ارتقاء وصحبة هذا مرثية في الفقيد المذكور صدرت عن قريحة رجعت للحق بتحمل الصبر الجميل ولله الامر من قبل ومن بعد وانا لله وانا اليه راجعون ودمتم في حفظ الله وعلى المحبة والسلام على النجل الكريم مع محبه حقا وصدقا مستشار الحكومة ابا الفتح ابن الخوجه وكل من هو منكم واليكم من محبكم خديم الحضرة المحمدية قاضي مدينة سطات عبد ربه احمد سكيرج امنه الله .

قصيدة الشيخ سكيرج في رثاء وزير القلم

الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانا لله وانا اليه راجعون ولله الامر من قبل ومن بعد

مرثية فقيد الادب والسياسة صاحب السماحة سيدي احمد ابن الرايس رحمه الله

خطب الم بنا فزادنا المـا ... والخطب مهما اتى عن بغتة عظما
قد هد ركن عظيم في السياسة من ... رجال تونس قد بكت عليه دما
وليس يحمل فيه الصبر مصطبر ... تعود الصبر مهما الصبر قد عدما
وكيف يصبر في فقد الرئيس ابي العـ ... ـباس احمد ابن الرايس العظما
ونحن في الغرب نحنو من تاسفنا ... عليه هما به غيم الدموع هما
من مبلغ آله انا نشاطرهم ... فيما الم بهم ان رزؤه قسما
لكن رزءا به عم القلوب أسى ... منا ومنهم فظهر الصبر قد قصما
هل من مبير لنا صبرا عليه فقد ... كادت تمزق احشانا بما دهما
وهل يباع فيشرى الصبر من احد ... لكننا لم نجد لصبره قيما
ياللرجال وما عانيت بينهم ... فقد فقدت به ما يكشف الغمما
بل زاد غمي من فقدي له باسى ... اثار بين الضلوع الجمر مضطرما
ولست وحدي بوجدي فيه ذا شغف ... بمدحه وابين الدر منتظما
بل كم عقود من الجمان قد نثرت ... عليه من اسف وفيه قد نظما
فقد تحلى بما باهى الزمان به ... وكان ثغر الزمن فيه مبتسما
وليس بدعا اذا كانت مكارمه ... يحصى سواها وفيه تنتهي كرما
سل عنه اهل العلا ممن علت رتب ... لهم وفضلهم في الناس قد علما
يخبروك عن الفضل الذي شهدت ... به له سائر الحكام والحكما
وسل مرافقه في المكرمات ابا الفـ ... ـتح ابن خوجتهم عما به وسما (١)

---

(١) يريد به جناب امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية ـ الذي هو احد دعائم هاته المجلة برايه وقلمه ، والذي طالما اعجب القراء بابحاثه العالية وتجاريره النفيسه ، والذي قرب من معالم التاريخ التونسي ما كان قصيا ، واحيا من آثار القدماء ما كان نسيا منسيا ، وهو احد اعضاء جمعية الحرمين الذين لم يتخلفوا عن الحضور بها من يوم تاسيسها الى الآن .

فانه المستشار في حكومتهم — والمرتضى حكمه في الناس ان حكما
ينبئك عنه بان الله اكرمه — بحسن خلق وخلق خصه بهما
وسل مواقفه في الراي ذا الادب — الغض العزيز الاعز المرتضى حكما(١)
ينبئك عنه بما ابوه يعرفه — من فضله فابوه الصدر في الكرما (٢)
ومن يشابه اباه في مكارمه — او صار مقتديا به فما ظلما
لهفي عليه فقد فقدت خير اخ — في الله فيه وجدت راعيا ذمما
به قد ابتهجت صدور جمعية الا — وقاف فهو لديهم كان محترما
بل كل جمعية للخير قد عقدت — فانه في علاها ناشر علما
وما مكانة فضل او مكان علا — الا وفيه تراه راسخا قدما
له جميل تعلق بسيدنا الباي — الهمام الذي فاق السوى همما (٤)
فكان يخدمه بالصدق ممتطيا — مطية الحب فيه بين من خدما
فاعرف به وبهم من سادة وزرا — وساسة امرا وقادة علما
اكرم بهم فبفضل الله تم لهم — قصد بسيدنا الباي الذي كرما
فالله يبقى مدا الايام حرمته — وان يديم حماه للورى حرما
ويطرح البركات في جميعهم — وفي جميل العزاء جمعهم سلما
ويرسل الرحمات الدائمات على — ضريح ذاك الفقيد بين من رحما

من محبهم جميعا احمد سكيرج امنه الله

مكتوب جناب المولى الوزير الاكبر الى الشيخ سكيرج

حضرة الفقيه الاديب الراوية المصيب الآخذ من كل فن بنصيب الشيخ سيدي احمد سكيرج قاضي مدينة سطات لا زال مهديا الى اقوم طريق اما بعد السلام العاطر والتحية المباركة فقد تلقينا مع الشكر كتابكم الكريم ومرثيتكم الغراء في الاخ الذي عز علينا فقده المنعم المبرور سيدي احمد ابن الرايس وزير القلم وباش كاتب وانا على يقين من عواطف المودة والولاء التي املت عليكم ما دبجتموه وكان له الوقع الحسن والتاثير الجميل عندنا وقد ابلغنا ما تضمنه الكتاب الى سيدنا ومولانا الامير الجليل دام عزه وعلاه فامر بابلاغكم حسن تقديره وشكره كما ان اسرة الفقيد المرحوم يعبرون لكم عن تشكراتكم وشعورهم بالجميل لما ابديتموه نحوهم من الموازرة والاحساس النبيل والله سبحانه يجازيكم عن اخوتكم احسن الجزاء ويقسم لكم من السعادة اوفر الاجزاء والسلام من فقير ربه ودودكم امير الامراء الهادي الاخوة الوزير الاكبر بالدولة التونسية وفقه الله .

وكتب في — وفي — سنة ١٣٦١ - ١٩٤٢

(١) يريد به جناب امير الإمراء سيدي محمد العزيز الاخوة رئيس ديوان والده جناب المولى الوزير الاكبر . والعضد الايمن له في مهمات الامور . وكاهية مدير التشريفات بالدولة التونسية ـ وهو كاتب الوفد التونسي لجمعية الحرمين . وقد حصلت له صداقة متينة مع اعيان المغاربة والجزائريين . لما جبل عليه من الذكاء الوقاد والاضطلاع باعباء الامور وحسن الاستعداد .

(٢) هو جناب الصدر الهمام الافخم امير الامراء سيدي الهادي الاخوة الوزير الاكبر . الذي اشتهر فضله وعدله بين الناس . واجمع على حبه واجلاله سائر الاجناس . وله اوداء كثيرون بالمغرب والجزائر . ويعرف الكثير منهم ويعرف انسابهم واحسابهم . ويتحدث عنهم كما يتحدث عن العائلات التونسية ـ وقد كان سافر عدة مرار الى المغرب والجزاير بصفته رئيسا لجمعية الحرمين .

(٤) هو صاحب الجلالة سيدنا ومولانا احمد باشا باي ادام الله اجلاله .

مرثية ابي المحاسن احمد بن الامين

انتقل الى عفو الله وسعة رحمته الابر السيد الحاج احمد بن الامين مؤسس مدرسة الهداية وصاحب المبرات والمشاريع النافعة وقد كان لوفاته رنة اسف سيما على ابنائه تلامذة الجامع الاعظم وعارفي فضله وسار نعشه في موكب رهيب حضوره رجال الشرع والمشايخ المدرسون وطلبة الجامع وقد ابنه عدد منهم الشاعر الشاعر الفحل الشيخ الطاهر القصار المدرس بجامع الزيتونة بالمرثية الآتية

لم يمت من قضى الحياة برورا ... وبنى في حمى الخلود قصورا
انما الميت من قضى العيش مخدو ... عا غويا بنفسه مغرورا
لم يمت مؤثر العفاة ومن خلـ ... ـف في الناس ذكره منشورا
لم يمت آكل الفتات ليلقى ... طالب العلم خطه موفورا
لم يمت لابس الرقاع ليكسى ... طالب العلم بهجة وحريرا
لم يمت هاجر السرير ليهنى ... طالب العلم في السرير وثيرا
لم يمت من بنى بكلتا يديه ... مسجدا يملأ الاواحظ نورا
لم يمت رافع المنار ليصغى الـ ... ـمسلمون النداء والتكبيرا
لم يمت موقد العطاش الى العلـ ... ـم ومولي جميله المشكورا
لم يمت حارس الشباب ومؤويـ ... ـهم بمأوى حوى السخا والبرورا
باذل النفس والنفيس لكي يلـ ... ـفى بسكانه الهنا والحبورا
احمد ابن الامين خير بني الخضـ ... ـراء بذلا وخيرهم تعميرا
احمد ابن الامين من الف النسـ ... ـك مساء وضحوة وبكورا
التقي الرضى كريم السجايا ... يزدري خلقه الشذى والعبيرا
حين يلقاك تبصر الرجل العا ... مل والمسلم المنيب الشكورا
يصل الشمل يحمل الكل يولي الـ ... ـفضل يعطي المؤمل المستجيرا
ليس تدري يسراه نفحة يمنا ... ه ولا كان بالعطاء فخورا
هوذا السيد المسجى على الاعـ ... ـواد تطوى به الدموع بحورا
تحمل الهام نعشه ولكم حمـ ... ـلها بالنوال عبئا كبيرا
فلئن راعنا الحمام بمنعا ... ه فاذكى جوانحا وصدورا
فنظمنا من الجفون كلاما ... ونثرنا من القلوب سطورا
فلنا بالمثاثر الغر سلوى ... تـذر المدمع الهتون قريرا
فلتنم في حمى الكريم يلقيـ ... ـك من الخلد نضرة وسرورا
وسيعطيك بالجزيل فترضى ... وسيجزيك جنة وحريرا

الطاهر القصار

عدد ٥

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الخامس	في ذي القعدة ١٣٦٢ وفي نوفامبر ١٩٤٣	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المدير

محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس ـ تليفون ٤٩-٢٦

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

الثمن ٧ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط رقم ٥٧ ـ تونس

المجلد الخامس — **فهرس العدد** — الجزء الخامس

الصفحة	الموضوع	صاحبه
٦٥	صورة الحضرة العلية	
٦٦	خطاب الحضرة العلية	في حفلة ختم الامتحان بالمعهد الزيتوني
٦٧	بعد الاحتجاب	قلم التحرير
٧٠	من درس التفسير	لفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
٧٥	شرح حديث صحيح البخاري	لصاحب المجلة
٨١	مسالة اقامة السدود على الاودية	فتاوي شرعية لمشايخ الاسلام محمد بيرم الرابع ومحمد بن حسين ومحمد البنا
٨٢	الحضارة الاسلامية في صقلية	للعالم الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٨٦	حياة التعليم	للعلامة الشيخ محمد الحجوي
٨٩	الادب انفراج الازمة (قصيدة)	للشاعر الكبير الشيخ القصار
٩١	التاريخ حياة المؤرخ المرحوم محمد بن الخوجه	للفاضل الشيخ محمد الفاضل
٩٦	زيتوني على رأس ادارة الاوقاف	تحرير المجلة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٧٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٨٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال ·

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



من رام ان ينظر المعالي   والمجد في صورة تزين
وتخجل البدر في الكمال   والاسد قد ضمها العرين
فذلكم سيد الرجال   حامي حمى تونس الامين

خطاب الحضرة العلية

في حفلة ختم الامتحان بالمعهد الزيتوني العامر

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله على ما يسر لبني الانسان من مناهل العرفان. الجاعل العلم قواما لرقي الحياة تستثمر به الاذهان . ويرسخ الايمان ويتأيد السلطان . ويعم العدل والاحسان . وهو الذي اقام العلماء في كل قطر اعلام هداية وصلاح . يعرجون بالناس معارج العزة والفلاح . ويسلكون بهم للحياتين الدنيا والاخرى سبل الخير والنجاح . وصلاة وسلاما على نبيه الماحي لظلم الضلال . الداعي لصفات الكمال . الحاث على طلب العلم والتجمل بخير الخلال . وعلى صحبه والآل . وبعد فيا حضرات الشيوخ الجلة . وحماة الملة . ويا ايها الابناء الاعزاء انا ليسرنا غاية السرور ان نحل بينكم في هذا البيت العتيق هذا البيت المؤسس على التقوى الذي لم يزل منذ اقدم الاجيال . مستمرا على تخريج فطاحل الرجال الحائز فضل الاسبقية على سائر المعاهد الافريقية يسرنا ان نشهد به حفلكم المبارك بانتهاء دور امتحانه وفوز الظافرين بقصب السبق في ميدانه ونرى راي العين نتائج مجهوداتكم السارة وما بذله جناب شيخ الجامع من حسن المساعي خصوصا في هذه السنة التي لم تكن كسابقتها في الهدو وراحة البال وان الجهود العلمية فيها ينبغي ان تقدر قدرها لما غالبت من اهوال وهي دليل ناطق وبرهان صادق على ما يبذله شيوخ هذا المعهد وفروعه داخل العاصمة وخارجها من جهود قيمة لنفع ابنائهم الروحيين واعدادهم لحلبات الامتحان احسن اعداد وليس ذلك بغريب منهم وهم يعلمون حق العلم انهم قد اوتمنوا على تغذية ارواحهم وانارة اذهانهم وما سيكون لهم من اثر في الحياة. وان ادراككم أيها الشيوخ الفضلاء لعظمة مهمتكم ودقيق مسئوليتها امام الله والناس مما يكفل لكم التوفيق والسير في خير طريق

هذا واننا لعلى علم من ان لكم رغائب حيوية جديرة بعنايتنا وقد زادتها ظروف الاحوال تاكدا وايضاحا ونزف اليكم البشرى في هذا اليوم السعيد بانها قد حظيت لدينا بالقبول كما حظيت بمثل ذلك من الحكومة الحامية تقديرا للعلم واهله ونرجو ان نكون قد اتينا في اجابتها بما يفي بالمامول وسنكون بحول الله حظوظكم المادية مسايرة لما تبذلونه من جهود في عملكم الشريف وواجبكم المقدس وعلى قدر الجهود تكون الجدود واني ياحضرات الشيوخ الاعلام لمقتف اثار اسلافي المقدسين البررة في العناية بهذا المعهد الجليل عناية يتماثل بها ان شاء الله حاضره بماضيه وتحمد في خدمة الدين ونصرة العربية مساعيه وحق علي ان اتم انجاز ما كان شرع الوالد قدس الله روحه في انجازه وليس لي من عدة في ذلك سوى الاعتماد على الله الكريم في الاعانة والتوفيق وعلى ما تبذلونه في هذا المجال من صالح الاعمال والسلام عليكم ورحمة الله

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الخامس	في ذي القعدة ١٣٦٢ وفي نوفامبر ١٩٤٣	المجلد الخامس

بعد الاحتجاب

بشرى ! فقد ضربت اشعة اليقين في ظلمة الفتن والريب وانقشنع عن أجواء الافكار ما تلبد من غيوم قاتمة مدلهمة تزلزل رواعدها القلوب وتذهب بروقها بالابصار لما استهل هذا العهد الاميني الزاهر ياخذ الناس بالحكمة ويحفزهم بالروية ويزجيهم الى سبل الثبات فهدأت العاصفة الهوجاء وقرت عجاجتها وانقلبت زعازع الاضطراب ريحا طيبة رخاء تزجي سفينة الاحداث الى شاطىء السلامة والاطمئنان حيث نشرف على الارض النظرة الخصبة : ارض السلم والامان التي بارك الله فيها للعالمين

فما بال مجلتنا الزيتونية لا تدرج على هذه النسمات المنعشة تجدد عهدها في خدمة الحق وبث المعرفة ، وتعاود احبتها الذين هجرتهم حولا كاملا كما هجر الاحوص دار عاتكه وهو يقول :

اني لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل

وكيف لا ينشط لسان المعهد الزيتوني من عقاله وقد شعت بمحراب الجامع انوار العناية الملكية ورنت في تجاويف قبابه تلك الفقرات الدرية من خطاب التاج تاخذ بضبع الزيتونيين الى المقام المحمود الذي تسعد فيه ارواحهم باداء رسالة مقدسة القت اليهم كلمتها بين تلك الرحاب المباركة على مشهد القرون

ان ملكا يقوم على جمع الامة حول العرش وعلى التاليف بين عناصرها بالبفا قوامه الاخوة وعماده الاعتراف بما لكل عنصر من حق وما عليه من واجب والاشادة بما لكل عنصر من فضائل

وما له في اقامة اود حياة الامة من مزايا لحقيق بان ينال الناس في ظله ضالة الوطن المنشودة من اجتماع الكلمة واتحاد الصف واخلاص النية في التوجه بعزم ثابت ويقين راسخ الى ميدان العمل المثمر المنزه عن ضوضاء الكلام الاجوف المطهر من جراثيم الرياء القاتلة. ول وجهك شطر المعهد الزيتوني تــر فتورا تصرمت عليه السنة المدرسية الماضية قعد بهمة الشيوخ وغل من عزائم الشباب فصمت الداعي وانعزل المرشد وانكف المعلم وانقطع المريد وتشتت المستفيد

ثم ارجع البصر اليه وقد آذنت شمس تلك السنة بالمغيب تر العناية الملكية السامية توقــظ الهمم وتشحذ العزائم وتنادي في جموع الزيتونيين بما يبث فيهم الثقة بانفسهم ويدفعهم نحو ماهم مهيؤون له من اعلاء كلمة الدين وحفظ مجد العروبة واعداد الجهاز المحرك لمظاهر الحياة الحقة من هذه الامـة فاذا هم يتلقون الامانة عن شعور بالمسؤولية واستعداد للعمل واذا الاوجه طافحة ببشر الثقة والنفوس مفعمة بالنشاط القاضي على الانقباض الماضي لاثر الفتور

فما احوج هؤلاء الذين باتوا يضمرون العزم على العمل الذي اهاب بهم اليه ملكهم المفدى ان يجدوا عند ما اشرق صبح السنة الدراسية مجلتهم بين ايديهم تخدم كما خدمت ست سنين خلت علوم الدين وآداب العربية ومفاخر الاسلام من طريق لا تفي به الدروس ولا تغني عنه المكاتــب فيتخذوها مطية لاصلاح الاحوال المرتبكة التي كونها ما نزل بالمملكة التونسية اشهرا طويلة من انقسام الاوطان وتنائي البلدان وتشتت شمل الجماعات محرومة خائفة وتفرق الاهواء والنزعات بشعــوذة الدعايات الزائفة

وهيهات ان يستعصي علينا هذا الاصلاح اذا نحن سلكنا له طريقه القويم بالاتجاه الى تجديــد الروح المحركة الدافعة حتى تصلح بصلاحها الاعضاء الخادمة لها والاجهزة المسيرة لقواها

وهل للامم الاسلامية من روح قومية جامعة غير روح الدين ؟ كلا . فعلى هذا الدين التأمت أفرادها وعلى مبادئه تربت جامعتها وعلى اصوله قامت عصبيتها وبمقدار المحافظة على كيانه علت كلمتها وعز جانبها فاذا بدت عليها يوما ما اعراض من مظاهر الضعف والانحلال فلا يلتفت المصلحون الى تلك الاعراض الجزئية فما هي الا فروع ومسببات وليلتفتوا الى الاصل الذي نشات عنه بالعلاج والتقويـة حتى اذا استقام الاصل اقتلع باستقامته اعراض الانحطاط من اصولها كمثل جسم انساني شكى فشل الحركة وصداع الراس وضعف البصر وثقل السمع وطغيان الدمل على الجلد فتبين طبيبه الآسي من هذه الاعراض المختلفة ان جراثيم خالطت دمه فعمد الى الدم بالتطهير حتى اذا صفا مزاجه ذهب ما آلم الراس وخدر الجسم وشكت له العين وضعف به السمع واندمل له الجلد وتداعى له الجسد كله وتم ذلك بدون ان ينال العلاج عضوا من هذه الاعضاء بذاته

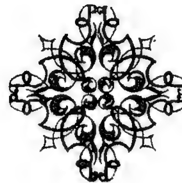
الامراض التي لاتحصى بالرجوع الى الدم الساري في شرايين هذا الهيكل الا وهو الدين فيجددوا ما رث من اثره في نفوسهم ويجعلوا منه العلاج لكل داء ويتخذوا منه فيصل النظر في كل قضية حتى تنكشف لهم الحقائق واضحة جلية و يذاد عنهم ما يملأ الآفاق حولهم من الشبه والاضاليل والتخرصات

فاذا رجعوا الى انفسهم بعد ذلك وجدوا الانقسام الذي كان بينهم ، من اختلاف المناهج التي دفعت بهم اليها الدعايات ، قد استحال وفاقا وتقاربا لانهم استمدوا إصول نظرهم من مادة واحدة ووجدوا الحرج الذي كان يملأ نفوسهم من تلقي دعوات متخالفة غريبة قد انقلب راحة واطمئنانا عندما تلقوا هذه الكلمة الحقة الصالحة بفطرتهم وكرعوا من هذا النهر المطهر الذي قامت عليه جامعتهم وارتوت منه حضارتهم على مر الزمان

وهم في هذا القصد الى مورد الدين بحاجة الى هاد يهديهم طريقه ويوضح معالمه ويرشد الى مباديه واضحة نيرة معصومة مما تعلق بها من الجهالات وغم عليها من الخفاء والغموض ، وحاد يحدو بهم مترنما بذكريات السائرين قبلهم في هذا السبيل الآمن الفائزين بما رحلوا له من الظفر بادراك المعرفة وملامسة الحق وبما بذل قادة القوافل قبلهم من جهود في ابتكار الطرق وتمهيدها وحفظ سلامة السائرين عليها حتى اصبحنا نسير اليوم في طرق مرفوعة المنارات موطأة الاكناف واثقين بما ينتظرنا في نهاية الطريق من السرى المحمود والامل المنشود

فذلك هو الواجب الذي تحفز اليه المجلة الزيتونية شباب الاسلام المرجى من الطلبة الزيتونيين فعليهم السير في القافلة ولمجلتهم الشرف بان تكون لمسيرهم هاديا وحاديا

واننا لنتفاءل خيرا عظيما من افتتاح هذا العمل في عصر اشرقت فيه بوادر الامل وبشائر النجاح بما ظهر في الافق السياسي الرسمي من العناية بشان الروح الدينية واحلال الحضارة الاسلامية بمنزلة التنويه والتمجيد في الخطب التي ما انفك يفوه بها في اكبر عواصم الثقافة الاسلامية بهذا القطر رجل البصيرة والسياسة جناب الجنرال ماست ممثل الحكومة الفرنسوية بعد ما توجه الى معاشر الزيتونيين خاصة من مظاهر الاهتمام الصادق عن العرش الملكي السامي لا زال عالي العماد باسطا ظل النهضة على البلاد .



القرآن الكريم

من درس التفسير

لفضيلة المولى الاستاذ الاكبر سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

***

(الله يستهزئ بهم) لم تعطف هاته الجملة على ما قبلها مع امكان عطفها على جملة واذا لقوا او على جملة ومن الناس فان الجامع بين هاته الجملة وبين الجملتين السابقتين موجود وهو كون مضمون هذه الجملة كالمجازاة على مضمونهما والرد لمضمونهما ، قصدا بترك العطف الى التنبيه على انها جملة مستانفة استئنافا بيانيا واقعة جواب سؤال مقدر وذلك ان السامع لحكاية قولهم للمومنين ءامنا وقولهم لشياطينهم انا معكم يقول لقد راجت حيلتهم على المسلمين فهل يتفطن متفطن من المسلمين لاحوالهم فيجازيهم على استهزائهم او هل يرد لهم ما راموا من المسلمين ومن ذا الذي يتولى مقابلة صنعهم فكان للاستئناف بقوله الله يستهزئ بهم غاية الفخامة والجزالة . ولاجل هذا الاعتبار قدم اسم الله تعالى على الخبر الفعلي ولم يقل يستهزئ الله بهم لان مما يجول في خاطر السائل ان يقول من الذي يتولى مقابلة سوء صنعهم فأعلم ان الذي يتولى ذلك هو رب العزة تعالى وفي ذلك تنويه بشان المنتصر لهم وهم المؤمنون كما قال تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا . كان المنافقون غرهم ما يرون من صفح النبيء صلى الله عليه وسلم عنهم واعراض المؤمنين عن التنازل لمكافاتهم فيحسبون رواج حيلتهم ونفاقهم فتقديم اسم الجلالة لمجرد الاهتمام نظرا لترقب السامع معرفة من يتولى جزاءهم . وفعل يستهزئ المسند الى الله تعالى يجوز ان يكون تمثيلا لمعاملة الله اياهم بفعل المستهزئ من استدراجهم والاملاء لهم حتى يظنوا عدم المؤاخذة على استهزائهم فيظنوا ان الله راض عنهم وان اولياءهم قد نفعوهم حتى اذا نزل بهم

العذاب في الدنيا من القتل والفضح علموا خلاف ما توهموا فكان ذلك كهيئة الاستهزاء بهم ويدل لذلك قوله عقبه ويمدهم في طغيانهم يعمهون ولا يحمل على اتصاف الله بالاستهزاء حقيقة لانه لم يقع من الله معنى الاستهزاء في الدنيا ويجوز ان يكون يستهزئ بهم حقيقة يوم القيامة بان يامر بالاستهزاء بهم في الموقف وهو نوع من العقاب والى هذا نحا ابن عباس والحسن في نقل ابن عطية ويجوز ان يكون مرادا به جزاء استهزائهم من العذاب او نحوه من الاذلال والتحقير فعبر عنه بالاستهزاء مشاكلة او مرادا به لازم الاستهزاء مجازا من تحقير الشان وقلة الحرمة او مرادا به مثال الاستهزاء من رجوع الوبال عليهم والمعتزلة عينوا بعض هذه المعاني لان الاستهزاء عندهم محال اسناده الى الله حقيقية لانه قبيح وذلك مبني على المتعارف بين الناس وفي قياس صفات الله تعلى على متعارف الناس نظر ، وانما جيء في قوله الله يستهزئ بالمسند الفعلي وجيء في حكاية كلامهم بالمسند الاسمي وهو انما نحن مستهزءون لان الغرض من كلامهم تبرئة انفسهم لدى شياطينهم من الخروج عن دينهم والاعتذار عما يبدو منهم للمسلمين فالمنظور اليه هو وصفهم القائم بهم فجيء في حكايته بما يدل على الموصوف وهو اسم الفاعل الدال على حدث وصاحبه اما الغرض من اخبار الله تعلى بما يفعل بهم فهو اثبات ذلك والاعلام به فجيء فيه بالفعل لانه الاصل ولان المسند الفعلي وسيلة لافادة التقديم الاهتمام ولا يتاتى في المسند الاسمي ثم ان ذلك يستتبع تكرير الاستهزاء بهم والتكرير من خصائص المضارع وقولهم انما نحن مستهزءون يستتبع ان ذلك وصفهم وانهم ثابتون عليه

(ويمدهم في طغيانهم يعمهون) يتعين انه معطوف على جملة الله يستهزئ بهم . ويمد فعل مشتق من المد وهو الزيادة يقال مده اذا زاده وهو الاصل في الاشتقاق من غير حاجة الى الهمزة لانه متعد ودليله انهم ضموا العين في المضارع على قياس المضاعف المتعدي وقد يقولون امده بهمزة التعدية على تقدير جعله ذا مدد ثم غلب استعمال مد في الزيادة في ذات المفعول نحو مد له في عمره ومد الارض اي مطها واطالها وغلب استعمال المهموز في الزيادة للمفعول من اشياء يحتاج نحو أمده بجيش وامده بمال وقد يستعمل احدهما في موضع الآخر على الاصل فلذلك قيل لا فرق بينهما في الاستعمال وقيل يختص امد المهموز بالخير نحو اتمدونني بمال ان ما نمدهم به من مال وبنين ويختص مد بغير الخير ونقل ذلك عن ابي علي الفارسي في كتاب الحجة ونقله ابن عطيه عن يونس ابن حبيب الا المعدى باللام فانه خاص بالزيادة في العمر والامهال فيه عند الزمخشري وغيره خلافا لبعض اللغويين فاستغنوا بذكر اللام المشعرة بان ذلك لعلة النفع عن التفرقة بالهمز رجوعا للاصل لئلا يجمعوا بين ما يقتضي التعدية وهو الهمزة وبين ما يقتضي القصور وهو لام الجر وكل هذا من تاثير الامثلة على الناظرين وهي طريقة لهم في كثير من الافعال التي يتفرع معناها الوضعي الى معان جزئية له او مقيدة او مجازية ان يخصوا بعض لغاته او بعض احواله ببعض

تلك المعاني قصدا للتنصيص في الكلام ودفع اللبس بقدر الامكان وهذا من لطائف الاستعمال وليس من اصل الوضع فلا يقال ان دعوى اختصاص بعض الاستعمالات ببعض المعاني هي دعوى اشتراك او دعوى مجاز وكلاهما خلاف الاصل لان ذلك التخصص كما علمت اصطلاح في الاستعمال لاتعدد وضع ولا استعمال في غير المعنى الموضوع له ونظير ذلك قولهم في فرق بالتخفيف وفرق بالتضعيف ووعد واوعد ونشد وانشد ونزل (المضاعف) وانزل وقولهم العثار مصدر عثر اذا اريد بالفعل الحقيقة والعثور مصدر عثر اذا اريد بالفعل المجاز وهو الاطلاع . وتعلق فعل يمدهم هنا بضمير ذواتهم تعليق اجمالي يفسره قوله في طغيانهم وقال الزجاج والواحدي اصله يمد لهم فحذفت اللام اي يمهلهم فيكون نحو ما فسر به قوله الله يستهزىء بهم وقد مر بعد . والطغيان مجاوزة الحد في الترفع والعتو والتكبر . والعمه انطماس البصيرة وتحير الراي وفعله عمه فهو عامه وعمه واعمه والجمع عمه واسناد الزيادة في الطغيان الى الله تعلى على الوجه الاول في تفسير قوله ويمدهم اسناد خلق وتكوين منوط باسباب التكوين على سنة الله تعلى في حصول المسببات عن اسبابها فالنفاق اذا دخل القلوب كان من آثاره ان لا ينقلع عنها ولما كان من شان وصف النفاق ان تنمي عنه الرذايل التي قدمنا بابها كان تكوينه في نفوسهم وعدم توفيقهم لما يقلع عنه تكوينا للزيادة فالله تعلى لا يزيدهم الطغيان لتقوية الطغيان في العالم ولكن بسبب موجب الزيادة فلذلك اسندت اليه ومثل هذا اسناد حقيقي لا مجاز عقلي لان الله هو المسبب والخالق للاسباب بلا واسطة ولم يكن اجراؤها على يد غيره فلم يكن ثمة مسند اليه على الحقيقة غيره بخلاف نحو بنى الامير المدينة لا سيما بعد التصريح بالاسناد اليه في الكلام بحيث لم يبق البناء على عرف الناس بحال بخلاف نحو يزيدك وجهه حسنا وسرتني رؤيتك لان ذلك وان كان في الواقع من فعل الله تعالى الا ان الفاعل الحقيقي غير ملتفت اليه في العرف فلذلك قال الشيخ عبد القاهر انه من المجاز الذي لا حقيقة له . واما المعتزلة فانهم احالوا ان تكون الزيادة في الطغيان من فعل الله تعالى لان الطغيان قبيح لذاته وفساد فتكلفوا لذلك بوجوه خارجة عن ذوق الاستعمال كما هي في كثير من تاويلاتهم ويغني عن ردها رد الداعي اليها وهو اعتقادهم استحالة المد في الطغيان على الله فهذا الاعتقاد راجع الى اصل مراعاة الصلاح والاصلح في الخلق والتكوين وهو تخليط بين التصرف التكويني والتصرف التشريعي . وانما اضيف الطغيان الى ضمير المنافقين ولم يكتف بتعريفه تعريف الجنس كما قال واخوانهم يمدونهم في الغي اشارة الى تعظيم شأن هذا الطغيان وغرابته في بابه وهو انه طغيان من كان من وصفه تلك الاوصاف السالفة الكذب والخداع والخوف والتستر برايه وما هي بصفات لائقة بالطاغين فلقد صدق عليهم المثل نفس الملوك وحالات المساكين وانما يلائم الطغيان من كان جريئا على عدوه جهيرا برايه واثقا بامره

والمجرور متعلق بيمدهم ويعمهون جملة حالية

(اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) الاشارة الى من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وما عطف على الصلة من بقية صفاتهم . وفصلت الجملة عن التي قبلها لان التي قبلها من فعل الله تعلى ومضمون هذه من افعالهم فبينهما شبه كمال الانقطاع واسم الاشارة هنا غير مراد به ذات مشار اليها وانما اريد به من اجتمعت فيهم الصفات الماضية فانكشفت احوالهم حتى صاروا كالحاضرين وقد وجه شراح الكشاف فصل هذه الجملة بوجوه ضعيفه وهي على تفاوتها في القرب والبعد من السياق قد اتسقت فيما اصطفيناه انم اتساق. وليس في اسم الاشارة اشعار ببعد او قرب حتى تفيد تحقيرا ناشئا عن البعد لان لفظ اولئك من اسماء الاشارة الغالبة في كلام العرب فلا عدول فيها حتى يكون العدول لقصد ولان المشار اليه هنا غير محسوس حتى يكون له مرتبه معينه ويكون العدول عن لفظها لقصد معنى ثان. والاشتراء افتعال من الشري وشرى بمعنى باع فاشترى بمعنى ابتاع فاشترى وابتاع مطاوعة اشاروا الى ان فاعله هو الذي قبل الفعل اي اخذ ما به عوض البيع والاشتراء والابتياع اخذ الاشياء بدفع عوض فكل مبتاع هو بائع وكل مشتر هو شار باختلاف الاعتبار اما اعتبار الجهة الاخذة للمرغوب الباذلة للزائد واما اعتبار الجهة الاخذة لما به الانتفاع الباذلة للنقد . وقد ذكر كثير من اللغويين ان شرى وان كان بمعنى باع الا انه قد استعمل بمعنى ابتاع كثيرا وهذا مشهور بين الفقهاء والمؤلفين وعندي انه غير صحيح الا باعتبار ان كل بائع فهو مشتر والشراء هنا مجاز مرسل مراد به معنى الاستبدال لانه لازم للشراء او لانه مطلق استبدال والشراء استبدال مقيد فالعلاقة الاطلاق والتقييد وهو مجاز شائع قال الحماسي

انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء يشرينا

اي يستبدلنا وقال عنترة بن الاخرس المعني :

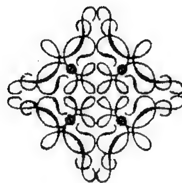
ومن ان بعت منزلة باخرى حللت بامرة وبه تسير

اراد ان استبدلت مكانا بغيره سرت عن رأيه والموصول في قوله الذين اشتروا تعريفه كتعريف المحلى بلام الجنس اذ ليس ثمة فريق عهدوا بانهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالوجه ان هذا الموصول بمنزلة لام الجنس اي المتحدث عنهم هم جنس المشترين فلا تفيد الآية قصرا.

(فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) رتبت الفاء عدم الربح المعطوف بها ونفي الاهتداء على اشتراء الضلالة بالهدى لان كليهما ناشيء عن الاشتراء المذكور في الوجود والظهور لانهم لما اشتروا الضلالة بالهدى فقد اشتروا ما لا ينفع وبذلوا ما ينفع فلا جرم ان يكونوا خاسرين وان يحقق انهم لم يكونوا مهتدين فعدم الاهتداء ونحوه وان كان سابقا على اشتراء الضلالة بالهدى او هو عينه او هو سببه الا انه لكونه عدما فظهوره للناس في الوجود لا يكون الا عند حصول اثره وهو ذلك الاشتراء فاذ ظهر اثره تبين للناس المؤثر فلذلك صح ترتيبه بفاء الترتيب فاشبه العلة الغائية ولهذا عبر بما كانوا مهتدين دون ما اهتدوا لان ما كانوا ابلغ في النفي لاشعاره بان انتفاء الاهتداء منهم امر متأصل

سابق قديم فكان نفي الكون في الزمن الماضي انسب بهذا التفريع . والربح هو نجاح التجارة ومصادفة الراغبين في السلع باكثر من الاثمان التي اشتراها بها التاجر ويطلق الربح على المال الحاصل للتاجر زائد على راس ماله وبفيه في الاية تمثيل لحال المنافقين اذ قصدوا النفاق لغاية فاخفقت مساعيهم وضاعت مقاصدهم بحال التجار الذين لم يحصلوا من تجارتهم على ربح فلا التفات الى راس مال في التجارة حتى يقال انهم اذا لم يربحوا فقد بقي لهم نفع راس المال حتى يجاب بان نفي الربح يستلزم ضياع راس المال لانه يتلف في النفقة من القوت والكسوة لان هذا كله غير منظور اليه اذ الاستعارة تعتمد على ما يقصد من وجه الشبه فلا تلزم المشابهة في الامور كلها كما هو مقرر في البيان وانما اسند الربح الى التجارة حتى نفاه لان الربح لما كان مسببا عن التجارة وكان الرابح هو التاجر صح اسناده للتجارة لانها سببه فهو مجاز عقلي وذلك انه لو لا الاسناد المجازي لما صح ان ينفي عن الشيء ما يعلم كل احد انه ليس من صفاته لانه يصير من باب الاخبار بالمعلوم ضرورة فلا تظن ان النفي في مثل هذا حقيقة نظرا الى ان انتفاء الربح عن التجارة واقع ثابت فانها لا توصف بالربح وهكذا نقول في نحو قول جرير : وما ليل المطي بنائم بخلاف ما ليله بطويل والحاصل انك تنظر في النفي الى المنفي لو كان مثبتا فان وجدت اثباته مجازا عقليا فاجعل نفيه كذلك والا فاجعل نفيه حقيقة لانه لا ينفى الا ما يصح ان يثبت وهذه هي الطريقة التي انفصل عليها العلامة التفتزاني في المطول وعدل عنها في حواشي الكشاف وهي امثل مما عدل اليه

وقوله (وما كانوا مهتدين) الاهتداء فيه مطلق بمعناه اللغوي وهو معرفة الطريق الموصل الى المقصود وليس هو بالمعنى الشرعي المتقدم في قوله اشتروا الضلالة بالهدى فلا تكرير في الاية ومعنى نفي الاهتداء كناية عن اضاعة القصد اي انهم اضاعوا ما سعوا اليه ولم يعرفوا ما يوصل لخير الآخرة ولا ما يضر المسلمين وهذا نداء عليهم بالسفه في الرأي والخرق وهو كما علمت فيما تقدم يجري مجرى العلة لعدم ربح التجارة مشبه سوء تصرفهم حتى في كفرهم بسوء تصرف من يريد الربح فيقع في الخسران بقوله وما كانوا مهتدين تمثيلية ويصح ان يوخذ منها كناية عن الخسران واضاعة كل شيء لان من لم يكن مهتديا اضاع الربح واضاع راس المال بسوء سلوكه



الحديث الشريف

كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

من صحيح البخاري

باب لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق وهم اهل العلم

حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسمعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم امر الله وهم ظاهرون

الشرح

ان الله تعالى وضح طريق الهداية وجعل اتباع الرسول عليه دليلا فاقر له اهل التقوى وآمنوا به وبرسوله ولم يتخذوا من دون الله وكيلا وايدهم بروح منه لما رضوا بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وكنزا ثمينا واقام سبحانه في ازمنة الفترات من يكون لبيان سنن المرسلين كفيلا واختص هذه الامة بانه لا تزال فيها طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلا يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الاذى ويحيون ما درس من السنة المثلى فهم احسن الناس هديا واقومهم قيلا واعتصموا بحبل الله المتين واجتمعت كلمتهم على نصرة هذا الدين وحسنت سيرتهم بين العالمين فبشرهم ربهم بالجنة ورضوانه لا يرضون عنهما بدلا كيف لا والاعتصام بحبل الله المتين قد امر الله به في كتابه المبين فقال وهو اصدق القائلين :

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقد عقد الامام البخاري في صحيحه هذا الكتاب وترجمه بكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

والاعتصام افتعال من العصمة وهي المنعة في كلام العرب والعاصم المانع واعتصم فلان بالشيء اذا استمسك به في منع نفسه من الوقوع في الآفات ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام مع زليخا : ولقد راودته عن نفسه فاستعصم

والحبل معروف وكل سبب يوصل الى شيء فهو حبل واستعماله في الامور المعنوية من باب الاستعارة

وقد تعددت كلمة المفسرين في المراد به في الآية الشريفة فنقل عن حبر هذه الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه العهد

وقيل المراد به الدين وصدر به القاضي البيضاوي وقيل المراد به القرآن لما روي عن الامام علي كرم الله وجهه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين

وقيل المراد به جماعة المسلمين بقرينة قوله تعالى : ولا تفرقوا

وقال الفخر الرازي المراد به كل ما يمكن التوصل به الى الحق في طريق الدين وذلك انواع كثيرة وقد ذكر كل مفسر واحدا منها والتحقيق ان كتاب الله ـ وعهده ودينه وموافقة جماعة المؤمنين حرز لصاحبه من السقوط في جهنم

فالاعتصام مستعار للوثوق بالله تعالى والاستعانة به والالتجاء اليه والحبل مستعار للعهد وهو ما تقلده المؤمنون من الايمان والطاعة قال في الكشاف في بيان معنى الآية : والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه ويكون معنى هذه الآية كالذي قبلها وهي قوله تعالى : ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم

فالاعتصام بحبل الله هو الاستمساك به تعالى ومنع النفس من الكفر والعصيان والاجتماع على الحق. وقوله ولا تفرقوا هو نهي عن الاختلاف وكل ما يؤدي الى الخصومات ويوقع في المعاداة ويفضي الى الفرقة ويزيل الالفة والمحبة فهي أمور من شأنها ان تزيل الجامعة او تضعفها كما قال تعالى في الآية الاخرى : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . ومناط النهي الامور التي تؤدي الى الافتراق ويزول معها الاجتماع والالفة فاذا تجنبها الانسان سلم من شرها . قال العلامة ابن خلدون الخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن نزعهما وانما يتعلق التكليف بأسباب حصولهما فيتعين السعي في اكتساب الخير باسبابه ودفع اسباب الشر والمضار

ويظهر من ترجمة البخاري انه يرجح ان يكون المراد بالحبل الدين فان الكتاب والسنة هما الطريق الموصل اليه ومصدره

وقد ساق البخاري في هذا الكتاب حديث الباب وعنون له بباب « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم اهل العلم » هذا العنوان مقتبس من لفظ الحديث الذي خرجه الامام مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه

وهذا الحديث خرجه البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه خرجه في علامات النبوة وخرجه في كتاب الاعتصام . وخرجه في كتاب العلم وخرجه مسلم والترمذي والحاكم والامام احمد رضي الله عن جميعهم من طرق مختلفة وباسانيد متعددة ورواية البخاري في هذا الكتاب عن شيخه عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي وهو من كبار شيوخ البخاري ومن اتباع التابعين وهو يرويه عن شيخه اسمعيل ابن ابي خالد التابعي وهو يرويه عن شيخه قيس بن ابي حازم وهو من كبار التابعين وهو مخضرم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم تثبت له صحبة وهو يرويه عن المغيرة بن شعبة الصحابي المشهور رضي الله عنه ورجال السند كلهم كوفيون حتى المغيرة رضي الله عنه فانه ولي امر الكوفة غير مرة وكانت وفاته بها

قال صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين الطائفة الجماعة الكثيرة وقد عبر عنها في الرواية الاخرى بالامة والقوم والعصابة وهي وان اختلفت في اللفظ فمدلولها متقارب والمعنى لا تزال جماعة من أمتي ظاهرين والظهور العلو والغلبة فيكونون متعاونين على الحق . وقوله على الحق هو كما في الرواية الاخرى على امر الله اي مستمسكين بامر الله وهو دينه الحق

والحق في الاصل ضد الباطل ويشمل الدين القويم والقرآن العظيم فان الكل حق وامر الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وقد امرنا في دين الله ان نجهر بالحق وندعو الناس اليه ونقاوم من يتجرأ عليه بالقول والفعل ولا نترك الناس ينتصرون للباطل ورغبنا القرآن في التواصي بالحق والصبر عليه قال تعالى : والعصر ان الانسان لفي خسر الّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . قال ابن قيم الجوزية في سفر السعادة قال الشافعي رضي الله عنه لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم وبيان ذلك ان المراتب اربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله احداها معرفة الحق الثانية عمله به الثالثة تعليمه من لا يحسنه الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه فذكر في هذه السورة المراتب الاربعة واقسم سبحانه بالعصر ان كل احد في خسر الا الذين آمنوا وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة اخرى وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا وهذه مرتبة ثالثة وتواصوا بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه مرتبة رابعة وهذه نهاية الكمال فان الكمال ان يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره وكماله باصلاح قوتيه العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالايمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه اياه والصدق في ذلك وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل فهذه مراتب الكمال ومن حاد عن جميعها لا جرم ان يكون من الخاسرين .

وقد صح ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اذا اجتمع اثنان منهم لم يفترقا حتى يقرأ احدهما على الآخر هذه السورة الى آخرها ثم يسلم احدهما على الآخر . وذلك ليذكر صاحبه بما اشتملت عليه خصوصا التواصي بالحق والتواصي بالصبر (١)

وظهور طائفة المسلمين التي على الحق يكون بتمسكهم بغلبة الباطل والعلو على أهل الفساد وذلك يحصل باحد امرين اما بتمسكهم بدينهم واعتصامهم بالحق الذي هم عليه وعدم اتباع اهل الاهواء والركون للذين ظلموا وان كانوا اشد منهم بأسا واكثر منهم نفرا فلا يخشونهم ولا يخافون بطشهم ولا يتبعون اهل الكفر والفساد

واما بالضرب على ايدي المفسدين وقهرهم حتى تكون كلمة الحق هي العليا ويسلم الناس من شرور اهل الباطل والفساد

قال الله تعالى : ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين . فالله سبحانه جلت حكمته يدفع اهل الفساد بآخرين هم اهل الصلاح ليردوهم عن غيهم

قال الامام الرازي قد ذكر الله المدفوع والمدفوع به فقوله تعالى : ولولا دفع الله الناس بعضهم اشارة الى المدفوع وقوله (ببعض) اشارة الى المدفوع به واما المدفوع عنه فغير مذكور في الآية فيحتمل ان يكون الشرور في الدين ويحتمل ان يكون الشرور في الدنيا ويحتمل ان يكون مجموعهما وذكر خمسة اوجه بحسب كل من من هذه الاحتمالات لبيان كيفية الدفع

والاوجه منها ان يكون المدفوع عنه جميع انواع الشرور بما يشمل الكفر والعصيان والهرج وتعدي الناس بعضهم على بعض

وعليه فيكون المدفوع بهم هم الانبياء وامراء العدل وأئمة الهدى والقائمون بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاة المنصوبون للضرب على المفسدين وكل من يقاوم اهل الباطل افرادا وجماعات والمدفوعون هم اهل الفساد بصفة عامة ومطلق اهل الشرور

ولما كان الفساد يصدر تارة عن الجهل وسوء الفهم واحيانا عن غلبة الهوى وتحقيق الحظوظ ومرة عن فساد في الطبع وسوء القصد كانت طرق الاصلاح متعددة بحسب اختلاف الاسباب

اولها النصح والارشاد وثانيها الضرب على ايدي المفسدين وعدم التغاضي عنهم وصدهم عن اتباع الهوى وثالثها عقوبة المجرم لا فرق بين عظيم وحقير

فمن كان يعمل السوء بجهالة اسرع الى قبول النصيحة وبادر الى الاقلاع والانابة ومن كان مصرا على خطيئته اخذ بذنبه

وبهذا يتبين ان امر الارشاد عظيم واثره حميد ضرورة ان عليه شطر الاصلاح الديني والمدني

(١) انظر الالوسي جزء ٩ صحيفة ١٤ طبعة بولاق

بيد انه لا يفي بالمطلوب الا اذا وجد مؤيدا من ارباب السلطة والنفوذ. فاذا تعاون الجميع على الدفع والاصلاح امكن نشر الحق والفضيلة بين الناس وقد علمنا ان وازع الدين والمروءة لا يقومان وحدهما بصلاح الكافة فلذلك جعل الله تعالى لحفظ النظام العام وازع السلطان الذي يقوم بتنفيذ احكام الشرع

وقوله صلى الله وسلم : لا يضرهم من خذلهم اي لا يضرهم من يتبع سبيلا غير سبيل الحق ويستنكف عن مناصرتهم ما داموا دائبين على الهدى عاملين على اعلاء كلمة الله يقيمون شريعة الاسلام ويحفظونها من عبث المخالفين

وقوله صلى الله عليه وسلم (حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) فسر جماعة من شراح الحديث ذلك بقيام الساعة معتمدين على ما رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة

لكن قد جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو في مسلم قال صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق وهم شر من اهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء الا رده عليهم . فعارضه عقبة بن عامر رضي الله عنه بما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسلم ايضا : لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة . فقال له عبد الله اجل ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الايمان الا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة

ومن ثم قال الامام النووي رحمه الله المراد بأمر الله هو الريح وتأول قوله حتى تقوم الساعة بالقرب

وقد تعددت اقوال العلماء في تعيين هذه الطائفة فقال البخاري هم أهل العلم وهو ما ذكره في آخر ترجمة الباب وقال الترمذي سمعت محمد بن اسمعيل البخاري يقول سمعت علي بن المديني يقول هم اصحاب الحديث وهذا ليس قولا ثانيا للبخاري بل هو نقله عن ابن المديني وروى الحاكم عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال ان لم يكونوا اهل الحديث فلا ادري من هم . قال القاضي عياض اراد احمد اهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب اهل الحديث

وهذان الحملان متقاربان في حمل الطائفة على الجماعة المتمسكة باحكام الدين المحافظة على شريعة الاسلام المعتصمة بالكتاب والسنة

ولكن قد جاء في وصفهم انهم يقاتلون على الحق كما في رواية عقبة بن عامر المتقدمة

فالظاهر ان يكون في الامة من يقوم بحفظ الدين وهم ائمة الهدى وفيها من يقوم بأمر الدفاع عن بيضة الاسلام فمنهم من يدافع عن الاسلام باللسان ومنهم من يدافع عنه بالسلاح

ودخول ائمة الهدى في الطائفة ترشد اليه آية الاعراف وهي قوله تعالى : وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون . كما يرشد حديث عقبة بن عامر الى دخول اهل الحل والعقد واصحاب السلاح واعتبار الجميع هو ما تفيده عبارة الامام النووي حيث قال :

يحتمل ان تكون هذه الطائفة مفرقة بين انواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومحدثون وزهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم انواع أخرى من اهل الخير قال ولا يلزم ان يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يكونوا متفرقين في أفطار الارض

وبهذا نعلم معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، إن المجدد لا يلزم أن يكون شخصا واحدا حتى يحتار فيمن هو فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا تنحصر في نوع وخصال الاصلاح قل ان تجتمع في شخص

قال الحافظ بن حجر في الفتح حمل بعض الائمة الحديث على أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط بل يكون الامر فيه على معنى يبعث جماعة توفرت فيهم دواعي الاصلاح قال وهو متجه فأن اجتماع خصال الخير والاصلاح لا يلزم أن تتحقق في شخص واحد الا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه كان قائما بالامر على رأس المائة الاولى ومن ثم أطلق الامام أحمد ابن حنبل انهم كانوا يحملون الحديث عليه

قال واما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن قائما بأمر الجهاد والحكم بالعدل فعلى هذا كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا

هذا وفي سوق البخاري هذا الحديث المبارك في كتاب الاعتصام من حيث أن هذه الامة الفاضلة لا تزال فيها طائفة متمسكة بحبل الله المتين إلى أن يأتي أمر الله وفيه وعد من الصادق الامين لامته أنها ما دامت على الحق متمسكة به فإنه لا يضرها من خالفها ولا يغلبها من يريد بها سوءا

وبشارة منه عليه الصلاة والسلام بقيام هذا الدين إلى أن يأتي أمر الله وإن قل الناصر وعاد غريبا كما بدأ أول مرة

وتصريح بخاصية مما خص الله به أمته عليه الصلاة والسلام ببقاء جماعة من اهل الحق ظاهرين هادين مهتدين وهو وإن حصل لبعض الامم إلا أنه انتهى بانتهاء شريعة الرسول المرسل اليهم

نقل الالوسي عند تفسير قوله تعالى (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) عن قتادة رضي الله عنه قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأ هذه الآية هذه لكم وقد اعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون

فكانت خاصية هذه الامة في البقاء إلى آخر الزمان، كم هي بشارات النبي صلى الله عليه وسلم وماذكره مما تفضل به رب العزة جل جلاله على أمة رسوله وحبيبه وصفيه ولا نطيل في تعدادها فأمرها مشهور ويكفينا منها حديث التسبيح، الذي ختم به الامام البخاري هذا الصحيح (انتهى)

محمد الشاذلي بن القاضي

الفتاوى والاحكام

مسالة اقامة السدود على الاوديـة

في حدود سنة ١٢٧٥ حدث خلاف في شأن الري بوادي نبهانة وهو واد يتكون من جبل زغوان ويمر جنوبا إلى جهة الجبيبنه ثم يدخل عمل القيروان فيسقي هنشير سيسب المشهور وينصب إلى هنشير العلم حيث يتفرق جداول

ويظهر وجه هذا الخلاف من نص السؤال وقد عرض السؤال من طرف الدولة التونسية على ثلاثة من أعلام الشريعة يومئذ هم المقدسون شيخا الاسلام سيدي محمد بيرم الرابع وسيدي أحمد ابن حسين القمار الكافي والمفتي الشيخ سيدي محمد البنا فأجابوا بما يراه القاري مسطورا نقلا عن خطوط ثلاثتهم

نص السؤال الرسمي

واد بنواحي القيروان مجاور لهنشير سيسب والجبيبنة فإذا جاء السيل وجرى الوادي انصب الماء بهنشير سيسب فسقاه وهذا الانصباب ليس لاهلي سيسب عمل فيه بل اقتضاه الانحدار الطبيعي للماء لانخفاض ذلك الهنشير فرام أهل هنشير الجبيبنة أن يتخذوا سدا مما يلي هنشير سيسب ويحولوا جريان الماء إلى هنشيرهم فهل لهم ذلك أو لا ؟

الجواب الاول

إن التصرف في النهر الغير المملوك مباح بشرط عدم الاضرار فان كان التصرف مضرا منع منه صاحبه ولكل احد ولاية المنع هذا نص المذهب المدون في متونه وشروحه . وحيث كان السد مضرا بأهل سيسب فلهم المنع منه شرعا إعمالا للنص المذكور اعلاه القائل ان لكل أحد ولاية . والله تعالى أعلم . وكتبه محمد بيرم المفتي الحنفي بتونس لطف الله تعالى به وحرسها

الجواب الثاني

بعد حمد الله والصلاة والسلام على أفضل خلق الله وعلى آله وصحبه

إن الامر إذا كان كما ذكر فليس لاهل الجبيبنه أن يحدثوا سدا يقطع جريان الماء إلى سيسب لان الاصل في الماء الذي لا ملك لاحد عليه أن يترك لمن مال اليه لانه رزق ساقه الله اليه . وفي سماع عيسى من كتاب السدود والانهار من قول ابن وهب وابن القاسم ما نصه : وسئل ابن وهب عن القوم يكون لهم مرج يزرعون فيه وللمرج واد فإذا كانت السيول سقى مرجهم وان ذلك الوادي انصرف عن موضعهم إلى مرج غيرهم هل يحل لهم أن يسدوا مصرف الوادي عن مرج الآخرين حتى يرجع اليهم ؟ قال إن كان الماء قد دخل أرضهم قبل أن ينصرف فهم أولى به حتى يسقوا ما عندهم به ثم يسرحوا الفضل إلى إخوانهم حتى يسقوا ما عندهم وإن كان الماء انصرف عنهم قبل أن يدخل شيئا من

أرضهم فلا أرى لهم أن يقطعوه على إخوانهم إلا أن يكون فيه سعة لهم جميعا لان الماء غيث يسوقه الله إلى من يشاء وقد قال الله تعالى (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا) يريد المطر فإذا صرفه الله إلى قوم فلا ينبغي لاحد أن يقطعه عنهم . وقال ابن القاسم مثله انتهى نص السماع على نقل بعضهم رحمه الله . ثم قال وقبله ابن رشد قائلا هذه مسألة صحيحة بينة قال ونقل اللخمي نحوه عن المجموعة فقها مسلما ونقله ابن عرفه وسلمه .

ومحل الاستشهاد لنازلتنا قوله وإن كان الماء انصرف عنهم الخ .

وفي أول نوازل المعاوضات من المعيار ما نصه: سئل عن أهل قرية أرادوا رفع ساقية من الوادي الجاري بأرضهم ومن تحت موضعهم برفع الساقية بمقدار ميلين ساقية قديمة مرفوعة من الوادي المذكور فأراد أصحابها منعهم للضرر اللاحق بهم فأجاب : إحداث هذه الساقية إن كان يضر بأهل الساقية السابقة منعوا من إحداثها ولا يكون ذلك الا برضى منهم قاله محمد الحفار . انتهى . هذا ما حضرني والله تعالى أعلم وبه التوفيق . كتبه الفقير إلى رحمة الله أحمد بن حسين القمار المفتي المالكي بمحروسة تونس كان الله له آمين

الجواب الثالث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيء بعده

وبعد فالجواب أن الهنشيرين إذا كانا متجاورين وليسا متقابلين وأحدهما أعلى أي قريب من الماء والآخر أسفل أي بعيد من الماء والماء غير متملك فالاعلى أحق بمقدار كفايته ثم يرسل فضل الماء على الاسفل وهذا فيما إذا أحي مالكا الاعلى والاسفل معا أو أحي مالك الاعلى قبل الاسفل فإن أحي مالك الاسفل قبل الاعلى فالاسفل أحق بقدر كفايته ثم يرسل فضل الماء على الاعلى هذا نص العتبيه وبه أفتى ابن رشد في نوازله فإن كان الهنشيران متقابلين قسم الماء بينهما إن استويا في الاحياء وإلا فالمتقدم منهما أحق بقدر كفايته . والله أعلم وكتبه محمد البنا المفتي المالكي بتونس

الحضارة الاسلامية

في صقلية

جاء التاريخ يعيد نفسه ويحي لسواحل البلاد التونسية مفاخر سيادتها على البحر المتوسط لما تحركت منها مراكب الحلفاء لفتح جزيرة صقلية تستنشق من مد البحر المتوسط وجزره ذكريات المراكب التي دفعت بها رياح النصر منذ نحو من الف ومائتي عام بين راس ادار وسرقوسة .

فكان حقا على هذه الذكريات ان تهز الاقلام الملامسة لصحف التاريخ فتطلع على قرائها باستعراض هذا الاتصال القديم بين افريقية وصقلية وترسل ضياء ينير للناس معالم الحضارة الاسلامية في تاريخ صقلية تلك الحضارة المولدة عن الاتصال المحكم الذي ربط العدوتين قرونا طويلة .

كانت جزيرة صقلية من مطامح انظار الغزاة العرب منذ علت بهم السفن الاموية ثبج البحر

المتوسط فلم يزل امراء افريقية يوالون على صقلية غزوات كانت في تاريخهم تعتبر طورا تمهيديا للفتح فقد كان اول من غزاها فاتح افريقية معاوية ابن خديج الكندي فبعث اليها قائده عبد الله ابن قيس الفزاري حوالي سنة ٥٠ للهجرة ولم تزل تغزى بعد ذلك على التوالي حتى دوخت وضعفت عن مقابلة الغزوات العربية فدانت لامارة القيروان واصبحت تؤدي اليها الجزية وكان حصول هذا الطور الاول من انضمام صقلية للامارة الافريقية سنة ١٢٢ على يد البطل ابن الابطال عبد الرحمان بن حبيب بن عقبة بن نافع الفهري .

وبهذا الطور ابتدأ استيلاء المسلمين على جزيرة صقلية فاصبحوا يسيطرون عليها سيطرة المراقبة التي يامنون بها على سلامة الاساطيل العربية من خطر السواحل الصقلية عند سيرها في البحر المتوسط وبذلك زادت رقعة نفوذهم على البحر اتساعا فكان من الطبيعي ان شوكة العرب البحرية كلما قويت زاد الخناق ضيقا على صقلية من قوتها فاقامت صقلية على هذا الوضع تسعين سنة كانت تتهيأ فيها يوما فيوما للاستيلاء النهائي من طرف الاساطيل الاسلامية .

حتى اذا آلت الامارة الاغلبية بالقيروان الى زيادة الله الاكبر ونهض نهضته لانجاز البرنامج العظيم الذي لم يزل عرب افريقية يصبون الى انجازه وهو انشاء السلطنة الاسلامية المحيطة بحوض البحر المتوسط اصبح امتلاك صقلية نهائيا امرا متحتما لتكون المرحلة الاولى للعبور الى القارة الاوروبية وذلك هو الغرض الذي انشأ له زيادة الله اسطوله العظيم واعد له مرسى سوسة ودار الصناعة بها .

وفي سنة ٢١٢ تهيأت لزيادة الله الاسباب لتنهية حالة المهادنة التي كانت بين صقلية والقيروان بما ظهر في جزيرة صقلية من الانقسام بين البطريق الوالي عليها من طرف ملك القسطنطينية وبين قائد الاسطول بها وما ظهر من البطريق من الاستخفاف بشروط الصلح مع المسلمين اذ امتنع من ارجاع اسرى مسلمين وقعوا بيده مع ان شروط الصلح تقتضي ان كل مسلم بصقلية اراد ان يخرج فعليهم رده .

وقد كان هذا الامتناع صريحا على لسان رسل وجههم بطريق صقلية الى القيروان وجمع زيادة الله علماء القيروان لذلك فكان اقواهم بيانا في اعتبار هذا العمل نقضا لشروط الصلح مبيحا لمعاودة الغزو قاضي القيروان اسد بن الفرات وببيانه اخذ زيادة الله فنقض الصلح مع صقلية وامر بغزوها وجعل القاضي اسد بن الفرات امرا على جيش الغزو .

وكان هذا الجيش يتركب من عشرة آلاف مقاتل فيهم تسعمائة فارس وكان ركوبه البحر من سوسة مشهودا حضر له اعيان القيروان واقيمت له مظاهر الاحتفال والتكريم وكان اول نزولهم ارض صقلية بمدينة مازرة على الساحل الجنوبي الغربي لصقلية ومنها تقدموا يستولون على الحصون والقلاع حتى بلغوا مدينة سرقوسة وهي من اعظم مراسي صقلية فحاصروها برا ووصل الاسطول فحاصرها بحرا وكان الحصار طويلا شديدا توفي

اثناءه اسد بن الفرات وانتهى سقوط سرقوسة بعد عامين واستمرت المهاجمات والانتقاضات والمحاصرات والمدافعات بحيث لم تخلص جزيرة صقلية نهائيا للمسلمين الا سنة ٢٢٤ أي بعد ابتداء غزوها باثني عشر عاما وتولى القيادة العامة بعد اسد بن الفرات محمد بن الحواري وتوفي قبل تمام الفتح فولي بعده زهير بن عوف وعلى يده تم الفتح وبدات جزيرة صقلية تنجز ما اراد منها زيادة الله فاصبحت ماوى للاسطول الاغلبي واتخذت قاعدة لفتح جزيرة سردانية وجزيرة قرشقه ومقاطعة قلوريه وهي القطعة الجنوبية من ايطاليا المسماة في لسان الطليان اليوم (كالابري)

بقيت جزيرة صقلية في نظام حكمها ملحقة بالقيروان الحاقا مباشرا فكان الاغالبة يبعثون اليها العمال كما يبعثون الى جهات البلاد الافريقية ولم ينقطع منها دابر الفتن والتمردات فكان عمالها يختارون من رجال الحزم والكفاءة حتى استعمل عليها احيانا بعض امراء البيت الاغلبي وحتى بلغ الامر الى ان الامير ابراهيم بن احمد الاغلبي ملك القيروان باشر بنفسه القيادة العامة بصقلية في بعض الانتقاضات ودخل جنوبي ايطاليا وتوفي هنالك مهاجما لمدينة كسنتة فحمل ميتا الى بلرم ودفن بها آخر سنة ٢٨٩ وفي هذه الاثناء كانت هجرة المسلمين الى صقلية تتوافر والثقافة الاسلامية العربية تسير في طريق الانتشار فكانت القيروان معدن الاستمداد لجميع مظاهر الحياة الاجتماعية الاسلامية التي شملت جزيرة صقلية وكان المسلمون بصقلية كلهم تبعا لاهل القيروان في مذاهبهم الدينية متمسكين بالعقيدة السنية والمذهب المالكي فكان من الطبيعي لما سقطت سلطنة القيروان السياسية بتغلب السلطنة العبيدية المهاجمة لها بقوة البربر وقامت السلطنة الجديدة على اصول اعتقادية مخالفة لما يتمسك به اهل القيروان وقبضت القيروان بيد من حديد منعتها حركة رد الفعل ان يظهر اثر رد الفعل في جزيرة صقلية وقد كانت تتمسك بما يتمسك به القرويون وموقعها وراء البحر يجعلها بعيدة عن قبضة العبيديين فمنذ سنة ٢٩٧ اعلنت صقلية الثورة على عبيد الله المهدي ورفضت الطاعة العبيدية ودعوا الى طاعة الخلفاء العباسيين ببغداد ولم يزل ملوك المهدية خائبين في معالجة الثورة بصقلية الى سنة ٣٣٥ حيث اختار المنصور العبيدي لولاية صقلية احد مشاهير قواده وهو الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلبي فاظهر من الحزم في ضبط الامر والسياسة في استجلاب النفوس ما رجع باهل صقلية الى طاعة ملوك افريقية لا سيما وقد رأوا طمع اهل مقاطعة قلورية في الاستيلاء على جزيرتهم اغتناما للاضطراب وبذلك عظمت قيمة الحسن بن ابي الحسين الكلبي في صقلية وإفريقية ونالت صقلية به وبنيه استقلالا داخليا فكانت ولايتها في آل أبي الحسين الكلبيين يتداولونها تداول ميراث الملك مدة مائة وثلاثين عاما حتى أدركها الاحتلال النورماندي وكانوا راجعين في التبعية العليا إلى الامامة العبيدية بالقاهرة

وقد كانت الحضارة العربية الاسلامية كامل الطور بن الاغلبي والعبيدي مزدهرة بصقلية ازدهارا عظيما وأعظم ما كان هذا الازدهار في عهد الكلبيين فقد كانت صقلية مدة حكمهم مقسمة تقسيما محكما

ومرتبة في توزيع الاعمال واستخلاص الخراج على أساليب لم يزل التقسيم الاداري لجزيرة صقلية مستمدا منها إلى اليوم وكان التقدم الاقتصادي في عهد العرب بالغا نهايته بسبب نشاط الفلاحة والصناعة ورسوخ العلائق التجارية المأمونة بين صقلية وبين مملكة القيروان التي هي سيدة طريق التجارة بين المشرق والمغرب وقد كان اختلاف الاصقاع التي ينتمي اليها العرب المهاجرون الى صقلية معينا على أمداد الجزيرة بأصول نتائج فلاحية مختلفة لم تكن معروفة فيها من قبل فقد نقلت اليها شجرة القطن من الشام ومصر وقصب السكر من طرابلس والفستق من الجريد وترة طرق ري الاراضي باتخاذ الحنايا ولم تكن معروفة من قبل بصقلية

وفي الصناعة اشتهرت صقلية باتقان نسج الحرير وصبغه ويقدر كثير من المؤرخين ان اهل اروبا تلقوا هذه الصناعة من صقلية في القرن الثاني عشر مسيحيا وفي عهد الحكم العربي استخرجت من صقلية معادن الفضة والحديد والنحاس والكبريت والرخام والملح والصوان والنشم

وكان المسلمون فيها يعيشون إلى جنب أهلها من النصارى الذين بقيت لهم حرية التقاضي لدى رؤسائهم في أحوالهم الشخصية وبقيت القاب حكامهم على ما كانت عليه في عهد التبعة البزنطنة وبقيت لهم كنائسهم التي كانت موجودة قبل الفتح الاسلامي ولم يكن مفروضا عليهم غير الجزية الشرعية التي كان مقدارها أقل بكثير مما كان مفروضا عليهم وعلى غيرهم من أهل السلطنة البيزنطية . كل هذا التسامح الاسلامي كان مجتمعا إلى روح دينية قوية وعناية كافلة بإظهار شعائر الدين وتعظيمها فقد بلغ عدد المساجد ببلرم وحدها ثلاثمائة في كل مسجد معلم للقرآن ومعلم القرآن لا يكلف الخروج إلى الجهاد عند مصادمة العدو ولعل هذه الكثرة في المساجد هي التي جعلت الصومعة شعارا لصقلية فقد ذكر بعض مؤرخي الافرنج ان راية مسلمي صقلية كانت خضراء في وسطها صورة صومعة سوداء وكان المسلمين بصقلية مفنون ورئيس الفنيا وممن عرفنا من رؤساء الفنيا احمد بن الجزار وابو القاسم السرقوسي وعبد الحق الصقلي ولا شك ان رسوخ الدين وانتشار القرآن يقتضيان رواج العلوم الاسلامية وتمكن الادب العربي فلذلك اصبحت صقلية صقعا شهيرا من اصقاع العلوم الاسلامية مقصودا لاهل العلم فكان بعض الاندلسيين يرحل الى صقلية لاخذ العلم عن رجالها وكانت رحلة العلماء اليها من اطراف بلاد الاسلام شائعة فمن اشهر من رحل اليها صاعد بن الحسن الربعي البغدادي الاديب المتوفى بها سنة ٤١٧ ومنهم علي ابن حمزة البصري راوية أبي الطيب المتنبي توفي بها سنة ٣٧٥ ومنهم علماء الادب بالقيروان أبو الحسن ابن رشيق وأبو جعفر بن شرف

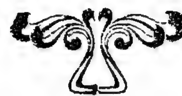
كما أمدت صقلية عالم الفكر الاسلامي والادب العربي بأعلام لم يحدد صنيعهم شرق ولا غرب فمن أعلام الفقه الامام المفرد أبو عبد الله محمد المازري دفين المنستير المتوفى سنة ٥٣٦ ذو الصيت البعيد والاثر الخالد في التآليف القيمة والامام الشهير محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي صاحب كتاب الجامع في الفقه المالكي توفي سنة ٤٥١ والفقيه الكبير عبد الحق

ابن محمد الصقلي المتوفى بالاسكندرية سنة ٤٦٦ والقاضي عمر بن خلف الصقلي دخل تونس وولي قضاءها سنة ٤٦٤ من أعلام الساسة القائد العظيم جوهر الصقلي فاتح الشرق للعبيديين ومنشيء مدينة القاهرة ومن الادباء من لا يحصى كثرة ولا يفاضل شهرة حتى أن أبا القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع المتوفى بمصر سنة ٥١٠ الف كتابا سماه الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة اشتمل على مائة وسبعين شاعرا وعلى عشرين الف بيت وأشهر شعراء صقلية عند اهل الادب اليوم عبد الجبار بن حمديس الذي خرج من صقلية سنة ٤٧١ وتنقل بين الاندلس وبجاية وإفريقية وتوفي سنة ٥٢٧ وشعره سيار على السنة الادباء وهو مطبوع في ديوان نشر مرتين في ايطاليا وقد هام في شعره بوطنه صقلية وتفنن في وصف ملذات شبابه بها وهو القائل :

ذكرت صقلية والاسى ... يجدد للنفس تذكارها
فإن كنت أخرجت من جنة ... فإني أحدث أخبارها
ولو لا ملوحة ماء البكا ... حسبت دموعي انهارها

(للبحث بقية)

محمد الفاضل ابن عاشور



تحياة التعليم

نفتتح هذا الباب من ابواب المجلة بمقال بديع كان كتبه للمجلة العلامة الكبير الاستاذ سيدي محمد الحجوي بمناسبة ذكرى مرور مائة سنة على تنظيم التعليم بجامع الزيتونة وقد حال تاخر وصوله عن الآن دون نشره في ذلك الوقت فاحببنا ان لا يحرم المطالعون منه لما لهذا الفصل من القيمة العالية وقد كتبه منشئه الجليل اعتناء بشانهم على وفرة اشغاله وبعد الشقة بينه وبينهم فحيي الله همة الاستاذ رئيس المجلس الشرعي ولا قطع عن المجلة صوب قلمه

❀ ❀ ❀

تحية القرويين

للزيتونة

مضي مائة سنة على نظام الزيتونة

شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء

لا يتاح للمرء في حياته ان يعالج موضوعا من الكتابة تستلذه نفسه ويجري فيه قلمه بنشاط وانبساط الا قليلا لقلة ما في الحياة من فرص اوقات السرور ويعلم الله سروري اليوم حينما دعيت الى الكتابة حول مضي مائة سنة على نظام جامع الزيتونة عمره الله واني رغم كثرة الاشغال الغالبة امسك القلم لاخوض هذا المظمار بدافع مالي من

العواطف الطيبة نحـو هـذه الجـامعة المزدهرة واعلامها النجوم الزاهرة واذا قصرت في هـذا الموضوع الذي يستلزم الافاضة والاطالة فاوقـات السرور قصيرة ؛كيف لا اضمر لهذا الجـامع ورجالـه عواطف تقدير واخلاص وقـد جلست غير مرة للاملاء فيه بين اعلامه وطلابه فلم اجـد نفسي الا بين اخوان وخلان ؟اني عرفتهم وعرفوني منذ يوم (الست بربكم) اخلاق فاضله وتـواضـع كامل وشيم طاهرة طبعوا على الانصاف وذلك خلق هو عنقاء مغرب في هذا المغرب . وجبلوا على الفضيلة وهي سر الحياة في كل الامـم وعلى علم تفجرت عناصره ، وشدت بالنظام اواصره فأحرى بها جامعة أن تقام الذكرى لاطوار حياتها ويشاد بذكـرها بين اخواتها .

جلست للاملاء بين اعلام هذه الجامعة يحوطني منهم العطف المـتناهي ويونسني منهـم الانصـاف والتواضع وقد أدركت ان العلم لا وطن لـه ولا حدود له غير الاخلاق وادركت سر مـا يتحدث عنه التاريخ من صـلات المعهدين العلمية التي لم تنقطع والتي عادت على البلدين بالخيـر العميـم واخـذت مخيلتي تستعرض جـزئيات الاتصـال العلمي والسياسي التي سجلها التاريخ فتـوردشيئا لا يأتي عليه الحد ولا يستقصيه العـد وكانـه عقد منضد في جيد تاريخ البلدين قد اختيرت لآليـه وضمت الى بعضها باحكام ونظام فنظرت الى وفود القيروان وقد ساروا يقطعون بلاد افريقيا قاصدين الامام ادريس ليعمروا شطرا من عاصمته الفتيـة (فاس) بعدوة القرويين وشيدوا جامعها العظيـم الذي لا زال يحمل واسمهم الى اليوم بايديهم واموالهم وتشخصت مجالس ابي عمـران ابن ابي حاج الفاسي المتوفى سنة ٤٣٠ يعطر بها جو جامع القيروان فيحمل علم فـاس الى تونس ثم يـرد للمغرب ما تزوده بها من علم على يد المغاربة الواردين عليه فينشا فيما نشا عن هذا التبادل الطيب ما هو معلوم في التاريخ من قيام الدولة المرابطيه بالمغرب على يد تلميذه عبد الله ابن ياسين ، ثم اتذكر دخول عبد المومن بن علي الموحدي الى البلاد التونسيـة لانقاذها من يد النرمان سنة ٥٥٥ (المتغلبين على صقلية) ودخول ابي الحسن المريني اليها سنة ٨٤٨ في ازيد من اربعمائة عالم من علماء المغرب فيهـم امثال الشيخ محمد بن سليمان السطي ومحمد بن الصباغ المكناسي وابي العباس الزواوي وكلهم نشروا علما وتزودوا من ءاخر ودخـل على ذلـك العهد تونس كذلك الشيـخ محمد بن عبد الرزاق الجزولي والشيخ محمد بن سعيد الرعيني ودخل فاسا من تونس امثال عبد الرحمن بن خلـدون فيلسوف التاريخ وكثيرا ما ينقل اصحاب التراجم في التمثيل بسعة العلم وقوة العارضة وصفهم دروس عبد العزيز العبدوسي الفاسي بتونس عند ما دخلها سنة ٨١٧ وانكباب الناس عليه ونشره للعلم الغزير ونظيره محمد بن ابي الفضل المدعو خروف التونسي الذي دخل فاسا فجدد بها سند العلوم المعقولة والمنقولـة واخذ عنه جلة من علماء القرويين كما اخذ هـو عمن ادركهم بها من الاعلام وتوفي سنة ٩٦٦ ولو عرضنا سـرد امثـال هـذه الصلات لضاقت عنها المجلدات وانما هذا محض تمثيل لتلك السلسلة من

الصلات المتصلة ولا زالت الصلات العلمية والسياسية ذلك وقد شاهدت من بعد ذلك تتصل بين القطرين الشقيقين ووفود الامام سيدي ابراهيم الرياحي في سنة ١٢١٨ في جماعة من اعيان تونس على عالم السلاطين وسلطان العلماء ابي الربيع مولاي سليمان لم يكن بعهد منا وبلاط السلطان ابي الربيع اذ ذاك يزخر بالاعلام وتبودلت هناك الافادات والاجازات بين الطرفين وقد ورث هذا الجيل والحمد لله تراث تلك الصلات التي وضع الاسلاف اساسها فاصبح بين القطرين الآن من الاتصال العلمي والادبي مالم تزل المشاهدة تغني في شانه عن البيان وفي المشاهدة اقوى بيان .

أجل ان جامع القرويين بالمغرب وجامع الزيتونة بتونس قد كانتا في ذلك كله مركزي الجاذبية وقطبي الدايرة وكان ولا زال الفضل لهما في انعاش تلك الصلات وتغذية تلك العلاقات بمادة الاخاء العلمي والالفة الادبية وقد حق للقرويين اليوم وقد مضى على نظام أختها الزيتونة قرن كامل من حياته ان تشاطر باقلام رجالها في الاشادة بهذه الذكرى والتنويه بنجاح ذلك النظام

مضى على نظام هذا الجامع مائة سنة ولست ارى من سر خاص في الاحتفال بمضي المائة او او الالف واقامة الذكرى لمضي السنين الطوال على مشروع من المشروعات وليس مضي السنين وتعاقب الاعوام هو المؤثر في فضيلة المشروع او الباعث الحق للابتهاج به بل العبرة بما نتج عن مرور هذه السنين والاعمال بنتائجها لا باعمارها فكم من مشروع مضت عليه المئات والالوف من السنين ولا يستحق أن يلتفت اليه وكم من مشروع يستحق التنويه في يومه الاول . ذلك وقد شاهدت من نتائج نظام الزيتونة ما يستحق كل تقدير ويستوجب اقامة الذكريات كلما مرت عامه سنة بل يوم من عمره . ففي عدد مشايخه المتزايد وعدد طلابه الذي ضاق عنهم جامع الزيتونة ثم ضاقت عنهم ما تحفاته من المساجد وفي النبوغ والعبقرية الظاهرتين في رجاله العظام وفي سير الدروس ومراقبتها وفي نظام مجلسه الاداري ما يبعث على الارتياح ولأذهب بك إلى نتائج هذا النظام وأثره الخارجي بالبلاد التونسية فلك أن تلقي نظرة على مجلته الزيتونة لتتحقق من مفعول هذا النظام في ذلك المجتمع وأثره العملي في أقلام الكتاب وأفكار المفكرين وليس ذلك بابن يومه فإني لا زلت أذكر أبحاثا ورشحات أقلام كانت تطلع بها علينا فيما مضى مجلات قيمة في تونس ومصر وغيرهما من أثر أقلام مشائخ هذا المعهد ومن بينها مجلة الفجر فأمثال هذه الاثار والاثر يدل على المؤثر هي التي توجب الابتهاج بهذا النظام وإقامة الذكرى لمضي قرن عليه .

مضى على هذا النظام قرن كامل وهو عمر ذو بال فلم يبلغ به إلى الهرم ولا الكهولة بل مضى به في طريق القوة والشباب ولا زال كل سنة يستقبل عنفوانا جديدا ويكتسب من القوة والحياة أفقا بعيدا .

فحيى الله واضع هذا النظام مولاي احمد باشا باي الاول وخلد اسمه في سجل المصلحين المحسنين لامتهم وحي اولائك الذين توالوا على هذا النظام بالسهر على تنفيذه وتكميله كالوزير خير الدين الذي طابق فيه الاسم المسمى ومولانا أحمد باشا باي الثاني فقد وثبت الزيتونة على عهده وثبتها المباركة

الادب

انفراج الازمة للاستاذ الطاهر القصار

مباهج اليمن في الملك الحسني — وآية الامن في العصر الامني
عصر تبدى الهنا في فجره فلقا — قضى على اثر الحرب الدجوجي
وأنطق الالسن الخرساء لاهجة — بحمد ظاهرة اللطف الالهي
عناية قد احاطتنا بوادرها — ففرجت كرب القذف السماوي
من بعد ما ترك الخضرا مشوهة — وشت جامعة الشعب الشمالي
وراع أم الحنايا في مصانعها — بحاصب من حصى الفولاذ ناري
صواعق من لظى عزريل تقذفها — ـواعق لم تضق ذرعا بمرمي
تلفى مع الطير إلا أنها جرد — غازية الرَوح في اللون الغرابي
كانها وبساط الروح تحملها — قذيفة فلتت من كف جني

التي فسحت أمامها افاقا واسعة من الرقي والتقدم أصبحت تطمح اليها امالها وتحث نحوها خطاها وذلك شأن الانظمة الحية لا يقف بها نجاحها عند حد من الحدود وليس معنى الحياة إلا التقدم والازدياد وليس معنى الوقوف أو القهقرى إلا الاضمحلال .

وقد علم واضعو هذا النظام الجليل أن لا حياة إلا بالنظام فالنظام أصل ما في الديانة الاسلامية من حياة وأصل ما يحيط بالاسلام من بقاء ولو تفلسفنا ودققنا النظر في معنى لفظ الشريعة لوجدناه هو النظام للحياتين فقد بنت الصلاة والزكاة والصوم والحج ومشاريع خيرية ومظاهر دنيوية على انظمة حكمية تضمن لها البقاء في نفسها وتحفظ المجتمع الاسلامي نظامه من جميع نواحيه المادية والادبية ولم يعظم الاسلام وتشتد شوكته إلا بالمحافظة على أنظمته القويمة والتمسك بها الى أقصى مداها وقد بقيت الدول الاسلامية عظيمة ما بقيت متمسكة بتلك الانظمة مطبقة لها على حياتها الفردية والاجتماعية ولم يبق في الاسلام رمق إلا بقدر ما بقي متمسكا بهذه الانظمة ولا بد ان تعود له حياته الاولى بقدر ما يسترجع من تلك الحياة النظامية البائد جلها ولا يصلح آخر هذه الامة إلا ما صلح به أولها .

وإنني أهني الزيتونة العزيزة على بمضي القرن على نظامها وأرجو لها تجديدا يزيدها في خطاها إسراعا نحو الهدف المقصود .

وإنني أعلم كما يعلم أعلامها العظام أن كل نظام محتاج الى التعهد والتجديد ولاسيما في عصر السرعة الذي هو عصر البخار والكهرباء فان اعمار الانظمة تقاصرت واصبح النظام الذي كان لا يحتاج للتجديد الا بعد قرن او قرنين محتاجا لذلك في عشر سنين

أو مارد سليمان استقى خبرا ... فهب للفوز بالعطف النبيئي



هلا تذكر والحمام تكنفه ... طلائع الحرب في شكل هلالي

وقد رمت بالشظايا كل زاحفة ... وفجر الارض نارا كل جندي

والناس قد جمدت رعبا محاجرهم ... وأوقفوا موقف اليوم النهائي

كانهم في المخابي أمة قبرت ... وجرعت جرعة الموت الحقيقي

لا تسمعن لهم ركزا ولا نفسا ... سوى مراجعة الهمس اللساني

بقوا ثلاثة ايام تنازعهم ... حشاشة الروح من راع ومرعي

حتى انبرت بشراء السلم هاتفة ... وحن للغمد شوقا كل هندي

فعند ذا نهضوا غبرا كأنهم ... تحدروا نسبا من صلب زنجي

وكلهم بأمين الملك منشق ... وهو المؤمل في الخطب اللجوجي

مملك زانت الخضرا مفاخره ... وشرفتها بمرئي ومروي

يمناه لا تألف لآلاف راحتها ... ولا تضم على نقد نضاري

يعطي فيخجل بالمعروف قاصده ... كانه في العطايا نجل طائي

طلق المحيا أصيل الرأي مضطلع ... في العلم ما بين شرعي وعقلي

حماه مجتمع تغشى نواديه ... أولوا الحصافة والسحر البياني

كانهم والامين الطود بينهم ... أعلام بغداد في القصر الرشيدي

اعظم بقصر ملاذ الناس سيده ... بادي الفخار من الفرع الحبيبي

أعظم به قد حوى في القطر خير أب ... وخير ناشئة البيت الاميري



مولاي وجه إلى العرفان كل فتى ... فالعلم للملك كالاصل الاساسي

وكن لكعبته الغرا ومد لها ... يد المعونة بالحظ الضروري

فالعلم كالزرع إن شحت مناهله ... اضحى غبارا لفقد الرعي والري



هذا مديحي وذا شعري بعثت به ... مع الاثير إلى الافق الملوكي

يتيه في حلل الابداع مزدريا ... بشعر بغداد في العهد النواسي

وليس كل نظام قاله لسن ... شعرا ولا كل منثور بقسي

الطاهر القصار

التـاريخ

رزئت البلاد التونسية رزءا لم تبق طبقة من الطبقات العليا إلا أحست اثره وكانت المجلة أكثر الهيآت حساسية بفداحة هذا الرزء لانه أصاب ركنا متينا من الاركان الفكرية التي قامت عليها من يوم بروزها ولانه نزل في وقت كانت المجلة فيه لا تجد سبيلا لاظهار ما لقيت من ألم المصاب فكان لها مع الفقيد ما كان لابي عطاء السندي مع صديقه ابن هبيرة وهما من انصار قضية واحدة إذ يقول في رثائه معتذرا عن عدم بكائه

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط
عليك بجاري دمعها لجمود

ذلك هو المصاب بفقد رجل الفضل والسياسة ومظهر الادب والكياسة الكاتب الكبير والمؤرخ الشهير مستشار الدولة أمير الامراء سيدي محمد ابن الخوجه تغمده الله برحمته فكان حقا علينا للوفاء بما تقتضيه منزلة هذا الرجل العالية وما له في عنق المجلة وقرائها من المنن أن نخصص هذا الباب من أبواب المجلة باب التاريخ التونسي في أول عدد يبدو من المجلة بعد احتجابها للوفاء بعهده وإحياء ذكراه في مكان من المجلة كان طيلة حياتها ملتقى القراء بفوائده المهمة وبيانه العذب

***

حياة الاستاذ محمد ابن الخوجه

(١)

في حي من أشهر احياء مدينة تونس خيم فيه الاحتشام وسكنته البذخة وتجاورت فيه عائلات الشرف والمجادة وبيوت الوجاهة والسيادة هو حي حوانيت عاشور وفي ركن بيت عتيق من ذلك الحي توالدت فيه ثلاثة أجيال من آل ابن الخوجه الذين تغني سمعتهم في العلم والفضل عن التعريف بهم في جوار ذلك الجامع الشامخ القباب الرحيب الرحاب جامع محمد باي المرادي الذي تسلسلت إمامته في آل هذا البيت المجاور له منذ عهد بعيد

بيت تعمر داخله التربية والفضيلة والذكريات الطيبة والاعتزاز بالسمعة الحسنة وبحوط خارجه الحرمة والاجلال والتكريم التي يدين بها أهل البلاد قاطبة لمن لم يزل ينسب اليه ذلك البيت لقرب عهد مفارقته له وهو العلامة الشهير شيخ الاسلام محمد ابن الخوجه المتوفى سنة ١٢٧٩

في هذا البيت ولد لاصغر أبناء شيخ الاسلام الشيخ محمد البشير ابن الخوجه ولد هو رابع أبنائه اسمه محمد سنة ١٢٨٦ في العهد الذي توالى فيه من ظلمات الفتن والاضطرابات ما بشر بقرب انبلاج الفجر فجر الاصلاح والتجديد

فلم يفتح عين إدراكه إلا وقد تمخضت الحوادث عن ظهور منقذ الوطن الوزير خير الدين بمر ناحجه الاصلاحي العظيم الذي لم يغادر ناحية من نواحي المجتمع التونسي إلا عالجها

فاهتزت الحاضرة التونسية منتعشة بهذا النفس الحار الذي هب عليها وكان حي حوانيت عاشور الذي يسكنه الوزير واغلب الرجال الذين عليهم مدار حركته احس نقطة من مدينة تونس بهذه الحرارة واكثرها انفعالا بها

وكان الوسط العائلي الذي نشأ فيه المترجم يتصل بجميع النواحي الهامة في الحياة التونسية الحاضرة والغابرة فالعلوم قد حطت فيه رحالها والرئاسة الشرعية قد القت اليه زمامها اذ كان زعيم البيت الخوجي هو اظهر رجال الشريعة في بعد الصيت ورسوخ القدم في المنهج الاصلاحي العظيم الذي تهيأت البلاد لانتهاجه وهو كبير اخوته العلامة شيخ الاسلام احمد ابن الخوجة كاهية شيخ الاسلام اذ ذاك

وكانت الرئاسة الادارية قد ضمت بين جدران ذلك البيت الى الرئاسة الدينية بمنزلة الشيخ محمد البشير ابن الخوجه والد المترجم الذي لم يكد يبتدىء المسلك المعهود في آل بيته بولايته مدرسا من الطبقة الثانية حتى انتقل الى السلك الاداري فدخل ديوان الانشاء في صدر الدولة الصادقية وزانه واسرع به جواد القدم في ميدانه حتى بلغ رئاسة القسم الاول الذي هو القلب المحرك لسياسة المملكة الداخلية وكان من الذوات التي شاركت في ذلك العصر في الاعمال التأسيسية المهمة الشاملة لهيكل الحكومة التونسية فشهد المشاهد العظيمة وحضر المجالس العالية التي لم تزل آثارها خالدة في تاريخ البلاد

وكان هذا السيد يجنح في حياته الخاصة الى طريق البذخ والترف مخالفا لتقاليد بيته وسائر العائلات العلمية والبلدية موليا وجهه شطر حياة اهل المخزن الذين قربه منهم وظيفه واتصاله بالبيت الحسيني بواسطة اخته التي كانت زوجة الامير محمد الامين ابن مصطفى باشا التي كان له من الاختصاص بها ما يقرب من التبني مع ما له من سابق الخؤولة في بيت الوزير محمود خوجه كاهية حلق الوادي الذي كان من اوجه بيوت السيادة المخزنية واعرقها في التمدن والبذاخة والى جانب ذلك كله فقد اشتهر الشيخ محمد البشير ابن الخوجه من بين كتاب عصره بما له من الضلاعة في التاريخ التونسي والميل الى البحث عن دقائق تاريخ الدولة الحسينية والحرص على تقييد كل حادث هام يمر على مطالعته او سماعه او مشاهدته فكان في ذلك ثالث اثنين من الكتاب المؤرخين في ذلك العصر هما الشيخ محمد الباجي المسعودي والشيخ احمد ابن ابي الضياف على ان تاخره عنهما موتا يجعل لتقييداته وتحريراته التاريخية قيمة مفردة يكمل بها ما تركه الشيخان قبله من الاثر العظيم في تسجيل التاريخ التونسي القريب

ومجموع هذا يوضح ان البيئة التي نشأ فيها مترجمنا كانت اصلح تربة لنمو بذرة الثقافة العربية والمقدرة الادارية ومحبة البحث العلمي والولوع بالتاريخ التونسي والاقتداء بسيرة اعيان الماضين والتعلق بمناهج المصلحين والتخلق بروح الترفع وذوق الحياة العالية والمحافظة على التقاليد تلك المعاني التي كانت تتمثل لكل من عرف من بعيد او من قريب فقيدنا العزيز محمد ابن الخوجه

فقد بدات استعداداته تظهر منذ سنة ١٣٩٣ لما بلغ السابعة من عمره وبعد ان زاول التعليم القرآني فانخرط في سلك تلامذة المدرسة الصادقية في الرعيل الثاني من طلابها الذين قرت بهم عين مؤسسها العظيم وسرعان ما ظهر منه النبوغ والجد في الطلب ووفرة التحصيل وتميز

من بين اقرانه بالميل الى العربية والتطلع الى منازل الرجال الذين تبعد به عنهم سنـه وتقرب بـه منهم مداركه ولم يزل طالبا في المدرسة الصادقية باقسامها الابتدائية لما انتصبت الحمـاية الفرنسوية فكان في من نقل من المدرسة الصادقية الى المدرسة العلوية التي انشئت عام ١٣٠٠ لانشاء معلمين يقومون بتعليم مباديء اللغة الفرنسوية في المدارس التي ستحدث لابناء المسلمين على البرنامج الذي وضعه مـؤسس التعليم الفرنسوي العربي المزدوج الاستاذ المستشرق لويز ماشويل اول مدير للمعارف في عصر الحماية ولكن الشغف بالادارة لم يـزل يتحـرك في نفس الشاب محمد ابن الخوجه وقد راى الحركة التي ادخلت كبار رفاقه من ابنـاء المدرسة الصادقية في منطقة الادارة على شبابهم وادرك ما علق على ثقافتهم الحديثة من الامل في هـذا الطور الحـديث الذي تقطعه البلاد

وقد ابتدا حياته الادارية سنة ١٣٠٤ بصفة مترجم بالكتابة العامة وكلف من ابتداء امره بخدمة المحاسبات الاداريـه تحت رئاسـة زعيم الشباب الصادقي وصديق صاحب الترجمة الاستاذ المنعم البشير صفر فكانا نواة قسم المحاسبات الذي اصبح قسما عظيما بعد ان بقي مدة لا يتركب الا منهما مندمجا في قسم الترجمة وكان الاعتناء يحوطه من طـرف رئيسه المباشر الذي هو صديقه من قديم ومن طرف رئيسه الأعليين الوزير الاكبر العلامة الشيخ محمد العزيز بوعتور لمكان صلته بالبيت الخوجي وصداقته للشيخ محمد البشير ابن الخوجه والكاتب العام للحكومة التونسية الوزير رنيو لمكان صلته الادارية بوالده ايضا ولمنزلة عمه شيخ الاسلام في نظر حكومة الحماية وكانت سيرته الاداريـة المثلى واستعداداته الذاتية الفائقة تؤكد له استحقاق هذه العناية وتزيد في الفات الانظار نحوه فكان الوزير العزيز قدس الله روحه يبسط له من مجلسه وحديثه ما لا يبسط لغيره من اقرانه وذلك ما كان له اهـم الآثـار في حياته الفكريه والادارية والعلمية فكان كثير اللهج بمحاسن هذا الوزير والتمثل باعمـاله وكلامـه شديد التمسك بافكاره عظيم الاكبار لمعارفه وسياسته وكانت نسبته العائلية تسمح له من الاتصال بعظماء الدولة بما لم يتات لمن هم اكبر منه سنا واعلى منزلة فقد عرف السفير الشهير بولس كمبون وتحدث معه مرات في الزيارات التي كانت متبادلة بينه وبين عمه شيخ الاسلام والتي كان هو فيهـا واسطة الترجمة وبذلك عرف في صغره من غوامض احوال السياسه التونسية مالم يعرفه الا القليلون

وقد بدا نجم تفوقه الاداري منذ سنة ١٣٠٩ لما نقل رئيسه البشير صفر الى جمعية الاوقاف فخلفه هو في رياسة قسم الحساب وصادف ان اصبح على راس الكتابة العامة رجل من شانه ان يقدر مواهب هذا المتوظف اكثر من غيره وهو المستشرق المؤرخ البحاثة الوزير برنار روا الذي قربته من المترجم ثقافته التاريخية واشتراكه معه في الخدمات والمباحث التي سنتعرض لها من بعد حتى اصبح له صديقـا حميما ونال عنده من القرب والحظوة ما جعل منه طيلة خمسة عشر عاما عمدة الادارة التونسية والطريق الوحيد بين المصالح الاهلية والكتابة العامة عـلاوة على ماكان يشغله بالاصالة من اعمال قسم الحسـاب

هو منصب مدير التشريفات الذي يرجع اليه القيام على تهيئة المقابلات الملكية السفيرية وتقع عليه عهدة الترجمة في تلك المقابلات الهامة ويتولى تنظيم جميع الاقبالات من طرف الحضرة العلية لغير رعاياهم ويترجم على لسانها الخطب المهيأة والتصريحات الشفهية وصادفت هذه الرغبة من الكاتب العام ارتياحا من الامير المقدس سيدنا محمد الناصر لما سبق لـه من مودة المترجم منذ شبابه بجبل المنار وما تكون له عنده من المنزلة بتاليف الرحلة الناصرية وزاد في تمهيد الطريق لدخوله للقصر تقدم طائفة من كبار اقرانه في الصادقية الى المناصب الكبرى في المعية الملكية وكانوا ايضا من اصدقاء الكاتب العام واعضاده مثل المولى الوزير الاكبر الشرفي سيدي محمد الطيب الجلولي وكان يومئذ وزير القلم والوزير الاكبر المنعم سيدي مصطفى دنقزلي وهو صهر مترجمنا وكان يومئذ شيخ المدينة وقد تهيأ سبب انجاز هذه الولاية رسميا بقرب شاغل المنصب يومئذ امير الامراء جبرائيل بلنسي من سن التقاعد فاحيل على التقاعد فعلا وسمي عوضه مترجمنا مديرا للتشريفات السنية في شهر رمضان سنة ١٣٣٢ ومن هنالك ابتدا الدور السياسي في حياته وبالغ اقمة وجاهته الرسمية وازدادت منزلته ظهور تقلبه امير لواء سنة ١٣٣٣ ثم امير امراء وقد اعتز بذلك اعتزازا عظيما والتزم الطريقة الافرنجية في تسمية نفسه بعنوان رتبته العسكرية بمرادفها الفرنسي مضموما الى لقبه بدون اسم (الجنرال ابن الخوجه) فكان اول مسلم تونسي سلك هذه الطريقة وكتبها في اوراق زيارته واشتهر بها

الذي جعل منه مدرسة مقصودة لمبتدئي الموظفين للتخرج في اعمال الحساب الاداري وفي اثناء هذا الطور اسندت الى عهدته نظارة المطبعة الرسمية فكانت له ميدانا فسيحا للانتاج الادبي الذي سنتفرغ للحديث عنه فيما ياتي علاوة على ما اسدى للدولة من الخدمات بالنشرات الرسمية التي كانت بعيدة الاثر في الحياة السياسية في ذلك العصر

وبمجموع هذه الصفات اصبح من النادر جدا ان تدخل مسالة من المسائل معابر الادارة العامة وليس للمترجم عليها وقوف وليس لـه في تسييرها اثر وعلى هذا قضى الطور الاهم من حياته الادارية

وعلى هذه المكانة وجده الوزير بلان لما اسندت اليه الكتابة العامة للامور الادارية عند خروج الوزير روا منها الى الكتابة العامة للامور العدلية فاعتمد عليه اعتماد سابقه او يزيد ورشحه لوسام الشرف الفرنسوي عند زيارة رئيس الجمهورية فليار سنة ١٣٢٩

وقد امل الوزير بلان ان يكون تبدل الظروف سامحا بنقل هذا الذكي من ميدان الادارة الى ميدان السياسة وتوجيهه الى الاندماج في المحافل العليا بتبوء منصب يسمح له بربط الصلات بين القصر الملكي والسفارة الفرنسوية العامة بتونس على اثر رغبة المقيم الجديد الوزير الابتيت في تاكيد صلة القصر بالسفارة مباشرة على خلاف النحو الذي كانت عليه في عهد الكاتب العام روا من جريان جميع العلائق على طريق الوزارة الكبرى والكتابة العامة وكان اقرب المناصب الى تحقيق هذا الغرض

وقد باشر هذه المامورية الدقيقة مامورية مدير التشريفات في حقبة تضاعفت فيها اهمية ذلك المركز باشتعال نار الحرب الكبرى وما نشاعنهامن مشاكل في السياسة الداخلية والخارجية كان المترجم مندمجا فيها وخائضا غمارها وكانت كلمته في القصر الملكي نافذة الى اقصى حد ومنزلته في السفارة الفرنسوية مكينة راسخة وفي خلال هذه المدة تقلد الشريط الاكبر من نيشان الافتخار وتقلد اوسمة رفيعة من اوسمة المستعمرات الفرنسية والدول الاجنبية وقد تم على يده في هذه الفترة من حياته أمر عظيم الاهمية في التاريخ الثقافي والسياسي للاسلام هو تجديد الصلات بين تونس والمغرب الاقصى

فقد سافر في صائفة سنة ١٣٣٤ سفيرا عن حضرة المقدس سيدنا محمد الناصر باي تونس الى جلالة المقدس مولاي يوسف سلطان المغرب لعقد اواصر المودة بين الملكين الجليلين وتمتين الصلات بين القطرين

فكانت سفارة ناجحة ولقي في اثنائها من الاقبال وتقدير قيمته بين عموم الطبقات العلمية والمخزنية ما نفخ في بوق سمعته الى آخر حياته

وانعقدت بتلك الرحلة علاقة محكمة العرى بينه وبين الماريشال ليوتي وكان مقيما عاما وقائدا ساميا للجنود الفرنسية بالمغرب وفي هذه الرحلة قلد الصنف الاول من الوسام العلوي الشريف وترقى عند رجوعه الى الصنف الثالث من وسام الشرف الفرنسي

وكان محاطا في هذه الرحلة بضروب من الاحترام والعناية الرسمية والفخامة بتونس وبالجزائر وبالمغرب كانت ذكرياتها من الذ ما حفظت أحاديثه عن حياته الرسمية وقد شهدت وأنا صغير موكب اقتباله عند الرجوع من المغرب بقصر المرسى فكان موكبا بهيجا رائعا قل أن شهد هذا العصر مثله

وفي أثناء هذه الرحلة انعقدت صلات المودة بينه وبين صديقه الوزير السيد الحاج عبد القادر ابن غبريط وهو يومئذ زميله في إدارة التشريفات لدى السلطنة المغربية وباتفاقهما نشأت فكرة تأسيس جمعية أحباس الحرمين الشريفين وبقي المترجم من عمدها فلم يتخلف عن اجتماع من اجتماعاتها إلى آخر اجتماع انعقد لها إلى اليوم وكان بعاصمة الجزائر سنة ١٣٦١ وقد زاد حضوره هذه الاجتماعات السنوية مع نخبة الاعيان من أبناء الاقطار الافريقية الثلاثة في انتشار سمعته وذيوع فضله

وباثر انتهاء الحرب الكبرى اضطر الى التخلي عن وظيفة مدير التشريفات ففارقها في جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ وسمي عاملا على قابس (بانضمام جربة) فدخل طورا جديدا في حياته ثقل عليه في اول الامر جدا حتى هم بعدم قبول تسميته ولكن ذلك لم يمنع انه وجد منعة في حياة الآفاق . اتسع فكره الدقيق وذوقه الرقيق لاحتضان نظام خدمة العمال فشملها باسلوبه الاداري العالي ووسع جهاز ادارات الاعمال على منوال الادارات المنظمة بالحاضرة واظهر من ضخامة الرئاسة بين الحاضر والبادي ما زاد في رفع قدر الذاتية التونسية

ومن قابس انتقل الى الكاف سنة ١٣٣٩ ثم الى بنزرت سنة ١٣٤٣ وقد زاد اعتباره وضوحا مدة اقامته في بنزرت بتكرر المناسبات التي لم تك تصلح الا لــه ولم يك يصلح الا لها من الاقتبالات العظيمـة وزيارات الاساطيل واقتبالات الملوك العظماء ناهيك بزيارة المولى المقدس محمد الحبيب باشا مدينة بنزرت ليبحر منها لى فرنسا في رحلته الثانية اليها سنة ٤٥ وزيارة رئيس الجمهورية قسطون دوميرق سنة ٤٩ وزيارة ملك اسبانيا الفنش الثالث عشر سنة ٤٧ التي انقلب منها معجبا بمترجمنا اعجابا زائدا ثم رحلة المولى المقدس احمد باشا الثاني الى فرنسا سنة ٤٩ التي قلد فيها الصنف الثاني من وسام الشرف الفرنسوي وقــد كانت هذه المناسبات وغيرها مما يقرب منها مناسبات لمعرفة ما للمترجم من المكانة السامية بسعة معارفه وطرافة حديثه وذوقــه العــالي في نظام التشريفات ومقدرته في اظهار بذخة المجد ووجاهة الرئاسة

وقد بقي كامل مدة مباشرته للاعمال على اتصال بالقصر الملكي بصفته حاملا لاعلى رتبة في الحاشيـة فلم يزل دائبا على حضور المواكب الملكية كما بــقي على تمام الانصال بالادارة المركزية العليا فلـم يزل يستشار في المهمات ويدعى للمشاركة في اللجــان كما سمي مندوبا في الوفد التونسي الذي سافر الى باريز للمشاركة في لجنة الاصلاحات التونسية التي عقدهــا الوزير ايدوارهيريو سنة ٤٣ وعضوا في الوفد الرسمي الذي مثل الحكومة التونسية في حفلة افتتاح جامع باريز سنة ٤٥ فلذلك لما اقتضى قانون احالة العمال على التقاعد خروجه من سلك العمال سنة ١٣٥٣ اعتبرت الدولة ماله من القيمة الفائقة التي لم تشــارك فيهــا فصرحت بالحاجة اليه في الاستشارات الدوليــة كما ورد ذلك في البلاغ الرسمي الذي اعلن فيه باحالته على التقاعد وسمي لذلك (مستشار الدولة التونسية) وبقي على ذلك عظيــم المنــزلة مشاركا في مختلف اللجان الدولية مرجوعا الى رايــه ومعرفتــه في العويصات

(في العدد الآتي حياته الادبية)

محمد الفاضل

زيتوني على راس ادارة الاوقاف

سمي الاداري الشهير الشيخ محمــد الطيب ابن الخيرية رئيسا لمجلس ادارة الاوقــاف وليس مرادنا من تسجيل هذا الامر الاداري ان نخبر به القراء بعد ان علموه من الصحف اليــومية ولا ان نهني حضــرة الرئيس فمثله ممن تهنى به المناصب

ولكنا نريد منه تسجيل امر له اهميته الكبرى في تذكير الناشئة الزيتونية ببعض واجباتها نحو الوطن

ذلك ان هذا السيد من اشهر رجــال الادارة التونسية الذين سلمت لهــم القدرة والكفاءة من الجميع وهو زيتوني خــالص تخرج من جامع الزيتونة واحرز على شهادة التطويع واقرا بالجامع مدة ثم انصرف الى وجهة لا ينبغي ان تفارق نظر الزيتوني وهي الوجهة الادارية فتقلب في مناصب الادارة متدرجا عن استحقاق حتى بلغ مقام عامل من الرتبة الاستثنائية وانتصب باشهر اعمال المملكة التونسية ثم سمي متفقدا عاما للعمال ثم دعي اليوم الى منصب رئاسة الاوقاف الــذي لا يعهــد به الا لرجال الصف الاول من الموظفين الاداريين

وبذلك خدم الشيخ الطيب ابن الخيرية المعهد الذي انجبه خدمة عظيمة بان اقام البرهان الحسي للعموم على ان الجامع هو المعهد القائم بامداد البلاد بجهازها الاداري الصالح وان تفوق هذا الزيتوني على اقــرانه دليل قاطــع على فساد ما يذهب فيــه الزيتونيون غالبا من مسالك اليــأس من المستقبل الاداري فان حسن المستقبل الاداري منوط باظهار الكفاءة والاستقامة خصوصا وان بالادارة التونسية نواحي لا يستطيع غير الزيتوني ان يقــوم بها ولكن تلك النواحي خفت على الكثير امــا اليــوم وقد لفت نظر الناس جميعا هــذا المنصب الممــتاز الواضح الذي زانه الزيتوني عهدا طويلا فانا نرجو ان يجــد الطلبة الزيتونيون من هذا درسا خلاصته (ان اهم مناصب الدولة التونسية طوع ايديكم اذا دفعتم عن انفسكم ستور اليأس والخمول واظهرتم من الكفاءة والاستقامة ما هو جدير بمقام معهدكم)

عدد ٦

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء السادس	صدرت في جمادى الاولى ١٣٦٣ وفي ماي ١٩٤٤	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير
محمد المختار بن محمود

المدير
محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات :
ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :
نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

الثمن ١٠ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط رقم ٥٧ - تونس

المجلد الخامس — الجزء السادس

فهرس العدد

الصحيفة	المقال	صاحبه
٩٧	منطق الحجر	العالم الشيخ محمد الفاضل ....
	- التفسير -	
١٠٠	من درس التفسير آيات من سورة البقرة	الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور ...
	- تفسير قوله تعالى -	
١٠٦	قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى	العلامة الشيخ محمد الناصر الصدام ....
	- الحديث -	
١١١	شرح حديث : احفظ الله يحفظك ...	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي .....
١١٨	السماع النبوي	فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور ....
	اسرة الرسول	....
١٢٤	امهات الدواوين للفقه المالكي الزكي ...	العالم البحاثة الشيخ محمد الشاذلي النيفر
١٢٨	العنصر العقلي في الادب	العالم الاديب السيد احمد مختار الوزير
١٣٢	الحركة الادبية	....
١٣٤	ملوك العائلة الحسينية	....

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب

الاقصى وسوريا فرنكات ١٠٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ١١٠

مجلد المجلة عشرة اعداد

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت

ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء السادس	الصادر في جمادى الاولى ١٣٦٣ وفي ماي ١٩٤٤	المجلد الخامس

منطق الحجر

سرى الدفء ، في كل جسم مقرور ، وانشرحت كل نفس كانت منقبضة لما حكم به البرد من ملازمة كسور البيوت والانجحار في زوايا الدكاكين ، لما اشرقت الشمس في اصيل يوم من ايام الشتاء ، فبعثت النشاط للحركة ، واحيت الشره على النزهة . حتى انجهت كل عاطفة حساسة الى ما وراء سور المدينة حيث النعمة بالحياة الواسعة ، والمتعة بالشمس الزاهية ؛ ولكن كيف ؟ ولظرف الزمان حكمه القاهر !!! هذا جيش الظلمة في طريق الفتح ، لا تمضي ساعة او بعض ساعة الا وهو مستو على عرش الافق . فما الحيلة ؟ وكيف ندرك مملكة هذا السلطان الباهر قبل ان تدول دولته ؟

ولعل الاشعة الوضاءة الهاجمة من منفذ البيت الضيق . كانت تدخل الى قرارة النفس المحتارة بعض ما فيها من اسرار الصعود ومعاني الارتفاع ، فسرعان ما وجدت بين اسلاكها ما فتق الحيلة ، ونسخ الحيرة ، فاندفعت الى سلم السطح اتخطاه في سرعة

وما كاد راسي يخرج من ظلمة السلم الى فضاء السطح حتى بهر بصري الشعاع المترقرق على البياض الناصع ، وملات نفسي بهجة الاصيل الشتوي ، حيث الشمس ، كاللحظ الفاتن ، اروع في ذبولها وانكسارها ، منها في صحتها وحدتها

فاذا المشاعر اسيرة لكنبة من الصوامع والقباب تزاحمت على امارة هذا الجيش : من البناء المرصوص الضارب على صفحة فضة صقيلة هي صفحة البحيرة ، وتسابقت في الافق ، متعلقة باسباب السماوات ، تطلب ما لها فيها من انساب .

واذا انا انسلخ رويدا رويدا عن المحيط ، الذي حولي ، وتقودني المشاعر الى عالم نوراني جديد ، كان ينبثق امام نظري في تلك اللحظة بين اهلة الصوامع . حتى صار الافق يبدو لي امواجا متلاطمة ، من الانوار الصاعدة والنازلة ، وبين تلك الامواج تختلط اشباح نازلة من القرون الخالية . مع صور صاعدة من معالم المدينة ، الراسية في اساس الصوامع ، الناعمة في ظلالها ، وقد اكتست ، في صعودها الى امواج الافق النورانية ، حياة لم تكن لها من قبل .

فكان من انفعالي بهذا المنظر البهيج ، واندماجي في ذلك العالم السحري ، ان اصبحت في درجة من رقة الاحساس ؛ اسمع فيها من احجار الجدران والقباب والصوامع والسطوح ، اصداء رنانة مفصحة عن اسمى المعاني في اعذب الانغام ، واعي ، عن المعالم الجامدة ، حديثا ، استمدته مما نزل عليها من اشعة الزمان الغابر ، في منطق بليغ ، طالما افضت به الجمادات قبل الى ذوي الاحساس — وما كان اغنى منطق المشاعر عن اللسان !!! — وكان اول من انبانا بهذا المنطق عبقري من البادية العربية هو ذو الرمة اذ يقول :

وقفت على ربع لمية ناقتي   فما زلت ابكي عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه   تكلمني احجاره وملاعبه

ثم لم نزل نرى البحتري يرويه عن ايوان كسرى ، والشيخ محرز عن طلال قرطاجنة ، وشوقي عن قناة السويس .

ففي ذلك المنطق كانت اواذي البحيرة ، المصفقة تحت ريح الجنوب ، تقص علي من ذكريات صباها ، يوم استولدها من اعماق البحر فتى غسان حسان بن النعمان فالقاها الى حضانة تونس ، امها الرؤوم ، التي لم تزل تحنو عليها ، وتصبر على اللاواء في حبها ، ثم تقص من عهد شبابها ذكريات المراكب الراسية على ضفافها تلتمس نتائج الشرق للغرب ونتائج الغرب للشرق ، وقد كانت تونس سيدة سوقهما ، ومفتاح طريقهما ، ومن عهد كهولتها ما لقيت من الصدمات ، لما امسك بخناقها الاسبان الطغاة ، حتى حررها الترك الغزاة ، ويحول بين سمعي وبين هذا الحديث الرقيق المرسل من البحيرة ، اصوات متجاوبة تتقاطع فوق هذه الحقول المتواصلة من بياض السطوح . فتلفتني اصداء قوية منبعثة من وهدة بوسط المدينة ، الى قبيبة ، تكاد تذوب بين المباني الشاهقة ؛ الصاعدة حواليها ، فاذا هي القبة المظلة لقبر الامام علي بن زياد الحمصي ، اول فقهاء هذه الحاضرة ، وهي تفخر بمنن ساكنها اذ ارسخ في تونس قدم الاسلام ، وانارها بشعاع السنة ، لما طلع عليها بعلم مالك ، وهدي المدينة ، واذا تلك القبة تعظم في نظري ، على صغرها ، حتى تملا الجو وتغطي كل قبة شامخة ، الا قبة بديعة هرمية الشكل تناظرها من الشمال ، وتتلو من مناقب ساكنها الشيخ محرز بن خلف ، وفضائله على اهل هذه

المدينة في القرن الرابع ؛ من بث التربية ، وحماية الاخلاق ؛ والذب عن حرمة هذا المجتمع التونسي الامين في وجه كل هجمة عادية ؛ حتى وضعت هذه المدينة عن عنانها ؛ ودعته عن حق « سلطانها ».

والتفت الى الربوة الغربية ؛ فاذا منارة جامع التوفيق قد استشرفت تستجلي معاهد انسها في نواح من المدينة ؛ من جامع باب الجزيرة الى المدرسة المرجانية ؛ فلا تزال تقف باثر اثر من تلك المباني العزيزة ؛ محيية فيها عهد المجد الحفصي الباذخ ؛ يوم آوى الموحدون الى تونس ببقايا حضارة متزعزعة الاركان ؛ متصدعة بسيول الحدثان ؛ فرعت اساسها ؛ وشادت هيكلها ؛ وانشأت في حماها للعالم الاسلامي مدارسها الزاهرة ، واسواقها النافقة ، ومنعة كرسيها ، التي احيت امل الانتعاش الاسلامي من الاندلس من الحجاز

وبينما انا مستغرق في بحار هذه الاحاديث العذبة ، كان دخان لطيف ؛ شذي العرف ، يتصاعد امامي متكاثفا حتى حجب عن بصري تلك اللجة النورانية ، التي كانت ماثلة امامي ، فرجعت ، باحتجاب الخيال على بصري ، الى عالم الحس واستفقت من سنتي باريج ذلك الدخان المتصاعد من الافران ؛ الذي يعطر ساعة الغروب كل يوم في هذه الحاضرة الجذابة ، وهناك ادرك فكري ما بين الخيال الذي كنت ماخوذا به وبين الحق ؛ من سبب وثيق ، فما تلك الاحاديث الا مغازي الذكريات والعبر التي تنطوي عليها المدن من ءاثار الحياة التي مرت بها ، وما هي الا الغذاء الروحي الذي لا يستطيع ساكن مدينة ان يتحاماه ، فهو الذي لا يزال يمر على ادراك الناشئين ؛ بين الفترة والفترة ، حتى يجعلهم متعلقين بالماضي ، مكملين للحياة الغابرة ؛ وذلك ما دعى اسلافنا الفاتحين الى هجران المدن ، التي تملاها ذكريات الحضارات القديمة ، لما ارادوا البعد عن ماضيها ؛ وقطع الصلة مع مؤثراتها ، فاقاموا مدنا جديدة ، على الذكريات التي ارادوا خلودها ، والاسرار التي احبوا ان تعمر نفوس الاجيال الاتية من بينهم ، ذكريات تعلق بالجدران ، واسرار تملا الازقة ، فلا تزال خالدة حية وقد انطوت اصولها في الراحلين ولله در ابي العلاء اذ يقول :

تفنى الملـوك ومصر في تغيرهم　　　مصر على العهد والاحساء احساء

فيا ناشيء الخضراء ، اذا انت درجت في مسالكها ، ومررت بمعالمها ، فلم يستوقفك الاثر ، ولم تفهم عن الحجر ، فلست منها وليست منك ، فاستخرج من الحجر الخبر ، وتقص في الاثر العبر ، ولا تمر بمعالم التاريخ من مدينتك الا منشدا :

وقد نطقت باصنـاف العظات لنا　　　وانت فيما يظن القوم خرساء

محمد الفاضل

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم

من درس التفسير

للاستاذ الاكبر المولى الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ

***

لماجاء بتفاصيل صفاتهم اعقبها بما يفيد جمع تلك الصفات في صورة واحدة بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهي طريقة التمثيل زيادة في الكشف بالحاق تلك الاحوال المعقولة بالاشياء المحسوسة لان النفس الى المحسوس اميل ، وإتماما للبيان بجمع تلك الصفات المتفرقة في السمع المطالة في اللفظ في صورة واحدة لان للاجمال بعد التفصيل وقعا من قلوب السامع وتقرير الجميع ما تقدم في الذهن بصورة تخالف ما صور سالفا لان تجدد الصورة عند النفس احب والذ من تكررها • قال في الكشاف ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقايق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغايب كالمشاهد اهـ • واستدلالا على ما يتضمنه مجموع تلك الصفات من سوء الحالة وخيبة السعي وفساد العاقبة • فجملة مثلهم كمثل الذي استوقد نارا واقعة من الجمل الماضية موقع البيان والتقرير والتمليل فكان بينها وبين ما قبلها كمال الاتصال ولذلك فصلت ولم تعطف • والحالة التي وقع تمثيلها سيجيء بيانها في آخر تفسير الآية

والمثل في كلام العرب بفتحتين بمعني النظير والمشابه ويقال ايضا مثل بكسر الميم وسكون الثاء ويقال مثيل كما يقال شبه وشبه وشبيه وبدل وبدل وبديل ولا رابع لهذه الكلمات في مجي فعل وفعل وفعيل بمعنى واحد • وقد اختص لفظ المثل بفتحتين باطلاقه على الحال الغريبة الشان لانها بحيث تمثل للناس وتوضح وتشبه سواء شبهت كما هنا ام لم تشبه كما في قوله تعالى : مثل الجنة ، وباطلاقه على القول الذي يصدر في حال غريبة فيحفظ ويشيع بين الناس لبلاغة وابداع فيه فلا يزال الناس يذكرون الحال التي قيل فيها ذلك القول تبعا لذكره وكم من حالة عجيبة حدثت ونسيت لانها لم يصدر فيها من قول بليغ يجعلها مذكورة تبعا لذكره فالظاهر ان اطلاق المثل على القول البديع السائر بين الناس الحادث في حالة عجيبة هو اطلاق مرتب على اطلاق اسم المثل على الحال العجيبة وانهم لا يكادون يضربون مثلا ولا يرونه أهلا للتسيير وجديرا بالتداول الا قولا فيه بلاغة وخصوصية في فصاحة لفظ وايجازه ووفرة معنى فالمثل قول عزيز غريب ليس من متعارف الاقوال العامة بل هو من اقوال فحول البلاغة فلذلك وصف بالغرابة (١)

ولما شاع اطلاق لفظ المثل بالتحريك على الحالة العجيبة الشان جعل البلغاء اذا ارادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة اعني صفتين منتزعتين من متعدد اتوا في جانب المشبه والمشبه به معا او في جانب احدهما بلفظ المثل وادخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما ولا يطلقون ذلك على التشبيه البسيط فلا يقولون مثل فلان كمثل الاسد وقلما شبهوا حالا مركبة بحال مركبة مقتصرين على الكاف كقوله تعالى : الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه •

بل يذكرون لفظ المثل في الجانبين غالبا نحو الآية هنا او في احد الجانبين كقوله تعالى: انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء الآيــة وذلك ليتبادر للسامع ان المقصود تشبيه حالة بحالة لا ذات بذات ولا حالة بذات

(١) اشرت بفسير معنى الغرابة لدفع الحيرة الواقعة في المراد من قول صاحب الكشاف «الا قولا فيه غرابة الخ » فقد فسرها الطيبي بغموض الكلام وكونه نادرا معنى ولفظا وهذا لا يطرد وقد سكت عنه الشارحان السعد والسيد حام حوله الخفاجي

فصار لفظ المثل في تشبيه الهيئة منسيا منه اصل وضعه ومستعملا في معنى الحالة فلذلك لايستغنون عن الاتيان بحرف التشبيه حتى مع وجود لفظ المثل فصارت الكاف في قوله تعالى كمثل دالة على التشبيه وليست زايدة كما زعمه بعض النحاة الاترى كيف استغني عن اعادة لفظ المثل في المعطوف في قوله او كصيب ولم يستغن عن الكاف. ومن اجل اطلاق لفظ المثل اقتبس علماء البيان مصطلحهم في تسمية التشبيه المركب بتشبيه التمثيل وقد تقدم الامام بشيء منه عند تفسير قوله تعالى: اولئك على هدى من ربكم. والذي مفرد اريد به مشبه واحد لان مستوقد النار واحد ولا معنى لاجتماع جماعة على استيقاد نار ولا يريبك كون الحالة المشبهة حالة جماعة المنافقين لان تشبيه الهيئة بالهيئة انما يتعلق بتصور الهيئة المشبه بها لا كونها على وزان الهيئة المشبهة فان المراد تشبيه حال المنافقين في ظهور اثر الايمان ونوره مع تعقبه بالضلال ودوامه بحال من استوقد نارا. ومحاولة تاويل الذي بانه مختزل من الذين اختزال اللذ من الذي كما في الكشاف محاولة تنبو عنها القواعد ويربأ باستعمال القرآن عنها كما ان تاويله بالفريق الذي استوقد او الجنس وان صح وله نظاير في كلامهم فهو مما ينبو عنه التمثيل هنا

واستوقد بمعنى اوقد فالسين والتاء فيه للتاكيد كما هما في قول الحماسي:

نستوقد النبل بالحضيض ونصـ ـطاد نفوسا بنت على الكرم

فانه لا معنى لطلب النابل وقود النبل بالحجر وانما هو قد يقع عند الرمي بشدة وكذلك في الآية لا يراد تمثيل حال المنافق في اظهار الايمان بحال الوقود بل هو حال الموقد

وقوله تعالى (فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) مفرع على استوقد بلاحذف ولما حرف يدل على وقوع شيء عند وقوع غيره فوقوع جوابها مقارن لوقوع شرطها

واضآ يجيء متعديا وهو الاصل لان مجرده ضاء فهمزته للتعدية ويجيء قاصرا بمعنى ضاء فهمزته للصيرورة اي صار ذا ضوء يساوي ضاء كقول امرىء القيس يصف البرق

يضيء سناه او مصابيح راهب امال السليط بالذبال المفتل

والآية تحتملها اي فلما اضاءت النار الجهات التي حوله وهو معنى ارتفاع شعاعها وسطوع لهبها فيكون ماحوله موصولا مفعولا لاضاءت وهو الاظهر

٦

وتحتمل ان تكون من اضاء القاصر اي اضاءت النار اي اشتعلت وكثر ضوءها في نفسها ويكون ماحوله على هذا ظرفا للنار اي حالة كونها حوله غير بعيدة عنه٠

وقوله ذهب الله بنورهم جواب لما وانما جمع الضمير في قوله بنورهم مع كونه بلصق الضمير المفرد في قوله : ما حوله مراعاة للحال المشبهة لا للحال المشبه بها وهي حال المستوقد الواحد على وجه بديع في الرجوع الى الغرض الاصلي وهو انطماس نور الايمان منهم فهو عايد الى المنافقين لا الى الذي قريبا من رد العجز على الصدر فاشبه تجريد الاستعارة المفردة وهذا رجوع بديع وقريب منه الرجوع الواقع بطريق الاعتراض في قوله الآتي والله محيط بالكافرين٠ وحسنه ان التمثيل جمع بين ذكر المشبه وذكر المشبه به فالمتكلم بالخيار في مراعاة كليهما لان الوصف لهما فيكون ذلك البعض نوعا واحدا في المشبه والمشبه به فما ثبت للمشبه به يلاحظ كالثابت المشبه من باب اياك اعني واسمعي يا جارة ولذلك اختير هنا لفظ النور عوضا عن النار المبدا به للتنبيه على الانتقال من التمثيل الى الحقيقة ليدل على ان الله اذهب نور الايمان من قلوب المنافقين فهذا ايجاز بديع كانه قيل فلما اضاءت ذهب الله بنارهم فكذلك ذهب الله بنورهم وهو اسلوب لا عهد للعرب بمثله فهو من اساليب الاعجاز وقد وجدت له نظرا قريبا منه وهو قوله تعالى : بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون٠ وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قل او لو جئناكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ٠فقوله ارسلتم حكاية لخطاب اقوام الرسل في جواب سؤال محمد عليه الصلاة والسلام قومه بقوله او لو جئتكم الخ وبهذا يكون ما في هذه الآية موافقا لما في الاية التي بعدها من قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم اذ يتعين رجوعه لبعض المشبه به دون المشبه٠ وجوز صاحب الكشاف ان يكون قوله ذهب الله بنورهم مستانفا ويكون التمثيل قد انتهى عند قوله ما حوله ويكون جواب لا محذوفا دلت عليه الجملة المستانفة وهو قريب مما ذكرناه الا ان الاعتبار مختلف٠ ومعنى ذهب الله بنورهم اطفأ نورهم فعبر بالنور لانه المقصود من الاستيقاد واسناد اذهابه الى الله تعالى لانه

حصل بلا سبب من ريح او مطر او اطفاء مطفيء والعرب والناس يسندون الامر الذي لم يتضح سببه لاسم الله تعالى

وذهب المعدى بالباء اشد مبالغة من اذهب المعدى بالهمزة وهاته المبالغة بقيت في التعدية بالباء بقية من اصل الوضع لان اصل ذهب به ان يدل على انهما ذهبا متصاحبين واذهبه جعله ذاهبا بامره او ارساله فلما كان الذي يريد اذهاب شخص اذهابا لا شك فيه يتولى تحقيق ذلك بنفسه حتى يوقن بحصول امتثال امره صار ذهب به اشد من اذهبه كما يقولون طارت به العنقاء وسال به الوادي

وقوله تعلى : فلما ذهبوا به • ثم جعلت الهمزة لمجرد التعدية في الاستعمال فيقولون ذهب القمار بمال فلان ولا يريدون انه ذهب معه ولكنهم تحفظوا ان يستعملوا ذلك الا في مقام تاكيد الاذهاب فبقيت المبالغة فيه

(وتركهم في ظلمات لايبصرون) تقرير لمضمون ذهب الله بنورهم لان من ذهب نوره يبقى في ظلمة لا يبصر والقصد منه زيادة ايضاح الحالة الشنيعة التي صاروا اليها فان للدلالة الصريحة من الارتسام في ذهن السامع ما ليس للدلالة الضمنية فان قوله ذهب الله بنورهم يفيد انهم لما استوقدوا نارا فانطفات انعدمت الفائدة وخابت المساعي ولكن قد يذهل السامع ماذا صروا اليه عند هاته الحالة فيكون قوله بعد ذلك وتركهم في ظلمات لا يبصرون تذكيرا بذلك وتنبيها اليه فانهم لا يقصدون من البيان الا شدة تصوير المعاني ولذلك يطنبون ويشبهون ويمثلون ويصفون المعرفة وياتون بالحال ويعددون الاخبار والصفات قال ابو العباس المبرد « من كلام العرب الاختصار المفهم والاطناب المفخم » فهذا اطناب بديع كما في قول طرفة :

ندامـاي بيص كالنجوم وقينـة تروح الينـا بين بـرد ومجسد

فان قوله تروح الينا الخ • لا يفيد اكثر من تصوير حالة القينة وتحسين منادمتها

واصل معنى ترك تنحى عن شيء وفارقه فيتعدى لواحد وكثيرا ما يذكرون الحال التي ترك الفاعل المفعول عليها نحو قوله : فقد تركتك ذا مال وذا نسب ولكثرة استعماله مذكورا بعده حال قد يضمنونه معنى صير قال عنترة :

فتركته جزر السباع ينشنـه يقضمن حسن بنـانه والمعصم

يريد صيرته والفرق بين ما يضمن فيه معنى صير فيكون المنصوب الثاني بعده مفعولا وبين ما لا يضمن معنى صير فيكون المنصوب الثاني حالا انه كان القصد الى الاخبار بالتخلية والتنحي عنه فالمنصوب الثاني حال وان كان القصد اولا الى ذلك المنصوب الثاني وهو محل الفائدة فالمنصوب الثاني مفعول والاية وبيت عنترة من القبيل الثاني فلا يحتمل واحد منهما غير ذلك معنى وان احتمله لفظا وللفظ الترك في هذا من حسن الموقع ما ليس للفظ التصيير وحده وكذلك ما يرادفه مثل غادرته في قول الحريري :

قل لقاض غادرته بعد بين سادحا نادما يعض اليدين

وجمع ظلمات لقصد بيان شدة الظلمة كما في الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة وقد تتبعت كلام العرب فوجدت ان الكثرة لما كانت في العرف سبب القوة اطلقوها على مطلق القوة وان لم يكن تعدد ولا كثرة ونظيره قول تابط شرا في الحماسة :

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

ففي قوله كثير الهوى جعل الكثرة بمعنى القوة . وقال تعالى وادعوا ثبورا كثيرا اي شديدا . وقال الكميت يمدح عبد الملك :

وانت كثير يا ابن مروان سيد وكان ابوك ابن العقايل كوثرا

وقال المتنبي « كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا » ومنه ذكر ضمير الجمع للتعظيم للواحد وضمير المتكلم ومعه غيره للتعظيم . ولم يرد في القرءان ذكر الظلمة مفردا ولعل لفظ ظلمات اشهر اطلاقا في فصيح الكلام . وسياتي بيان هذا عند قوله تعالى (وجعل الظلمات والنور) في سورة الانعام . بخلاف قوله تعالى (في ظلمات ثلاث) فان التعدد مقصود . وهذا تمثيل لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الايمان وبواطن الكفر فوجه الشبه هو ظهور امر نافع ثم انعدامه قبل الانتفاع به فان في اظهارهم الاسلام مع المؤمنين صورة من حسن الايمان وبشاشته فان للاسلام نورا وبركة ثم لا يلبثون ان يرجعوا عند خلوهم بشياطينهم فيزول عنهم ذلك ويرجعوا في ظلمة الكفر اشد مما كانوا عليه لانهم كانوا في كفر فصاروا في كفر وكذب وما يتفرع عن النفاق من المذام فان الذي يستوقد النار في الظلام يتطلب رؤية الاشياء فاذا انطفات النار صار اشد حيرة منه في اول الامر لان ضوء النار قد عود بصره فيظهر اثر الظلمة في المرة الثانية اقوى .

تفسير قول الله تعالى:

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى

بقلم العلامة الشيخ الناصر الصدام

ان من احكم الروابط الاجتماعية واشدها وثاقا واجلاها مظهرا للعاطفة والعصبية رابطة الانساب والقرابة · وذلك ما تتفاضل الامم في العناية به والمحافظة عليه ·

وان من اشدها به احتفاظا العرب ذلك لما هم عليه من بداوة واستحكام جفوة وشيوع فوضى وتاثر بالخيال والخطابة والشعر وما الى ذلك الامر الذي لا عاصم لهم منه الا بعوامل الحمية لقرابة او جوار او نحوهما فهذا ما حدا بهم الى ان وصلوا ارحامهم ولم يخفروا لها ذمة متمدحين بذلك على جاهليتهم وتباين في المعتقد واختلاف في النزعة وهو ما تقصه عليك اشعارهم من نبئهم بالحق · بيد ان اصرارهم على العناد وجحودهم لما جاءهم عن الله تعلى من الآيات البينات قد انساهم كما انسى من قبلهم من الامم ما عرفوا للقرابة من عظيم حرمة واكيد ذمة فاعلنوا الجفوة واظهروا ما في طباعهم من اعراض ونبوة قائلا بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون)· ولقد اعرض من قبلهم قوم نوح عليه السلام وذلك ما ينبئك به القرءان الحكيم حاكيا لمقالته فيهم (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في ءاذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا) هذا ما لاقاه محمد ونوح من قومهما على قرابة كل منهما في امته ورجاحة نسبهما فيهم وكذلكم الرسل تبعث في انساب قومها ·

ولعدم معاملتهم له صلى الله عليه وسلم معاملة القريب لقريبه مع تأكدها بينهم واطرادها في عامة شعوبهم وقبائلهم لقنه القرءان الحكيم كيف ينحى عليهم باللائمة ويسجل عليهم عدم قضائهم لحقوقها في اروع اسلوب واشده تاثيرا في النفوس واستدرارا لاخلاف العاطفة منهم فقال (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) وفي ذلك ما فيه من الدعاء الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة

ثم في عد ما يتطلبه منهم من الاقبال عليه والانصات اليه المفهوم من الاستثناء الذي هو اقل

ما يناله القريب من القريب أجرا مجارات منه لهم وارضاء للعنان بتسليم ما الفوه من المخبرين بالمغيبات من كهان وغيرهم من طلبهم للاجر عن اخبارهم وهو ما يسمونه بحلوان الكاهن وفي اقتناعه صلى الله وسلم عليه بذلك اجرا عما جاءهم به عن الله تعلى بشيرا ونذيرا قطع لتعللهم وزعمهم أنه ربما يطلب الاجر عما يبلغه الامر الذي ربما يبرر لهم اعراضهم عن الاستماع اليه والاخذ عنه. هذا ما ظهر للعبد في تفسير هاته الآية الكريمة وهو المعنى الذي يتجلى في اخوتها من الآي السالكة سبيلها كقوله تعلى (قل ما اسألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد) وقوله جل ذكره (قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) وقوله سبحانه (قل ما اسالكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين) وقوله تعلي ايضا (كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) وقوله تعلى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) وقوله تقدست اسماؤه (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من أجر ان اجري الا على رب العالمين) وقوله تبارك وتعلى (كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) والقرءان يفسر بعضه بعضا

وفي التعبير في عموم هاته الآيات سوى آية شعيب عن الرسل بالاخوة لامهم وشعوبهم يدل على ان سنة الله تعالى ان يرسل الرسل من نفس المرسل اليهم وفي ذلك مافيه من جعل المرسل اليهم على استعداد للانتفاع من تلكم الرسالة ثم الآيات الثلاث الاول مما تلونا خطاب له صلى الله عليه وسلم واولاها وهي (قل ماسالتكم من اجر فهو لكم) صريحة في عدم سؤاله عليه الصلاة والسلام الاجر لانه لو كان مسؤله لم يكن لهم بل هو له كما لا يخفى لكنه اخبر بانه لهم فكان اخباره دليلا على عدم السؤال وكذلك قوله جل من قائل (قل ما أسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) فان اتخاذ السبيل الى الله تعلى ليس اجرا ضرورة ان نفعه وهو الوصول الى المقصد من سلوك السبيل انما هو للسالك

واما قوله سبحانه (قل ما سألتكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين) فهو أصرح مما قبله في نفي سؤال الاجر حيث ان نفيه لم ينتقض بالاثبات الصوري كما في الآية قبله وفي الآية التي نحن بصدد تفسيرها هذا والحكمة من هذا التقاين الآلهي للرسل عليهم السلام هي الدلالة على نزاهتهم وصدقهم وان لا حامل لهم على القيام بما قاموا به الا تبليغ الدعوة اجابة لداعي الله تعلى لا يريدون على ذلك جزاء ولا شكورا يظهر ذلك كل الظهور في آية والطور وهي (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون) وايضاح ذلك انه بعدم سؤاله الاجر منهم تنقطع معاذيرهم عن الاغراض عن قبول الدعوة والاستماع اليها فيتمحض اعراضهم للاستكبار والجحود والضلال وذلك ما يترتب عليه اصابة العذاب والنكال وهاته الآية هي حلقة من سلسلة استفهامات متتابعة سيقت مساق التوبيخ والتعنيف واولها (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يومنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السماوات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فية فليات مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون)

فان قلت مقتضى الظاهر التعبير باللام دون الظرف بأن يقال (للقربى)

قلت انما عدل عنه وعبر بالظرف اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لن يطلب من مودتهم الا ما يمكنه من الاستماع للدعوة وقبولها غير ممعن فيها ولا راغبا في توفرها وهذا ما يدل عليه الظرف ولا كذلك اللام لدلالتها على الاطراد في سائر انواع الوداد ولان في طلب اصل الود وقليله أبلغية في تعنيفهم واقامة الحجة عليهم

وبما اوضحنا تتبين ان الاستثناء في الآية وفي غيرها من سائر ما تلونا منقطع وذلك ما يتحقق به نوع غريب من انواع البديع لم يطلع عليه المتقدمون ولم ينصوا عليه فيما علمت وقد سميته (توكيد النفي بما يشبه الاثبات) وهو قسمان فمنه مايكون

بأدوات الاستثناء ومنه ما يتحقق بما يدل على الغاية فمن مثل الاول قول سيدنا كعب ابن زهير رضي الله تعلى عنه :

ولا تمسك بالوعد الذي زعمت الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومنه الايات التي تلوناه ومن مثل الثاني قول الله سبحانه (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فان الغرابيل لا تمسك الماء والجمل لا يلج في سم الخياط البتة فاعرفه وتحفظ به وقلب وجهك في سماء البلاغة متى كانت العلوم مواهب الآهية عالك ان يوليك ربك قبلة ترضاها واثقا بما جاء في الكتاب مسطورا (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)

أما ما عليه عامة المفسرين وفي مقدمتهم العرب الخلص من الصحابة والتابعين رضي الله تعلى عن جميعهم من ان الآية خطاب للمؤمنين بما يجب لآل بيت النبيء صلى الله عليه وسلم من ود واجلال واحترام فمما لم اتبين له وجها فان سياقها كسياق الآيات التي تلونا ليس من ذلك في قبيل ولا دبير لا تفسيرا ولا تأويلا وممن صرح بذلك المعنى في شعره الكميت بن زيد الاسدي الكوفي من قصيدة رنانة مدح بها ساداتنا آل البيت رضي الله تعلى عنهم ونفعنا بحبهم في الدارين مطلعها

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

الى ان تخلص الى مدحهم فقال

ولكن الى اهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني اتقرب

بني هاشم رهط النبيء وانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

خفضت لهم مني جناح مودتي الى كنف عطفاه اهل ومرحب

بأي كتاب ام بأية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب

ومالي الا آل احمد شيعة ومالي الا مذهب الحق مذهب

ومن غيرهم ارضى لنفسي شيعة　　ومن بعدهم لا من اجل وارجب
اليكم ذوي آل النبيء تطلعت　　نوازع من قلبي ظماء والبب
وجدنا لكم في آل حاميم آية　　تأولها منا تقي ومعرب

ومن ذلك ايضا قول الآخر وفيه دلالة على اشتهار هذا المعنى للاية من ذلك العصر

يذكرني حم والرمح شاجر　　فهلا تلا حم عند التقدم

وبه ايضا صرح الامام ابوبكر ابن العربي في كتابه احكام القرءان عندما تكلم على قول الله تعالى (وآت ذا القربى حقه) حيث قال بعد كلام ما نصه (ويدخل في ذلك قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولا متقدما او من طريق الاولى من جهة ان الاية للقرابة الادنين المختصين بالرجل فاما قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ابان الله على الاختصاص حقهم واخبر ان محبتهم هي اجرة النبي صلى الله عليه وسلم على هداه لنا) اهـ بالحرف

فهذا من القوم كاجماع على ذلك والرجاء ممن يقف على هاته العجالة احقاق حقها وابطال باطلها داعيا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وفوق كل ذي علم عليم

المجلة : هذا الوجه الذي ظهر للشيخ حفظه الله في تفسير القربى بقرابة قريش منه صلى الله عليه وسلم يوافق ما نقله صاحب الكشاف عن بعض المفسرين حيث قال :

وقيل : لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت . والمعنى الا ان تودوني في القربى اي في حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله . يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي .

فهو موافق له في اصل التاويل وان غايره في تعيين المراد من المودة فذكر الشيخ حفظه الله انها تكون بالاقبال عليه والانصات اليه وسماع ما جاءهم به من عند الله . وما نقله صاحب الكشاف يتعلق بعدم الاذاية وتهييج العرب ضده عليه الصلاة والسلام .

الحديث الشريف

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام اني اعلمك كلمات احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ - إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ - وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ - وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ

الشرح

(بقلم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي)

هذا الحديث الشريف اصل من اصول الدين وحكمة من حكم سيد المرسلين وهو من جوامع كلم الرسول وعمدة التربية الدينية الاسلامية العملية التي هذب بها المربي الاعظم العقول وانشا عليها ابناء هذا الدين في جملة ما هذبهم به من الكمالات وحلاهم به من حميد الخلال وجميل الصفات

وإنه ليرشدنا الى ما كان عليه الصلاة والسلام قائما به من دعوة الامة الى الله تعالى ومن ارشادهم الى العقائد الصحيحة والى ما يزكي نفوسهم من الفضائل ومكارم الاخلاق فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يعلمهم ذلك في مجالس يعقدها لهم في المسجد وغيره وفي مجامع أخر في الحضر والسفر فما يكاد يمضي عليه وقت (عليه السلام) الا وهو مشغول بتعليم او ارشاد او بيان قصد اصلاح دينهم ودنياهم وهدايتهم الى ما يصلح حالهم في أولاهم واخراهم كما دلنا هذا الحديث ايضا على ما كان من عناية النبي (صلى الله

عليه وسلم) بتربية الاطفال وتغذية نفوسهم بالعقائد الاسلامية وغرس الاعمال الصالحة في نفوسهم لينشأوا نشأة حسنة علماء بدينهم عاملين بتعاليمه حريصين على ادائها على اكمل الوجوه واجملها حتي يكونوا فيما بعد مرجعا لغيرهم يفزعون اليهم في تعليم ما ورثوه هم عن المربي الاعظم (صلى الله عليه وسلم) كما كان شان سيدنا عبد الله ابن عباس وغيره من الصحابة الاجلاء الذين كانوا نعم الموئل والملجا المسلمين بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد نشأ ابن عباس وغيره من ابناء الصحابة كعبد لله ابن عمر رضي الله تعالى عنهم اجمعين على هذه النشاة الحسنة وكانوا جميعا بعد الرسول (صلعم) مشرقا بزغت منه شمس هذا الدين المحمدي وانبعث منه نور الاسلام الحنيف فاضاء المشارق والمغارب

فعلينا ان ننشيء اطفالنا هذه النشئة الدينية الاسلامية وان نهتدي بهذا الهدي النبوي ونربي ابناءنا التربية التي ربي بها المربي الاعظم ابن عباس وغيره من اطفال المسلمين كسيدنا علي وعبد الله ابن عمر والحسن رضوان الله عليهم اجمعين

ان العلم الذي جاء به النبي (صلعم) وبلغه الناس عن ربهم علم يصلح النفوس ويهذبها وكذلك يصلح الابدان ويقيها امراضها فكان هذا الدين الاسلامي مثقفا للنفوس شافيا لها من العقائد الفاسدة وقبائح الجهالات ودواء يشفي من سيئات الاعمال وشرور عواقبها وانه كما جاء مصلحا للاحكام والاعمال جاء مصلحا للناس ارواحهم وعقولهم ببيان العقائد والعبادات والفضائل النفسية من ذلك ما اشتمل عليه هذا الحديث الشريف من الاصول الجامعة للتوحيد الخالص والايقان الكامل وتفويض الامور اليه والاعتماد في كل جليل او حقير عليه وطرح جميع الاغيار عن درجة الاعتبار وانه لا حول ولا قوة الا بالله الواحد القهار ٠

يقول ابن عباس رضي الله عنهما كنت خلف النبي (صلعم) اي كنت راكبا خلفه على دابته وبينما هي تسير بنا اذ قال لي النبيء (صلعم) (يا غلام) الغلام عند العرب هو من يتجاز عمره التسع سنين فقد تحمل عبد الله ابن عباس هذا العلم وهو غلام لم يبلغ الحلم ولا يخفى ما في هذا الدعاء من التنبيه وايقاض النفس لتلقي ما ياتي بعده فكانه يقول له تنبه يا غلام واحضر قلبك لفهم ما يلقى عليك ثم قال (اني اعلمك كلمات) المراد اعلمك جملا وفصولا تنفعك وتفيدك وكثيرا ما تطلق الكلمة على الجملة المفيدة وفي هذا

التمهيد من التشويق للمخاطب واذكاء روح اليقظة في نفسه ليمعن في استحضار حواسه وقلبه لارتشاف هذه الحكم الخالدة ما فيه وهو مثل عال للتربية الصحيحة يستعمله المربي الاعظم واستاذ الخليقة جمعاء فلنتوخه في تربية ابنائنا وهو اسوتنا في جميع امورنا واحوالنا فاذا اردت ان تفيد حقيقة او ترشد الى فضيلة فشوق من تريد تعليمه اولا الى ذلك ثم القه اليه يدخل قلبه دخول الرحيق للظمآن فيرويه ويشفي غلته هكذا علم النبيء (صلعم) ان عباس وهكذا يجب ان يفعل وتلك طريقة التشويق التي يستعملها المدرسون الماهرون وهي كما رايت من تعاليم ديننا واساليب تربية الاسلام

واعلم ان الخطاب وان كان موجها لابن عباس بخصوصه لكنه يتناول الجميع على قاعدة ان الشريعة عامة وان خطابات الشارع تتناول جميع الامة في كل زمان ومكان وتعيين مخاطب واحد لا يدل على اختصاصه بمقتضى الخطاب بل الامر له ولكل مكلف يصح ان يوجه اليه الكلام.

والكلمات التي اشار اليها صدر الحديث خمس فهي خمسة فرائد هي حلية المؤمن وزينته اذا حفظها واتقن فهمها وسار في جميع احواله على نهجها فقد فاز بكمال الايمان وحصل على جميع مبتغاه ونال السعادة الحقيقية التي هي غاية مناه وكان مكلوأ بعين العناية الآلهية التى لاتغفل ولا تنام

الكلمة الاولى هي قوله (احفظ الله يحفظك) حفظ الله عهوده ومواثيقه وذلك يكون بامتثال اوامره واجتناب منهياته اي كن مطيعا لربك واقفا عند حدوده فلا يفقدك حيث امرك ولا يراك حيث نهاك يحفظك الله من كل شر وبلاء ويرعاك بعين عنايته فلا يكلك الى غيره طرفة عين فقد جرت سنة الله في خلقه ان يجعل الجزاء من جنس العمل فامسيت واصبحت وانت في ولايته وكنفه وحفظه وحمايته ملحوظا برضاه محفوفا بلطفه فلا خوف عليك ولا حزن ولك البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لك العز في الدنيا والتكريم وفي الآخرة النعيم المقيم وعلى ذلك من الشواهد القرآنية ما يفوت الحصر فاقرأ ان شئت قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملوون وقوله تعلى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من

قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا • وقوله تعلى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي انفسكم ولكم فيها ماتوعدون)

اليست هذه الآيات تعطيك وعد الكريم الذي لا يخلف بنوالك السعادة الدنيوية والاخروية ما دمت محافظا على تعاليم الدين جادا في طريقه المستقيم صرايط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذا لا محالة هو عين الحفظ الموعود به في الحديث

وبعكس ذلك يكون حال من تمرد وطغى وتجاوز حدود الدين واستهتر بتعاليم هذا الشرع المتين وضيع الفرائض واهمل الواجبات وعكف على انواع المحرمات اعماه الشيطان عن الحق وزين له الباطل فتنكب طريق الجادة واغراه بنعيم وهو زايل فهو معرض لغضب الله وبطشه وهو في شقاء دائم ولو كان ذا ثراء عريض وجاه كبير قال الله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى

الكلمة الثانية هي قوله (احفظ الله تجده تجاهك) تجاهك في الاصل بمعنى قدامك والله تعلى منزه عن الجهة والزمان والمكان وكل سمة من سمات المخلوقات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وانما المراد حافظ على حدود الله تجد معونته وهدايته وتوفيقه معك يقودك الى الخير حيثما كنت فيجعل لك نورا تمشي به في الناس فلا تقصد امرا ولا تسعى في طريق الا ويكون التوفيق رائدك والنجاح حليفك ولا تقع في شدة الا وخلصك منها وجعل لك مخرجا كما في قصة الثلاثة الذين اصابهم المطر فآووا الى غار فانحدرت صخرة فانطبقت عليهم فقالوا انظروا ما عملتم من الاعمال الصالحة فاسئلوا الله تعلى بها فانه ينجيكم فذكر كل واحد منهم سابقة سبقت له مع ربه فانحدرت عنهم الصخرة فخرجوا يمشون بعد ان كادوا يهلكون ولله في خلقه شؤون • ولا يخفى ما في اعادة لفظ الحفظ في الكلمة الثانية من التاكيد والمبالغة لامر المحافظة على حدود الدين مع تنويع الجزاء

الكلمة الثالثة هي قوله (اذا سالت فاسل الله) في هذه الجملة علم كثير وفقه غزير وحاصل ما تفيده الجملة انه لا يجوز للعبد ان يسال غير مولاه في كل ما يحتاجه من

امر دنياه واخراه فانه تعالى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وبيده خزائن الجود وملكوت كل شيء فهو وحده القادر على الاعطاء والمنع وكل ما سواه محتاج لا يقدر على شيء. قال بعض العارفين قرات آيات في كتاب الله فاستغنيت به تعالى على الناس (١) قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو، فلم اسال غيره كشف ضري (٢) قوله تعلى وان يردك بخير فلا راد لفضله، فلم ار الجزاء والفضل الا منه (٣) قوله تعلى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها، فلم اطلب الرزق من احد سواه. وفي هذا من التوحيد وتخليص النفوس من العبودية لغير ذي الجلال والاكرام ما فيه فان من ايقن ان اله ربا يرزقه ويمده باسباب الحياة كما امده باصل الحياة وهو ملجؤه في كل شيء احس من اعماق نفسه بالاستغناء عن الناس ولم يعد في حاجة ان يتملقهم ويتزلف اليهم وشعر تماما بما له من كرامة وعزة تكفل الله بهما لخلقه المتوكلين عليه فلم يعول الا على الله الذي لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع بيده النفع والضر يصرفهما كيف يشاء وهو على كل شيء قدير

وليس معنى هذا ترك الاخذ بالاسباب التي جعلها الله تعالى موصلة للمطلوب عادة فانه خروج عن السنن العامة في افعال الرب فشأن المؤمن المتوكل في دائرة الاسباب ان يطلب كل شيء من سببه خضوعا لسننه تعالى في نظام خلقه وهو بذلك يطلبها من حيث امره ان يطلبها فاذا جهل الاسباب او عجز عنها وكل امره فيها الى الله تعلى داعيا اياه ان يعلمه ما جهل مما سنه من اسباب العلم وليس من التوكل ترك الاسباب الصحيحة في المعيشة والكسب والتداوي وغيرها والآيات الدالة على فضل التوكل وعلو منزلة المتوكلين كثيرة شهيرة

ثم استمع الى الكلمة الرابعة وهي قول الرسول (واذا استعنت فاستعن بالله) تجده يوصيك ان تطلب العون على قضاء حوائجك وجميع امانيك من الله وحده فهو المعين وجميع من سواه اليه محتاج وهذا صفوة الخلق وسيد الوجود يحكي القرآن على لسانه) قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير) فاذا اردت تحقيق امانيك فاطلب العون من الله وقل اياك نعبد واياك نستعين وهذه الكلمة في معنى الكلمة

السابقة جاءت لتأكيد المعنى المراد وتقريره وتثبيته في النفوس وبيان اهميته

واذا فهمت هذا حق الفهم وتغلغل في نفسك فهمت الكلمة الختامية (واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك) فهي مسوقة كالدليل على ما سبق وان واجب المؤمن ان يصرف اعتماده على الله وحده دون سواه وان ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبدأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم

ولتزداد في هذا المقام يقينا على يقينك وثباتا على دينك فاليك البقية الباقية (رفعت الاقلام وجفت الصحف) فهذه الكلمة صريحة في ان قلم القضاء قد جف بكل ما هو كائن الى يوم القيامة ففيما الحرص وسؤال الناس والتمسح بالاعتاب واهانة ما كرمه الله

وبعد فان من ايقن ان ما اخطاه لم يكن ليصيبه ولو تظاهر الناس جميعا على معاونته وان ما اصابه لم يكن ليخطئه ولو تضافر الكون جميعا على منعه فقد تحررت نفسه من كل عبودية وذل اللهم الا لمولاه المنعم وهذا هو الايمان الحق والله ولينا لا ولي لنا سواه اه

الحياء فضيلة

حدث ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:

« الحياء من الايمان، والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار »

وقال بعض الحكماء: « من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه »

وقال صالح بن عبد القدوس:

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه	ولا خير في وجه اذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وانما	يدل على فعل الكريم حياؤه

يظن بعض الناس ان الحياء منشأه ضعف في النفس وقد اخطاوا كثيرا والحقيقة ان التوقح اذا تمكن في النفس لا يزال يدفع صاحبه المهالك حتى يسقط اعتباره •

« نفتح في هذا العدد بابا جديدا »
« في المجلة يتعلق برسول الله »
« صلى الله عليه وسلم واصحابه »

اسرة الرسول

أبوا الرسول

ابوه — عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب واسمه حكيم ابن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان .

امه — آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

اولاد الرسول

من زوجه خديجة — القاسم - زينب - رقية - فاطمة - ام كلثوم - عبد الله ويلقب الطيب والطاهر ومن سريته مارية القبطية — ابراهيم .

أعمام الرسول

ابو طالب - ابولهب - عبد الكعبة - المقوم - ضرار - قثم - المغيرة - العيداق - العوام - العباس - حمزة .

عمات الرسول

صفية ام الزبير بن العوام - عاتكة - برة - اروى - اميمة - ام حكيم .

ازواج الرسول

اولاهن خديجة بنت خويلد القرشية ثم سودة بنت زمعة القرشية - عائشة بنت الصديق ابي بكر - حفصة بنت عمر بن الخطاب - زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر - ام سلمة هند بنت ابي امية القرشية المخزومية - زينب بنت جحش من بني اسد - جويرية بنت الحارث الخزاعية ام حبيبة بنت ابي سفيان القرشية الاموية - صفية بنت حيي بن اخطب سيد بني النضير من ولد هارون بن عمران - ميمونة بنت الحارث الهلالية .

موالي الرسول

من الرجال — زيد بن حارثة - اسلم - رافع - ثوبان - ابو كبشة - سليم - شقران واسمه صالح رباح - يسار - مدعم - كركرة - انجشة الحادي - سفينة بن فروخ واسمه مهران - انيسه - افلح - عبيدة طهمان - حنين - سندر - فضالة .

ومن النساء — سلمى ام رافع - ميمونة بنت سعد - خضيرة - رضوى - ريشحة - ريحانة

الصـاع النبوي

بقلم المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

حقيق على علماء الاسلام ان يتهمموا بضبط معاني الاسماء التي يناط بها امر او نهي في الدين ضبطا يساير مختلف الاعصار والامصار كي تجري امور الديانة على سبيل واضحة بينة لا يعتريها تردد ولا يخالجها انبهام • وحق على الامة ان تطالب علماءها ببيان ذلك لها حتى تكون على بينة من الامر وحتى تجري اعمالها في امور دينها على طريقة سواء وان اختلفت الاسماء • وتباعدت الاقطار والانحاء •

ولا يحسبن احد من اولئك او هؤلاء ان في اجراء تلك الاعمال على اجمال أو ابهام معذرة لهم في الوفاء بحق التكليف ولا ان في الاخذ بالاحتياط او الاحوط كفاية لهم لان ذلك لا يتاتى في كثير من الاحوال ولان الاحتياط عبارة عن عمل يصير اليه العلماء عند تعذر او تعسر العمل بامر مضبوط فهو من فروع ما يسمى في علم الاصول الاستدلال وانما يصار الى الاستدلال عند استفراغ الجهد في طلب الدليل ثم العجز عن تحصيله فاما الاخذ بالاحوط فهو عبارة عن اختيار احد الامرين المتعارفين عند عدم ظهور وجه يرجح اعتبار احدهما دون الآخر فيكون الاخذ بالاحوط طريقا من طرق الترجيح عند التعارض وهو ءاخر المرجحات وانما يصار الى الترجيح اذا تعارض دليلان ولا تعارض قبل البحث عن الدليل وعن معارضه •

وقد جرى تقدير مقادير نصب زكاة الحبوب والثمار وزكاة الفطر وكفارات الايمان وفدية الصيام وغير ذلك بالصاع والمد والوسق فكانت من الاسماء الشرعية المجهول مسماها اليوم عند طوائف جمة •

وقد نشأ هذا الجهل من تفريط المسلمين في ضبط كثير من امور دينهم وتغلب العادات والاصطلاحات عليهم في شئون مجتمعهم فاذا نظرنا الى الزكاة وجدنا اهل كل بلد لا يضبطون مقدار النقود الرائجة عندهم من الذهب والفضة بمقدار الدينار والدرهم الشرعي ولا يضبطون مقادير المكاييل الرايجة عندهم بما هو المطلوب في اخراج الزكاة

داخلين في ذلك كله على التسامح ومحكمين الاسماء دون المسميات والالفاظ دون المعاني •

(المخالفة في مقادير المكاييل المستعملة في كثير من بلاد المسلمين ومقادير المكاييل الشرعية)

كان الاختلاف في مقـادير المكاييل وفي تقديرها على المكيال المعتبر شرعا من القدم ما اختلف فيه علماء الاسلام اختلافا نشأ عن اهمال العمل بالمكاييل الشرعية في كثير من الاقطار • لقد كانت هذه المعضلة من المسائل التي دارت بين الامام مالك ابن انس وابي يوسف صاحب الامام ابي حنيفة رحمهم الله •

قال عياض في المدارك سال ابو يوسف مالكا عن الصاع فقال مالك خمسة ارطال وثلث فقال ومن اين قلتم ذلك فقال مالك لبعض اصحابه احضروا ما عندكم من الصاع فاتى اهل المدينة او عامتهم من المهاجرين والانصار وتحت كل واحد منهم صاع فقال هذا صاع ورثته عن ابي عن جدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع ابو يوسف الى قوله يعني وقد كان يقول بقول ابي حنيفة ان الصاع النبوي ثمانية ارطال فلذلك كان المنقول عن ابي يوسف في الفقه الحنفي انه قال الصاع خمسة ارطال وثلث خلافا لابي حنيفة

نشأة الصاع النبوي وما ظهر بعده من الاصواع

لا شك في ان الصاع النبوي هو صاع اهل المدينة الذي كان متداولا عندهم لما هاجر اليهم النبيء صلى الله عليه وسلم اذ لم ينقل في كتب السنة والسيرة ان النبيء صلى الله عليه وسلم وضع لهم مكيالا غير به مكيالهم الذي الفاهم عليه واخرج النساءي عن ابن عمر ان النبي (ص) قال المكيال مكيال اهل المدينة والوزن وزن اهل مكة وان قوله في الدعاء لهم اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم كما في حديث الموطا يزيدنا يقينا بهذا فالصاع الشرعي هو صاع المدنية الموجود في زمن النبيء صلى الله عليه وسلم والمد هو مد اهل المدنية اذ بـه جـرت التقارير الشرعية وبلاد العرب معروفة بقلة الاقوات فيها وبقناعة اهلها وذلك يقتضي ان تكون مكاييلهم صغيرة ويسمى المد ايضا المكوك بشد الميم وتشديد الكاف كما في حديث الثالث عند النسائي وكانت وحدة المكاييل عندهم المد ومن اربعة امداد يكون الصاع • وقد استمر الصاع النبوي مكيالا لاهل المدنية الى زمن هشام بن المغيرة المخزومي امير المدينة في خلافة هشام بن عبـد الملك الاموي فجعل هشام لهم مدا اكبر من المد النبوي وصاعا على نحو ذلك المد ويسمى

المد الهشامي والمد الاعظم اخرج النسائي عن السائب ابن يزيد (من الصحابة المتوفي سنة ٨٦) انه قال كان الصاع على عهد رسول الله (ص) مداو ثلثا بمدكم اليوم وقد زيد فيه اه. اي كان الصاع الذي هو اربعة امداد يعادل مدا وثلثا من صاعهم يومئذ.

ثم لما انتشر الاسلام في الاقطار استمر اهل كل قطر على الكيل بمكاييلهم المتعارفة فتكاثرت المكاييل في بلاد الاسلام كثرة شديدة. ولا نشك في ان دواعي لم نطلع عليها دعت بعض امراء المدينة الى احداث مكاييل في المدينة لم تكن في الزمن النبوي ولا في في مدة الخلفاء احدث هشام بن المغيرة امير المدينة مداوصاعا اكبر من مد النبيء صلى الله عليه وسلم وصاعه وهما المعروفان بمد هشام وصاع هشام وبالمد الاعظم والصاع الاعظم واحدث عمر بن عبد العزيز مدا دعي بالمد العمري.

واحسبهم ما احدثوا ذلك الا لتيسير سرعة كيل الاعطية من بيت المال وما يؤخذ على التجار واهل الخراج من الارزاق العايدة الى بيت المال ولكنهم كانوا لقرب العهد ولدقة الضبط في مامن من المخالفة لمقدار الصاع النبوي ولذلك نجدهم يقدرون تلك الاصواع المتداولة بينهم بما يوازي الصاع النبوي.

فلما اتسعت الاقطار وتباعدت العهود تطرقت الغفلة او الجهالة رويدا رويدا بمقدار الانتساب بين مكاييل الامصار وبين الصاع النبوي ومن ثم تجد الفقهاء اذا ارادوا ان يقدروا المكاييل الشرعية قارنوها بمقادير مكاييل امصارهم وموازينها من مكي وشامي وبغدادي واندلسي كما يراه المزاول كتب الفقه.

ومن العجب ان زجت الغفلة ببعض اهل العلم في اعتقاد ان الاخذ بما هو محقق الوفرة اسلم لانه احوط لان فيه يتحقق مقدار الصاع النبوي وزيادة وقد غفلوا عما يفوت بذلك من فضل اتباع السنة وعما يجر اليه ذلك من الاجحاف اذا كانت بعض المكاييل الرائجة او التي ستوجد ناقصة عن مقدار الصاع النبوي.

وقد روى البخاري في كتاب الايمان عن منذر بن الجارود عن ابي قتيبة البصري عن مالك عن نافع قال كان ابن عمر يعطي زكاة رمضان بمد النبيء صلى الله عليه وسلم المد الاول وفي كفارة اليمين بمد النبيء قال ابو قتيبة قال لنا مالك مدنا اعظم من مدكم (يعني في البركة والفضل) ولا نرى الفضل الا في مد النبيء صلى الله عليه وسلم وقال لي مالك

لو جاءكم امير فضرب مدا اصغر من مد النبيء باي شيء كنتم تعطون قلت كنا نعطي بمد النبيء قال افلا ترى ان الامر انما يعود الى مد النبيء ·

وفي المعيار نقل جواب الحفار والقاضي عن سؤال عن العمل بقول فقيه قال ان زكاة الفطر بالوزن باعطاء اربعة ارطال من الطعام ما نصه واما الفقيه الذي قال ان زكاة الفطر تخرج بالوزن اربعة ارطال فقد اخل بقاعدة شرعية فانه لو استفتاه رجلان يجب على احدهما قمح لانه قوت بلده وعلى الاخر شعير لانه قوت بلده فافتاهما بان يخرج كل منهما اربعة ارطال فقد جزمنا بان احدهما خالف السنة لان الصاع النبوي ان كان يسع اربعة ارطال من الشعير فانه يسع اكثر من ذلك من القمح وبالعكس العكس · فانا وجدنا اهل المدينة لا يختلفون في ان مده صلى الله عليه وسلم ليس اكبر من رطل ونصف ولا اقل من رطل وربع وقال بعضهم هو رطل وثلث وليس هذا اختلافا ولكنه على وزانة المكيل من تمر او بر او شعير ·

ضبط مقدار الصاع النبوي بوجه عام

والسبب الجامع لهذه الحال هو فقدان المسلمين جامعة اسلامية ترسم لهم امور دينهم ويصدرون عن امرها وتفاقم ذلك بعد انحلال الخلافة الاسلامية وتشتت الممالك وتباعد الاقطار لذلك كان واجبا على علماء كل قطر ان يحرروا مقدار الصاع النبوي على على المكاييل المتداولة عندهم · وقد ضبط عبد ابن حبيب لذلك ضابطا صالحا لسائر الاقطار » فقد نقل عنه القباب ان مقدار الصاع النبوي اربع حفنات باليدين جميعا بكف الرجل الذي ليس بعظيم الكفين والمدحفنة كذلك وزاده شراح المختصر تقييدا بان تكون اليدان غير مقبوضتين ولا مبسوطتين ولا يخفى على عاقل ان اكف البشر لم تنقص عما كانت في زمن النبيء صلى الله عليه وسلم ولا ادعى احد من العلماء الخائضين في هذا الباب تناقصها ·

ضبط مقدار الصاع النبوي بمكيال تونس الحالي

الصاع النبوي لا خلاف في انه اربعة امداد بالمد النبوي وقد ضبط فقهاؤنا مقداره بضابط لا يختلف وذلك فيما حكاه ابن رشد في البيان والتحصيل من كتاب الزكاة وفي اجوبته ان المشهور أن المد النبوي وزن رطل وثلث قال واختلف في قدر المد في الوزن فقيل بالماء وقيل بالوسط من البر اهـ · وقد جزم الشيخ ابن ابي زيد في الرسالة في باب الوضوء على ان التقدير بالماء

اذ قال وقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد وهو وزن رطل وثلث فتعين انه اختار ان الوزن بالماء فيكون ترجيحا قال فقهاؤنا الرطل اثنتا عشرة اوقية والاوقية عشرة دراهم وثلثا درهم من الدرهم الذي ضرب في مدة عبد الملك بن مروان وقد جعل وزنه ستة دوانق والدانق ثمانية حبات وخمسا حبة من وسط الشعير فوزن الدرهم خمسون حبة وخمسا حبة من وسط الشعير وشرطوا ان يكون كل شعيرة منها مقطوعة الطرفين الزائدين على حجم الحبة (١) واني قد وزنت هذا العدد من الشعير على الصفة المذكورة فكان ثلاثة غرامات بميزان اليوم كما وزنت درهما عتيقا ضرب في صدر الدولة العباسية هو عندي فوجدته ثلاثة غرامات ايضا وبذلك تحقق ان الدرهم الشرعي يزن ثلاثة غرامات بميزان تونس اليوم فتكون الوقية الشرعية اثنين وثلاثين غراما ويكون الرطل الشرعي الذي هو اثنتا عشرة اوقية على المختار يزن ثلاثمائة وثمانية واربعين غراما ويكون المد النبوي الذى هو رطل وثلث يزن خمسمائة واثنى عشر غراما ويكون الصاع النبوى الذى هو اربعة امداد يزن الفين وثمانية واربعين غراما وذلك من الماء ومن المعلوم ان ميزان الليترة التي هي وحدة المكاييل التونسية في هذا الزمان هو الف غرام من الماء المغلي فيكون الصاع النبوى يسع ليترتين ونصف عشر الليترة وهذا مما لا مرية فيه. ثم انا اعتبرناه بضابط ابن حبيب فكلنا اربع حفنات بكفي رجل متوسط اليدين غير مقبوضتين ولا مبسوطتين فوجدنا ذلك يعادل ليترتين ونصف عشر الليترة. وقد صدرت الفتوى مني بتقدير الصاع النبوي بهذا المقدار من عام ١٣٤٤ وهلم جرا ونشرت بجرائد تونس وبمصر من جرائد ومجلات المغرب والمشرق في عدة سنين وتلقاه اهل العلم بالقبول. اما الصاع المستعمل في تونس قديما قبل تصيير مكاييلها الى وحدة الليترة فقد تردد بعض اهل العلم من التونسيين في نسبته من الصاع النبوى فرايت للعلامة القاضي الشيخ اسماعيل التميمي في جواب له عن خمس مسائل سئل عنها منها تعيين ما يلزم في زكاة الفطر بصاع تونس فاجاب بقوله الذى سمعناه من شيوخنا ان الصاع النبوى هو بكيل تونس صاع وثلث صاع واختبرته بمد عندى فوجدته صحيحا واختبروا انتم ان شئتم بالحفنات نقل القباب عن ابن حبيب ان الصاع النبوى

---

(١) قال الفقهاء يسمى هذا الدرهم درهم الكيل لانه الذي به تقدر المكاييل الشرعية من اوقية ورطل وصاع ومد ويسمى الدرهم المكي والظاهر انهم سموه بهذين الاسمين بعد ان تعددت انواع الدراهم ودخلت فيها الزيوف

اربع حفنات باليدين جميعا بكف الرجل الذى ليس بعظيم الكفين اه• وظاهر هذه العبارة ان الصاع النبوي يعدل صاعا وثلثا تونسيا فاذا كان ذلك مراده كان الشيخ غير متحقق مقدار الصاع من صاع تونس لانه ذكر انه اختبر صاع تونس بمد عنده ولم يثق بصحة تقدير المد الذى عنده حتى يجعله اصلا يرجع اليه فلذلك احال السائل على اختبار ذلك بنفسه وعلى الرجوع الى التقدير بالحفنات ويحتمل ان يكون مراده ان الصاع النبوي اذا نسب الى صاع تونس كان يعادل صاع وثلث منه صاعا تونسيا فيكون قوله بكيل تونس اى بصاع تونس وعلى كل حال فالشيخ غير متحقق ووقع في خطبة جمعة اخر رمضان من خطب العلامة شيخنا سيدي سالم بوحاجب عند ذكر زكاة الفطر ما نصه وهي صاع بصاع نبينا صلى الله عليه وسلم اي اربعة امداد• ويوافقه الصاع المعروف الان بها ته البلاد اه• وهذا يخالف ما نقله الشيخ اسماعيل التميمي عن مشائخه ولم يذكر الشيخ مستنده في ذلك ولم نطلع على كلامه هذا الا بعد وفاته رحمه الله ففاتنا ان نراجعه في ذلك وقد كان الشيخ رحمه الله حيا في وقت صدور التقدير المحرر عني وسنين بعده ولم يغير ذلك هو ولا راجعني فيه احد من اهل العلم• والتحقيق ان صاع تونس الذى كان معروفا قبل تغيير المكاييل يسع ثلاث ليترات وثلث الليترة وان شئت قلت ثلاث ليترات وسبعة اجزاء من تجزئة الليترة الى عشرين جزأ فيزيد على ما يسعه الصاع النبوي بمقدار ليترة واحدة وثلاثة اعشار الليترة فالصاع التونسي هو مقدار صاع وثلث بالصاع النبوي وهذا يوافق الاحتمال الثاني في عبارة الشيخ اسماعيل التميمي• وان الاربع الحفنات المرجوع اليها في تقدير الصاع النبوي لا تملا صاعا تونسيا•

خـاتمـة

ان مكاييل بلاد الاسلام او معظمها خالفت الصاع النبوي منذ ازمان عتيقة وكانت الغفلة عن ضبطه تغر اهل بلاد المغرب فيحسبون ان كل صاع ياتيهم من المشرق هو صاع نبوي وربما كان بعض الحجيج ياتي بمكاييل من المدينة المنورة او مكة المشرفة تنسب الى المد والصاع النبوي وما هو بموافقه ففي المعيار للونشريسي من جواب الحفار (١) «واما الحاج الذى جلب المد من المدينة ان كان صادقا فالمد الذي جلبه يقطع بانه ليس على مقدار المد النبوي اذ مقدار المد النبوي على ما عبر ست عشرة اوقية من القمح والمعول عليه في مقداره ما يعلم من الائمة المقتدى بهم» • اه

(١) انظر صحيفة عدد ٣١٨ ج را طبع حجر فاس

امهات الدواوين

في المذهب المالكي

بقلم العالم الشيخ محمد الشاذلي النيفر

اوحى الي هذا الموضوع اني كثيرا ما ارى على ظهور الكتب القلمية نبذة يحاول فيها صاحبها ان يجمع امهات الدواوين في الفقه المالكي، وبالطبع ان العمل اذا لم يتهيأ له عامله لا يخرج الا ابترا جذم وليس ادل على عدم العناية من الكتابة على ظهور الكتب، وزادني عـزما ان الكتب التي عني مـؤلفوها بالعلوم والكتب كانت خلوا من كتب المذهب المالكي، فهذا مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة المتوفي سنة ٩٦٢ لا تجد فيه لكتب المالكية ذكرا. ومثله كشف الظنون وان كان اعارها طرفه بعض الاعارة ولم يدعهم الى القصور في هـذه المهمة الا ان اكثر المؤلفين في الفـقه المالكي من أهل الاندلس او من اهل المغرب او من اهل افريقية وكتب امثال هؤلاء القوم لا تصل الى المشرق الا بقلة ولو لا ما فرضه الله من الحج لما رأيت لها ذكرا البتة، والسبب فيه بعد الشقة فان المسافـة بين قرطبة وبغداد ليست بالمسافة القريبة اليوم فما بالك بها منذ الف سنة

وسنتمم في هذه الكلمة ما نقص في تلكم الكتب ونصل الحلقات بعضها ببعض، واكثر اعتمادنا في هذه الصلة على ما كتبه العلامة الاستاذ المرحوم الوالد في كتابه سلوة المحزون في تتمة كشف الظنون وعلى ما ظفرنا به في تضاعيف الكتب والاوراق وعلى ما تلقيناه من افواه مشائخنا والاقران

وسنحاول جهد المستطاع في التعريف بمؤلفي الكتب وبها نفسها صارفين كبير العناية الى التنقيب عنها في الفهارس، ومهما وقفت على شيء الا عينت موضعه بالضبط لكني ادعي القصور في هذه الناحية اذ اكثر المكاتب الخاصة التي تحتفظ بدفائن عزيزة الوجود لم تتهيأ لي زيارتها لما اراه من الغضاضة في الطلب واما المكاتب العامة فاقتصر فيها على ما وصلني براحه.

وليس غرضي ان اعمد الى الخفيات بل تصدي الامهات المشتهرات التي اعتمدها الناس بالدراسة وراجت بينهم حتى في بعض العصور.

***

ان احق ما يصدر به من امهات دواوين الفقه المالكي كتاب الموطأ فانه كما قال فيه ابن العربي بناه مالك على تمهيد الاصول للفروع ونبه فيه على معظم اصول الفقه التي يرجع اليها في مسائله وفروعه ولا يرتاب عاقل فيما ذكره ابن العربي وانه لحق كما انتم تنظرون.

وان فضل الموطأ على غيرها من كتب الفقه والحديث كفضل الرجال على النساء وان مالكا رضي الله عنه عمد فيها الى جمع الفقه والحديث كما جماله.

وانا سنتعرض في هذه العجالة الى التعريف بصاحب الموطأ اجمالا والى التعريف بالكتاب من ذكر رواته وطبعاته وشروحه والدلالة على اماكنها غاية ما وصل اليه الجهد وبلغه الاستقصاء.

اما الامام صاحب الموطأ فانه اشهر من ان يعرف واكبر من ان يدل على مكانته في العلم والتقى ووفور العقل ولكن نلم بشذرات من حياته بركة في هذه العجالة وتيمنا في هذه المقالة .

هو ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك الاصحبي المدني قال ابن خلكان الاصحبي بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة هذه النسبة الى ذي اصبح .

ولد سنة خمس وتسعين للهجرة وتوفي في شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله عنه لقد عاش اربعا وثمانين سنة . وزاد ابن الفرات في تاريخه انه توفي لعشر مضين من شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة . وفي حاشية الامام لايقاظ الهمم ان الشيخ عيسى المغربي نظم ولادته ووفاته فقال:

فخر الائمة مالك ❊ نعم الامام السالك

مولده نجم هدى ❊ وفاته فاز مالك (١)

٩٣ ١٧٩

لكن ذهب في ولادته على ما للسمعاني في كتاب الانساب وهو خلاف ما اختاره ابن خلكان وغير واحد من المؤرخين لكن هو الذي صدر به السيوطي في تزيين الممالك .

وقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب جملة من شيوخه منهم زيد بن اسلم ونافع مولى ابن عمر وسعيد المقبري والزهري وابو الزناد وهشام بن عروة وقد ترجم لكثير منهم السيوطي في كتابه اسعاف المبطا برجال الموطا .

واما الذين اخذوا عنه فخصوا بالتأليف من ذلك تأليف الحافظ ابي بكر الخطيب البغدادي وعددهم عشرة الف رجل الا سبعة كما في تاليف القاضي عياض وقد ذكر فيه نيفا على ألف اسم

---

(١) وقفت في بعض المجاميع على ما نصه : تتمة . ذكر لي صاحبنا الشيخ العلامة سيدي احمد المقري رحمه الله عن سيدي الثقة العلامة محمد بن غازي ان من نظمه في التاريخ :

وعام قحط مات مالك الرضى ❊ وقد قضى ابن القاسم عام قضى
واشهب والشافعي عندي ❊ ردا الى الاله عام رد

وانه لما ذكر ذلك بحضرة بعض الشافعية فقال جاءنا تاريخ مالك كلاما لا معنى له بل هو مستهجن بخلاف تاريخ الشافعي قال فاخترت ان اغيره ثم انشدني في ذلك ما نصه :

لما تذاكرت مع الاجهوري ❊ عالم مصر الناصح المشهور
سيدنا المدعو نور الدين ❊ علي المبجل المكين
وفاة مالك امامنا الرضى ❊ وكنت قد ارختها فيما مضى
أستمنح التوفيق من ذي الطول ❊ اذ سمحت قريحتي بقولي
قد أرخ الشيخ ابن غازي الماهر ❊ وفاة مالك بلفظ ظاهر
وهو قحط لكن عرى عن تورية ❊ فيه وعن اشارة لتعمية
فقلت لما ان رأيت ذلك ❊ تاريخه قولك فاز مالك

وثلثمائة اسم وقد سردهم في المدارك كما سردهم في تزيين الارائك . ولا بأس ان ننبه ان كثيرا من شيوخه قد اخذ عنه قال ابن حجر في تهذيب التهذيب وعنه الزهري ويحي بن سعيد الانصاري ويزيد بن عبد الله وغيرهم من شيوخه . قال في مرآة الجنان ان مالكا قال قل رجل كنت أتعلم منه ومات حتى يجيئني ويستفتيني وقد امتحن على يدي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما في مسالة طلاق المكره .

وله من التآليف ـ ١ الموطأ ـ ٢ ورسالته الى ابن وهب في القدر والرد على القدرية ـ ٣ وكتاب في النجوم وحساب دوران الزمان ومنازل القمر ـ ٤ ورسالة في الاقضية في عشرة اجزاء ـ ٥ ورسالته الى هارون الرشيد ويحي بن خالد البرمكي ، وقد طبعت هذه الرسالة ثلاث مرات في مصر وانكرها كثير من المشائخ وقالوا فيها احاديث منكرة لو سمع مالك من يحدث بها ادبه ، وحلف اصبغ بن الفرج ما هي من وضع مالك ـ ٦ وتفسير غريب القرءان وينسب اليه كتاب السرور (١)

اما الموطأ فهو كما قال ابن العربي هو الاصل الاول واللباب وكتاب البخاري هو الاصل الثاني في هذا الباب وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي لطيفة كنت ذكرت في كتابة لي ما نصه : ما الطف ما رواه لنا العلامة الشيخ الوالد من نكتة لبعض شيوخه . قال ، كان الامام في ختم كتابه بالباء يشير الى أنه اب لانه ختمه بحديث لي خمسة اسماء ، انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب . وكأن في ختم البخاري كتابه بالميم اشارة الى انه الام في الحديث لختمه بحديث التسبيح الذي هو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

---

(١) قد خص مالكا كثير من العلماء بالترجمة منهم ابو بكر احمد بن مروان الدينوري المصري المتوفى سنة ٣١٠ وابو الروح عيسى بن مسعود المتوفى سنة ٧٧٤ والجلال السيوطي في كتاب سماه تزيين الارائك بمناقب الامام مالك (كذا في الكشف) لكن الكتاب الذي طبع للسيوطي اسمه تزيين الممالك بمناقب سيدنا الامام مالك ؛ وهذا هو الصواب كما وقفت عليه في كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر الشيخ جلال الدين لتلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي هذه الكتب الثلاثة هي التي ذكرها صاحب الكشف وبقي عليه مناقب لبعضهم فرغ من تاليفها سنة ١٠٤٠ توجد بدار الكتب المصرية والانتقا في مذاهب الائمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر فقد خص جزءا منه بالامام والمدارك للقاضي عياض وان كان في ترجمة رجال المذهب الا ان تعريفه بالامام يعد تاليفا مستقلا وكذا لديباج المذهب .

والذين ترجموا لمالك ابن قتيبة في المعارف ص ٢١٨ وابن النديم في الفهرست ص ٨٠ وابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٥٥٥ واليافعي في مرءاة الجنان ج ١ ص ٣٧٣ الكشف ج ٢ ص ٥٧٢ وابو الفدا ج ٢ ص ٤١ وطبقات الشافعية ج ١ ص ٥٧ وروضات الجنان ج ٤ ص ١٤٤ وشذرات الذهب ج ص وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٥ وجرجي زيدان ج ٢ ص ١٣٩ .

وقد وضع مالك الموطا وفيه اربعة آلاف حديث او اكثر ومات وهي الف حديث ونيف يخلصها عاما فعاما بقدر ما يرى انه اصلح للمسلمين وامثل في الدين كما في المدارك. قال الشافعي ما بعد كتاب الله انفع من الموطا . وقال ما على ظهر الارض كتاب بعد كتاب الله اصح من كتاب مالك. واخرج ابو نعيم في الحلية عن احمد بن حنبل انه قال في كتاب مالك بن انس : ما احسنه لمن تدين به . وقال عبد الرحمان ابن مهدي : ما كتاب بعد كتاب الله انفع للناس من الموطا . قال ابن وهب من كتب موطا مالك فلا عليه ان يكتب من الحلال والحرام شيئا .

وجه تسميته بالموطا ان مالكا رضي الله عنه وطأه للناس حتي قيل موطأ مالك كما قيل جامع سفيان كما افاده ابو حاتم الرازي . ولبعضهم في وجه هذه التسمية ان مالكا قال عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ . وروى ابن فهر ان هذه التسمية اختص بها مالك فبعضهم سمى بالمصنف وبعضهم بالمؤلف . ولفظة الموطأ بمعنى الممهد المنقح المحرر المصفى . قال السيوطي في شرح الموطأ وفي القاموس وطأه هياه ودمثه وسهله . ورجل موطا الاكناف سهل دمث كريم مضياف او يتمكن في ناحيته صاحبه غير مؤذى ولا ناب به موضعه . وموطأ العقب سلطان يتبع وهذه المعاني كلها تصلح في هذا الاسم على طريق الاستعارة .

وروايات الموطأ على ما قال الغافقي اثنتا عشرة رواية وهي رواية عبد الله بن وهب وعبد الرحمان ابن القاسم وعبد الله بن مسلمة القعني وعبد الله بن يوسف التنيسي ومعن ابن عيسى وسعيد بن عفير ويحى بن عبد الله بن بكير وابي مصعب احمد بن ابي بكر الزهري ومصعب بن عبد الله الزبيري ومحمد بن المبارك الصوري وسليمان بن برد ويحي بن يحي الاندلسي وزاد السيوطي رواية سديد ابن سعيد ومحمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة .

وقد احصيت من روى عنه الموطأ حسبما وقفت عليه فوجدتهم انافوا على الستين . ولا فائدة في ذكرهم الا التطويل غير اني سأخص الافارقة بالذكر وهم اسد بن الفرات القروي(١) وخلف بن جرير بن فضالة القروي(٢) وعلي بن زياد التونسي(٣) وعيسى بن شجرة التونسي(٤) .

قال في كشف الظنون والمستعمل منها اي من رواياتها اربعة موطأ يحي بن يحي وموطأ ابن

(١) توفي اسد سنة ٢١٣ في حصار سرقوسة من غزوة صقلية وهو امير الجيش .

(٢) قال ابو العرب كان ثقة سمع من كثير من رجال ابن وهب .

(٣) توفي سنة ١٨٣ وقبره معروف بتونس قرب المستشفى الصادقي وهو الذي دخل الموطا المغرب .

(٤) جاء في تنوير الحوالك للسيوطي وعيسى بن شجرة تونسي ص ٨ ج ١

بكير وموطأ ابي مصعب - وهو ابو مصعب احمد بن ابي بكر الزهري - وموطأ ابن وهب ، ثم ضعف الاستعمال الا في موطأ يحي ثم في موطأ ابي بكر ، قات قد وقفت في قطف الثمر على سندين لمالك احدهما من طريق يحي بن يحي والثاني من طريق ابي مصعب الزهري وهذا يدل على ان رواية ابي مصعب لم تهمل كما ذكره صاحب الكشف .

والرواية المشتهرة التي طبع عليها الكتاب المرات العديدة هي رواية يحي بن يحي وبها ثلاثون كتابا تبتدي بكتاب الصلاة وتنتهي بكتاب الجامع .

المطبوع من روايات الموطأ هي رواية يحي كما اسلفنا ورواية الشيباني واقدم الطبعات هي طبعة دهلي بالهند سنة ١٢١٦ ثم تليها في التاريخ الطبعة التونسية وهي باكورة عمل مطبعة الدولة التونسية وقد قام بتصحيحها اولا الشيخ محمود قبادو ثم لما اشتغل بالقضاء قام بالتصحيح الشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد البشير التواتي والشيخ احمد الورتاني . وكان تاريخ ختم طبعه عصر الخميس يوم المولد النبوي عام ثمانين وماتين والف ، وقد ارخ ختم الطبع الشيخ قبادو بابيات منها :

وطأ اليوم الموطا مطبع فيه من منشيه طبع سدد
قد جلاه الملك الصادق في لبة التمدين عقدا ينضد
ان في طبع الموطا شاهدا لمزاياه وفخرا يخلد
ايها الناس لقد اصفى لكم وِرْدَه فاستبقوه واحمدوا
ولتدروا ساعة الانمام من اي يوم شهر عام فانشدوا
ارخوا عصر خميس اوخوا طاب ختما للموطا المولد

وعلى الحجر في مصر سنة ١٢٨٠ وفي فاس مرتين ١٣١٠ و١٣١٨ وفي لاهور سنة ١٨٨٩ وقازان ١٩١٠

وطبعت رواية محمد بن الحسن في الهند ١٢٩٢ و١٢٩٧ كما طبع مرات اخر وآخر طبعاته برواية يحي بمطبعة البابي بالشكل الكامل

العنصر العقلي في الادب

بقلم العالم الاديب السيد احمد المختار الوزير

ان نظرية النقد الادبي الحديث تقضي بان نتناول بحث الادب كفن له صلة بالفنون الاخرى. وله ايضا استقلال عنها. فالادب في ايسر الحدود. وله ميله للتعبير عما في نفس الشاعر من الافكار والخواطر والمشاعر. وهو ايضا اداء حسن ينشيء صلة وثيقة بين الاديب والقاريء: وعلى اعتبار جانبي هذه القضية نجد هنالك شيئا معبرا عنه هو دون لبس هذا العنصر العقلي. بما فيه من الافكار والصور الروحية والاخيلة. ومن اشبه الادب غيره من فنون الابانة والاداء كالموسيقى والتصوير وما اليهما من فنون اخرى.

فكل شيء في فن الادب يتركز على المعاني والحقائق التي يتضمنها ويصورها ويعبر عنها سواء أكان لهذه الحقيقة اثر في تكميل مرافق العيش وترفية الحياة. أم لم يكن لها اثر في شيء من ذلك ـ انما قصدها الاديب مباشرة وعبر عنها لذاتها فليس يعنيه نفعها الخلقي او المادي وليس يعنيه ان تكون صادقة مقنعة معقولة. ام لم تكن على شيء من كل ذلك. بل كل ما هنالك ان الاديب يمارس تجاريب الحياة. ويتعلق بما تكشف له من الحقائق فيشعر بالحاجة الملحة الى التعبير. فاذا عبر عن هذه الحقائق المجردة من تجاريب الحياة فان هذا التعبير لن يكون له غرض آخر سوى مجرد التعبير والابانة والافصاح.

يقول الاستاذ « لاسال » من اعلام النقد الادبي الحديث: « اننا في الادب الصرف لسنا بحاجة الى ان نستبعد امرا او أن نحول شيئا عن صورته. فهنالك نرى التعبير عن التجارب ممتعا لذيذا لمجرد انه تعبير عنها. والاثر الذي يتعمد الاديب ان يتركه في نفوسنا هو ان نحس التجربة وان نجد فيها متعة. وهذا هو الذي نرمي اليه. حين نقول ان مادة الادب هي التجربة الخالصة » ويتضح لنا من سرد هذه القضية ان العنصر العقلي هو روح الهيكل العظمي لفن الادب وان التجارب هي محور دائرته. ومن الحقيقة المعبر عنها تستمد العاطفة قوة تاثيرها

وقد وصف ـ شلي ـ الشعر بما تخيرنا اثباته ههنا تاييدا لهذه المقدمة قال: « الشعر يبقظ

العقل و ينبهه بما يجعله مسرحا للافكار المتسلسلة المترابطه • تسلسلا و ترابطا قل من يدركهما و الشعر ينيط النقاب عن وجوه الجمال المستتر • و يترك المالوف العادي كانه غير المالوف العادي اذ يلبسه من زخرف الخيال و البيان حلة هي السحر وكل ما تقع عليه انواره الساطعة يكتسب بهجة وجمالا • يرقان النفس و الوجدان » • و يقول ايضا « الشعر السامي غير محدود • فقد تزيح عن معنى القصيد حجابا و ترى اية باهرة من الجمال • ثم تزيح ءاخر فترى ءاية اخرى ومهما ازحت من حجب فاست لتعريه من حلله البهية • بل ان الملحمة الكبرى لهي نبع ابدي يفيض متفجرا حكمة و بهجة » •

هذا النعت يجلي لنا طبيعة الادب السامي • و يوضح ما لهذه الطبيعة من تاثير • فان تفجر القصيد بالمعاني و الاخيلة و الخواطر و الافكار و الاحاسيس و الالهام و بالصور الروحية للحياة التي عبر عنها الشاعر تعبيرا ممتعا لذيذا فصادفت من نفوس القراء لقاء حسنا وحرصا عاليا • وانقطاعا لفهم ما ولدته في اذهانهم من الصور و الاشكال • هذا النبع المتفجر حكمة وبهجة هو الذي يمد الاجيال بفيض من النشاط العقلي لا سكون له ولا قرار • هذا النبع المتفجر حكمة و بهجة هو مادة الادب هو الروح الذي يملأ ذلكم الهيكل الذي نسميه قصيدا وليس يلزم لهذه الحقائق و الصور التي هي مادة الادب ان يكون قد استخلصها ذكاء الاديب و انتباه يقظاته من دنيا الواقع المشهود • ولا من تيار الحياة المتدفق الزاخر بالاحداث اذ قد تكون تلكم الصور منتزعه من العقل الصرف ومستمدة من الالهام النفسي • ومن بدع الخيال الخصيب ولكن الذي يلزمنا اعتباره في نعت الصور ونقدها ان تكون تامة الاجزاء منسجمة التركيب • و اضحة الظل و الضياء • اي غير ناقصة • ولا مشوهة • ولا غامضة

و يحسن بنا في درس هذا العنصر العقلي ان ناخذ ابتداء في تحاليل بعض الامثلة • اذ لعل ذلك يسهل علينا اسباب التحصيل • و يعيننا بعض الشيء على الامعان و التقصي في التاصيل والفصيل • و ايسر ما اختاره من الامثلة هذه الابيات المشهورة من شعر ابي العلاء المعري فقد عبر بها عن رايه في اقتحام سبيل الحياة الشائك الوعر فقال وقد اعياه المسير وكده و اضناه:

غير مجد في ملتي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي اذا قيـ   ـس بصوت البشير في كل واد
ابكت تلكم الحمامة ام غنـ   ـت على فرع غصنها المياد

صاح هذي قبورنا تملا الرحـ ـب فاين القبور من عهد عاد
خفف الوطأ ما اظن اديم الار ض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهـ ـد هوان الاباء والاجداد
سر ان استطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد
رب مجد قد صار لحدا مرارا ضاحكا من تزاحم الاضداد
تعب كلها الحياة فما اعـ ـجب الا من راغب في ازدياد
ضجعة الموت رقدة يستريح الـ ـجسم فيها والعيش مثل السهاد
ابنات الهديل اسعدن او عد ن قليل العزاء بالاسعاد
ايه لله دركن فانتـ ـن اللواتي تحسن حفظ الوداد
مانسيتن هالكا في الاوان الـ ـخال اورى من قبل هلك اياد
بيد اني لا ارتضي ما فعلتـ ـن واطواقكن في الاجياد
فتسلبن واستعرن جميعا من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن في المآتم واندبـ ـن بشجو مع الغواني الخراد

سمعت صوت هذا النذير الصارخ ينبعث من ظلمة اللحد وسراديب اغوار الفناء ٠ ويخترق الاجيال قويا عاصفا في جلجلة راغية ٠ من ندبات الحزن وزفرات الحسرة ٠ سمعت دعاء هذا النذير ٠ ورنت اجراس اصدائه المغمغة فملات اذنيك ٠ واضطربت لها قليلا ٠ واحتارت يقظات عقلك قليلا ٠ وتساءلت في قرارة نفسك وفي سرك المحجب ٠ ترى ماذا قال ابو العلاء ؟

ولكنك حين يطول بك التقصي والاستغراق سوف تضحك ٠ وسوف تطيل الضحك ٠ اذ تتكشف لعينيك مهزلة هذه الحياة ٠ وهؤلاء الاحياء الذين يحصدهم الموت في غير ما شفقة او رفق ٠ ألست ترى المعري واقفا على اطلال الخراب وعلى كثب من رحاب الفناء ينظر في خشعة الذهول والاعتبار ٠ واطراقة الوجوم والحيرة ٠ الى هذه الدنيا وما تكتظ به جنباتها من احداث السلم والحرب ٠ وما يترامى في طولها وعرضها من رغائب وآمال ٠ فاذا هو يضحك ساخرا ٠ اذ تجلت له الحياة عن مهزلة مؤلمة اولها الفناء وآخرها الفناء ٠ والاحياء في ظلامها وسبحاتها الاعيب لا قيمة لشيء من افراحهم واتراحهم ٠ من بؤسهم ورخائهم من حربهم وسلمهم

من ثرائهم وفقرهم . من اعراسهم ومآتمهم . من قصورهم واكواخهم . من حبهم وعدائهم فالكل من الفناء والى الفناء . ومع ذلك فاست تجد من ينكر على نفسه ان شارك في احتمال هذه التجربة القاسية . ويمتد نظر المعري الى مجاهل الادهار الغابرة وينقلب الى غيوب الازمان المقبلة ويتأمل فاذا كل شيء من حوله يرتل انشودة الفناء ثقيلة كالظلام موحشة كالمقبرة جافة كالصخور فتذوى تلك الابتسامة الساخرة وتذبل على شفتيه وتذوب . وتتعلق باهداب عينيه دمعة حائرة ويناجي بنات الهديل . وقد طرب من نوح تغريدهن وكان يتعزى ببكائهن وهكذا سمعته يرتل قصيدة الحزين على تنغيم خاشع مبحوح من رعشات ترجيعهن وهكذا اسمعته يصف لك تجربة الحياة من جانبها المظلم ويعرض عليك صورة من تشاؤمه فيغمر نفسك بفيض من الحزن ويبعث في دخيلتك مختلف الاحاسيس ولعلك ادركت منه ما لم ندرك .

ومن دراستنا لهذا المثال يتضح لنا ان العنصر العاطفي يتركز على فكرة التشاؤم . وهكذا يمكن الاقتناع باطراد هذه القاعدة وهي ان النص الادبي كيف كان قصيدة شعر او ترسل نثر . رواية او مقالة . لابد ان يمد الفكر ويزود العقل بصور الحياة . وحقائق هذا الوجود . لابد ان يمدنا بمادة عقلية تزيد في ثروة الفكر وغنائه . واذن فالعنصر العقلي في فن الادب له اعظم اثر في تقدير قيمته . وبدون هذا العنصر العقلي يفتقد فن الادب ميزة الالهام . ويصبح جسدا لاحيوية فيه ولا نشاط . يقول العلامة النفساني الاستاذ « ادورت » في كتابه الحياة العقلية : « ان الفن قد يرضينا لانه يوحي الينا وحيا فكريا كما يتضح ذلك عندما نذكر في ان كثيرا من الآثار الفنية العظيمة تحتاج لمجهود فكري لكي نفهمها ونرتاح اليها فيجب ان تكون منتبها كل الانتباه لتتمكن من متابعة رواية من روايات شكسبير كما انك تحتاج الى ايجاد مغزى لصورة زيتية قبل تمكنك من التلذذ بها تلذذا عميقا » . وهكذا يكون استعمال الذكاء في الادراك والفهم واستعمال الخيال في بناء الصور والاشكال والالوان من القارىء وسيلة لتقليد الشاعر والدخول معه في عوالم الالهام وفي افق المناطق التي بذل مدخر الجهد في كشفها واعلان ما في غيوبها من جمال . وهذه المادة العقلية هي كل شيء يتلقاك حينما تقبل على النص اقبال استجلاء وتذوق . وفي عثورك على الصلة الجامعة لاجزاء القصيدة تكون قد وفقت الى ايجاد المغزى الذي تتطلبه في شوق وتود الحصول عليه في حرص ان الوجه الجامع لاجزاء الصورة هو المدخل الذي يتأدى بالقارىء الى حياة الشعر والى فهمها . والى محاولة تقليدها . واستدامة ما فيها من متعة ولذة وجمال .

(يتبع)

الحركة الادبية

نشطت الحركة الادبية في ربوعنا شيئا ما بعد ركود قضت به حوادث الحرب الغاشمة وشدة المراقبة وتقييد حرية الاجتماع فظهرت مجلة الثريا التي تقومُ بتحريرها هيئة الاذاعة ويديرها الاديب السيد نور الدين بن محمود كاتب الاذاعة بالقسم العربي فنشرت مواضيع قيمة في الادب والتراجم كما نشرت قطعا من الادب العامي وهي طريقة ربما يكون لها تاثير لا نوده على الادب العربي الفصيح . كما اصدرت كل من الصحيفتين اليوميتين ـ الزهرة والنهضة ـ عددا في كل اسبوع لنشر الادب التونسي والنهوض به وقد تولى تحريرهما جماعة من الشبان المولعين بالادب فتبارت اقلامهم وظهرت افكارهم للعيان ونطقت اشعارهم باحاسيس نفوسهم في شيء من الطموح وان قرأنا لبعضهم شيئا جميلا وافكارا صحيحة فان هذلك الشيء الكثير الاولى به عدم النشر واخيرا صدرت مجلة « المباحث » التي يقوم عليها الاديب السيد محمد البشروش ويتولى تحريرها جماعة من المولعين بالادب والفن فنشكر السيد محمد البشروش ونتمنى للمشروع اطراد النجاح . هذا من ناحية النشر واما من ناحية الاذاعة فان حركتها لم يعترها ركود ولا خمول فهي متصلة بالدولة ويسهر عليها رجال امتازوا بالحزم والنشاط فلا غرابة اذا لم يصبها ما اصاب سواها الا انها في المدة الاخيرة وان كثر عدد المذيعين من العلماء والادباء بيد ان الحصة المخصصة لكل مذيع قليلة جدا ربما لا تترك له مجالا لايفاء الموضوع الذي طرقه حقه فلو كانت الحصة ١٥ دقيقة عوض ١٠ دقائق كما كان الامر قبل لكان حسنا وقد لاحظنا ان بعض المذيعين من يسرع في الالقاء حتى يفوت على السامعين ما يرغبون في سماعه كاملا غير منقوص والكل يعلم ان الذى دعا الى ذلك الاسراع قلة الوقت المعين للمذيع كما اننا نلاحظ للمذيعين ان لا يكثروا من ربط المحاضرة بمحاضرة اخرى ونرغب منهم ان تكون كل محاضرة تامة في ذاتها واذا كان الموضوع الذى طرقه يستدعي محاضرات متعددة فنرغب ان تكون كل محاضرة تشتمل على قسم لا يتوقف فهمه على القسم الذى قبله ولا على الذي ياتي بعده .

واما في الجمعيات ونوادي العلم والادب فان الخمول خيم عليها منذ سنوات اذا استثنينا جمعية الشبان المسلمين فانها في نشاطها المعتاد الامر الذى تشكر عليه الهيئة المديرة لها بابله انها قامت باعمال جمة لم تقم بها من قبل وسجلت حسنات انتفع بها الخاص

والعام واقامت في موسم كل عام حفلاتها المعتادة بمناسبة ذكرى الهجرة وذكرى المولد الشريف ونحن نرجو لها دوام النشاط وحسن المعاضدة وفي هذه السنة شاركتها هيئة الاذاعة العربية فاقامت مهرجانا حافلا بمناسبة ذكرى الشاعر العبقري ابي العلاء المعري في المسرح البلدي عشية يوم الخميس في من شهر ربيع الانور الموافق من شهر مارس وكان الاحتفال بهيجا في منظره متواضعا في صوغه دام من الساعة الثالثة والنصف وانتهى على راس الساعة السادسة شارك فيه جماعة من العلماء والادباء واني احسب ان ذلك الركود الذي اعترى الجمعيات في مظهرها الادبي يرجع الى قيام المذياع بالمحاضرات فاغنى الجمعيات عن القيام بهذا العمل ولكن شتان بين العملين فانه لا يغني احدهما عن الاخر والكل يعلم ان ما يتمكن منه الاديب مع سعة الوقت لا يجده مع قلة الوقت اما الجمعية الخلدونية فانها رجعت في هذا العام الى طريقتها ورغبت من شيخ الادباء الاستاذ العربي الكبادي ليرجع الى منبره بقاعة المحاضرات بالخلدونية فلبى النداء وتولى القاء محاضراته النفيسة في تاريخ الادب العربي التونسي يتولى حفظه الله دراساته بالتحليل والنقد وينثر على مستمعيه دررا من نفائس مختاراته بارك الله لنا فيه وامتعنا بطول حياته .

واما الجمعيتان - جمعية الزيتونيين - وجمعية قدماء الصادقية - فانهما الفتا الركود فعسى ان نراهما قد رجع لهما نشاطهما القديم .

اصلاح الاخطاء الواقعة

في الجزء الخامس من المجلد الخامس من المجلة الزيتونية

صفحة	عمود	سطر	خطا	صواب
٧٠		٥	ويمدهم	ويمدهم
٧٢		٢٠-٢١	كماهي في	كما هي عادتهم في
٧٣		٢١	قصرا	قصرا اذ ليست تعريف المسند باللام
٨٥	١	٩	قلاحيه	فلاحية
»	»	١٤	والفسنق	والفستق
»	»	١٩	والشم	واليشم
٩٢	١	١٣	الوزير بلان	المسيو بلان
»	»	١٩	الوزير بلان	المسيو بلان

(تنبيه) قد جاءت نقط بعض الحروف المنقوطة غير واضحة ولكن لا يخفى عن القراء تمييزها

« المجلة الزيتونية »

تقبل الاشتراك السنوي في كل وقت بالثمن المحدد وتحتسب السنة على وفق رغبة المشترك من اول المجلد فترسل له الاعداد التي صدرت او من تاريخ الاشتراك .

ملوك الدولة الحسينية

العدد الرتبي	الاسم	سنة الولادة	سنة الولاية	سنة الوفاة	المدة سنوات	المدة اشهر	المدة ايام	العمر سنوات
١	المولى حسين بن علي تركي	١٠٨٠	١١١٧	١١٥٣	٣٦			٧٣
٢	ابن اخيه علي باشا ابن محمد بن علي تركي	١١٠١	١١٥٣	١١٦٩	١٦			٦٨
٣	ابن عمه محمد الرشيد ابن حسين بن علي تركي	١١٢٢	١١٦٩	١١٧٢	٢	٠٦		٥٠
٤	اخوه الباشا علي باي	١١٢٤	١١٧٢	١١٩٦	٢٤			٧٢
٥	ابنه الباشا حموده باي	١١٧٣	١١٩٦	١٢٢٩	٣٣	٠٣		٥٦
٦	اخوه الباشا عثمان باي	١١٧٦	١٢٢٩	١٢٣٠		٠٣		٥٤
٧	الباشا محمود باي بن محمد الرشيد بن حسين بن علي	١١٧٠	١٢٣٠	١٢٣٩	٩			٦٩
٨	ابنه الباشا حسين باي	١١٩٢	١٢٣٩	١٢٥١	١٢	٢		٥٩
٩	اخوه الباشا مصطفى باي	١٢٠١	١٢٥١	١٢٥٣	٢	٦		٥٢
١٠	ابن عمه المشير الاول احمد باشا باي	١٢٢١	١٢٥٣	١٢٧١	١٨	٢		٥٠
١١	ابن عمه المشير الثاني محمد باشا باي	١٢٢٦	١٢٧١	١١٧٦	٤	٥		٥٠
١٢	اخوه المشير الثالث محمد الصادق باشا باي	١٢٢٩	١٢٧٦	١٢٩٩	٢٣	١٠		٧١
١٣	اخوهما علي باشا باي	١٢٣٣	١٢٩٩	١٣٢٠	١٩	٢	١٩	٨٧

تابع لملوك الدولة الحسينية

العدد الرتبي	الاسم	سنة الولادة	سنة الولاية	سنة الوفاة	المدة سنوات	اشهر	ايام	العمر سنوات
١٤	ابنه محمد الهادي باشا باي	١٢٧١	١٣٢٠	١٣٢٤	٤	٠٠	١٣	٥٣
١٥	ابن عمه محمد الناصر باشا باي ابن محمد ابن حسين باي	١٢٧١	١٣٢٤	١٣٤٠	١٦	١٠	٢٧	٦٩
١٦	ابن عمه الباشا محمد الحبيب باي بن محمد المامون	١٢٧٥	١٣٤٧	١٣٤٧	٧			٦٧
١٧	ابن عمه الباشا احمد باي الثاني بن علي بن حسين باي	١٢٧٨	١٣٤٧	١٣٦١	١٣	٩		٨٣
١٨	محمد المنصف باشا باي ابن محمد الناصر باشا باي	١٢٩٨	١٣٦١			١١	٤	

— ١٩ —

صاحب المملكة التونسية

الجناب الارفع والكهف الامنع سيدنا ومولانا

★ محمد الامين باشا باي الاول ★

ادام الله عزه وعلاه

ولادته في التاسع من شوال المبارك عام ١٢٩٨ وجلوسه على العرش الملكي ١٠ جمادى الاولى ١٣٦٢

دام ملكه بين البرية وحماه الله من كل مكروه واذية

عدد ٧

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء السابع	تونس في جمادى الثانية ١٣٦٣ وفي جوان ١٩٤٤	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير
محمد المختار بن محمود

المدير
محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات :
ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة .

الادارة :
نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

الثمن ١٠ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط رقم ٥٧ ـ تونس

المجلد الخامس — **فهرس العدد** — الجزء السادس

الصحيفة	المقال	صاحبه
	فاتحة الجزء	
١٣٧	اللغة العربية واقتراح جامعة نقابات التعليم لشمال افريقيا	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
١٤٢	القرآن الكريم	الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ
١٤٦	تفسير آيتين من سورة البقرة	محمد الطاهر ابن عاشور ....
	ـ مراجعة في تفسير قوله تعلى : ـ قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى المنشور بالجزء ٦	» » » »
	ـ الوعظ والارشاد ـ	
١٤٩	النصيحة والمراقبة واثرهما في اصلاح الفرد والمجتمع	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي...
	ـ الحديث الشريف ـ	
١٥٤	باب من توكل على الله فهو حسبه: (من صحيح البخاري)	العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي
١٥٨	اسرة الرسول	نشرة المجلة ....
	ـ التاريخ ـ	
١٥٩	ترجمة الاستاذ محمد بن الخوجه.......	العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
١٦٣	تقريض كتاب معالم التوحيد.......	امير الامراء اسماعيل حفصية........
١٦٤	تاريخ تاسيس القيروان وسورها الى اليوم	العالم الشيخ محمد مظراد..........
١٦٦	(القضاء الشرعي في القديم) ابو حفص عمر القلشاني	صاحب الفضيلة الشيخ محمد البشير النيفر
	ـ الادب ـ	
	ترجمة الشيخ معاوية التميمي	مدير المجلة ....
١٧٤	الشيخ معاوية التميمي بمدينة باريس..	الاستاذ عثمان الكعاك ....
١٧٩	تقريض مجلة الاديب	....
١٦٩	موشح ابراهيم بن سهل ومعارضاته...	نشرة المجلة ....
١٧٠	موشح الشيخ احمد بن ابي الضياف....	....
١٨٠	صحيفة الشباب مكتبة التلميذ الزيتوني.	....
١٨٠	خطاب الاستاذ الاكبر في حفلة مكتبة التلميذ الزيتوني.........	الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ صالح المالقي.............
١٨١	خطاب رئيس المكتبة..........	الشاب النجيب حمده سلم........

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء السابع	تونس في جمادى الثانية ١٣٦٣ وفي جوان ١٩٤٤	المجلد الخامس

اللغة العربية

واقتراح جامعة نقابات التعليم لشمال افريقيا

نشرت بعض الصحف المحلية الاقتراحات التي قررها مؤتمر نقابات التعليم الذي انعقد بعاصمة الجزائر وهي تتضمن فيما يخص تونس النقط التالية :

يقترح المؤتمر ان تكون كل لائحة اصلاح تعليم المسلمين - مسلمي تونس - مبدؤها واساسها ما وقع تقريره في بلاد الجزائر مع امكان مراعاة الظروف السياسية الخاصة بالبلاد • وان لا يقع في اية حالة البتة تنفيذ اي اصلاح قبل ان يعرض على المنظمات النقابية

يعارض المؤتمر في كل لائحة اصلاح تقتضي ان تكون لغة التعليم هي العربية فقط • ويطالب بان لا يغفل غافل عن ان لغة التعليم بجميع العلوم يجب دائما ان تكون الفرنسية

اللغة العربية الفصحى يجب ان لا تشغل مكانا كبيرا في التعليم • وان لا يشرع في تعليمها الا بعد دخول الطفل للمدرسة بسنتين او ثلاث لان تعليمها لا تحصل منه منفعة ولا يكون ناجما اذا كان الاطفال صغار السن جدا الخ

فاحدث هذا الاقتراح تاثيرا عميقا في الاوساط التونسية عموما وفي الهيئات العلمية

بصفة خاصة وادخل على النفوس قلقا واضطرابا واستاء منه التونسيون استياء عظيما وتعرض له الكتاب بالنقد بحسب ما تسمح به الظروف ونحن لزاما علينا ان نقول كلمتنا في هذا الموضوع الخطير تحقيقا للحق ودحضا للشبهة ودفاعا عن شيء هو من اعز ما يجب علينا ان نحافظ عليه ونذود عنه بكل ما لدينا من حجة وبرهان وقوة عزيمة فنقول :

ان اصل هذا الاقتراح ليس هو وليد راي خاص لم يختمر في عقل صاحبه فرمى به وطرحه امام انظار المؤتمرين ليبحثوا في صحته من فساده ويقرروا قبوله او رفضه بل هو راي لبعضهم علمناه منذ زمان ونشر في الصحف ونقده بعض التونسيين وبينوا لاصحابه ان الامة متمسكة بعروبتها محافظة على لغتها وانه لا محل لقبول امثال هذه الاقتراحات . بيد انه في هذه المرة اصطبغ بصبغة خاصة خطرة ليمكن ان يخرج من حيز التفكير الى حيز العمل ومن دائرة القول الى التنفيذ وزيد فيه بعض فصول ليسهل تنفيذه وبيان ذلك ان بعض الكتاب الفرنسيين اقترح على الشعب التونسي العربي ان يعتنى باللهجة العامية ويجعل لها مكانا يليق بها كلغة تخاطب وهي منه بالسهولة التي لا يجدها في اللغة العربية الفصحى التي يحرص على بقائها من غير ان يفقه انه يعمل لغير مصلحته ولغير مصلحة مساكنيه من الفرنسيين الذين يرغبون في تعلم اللغة التي يتكلم بها التونسيون . ولما خاب هذا الرجاء تحولت وجهة النظر الى دعوته بصوت اخر فحسنوا له النشر والتاليف القصصي وعلى الاخص التمثيل باللهجة العامية وفي هذه المرة وجدت الدعوة بعض من أصغى اليها فظنوا ان النجاح قد ظهرت بوارقه فنشطوا وتقدموا خطوة اخرى فجاء الاقتراح الخطير ولكن الامر ليس كما يظن فان نشر صحيفة بلهجة عامية او تاليف قصة وتمثيلها بهذه اللهجة وان كان شيئا ممقوتا اقدم عليه بعض من لم يفكر في العواقب ولم يساير ميول افراد الشعب ونفسيته فهو لم يبلغ من الخطورة مبلغ قلب نظام التعليم لابناء شعب كامل فتقبله الامة العربية والحكومات الساهرة على حفظ مصالحها بالسهولة التي حسبها المقترح والمؤتمرون فان وراءه من الخطورة الشيء العظيم والامم الان تستقبل عصرا ستتصدع فيه الاراء المتعصبة على صخرة الحقائق . والشعب التونسي لما قبل اللغة الفرنسية وتعلمها عن رغبة وشره وقبلها كاداة لتعلم العلوم كان منه ذلك باعتبار انها مرحلة اولى من مراحل التطور في رقيه المنشود له فكيف يمكن ان يرضى وتطيب نفسه بقبول امثال هذا الاقتراح على ان

هذا الاقتراح نفسه ماخوذ على صاحبه من وجوه

اولها يتعلق برغبتهم في ادخال اللهجة العامية في فصول التعليم بالمدارس الـرسمية واعتبارها مادة من المواد التي يتعلمها التلامذة كما هو راي بعضهم. وان لم يذكر صراحة في اقتراحات المؤتمر التي تم تقريرها نهائيا في هذه السنة.

ونحن نبحث مع اصحاب هذا الراي من جهات : اولها اي لهجة يراد ان تجعل مادة في التعليم ! هل لهجة الشمال او لهجة الوسط او لهجات الجنوب فان اختير احدها يكون ذلك تحكما وهضما بالنسبة للباقي وان اختير جميعها فذلك دون تحقيقه خرط القتاد. وان قسموا وقالوا كل جهة تتعلم لهجتها فهذا اعسر من الجميع ويزيد الموضوع تشعبا واضطرابا ولا يسهـل على الشعب شيئا مما يحاولون ان يذللوه بترك الفصحى واما الفرنسيون فلهم ما يشاءون تعلمه سواء الفصحى او العـامية فهم ادرى بمصالحهم وانما الذي نريده ان لا يشغل المؤتمرون اوقاتهم في التفكير في امر هو من خصائصنا نحن والقـول الفصل فيه لنا وحدنا فالامة عربية ولغتها عربية ولا تسمح لكائن من كان ان يمسها في لغتها.

وثـانيها ان العامية ليس مراعى فيها اصول الفصحى على نسبة واحـدة صحيحـة ولا مراعى فيها قواعد نحوها وفيها من اللغات الاخرى الشيء الكثير مع عدم مجـاراة مادة الاشتقاق لواحدة من تلك اللغات لا فرق في ذلك بين الفصحى وغيرها فعـلى اي اساس يكون تعليمها ؟ وعلى اي نحو يقوم هيكلها ؟ ومن اي الكتب يستمد التلامذة ثقافتهم لو تركنا لغتنا العربية ؟

ثالثها ان العربية لغة القرآن فاذا استبدلت الفصحى بالعامية وترك تعلم اللغـة العربية كيف يمكـن تعليم القرءان للتلامذة وتعليم القرءان واجب ديني فالطفل يلزمه ان يتعلم اللغة التي نزل بها القرءان. ولا يقع النقض بالعوام لان العوام ما منهم الا تلقى من اللغـة وسور القرءان ما يقيم به فروضه الدينية. هذا اولا وثانيا نحن نتكلم على اعـداد نشيء متعلم فلا نقض بالمقصر والجاهل فان ذلك خروج عن الموضوع.

الوجه الثاني مما يؤخـذ على صاحب الاقتراح وهو يتعلق بكون اللغـة العربية الفصحى يجب ان لا تشغل مكانا كبيرا في التعليم

عجب كل من قرأ هذا الاقتراح كيف سوغ المقترح لنفسه ان يهاجم الشعب التونسي بمثل هذا الهجوم الذى لا مبرر له • ونحن نسال صاحب الاقتراح هل ان الشعب التونسي على استعداد لقبول تبديل لغته التي هي لغة قومه ووطنه ولغة القرءان فان العربي يفهم ويتصور انها لغته التي نزل بها القرءان وخدمت العلم قرونا وخدمت الفكر عصورا متطاولة وخدمت السياسة احقابا متتابعة فلا يبغي عنها بديلا كيفما كانت التكاليف والظروف وهي لغة حية لها ثروة ادبية واسعة لو هجرها ابناء الشعب لضيعوا تراثا ثقافيا لا تغني عنه العامية ولا اية لغة اخرى زيادة عما يضيع عليهم من العلوم التي دونت بالفصحى ولم تنقل الى غيرها • وهي ايضا الرابطة التي تربطه باخوانه العرب في سائر الاقطار العربية فتراه يغار عليها كما يغار على قومه العرب وعلى الوطن العربي باسره من الجزيرة الى الاطلانطيك وارادة نكران الواقع لا يغير من الحقيقة شيئا والتقسيمات السياسية اوضاع اصطلاحية لا ترفع الواقع بحال وان بذل في سبيلها ما بذل لان المجارى الطبيعية تتصدع امامها كل السدود • فكيف بالمؤتمر يوجب ان لا تشغل العربية مكانا كبيرا في التعليم وما ذا يريد من المكان الذى وصفه بالكبر هل من حيث الوقت او من حيث المواد فان كان الاول فهل بعد هذا التقتير التي هي عليه الان يراد زيادة التنقيص من الحصة المعينة لها والشعب ما زال يطالب بالزيادة وان كان من حيث المواد فان نقص المواد التي يتلقاها التلميذ في المدرسة المتعلقة باللغة وءادابها امر بين وكذلك الشعب ما انفك يطالب بتنقيح البرامج وادخال تحسينات عليها حتى يخرج التلميذ على هيئة يقدر معها ان يتابع تثقيفه الذى اهلته له المدرسة • الوجه الثالث يتعلق بدعوى ان التلميذ الصغير لا تحصل له منفعة من تعلم اللغة العربية • هذا كلام ادهش العقول منطقه لاسيما وهو قد ذكر في معرض الاستدلال على صحة نظرية القائل انه يجب ان لا يشرع في تعليم الفصحى للاطفال الصغار

ماذا يراد من هذه المنفعة ؟ ان كان يقصد ان الطفل اذا تعلم الفصحى في سنواته الاولى لا ينفعه تعلمه لها اذا قضى المرحلة الاولى من التعليم وانتقل الى الدرجة التي فوقها فهذا كلام بعيد عن المنطق الصحيح كما يدركه كل احد من غير ان يحتاج الى رد او تعليق وان اريد ان ما يبذله المعلم في الدرس لا يحصل من ورائه التلميذ معرفة فالواقع اثبت خلاف

ذلك فان تلامذة المدارس الابتدائية مع قصر المدة التي يتعلمون فيها العربية ياخذون بنصيب على قدر ماهو مقرر في برامج التعليم . واذا ادرك صاحب الاقتراح قصورا في التلامذة من ناحية اللغة فذلك يرجع الى قلة الوقت والبرنامج المتبع في التعليم ولو اعطي لتعليم العربية ماتستحقه من العناية والزمان لكانت النتيجة اعظم

الوجه الرابع يتعلق بامر هو بيت القصيد عند المقترح وهي المخاوف التي املت عليه الاسراع بهذا الاقتراح : ان المؤتمر يعارض كل لائحة اصلاح تقتضي ان تكون اللغة العربية هي لغـة التعليم . اى سبب دعـا لاثارة هذا الموضوع الان واى داع دعى القوم لهذه المعارضة ؟ ان كان الداعي هو التخوف من هجوم اللغة العربية على العلوم في التعليم فان العلوم لا لغة لها خاصة . والتلامذة الاسهل عليهم ان يتلقوا العلـوم بلغتهم والمصلحة تراعى قبل كل غرض آخر لا سيما والمقترح اظهر الرغبة في التسهيل على التلامذة وترك اعناتهم . وان كان الداعي هو شدة حبه للغته فلا يريد ان تزاحمها لغة اخرى . فانا لا ينقصنا نحو لغتنا الاحساس الذي يحس به نحو لغته فمن اللائق ان يقدر كل فريق عواطف مساكنيه ولا يمسها بسوء ولا ينبغي ان يتغافل عن ذلك

واما التنبيه الذي نبهنا اليه وطلب ان لا يغفل غافل عنه من وجوب اعتبار لغة التعليم لجميع العلـوم دائما هي الفرنسية فهو تنبيه ووجوب لم يتبين لناسببه ولا موجبه ولا هو من الحقوق المكتسبة التي قررتها المؤتمرات الرسمية وصدرت بها الاوامر بل هو محل مناقشتنا معه ومع من لف لفه

الوجه الخامس يتعلق باقتراح ان تكون لوائح اصلاح تعليم المسلمين -يعني بتونس- قائما على المبدا والاساس المقرر في بلاد الجزائر .

نحن نجهل المبادىء والاسس المقام عليها تعليم اخواننا عرب الجزائر ولا يمكننا ان نحبذ هذا الاقتراح اونعارض فيه بيد ان المقترح ذيله بامكان مراعاة الظروف السياسية الخاصة بالبلاد التونسية وهنا اذا امعنا النظر فيما ترمي اليه هذه العبارة من معان فقد يبدو لمن تامل فيها مليا ان الظروف السياسية الخاصة بالبلاد التونسية لاشك انها متولدة من معاهدة الحماية التي صبغت البلاد باوضاع غير الاوضاع التي عليها الجزائر واذا كان الامر كما ذكرنا فلماذا هذا الاقتراح من اصله ما دام صاحبه تجلت له شمس الحقيقة في رابعة النهار

البقية بصحيفة ١٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

القرءان الكريم

من درس التفسير

للاستاذ الاكبر المولى الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ
مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ .

***

اخبار لمبتدا محذوف وهو ضمير يعود الى ماعاد عليه ضمير مثلهم. ولا يصح ان يكون عائدا على الذي استوقد لانه لا يلتئم به اول التشبيه وآخره لان قوله كمثل الذي استوقد نارا يقتضي ان المستوقد ذو بصر والا لما تأتي منه الاستيقاد . وحذف المسند اليه في مثل هذا المقام استعمال شائع عند العرب اذا ذكروا موصوفا باوصاف أو اخبار جعلوه كانه قد عرفه السامع ثم يقولون فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان ومنه قول الحماسي :

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي أيادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنا عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

وسماه السكاكي الحذف الذي اتبع فيه الاستعمال الوارد على تركه . والاخبار عنهم بهذه الاخبار جاء على طريق التشبيه البليغ . شبهوا في انعدام آثار الاحساس منهم بالصم البكم العمي أي كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث وذلك شان الاخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدا هو اسم دال على جمع فالمعنى كل واحد منهم كالاصم

الأبكم الاعمى . وليس المعنى على التوزيع فلا يفهم ان بعضهم كالاصم وبعضهم كالابكم وبعضهم كالاعمى . والصم والبكم والعمي جمع اصم وأبكم واعمى وهم من اتصف بالصم والبكم والعمى فالصمم انعدام احساس السمع عمن من شانه ان يكون سميعا والبكم انعدام النطق عمن من شانه النطق والعمى انعدام البصر عمن شانه الابصار وقوله

وقوله فهم لا يرجعون تفريع على جملة صم بكم عمي لان من عرا هذه الصفات انعدم منه الفهم والافهام وتعذر طمع رجوعه الى رشد أو صواب . والرجوع الانصراف من مكان حلول ثان الى مكان حلول اول . وهو هنا مجاز في الاقلاع عن الكفر . ومما حسن استعارة الرجوع للاقلاع عن الكفر ان الاقلاع عن الكفر يحصل بالايمان بعقائد الاسلام والاسلام مستقر في الفطرة فالذي يعتقد خلاف الاسلام يكون كمن فارق مقره والذي يقلع عن اعتقاد يخالف الاسلام فيسلم يكون كالذي عاد الى محله ومأواه فيحسن تشبيه ذلك الاقلاع بالرجوع .

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق : عطف على التمثيل السابق وهو قوله كمثل الذي استوقد نارا فهو تمثيل ثان لاحوال المنافقين جاء على طريقة بلغاء العرب في التفنن في التشبيه وهم يتنافسون فيه لا سيما في التمثيل منه وقد استقريت ذلك من استعمالهم فرايتهم قد يسلكون طريقة عطف تشبيه على تشبيه كقول امرىء القيس في معلقته :

أصاح ترى برقا أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه او مصابيح راهب ... امال السليط بالذبال المفتل

وقال لبيد في معلقته يصف راحلته :

فلها هباب في الزمام كانها ... صهباء خف مع الجنوب جهامها

او ملمع وسقت لاحقب لاحه ... طرد الفحول وضربها وكدامها

وهي طريقة مسلوكة في بليغ الكلام وقد كثر التزام عطف التشبيه في هذه الطريقة باو دون الواو . واو موضوعة لاحد الشيئين او الاشياء فيتولد منها معني التسوية في التشبيه وربما سلكوا في اعادة التشبيه مسلك الاستفهام بالهمزة اي أتختار التشبيه بهذا أم بذاك كما قال لبيد بعد قوله (او ملمع وسقت لاحقب لاحه) لابيات :

أفتلك أم وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها

وقال ذو الرمة في تشبيه سير ناقته الحثيث :

وثب المسحج من عانات معقلة كأنه مستبان الشك او جنب

ثم قال :

أذاك أم نمش بالوشي أكرعه مسفع الخد غادنا شط شبب

ثم قال :

أذاك أم خاضب بالسي مرتعه أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

وربما عطفوا بالواو كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الآية ثم قال :وضرب الله رجلين الآية وقوله : وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور الآية. وربما جمعوا بدون عطف كقوله تعالى:حتى جعلناهم حصيدا خامدين . وهذه تفننات جميلة في الكلام البليغ هداني اليها الاستقراء . وأو عطفت لفظ صيب على قوله كمثل الذي استوقد بتقدير مثل بين الكاف وصيب واعادة الكاف مع حرف العطف المغني عنه مستعملة في كلامهم وقد يستغنون عنه وحسنه هنا ان فيه اشارة الى اختلاف الحالين المشبهين كما سنبينه ولا حاجة الى اعادة لفظ مثل لان العطف اغنى عنه وهم في الغالب لا يكررونه في العطف . والتمثيل هنا لحال المنافقين حين حضورهم مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماعهم القرآن وما فيه من آي الوعيد لامثالهم وآي البشارة للمؤمنين . فالغرض من هذا التمثيل تمثيل حالة مغايرة للحالة التي مثلت في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد . بنوع اطلاق وتقييد . فقوله أوكصيب تقديره كقوم ذوي صيب وقد دل على تقدير القوم قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم . وقوله يخطف أبصارهم الآية لان ذلك لا يصح عوده للمنافقين فلا يجيء فيه ما جاز في قوله ذهب الله بنورهم الخ . فشبهت حال المنافقين بحال قوم سائرين في ليل بديار قوم فاصابهم الغيث وكان اهلها كانين في مساكنهم كما علم من قوله كلما اضاء لهم مشوا فيه فذلك الغيث نفع اهل الديار ولم يصبهم مما اتصل به ضرر ولم ينفع المارين بها وأضر بهم ما اتصل به من الظلمات والرعد والبرق فالصيب مستعار للقرآن وهدي الاسلام وتشبيه القرآن بالغيث معروف وفي الحديث

الصحيح : مثل ما بعثني الله به للناس من الهدى كمثل الغيث اصاب ارضا فكان منها نقية الخ .
وفي القرآن كمثل غيث اعجب الكفار نباته .

والظلمات هي ما يعتري الكافرين من الوحشة عند سماعه كما يعتري السائر في البيداء وحشة الغيم لانه يحجب عنه ضوء النجوم والقمر . والرعد قوارع القرآن وزواجره والبرق ظهور نور هديه من خلال الزواجر فيظهر ان هذا المركب التمثيلي صالح لاعتبارات تفريق التشبيه وذلك اعلى أنواع التمثيل . والصيب فيعل من صاب يصوب صوبا اذا نزل بشدة . قال المرزوقي ان ياءه للنقل من المصدرية الى الاسمية والظاهر ان قوله من السماء لزيادة استحضار صورة الصيب في هذا التمثيل اذ المقام مقام اطناب كقول امرء القيس : « كجلمود صخر حطه السيل من عل » اذ قد علم كل احد ان السيل لا يحط جلمود صخر الا من اعلى ولكنه اراد التصوير . وكقوله تعلى « ولا طاير يطير بجناحيه » وقوله تعلى « كالذي استهوته الشياطين في الارض »

والسماء تطلق على الجو المرتفع فوقنا الذي نخاله قبة زرقاء وعلى الهواء المرتفع قال تعالى كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وتطلق على السحاب وتطلق على المطر نفسه ففي الحديث خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر سماء الخ . ولما كان تكون المطر من الطبقة الزمهريرية المرتفعة في الجو جعل ابتداؤه من السماء وتكرر ذلك في القرآن . ويمكن ان يكون قوله من السماء تقييدا للصيب اما بمعنى من جميع اقطار الجو اذا قلنا ان تعريف السماء للاستغراق كما ذهب اليه في الكشاف على بعد فيه اذ لم يعهد دخول لام الاستغراق الا على اسم ذي افراد دون اسم ذي اجزاء فيحتاج لتنزيل الاجزاء منزلة افراد الجنس ولا يعرف له نظير في الاستعمال . فالذي يظهر لي ان كان قوله من السماء قيدا للصيب ان المراد من السماء أعلى الارتفاع والمطر اذا كان من سمت مقابل وكان عاليا كان ادوم بخلاف الذي يكون من جوانب الجو او يكون قريبا من الارض غير مرتفع .

والظلمات مضى القول فيه آنفا والمراد بالظلمات ظلام الليل اي كسحاب في لونه ظلمة وسحابة الليل اشد مطرا وبرقا وتسمى سارية .

والرعد اصوات تنشأ في السحاب . والبرق لامع ناري مضيء يظهر في السحاب والرعد

(البقية على صحيفة ١٥٣)

مراجعة في تفسير قوله تعالى :

قل لا اسالكم عليه اجرا

الا المودة في القربى

بقلم الاستاذ الاكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور

طالعت في الجزء السادس من المجلة الزيتونية بحثا نفيسا دبجه قلم الاستاذ الفاضل المنزل مني منزلة الابن البار الشيخ السيد الناصر الصدام في ما يعول عليه من تفسير قوله تعالى « قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى » فرايته ختم بحثه بالرغبة في احقاق الحق من معنى الآية وعلمت انه يحب مجاذبة البحث ، مما اكده من الرجاء والحث ، فهز عطفي الى تذكر عهد زمن مديد ، بان اسايره بتكملة وتاييد ، وفصل بين قريب وبعيد ، اقول :

ان ما استظهره في معنى الآية هو الاظهر وهو الماثور عن ابن عباس في صحيح البخاري وغيره وتابعه عليه اساطين المفسرين من التابعين مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل وطاوس والشعبي والسدي والضحاك وهو الذي اقتصر عليه البخاري في كتاب التفسير وعياض في الباب الاول من كتاب الشفاء وعلى ذلك التفسير تكون في من قوله تعالى في القربى تعليلية ومما لا يشك فيه المضطلع باسرار كلام البلغاء ان التعليل الذي يستفاد بفي غير التعليل الذي يستفاد بلام التعليل لان التعليل بفي انما هو معنى عارض لها متفرع عن معنى الظرفية الاصلي فيها فان في قد تستعار للظرفية المجازية ومن صور تلك الظرفية المجازية ان تنزل علة الشيء وسببه منزلة الظرف الواقع الشيء فيه لما في المجاز من الدقة والبيان وذلك مقتضي العدول عن الحقيقة الى المجاز فلله در الشيخ صاحب البحث من تطرقه الى بيان موجب العدول عن لام التعليل الى حرف الظرفية اما ما ارتآه من اشعار حرف الظرفية باضعف مما يشعر به حرف التعليل في التسبب فلا اشايعه عليه ولا احسبه مرادا من استعمال العرب الا ترى قول الحماسي وهو سبرة الفقعسي من شعراء الجاهلية :

نحابي بها اكفاءنا ونهينها ونشرب في اثمانها ونقامر

وقد كنت ذكرت في شرحي على الحماسة المسمى « فوائد الامالي التونسية على فرائد اللئالي الحماسية » ان في للظرفية المجازية اي تحصل معاقرة الخمر ومعاطاة الميسر باثمان تلك الابل فربما كان الاكثر للشرب وربما كان الاكثر للقمار والكل مظروف في اثمانها فجعلها ظرفا ليتطرق بذلك الى ارادة اتلاف جميع اثمانها في ذلك فالظرفية على معنى باء السببية والمقصود هذا المسبب وهو ما يرضيهم من الشراب والميسر ولذلك لم يات بمن لئلا يوهم انهم يشربون ويقامرون ببعض اثمانها ويستبقون بعضها اكتنازا فهم يتعيرون بذلك ونظيرته الظرفية قوله تعالى وارزقوهم فيها واكسوهم اي ارزقوهم بها ولم يقل منها للاشارة الى عدم التقتير عليهم في اموالهم وانما هي اسباب لرزقهم وكسوتهم فالمنظور اليه هو المسبب والسبب تبع لحال المسبب • ويكون التعريف في قوله تعلى القربى تعريف الجنس اي لاجل حقيقة القرابة بيننا • وهذا الوجه في معنى الاية هو الانسب بالسياق لان الخطاب موجه الى المشركين وكانوا عادوا النبيء صلى الله عليه وسلم وتداعوا للتالب عليه فناسب ان يذكروا بوشايج الارحام والتذكير بها سنة عربية مالوفة كما قال القتال الكلابي :

نشدت زيادا والمقامة بيننا وذكرته ارحام سعر وهيثم

وليس من مناسب المقام ان يسالهم مودة اهل بيته واقاربه لان ذلك لاغناء له في غرض الاية

واما الوجه الثاني في تفسيرها فليس بباطل اذ قد قال به جمع من التابعين مثل عمرو ابن شعيب وسعيد بن جبير وعلي بن الحسين وذكره صاحب الكشاف ولم يذهب اليه احد من الصحابة واني اراه مرجوحا وضعيفا وقد روى البخاري انكار ابن عباس على سعيد بن جبير تفسير الآية به ولم يعرج على ذكره عياض في فصل وجوب البر بآل محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب الشفاء • وعلى هذا الوجه يكون في قوله تعلى في القربى حذف مضاف اي في ذوي القربى وتكون في مستعملة في الظرفية المجازية بان جعل اهل قرابة الرسول كالمكان لاستقرار المودة كما صرح به في الكشاف • وقد ذكر بعض المفسرين في ترجيح كون هذا الوجه هو المراد من الاية حديثا عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امر الله بمودتهم فقال فاطمة وولدها اه • وهذا الحديث شديد الضعف لان في سنده حسينا الاشقر وكان مشهورا بالغلو في التشيع وكان مع ذلك مجهولا غير مقبول

الحديث . واما ما يرمي اليه الكميت في ابياته وشريح بن اوفى العبسي في بيته فانما هو تقليد لهذا التاويل في معنى الاية .

ثم لا حاجة بنا الى التخليط الذي وقع فيه بعض المفسرين في ترجيح هذا التاويل بجلب الادلة على وجوب مودة اهل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابطال كون ذلك مستفادا من هذه الاية لا يوهم ابطاله في نفسه اذ لم يدع احد انحصار الدليل في هذه الآية .

وهنالك وجه ثالث في تفسير الآية هو ابعد الوجوه فقد روي عن ابن عباس والحسن البصري ان المعنى الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه بالطاعة فيكون المراد القربى المجازية اى الموالاة وتطلب الرضا ويكون التعريف للعهد بقرينة من مقام الخطاب لا وجود لها في لفظ الآية . وقد ذكر ابو بكر ابن العربي في العارضة الوجوه الثلاثة وقال اثرها « وليس يبعد ان يكون الكل معنيا من الآية اه » ويتعين ان يكون اراد من نفي الاستبعاد نفي استبعاد يقتضي البطلان بحيث يكون احتمالا لا يسمح به لفظ الآية وليس يعني بـه استواء الوجوه الثلاثة في التبادر من الاية وكيف وهو بصدد شرح الخبر الذى اخرجه الترمذي عن ابن عباس انه انكر على سعيد بن جبير تفسيره الاية بالوجه الثاني وفسرها ابن عباس بالوجه الاول . واما الاستثناء الواقع في قوله الا المودة فهو منقطع على جميع الوجوه لان المودة ليست باجر فالاستثناء في معنى الاستدراك وقد استعملت اداة الاستثناء في معنى اداة الاستدراك ولذلك جعل العلماء الاستثناء في مثله منقطعا ثم فسروه بانه على ادعاء انه ان كان اجر فهذا هو اجري ويسمى هذا الاستعمال في اصطلاح الادباء تاكيد المدح بما يشبه الذم وهو معدود في المحسنات البديعية بهذا الاسم وبضده وهو تاكيد الذم بما يشبه المدح وقال العلامة التفتزاني الاجدر ان يسمى تاكيد الشيء بما يشبه نقيضه اهـ . وانا سميته في كتاب موجز البلاغة تاكيد الشيء بما يشبه ضده توسعة في التسمية لئلا يختص بالنقيض ثم ارى انه يتعين في مثل هذا الاستثناء انه ان وقع في مقام تعتبر في مثله المحسنات فليسم استثناء ادعائيا كما سمى البلغاء بعض انواع القصر قصرا ادعائيا وان كان عريا عن قصد التحسين سمي استثناء منقطعا وللاديب ان يتتبع فروقه . ويعين صوبه من شيم بروقه .

الوعظ والارشاد

النصيحة والمراقبة
واثرهما في اصلاح الفرد والمجتمع

الانسان جبل على حب نفسه يسعى في جلب الخير اليها ودفع الضر عنها وهذا الحب الغريزي مرة يقوى في نفس الانسان حتى يخرج به عن حد الاعتدال فيرتكب المخاطر في سبيل التحصيل على ما يحسب انه يعود عليه بالنفع ولا يبالي بعظيم ابتغاء الوصول الى مرغوبه وقد يقعد به ذلك الميل حرصا منه على راحته وتباعدا عن كل ما يجر اليها الما اومشقة والكل يرجع الى حب النفس وهكذا احوال الناس تختلف باختلاف تصوراتهم للاشياء وبحسب ما تمليه عليهم مداركهم مما يوصل في نظرهم الى السعادة ورغد العيش وسلامة الحياة من المتاعب والمهالك . ومن اجل هذا الاختلاف في ادراك المحاسن والمساوي وبعبارة اظهر من اجل القصور الذي تكون عليه بعض النفوس فتعمل العمل وهي تحسبه انه نافع لها ويكون في الواقع ضرره اكبر من نفعه من اجل ذلك احتاج الناس الى من يرشدهم الى الصالح من الفاسد ويدل الغافل على عيوب نفسه ويحذره من عواقبها ويكشف له ما ارتكبه من فعل قبيح او تقصير فيما يجب عليه القيام به الى غير ذلك مما يجدر بالعاقل ان لا يلتبس عليه والانسان من فرط حبه لنفسه تخفى عليه معايبه فلا يراها وان كانت في نفس الامر بادية في وضوح وجلاء فاذا ساير الانسان ميوله واهمل شؤون نفسه وقع في الاخطاء وهو لا يشعر . وتلك هي المسالة الغامضة التي شغلت الافكار منذ القدم وبقي اهل التفكير يبحثون في كيفية علاجها حتى تسلم النفوس من مساويها

واخطارها وقد ذكر علماء النفس والتربية في هذا المقام ان من اهم ما يكشف للانسان عن عيوبه المراقبة والنصيحة

اما المراقبه فان يتنبه الانسان الى ما عليه الناس من صفات وما هم عليه من صور في حياتهم الخاصة والعامة وطرق اكتسابهم وسيرتهم فيتخذ منها مرآة تكشف له ما خفي عليه من صفاته واحواله فما وجده في نفسه من مساويهم تجنبه واقلع عنه. وبذلك يسهل عليه الوقوف على معايبه التي اخفاها عليه شدة حبه لنفسه. واما النصيحة فان يتخذ صديقا صدوقا يعرفه عيوبه ليتجنبها بيد ان هذا النوع الثاني كانه عزيز الوجود او غير مطموع فيه وذلك ان الصديق اذا كشف لصديقه عما هو فيه من مساوي يخشى على صداقته وذلك من تاثير الانفعالات النفيسة التي تحدث لصديقه عند هذه المكاشفة وهو ان سلم من غضبه مرة لا يامن ان يسلم كل مرة وفي ذلك فك لعرى المودة حلقة بعد حلقة فان الانسان لا يحب ان تذكر له عيوبه ولو انه تجاهر بذلك الحب او اخذ على اصدقائه المواثيق والعهود ليناصحوه واحسب ان هذا هو السبب الاكبر الذي قلل من النصيحة بين الاصدقاء والكشف عن العيوب والمساوي التي يتخبط فيها الناس ولو امسك الناس عن الغضب اذا ما جاهرهم ناصح امين بسوء ما فعلوا وبسطوا له وجوههم وتقبلوا منه كلامه باصغاء وثناء لكثر في الناس النصحاء وقلت المناكر وادركوا عيوبهم ونقصت منهم الغيبة لان المرء اذا راى شيئا يستهجنه او ينكره ونصح لمرتكبه فقبل منه نصيحته ورجع عما هو عليه لا يجد الاخر لنفسه مساغا ليتكلم في عرضه ويتحدث به في مجالسه ولكن الناس معرضون عن هذا ولا يريدون ان يدركوا او يتاملوا في هذه الحقائق ولو ادركوها وعملوا بموجبها لكانوا اسعد حظا وسلموا في اعراضهم. واذا كان الاعتماد على الناصح عزيز المنال فاللازم ان يصار الى المراقبة اولا وبالذات فهي العلاج البسيط السهل الذي لا يخشى المرء من ورائه ما تستنكف عنه نفسه مما لا يطيب لها سماعه من الغير ويعتمد المرء على مراقبته لاحوال الناس ليكتشف بها عن مساويه وهذا ما اختاره العالم الكبير ابو يوسف بن اسحاق الكندي ونقله عنه ابن مسكويه واقره قال الكندي :

ينبغي لطالب الفضيلة لنفسه ان يتخذ صور جميع معارفه من الناس مرآة

له تربيه صور كل واحد منهم عند ما تعرض له آلام الشهوات التي تثمر السيئات حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له ٠

وهذا الذي اختاره الكندي مثاله ماجاء في الشريعة من وجوب محاسبة النفس وعرض افعالها على قانون الشرع وما يفعله الناس فما كان حسنا حمد الله على ما هداه اليه وماكان منكرا رجع واستغفر واقلع عنه وبذلك تالف النفس الحسنات ولا يفوتها منها شيء وتستقذر الرذيلة فتتجنبها ٠ وهذا النوع من التربيه له من المحاسن زيادة عما ذكرنا الاعتماد على النفس في رياضتها بمحاسن الاشياء وفيه ايضا تكوين الارادة النافذة بما يتخذه المرء مع نفسه من المقاومات السرية التي تكون بينه وبين نفسه في علاج امراضها ٠ ولكل واحد من هذين اثره الطيب

اما الاعتماد على النفس فهو الخلق الذي يسمو به الانسان ويلبسه رداء الاقدام والشجاعة ويخلع عليه جلباب الاستقلال في الفكر ويحليه بزينة المروءة وكل هذه صفات العز والكرامة وما يبلغ الى الغاية القصوى من السؤدد والشرف والسلطان ٠ ولا شيء اضر بالمرء من اهماله شؤون نفسه معتمدا على من يقوم له بها والاعتماد على الغير داء ماسرى في امة الا فسد نظام عمرانها فتصبح في مؤخرة الامم وبتواكل افرادها على بعضهم تتلاشى المصالح وتنصرف الانظار عما يقودها للعز والسؤدد ٠ واما الارادة النافذة الدواء الذي تعالج به معضلات الامور التي تتعاصى على ذوي العزايم النخرة ويثبت به الانسان عند العواصف فمتى اعتاد المرء محاسبة نفسه على العظيم والحقير واذا قصرت في امر حاسبها عليه واذا فرطت في مهم آخذها وعنفها وجعل لعقله سلطانا تخضع لديه في حكمه كان بذلك موفور الكرامة سليم العاقبة ٠ ونحن اذا القينا بنظرة على مجتمعنا التونسي نجد الفرد والجماعات ٠ العظيم والحقير الخاصة والعامة كلهم اذا تحدثت اليهم واصغيت الى حديثهم تسمع منهم التذمر من سوء ماعليه الناس وتكاد لا تعثر على احد يذكر لك الهيئة الاجتماعية الا بكل نقيصة ولست بمبالغ اذا قلت ان هذا الامر اجمع عليه الناس فاذا كان كل احد من الناس قد ادرك المساوي المتفشية بين افراد الشعب واستهجن من طباعهم وانكر امورا يسيرون عليها في حياتهم الخاصة والعامة وانكر عليهم تماديهم في ارتكاب المناكر وفشو سوء الخلق بينهم فلماذا لا يرجع الانسان الى نفسه ويحاسبها ويتبع سيرتها في حياته كلها ويبحث عن معايبه التي يحجبها عنه حبه لنفسه فيستكشفها مما وجده عند اخوانه الذين انكر عليهم فيزيل بذلك عن نفسه الحجب التي كانت ساترة عنه مساويه

اني لا انكر على الناس كثرة انتقاداتهم مما يقع عليه نظرهم او ما يحسون به من مساوي الاخلاق وتفشي الرذائل انما ادعوهم ليتحسسوا من نفوسهم امثال ما يقع عليه بصرهم وما يطرق اسماعهم من امثال ما ينكرونه على الناس لينكر كل احد على نفسه ما ينكره على غيره ويستهجن من طبعه ما استهجنه من طباع الناس ولو رجع كل انسان الى نفسه وتتبع معايبها فاصلحها وادرك المسؤولية الملقات على عاتقه من فرط اهماله امر نفسه لعلم ان صلاح المجتمع بصلاح الفرد والله تعالى يقول « اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون » . فالعاقل اللبيب لا يهتم بسواه ويترك حبله على غاربه وينقم على الناس وهو اشد منهم خطرا ويحسب على الناس خطاهم وهو يتعثر في اثواب الرذيلة ومساوي الامور

وكيف يفرح المرء بما هو عليه ولا يراقب نفسه والله منه بالمرصاد سيحاسبه عما صدر منه من عظيم وحقير وكيف يحب ان يحمد وهو يتغشى المهالك ويحسب انه ممن يحسنون صنعا قال الله تعالى في سورة آل عمران « لا تحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم » وقال سبحانه في سورة الكهف « قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » وقد بين الله تعالى للناس ان كل امريء مجازى بما قدمت يداه فمن جاء بالصالحات كان نصيبه منها ويوفى اجره وله عاقبة الدار ومن جاء بالسيئات سيجازى سيئة مثلها جزاء وفاقا ولا يظلم ربك احدا قال سبحانه في سورة القصص « من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجازى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون » ولو بحث الانسان مليا لوجد ان كل اموره وجل اعماله راجع اثرها عليه ان خيرا وان شرا فكيف بعد هذا يساير الانسان هواه ويرضى لنفسه بالدون والله تعالى يقول « يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون »

ولو تنبه الناس وتمسكوا بما ندعوهم اليه من اختبار احوالهم والنظر في عيب الغير ليجتنب لا ليفشى ويتحدث به واهتم كل امرء بمساويه ليزيلها وعقدوا الخناصر على المناصحة وتوخوا سبيل الرشاد وقبلوا النصيحة ولو كانت مؤلمة لكان خيرا لهم واعظم نفعا والعاقبة للمصلحين ولا عدوان الا على الظالمين الا ان هذا هو الحق فلا تكن من الممترين .

محمد الشاذلي بن القاضي

(تابع مقال اللغة العربية)

الوجه السادس يتعلق بطلب عرض الاصلاحات التي يراد تطبيقها على المنظمات النقابية قبل تنفيذها. وهذا ايضا اقتراح عجيب في بابه لان اللغة العربية لها علماؤها المبرزون فيها وهم كثيرون ولها امتها التي تتكلم وتعبر بها فاذا اريد تنقيح شيء من برامج تعليمها فمن الواجب عرض ذلك على اربابها وقديما قيل اهل مكة ادرى بشعابها.

وليس من المعقول ان يعرض ذلك على نقابة التعليم اللائكية التي ليس فيها من يمثل اللغة العربية بالمعنى الصحيح.

على ان نقابة التعليم هل ترضى ان يعقد علماء اللغة العربية مؤتمرا يبحثون فيه على اصلاح برامج تعليم اللغة الفرنسية ولو كان فيهم من يحسنها وهل تستحسن ذلك؟ اذا فكيف تسوغ لنفسها ان تتعاطى تقرير برنامج التعليم لامة ليست لغتها ولامة ليست بامتها

وهنا يجدر بنا ان نشير الى نقابة التعليم من طرف خفي ومثلها من تغنيه الاشارة بان مجال العلم والفكر يجب ان يبقى دائما منزها عن مساوي الكبرياء والنزعات العنصرية وعن كل ما من شانه ان يكون حجر عثرة في سبيل الرقي العلمي

وعوض ان نرى اصحاب الاراء الحرة يسعون في نشر العربية وتعميم تعليمها حتى تقضي على اللهجات العامية وتتوحد المجهودات في هذا السبيل ولا يبقى اي فارق بين لغة الكتابة ولهجة التخاطب في العاديات ويناشدون الحكومة بالعمل على ترقية الشعب من هذه الناحية كما هي المهمة التي اخذتها الحكومة على عاتقها اذا بنا نسمع من الافواه ونقرا في الصحف ما يعاكس هذا المقصد ويقيم العراقيل في سبيل الاصلاحات المنشودة من الشعب

محمد الشاذلي ابن القاضي

(تابع درس التفسير)

وكانت كهرباء احداهما اقوى من كهرباء الاخرى واذا تحاكتا جذبت الاقوى منهما الاضعف فحدث بذلك انشقاق في الهواء بشدة وسرعة فحدث صوت قوي هو المسمى الرعد وهو فرقعة هوائية من فعل الكهرباء ويحصل عند ذلك التقاء الكهرباوين وذلك بسبب انقداح البرق وقد علمت ان الصيب تشبيه للقرآن وان الظلمات والرعد والبرق تشبيه لقوارع الوعيد فانها تسر اقواما وهم المنتفعون بالغيث وتسوء المسافرين فكذلك الايات تسر المؤمنين اذ يجدون انفسهم ناجين من ان تحق عليهم وتسوء المنافقين اذ يجدونها منطبقة على احوالهم.

الحديث الشريف

(باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)

قال الربيع بن خيثم (من كل ما ضاق على الناس)

حدثني اسحاق حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة سمعت حصين بن عبد الرحمان قال كنت قاعدا عند سعيد بن جبير فقال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ)

(لاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

(من صحيح البخاري)

الشرح

بقلم الاستاذ العلامة الشيخ الصادق المحرزي

التوكل مصدر توكل وهو مرادف لوكل واوكل واتكل قال في القاموس وكل بالله ويكل وتوكل على الله واوكل واتكل استسلم اليه وفي المصباح توكل على الله اعتمد عليه ووثق به انتهى وكانه ماخوذ من الوكالة التي هي الانابة للغير وهي اسم مصدر وكل يقال وكله توكيلا ووكالة اي فوض الامر اليه واكتفى به ويسمى الموكول اليه وكيلا ويطلق على الله تعلى ومنه قوله تعالى «وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وقوله تعلى «وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا» وعند جمهور الصوفية هو الاعتماد على الله تعلى كما هو المعنى اللغوي مع زيادة قيد وهو السعي في الاسباب لقولهم في تعريفه هو الثقة بالله تعلى والايقان بان قضاءه نافذ واتباع لسنة النبيء صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لا بد منه من المطعم والمشرب والتحرز من العدو . وزيادة هذا القيد على سبيل الكمال كما يظهر مما سياتي وعليه فلا منافاة بين التوكل والاكتساب بل الاكمل اجتماعهما وعند بعض الصوفية

هو الاعتماد على الله تعلى مع ترك الاسباب لقولهم في تعريفه هو عبارة عن تحصيل اسباب الرزق بالكف عن الاكتساب والاعراض عن الاسباب اتكالا على رب الارباب وعليه فالتوكل والاكتساب لا يمكن اجتماعهما وقد وفى الشهاب القرافي ببيان المسئلة في الفرق السابع والخمسين بعد المائتين فقال اعلم انه قد التبس على كثير من الفقهاء والمحدثين في علم الرقايق الفرق بين قاعدة التوكل وقاعدة الاكتساب فقال قوم لايصح التوكل الا مع ترك الاكتساب والاعتماد على الله تعلى وقال اخرون لا ملازمة بين التوكل وترك الاكتساب ولا هوهو وهذا هو الصحيح لان التوكل هو اعتماد القلب على الله تعلى فيما يجلبه من خير ويدفعه من ضير قال المحققون والاحسن ملابسة الاسباب مع التوكل للمنقول والمعقول اما المنقول فقوله تعلى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . فامر بالاستعداد مع الامر بالتوكل في قوله تعلى وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين يطوف على قبائل العرب ويقول من يعصمني حتى ابلغ رسالة ربي وكان له جماعة يحرسونه من العدو حتى نزل قوله تعلى والله يعصمك من الناس . الى غير ذلك من الادلة . واما المعقول فهو ان الملك العظيم اذا كان له جماعة عودهم فضله في ايام لا يحسن الا فيها ومن ابواب لا يخرج عطاياه الا منها واماكن لا يدفع الا فيها فالادب معه ان لا يطلب منه فضل الا حيث عوده وان لا يخالف في عوايده والله تعالى ملك الملوك واعظم العظماء رتب ملكه على عوايد ارادها واسباب قدرها وربط بها آثار قدرته ولو شاء لم يربط بها فجعل الري بالشرب والشبع بالاكل والحياة بالتنفس في الهواء الى غير ذلك فمن طلب منه حصول هذه الاثار بدون اسبابها فقد اساء الادب مع الله تعالى . وقد انقسمت الخلائق في هذا المقام الى ثلاثة اقسام قسم عاملوا الله تعالى باعتماد قلوبهم على قدرته تعالى مع اهمال الاسباب وهؤلاء حصل لهم التوكل وفاتتهم الاداب وهم جماعة من الصوفية احوالهم مسطورة في كتب القوم وقسم لاحظوا الاسباب واعرضوا عن التوكل وهم عامة الخلق وشر الاقسام اذ ربما وصلوا بملاحظة الاسباب والاعراض عن المسبب الى الكفر والعياذ بالله وقسم اعتمدت قلوبهم على قدرة الله تعلى فطلبوا فضله في عوايده فلاحظوا المسبب والسبب وجمعوا بين التوكل وحسن الادب وهؤلاء هم خير الاقسام مثل النبيئين والصوفيين وعامة عباد الله العارفين

هذا وكما انقسمت احوال الخلايق في التوكل الى الثلاثة اقسام انقسمت الاسباب باعتبار ربطها بالمسببات الى قسمين قسم مطرد ربطه بالمسببات كالايمان للدخول للجنة والكفر للخلود في النار والغذا للشبع والتنفس للحياة الى غير ذلك وقسم إكثري لكن الله تعلى اجرى فيه عادة من حيث الجملة كالادوية لزوال المرض وانواع الاسفار للارباح وغير ذلك والادب في الجميع التماس فضل الله تعلى في عوايده ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالدواء ويستعمله حتى الكي عند تعينه واذ كان هذا حاله في الاسباب الغير المطردة فما ظنك بغير ذلك من العوايد انتهى ببعض اختصار. ثم ان القسم الاول من الاقسام الثلاثة في كلام القرافي ليس على اطلاقه في اثبات اساءة الادب لهم بل فيه تفصيل يؤخذ من كتب القوم مما قرره الامام الغزالى في الاحياء وهو ان من اعتمد قلبه على الله تعلى واعرض عن الاسباب ان كان اعراضه بسبب اشتغال قلبه بالله تعلى وعدم التفكير في سواه ولم يتعرض لمنع الاسباب ففعله جايز وصاحبه متوكل وانما اعرض عن الاسباب واشتغاله برب الارباب واستغراق اوقاته في طاعة الملك الوهاب وعدم اهتمامه بامر الرزق الآيل الى الخراب لانه ياتيه بلا ارتياب وان كان اعراضه عن الاسباب ناشئا عن غير تلك الوهاد فهو توكل مقترن بعناد وعدم انقياد لله فيما اراد وذلك حرام لمخالفته لسنة سيد الانام القائل ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ويؤيده ما روي ان بعض الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل حيث لا ماء ولا كلا ولا يطرقه طارق وقال لا اطلب شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد ان يموت ولم يأته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعلى اليه وعزتي لا ارزقتك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي. بل سمى في روح البيان هاته الطايفة بالجهال قال في تفسير قوله تعلى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله : دلت الاية على انه ليس التوكل ان يهمل الانسان نفسه كما يقوله بعض الجهال والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل هو ان يراعي الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها انتهى. وليس

في قوله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا اي تذهب اول النهار خماصا اي ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا اي ممتلئة البطون دليل على عدم الاكتساب فان في قوله تغدوا وتروح شاهد صدق على طلب الرزق وان التوكل بل حق التوكل بعد الحركة وتعاطي الاسباب كتوكل الزارع بعد القاء البذر في الارض واذا قلنا بافضلية الاخذ في الاسباب كما هو راي الجمهور فقد اختلف العلماء في اطيب المكاسب وافضلها فقيل تجارة الصدق وقيل الصنعة باليد وقيل الزراعة وهو الصحيح لما يترتب عليها من الخيرات ما لا يترتب على غيرها وفي صحيح مسلم لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فياكل منه انسان ولا دابة ولا شيء الا كانت له صدقة وفي رواية الا كانت له صدقة الى يوم القيامة ولا شك في تصريح هذا الحديث بفضيلة الغرس والزرع وان اجر فاعل ذلك مستمر ما دام الغرس والزرع وما تولد منه الى يوم القيامة ولا يعرف لبقية الحرف ما يوازي هاته المزية وقد ورد ان آدم كان زراعا وان ادريس كان خياطا وان نوحا كان نجارا وان لكل نبيء حرفة وحرفة نبينا صلى الله عليه وسلم الجهاد • هذا وما ذكرناه في تعاطي اسباب جلب النفع مثله يقال في تعاطي اسباب دفع الضر كالعلاج بالادوية والرقى بالكلام الطيب اما الاول فالمعتمد ان فعله ارجح من تركه لانه صلى الله عليه وسلم امر به فقال تداووا فالذي انزل الداء انزل الدواء وفي رواية انزل الشفاء وكان صلى الله عليه وسلم يتداوى كما امر وكان يسال الاطباء والحكماء حتى ان عائشة رضي الله عنها كانت اعلم الناس في زمانها بالطب فقيل لها في ذلك فقالت ان النبيء صلى الله عليه وسلم كان كثير الامراض وكانت الاطباء ياتونه فتعلمت ذلك منهم ويستثنى من ارجحية التداوي على تركه التداوي بالكي فانه مرجوح لما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى امتي عن الكي قال العيني وانما كره الكي لانه من القوادح في التوكل اذ لا يحمل عليه الا قلة الصبر لانه مؤلم والمسارعة الى المؤلم دليل الضجر انتهى • او لما فيه من تعذيب الآدمي بالنار • ومرجوحيته اذا لم يتعين للشفاء واما اذا تعين بالطريق الموصل اليه فربما يكون واجبا وعليه يحمل ما ورد من اكتواء غير واحد من الصحابة

اسوة الرسول

- ٢ -

خدم الرسول من الاحرار : من الرجال – انس بن مالك الانصاري . ومن النساء – امة الله بنت رزينة – وخوله – ومارية ام الرباب – مارية

صاحب سواك الرسول ونعله : عبد الله بن مسعود

صاحب خاتم الرسول : معيقب .

صاحب بغلة الرسول : عقبة بن عامر الجهني يقودها في الاسفار

صاحب راحلة الرسول : اسقع بن شريك كان يرحل ناقة رسول الله

حراس الرسول(١) : سعد بن معاذ – ومحمد بن مسلمة – والزبير بن العوام – والمغيرة بن شعبة – وابو ايوب الانصاري – وبلال – وسعد بن ابي وقاص – وذكوان ابن عبد قيس – وابن ابي مرثد الغنوي

امناء الرسول على اهله : عبد الرحمن بن عوف – وأبو أسد بن أسيد الساعدي – وبلال المؤذن كان امينا على نفقاته

مرضعاته : رضع صلى الله عليه وسلم من امه – ومن ثويبه جارية عمه ابي لهب الذي اعتقها لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم وكان ارضاعها له اياما – وثلاث نسوة من بني سليم (٢) – وام فروة – وحليمة السعدية بنت ابي ذؤيب وتكنى ام كبشة وهي من بني سعد بن بكر بن هوازن – وام ايمن وقد اختلف فيها هل باشرت ارضاعه او اقتصرت على الحضانة فقط

حواضنه : امه آمنة بنت وهب – وثويبه – وحليمه – وابنتها الشيما اخته من الرضاع كانت تحضنه مع امها – وام ايمن – بركة الحبشية وكان ورثها من ابيه

---

(١) هذه الحراسة كانت قبل ان ينزل عليه قوله تعالى : والله يعصمك من الناس

(٢) روي انه صلى الله عليه وسلم رضع منهن وهن ابكار اخرجت كل واحدة منهن ثديها ووضعته بافمه فدرت فيه فرضع منهن عليه الصلاة والسلام واسم كل واحدة منهن عاتكه وهن اللاتي عناهن عليه السلام بقوله انا ابن العواتك من سليم

التاريخ

الاستاذ محمد بن الخوجه

-٢-

حياته الادبية

ارتمى الى ميدان العمل والانتاج صغيرا في باكورة شبابه واستمر نشاطه في ذلك الميدان الى آخر حياته فكانت حياته الادبية طويلة معاركة خصبة موفورة النتاج وكان اقوى عنصر في تكوين ذلك التراث الادبي الواسع الذي خلفه وراءه هو عنصر العمل والعمل سجية راسخة في المترجم كانت لا تنفك ظاهرة عليه متميزا بها في مختلف نواحي حياته .

ولعل من اقوى مكونات هذه السجية فيه - بعد حرارته العصبية الطبيعية - ما كان يملأ الوسط الاجتماعي الذي نشا فيه من حزم واندفاع الى العمل في عهد النهضة الحازمة التي قاد المجتمع التونسي فيها خالد المفاخر الوزير خير الدين وقد راينا ان المترجم كان على اتصال قوي بذلك الحافز الاجتماعي الذي يحرك شعوره في البيت وفي الحومة وفي المدرسة ثم ان انتقاله من الوسط المدرسي الى الوسط الاجتماعي العام قد كان مقارنا لصلة جديدة بعنصر قوي من عناصر النهضة والعمل وهو الرئيس محمد البشير صفر الذي تاكدت علاقة المترجم بــه منذ ابتداء عهده بخدمة الادارة فكان صديقا له ورئيسه وموجها ومخرجا .

فابتدأ عمله في الميدان الادبي العام بالانضمام الى الهيأة المكونة لاول جريدة عربية حرة بتونس وهي جريدة الحاضرة التي ابتدا صدورها في ذي القعدة سنة ١٣٠٥ بادارة الكاتب الشهير اللسن الرحالة المرحوم علي بوشوشه

ومنذ صدور جريدة الحاضرة وتوزع نواحي العمل بين منشئيها بدا منزجنا يتوجه الى الاختصاص في الناحية التي راينا في طالعة المقال السابق ما توفر من العوامل على توجيهه الى الاختصاص فيها وهي ناحية التاريخ

فكانت مشاركته في التحرير اولا قاصرة على ضبط الحوادث المحلية وما يرجع الى الاخبار

الدولة مما يستمد فهمه وافهامه من الوضعية التاريخية للبلاد ويكسي صبغته التحريرية من ممارسته النصوص الرسمية وذوق المحافظة على ما يؤلف فيها من التقاليد

وكان قراء الحاضرة في ذلك العصر يلاحظون على هذا القلم الشاب المختص بضبط الاخبار المحلية نزعته السريعة الى احياء التاريخ التونسي وتراجم المشاهير من التونسيين بايسر مناسبة

ولكن هذا الاختصاص لم يكن حائلا بين المترجم وبين العمل في ناحية الاصلاح الحاضر على نحو ماكانت تشعر به النخبة المثقفة من اقرانه من وجوب السعي للخروج بالطبقات التونسية العامةمن ظلمات الجهل والغفلة حتى تقوم على استنارة الراي العام بالحقائق وانتباهه الى الدقائق نهضة سياسية متينة الاساس

فاشترك اشتراكا جوهريا في تكوين الجمعية الخلدونية سنة ١٣١٤ بقصد ايصال المعارف العامة بالطرق السهلة الى مدارك المستعدين المعرفة المتطلعين لها ممن كان يحول دون وصول المعارف العامه اليهم ان وسائل النشر والتدريس في تلك المواد كانت قاصرة يومئذ على اللغة الفرنسوية فكان بهذا العمل المجيد وهو تاسيس الخلدونية من المؤسسين للتعليم العصري في اللغة العربية بتونس والواضعين لاساس التعليم العربي الحر وكان البشير صفر روح تلك الحركة وفكرها وكان المترجم من اعظم القوات العاملة فيها فهو المحرر للقانون الداخلي لعمل الجمعية الخلدونية واستمر عاملا في مجلسها بجد الى ان فارقها صديقه البشير صفر سنة ١٣٢٦

والى جانب العملين الجليلين في الصحافة وفي الجمعيات فتح المترجم لانتاجه بابا ثالثا كانت منزلته الادبية فيه ارسخ خلودا واعم ذيوعا وهو باب التاليف

فقد فتح هذا الباب لنفسه في مظهر بسيط حقير ثم مضى فيه بعزم ثابت حتى انتهى الى النتائج المعجبة والمنازل السامية

وابتداه بالحافز الذي وجهه الى العمل وهو الشعور الاصلاحي ثم ملك عليه الوجهة فيه دافع البيئة وظروف الحياة وملائمة الذوق الفردي فاتجه شيئا فشيئا الى ناحية التاريخ حتى اشتهر بها

كان اول تآليفه صدورا سنة ١٣١٠ وآخرها صدورا سنة ١٣٥٨ فكان موسم نتاجه الفكري ثلاثة واربعين عاما يستطيع الناظر في كتبه ان يتبين ما قطعه خلالها من اطوار الرقي في التفكير والتحرير فقد كانت له مزية عجيبة في هذا الباب تبرهن عما له من كمال العزم وسمو الادراك وهي انه دخل ميدان الانتاج ببضاعة من المعارف مزجاة فكان شغفه بالتحرير وحرصه على الاصلاح ونشر الثقافة يدفعان به الى النشر ولكن ذلك لم يكن يلهيه ابدا عن وجوب تكميل نفسه وترقية قيمة نتاجه فكان لذلك لا ينفك منكبا على المطالعة والبحث متوفرا على الناحية الثقافية العامة في مطالعاته

فلم يكن يجنح الى الدراسات المتعمقة ولا الى التحارير ذات المناهج الادبية الصرفة بل كانت وجهته الى الخلاصات العلمية والموسوعات يسد بها عوزه في التعليم الثنوي والعالي ويخرج منها مادة عذبة سائغة لافادة قرائه على نحو ما يكافئ حاجتهم ويلائم اذواقهم من تلك المعارف

فلذلك كان عارفه يلاحظ عليه انه مع اجادته للغة الفرنسوية فهو ضعيف الملكة الادبيـة فيمـا غير متعلق باطوار الادب وتفاصيل حياة الادباء ومؤثرات آدابهم .

ولكنه الى جانب ذلك يدرك فيه وقوفا شاملا على معلومات دقيقة في نواحي العلوم من تاريخية وجغرافية واقتصادية وحقوقية وفلكية قلما تتاتى لغير المتبحرين من اهل الاختصاص وما ذلك الا نتيجة المنهج الذي وضعه لنفسه في المطالعة التثقيفية التي ملات اطوار حياتـه فرفعته الى مستوى كبار العلماء على قلة ما تردد على المدرسة وتلقى من الدروس

وان تعجب لسرعة هضم الغذاء الفكري فاعجب للمترجم رحمه الله وعلى مكتبه مختصـر في فن من فنون التاريخ وامامه ورقة يسود فيها مقالا في ذلك الفن نفسه يودع فيه من معلوماته ما امدتـه المطالعة الحديثة لا عن تلخيص ولا عن ترجمة ولكنه يملي على المستفيد ما حصله ذهنه الحاد من المادة العلمية بعد ان صفتها ذوقه وطبعها طبعه فهو كآلة العمل الفلاحي التي تتولى الحصاد والدوس في آن واحد

ولا شك في ان كل مرحلة من مراحل مطالعته لا يقف مدى تاثيرها عند النتائج المقارنـة صدورها لتلك المرحلة بل يبقى اثرها راسخا في نفسه يؤثر فيما يصدر عنه في المستقبل من آثار

وبذلك كانت آثاره خاضعة لترقي مطالعاته ونسبتها من تفكيره على نسبة معينة بها يستطيع الناقد ان يضع كل اثر في منزلة معينة من المنازل الفكرية التي تطور فيها الكاتب

ومن جهة اخرى فان اغراض الكتابة ومقامات النشر قد كان لها تاثير قوي في اختلاف مظاهر الآثار الكتابية الصادرة عن قلم مترجمنا فمن البديهي ان يكون الاسلوب الذي وضع عليه اول كتبـه نشرا وهو محاورة (الشيخ عمر والحاج فتوح) حول آداب رمضان مغايرا للاسلوب الذي وضعت عليه (الرحلة الناصرية) وان تكون الرحلة الناصرية مغايرة اسلوبا لكتابه (سلوك الابريز الى مسالك باريز) مع ما بين الكتابين من اتحاد الموضوع تقريبا

واذا كانت سعة ثقافته كما اسلفنا من اهم المؤثرات في اختـلاف آثاره فقد كانت الرحـلات التي اتيح له القيام بها في حياته من جملة تلك المؤثرات لما للرحلة من الاثر السامي في توسيع الثقافة

فقد طال تردده على البلاد الفرنساوية من سنة ١٣١٨ وعرف منها خصائص مناطقها المختلفة وتملى من كنوزها الاثرية ومعالمها وتعددت رحلاته الى القطرين الشقيقين الجزائر والمغرب الاقصى وعرف من ممالك اوروبا سويسرا وبلجيكيا وهولاندة

ثم كانت حياته الادارية والسياسية وما اكتسب فيهما من الخبرة وما شهد من المحاضر مادة قوية ايضا لهذه الثقافة ظهر اثرها في تحاريره مقدرجا بتدرج تلك الاختبارات كما كانت المناسبات التي حملته على اعمال علمية وادبية معينة على تمام نضوج ثقافته واطراد رقي كتابته وفاتحة لابواب واسعة من الاعمال الادبية من اتصاله برئيسه وصديقه الكاتب العام للحكومة التونسية الوزير برنار روا الذي كان ذا شغف عظيم بالمباحث الاثرية والتاريخية ووجد في المترجم عضدا متينا لانجاز مراحل مهمة من بحوثه وتنقيباته

واشتراكه في لجنة تاليف الفهرس العلمي لمكتبتي الجامع الاعظم من سنة ١٣٢٢ واشتراكه في المؤتمرات والمجامع العلمية كمؤتمر شمالي افريقيا المنعقد بباريز سنة ١٣٢٦ واشتراكه في مجمع قرطاجنة منذ تاسيسه وما اسند اليه من منصب تدريس الترجمة والتاريخ بالمدرسة العليا للغة والاداب العربية سنة ١٣٢٩ حيث تخرج عليه كثير من نبغاء رجال الادب والادارة لم نزل نسمع منهم الثناء على دروسه والاشادة بحسن اثره في تكوين ثقافتهم العربية وتوليه نظارة المطبعة الرسمية للدولة التونسية من سنة ١٣١٩ الى سنة ١٣٣٢ وذلك ما كان له مسهلا ترويج محرراته ومعينا على احياء كثير من الكتب المهمة بعنايته مثل معالم الايمان وذيل تاريخ حسين خوجه وتاريخ الوزير السراج

نعم ان هذا النشاط العلمي العظيم الذي كان عليه المترجم قد بدا يعتريه الفتور منذ اسندت اليه ادارة التشريفات فكثرت بها شواغله فترك التدريس واقل التحرير حتى انقطع عنه ولكنه لم ينقطع عن المطالعة والمراجعة والتقييد حتى كان اعتزاله حياة الوظيف العملي سنة ١٣٥٣ فرجع اليه نشاطه العلمي كاكمل ما هو واتخذ من مكتبته الانيقة في منزله مصرفا لمعظم اوقاته بين المطالعة والتقييد وتوفر على سبك ما اجتمع لديه من التقاييد في قالب المقالات والتآليف فكان الصار عندي هذا الطور من حياته يفضل ما انتجت الاطوار الماضية من حياته كلها واهم ذلك مقالاته المتتابعة سنين في المجلة الزيتونية ثم كتابه العزيز الفائدة الذي ختم به حياته الادبية وهو كتاب (معالم التوحيد) جعله الله له فالا بالختم السعيد ولقاء الجزاء الطيب من فضله الذي ما عليه مزيد .

(محمد الفاضل)

من امير الامراء اسماعيل حفصية ،

الى امير الامراء محمد ابن الخوجه

حضرة العلامة الاعلم والبحاثة المدقق مفخرة زمانه المجتهد في اعماله لاعلاء شان دينه وبلاده امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تلقيت بغاية الممنونية والشكر والاكبار النسخة من كتابكم — تاريخ معالم التوحيد — التي تفضلتم بتوجيهها الينا وبعد ما ذيلتموها بآيات اللطف وعبارات المودة اللذيذة الخالصة فشكرا لكم شكرا جزيلا مع اعترافي لجميل عطفكم ويالها من هدية سنية اتحفتموني بها ويالها من ذخر لبناء مجد هذه البلاد وهي الذخيرة الفريدة في تاريخ الاسلام ومعالم تاريخنا تشهد باعمالكم الخالدة في هداية الناس وتهذيب اخلاقكم وبكفيكم فخرا وجزاء بتذكيركم بمعاهد التوحيد لان الذكرى تنفع المؤمنين وبفضلكم سيعرف ابناؤنا فضل الاباء والاجداد فيهتدون به ويسيرون على منواله ويعملون في بناء نصيبهم من المجد وهم على بصيرة مما شيد من قبلهم ونحن نعلم ما قامت به كبيرات الدول في عصرنا هذا عصر المدنية من الاحتفالات العظيمة عند ما اسست في عواصمها اخيرا ماسموه بالدار الجامعية (La Cité Univ rsitaire) وكتابكم يبرهن بوجود عشرات الدور الجامعة التي اسست منذ ما يزيد على الف سنة مع مراعات عوائد كل قوم في المعيشة وفي الاخلاق وهذا حظنا كلما نبحث في ناحية من نواحي تاريخنا الا ويفيض علينا هذا التاريخ الماجد فيضانا بالادلة والشواهد الخالدة ونحن عنه غافلون فبمثل عملكم هذا تنعظ القلوب فاللهم بارك فيكم وفي عملكم واللهم ارحم رحمة واسعة كل من شيد معلما لتوحيدك ودرس ما جاء من واسع علمك في كتابك العظيم القديم وسيرة خير خلقك واللهم اجزل فضلك ورضوانك على الاحياء الذين زادوا في عدد بيوتك لاعلاء كلمتك رحمة منك وفضلا على المؤمنين انك انت الغني الكبير وبعد فما ذا ازيد في الثناء على همتكم وعلى ما تحلى به كتابكم بتصدير الخط الشريف الذي خطته اليد الكريمة يد سيد ومولانا المعظم احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية اطال الله بقاءه ذخرا لحماية معالم التوحيد وقد خصه الله وايده بعناية ربانيه فاسس من ماله الخاص بيوتا فاخرة عامرة لتوحيد الله فاللهم بارك له ولابنائه الفخام ولكافة آله الكرام . وقد ازدان كتابكم ايضا بدرر الثناء والاعجاب من لدن اعظم رجال الدولة الاحمدية وفي طليعتهم كتاب المولى الوزير الاكبر الذي له من الفضل ما لا يحصى في سبيل مرضاة الله هذا والختام مسك ما ختم به كتابكم وشهد به لجنابكم جهابذة علمائنا الاعلام وما قالوه من القول الفصل اعترافا جميلا لعملكم الجليل وخدمتكم الصادقة في سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله

حرره اسماعيل بن حفصية عامل سوق الخميس تحريرا في ٢٨ شعبان وفي ١٢ اكتوبر سنة ١٣٥٨ - ١٩٣٩

تاريخ تأسيس القيروان

وسورها الى اليوم (*)

- ٢ -

بقلم المؤرخ الشيخ محمد طراد

ولا يخفى ان ولاية أبي زكرياء كانت في سنة ٦٢٥ خمس وعشرين وستمائة والذي نجده في عتيق الرسوم أن هذا السور الذي بني في الدور الحفصي بقي على حاله الى أن خربه مراد بو بالة ابن علي المرادي سنة ١١١٠ عشر ومائة والف لما قرب القيروان واجلى اهلها عنها فبناه ساكن الجنان المولى حسين بن علي باي مؤسس الدولة الحسينية المالكة ادام الله ملكهم عام ولايته المباركة اعني عام سبعة عشر ومائة والف وبعد اتمامه وقع قيام حفيده عليه المعروف بالباشا علي وتحصن العم بالقيروان وحاصرها الحفيد واتباعه خمسة أعوام والعم بداخلها والابواب مغلقة ويونس ابن هذا الثاني يرسل مقذوفات مدافعه الجهنمية على سور المدينة وصومعة جامعها الاعظم مما ترك شواهده بها الى اليوم وبعد سقوطها بيد هذا الثاني خربها وهدم سورها وأبوابها ولم يبق من أبوابه على حاله إلّا باب تونس الداخلي وباب الخوخة الذي سماه باب الجامع كما يأتي وباب الجلادين ولما انقشعت سحب هاته الفتنة ورجع الدر إلى معدنه واستولى المرحوم المقدس المولى محمد الرشيد باي على عرش ملك والده رحمهما الله كان أول أعماله المبرورة أن بادر بإرجاع عمران القيروان وبناء سورها على أساس والده فبقي مباشرا لذلك أعواما وقبيل إتمامه لبت نفسه الزكية داعي ربها فأتمه شقيقه ووارث ملكه المولى علي باي بن حسين باي وزاد بابا على أبوابه القديمة في الحائط الغربي مواجها لباب جامع الزيتونة سماه الباب الجديد وهاته الابواب في غاية الحسن واتقان البناء وجودة الصنع بما ترك السواح تتهافت على أخذ صورها صورا زينية وفتوغرافية فما كان من إنشاء المولى حسين باي نجد تاريخ تجديده عام ١١٨٥ ونقل جميع الابيات التي على واجهات الابواب من داخلها وخارجها يخرجنا عن الاختصار ولكن نأتي بشيء منها يكون كالانموذج بين يدي القاري فالذي بواجهة باب تونس من الداخل :

للقيروان نظام في تعجبها	مذ أمل الباي في حسنى عواقبها
حسين بن علي من غدا ملكا	يسير ما بين أقصاها وأقربها
أنشأ بها السور تشريفا لها وحمى	وهكذا في الملوك شأن أنسبها

(*) تابع للمقال الذي نشر بالجزء ١ - ٢ من صحيفة ١٩ هذا المجلد

يا ربنا وابقه بالملك في دعة من الهنا واسقه منها بأعذبها
ما دام للقيروان نور نعمته بذكرها شرفا في سعد كوكبها
وكيف لم تتشرف يوم ارخها وكان في أول وضع يديه بها

١١١٧

وعلى هذا الباب من خارجه اسم ابنه المجدد له ونصه :

هذا الذي بسمو منشيه سما وبحسن طلعته الزمان تبسما
ما للبلاد الباب الا هكذا حصن وحسن فاق كل منهما
فابن الحسين علي باشا اظهرت عزماته سورا يسرك كلما
ودعا لابواب المدينة بهجة فاتت بجبهته بوجه الانتما
يا داخلا للقيروان مؤرخا من باب تونس جز مصانا في الحما

ونص ما على الباب الجديد المذكور

كمال السر يظهر من بعيد بسور لاح من ملك سعيد
سليل حسين باي علي باشا سنا العلماء ذي الراي الرشيد
له بالقيروان نظام سور بدا كنظام عقيان بجيد
ومفتاح الفلاح سعى اليها فحل الباب للخير المديد
من الباب المبارك جز وارخ سنا البركات في الباب الجديد

١١٨٥

وجميع الابواب كلها عليها ابيات من داخل الباب وخارجه تتضمن اسم منشيه اما الاب او ابنه وتاريخ ذلك اما ما كان للاب فعام ١١١٧ واما ما كان للابن المذكور فعام ١١٨٥ وهو عام التجديد والفراغ من بناء السور ووجدت في بعض تقاييد قديمة حررها بعض قدماء الموثقين ان ما انشاه الاب في عام ولايته ١١١٧ صنع على يد وكيل اوقاف السور اذ ذاك الشيخ الحاج علي الاصرم والذي انشاه ابنه صنع على يد الوكيل اذ ذاك الشيخ عبد الرحمان عجاج .

ثم ان عدد ابواب المدينة في ذلك الوقت اربعة فقط وهي ١ باب تونس ٢ وباب الجلادين ٣ وباب الخوخة ٤ والباب الجديد. وبعد الاحتلال زيد باب لباب تونس ملاصق له وزيد لباب الجلادين باب اخر ملاصق له والان فتحت فتحات في جهات مختلفة وزيد لباب الجلادين باب اخر بنهج الدباغين ومع ذلك فالمحافظة على الابواب القديمة وعلى رونقها العربي ما زالت حتى الآن والحمد لله

ثم ان التواريخ المختصة بالعام ١١٨٥ المذكور هي من انشاء كاتب الدولة في ذلك العصر الشيخ احمد سمية القيرواني الذي له مناقضات عظيمة في غاية البلاغة مع معاصره الشيخ الغراب الصفاقسي الشهير ربما تعرضت لبعضها في فرصة اخرى والله الميسر .

محمد طراد

القضاء الشرعي في القديم

ابو حفص عمر القلشاني

قلم صاحب الفضيلة
الشيخ محمد البشير النيفر

كلمة موجزة في التعريف ببيت القلشاني

بيت القلشاني بالشين المعجمة أو القلجاني بالجيم المعجمة أيضا وكلاهما في كتب التاريخ والتراجم وعبرهما بيت من أرسخ بيوتنا المالكية عرقا في العلم وأكثرها خدمة له بالتدريس والتأليف وتقلبا في الخطط العلمية السامية من قضاء وافتاء وامامة وخطابة وتدريس واصلحها أثرا في كل ما تدخل فيه واطولها عمرا في المجد الصحيح واوجهها في المغربين والمشرقين

اصل هذه الاسرة ونشاتها وتاريخ المجد العلمي فيها

اصل هذه الاسرة من قلشانة او قلجانة قال السخاوي في الضوء اللامع : بفتح القاف (١) وسكون اللام وجيم او شين معجمة اهـ ص (٢٥٧) ج (٨) طبع مطبعة القدسي سنة ١٣٥٤ وانحدرت من باجة تونس الى الحاضرة. والمجد العلمي فيها وليد اواخر المائة الثامنة وابوه الشيخ محمد بن عبد الله بن خلف الله بن عبد السلام اورد سلسلة نسبه كما رايت السخاوي في ترجمته ص (١٠٧) ج (٨) اخذ عن الشيخ ابن عرفة والشيخ ابن حيدرة التوزري وغيرهما قال السخاوي في الضوء اللامع : وكان عالما صالحا مذكورا بالكرامات اهـ. وتوفي يوم الثلاثاء حادي عشر شهر ربيع الآخر عام ٨٣٩

وقد ترك رحمه الله ولدين يشيدان مجده ويهتديان على آثاره بعده: اباحفص عمر وابا العباس احمد ويعبر عن ابي حفص الحسن والحسين . وكانا توأمين . ذكرهما في الضوء اللامع وقال في اولهما وتميز في فنون . . . مات سنة ثلاث وسبعين عن (٣٩) سنة. وقال في ثانيهما : وكان ذا صولة واقدام على الملوك وتميز في الفقه واصوله مع مزيد كرم اهـ. وذكر قبل هذا انه مات مقتولا بايدي الفرنج في ثاني عشر شوال سنة ٩١ قبل أكمال الستين لحمله رسالة من صاحب تونس لملك الروم واخرى لملك مصر يشير فيهما بالصلح فقتلوه قبل وصوله لهما اهـ.

---

(١) كذا ضبطه في الموضوع الذي نقلنا عنه وقال في موضع آخر ص. ١٠٧ ج. (٨) بكسر اوله او فتحه وسكون ثانيه ثم معجمة معقودة بينها وبين الجيم اهـ.

وفي لهذا من العبرة ان من اهل العلم الديني في ذلك العصر من تمنعين الحكومة به فيما له صلة بالسياسة .

وهذين التوامين اخ وهو محمد قاضي الجماعة وسياتي ترجمته ان شاء الله . وتفرع عن الحسن ابو محمد عبد اللطيف ذكره السخاوي في ترجمته عرضا في ترجمة البيدموزي فقاله : واستقر عوضه في قضاء المحلة أبو محمد عبد اللطيف بن الحسن بن عمر القلشاني رحمه الله وعفا عنه اه. وتفرع عن محمد عمر ذكره الشيخ عظوم في البرنامج في مبحث الوصية المشرح فيها عدم الرجوع ، قال رحمه الله نقلا عن الشيخ الفخفاخ في حواشيه على الشامل ما نصه :

سئل الشيخ أبو حفص عمر القلشاني الحفيد رحمه الله تعالى حين تولى قضاء الجماعة بتونس في دولة المولى زكرياء في أواخر القرن التاسع إلى اواخر القرن التاسع الخ . . وفي آخر جواب الشيخ قاله عبد الله عمر بن محمد بن عمر بن محمد القلجاني مصليا ومسلما على سيدنا ومولانا محمد و آله وصحبه اه فيكون هذا البيت انجب فيما بين القرنين الثامن والتاسع ثمانية علماء فيما علمنا وبلغ العلم فيه الى طبقة رابعة وهي طبقة عبد اللطيف بن الحسن بن عمر بن محمد وطبقة عمر بن محمد بن عمر بن محمد

وليس لعمر الحفيد هذا ترجمة في الضوء اللامع ولعله ممن توفي في القرن العاشر والظاهر انه كان من جلة علماء عصره وقد تكرر النقل عنه في البرنامج في (مبحث الوصية المشرح فيها عدم الرجوع

اما القرنان العاشر والحادي عشر فلا اذكر اني رايت كلمة فيهما عن رجل من رجال هذا البيت وقد عميت انباء اكثر اهل العلم بتونس في هذين القرنين فان ظفرت فيما بعد بما لم اطلع عليه من قبل فمجال الاستدراك واسع

واما القرن الثاني عشر فقد كان فيه من رجال هذا البيت افراد من العلماء منهم الشيخ محمد ذكره في ذيل بشائر اهل الايمان وقال في شانه : الشيخ الصالح العارف بالله السالك مسالك الطريقة والحقيقة وذكر انه كان ملازما لاقراء كتب القوم يجلس في اقرائها من طلوع الفجر الى ما بعد الشروق ويزيد على ذلك بجامع الزيتونة ثم يتصدر عقب النهار الى الغروب وانه كان فقيها عالما بالحديث وانه توفي سنة ١١٢٤ ودفن بالمويلح في طريق الحج بعد عوده

وقسم ابنه الشيخ محمد ذكره في الذيل ايضا وقال في شانه : الشاب الفقيه العارف النبيه ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح الزاهد الشيخ القلشاني تزايد بمدينة تونس وقام مقام والده واحيى رسوم مواعظه بالجامع الاعظم اه.

ومنهم قاسم بن محمد لم ار له ترجمة مدونة ولكني رايت له رسالة في لو سماها « سواد العين والحاجب في نصرة العلامة ابن الحاجب » وهي تدل على مشاركة وسطى ورايت له تعليقا على حديث

من احاديث صحيح البخاري فرغ منه سنة خمسين او نيف وخمسين ومائة والف وكانت وفاته سنة ١١٨١ على ما يستفاد من تاريخ لوفاته في ابيات للشيخ ماضور يظهر انها رسمت على ضريحه منها :

ذا ابو الفضل قاسم القلشاني الذي كان للمعالي دليلا
فلكم من علوم وابدى من تآليف شافيات غليلا
فابسطن للدعا يديك وارخ ذا ضريح حوي اماما جليلا
٧٠١ ٣٠٨ ١٥ ٨٣ ٧٤

ولم اقف فيما بعد هذا على ذكر لمن يمت الى العلم بصلة متينة من رجال هذا البيت فيكون المجد العلمي فيه اقام يتقلب من اواخر القرن الثامن الى اواخر القرن الثاني عشر ولله عاقبة الامور

خدمتهم للعلم بالتدريس والتأليف

خدم رجال هذا البيت العلم تدريسا وتأليفا . أما التدريس فبجامع الزيتونة الاعظم أدام الله عمرانه وبعض مدارس الحاضرة ومنها مدرسة عنق الجمل التي ولي التدريس بها الشيخ محمد رأس هذه الاسرة المباركة والشيخ عمر من بعده وفي ترجمته أنه درس الفقه والاصلين والمنطق والبلاغة وغيرها وكان للشيخ عمر مشاركة في علم الطب أخذه عن الشريف الصقلي .

ومنها المدرسة المنتصرية ولي التدريس بها الشيخ أحمد ومنها مدرسة المعرض ولي التدريس بها الشيخ الحسن ودرس الشيخ محمد بن عمر بالقاهرة الفقه وأصوله والنحو والتفسير كما في ترجمته بالضوء اللامع

وأما التآليف فأشهرهم فيه الاخوان الشيخان عمر وأحمد

أما الشيخ عمر فله شرح على الطوالع إلى الالهيات في مجلد وشرح على مختصر الشيخ ابن الحاجب قال الشيخ بابا في شانه : في غاية الحسن والاستيفاء والجمع مع تحقيق بالغ ينقل كلام ابن عبد السلام ويذيله بكلام غيره من الشراح كابن راشد وابن هارون والناصر المشذالي وخليل وابن عرفة وابن فرحون وغيرهم مع البحث معهم وطرزها بنقل كلام فحول المذهب كالنوادر وابن يونس والباجي واللخمي وابن رشد والمازري وابن حبيب وسند وابن العربي وغيرهم مع البحث في الفاظ المتن إفرادا وتركيبا ما يدل على سعة علمه وقوة إدراكه وجودة نظره وإمامته في العلوم .

وأما الشيخ أحمد فله شرح شهير على الرسالة للشيخ ابن أبي زيد رضي الله عنه وشرح على مختصر ابن الحاجب .

يتبع

تصويب اخطاء وقعت في الجزء ٦ المجلد ٥

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٠١	١٢	عزير	عزيز
١٠١	١٥	منتزعين	منتزعتين
١٠١	١٨	كمل الاسد	كمثل الاسد
١٠١	٢٨	والسيد حام	والسيد وحام
١٠٢	٢٣	بالذيال	بالذبال
١٠٢	٢٤	تحتملها	تحتملهما
١٠٣	١٧	جئناكم	جئتكم
١٠٤	٢٣	نسب	نشب
١٠٥	٧	سادحا	سادما
١٠٨	١٧	دون الظرف	دون في الظرفية
١٠٨	١٨	بالظرف	بفي الظرفية
١٠٨	٢٠	عليه الظرف	عليه في الظرفية
١١٠	٥	حم (مرتين)	حاميم (مرتين)

نبذة من ترجمة

الشيخ معاوية التميمي

في ليلة السبت موفى شهر ربيع الانور الفارط انتقل الى رحمة الله تعالى وسعة رضوانه العلامة النحرير الشيخ معاوية التميمي المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة فتصدعت لوفاته اندية العلم والادب وحل الاسف والاسى في نفوس شيوخه وتلامذته واصدقائه الكثيرين من محل الامل بشفائه من المرض العضال الذي لازمه المدة الطويلة فذرفت العيون لفقده ونطقت الالسن بتعداد خصاله وكمالاته نثرا وشعرا

دخل الفقيد الى جامع الزيتونة عام ١٣٢٤ فزاول العلوم على علماء عصره كالشيخ عثمان بن المكي والشيخ الصادق النيفر والشيخ محمد بن القاضي والشيخ عثمان بن الخوجه رحمهم الله تعالى وتحصل على شهادة التطويع عام ١٣٣٢ فانتظم في سلك المتطوعين الاعيان المشار اليهم بالبنان وانكب على دروس التعليم العالي بجد واجتهاد يحضر جميع دروسه فما من عالم يقرىء درسا في العالي الا والشيخ معاوية هو صدر الحلقة فقرأ التفسير على المقدس المبرور شيخ الاسلام الشيخ محمد ابن يوسف والمنعم الشيخ محمد النخلي والحجة الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور متعنا الله بطول بقائه

وقرأ الحديث على المنعم الشيخ ابراهيم المارغني والمنعم الشيخ محمد الصادق النيفر والمنعم الشيخ محمد النخلي وشيخي الاسلام الشيخ بلحسن النجار ابقاهما الله والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ادام الله النفع بهما

وقرا الاصول على المنعم الشيخ محمد بن يوسف والمنعم الشيخ محمد ابن القاضي والمرحوم الشيخ محمد النخلي والعلامة الشيخ بلحسن النجار

وقرأ اللغة وعلومها وآدابها على العلمين المنعم الشيخ محمد النخلي والحجة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور . وفي سنة ١٣٣٣ اذنت له النظارة العلمية في مباشرة التدريس بصفة متطوع فاقبل على التدريس بهمة عالية وجد واجتهاد واقبل عليه التلامذة يكرعون من حياضه فكان يقضي سحابة يومه بين تعلم وتعليم. وحبب اليه الادب فعمر فراغ اوقاته بالانكباب على مراجعة نصوصه حتى اصبح من الادباء المشهورين وقال الشعر الرقيق وان لم يكن من المكثرين في نظم القريض وعقد المجالس الادبية بمسجد القبه يحضرها ادباء عصره ويامها الوافدون من بلدان المملكة وخارج المملكة وبذلك حصل الشيخ معاوية على شهرة واسعة في العلم والادب

وفي عام ١٣٤٣ شارك في مناظرة التدريس في العلوم فاحرز على قصب السبق وصدر له الامر

العلي في ولايته مدرسا مالكيا من الطبقة الثانية . وفي نفس السنة أسندت له امامة الجامع بباريز وهو اول امام تونسي انتخب لهذا المنصب فسافر الى باريز للقيام بوظيفه الجديد وقد ابقت له الحكومة وظيفه الاصلي كمدرس بجامع الزيتونة مع الترخيص له في عدم المباشرة . وحياة الفقيد بباريز قد سطر جملة صالحة منها الاستاذ عثمان الكعاك يجدها القاري في المقال الموالي لهذا . وفي عام ١٣٦٢ شارك الفقيد في مناظرة التدريس من الطبقة الاولى فاحرز عليها وصدر له الامر العلي في ولايته مدرسا من الطبقة الاولى ولكنه مع كل الأسف منذ هذه الولاية اشتد به المرض الى ان حضره الاجل المحتوم

وللفقيد رحمه الله مشاركة فعلية في الحياة العلمية والاجتماعية العامة فقد شارك في الجمعيات العلمية وانتخب عضوا ونائب رئيس للجمعية الخلدونية وشارك في العمل الصحافي كمحرر ومصحح كما اسند له وظيف مصحح بمطبعة النهضة عند تاسيسها وراقب تصحيح عدد من الكتب التي طبعت بها

وانتخب عضوا في لجنة التعريف بكتب المكتبة الاحمدية بجامع الزيتونة والمكتبة الصادقية بالعبدلية وتدوين فهارس لهما . كما عين عضوا في لجنة نشر المخطوطات القديمة التونسية وتولى الاشراف على طبع كتاب رحلة التجاني وتصحيحه كما عهد اليه تصحيح كتاب تخريج الدلالات السمعية وتصديره مقدمة والتعريف بمؤلفه وقد تم طبع الكتابين ولكن المقدمة التي طلبت منه بقيت عند الفقيد لم تطبع لسوء تفاهم وقع بينه وبين المتولي مراقبة الطبع وعدم ظهور الحرص من طرف لجنة المخطوطات التي نسجت عليها عناكب النسيان غطاء كثيفا وتركت اعمالها في زوايا الاهمال .

كما انتخب عضوا بجمعية الحرمين الشريفين وسافر في وفد الجمعية الى المغرب الاقصى وحضر مؤتمر الجمعة الذي انعقد برباط الفتح

وبالجملة فقد كانت حياة الفقيد حافلة بالاعمال العلمية والادبية وقد ترك ذكرا جميلا بين عارفي خصاله ومزاياه رحمه الله رحمة واسعة .

ملحوظة

لاحظ لنا امير الامراء سيدي محمد الصالح مزالي وزير الاوقاف ان ما جاء في قائمة الملوك الحسينيين من ان مدة المولى علي باشا فيها نقص خمس سنوات

وجوابنا على هذه الملاحظة ان ما اثبتناه في مدة هذا الملك باعتبار ان مدة الباشا مبدؤها سنة ١١٥٣ وهي السنة التي قتل فيها عمه المولى حسين واما السنوات الخمس فان عمه كان فيها ملك بمدينة القيروان وما انضم اليها من جهات المملكة .

واما البيعة التي وقعت للباشا فهي بيعة خاصة من الجهات التي تغلب عليها فلم يملك زمام الحكم بالايالة عامة الا بعد مقتل المولى حسين وهذا الاعتبار له نظائر وفي مقدمتها مدة خلافة معاوية رضي الله عنه فان المؤرخين يعدونها من تنازل سيدنا الحسن رضي الله عنه . وابراهيم العباسي لم يعدوه خليفة في الدولة العباسية لقيام الخليفة الاموي مع وجود البيعة له من اشياعه . على ان الباشا نفسه نقش على خواتيمه سنة ١١٥٣

الشيخ معاوية التميمي

بمدينه باريس

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك

نحن في عشية من عشايا شهر ماي ١٩٢٨ بمدينة باريس وكانت عشيتنا جميلة رائقة قد بلل الرذاذ اشجار بستان النباتات وازهاره ونقط نقطا فوق سواد الشوارع المقيرة فدخلنا مقهى السيدر بين حديقة الحيوان والجامع وجلسنا حول منضدة وكنا رفقة من طلبة الطب والحقوق والادب بين تونسيين وجزائريين ومغربيين مع بعض السوريين والعراقيين . اذ دخل علينا الرفيق ع . في مثل عصفة الريح وقاطع احاديث المتحدثين ولعب العاكفين امام رقعة الشطرنج وقال : « ان الشيخ معاوية التميمي ها هنا» فاندهشنا لهذا الخبر بقدر ما سررنا وخففنا للاستطلاع فاذا بالشيخ يجتاز باب المجلس . واذا الشيخ كما عهدناه قد ارتسمت على وجهه ابتسامة دائمة وارتفع حاجباه في شبه نكتة استفهام زارية كث اللحية اسودها ، ادعج العلينين ، ممتلئا صحة على راسه عمامته البيضاء الناصعة المستوية الطيات المستقيمة الوضع وعلى كتفيه برنسه الابيض الصوفي متساوى الاطراف منتظم الهيآت قد انفتح عن جبة مشرقة اللون تهدلت منها اهداب الشموس

فبادر الينا بعجلة وئيدة وازدادت ابتسامته المشرقة على محياه الاسمر ، وانطلق لسانه بالتحيات المنهمرة . وسلم علينا فردا فردا وتعرفنا واحدا واحدا وسألنا عن أخبارنا الشخصية والتعليمية وتلطف فنقل الينا أخبار عائلاتنا وأصدقائنا بظرف غير متكلف وكياسة ليست فيها مسحة اصطناع وتواضع وقور واسترسال ميزن . ثم جلس إلى جانبنا وقد غمرناه بالتحايا والاسئلة وعبارات الترحيب ومعاني الابتهاج مندفعة من فؤاد كل واحد منا اندفاع السيل وهو يجيب كل واحد ويجيب الجميع بدون ضجر ولا سآمة بل يسبق إرادة السائل ويؤنس المحتشم بالكلام اللطيف .



في مساء الخميس دخلت نزل الكانرفاج على مقربة من الجامع وتناولت البريد من حق الطارمة ورفعت مفتاح الغرفة بيد عجلى وتسلقت المدرج اذ كان المصعد معطلا فكنت اطلعه اربعا اربعا اورق البريد بشوق ولا اتعرف منه شيئا اذ قاطع صعودي الخاطف واستطلاعي المتسرع الرفيق ط . وقال لي : « العلك تطالع دعوة الشيخ معاوية ؟ » قلت : « كلا . واية دعوة تريد ؟ » « عجبا ! اني ارى بيدك البريد وانت تتلقفه من يمين الى شمال وتفضه باظفارك فضا سريعا منكرا

ولا تعلم ان بينه دعوة من الشيخ معاوية ؟ . هاها ! لقد انساك بريد الخطبة غيره من البرد ! هاها!
وواصل هدوره وهو يلتفت الى من درجة الى درجة ويضحك

ـ . . . . . افقت من غيبوبتي وامعنت النظر في البريد رسالة رسالة فاذا به ـ فعلا ـ رسالة عقبها عنوان الجامع واذا في الرسالة مكتوب « سنجتمع غدا ان شاء الله لصلاة الجمعة . لا اقدر ان اصف بالقلم ما اعتراني من العواطف في ذلك الحين هاجت في العاطفة الوطنية التي اثارت في نفسي عاطفة دينيه قوية جدا شعرت بها اني ذرة لها قيمتها من عالم فيه خمسمائة مليون من الذرات مثلي اسمه العالم الاسلامي وشعرت بان هذا العالم متماسك الذرات قوي اللحمة بينها . وعلمت عندئذ ما هـو معنى الود الكامن في ضميري الباطن الذي كنت احمله للعراقي وللسوري وللفارسي وللتركي وللبوغسلافي وبعد ان ثابت بي هذه العاطفة الدينية العنيفة المكتنزة القوية بميراث اربعة عشر قرنا انبهت ذاكـرتي وحولتني الى عشر سنوات ماضية حينما كنت مكبا على دراسه رسالة ابي زيد على شيوخي المحترمين فكان دروسها قد حضرتني وكاني راجعتها بعناية ذات الصباح لاعرضها على الشيخ المدرس قبل ذات الزوال راجيا عددا صالحا للحظوة بالجلوس على خوان الشرف .

عندما اقتربت من غرفه الصديق ر . بالطاق الثاني سمعت جلبة سرور تساوقها ضحكـات فطرقت الباب . ثم دخلت فوجدت الجماعة يتحدثون في موضوع الدعوة . وقد ابتهجـوا بهـذ الاشتراع . قال ا . ب زعيم الشبيبة المغربية :

« هذا الشيخ حي يقظ شاعر بواجبه نحو ابنائه من الشبان مدرك لعظيم المسؤولية الملقـاة على عنقه في مدينة النور التي بها جاليات اسلامية عديدة ومختلفة تنسب الى كل صقع من اصقاع المعمورة ، وانا ساساعده في هذا المشروع الذي هو اقامة الشعائر ولا سيما الصلاة التي هي عمود الدين . الى الملتقى الآن ايها الاخوان »

ـ . . . . . والى اين ؟ يا احمد ؟

ـ الى اخواني المغاربة من طلبة ومن تجار ومن عملة . سآخذ الآن (التاكسي) الى سودين انبه العملة الى الاستعداد لصلاة الجمعة اما علي وعبد الخالق وعمر وبقية الطلبة فسالاقيهم بمطعم البول ميش عند الغذاء وعلى كل حال اذا لافاهم منكم احد فلتعلمهم » . . . . وخرج في حماس واعتزام

قال صديقنا الطبيب اليوغوسلافي في عربية فحة وصريحة ـ وقد حجر علينامنذزمان استعمال غيرها معه او فيما بيننا ـ والله يا اخواني لقد كنت اذهب الى صلاة الجمعة فلا احد بها الا نفرا بعدد الانامل فيكدرني ذلك غاية الكدر . اما الآن فقد زال عني هذا القلق الاليم . وانا مسرور غاية السرور

قال صديقنا الطبيب اليوغوسلافي في عربية فحة وصريحة ـ وقد حجر علينا منذ زمان استعمال

غيرها معه أو فيما بيننا – والله يا أخواني لقد كنت اذهب الى صلاة الجمعة فلا اجد بها الا نفرا بعدد الاناصل فيكدرني ذلك غاية الكدر . اما الآن فقد زال عني هذا القلق الاليم . وانا مسرور غاية السرور . ومما زادني سرورا ان لي صديقا من سكان دلماطيا ينوي الاسلام ولم يشتد عزمه في ذلك لانه يريد ان يسلم على يد رجل من رجال الدين . وهو اول دلماطي يسلم . وارجو ان يجري على سنته الكثيرون . والآن انا ذاهب الى نزله ليأتي في عشية الغد ويسلم على يدي الشيخ . »

– مرحى ! مرحى !

– ليحيى الاسلام ! ليعيش الشيخ معاوية زعيمنا الديني »

. . . . واختلطت الاصوات بالهتاف



بقيت انا في حيرة امام مصاعب مادية ظهر كانها صعبة التذليل .

ليست لي ثياب عربية . وعلى الخصوص ليست لي شاشية . . . فكيف العمل ؟

انسللت مع العتمة من النزل الى الجامع والمسافة بينهما عشرة امتار . وطلبت مقابلة الشيخ . وما ان دخل المزوال للاستئذان حتى خرج بنفسه وهو ينادي « تعال – تعال – تعال – اهلا وسهلا ومرحبا تفضل هذا بيت الله وانا ابو الجميع . تفضل .

« يا سيدي الشيخ انني خجل جدا . ومحتار غاية الاحتيار . . . . وتلعثمت . . . . وانا . . . آ . . . . اريد . . . . آ » فضحك الشيخ وقال :

« انت تريد الصلاة غدا . وهذا فرض واجب . ثم احترت من امر الشاشية فهون عليك . اما اولا فان منديلا طاهرا يجزيك . واما ثانيا فان لي شاشية فوق العدد . واظنها قياسك . فهاهي ولي جبة ايضا . على اني فكرت في الامر جيدا . وخشيت ان تكون هذه العقبات المادية مانعا لكم عن القيام بالفرض . ولا شيء يجب ان يقف مانعا دون القيام بالفرض . فالدين يسر لا تعسير فيه والغربة والدراسة تقتضيان سورا من التسامح



المعهود ان الحمام الملحق بالجامع محشر للسواحين الذين اختلفت اجناسهم واذواقهم . ولم تكن هذه صعوبة لنا . فان كل غرفة من غرف النزل مردفة بمطهرة ومغطس مع جميع ادوات الاستحمام واذ قد راجعت بعناية ودقة باب الصلاة من الرسالة . واذ قد تحصلت على الثياب اللازمة واذ قد امرت غلام النزل باعداد المستحم لساعة باكرة من الصباح فلم يعد لي ما يقلق بالي من هذه الناحية فغادرت النزل واخذت سبيلي الى المطعم . فاخترقت شارع مونج وبلغت الكوليج دي فرانس واجتزت

البول ميش واخذت عطفة كلية الطب ودخلت المطعم اليوناني فوجدت البعض من الرفاق قد تقدمني وجاء خادم المطعم بحساء الارز مدخنا واذا بالسيد الطاهر الصباغ مثال الكياسة وينبوع الادب ومعدن اللطف يدخل غرفة الطعام كانه عملاق من العمالقة ويقول بصوت مرتفع كانه يخطب في هذه الجماهير من اليونان والروس والسويديين والبرازيليين - وهو بالحقيقة يقصد الطلبة المسلمين - «يا جماعة ! السلام على من اتبع الهدى . ان حمام الجامع لا يقبل غدا غير المسلمين الذين يريدون الوضوء الاكبر . هكذا امر الشيخ معاوية وقد احسن . اما الطلبة فيطرح لهم نصف الثمن . يا جماعة لقد امرت عملة الحمام باعداد اللوازم . ثم ينشد بصوت عال وقد نسي انه في مطعم يوناني ، فيه جمعية امم من الناس .

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجل



بيت الصلاة غاص بالخلائق من العامل في مصانع الكهرباء الى قناصل الدول الشرقية بدون فرق ولا تمييز . والصحن الاول مكتظ بالصفوف المتراصة . واروقة الصحن الثاني وفناؤه لا تجد به شبرا خاليا والناس كأن على رؤوسهم الطير .

خطب الشيخ معاوية التميمي خطبة جمعت بين بلاغة العبارة وسهولة الفهم وطرافة الموضوع : « ما هي واجبات الغريب في البلاد الاجنبية » هي ان يتمسك باهداب دينه ويعض عليها بالنواذج وان يعتز بمدنية قومه في غير مكابرة وان يستقيم في سلوكه حتى يفرض على الأجنبي احترامه ويعطي صورة حسنة من بني جنسه وان يقبل على العمل لاكتساب الرزق من وجوه الحلال . وان ينضم الى العائلة الاسلامية التي لا شعوبية لها والتي لا ترى فضلا لعربي على عجمي الا بالتقوى وان يتكاتف المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وان يكون بعضهم لبعض ظهيرا .

ثم عرج على واجبات الطالب في البلاد الاجنبية فهو داخل في عموم احكام المسلمين في الغربة من وجوب التمسك بالدين والتشبث بالاتحاد المقدس . ثم هو لابد له من ان تستقيم سيرته وان يقبل على دروسه بمزيد العناية ليحصل على اعظم جانب من العلم وان يعتبر نفسه جنديا مجاهدا في ميدان العرفان وان يفكر من حينه في انه سيرجع الى وطنه لينفع وطنه ويكون عضوا صالحا في المجتمع ويقترن ببنت بلاده المسلمة

ادرك المصلون هذه المعاني ظاهرها وباطنها وتصريحها وتلميحها واعتمدوها كاحسن خطة في حياة الغربة وكاحسن منهج في الحياة مطلقا

وتفرق الناس بعد الصلاة يتعرف غريبهم بالصيني والتونسي بالجاوي والعراقي بالمغربي وهم

يدركون في الوقت نفسه عظمة الرابطة الاسلامية وقوة الاسلام في العالم وقيمة خطبة الشيخ الامام في تعزيز تلكم الرابطة وهذه القوة . وتكونت من ذلك الحين صداقات متينة بين اجناس مختلفة من المسلمين لا ترابط بينها الا صلة الدين - ونعم الصلة - ولا تجمع بينها الا رابطة اللغة العربية التي لم يكن احد يجهلها

❀❀❀

دعا الشيخ نخبة من الشبيبة المدرسية للغذاء على مائدته . فجلس التونسي الى جانب اليوغوسلافي وقابل المغربي الصيني . وكان الشيخ ابرع خلق الله في حديث المائدة يسبك النصيحة في قالب التلميح الفكاهي ويعرج بارتباط المسلمين فيفهم الناس ما بين الحروف . ثم قال : « انني ابو الجميع الروحي . فمن اغلق عليه درس لغة او ادب او احتاج الى تمكن في لغة وادب فانا على اتم اهبة لمساعدته . ومن احتاج الى كتاب او اصلاح مسامرة في ناد فانا عضده . ومن اغلق عليه امر من امور دينه فافتقر الى ارشاد ونصيحة فانا مرشده اذا شاء

فعلمنا كلنا ان الشيخ معاوية التميمي لم يكن يفهم وظيفة الامامة بجامع باريس كوسيلة من وسائل المعاش بل كرسالة عظمى كبيرة المسؤولية ثقيلة الاعباء وعرة المسلك . فهو يحث الناس على تعلم العربية ويجمع بين القول والعمل ويحثهم على القيام بفروض دينهم ولا يقف عند حد النصيحة المجردة ويبين لهم منهاجهم في حياة الغربة ويسهر على تطبيق هذا المنهاج بارادة حديدية غلفت بالحرير الناعم ورصعت بالابتسام الآمر .

ثم خرجنا بعد الشكر فوجدنا على باب الجامع الخارجي معلقة فيها « لا يدخل هذا الجامع في اوقات الصلاة غير المسلمين » فنظرنا الى بعضنا نظرة عميقة الدلالة .

❀❀❀

ذهبت الى المكتبة القومية فوجدت الشيخ معاوية منغمسا في المخطوطات النادرة والى جانبه الكتبدار الاختصاصي في القسم العربي بكرم وفادته ويخدم ارادته بما عهد في الباريسيين من لطف نادر نتعجب منه .

ذهبت الى متحف اللوفر فوجدت الشيخ معاوية يتامل بامعان في العاريات الاسلامية

ذهبت الى المسرح الكلاسيكي فوجدت الشيخ معاوية يحضر رواية كرناي ويدرس بفكره الثاقب نبوغ الممثلين في الاخراج والالقاء وحركات الوجه .

ذهبت الى بستان النبات فوجدت الشيخ معاوية مقبلا على درس النبات والحيوان متنقلا بين اروقة متحف العلوم الطبيعية من قسم التشريح البشري ووظائف الاعضاء وطبقات الامم وعادات الشعوب الى قسم الحيوانات البائدة الماثلة هياكلها العظمية .

واذا كنا في درس الفارسية بمدرسة اللغات الشرقية نقرا شعر الفردوسي على العلامة محمود قزويني

خان اذ دخل الشيخ معاوية وجلس في ركن القسم ينظر الى خرايط صور المدن الفارسية والاثار العجمية . فتلطف الاستاذ قزويني وصار يترجم شعر الفردوسي الى العربية فامتلك بذلك اهتمام الشيخ معاوية ودار الحديث بينهما اثر الدرس في ردهة المدرسة فلم يغادرا موضوعا من مواضيع الاداب الاسلامية الا طرقاه . ولست ادري هل كان الشيخ معاوية بفصاحة الاستاذ القزويني اشد اعجابا ام كان القزويني من سعة اطلاع الشيخ معاوية اكثر اندهاشا .



يقلع الرتل من المحطة الى مرسيلية في الساعة التسعة والنصف مساء . وقد حضر الاخوان للتشيعنا ، ووعدنا البعض بزيارة تونس . واقسم ا . ب المغربي على ذلك ورأينا العزيمة في عيني الطيب اوكيتش اليوغوسلافي امضى وكنا بين عاملي مفارقة الاخوان والحنين الى الاوطان . واذا بنا نرى الشيخ معاوية يتسلل ببرنسه بين عربات الحمالات ويتخطى جموع الراكبين والمشيعين والابتسامة لم تفارق محياه . . . . هو ايضا تلطف فجاء لتوديعنا فانحدرت دموع منكتمة من شدة التاثير . . .

وسار القطار بين صفير القاطرة وازيز العجلات على السكة وهتاف المشيعين وآخر عبارات التوديع ولم تمح صورة الشيخ الا عند ما لاح البحر وزفرت الباخرة فالتفت الى عبد الرحمن بعد ان قذف قبعته في البحر وقال : « والله ان الشيخ قد قوى ايماني وحبب الي العربية والمسلمين »

مجلة الاديب

من بين المجلات العربية التي تصدر في الشرق العربي مجلة الاديب التي تصدر في بيروت عاصمة لبنان لصاحبها البير اديب وهي مجلة شهرية للادب والعلم قد حمل لنا بريد الشرق الجزء الاول والثاني من مجلدها الثالث فنرحب بها ونقدمها لقراء المجلة واصفين بعض ما اشتملت عليه من المواضيع القيمة وطريقة الكتاب الذين يتولون تحريرها . فهي مجلة يحرص المحرر فيها على توخي ضروب التجديد في الادب على الطريقة الاروبية كما يحرص صاحبها على التفنن في اخراج اعدادها وعلى تنويع الموضوعات الفنية والاجتماعية والعلمية وشيء ليس بقليل من الشعر الحديث القائم على عدم التقيد باوزانه وقد اشتمل العدد الاول على مقال في الحرية بقلم عمر فاخوري - والتحالف العربي لابي عز الدين - وما يفعله العلماء - وعهد الانبعاث في الادب العربي وخضوع الذكاء لمقاييس علم النفس . والثاني على مقال حول الثقافة اللبنانية - والاكسير على ضوء العلم الحديث - والشمس الى غير ذلك من كل طريف والمجلة تهنئ زميلتها بدخولها في عامها الثالث وتتمنى التوفيق للاديب في خدمة العلم والادب والنجاح المطرد

الآداب

موشح ابراهيم بن سهل الاسرائيلي

الاشبيلي الاندلسي ومعارضاته

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى — قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما — لعبت ريح الصبا بالقبس

***

يا بدورا اشرقت يوم النوى — غررا تسلك بي نهج الغرر
ما لنفسي في الهوى ذنب سوى — منكم الحسن ومن عيني النظر
أجتني اللذات مكلوم الجوى — والتداني من حبيبي بالفكر

***

كلما اشكوه وجدي بسما — كالربا بالعارض المنبجس
اذ يقيم القطر فيها مأتما — وهي من بهجتها في عرس

***

غالب لي غالب بالتوءده — بأبي افديه من جاف رقيق
ما علمنا مثل ثغر نضده — اقحوانا عصرت منه رحيق
أخذت عيناه منه العربده — وفؤادي سكره ما إن يفيق

***

فاحم اللمة معسول اللمى — ساحر الغنج شهي اللعس
وجهه يتلو الضحى مبتسما — وهو من اعراضه في عبس

***

أيها السائل عن جرمي لديه — لي جزاء الذنب وهو المذنب
أخذت شمس الضحى من وجنتيه — مشرقا للشمس فيه مغرب
ذهب الدمع باشواقي اليه — وله خد بلحظي مذهب

***

ينبت الورد بغرسي كلما — لاحظته مقلتي في الخلس
ليت شعري اي شيء حرما — ذلك الورد على المغترس

***

كلما اشكو اليه حرقي — غادرتني مقلتاه دنفا
تركت الحاظه من رمقي — اثر النمل على صم الصفا
وانا اشكره فيما بقي — لست ألحاه على ما اتلفا

فهو عندي عادل ان ظلما وعذولي نطقه كالخرس
ليس لي في الامر حكم بعدما حل من نفسي محل النفس

❁ ❁ ❁

اضرم الدمع باحشاءي ضرام تتلظى كل حين ما تشا
هي في خديه برد وسلام وهي ضر وحريق في الحشى
اتقي منه على حكم الغرام اسدا ورداً واهواه رشا
قلت لما ان تبدى معلما وهو من الحاظه في حرس
أيها الآخذ قلبي مغنما اجعل الوصل مكان الخمس

❁ ❁ ❁

وقد عارضه كثير من الشعراء على رويه وقافيته اولهم ذو الوزارتين
لسان الدين ابن الخطيب بموشحه المشهور الذي طالعه

جادك الغيث اذا الغيث همى يازمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس

❁ ❁ ❁

كما عارضه ابو العباس (احمد بن ابي الضياف) بموشح
قاله وهو بامبو يتشوق الى تونس - ونصه :

تونس الانس لها شوقي نما نزهة النفس وروح النفس
اهلها اضحوا نجوما في سما سطعت منهم بعقد انفس

❁ ❁ ❁

بلدة طيبة قد جمعت من وجوه الحسن ما سبا الاريب
زانت الارض بها وارتفعت ولسكناها غدا يصبو الغريب
اضحت شمس الضحى اذ لمعت من بعيد حين تبدو او قريب

❁ ❁ ❁

كم بها من احور قلبي رمى بفتور ونبال من قسي
نالت المرمى ولم يشفع حمى لاحمى من فاتك في الانفس

❁ ❁ ❁

يارعى الله ليالينا بها وبدور الكاس يبديها النديم
تتهادى في حلى اثوابها زانت الانوار من ذاك الاديم
جاءت اللذات من ابوابها هكذا للهائن من العهد القديم

❁ ❁ ❁

فاغتنمها وارتشفها كلما لثمت بالورد خد الاكؤس

واتخـذهـا لـسـرور سـلمـا | انمـا الـراح حيـاة المجلس

❀ ❀ ❀

بين خلان لهم صفو الزمن | عقروا الهم بسيف ذي فقار
لن ترى في جمعهم الا الامن | واحـاديث على صفـو العقـار
تجد الروح لهـم ادنى ثمن | فاشرب الصرف على نقل العقار

❀ ❀ ❀

وامزجنها بـرحيـق من لمـى | حـول ورد في عـذار الغلس
لاتزوج بكـرهـا بـابن السما | رونـق الحسن لهـا بـالعنس

❀ ❀ ❀

واجـذب العـود فمن نغمتـه | يـفـزع الهم الى اقصـى مفـر
واسـمـع الالحـان في ذمتـه | بجـو ر في امـان وظـفـر
وانـظـر الاوتـار في لمتـه | شرك الانس اذا الانس نفر

❀ ❀ ❀

واغنم اللذات والصفـو نمـا | لمـشيـر نبتـه في تـونس
احمـد الباشـا المشيـر المنتمى | حامي الـقطـر بنصر قدسـي

❀ ❀ ❀

ملـك وابن ملـوك ذكـرهم | مـلا للغـرب وزاد المشـرقـا
اسسوا المجد وهـذا فخرهـم | مثـل بـدر في نـجـوم اشرقـا
منهـم الفخـر ومنهـم بدرهـم | قطرهـم من نجلهـم قـد برقـا

❀ ❀ ❀

نشر الفضـل وجنـدا نظمـا | مثل نـار في هـشـيـم الـيبس
اتقن التـرتيب فيمـا احـكمـا | يجلب الامن لعيـون النـفس

❀ ❀ ❀

فاسكن الخضرا وخامر خيرهـا | والبس الامن بهـا والعافيـة
واشكر النعمة واعرف سيرهـا | هـي للجاحـد حـقـا نـافيـة
واذا لامسـت صقعـا غيرهـا | قلت من شـوق لتلـك الضافيـه

❀ ❀ ❀

تونـس الانس لها شوقـي نمـا | نزهـة النـفس وروح الـنفس
اهلها اضحوا نجوما في سمـا | سطعت منـهـم بعقـد انفس

تنبيـه

وقع غلط في قائمة ملوك الدولة الحسينية رسم كذا : وابن عمه احمد والصواب كذا: وابنه احمد

مكتبة التلميذ

الزيتوني

لقد توفق نخبة من تلامذة الكلية الزيتونية فاسسوا مكتبة تمد ابناء المعهد بنفائس الكتب المطالعة وتسهل عليهم مراجعة النصوص العلمية والادبية وتمكنهم من توسيع معلوماتهم الثقافية.

وقد اسسوا لها قانونا اشتملت بنوده على جملة صالحة من النظم نخص بالذكر منها ما يتعلق بانتاج التلاميذ. فقد احتوى هذا القانون على فصل يقتضي ان التلميذ عليه ان يقدم لهيئة مجلس المكتبة تحاريره بعد مطالعاته للكتب التي استعارها لتكون مطالعاته لها ثمرة وانتاج والمجلس يستعين بهيئة تعرض عليها التحارير لتقول قولها فيها وتبدي ملاحظاتها ثم تعرض التحارير والملاحظات على مشيخة الكلية التي لها القول الاخير.

رخصت الحكومة لهذه المؤسسة بصفة رسمية وانشئت المكتبة بنهج الكنيسة عدد ٥٥ جوار ادارة الاوقاف حيث كان كتاب « السبعي » الشهير وقد ضمت المكتبة عددا حافلا من الكتب القيمة جميعها من المطبوعات ويسهر على نظامها مجلسها الذي يتركب من نخبة من تلامذة المعهد المشهورين بالانقطاع للعلم والاقبال على دروسهم وبرئاسة النجيب الشاب حمده سليم وقد اظهر من الحزم والنشاط والاخلاص ما نذكره بكل اكبار واعجاب وقد ظهرت باكورة اعمال المكتبة في احتفالها الاول الذي اقامته يوم الجمعه السابع والعشرين من جمادى الثانية عام التاريخ بصحن المدرسة الخلدونية وترأسه صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ صالح المالقي شيخ الجامع الاعظم وفروعه وحضره نائب شيخ الجامع الشيخ علي النيفر وثلة من المشائخ المدرسين وتلامذة المعهد. فخطب فيه شيخ الجامع خطابا رسميا منوها باعمال مجلس المكتبة مقدرا مجهودات التلامذة الذين اقبلوا على المكتبة مثنيا على ما قدموه في بحر السنة من التحارير النفيسة مستبشرا خيرا بمستقبل المكتبة. ثم خطب رئيس مجلسها واعضاؤه ثم وزعت الجوائز على المبرزين من التلامذة الذين رسمت اسماؤهم في طالعة قائمة التحارير التي قدمت لهيئة مشيخة التعليم بالكلية ونالت الاستحسان. وختم الاحتفال بالدعاء لهيئة المكتبة بالتوفيق ودوام النجاح

والمجلة تهني رئيس المكتبة واعضاء مجلسها وتتمنى لهم اطراد النجاح وتدعو الطبقة المثقفة لتمد هذه المكتبة الفنية بالاعانة وتهاديها بما تجود به هممهم من الكتب التي تعين تلامذة المعهد على تنمية ثقافتهم وتوسيع دائرة معارفهم وما ذلك على امثالهم بالامر العسير

في مكتبة التلميذ الزيتوني

خطاب شيخ الجامع

الاستاذ الاكبر الشيخ صالح المالقي

حمدا لله — والصلاة والسلام على رسول الله

اما بعد فبمناسبة قرب انصرام السنة التدريسية للجامع الاعظم وفروعه تحتفل اليوم لجنة مكتبة التلميذ الزيتوني بختم السنة الدراسية

شاكرة لملبي دعوتها من السادة الفضلاء الاجلاء ومشرفيها بحضورهم

عارضة على انظارهم برنامج جهودها في بحر السنة الراحلة وما اسدته لعموم التلامذة الزيتونيين من مد يد المعونة باسعافهم بما يحتاجونه من كتب قيمة سواء اكان ذلك بطريق العارية ام بالمطالعة بمكتبتها طبقا لما هو مسطر ببرنامجها الاساسي المصادق عليه . ولقد اطلعت مشيخة الجامع الاعظم وفروعه بما لها من حق الاشراف عليها على نتائج من ذلك بما انثلج صدرها متمنية لها مزيد الترقي في سبيل تقدمها شاكرة لها جهودها ونشاطها المتزايد لاسيما ما امدها به بعض الفضلاء من المشايخ المدرسين بالجامع الاعظم من نصائحهم القيمه وتنشيطهم الفعلي مما يدل على كمال العناية بهذا المشروع

ومما الفت نظر المشيخة بصفة خاصة ما شاهدته من عناية اولئك المستعيرين باطلاعهم على الكتب المستعارة وتحرير نتائج تلك المطالعة بمحررات يقدمونها عند ترجيع الكتاب المستعار كانت من البعض محل اعجاب تبشر بحسن مستقبلهم الثقافي لما احتوت عليه من نقد وتحليل اذ اهم نتائج المطالعة هو التفكير وابراز ما يستنتجه المطالع في قالب التحرير وبذلك تقدمت الامم الراقية وهان ملاحق العلوم بتلاحق الافكار وتباينت المراتب في تسنم ذرى المعارف وامتلاك التالد منها والطارق والله الموفق والهادي الا سواء السبيل وهنا نحيل الكلمة الى رئيس المكتبة والى الفضلاء السادة المشجعين لها في هذا الحفل نظما ونثرا حفظ الله جميعهم .



خطاب رئيس المكتبة

الشاب حمده سليم

يسرني ان ارحب بهذا الملا المبارك واشكر له هذا التضامن النبيل واذا ما تحتفل الكلية الزيتونية اليوم بهذا المظهر الذي تبرزه ممثلا في شخصية حضرة مديرها والسادات المدرسين واخواني التلاميذ فلانها تريد ان تعرض القوة الكامنة بين احضانها من حياة وعمل ونهوض

واذا ما قام الشباب الزيتوني بهذه الحركة يبني لنفسه ما وجده مهدوما ويخلق من عالمه ما انعدم ويزرع بيده ليحصد ورودا ويدفن الجهود ليتذوق حلاوة الثمرة الناضجة فلانه عرف المسؤولية التي افردت بها الواجب فحملها راضيا مغتبطا

واذا ما اردنا ان نهيب بمكتبة التلميذ الزيتوني وبموسم حصادها الاول فلاننا اصبحنا نؤمن بالثلمة العارية التي تعمل هذه المكتبة لسدها وبالقصور المشين الذي نحس به في انفسنا مضخما ، وبالطموح الذي يبعثنا الى المعرفة الراسخة والتطلع الى ثقافة قوية تلقح ثقافتنا وتكمل ما بها من نقص

فلشبابنا اليوم قوة تصرخ في فم الدنيا : انا الربيع الزاخر بالحياة واننا المشيئة التي لاتندثر وان يتبوع حياتنا كله في هذه المكتبة

سادتي : مرت هذه السنة العاجلة ولم تشغل مكتبة التلميذ الزيتوني من كاملها الا هذه الاشهر الثلاثة الاخيرة اظهرت فيها من النتيجة الملموسة في العقلية الزيتونية ما تركنا نؤمن بمستقبلها الذي يتوارى وراء مواكب السنين وجعلنا نعلن ان في هذه الاشهر الثلاثة صورة ناطقة من النجاح المنتظر ، ومثالا قويا من العمل الدؤوب والنشاط الموصول وتعاون الجماعة يتخذه شبابنا مثلا سائرا وبقدم كصادق واقع على تغير جديد في النفوس ونهضة قوية تنتظر

فالدارس لاثر هذه المكتبة في احصائياتها يرى ميلا نفسانيا في مختلف الفنون التي يتهافت عليها الزيتوني . ففي احصائية شهر ربيع الانور نرى عدد الكتب من فن الادب يفوق غيره من الفنون وفن التاريخ وفن الروايات في رتبة ثانية وثالثة بالنظر الى غيرهما من الفنون الاخرى التي يرى على الزيتوني اليوم انه غير ولوع بها كثيرا كالرياضيات والطبيعيات . وفي احصائية ربيع الثاني نرى فن الاجتماع في رتبة ثالثة وفن التربية والاخلاق يقوى عدده اكثر من الشهر الماضي . والدواوين الشعرية يكثر عدد طالبيها . وفي احصائية شهر جمادى الاولى نرى انحطاط الارقام في اودية الفنون المختلفة . ولعل هذا راجع الى دنو الامتحانات التي يتفرغ التلميذ الزيتوني لها تفرغا والناظر في نظامها والطريقة التي تسلكها هذه المكتبة لاعارة الكتب لا يملك نفسه ان يقول : « انها

تكاد تخرج بنظامها عن صف المكتبات الى صف المدارس الحديثة » يجد كتبها المختارة التي تبلغ الخمسة عشرة مائة ونيفا زيادة عما قسمت عليه من الفنون الصالحة للطالب الزيتوني مقسمة ثانيا الى تقسيمات روعي فيها درجة السنوات التعليمية بحيث اصبح الطالب على مختلف درجاته يستطيع ان يجد كتبا مفيدة تماشيه مع نموه وتربة تفكيره ، ولقد خصصنا عنايتنا بالتلميذ المبتدىء ليجد في مكتبة الاطفال الكتب السهلة المصورة التي تستميل مهجته الى حب المطالعة وتتدرج مع فكره النامي

وانني اعلم لو اقتصرت مكتبة التلميذ الزيتوني على هذا التقسيم وحده لكفاها القسط المطلوب ولكنها ابت الا ان تخرج بنظام ممتاز لتربية النشء الجديد الذي لا نطلب منه الا ان يحس ويعبر عن احساسه الطبيعي .

ولعلك تستهول ايها الزيتوني ما في هذا من كلفة تضيق بها فنظام مكتبتك لا يتعدى كتابة ما تقرؤه لتبين لنا فهمك فيه واحساسك المتاثر . لقد غفل الطالب الزيتوني حينا من الزمن عن هذه الطريقة التي لها مكانتها من التربية الصحيحة ، وكثيرا ما كشفت له عن عبوسة وجهها لدى عتبة الامتحان ولكنه تصامم واهمل قلمه حتى غشاه الصديد وبات يعرف ولا يعبر . ويحس ولا يفهم ، وكان الاخرس الذي يشقى ؛ وكان العيي الذي لا يبين . انك يا اخي لا تستطيع ان تاخذ مكانك الرفيع الا اذا قمت الى قلمك وصقلته وروضت لسانك واطلقته وفتحت قلبك للحياة . فلتسمع الى حقيقة المعرفة ولنفهم ان ماهيتها ليست وحدها في الطبع وانما كلها في الرجع ولترجع احاسيسنا من شك وايمان . ولتتخذ اقلامنا معبرا لهذا الترجيع وعند ذلك اومن لكم ايها الزيتونيين ولنفسي بالنجاح . ويسرني ان نطلعكم بعد هذا على ملاحظة شيخ الكلية على نتيجة المكتبة لتروا التطور الذي اكبره شيخنا في الكتابات التي تقدم الى المشيخة يقول فيها اطال الله بقاءه :

« اطلعت مشيخة الجامع الاعظم وفروعه على تحارير التلامذة المنخرطين في مكتبة التلميذ الزيتوني وتصفحت بعضها بغاية الدقة فكان مجموعه يسر ويبشر بحسن مستقبل اولئك المحررين لا سيما مسالة التفكير والنقد التي هي نتيجة اعمال الفكر وهو المطلوب من التلميذ الزيتوني . . . »

كما يسرني ان اشكر سادتي مدرسي الانشاء على ما تفضلوا به علينا من الملاحظات التي نبهتنا على خفايا لا يدركها الا مثلهم ، ونوايا افهمتنا اخلاصهم للعمل وتقديرهم لخدمات هذه المكتبة الناجحة

سادتي : ان المكتبة اليوم في سائر الكليات الركن العريض من العناية التي تحظى بها من جانب مديري الكلية والحكومة ذات النظر . ولها المساهمة الفعلية في توجيه التلاميذ الى مختلف الثقافات . وفن الانشاء الذي يضعف في كليتنا ليس بالعلم الذي يصبه مدرسه في دماغ التلميذ صبا وانما هو ذلك الفن الذي يسمو والذي لا يملك منه مدرسه الا الكيفية التي ياخذ بها المتعلم . ونجاح المدرس في هذا الفن مقصور على بعث الميل في نفوس المتعلمين الى المطالعة التي تشاطر المدرس حمله الجاهد ، ونجاحه كله في اكثاره من المطالعة المنتجة ـ ان المستقبل يبشرنا بعهد جديد في عالم الكتابة . وستكون مكتبة التلميذ الزيتوني الحقيقة الواحدة لهذا العهد . وستكون العضو الناشط ، والفرع القوي والمورد العذب الذي كان ينقص كليتنا عن كليات العالم وشبابنا عن شباب العالم .

صاحب الامتياز : محمد الشاذلي ابن القاضي

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب

الاقصى وسوريا فرنكات ١٠٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ١١٠

مجلد المجلة عشرة اعداد

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت

ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ تونس

عدد ٨

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الثامن	تونس في ذى الحجة ١٣٦٣ وفي ديسامبر ١٩٤٤	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير
محمد المختار بن محمود

المدير
محمد الشاذلي بن القاضي

المراسلات :
ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :
نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

الثمن ١٠ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط رقم ٥٧ - تونس

المجلد الخامس

فهرس العدد

الجزء الثامن

الصحيفة	المقال	صاحبه
	فاتحة الجزء	
١٨٥	الامة العربية في سبيل النهوض	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
	القرآن الكريم	الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ
١٨١	تفسير آيات من سورة البقرة... ..	محمد الطاهر ابن عاشور ....
	ـ مراجعة في تفسير قوله تعلى : ـ	العلامة الشيخ محمد الناصر الصدام....
١٩١	قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى	
	ـ الحديث الشريف ـ	
١٩٣	التوكل	العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي
	الفتاوي والاحكام	العلامة الحجة الشيخ محمد الحجوي وزير
١٩٦	حكم الطلاق الثلاث بكلمة واحدة...	العدلية بالحكومة الشريفة المغربية
٢٠٢	الدعاء	المنعم المبرور الشيخ احمد بن الخوجه شيخ الاسلام كان رحمه الله......
	ـ الوعظ والارشاد ـ	
٢٠٤	نحن ننشد الاصلاح	
	قبل حان الوقت واستعدت الامة لقبوله	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي..
	التشريع الاسلامي	العلامة الحجة الاستاذ الشيخ محمد العزيز
٢٠٧	بيع الاعيان الغائبة والتي تشق رؤيتها..	جعيط ....
	ـ الادب ـ	
	لتونسي القديم	
٢١٠	معارضة موشح ابن سهل...... ..	المنعم الشيخ حمودة بن عبد العزيز رئيس الكتبة في الدولة التونسية كان
	ـ الحياة العلمية ـ	
٢١٢	في جامع الزيتونة	المجلة ... .
٢١٥	قطعة من ديوان...........	المنعم الشيخ محمد الورغي ....
٢١٧	في الوزارة الكبرى...........	المجلة.......... ....

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الثامن	تونس في ذي القعدة ١٣٦٣ وفي نوفامبر ١٩٤٤	المجلد الخامس

الامة العربية

في سبيل النهوض

ان الامة العربية جامعة شعوب اتحدت لغة وتقاربت [illegible] ترتبط بعقيدة وايمان لا يتزعزع وان ظلت مهاد العروبة ومواطن الاسلام متباعدة فارحامهم تصل الاحفاد بالاجداد ونفوسهم تزخر بالعواطف وصدورهم تجيش بالرحمة والاماني الطيبة والسنتهم ترتل آيات مفاخرهم وتنسب مآثرهم على يد فرد او جماعة هو مفخرة للجماعة والامة جمعاء والشعب الواحد يستوحي نهضته من تجارب اخيه يقرأ صحفه ويدرس كتبه ويتتبع اخباره عن شوق ويقلد قادته في اصلاح مجتمعه

بيد ان هناك عوامل تزيد الامة متانة والرابطة قوة واستحكاما وهذا ما تحدث عنه قادة الشعوب العربية في العصر الحاضر عصر نهضتها الحديثة اخذ اهل الراي في كل واحد من هذه الشعوب المتآخية يعمل العمل الصالح المثمر لتنظيم هذه المصالح حتى تنتج النتائج الحسنة في كافة الشعوب على صورة واحدة

ولما كانت النواحي الثقافية والاقتصادية عليها يقوم المجتمع ومنها يستمد نمو الجسم والروح كان من الواجب رعايتها في اصلاح الامر واذكاء النهضة واحكام الصلة فاخذت في تنظيم العلاقات التجارية وتوحيد مناهج الثقافة وتغذية النفوس بادب واحد وهي عوامل من شانها ان تربط حلقات الحاضر بالماضي وتعين على رقي هذه الامة رقيا متناسقا شاملا

ومما يعين على نجاح هذا التعاون الذي بدا بين بعض هذه الشعوب قوة الشعور الذي ساد

كافة ابناء الاقطار العربية حتى اضحى حقيقة ملموسة ومظهرا من مظاهر الحياة تفيض به نفوسهم وتنطق به السنتهم تخطه اقلامهم وتذيعه شركات الاخبار على العالم

قد مت هذه الشعوب في احكام الصلة التجارية وتمتينها وتنظيمها بمعاهدات وتبادلت منتوجاتها على اساس تلك المعاهدات وطلبت من اخواتها مدها بعدد من رجال العلم ليقوموا بتثقيف ناشئتها على غرار ما هو قائم في معاهد الاخت الشقيقة ثم شارك علماء تلك الشعوب في المجامع العلمية التي اسسها ابناؤها وجلسوا حول مناضدها يرفرف على جبينهم جلال الاخوة ويفيض من نفوسهم شعور النهضة التي يعملون في سبيلها

وقد شاركت تونسنا بعض المشاركة العملية فانخرط في هيئة المجمع العلمي السوري والمجمع العلمي المصري صاحب المعالي الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب وزير القلم والاستشارة وكان دولة السيد محمد شنيق قام برحلة اقتصادية الى تلك البلاد بقصد ربط العلايق التجارية بين الغرفة التجارية بتونس واختيها بمصر وسوريا ولكن حالت دون تحقيق تلك الروابط ظروف استثنائية أعقبها هذا الحرب الضروس .

على ان الحكومة نفسها قامت بهذا العمل في العام الماضي فاوفدت الى بلاد الكنانة وفد تجاريا لربط الصلة بين القطرين من جديد .

ولكن مع كل الاسف كان هذا الوفد من غير التونسيين وكنا نحسب ان تونس ستمثلها هيئة من ابنائها يجتمعون مع اخوانهم ويتبادلون مصالحهم على اكمل وجه ولا نظن ان تونس ليس فيها من يقدر على القيام بهذه المهمة احسن قيام لا سيما وان الوفود العربية تتعاقب على الاخت الشقيقة وتعمل على احكام الروابط وتمتين الصلاة .

فالشعب التونسي يتطلب المشاركة الفعلية مع اخوانه في الحياة الاقتصادية وحضور المجتمعات التي تقام لذلك حتى يضرب بسهم في النهضة الاقتصادية التي تعمل من اجلها الشعوب العربية .

كما يطلب توسيع مشاركته لاخوانه في النهضة العلمية الحاضرة ولم يبق يكتفي بارسال مندوب يحضر المجامع العلمية واقتناء الكتب التي تؤلف هناك بل يريد ان يشارك ايضا في النظام الثقافي الذي سيشمل الشعوب العربية ليتغذى به ابناء الجيل القابل .

وهذه المشاركة لا تكون باقتباس ما يتم تقريره فحسب فان ذلك دور انتهى امده بل انا نريد ان تكون لنا كلمة في اوجه الاصلاح وكل ما يمتن المودة من حقائق ومنافع ويبذل ما يسال من معونة في سبيل العلم والادب وغيرهما يريد ان يهدم ذلك الاهمال والغفلة بمعاول تبادل المنافع ويستغل ما بينه وبين اخوانه من اواصر التاريخ ونتائج القربى الى ابعد حد

وما لنا والسياسة التي مهما دخلت شيئا الا حولته حسبما تريد فلزمنا ان نتحاشاها فيما نقصد اصلاحه ولا نقيم وزنا لمن يريد ان يشوش علينا فنحن نعلم المقاصد الحسنة التي تصدر من قلوب المصلحين ونفهم المرامي التي يقصدها اولئك الذين يصيحون في كل واد ويعتلون المنابر فيخاطبون الجماهير بلغة المصالح وما يرمون في الحقيقة الاقضاء لباناتهم وما استؤجروا عليه فالشعب قد علم ما يقصدون وما يرمون اليه فلم تؤثر عليه دعاويهم الخالية من الحجة والبعيدة عن المنطق الصحيح ولا يفيدهم تصحيح مراد واستغفال العباد فان الامة منهم بالمرصاد

٢

محمد الشاذلي بن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم

من درس التفسير

للاستاذ الاكبر المولى الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

***

الاظهر ان تكون جملة يجعلون حالا اتضح بها المقصود من الهيئة المشبه بها لانها كانت مجملة . واما جملة يكاد البرق فيظهر كونها حالا من ضمير يجعلون لان بها كمال ايضاح الهيئة المشبه بها ويجوز كونها استئنافا لبيان حال البريق عند البرق نشأ عن بيان حالهم عند الرعد وفي هذا الوجه ضعف . وجملة كلما اضاء لهم مشوا فيه حال من البرق او من ضمير ابصارهم لا غير . وفي هذا تشبيه لجزع المنافقين من ءايات الوعيد بما يعتري القائم تحت السماء حين الرعد والبرق والظلمات فهو يخشى استكاك سمعه ويخشى الصواعق حذر الموت ويغشيه البرق حين يلمع باضاءة شديدة ويعمي عليه الطريق بعد انقطاع لمعانه .

وقوله (كلما اضاء لهم) تمثيل لحال حيرة المنافقين بحال حيرة السائرين في الليل المظلم المرعد المبرق

وقوله(والله محيط بالكافرين) اعتراض للتذكير بان المقصود التمثيل لحال المنافقين في كفرهم لا بمجرد الوصف

وقوله(ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) رجوع الى وعيد المنافقين الذين هم المقصود من التمثيل فالضماير التي في جملة ولو شاء الله راجعة الى اصل الكلام وتوزيع الضمائر دال عليه السياق فعبر عن زواجر القرءان بالصواعق وعن انحطاط قلوب المنافقين وهي بصائرهم عن قرار نور الايمان فيها بخطف البرق للابصار والى نحو من هذا يشير كلام ابن عطية نقلا عن جمهور المفسرين وهذا مجاز شايع يقال فلان يرعد ويبرق على ان بناءه هنا على المجاز السابق يزيده قبولا وعبر عما يحصل للمنافقين من الشك في صحة اعتقادهم بمشي الساري في ظلمة اذا أضاء له البرق وعن اقلاعهم عن ذلك الشك حين رجوعهم الى كفرهم بوقوف الماشي عند انقطاع البرق على طريقة التمثيل وخلل ذلك كله بتهديد لا يناسب الا حالة المشبهين وهو ما افاده الاعتراض بقوله (والله محيط بالكافرين) وقوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) فجاء بهذه الجمل الحالية والمستأنفة تنبيها على وجه الشبه وتهريرا لقوة مشابهة الزواجر وآيات الهدى والايمان بالرعد والبرق في حصول اثري النفع والغي عنهما مع تفنن في افانين البلاغة وطرايق الحقيقة والمجاز

وجعل في الكشاف الجمل الثلاث مستانفا بعضها عن بعض بان تكون الاولى استئنافا عن جملة او كصيب والثانية وهي يكاد البرق مستانفة عن جملة يجعلون لان الصواعق تستلزم البرق والثالثة وهي كلما اضاء لهم مشوا فيه مستانفة من قوله يكاد البرق . والمعنى عليه ضعيف وهو في بعضها اضعف منه في بعض كما أشرت اليه آنفا

والجعل والاصابع مستعملان في حقيقتهما على قول بعض المفسرين لان الجعل هنا بمعنى الوط والظرفية لا تقتضي الاحاطة فجعل بعض الاصبع في الاذن هو جعل للاصبع فالتمثيل به للمجاز المرسل بعلاقة الجزئية تسامح ولذلك عبر عنه صاحب الكشاف بقوله : هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم . فاقطعوا أيديهما . ومنه قولك مسحت بالمنديل . ودخلت البلد . وقيل ذلك مجاز في الاصابع . وقيل مجاز في الجعل ولمن شاء ان يجعله مجازا في الظرفية فيكون تبعية في كلمة في . ومن في قوله من الصواعق للتعليل أي لاجل الصواعق اذ للصواعق هي علة الجعل ولا ضير فيكون الجعل لاتقايها حتى يقال يلزم تقدير مضاف نحو ترك واتقاء اذ لا داعي اليه ونظير هذا قولهم سقاه من العيمة(١) لان العيمة سبب السقي والمقصود زوالها اذ المفعول لاجله هو الباعث وجوده على الفعل سواء كان مع ذلك غاية للفعل وهو الغالب ام لم يكن كما هنا

والصواعق جمع صاعقة وهي نار تندفع من كهربائية الاسحبة كما تقدم آنفا

---

(١) العيمة بفتح العين وسكون الياء . هي شهوة اللبن .

(وقوله حذر الموت) مفعول لاجله وهو هنا علة وغاية معا

وقوله (والله محيط بالكافرين) اعتراض راجع الى المنافقين اذ قد حق عليهم التمثيل واتضح منه حالهم فآن ان ينبه على وعيدهم وتهديدهم وفي هذا رجوع الى اصل الغرض كالرجوع في قوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم الخ . كما تقدم الا انه هنا وقع بطريق الاعتراض . والاحاطة استعارة للقدرة الكاملة شبهت القدرة التي لا يفوتها المقدور باحاطة المحيط بالمحاط على طريق التبعية . والتمثيلية هنا مستبعدة لا سيما مع عدم ذكر جميع المركب الدال على الهيئة المشبه بها . وقد استعمل هذا الخبر في لازمه وهو انه لا يفلتهم وانه يجازيهم على سوء صنيعهم . والخطف الاخذ بسرعة . وكلمة كلما تفيد عموم مدخولها وما كافة لكل عن الاضافة او هي مصدرية ظرفية او نكرة موصوفة فالعموم فيهـا مستفاد من كلمة كل وذكر كلما في جانب الاضاءة واذا في جانب الاظلام لدلالة كلمـا على حرصهم على المشي وانهم يترصدون الاضاءة فلا يفيتون زمنا من ازمان حصولها ليتبينوا الطريق في سيرهم لشدة الظلمة . واضاء فعل يستعمل قاصرا ومتعديا باختلاف المعنى . واظلم يستعمل قاصرا كثيرا ويستعمل متعديا قليلا والظاهر ان اضاء هنا متعد و ظلم قاصر فمفعول اضاء محذوف لدلالـة مشـوا عليه وتقـديره الممشى والطريق . ومعنى القيام عدم المشي اي الوقوف في الموضع .

وقوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) مفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه وذلك شأن فعل المشيئة والارادة ونحوهما اذا وقع متصلا بما يصلح لان يدل على مفعوله مثل وقوعه صلة الموصول يحتاج الى خبر نحو ما شاء الله كان اي ما شاء كونه كان ومثل وقوعه شرطا للو لظهور ان الجواب هو دليل المفعول قال الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ان البلاغة في ان يجاء به كذلك محذوفا وقد يتفق في بعضه ان يكون اظهار المفعول هو الاحسن وذلك نحو قول الشاعر (١)

ولو شئت ان ابكي دما لبكيته   عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

وسبب حسنه انه كانه بدع عجيب ان شاء الانسان ان يبكي دما فلما كان كذلك كان الاولى ان يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع الخ كلامه . وتبعه صاحب الكشاف الا انه زاد عليه انهم لا يحذفون في الشيء المستغرب الخ وهو مؤول بان مراده ان عدم الحذف حينئذ يكون كثيرا

وعندي ان الحذف وعدمه سواء في الامرين وان البليغ تارة يستغني بالجواب فيقصد البيان بعد الابهام وهذا هو الغالب في كلام العرب قال طرفة :

وان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت

وتارة يبقى بذكر الشرط اساس الاضمار في الجواب نحو البيت وقوله تعالى (لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه .) ويحسن ذلك اذا كان في المفعول غرابة فيكون ذكره لابتداء تقريره كما في

ببيت الخريمي والايجاز حاصل على كل حال لان فيه حذفا اما من الاول او من الثاني وقد يوهم كلام ايمة المعاني ان المفعول الغريب يجب ذكره وليس كذلك ارادوا الغالب والاحسن وقد يحذف كما قال ابو العلاء المعري :

وان شئت فازعم ان من فوق ظهرها عبيدك واستشهد الهك يشهد

فان زعم ذلك زعم غريب والضمير في قوله بسمعهم وابصارهم ظاهره ان يعود الى الصيب المشبه بحالهم حال المنافقين . لان الاخبار بامكان اتلاف الاسماع والابصار يناسب اصل الصيب المشبه بحالهم بمقتضى قوله : يكاد البرق يخطف ابصارهم وقوله يجعلون اصابعهم في آذانهم والمقصود ان الرعد والبرق الواقعين في الهيئة المشبه بها هما رعد وبرق بلغا منتهى قوة جنسيهما بحيث لا يمنع قصف الرعد من اتلاف اسماع سامعيه ولا يمنع وميض البرق من اتلاف ابصار ناظريه الا مشيئة الله عدم وقوع ذلك لحكمة وفايدة ذكر هذه الحالة المشبه بها ان يسري نظيره في الحالة المشبهة وهي حالة المنافقين فهم على وشك انعدام الانتفاع باسماعهم وابصارهم انعداما تاما من كثرة عنادهم واعراضهم عن الحق الا ان الله لم يشأ ذلك استدراجا لهم واملاء ليزدادوا اثما أوتلوما لهم واعذارا لعل منهم من يثوب الى الهدى وقد صح هذا المعنى في هذا الاسلوب لما فيه من التوجيه بالتهديد لهم ان يذهب الله سمعهم وابصارهم من نفاقهم ان لم يبتدروا الاقلاع عن النفاق وذلك يكون له وقع الرعب في قلوبهم كما وقع لعتبة بن ربيعة لما قرا عليه النبي صلى الله عليه وسلم (فان اعرضوا فقل انذرتكم مثل صاعقة عاد وثمود)

وليس المقصود من اختلاف حرف لو في هذا الشرط افادة ما تقتضيه لو من الامتناع لانه ليس المقصود الاعلام بقدرة الله على ذلك بل المقصود افادة لازم الامتناع وهو توفر اسباب اذهاب البرق والرعد ابصارهم الواقعين في التمثيل اي ان اسباب اذهاب سمعهم وابصارهم متوفرة وهي كفران النعمة الحاصلة منهما اذ أنما رزقوهما للتبصر في الآيات الكونية وسماع الآيات الشرعية فلما اعرضوا عن الامرين كانوا احرياء بسلب النعمة الا ان الله لم يشأ ذلك امهالا لهم ليزدادوا اثما واقامة الحجة عليهم فكانت لو مستعملة مجازا مرسلا في مجرد التعلق اظهارا لتوفر الاسباب لو لا وجود المانع على حد قول ابي بن سلمى بن ربيعة يصف فرسه

ولو طار ذو حافر قبلها لطارت ولكنه لم يطر

اي توفر فيها سبب الطيران فالمعنى لو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بزيادة ما في البرق والرعد من القوة فيفيد بلوغ ذلك الرعد والبرق قرب غاية القوة ولهكون لقوله ان الله على كل شيء قدير موقع عجيب وقوله ان الله على كل شيء قدير تذييل وفيه ترشيح للتوجيه المقصود للتهديد زيادة في تذكيرهم وابلاغا لهم وقطعا لمعذرتهم في الدنيا والاخرة .

---

(١) هو اسحاق الخريمي مولى ابي خريم من شعراء عصر الرشيد قاله في رثاء ابي الهيذام الخريمي

مراجعة

بقلم العلامة الشيخ الناصر الصدام

حول ما جاء في الجزء السابع من المجلة الزيتونية الراقية تحت عنوان مراجعة في تفسير قوله تعلى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الامام مولانا الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور انما الله تعلى في اجله وادام لنا مراجعته وتاييده فمرحبا واهلا بمن حبانا فضلا وقال قولا فصلا

ولما استجليت من تلكم المراجعة القيمة معناها واستخرجت من اصدافها جواهر منطوقها وفحواها تبينت انها قد اتت على ذلكم المبحث من نواحي عديدة .

الناحية الاولى ما امدنا به ادام الله امداده واسعاده من المناصرة والتاييد بما جلبه من المظان والامهات من المنقول الحافة لامر الذي لم تبق معه حاجة في نفس يعقوب وذلك ما يرجى له لمتداد باعه وسعة اطلاعه وسموهمته فشكر الله له .

الناحية الثانية انه ابقاه الله تعلى قد صرح باني ارتأيت ضعف دلالة في الظرفية على التعليل عن دلالة اللام عليه فكان ازاما علي تنوير الكلام وتوضيحه حيث ان المراد ان التعبير بفي في التعليل يدل على القلة بالراجعة الى الكم دون الكيف وذلك مما لا بد منه في تحقيق اختلاف دلالة الحرفين على المعنى الواحد الذي هو التعليل المدلول للام ولفي الظرفية

وايضاح ما في المقام ان الحروف الدالة على المعاني قد تتمحض للدلالة على ما وضعت له من معانيها الاصلية كتمحض اللام للتعليل وفي للظرفية مثلا وقد يعرض لها معنى من المعاني التي ليست لها فتستعمل فيه من حيث ما بينه وبين المعنى الاصلي فيها من علاقة بتشبيه مع بقائه على معناه الاصلي ايضا

وهذا مظهر من مظاهر الايجاز في العربية وفيه وراء ذلك من تلوين الكلام وتشحيذ الاذهان ما لا يخفى حيث تكون الكلمة الواحدة في الوقت الواحد مؤدية لمعنيين احدهما بطريق الاصالة والآخر بطريق العروض

ولذلك في كلامهم نظائر واشباه منها التضمين الذي هو اشراب فعل معنى فعل آخر حتى يدل على معنيين احدهما بمادته والاخر بحرف الجر ومنها الاستعارة بالكناية ومنها الكناية ايضا الا انها دون سابقيها من قبل ان ارادة المعنى الحقيقي معها جائزة فقط

اذا تقرر هذا فلا مرية في ان التشبيه متعدد بتعدد ما له من الاوجه والنواحي فيكون الوجه

في قوله تعلى فارزقوهم فيها واكسوهم وفي بيت الحماسي الدلالة على الشمول والاستيعاب على ما يدل عليه كلام ، ولانا الاستاذ ابقاه الله واما في الآية الجاري فيها البحث فان الوجه الجامع هو القلية في كل وهو في المشبه به الذي هو المظروف اتم منه في المشبه من حيث هو مظروف ماخوذ في مفهومه القلة والوحدة لانه محيط به الظرف ومستوعب له ومشتمل عليه

فالاستيعاب والشمول اللذان انهما الوجه الجامع في الاية الاخرى وفي بيت الحماسي على ما تقدم موجودان في موضوع البحث الا انهما غير مقصودين فيه والمقصود فيه انما هو القلة كما اوضحت و فرق بين الحاصل الموجود والحاصل المقصود على ما تقرر

لا يقال هذا غير مراد من استعمال العرب لانا نقول انه يدل على استعماله امور الاول انه مجاز والمجاز موضوع بالوضع النوعي دون الوضع الشخصي ومن ثم انفتح الباب واتسع المجال للاختراع والابداع والاتيان على ما غادره البلغاء من المتردم من المعاني فحسب البليغ ان يبصر بما لم يبصر به غيره فيتطلب له من الالفاظ ما فيه كفالة واتساع لتادينه وافهامه وان لم يسبق المخاطب استعماله في متعارف كلامه فمن مثل ذلك استعارة القرءان الحكيم الخيطين الابيض والاسود من الفجر والليل لتحقق الوجه الجامع بينهما وهو اختلاف اللون مع كمال الامتزاج والتداخل

الامر الثاني انه يلزم من وجود الدال الذي شرحت وجه دلالته وجود المدلول قطعا

الامر الثالث قوله تعلى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم (١) يعني وكذلك لا تجد قوما يحادون الله ورسوله يوادون من يؤمن بالله واليوم الآخر ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم (٢) ذلك ان الاختلاف في المعتقد بالتوحيد والشرك مما تتلاشى معه العاطفة (٣) ويجب زوالها .

---

(١) — فيها ايضا دلالة على ان مودة القرابة آكد انواع المودة واقواها وفي تعطف وتوادد ذوي الارحام بعضهم على بعض الطاف جمة تبين بها سرا دقيقا من اسرار التشريع في تحريم الزنا ذلك ان المتولد منه يعيش فاقدا للعطف والتعطف اللذين هما دعامتان اديتان للحياة الاجتماعية

(٢) — فان قلت من اين اخذت الدلالة على انتفاء مودة المحادين لله ورسوله للمؤمنين بالله واليوم الاخر فان الاية فيها دلالة على مودة المومنين لهم انتفاء لا غير قلت يستفاد ذلك منها ايضا لكن بطريق مفهوم الاولى فان المحادين لله ورسوله اشد انتفاء للمودة قال تعلى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا

(٣) — اي تتلاشيا شرعيا لا طبيعيا اخذا من قوله تعلى قال يا نوح انه ليس من اهلك الايه وقوله واما الغلام فكان ابواه الآية وقوله ايضا وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية

التـــــوكل *

- ٢ -

بقلم العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي

واما التداوي بالمحرم فالمشهور عندنا جوازه لكن بشرطين الاول ان يعلم فيه الشفاء والثاني ان لا يعلم له دواء اخر كما نص عليه في النهاية ونقله المولى ابن عابدين واما قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فمعناه ان الله لم يخلق الشفاء فيما حرمه فاذا وقع شفاء في محرم زالت حرمته ولا باس به كما يحل الخمر للعطشان قال ابن عابدين والظاهر ان المراد بالعلم المشروط هو غلبة الظن لان طريقه قول الاطباء او التجربة وكل منهما لايفيد اليقين وهذا في غير لحم الخنزير فقد نقل الحموي انه لا يجوز التداوي به وان تعين

واما الثاني وهو التعالج بالرقى فالمعتمد ان فعله ارجح من تركه وهي عبارة عن الفاظ خاصة يحصل عندها الشفاء والمشروع منها ما كان بالقرءان او الذكر والاصل في مشروعيتها قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقوله عليه السلام من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وفي الصحيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اتوا على حي من العرب فلم يقروهم بينما هم كذلك اذ لدغ سيد اولائك فقالوا هل معكم من دواء اوراق فقالوا انكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا فجعلوا لهم قطيعا من الشاء فجعل احدهم يقرا بام الكتاب ويجمع بزاقه ويتفل فبرا فاتوا لهم بالشاء فقالوا لا ناخذ حتى نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه فضحك وقال وما ادراكم انها رقيه خذوها واضربوا لي بسهم. واما الرقية بالذكر فلما ورد في الصحيح عن عبد العزيز بن صهيب قال دخلت انا وثابت على انس ابن مالك رضي الله عنه فقال ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية

وجه الدلالة ما بين الآيتين من التعارض حيث دلت الاولى على وجود المودة وطلبها ودلت هاته الآية على انتفائها وقد امكن الجمع بحمل ما هنا على الكمال وحمل ما بموضوع البحث على قليلها الذي لا يدفعه في المحافظة على ادب الاجتماع العائلي

الناحية الثالثة انه ابقاه الله تعلى قد افصح بالتسمية التي تنزلت منها الحكمة وطبقت المحز لذلك النوع البديعي (وهي تاكيد الشي بما يشبه هذه) لمالها من الاحاطة والاطراد

والله شهيد انها مما تواردت عليها منا الخواطر وانما عدلت عنها الى تسميته بتوكيد النفي بما يشبه الاثبات لأن ذلك اول ما ارتأيته بسبب ان النفي والاثبات شخصية بارزة في سائر انواع الاضداد سيما وقد انضم الى ذلك ما ذكرته من انهما قسمان قسم يتحقق فيه غالب التاكيد باداوات الاستثناء وقسم يتحقق فيه بما يدل على الغاية فالحمد لله على الوفاق

وختاما اشكر لمولانا بخدمته العلمية ومناصرته القيمة وما ترتب عليها من اثر مبارك وهو مدارسته القرءان الحكيم في شهر رمضان المعظم ان المدارسة فيه كاكل الثمرة بابانها والله ولي التوفيق

الناصر الصدام

(*) الجزء الثاني من شرح حديث التوكل المنشور بالجزء ٧ من المجلد ٥ صحيفة ١٥٤

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى فقال اللهم رب الناس مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفاء لا يغادر سقما

هذا وكما جاز الاسترقاء بما ذكر من الامراض جاز الاسترقاء من العين وهي نظرة باستحسان مشوب بحسد من الطبع يحصل منه ضرر للمنظور اليه وهي ثابتة موجودة ولها تاثير في النفوس وان انكرها طائفة من الطبيعيين وفي الصحيح انه عليه السلام ادخل عليه ولدا جعفر فقال لحاضنتهما مالي اراهما ضارعين اي ضعيفين فقالت له ان العين تسري اليهما ومنعنا من الاسترقاء لهما ان لا نعلم ما يوافقك هل الاسترقاء او تركه فقال استرقوا لهما العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين انتهى وينبغي للعاين اذا استحسن شيئا ان يبارك فيه لقوله عليه السلام اذا راى احدكم من نفسه او ماله او اخيه شيئا يعجبه فليدع بالبركة ان العين حق . ويؤخذ من هذا ان العين كما تؤثر في غير المعاين تؤثر في نفسه وفي ماله فان قيل ان حديث الباب يقتضي ان الاسترقاء مرجوح لمدح تاركيه بانهم على ربهم يتوكلون قلت اجيب عنه باجوبة منها ما ذكره ابن العربي وهو ان معنى لا يسترقون اي قبل نزول المرض لما في ذلك من التطير من الشيء قبل حلوله ومنها ان ذلك منظور فيه لمن اعتقد ان الرقية نافعة لا محالة فيتوكل عليها وهذا اقرب لقوله وعلى ربهم يتوكلون ومنها ان ذلك منظور فيه لمن كان في درجة الاياس من الشفاء لان من وصل لتلك الدرجة فالاولى له التسليم وعليه يحمل ما ورد من ان ابا بكر رضي الله عنه قيل له لما مرض مرض الوفاة ندعو لك طبيبا فقال لهم رءاني قالوا له فماذا قال لك فقال لهم قال لي اني فعال لما اريد . وقوله في حديث الباب ولا يتطيرون قال القسطلاني اي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها كعادة الجاهلية وعلى ذلك فالتطير هو التشاؤم والاسم منه الطيرة كعنبه قال في روح البيان والاصل فيه ان العرب كانوا يتشاءمون بالطير فاذا خرج احدهم الى مقصده واتى الطير يمينه من ناحية تيمن به ويسميه سانحا واذا خرج من ناحية شماله تشاءم به ويسميه بارحا ثم استعمل في كل ما يتشاءم به وابطله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفال الصالح الكلمة الحسنة

قال القرافي وهي حرام لانها سوء ظن بالله تعلى ولا يكاد المتطير يسلم مما تطير منه اذا فعله وغيره لا يصيبه منه باس وسال بعض المتطيرين بعض العلماء فقال اني لا اتطير فلا ينخرم علي ذلك بل يقع الضرر بي وغيري يقع له مثل ذلك السبب فلا اجد منه ضررا فهل لذلك اصل في الشريعة فقال نعم قوله عليه السلام حكاية عن ربه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وانت تظن الله يؤذيك عند ذلك الشيء الذي تطيرت منه فيما ملك الله بذلك على سوء ظنك وغيرك فلا يسيء ظنه بالله فلا يقع له منه باس ثم ان التطير الذي هو خوف حصول التضرر من الشيء ليس حراما على

اطلاقه فان كان المخوف منه من الاسباب العادية لحصول الضرر كالسموم ومعادات الناس واكل الاغذية الثقيلة فليس من التطير المحرم بل الحذر منه ربما يكون واجبا وان كان مما لم تجر عادة الله تعلى بانه مضر كالعبور بين الغنم وشراء الصابون يوم السبت الى غير ذلك من هذيان العوام فهو التطير المنهي عنه لانه خوف من غير سبب مؤد لسوء الظن بالله تعلى . فان قيل يشكل على هذا حديث والشوم في ثلاث الدار والمراة والفرس فانه صريح في التشاؤم من هذه الثلاث مع انها ليست من الاسباب العادية لحصول الضرر قلت يحتمل ان المعنى ان كان الناس يعتقدون الشوم فانما يعتقدونه في هذه الثلاث وان كان لا شوم فيها ويؤيده رواية ان كان الشوم ففي ثلاث لما تفيده ان من فرض الوقوع وعدم التحقق وان كان الشوم واقعا في نفس الامر ففي هذه الثلاث وان كان ليس بواقع وقيل نسلم ثبوت الشؤم فيها ولكنه غير الطيرة بل يفسر شؤم الدار بضيقها و بعدها عن المسجد وشؤم المرأة بكونها عاقرا او لسناء وشوم الفرس بان لايغزو عليه صاحبه وقيل هو الطيرة ولا مانع من ان يجري الله عادته بجعل هذه الثلاث احيانا سببا لحصول الضرر ففي الصحيح انه عليه السلام قيل له يا رسول الله دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فذهب العدد وقل المال فقال دعوها ذميمة وعليه فيكون النبيء صلى الله عليه وسلم اخبر بقوله لا طيرةُ اولا مجملا ثم اخبر بها واقعة في هذه الثلاث على حسب ما نزل له الوحي به ونظير ذلك الاجمال والتفصيل في حديث الدجال حيث قال عليه السلام اولا ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه وان لم اكن فيكم فالمرء حجيج نفسه والله خليفتي عليكم ثم اخبر ان الدجال ياتي في ءاخر الزمان

وكذلك سئل عليه السلام عن اكل الضب فقال انه قد مسخت امة من الامم واخشى ان يكون منهم اولا هذا معناه ثم اخبر بان الممسوخ لم يعقب فهو اخبار منه عليه السلام اولا مجملا ثم مفصلا على حسب ما ورد الوحي به وهذه قاعدة يحصل بها الجمع بين كثير من الاحاديث . واما الفال الحسن في الحديث السابق فالمراد به الكلمة الحسنة التي يسمعها الانسان من غير قصد فيستبشر بها قلبه وربما قارنها حصول المطلوب ولو لم يكن فيه غير ادخال السرور على المؤمن لكفاه ارتقابا ولكن لا يجوز اخذه من المصحف وضرب الرمل والقرعة والضرب بالشعير لانه نوع من الاستقسام بالازلام المحرمة بصريح الكتاب وهي اعواد ثلاثة كانت للجاهلية مكتوب على احدها افعل وعلى الثاني لا تفعل وعلى الثالث غفل قال في القاموس والغفل ما لا يرجى خيره ولا يخشى ضيره وما لا علامة عليه من القداح يطلبون بها الاستقسام من الغيب وذلك حرام وكذلك اخذ الفال من المصحف وغيره فان صاحبه متردد بين استطلاع الخير او الشر من الغيب ويكون ذلك بالنظر لاحد الشقين وسيلة لسوء الظن بالله تعلى وذلك حرام .

(يتبع)

الفتاوى والأحكام

حكم الطلاق الثلاث بكلمة واحـدة

بقلم العلامة الهمام الحجة الشيخ محمد الحجوي
وزير العـدل بالحكومة الشريفة المغـربية

قد اجتمعت الامة الاسلامية مشرقا ومغربا مدة سبعة قرون من زمن عمر بن الخطاب الذي هو ارقى وازكى عصور الاسلام في صدر الاسلام والصحابة متوافرون مجتمعون في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وامرهم شورى بينهم الى ان انتشر الاسلام منها المشارق والمغـارب الى ان صاروا الى مالكية وحنفية وشافعية وحنابلة الى القرن السابع والكل يفتي ويقضي بان طلاق الثلاث في كلمة واحدة يلزم فيه ثلاث تطليقات ولا تحل للمطلق الا بعد ان تنكح زوجا غيره طبق القرآن وطبق السنـة النبوية الا من شذ من اهل العلم والامامية الروافض الى ان جاء الامام الحافظ ابن تيميـة الذي كان يفتي بلزوم واحدة فقط في القرن السابع مخالفا في ذلك لمذهب امامه ابن حنبل وبقية المذاهب الاربعة وقد امتحن في ذلك واجمع اكثر علماء عصره على تخطيئته والزموه الرجوع عنه الى ان سجن لذلك ومات سجينا رحمه الله واهم ما استدل به حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في صحيح مسلم: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة ابي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر رضي الله عنه ان الناس قد استعجلوا امرا كان لهم فيه اناة فامضاه عليهم . فهم ابن تيمية من قول ابن عباس كان الطلاق من انها صيغة عموم لجميع الاشخاص في جميع الازمنة وذلك غير صواب والذي عليه الاصوليون انها ليست من صيغه وانما المراد ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بها في بعض الازمنة لانها قضية مهملة ليس فيها سور من اسوار الكلية والمهملة في قوة الجزئية كما هو متفق عليه في المنطق والاصول ومثلها كان صلى الله عليه وسلم يفعل كذا والتحقيق انهم عبروا بذلك حتى فيما فعله مرة واحدة وقد شنع على فتوى عمر بلزوم الثلاث قائلا ان اتبـاع رسول الله اولى واحق . واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب ولا اشكال ولكن عمر تابع له لم يخرج عن ذلك كما نبينه بعد وزعم تلميذه ابن القيم ان هذا الحديث ليس له معارض ولكن الكمال لله فمع حفظه وحفظ شيخه ابن تيمية وجدنا له احاديث تعارضه .

الحديث الاول في المدونة في طلاق الحامل من طلاق السنة عدد ٦٨ المجلد ٢ الطبعة المصرية الاولى سنة ١٣٢٤ . عن اشهب عن القاسم عن عبد الله ان يحى ابن سعيد حدثه ان ابن المسيب حدثه ان رجلا من اسلم طلق امرانه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات فقال له بعض اصحابه ان لك عليها رجعة فانطلقت امراته حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي طلقني ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بنت منه ولا ميراث بينكما. ولا ضر حديث المدونة انه مرسل لان مرسل ابن المسيب صحيح حتى عند الشافعي الذي لا يحتج بالمرسل لانه كان لا يروي الا عن الصحابة وكلهم عدول وللمالكية يحتجون به مطلقا وحديث ابن المسيب هذا اقوى من حديث ركانة بن يزيد انه طلق امراته سهيمة البتة ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني طلقت امراتي البتة ووالله ما اردت الا واحدة فردها عليه صلى الله عليه وسلم الحديث على انه لا دليل فيه لانه ليس من الطلاق الثلاث في كلمة بل طلق بلفظ البتة كما صححه ابو داود رواية وسلمه الحافظ في الفتح واما روايه ابن اسحاق انه طلقها ثلاثا فهي ضعيفة شاذة

الحديث الثاني حديث ابن المسيب الذي رواه ابن ابي شيبة في المصنف وهو من كتب السنة المعتمدة والدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قلت يا رسول الله ارأيت لو طلقتها ثلاثا قال اذن عصيت ربك وبانت منك امرأتك

الحديث الثالث — ما رواه عبد الرزاق عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه ان اباه طلق امرأته الف تطليقة فانطلق عبادة فسال له رسول الله (صلعم) فقال بانت بثلاث في معصيت الله تعالى وبقى تسعمائة وسبع وتسعون عدوان وظلم ان شاء الله عذبه وان شاء غفر له والحديث في مرقاة ابن سلطان

الحديث الرابع — حديث عويمر العجلان المشهور في الصحيحين لما لاعن زوجته قال كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها هي طالق ثلاثا وفي رواية ابي داود فطلقها ثلاث تطليقات فانفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبانضمام هذه الاحاديث الاربعة بعضها الى بعض تؤلف كتلة اثرية اقوى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فصار بها حديث ابن عباس شاذا حيث خالفه من هم اكثر منه والشاذ من قبيل الضعيف ويزيدها ضعفا ان راوية ابن عباس خالفه وكان يفتي بلزوم الثلاث كما رواه عنه ابو داود بسند صحيح قال ابن المنذر لا يظن بابن عباس انه يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم يفتي المسلمين بخلافه نقله في الفتح وكثير من الايمة يرى ان مخالفة الراوي لما روى علة قادحة في الحديث توجب ضعفه لانه اعلم بما روى فلو كان في نظره حديثا ثابتا ما حمل له مخالفته لان العمل بالراجح واجب لا راجح عند جماهير المحدثين والاصوليين والفقهاء . ثم ان قول عمر في حديث ابن عباس هذا ان الناس قد استعجلوا أمرا كان لهم فيه أناة (يعني جمع الطلاق الثلاث

في كلمة واحدة) فامضيناه عليهم قد قاله بمحضر العدد العديد من الصحابة فهو اجماع سكوتي وهذا الاجماع وان كان سكوتيا فهو حجة في الفقهيات التي يكتفى فيها بالظن لا سيما في تقديمه على حديث احادي ظني ايضا أعني حديث ابن عباس قال ابن العربي هذا حديث مختلف فيه فكيف يقدم على الاجماع قاله في فتح الباري ويعتضد حديث المدونة ايضا بعمل اهل المدينة الذي تضمنه الاجماع والذي هو اقوى عند المالكية من خبر الاحاد لان العمل رواية جماعة عن جماعة فهو اقوى من رواية فرد عن فرد ومع مخالفة حديث ابن عباس لهذه الاحاديث والعمل والاجماع فانه ليس بصريح في جعل طلاق الثلاث في كلمة واحدة طلقة واحدة حيث ان الذين يقولون بذلك افترقوا فرقتين منهم من يقول انه طلقة واحدة ومنهم من يقول انه ليس بطلاق اصلا وكلاهما شاذ لا ينبغي اعتماده ولا الالتفات اليه ولقد وجدناه قابلا للتاويل لانه يصدق بالارداف بناء على انه طلاق قبل الدخول ثلاثا متفرقة في ثلاث كلمات وقد رواه ابو داود والنسائي بزيادة انه قبل الدخول فهو باين فلم يبق فيه دليل اصلا اذ الارداف في الباين لا يلزم فيه الا واحدة وهي الاولى التي وقع الارداف عليها فوجب علينا التمسك بالجادة وما عليه الايمة الاربعة واتباعهم وصدر الامة من لدن عهد عمر الى زمن ابن تيمية نحو سبعة قرون وهو لزوم الثلاث قال ابن رشد الحفيد في البداية حديث ابن عباس انما رواه عنه من اصحابه طاووس ذكر الشهرساني في الملل والنحل ان طاووس كان من طائفة الامامية وهذه ايضا علة في الحديث وان جلت اصحابه رووا عنه لزوم الثلاث منهم سعيد ابن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة غيرهم فرواية طاووس شاذة لا يجوز الاخذ بها فيكون شذوذ الحديث من وجهين مخالفة الاكثر كما سبق ومخالفة الاولى كما هنا وفي المدونة من طريق ابن لهيعة عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم انهما افتيا بوجوب الثلاث اذا طلقها ثلاثا في كلمة واحدة وابن لهيعة احتج به مسلم واخرج له البخاري مبهما اسمه كما اخرج له ابو داود والترمذي وغيرهم وثبت ان عبد الرحمان ابن عوف طلق زوجه ثلاثا في مرضه وكذا الحسن ابن علي رضي الله عنهم طلق زوجه ثلاثا كما في المرقاة وفي الموطا بلاغا عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا جاءه فقال اني طلقت زوجي ثمان تطليقات فقال ما قيل لك فقال قيل لي بانت منك قال صدقوا هو مثل ما يقولون قال ابن سلطان وظاهره الاجماع على هذا الجواب

وعلى كل حال ان ما يراه عمر رضي الله عنه واعلنه بمحضر جمهرة الصحابة واعلامهم واقرارهم عليه لا ينبغي ان نحيد عنه وتخطيئتهم جميعا ليس بالامر الهين ولعل عمر قام له دليل ان ذلك الحكم بالواحدة كان موقتا بما اذا لم يستهتروا بالطلاق الثلاث في كلمة واحدة والا امضي عليهم وكفى بالاحاديث دليلا لاجماعهم وهذا عندي احسن ما يجمع به بين الادلة ويعمل بجميعها ومن المسلم به انك مهما

امكن الجمع وجب المصير اليه مع ما يعلمه المسلمون في اقطار المعمورة من تحري عمر في الدين ووقوفه عند سنة سيد المرسلين ومعلوم مقامه في العلم باسرار التشريع وموافقته للقرءان في بضع عشرة موضعا ولذلك اخذوا برايه فكان يفتي بلزوم الثلاث علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وعثمان وعبادة ابن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص وابو هريرة رضي الله تعالى عنهم كما في المرقاة وعائشة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما كما رواه ابن عبد البر باسانيده اليهم وجمود ابن تيمية على الوقوف عند صدر حديث ابن عباس مع انه ليس قطعي المتن ولا الدلالة اذ هو قابل للتاويل لاننضمده وقد وجدنا الاحاديث الاربعة السالفة التي هي دليل لفتوى عمر رضي الله عنه الجمع عليها وغيره من اعلام الصحابة والتابعين ومن تبعهم الى الايمة الاربعة ابي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وجمهرة اتباعهم واهل الصدر الاول ولن ياتي ءاخر هذه الامة بافضل مما كان عليه اولها في الدين مع مـا علمت مما طعن به ايمة الحديث حديث ابن عباس رضي الله عنهما كما سبق . ما لنا وللجمود ابن تيمية واتباعه فلو فرضنا تكافؤ الاحاديث الاربعة مع حديث ابن عباس وتساقطهما ونبذنا الجدال فيبقى بينها فتاوى اعلام الصحابة وعلى راسهم عمر رضي الله عنه سيد المتشرعين الذي قال فيه عليه السلام ان يكن فيكم محدثون فمنهم عمر وقال عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي وازيد السادة الجامدين على مذهب ابن تيمية ان صاحب المنار الذي كان ايضا من الجامدين على مذهبه يقول في مناره ان الزام عمر الثلاث لهم اذا جمعوها في كلمة واحدة موافق لقواعد الشريعة والحكمة الله في خلقه وازيدهم ثانيا أن ابن تيمية يرى ان الصحابي اذا راى رايا ولم يخالفه احد كان اجماعا قال في الفتح ولم يحفظ ان احدا خالف عمر رضي الله عنه من اهل عصره ويبقي بينها القياس وقد اشرت في المجلد ١ عدد ٦٥ من الفكر السامي(١) الى ان طلاق الثلاث في كلمة واحدة تردده بين ان يقاس على العقود كالبيع والاجارة والنكاح فلا يلزم فيه الا واحدة وبين ان يقاس على الالتزامات كالايمان والنذور والاقرارات التي تلزم المكلف ما التزم به فيلزمه الثلاث وهو من الجنس الثاني بلا شك لان عقد الزوجية جعلتـه الشريعة الطاهرة بيد الزوج بحكم قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) وظهور هذه الدرجة هي في جعل الطلاق بيده وحده وقوله عليه الصلاة والسلام الطلاق لمن اخذ بالساق فالطلاق بيد الزوج غير محتاج انعقاده الى رضى الزوجة وقبولها فينعقد بتلفظ الزوج به ولذلك جعل لها ان تختلع منه واحل للزوج ان ياخذ الخلع بنص القرءان العظيم وخاطب الازواج بقوله (فطلقوهن لعدتهن) وجعـل الرجعة بيده ايضا في الطلاق الرجعي مجبرة عليها وليس عليها ظلم في ذلك لانها دخلت عليه بتعويض مالي وهو

(١) اسم كتاب لحضرة صاحب المقال في تاريخ التشريع الاسلامي وهو من اجل الكتب التي الفت في هذا الفن طبع في مطبوع

الصداق ثم النفقة فهي كاجيرة عنده قال تعالى (وءاتوهن اجورهن فريضة) والفقهاء في اقطار المعمور متظافرون على ان الطلاق بيد الزوج وحده والشريعة خصصته به وانه اذا طلقها طلاقا رجعيا اجبرها على الرجعة فاذا كان كذلك فالزوجة اصبحت حريتها بيد الزوج فهي متشوفة للحرية فمهما نطق بالطلاق واحدة لزمته وكذلك اذا عدده وجعله ثلاثا في كلمة واحدة لزمته الثلاث فاذا قال فلان علي درهم لزمه واحد واذا قال ثلاثة دراهم لزمه ثلاثة لان من التلزم شيئا لزمه فلو لم تلزمه الا واحدة كنا ظالمين للزوجة ومن قواعد الفقهاء ان الشارع متشوف للحرية فمن هذه الحيثية ايضا كان اذا تلفظ بالثلاث لزمته كلها فالطلاق ليس من العقود التي تكون بين اثنين بل من باب الاقرار والالتزام كما هو بين واما استدلال ابن تيمية بقوله تعالى (الطلاق مرتان) زاعما ان لفظ مرتين دليل ان الطلاق لا ينعقد الامرة بعد مرة ولا يكون ثلاثا دفعة فهو من اوهى الادلة اذ ليس في الآية واحد من وجوه الحصر التي عند البيانيين كتعريف الجزءين وحيث لا حصر فالطلاق كما يكون مرة بعد مرة وهو الجائز شرعا فقد يكون دفعة ثلاثا وهو وان كان منهيا عنه على تلك الحالة فهو منعقد لحق الزوجة في الحرية والتحقيق عند جلة الاصوليين والفقهاء ان النهي لا يقتضي الفساد كما ابرز عليه في محله . (واما قصره اذا وقع في كلمة ثلاثا على واحدة فمما لا شعور للآية به واستدلاله بالآية مع قوله بلزوم واحدة يبطل احدهما الآخر فابن تيمية اذا قصر لزوم الطلاق على ما اذا وقع مرتبا واحدة بعد الاخرى لزمه الغاء الطلاق كلا اذا وقع ثلاثا في كلمة واحدة فسقط تمسكه بالاية وكانت دليلا عليه لاله . ثم لو فرضنا تساقط الادلة كلها لكان التحري للفروج يوجب علينا ايجاب الثلاث لنسلم من الوقوع في تحليل المبتوتة التي يعتبر استرساله عليها زنى يوجب الحد ولا يلحق الولد ولا ترثه هي ولا ولدها لقوله تعالى فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره على احد قولين ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه وبالجملة فمذهب مالك بل المذاهب الاربعة هو لزوم الطلاق الثلاث في تطليق من اوقع عليها الطلاق الثلاث في كلمة واحدة وعدم ارتجاعها حتى تنكح زوجا غيره ويتذاوقا العسيلة . ثم الواجب حفظ النظام وما عليها الاحكام بالتزام المشهور او الراجح او ما به العمل ذلك النظام الذي تاسس في المغرب منذ قرون ولا نرجع القهقرى باحداث الفوضى في الاحكام مع التشويش بامثال هذه الشواذ على العامة وغيرهم وشغل الافكار بما لا طايل تحته بل بما فيه مفسدة عظمى من تحليل المبتوتة وايقاع الناس في مشكلة ماتت لا موجب لنبش رمسها وتخليط يومها بامسها ولله الامر من قبل ومن بعد قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . وقال ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . وقال تعلى ولا تنازعوا فتفشلوا الآية)

الحـاق

ان ما قـررته في طلاق الثلاث في كلمة واحدة من لزوم الثلاث هو الراجح من حيث الادلة الكثيرة السابقة التي لا يسع احد ان يناهضها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس والعمل بالراجح واجب لا راجح وهذا الفقه هو الذي عليه جميع القضاة بالمغرب وايمة فتواه ولا محيد عنه الى الآن . . وبه كنت اقضي ما تقلدت الحكم في مجلس الاستيناف الشرعي الاعلى وعليه عملي في وزارة العدلية لا احيد عنه ان شاء الله غير اني لا اشنع على ابن تيمية في فتواه لما له من الشبهة التي هي عذر في الجملة ولا اقول في ابن مغيث المالكي كما قال ابن العربي لا اغاثه الله والتمس للكل العـذر بسعة صدر واتجنب ما امكنني طريق التشنيع والانكار على الايمة الكبار ذوي العلم والاعتبار وهكذا فعلت في تجديد علوم الدين والذي اراه والتزم فتواه ان الاحكام القضائية يحفظ بها النظام الذي لا نظـام ارفع منه وهو لزوم الحكم بالمشهور او الراجح او ما به العمل فهو اوثق ضمانة للامة على حقوقها ولا تقبل من احد الاجتهاد فيهـا لفساد الزمان وادعاء من هم ارباع او انصاف علماء او اثمانهم انهم اهل اجتهاد واتقان فيتسبب عن عملهم فوضى الاحكام والتباس النـور بالظلام لذلك يجب التمسك بما ترجح دليله او عمل به اهل العلم والقضاة النزهاء لمصلحة او دفع مضرة اولضرب من السياسة التي وضح دليلها والوقوف في الاحكام عند هذا الحد امام من كانت له مقدرة علمية وبلغ الدرجة الوسطى فقها وحديثا وتفسيرا وعربية الخ فله ان يجتهد وفضل الله لا يحجر ولكن في احكام تخصه ولا يشوش على العامة ولا على القضاة والحكام لئلا يفسد النظام كما بينت ذلك في الفكر السامي في تاريخ الفقـه الاسلامي في الاجتهـاد والتقليد ج ٤ كما اني لا ءاخذ بما اخذ به السادة المصريون في مخالفة الفتوى المذكورة في طلاق الثلاث اذ لعل لهم عذرا فيما فعلوه او عرفا في الفاظ الطلاق قلدوه ولعل لهم ضربا من المصلحة او السياسة تسيغ لهم ما استساغوه ولعل ما نفعهم في هذه الجزئية يضرنا ويشوش على الفكر العام سواء العلماء والعوام والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري

المقدس المبرور الشيخ سيدي احمد بن الخوجة شيخ الاسلام الديار التونسية برد الله مرقده ءاثار علمية لها قيمتها العظمى وهي لم تنشر بين الناس والذي يعلمه منها الخاصة هو قليل بالنسبة المجهول وقد رغبنا من ابن شيخ الاسلام العلامة الشيخ سيدي علي بن الخوجة ان يمدنا بتحارير والده المبرور العلمية لتنشر على صفحات هاته المجلة فلبى نداءنا حفظه الله وامدنا بهذا التحرير النفيس واعدا ان يقدم لقراء المجلة في كل عدد تحريرا من تحارير مولانا شيخ الاسلام رحم الله السلف وبارك في الخلف .

الدعاء

ورد على سيدي الوالد رحمه الله تعالى سؤال في اجابة الدعاء هل هو مقبول قطعا او مقيد بالمشيئة ما نصه :

سادتنا الاعلام قدوة الانام اطال الله بقاءكم امين ما جوابكم في نازلة صورتها وقعت محاورة في مجلس في اجابة الدعاء هل هي مقبولة قطعا او مقيدة بالمشيئة فقال البعض مقيدة بالمشيئة واستدل بقول الشيخ الباجوري في شرحه على الجوهرة عند قول الناظم :

وعندنا ان الدعاء ينفع كما من القرءان وعدا يسمع

بعد ان قرر شروط الدعاء واوقاته قال على ان الاجابة مقيدة بالمشيئة والآيتان احداها قوله تعالى اجيب دعوة الداعي اذا دعاني والثانية قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم مقيدتان بقوله تعالى ويكشف ما تدعون اليه ان شاء وكذلك قال الشيخ سيدي اسماعيل حقي في تفسيره وقال البعض الدعاء مستجاب قطعا والآية ليست مقيدة للايتين بل معناه في كشف الضر جوابكم الشافي تؤجرون والسلام .

الجواب

الحمد لله مجيب المضطر اذا دعاه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ايده بالبراهين القاطعة والآيات الساطعة وعصمه من الناس ورعاه وعلى ءاله واصحابه فرسان الخيل ورهبان الليل الذين استحيوا من الله فحفظوا البطن وما حواه والراس وما وعاه .

اما بعد فالذي فتح به ربي في الجواب ان كلمة علمائنا تظافرت على ان الدعاء مخ العبادة ومن اشرف انواع الطاعات لما فيه من التذلل والتضرع الى الله تعالى والاعتراف بالعجز وانه تعالى القدير على كل شيء وبيده سبحانه مقاليد الامور فلذا امر عز اسمه فقال ادعوني استجب لكم الآية

وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول يامن احب عباده اليه من سأله فاكثر سؤاله ويامن ابغض عباده اليه من لم يسأله وليس احد كذلك غيرك يا رب

الله غضب ان تـركت سـؤاله وترى ابن آدم حين يسئل يغضب

ثم ان وعد الله بالاجابة كما في آية ادعوني استجب لكم لا يتخلف ابدا (ان وعد الله حق) قال سيدنا ومولانا الشيخ الاكبر سيدي محي الدين بن العربي رضي الله عنه في الفتوحات ما معناه ان اجابة الله لعبده ابدا لا تتخلف فمتى قال العبد في فاتحة دعائه يا رب قال الله لبيك يا عبدي وفي هذا تشريف وتكريم للداعي وعناية به وقضاء الطلب زيادة عن الاجابة الموعود بها

قلت وهذا حق وهو المتعارف في عرف الناس يقال يا فلان مالي ادعوك واناديك فلم تجبني اي تقول لي نعم اولبيك او نحو ذلك و لامر الذي ناداه لاجله غير الاجابة والشرع العزيز قاض بذلك ايضا الا ترى الى ما في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم نـادى بعض اصحابه وهو في الصلاة فلم يجبه فلامه على ذلك اي عدم الاجابة والامر الذي ناداه لاجله لم يذكره له .

والاجابة بما ذكر تتضمن البشارة بقضاء الحاجة لكن على حسب مصلحة العبد الداعي على مـا سنحققه ان شاء الله تعالى واذا عرفت هذا فاعلم ان الاجابة لما كانت حاصلة للداعي لا محالة بمقتضى الوعد الصادق بآية ادعوني استجب لكم ونظيرها فالخلاف بين القائل ان الدعاء مستجاب قطعا اي بقول الله له لبيك يا عبدي واجابته بذلك المتضمنة قضـاء المطلب لانه تعالى علام الغيوب عالم بما يريد عبده بمناداته وابتهاله اليه ولكن قضاء المطلب على حسب مصلحة الداعي التي هو جل وعز اعلم بها من العبد (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ولربما كان ذلك المطلب في علم الله مقرونا بمضرة عظيمة فيبدله الله تعالى رحمة به ورافة ولطفا بما هو انفع له اما في الدنيا او الآخرة او في كلتيهما على حسب ارادته تعالى وتارة يعطيه خصوص مطلبه . ويذكر ان رجلا كان يشتهي ان يملك دارا مخصوصة فكان يكثر من دعاء الله ان يملكها له فملكها له فلما دخلها الليلة الاولى سقط عليه حائط منها فمات ومن هنا قال الفاضل القسطلاني في شرح البخاري الافضل للانسان والاليق به ان يقول اللهم اني لا اعلم امرا اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واحملني على اجمل الامور واحمدها عاقبة في الدين والدنيا انك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وعلى حسب المشيئة بالنسبة لقضاء المطلب فان شاء اعطاه خصوص مطلبه وان شاء ابدله بما هو خير منه ان كان في مطلبه مضرة عليه وكان الانفع للعبد استبدال مطلبه بغيره رحمة له ورافة ولطفا به فقد اسفرنا لك بهذا التحقيق عن وجه الحق الجميل الذي هو بالقبول حقيق المستفاد من كلام اعاظم العلماء

واعلم انك اذا تتبعت الاحاديث الشريفة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية وكلام اعيان الاولياء العارفين كالشيخ ابن العربي علمت ان الله الرحمان الرحيم الحنان الكريم ذا الفضـل العظيم لا يتوقف في اجابة عبده والتفضل عليه بسؤله وقضاء حاجته الاعلى امرين الاول وهو الاساس الاعظم الايمان والثاني توجه القلب اليه تعالى ومن هنـا قال الفاضل القسطلاني في شـرح البخاري واما اذا دعـا الله في وقت لا يكون القلب فيه ملتفتا الى غير الله تعالى فالظاهر انه يستجاب له

فاما قول هذا الفاضل وتخلف الدعاء عن الاجابة انما هو لفقد شرطه فكانه ايريد بالشرط توجه القلب الى الله ليلائم كلامه هنا اعني في فاتحة كتاب الدعوات كلامه في محل اخر الذي هو قريب مما ذكرنا نعم التوسل بالوسائل كاعظمها وهو جاه النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وبعض الرجال المقربين الى الله وفي الاوقات المباركة كيوم الجمعة وعشية عرفه والاماكن المشرفة مما يعين غاية الاعانة على قضاء الحاجة

هذا مما علق ربي فله مزيد الحمد والشكر حرره الفقير الى ربه أحمد بن الخوجـة شيخ الاسلام في ١٧ جمادى ٢ سنة ١٣١٢ (اسكنه الله دار السلام بجاه رسوله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام)

الوعظ والارشاد

نحن ننشد الاصلاح

فهل حان الوقت واستعدت الامة لقبوله

ان الامة قد شعرت في هذا العصر اكثر من كل العصور الماضية بحاجتها الى الاصلاح اصلاح ما تداعى بنيانه من هيكلها الديني والاجتماعي والخلقي وما يتصل بذلك وقد فكر ابناؤها المصلحون في العلل التي اصابت جسمها وبحثوا في طرق العلاج ليتداركوها قبل الفوات ويعملوا على انتشالها من الامراض المزمنة التي المت بها والاخطار المخيفة التي تهددها وطلبوا منها ان تهتم بعلاج عللها التي تنخر جسمها وترديها فكان لدعوتهم اثر حسن وتنبه العدد العديد والجموع الكثيرة وادركوا ان ما هم عليه سيؤول بهم الى الفناء وعلموا ان حالهم لا يليق بامة لها مجد عتيد ولها حضارة خاصة ولها مدنية سبقت المدنيات القائمة في هذا العصر وانتشرت في العالم عصورا متتابعة واقتبست منها الامم الشيء الكثير وكانت سببا في عمران ممالك قديمة قد اصابها الفساد فاهلك الحرث والنسل فعمروها واقاموا فيها صروح الحضارة والمدنية قرونا وانه لا يليق بهم ان يكتفوا من ذلك بالتحدث بمجد غابر والافتخار بما بلغ اليه سلفهم من العلم والجاه فانه لا يغنيهم عن الواجب فتيلا. علموا ذلك فطلبوا الاصلاح ودعوا اليه ورغبوا فيه. ولكن الاصلاح ليس بالامر الهين الذي في مقدور كل فرد ان يقوم به بل هو امر له خطورته وتعتريه المصاعب ويدخل الشك للنفوس في نجاح الطرق التي يدعو المصلحون اليها والسبل التي يحببون اليهم السير فيها للوصول الى الغرض المنشود ويدخلهم الشك ايضا في نزاهة الرجال القائمين عليها ومقدرتهم وعلمهم بطرقها الناجحة لا سيما وهم قد الفوا اوضاعا وتعودوا عوائد يصعب في بادىء الامر التحول عنها ومفارقتها

واول ما تجب الاشادة به واعتباره الركن الاساسي في هذا المضمار هو تظافر مجهودات اولى المعرفة لتوجيه المجتمع الى طرق الاصلاح الصحيحة فيعقدون الخناصر على العمل المصلح النافع وتجنب سفاسف الامور وكل ما يعود على عملهم بالمضرة فيعملون متكاتفين نحو غاية سامية لا يداخلهم حسد ولا يقطع حبلهم حب رئاسة او جاه يعمل كل فريق بحسب ما هو في مقدوره

وبحسب مواهبه التي امتاز بها عن غيره وعند ذلك تتوافر الجهود ويقوم كل فريق بما يلزم المجتمع من اسباب النهوض

وفي مقدمة اولئك الرجال الذين يعتمد عليهم في الاصلاح العلماء واهل الخبرة والمعرفة بالشؤون العامة فهؤلاء جميعا يلزم ان تتوفر في نفوسهم الرغبة للقيام بهذا الواجب الخطير وهذه المهمة الصعبة وان يدعو بعضهم بعضا لذلك ويتشاوروا في تعيين الوسائل المبلغة اليه فانه مـا دام فريق منهم لا يحس بهـذا الامر ولا يسعى له سعيه تبقى الاعمال فردية وهي لا توصل الى نتيجة يرتجي من ورائها خير عميم ونفع شامل يحسن اثره في الفرد والمجتمع وما داموا مفترقين في الوسيلة لا يبلغون الى المقصد الثاني وهو لا يقل عن الاول اهمية واعتبارا شعور الحكومة بهـذا الواجب واهانتهـا رجال الاصلاح فيما يقومون به وما كرسوا اوقاتهم من اجله سعيا وراء الصالح العام

ومتى كان في الامة رجال توفرت فيهم دواعي الاصلاح وظهرت للعيان طهارة ضمائرهم من الدخل ومدتهم حكومتهم بالاعانة على ما يقـومون به امكن الامة ان تستثمر غـرسهم وتحصل على اصلاح عام في سائر الامور التي مسها العطب وادركها الوهن واما اذا اقيم الاصلاح على دعامة واحدة فلا ينتج الانتاج الكامل وكذلك اذا اقيم على اساس الدعوة المجردة فانها تتخذ من طـرف من تبلغه امـرا نظريا كأنه لا علاقة له بالحياة العامة ولا يعتبرها الناس دعوة الى امر عملي يلزم ان يسير عليه الفرد والجماعات في سائر شؤونهم .

ومن اجل ذلك بقيت الامة على ما هي عليه في غالب الامور لم تتغير التغيير الذي يصلح امرها رغم كثرة دعاة الاصلاح في هذا العصر ووفرة الدواعي والاسباب التي تعين على الاخذ باسباب الرقي

ونحن اليوم في فترة تتهيأ فيهـا امم الارض قاطبة وتتحفز للانتقال من دور الى دور وقـد قطعت الامم الغربية اشواطا بعيـدة المدى في مضمار العلوم واقامت مدنية وحضارة اختارتها لنفسها وتنافس رجالاتها في الاخذ باسباب ترقيتها والانتقال بها الى دور اسمى مما كانت عليه ودعوا الامم ليعملوا على شاكلتهم ويقتدوا بهم وقام اهل الراي والزعامة يطلبون من الامم توحيد المشارب والآداب والكرع من منهل العلوم على قرارهم وبناء مجتمع عام يشمل الامم المتمدنة قوامه مدنية واحدة وآداب واحدة حتى طمع بعضهم في تكوين عقلية واحدة تسود المجتمع البشري وقد آزر هذه الفكرة كثير من ارباب الزعامة وقادة الشعوب وكثر العاملون على تحقيقها وساعد على انتشارها عظمة الدول التي تعمل عليها وقوة سلطانهم ونفوذ كلمتهم ورجاحة عقول ساستهم وقادتهم وعلمائهم

فهل يحسن بنا ان نستمر على امراضنا الاجتماعية ولا نعالجها ليسلم جسم الامة ونكتفي بالذكريات والتغني بمجد سالف وتراث ضايع ؟

الم يقم فينا اناس دعوا الى صالح العمل ورغبوا في الفضيلة وحذروا من الفساد في الارض ودلوا اخوانهم على الامراض التي انهكت قوى الامة وصوروا لها العلل الفاشية الخطيرة ووصفوا الدواء والعلاج فماذا كان جواب الامة ؟

الم تظهر فينا جماعات يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فماذا كان موقف الامة معهم ؟

الم تقم طائفة موفقة متشبعة بالمبادي الاسلامية وكانوا على بصيرة من هداية الاسلام رغبوا في اتباع هدى الاسلام والتخلق بكل خلق كريم فبماذا اجابت الامة دعوتهم ؟

العجب كل العجب ان نرى الناس يتشوقون الاصلاح وهم لا يعملون في سبيله ولا يصلح المرء ما فسد من امره ولا ينقاد لداعي الخير والفلاح . ولو اهتدوا واخذوا في ترويض نفوسهم وعقولهم بما يصل الى اسماعهم من صالح الاقوال واعتبر كل فرد انه مسؤول لنفسه وللمجتمع ولله الذي امره باتباع الحق والعمل على تحقيقه لقطعت الامة في سبيل رقيها وسعادتها اشواطا ابعد مما هي عليه اليوم بمراحل ولكانت اسلم جسما .

ولكن حركة الاصلاح بليت بعوامل اضعفت من مفعولها واصطدمت بنفوس دابت على متابعة الهوى والعكوف على الشهوات . وداعي الهوى هو الحجر الصلب الذي تتصدع على جوانبه امواج الاصلاح التي تتابع ورودها على الامة .

فواجب القائمين بها ان لا يفشلوا ما دام رائدهم الخير والنفع العام ونلح باللائمة على اولئك الذين درسوا العلوم الاسلامية على الخصوص في تقاعسهم عن خوض هذا الميدان باوسع شكل وانجع الطرق لان انزواءهم وزهدهم في مناصب الارشاد العام مكن من ظهور الدعايات المنحرفة عن الطريق المستقيم ولنا معهم كلمة سنفردها بمقال خاص ان شاء الله .

وهناك امر آخر لا يقل خطورة عن سابقه وهو ان بعض المفكرين لا يهتمون في الاصلاح بامر الدين وتعاليمه وآدابه ولم يبالوا ان يجهل الناس على الدين وهم لا يعلمون .

ولم يفكروا مليا في ان الدين الاسلامي له في الحياة الدينية والمدنية سلطان واي سلطان وانجع اصلاح يرتجى هو ذلك الذي تقوم دعائمه على اساس الدين وتعاليمه السمحة

محمد الشاذلي بن القاضي

التشريع الاسلامي

ان المجلة كانت تود ان تنشر دروسا من التعليم العالي الجاري بجامع الزيتونة تعميما للثقافة وتسهيلا على خريجيه المتعطشين لمناهله الذين تمنعهم اشغالهم من تتبع دروسه في ارواء نفوسهم وشفاء غلتهم وكانت المجلة تنتظر سنوح الفرصة التي تساعد على ذلك الى ان ادركت بغيتها بتوفق بعض اساتذة الدراسة العليا لتسجيل ما يلقيه في كتابة تصلح لاداء هذا الغرض المهم وقد رات ان تستهل هذه السلسلة من الدروس بدرس من دروس العلامة الحبر الاستاذ الشيخ محمد العزيز جعيط الكتاب طبع حديثا لدراسة الفقه المالكي في المرتبة العليا وهو كتاب الاشراف للقاضي عبد الوهاب البغدادي المصري المتوفى سنة ٤٢٢ شاكرين لحضرة الاستاذ الجليل عمله العلمي وواعدين السادة القراء بمتابعة نشر هذه الدروس المفيدة

درس من البيوع

قال القاضي عبد الوهاب في الاشراف: مسالة بيع الاعيان الغائبة بالصفة جائز وكذلك الحاضرة التي تشق رؤيتها كالاعدال تباع على البرنامج وشبهه خلافا للشافعي في اظهر قوليه ان الاعيان لا يجوز بيعها الا على الرؤية لقوله عز وجل وأحل الله البيع وحرم الربا وقوله تعالى إلا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولانه بيع معلوم للمتبايعين مقدور على تسليمه غالبا فصح بيعه كالمرئي ولانه احد حالات العين فجاز بيعها كحال المشاهدة ولان الصفة تقوم مقام الرؤية عند تعذرها كالسلم ولانها احد نوعي المبيعات فجاز ان تباع على الصفة كالذي يباع على الذمة ولان الرؤية لو كانت شرطا في بيوع الاعيان لم يجز ان لا يوجد في المقصود من المبيع وان يشترط فيما ليس بمقصود منه كالصفة في السلم وقد ثبت ان بيع الجوز واللوز في قشرهما جائز وان اشترى المقصود بالبيع على الرؤية فدل على انها ليست شرط فيه ولان ما كان شرطا في صحة عقد وجب مقارنته له ولا يكتفي برؤيته له اذا لم يوجد في ذلك معنى العقد على التسليم فلما اتفقنا على جواز بيع العين الغائبة اذا تقدمتها الرؤية دل على انها ليست بشرط فيه ولانه عقد معاوضة فلم يبطله عدم رؤية المعقود عليه كالنكاح اه.

اقول مسالة منع بيع الاعيان الغائبة بالصفة وجوازها متفرعة على اشتراط كون المعقود عليه معلوما وهو متفق عليه بين فقهاء الامصار في الجملة فكلهم يشترط ان يكون معلوم العين والقدر

والصفة وانما يختلفون في القدر الذي يكتفى به في العلم فمنهم من اكتفى بما ينفي الجهالة الفاحشة ويخصص المبيع عن انظاره كالامام ابي حنيفة فاجاز شراء ما لم ير اذا كان شيئا مسمى موصوفا او مشارا اليه او الى مكانه وليس فيه غيره بذلك الاسم ومنهم من اكتفى في العلم برؤية المبيع او وصفه ان كان غائبا عن مجلس العقد او كان حاضرا به وكان في رؤيته عسر او فساد كالامام مالك ومنهم من اشترط علم الصفة بالعين كالامام الشافعي في احد قوليه وهو اختيار المزني واصح القولين عند الغزالي فابطل بيع ما لم يره وشراءه وعلى هذا القول المشهور عند الشافعية من اشتراط الرؤية فالرؤية السابقة كالمقارنة فيما لا يتغير غالبا ورؤية بعض المبيع كافية ان دل على الباقي لكونه من جنسه او كان صوانا له خلقة كقشر الرمان والبيض واذا راى المبيع فله الخيار في امضاء البيع وفسخه اما قبل الرؤية فله الفسخ دون الاجازة لان الرضا قبل حقيقة المعرفة لا يتصور هذا تحرير مذهب الشافعي على ما ذكره الغزالي في وجيزه .

والامر الذي حدا بفقهاء الامصار الى اشتراط العلم في المعقود عليه وان اختلفوا فيما يكفي منه نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر ففي مسلم عن ابي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر اهـ . وقاعدة النهي عن بيع الغرر وما فيه جهالة قاعدة قطعية لا لخصوص هذا الحديث فانه خبر آحاد لا يفيد الا الظن وانما ذلك من النهي عن صور كثيرة من البيوع كبيع المنابذة والملامسة والملاقيح وحبل الحبلة وبيع الثمار قبل بدو صلاحها وغير ذلك من الجزئيات التي تنتظم في سلك واحد وهو الغرر وهذه الجزئيات المبثوثة في الشريعة وان كان كل واحد منها ظنيا الا ان مجموعها يفيد القطع وهو ما يعبر عنه بالاستقراء المعنوي وفسر المازري الغرر بما تردد بين السلامة والعطب ولا يخفى انه على هذا التفسير لا يتناول كثيرا من الصور الممنوعة للجهالة ولذا اعترضه ابن عرفه بانه قاصر غير جامع اذ يخرج عنه الغرر الذي في فاسد بيع الجزاف وبيعتين في بيعة (وهو ان يشتري سلعة اما بخمسة نقدا او عشرة الى اجل قد لزمته باحد الثمنين)

واختار في تفسيره انه ما شك في حصول احد عوضيه او المقصود منه غالبا وعلة منع الغرر عند المازري انه من اكل المال بالباطل على تقدير ان لا يحصل المبيع وقد نبه صلى الله عليه وسلم على هذه العلة في بيع الثمار قبل بدو صلاحها بقوله ارايت ان منع الله الثمرة فبم ياخذ احدكم مال اخيه؟ وعند ابن عبد السلام ما يؤدي اليه من التنازع بين المتبايعين ورد بان كثيرا من صور بيع الغرر عارية عن التنازع كبيع الآبق والثمر قبل بدو صلاحه وعندي انهما علتان مستقلتان لمنعه وان حديث النهي عن بيع الكالئ بالكالئ وحديث من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم يدلان على ان ما هو مظنة للتنازع منهي عنه ممنوع . ويؤيد ذلك ان الحنيفية يمنعون من الجهالة الجهالة

الفاحشة وهي ما يفضي الى التنازع فالغرر قسمان قسم يرجع منعه الى اكل المال بالباطل وهو ما كان من وادي القمار وقسم يرجع منعه الى ما يؤدي اليه من التنازع وهو ما كان فيه جهالة فاحشة هذا ما يظهر لي والعلم لله الكبير العلي . وحكي عن بعض العلماء ان علة النهي الغرر وهو مشكل جدا لان الغرر وصف غير منضبط ومثل ذلك لا يصلح للتعليل فان اريد به جميع افراده اشكل ايضا لان من الغرر ما اجمع على صحته قال المازري من بياعات الغرر ما اجمع على فساده كالجنين والطير في الهواء والسمك في الماء ومنها ما اجمع على صحته كبيع الجبة وان كان حشوها غير مرئي وكراء الدار شهرا مع كون الشهر ناقصا او تاما ودخول الحمام على اختلاف الناس في قدر ما يحتاجون اليه من الماء واختلاف اخذهم منه ومنها ما اختلف فيه ولذا وجب ان يفهم عنهم ان ما اجمعوا على منعه انما هو لقوة الغرر فيه مع ان الغرر في صورة مقصود وما اجمعوا على جوازه فليسارة الغرر فيه مع انه غير مقصود وتدعو الضرورة الى العفو عنه وما اختلف فيه يرجع الى هذين الاصلين فمن اجاز راى الغرر فيه يسيرا وغير مقصود ومن منع رآه كثيرا مقصودا . وقد سبق المازري في هذا التحقيق ابو الوليد الباجي . بقي ان ما شك في كون الضرر فيه يسيرا او كثيرا يحمل على الكثير فيمنع او على اليسير فيجاز تردد في ذلك ابن عبد السلام من جهة انه من وادي الشك في الشرط او الشك في المانع فان شرط البيع العلم بصفة المبيع والغرر يمنع من العلم به والشك في يسار الغرر شك في الشرط وهو قادح ويحتمل ان يقال الغرر مانع والشك في المانع غير قادح وايد ابن عبد السلام الجواز بان اكثر البياعات لا تخلو عن غرر يسير والقاعدة حمل المشكوك فيه على اكثر انواعه واكثر انواعه اليسير المغتفر ورده ابن عرفة بان اكثر صور الفاسد لا تخلو عن الغرر الكثير فليس الحاقه بصورة الجواز اولى من الحاقه بصورة المنع والكثرة في كل منهما متحققة

اذا تمهد هذا فمراد القاضي عبد الوهاب بالصفة في جواز بيع الاعيان الغائبة بالصفة هي الصفة المقصودة التي تتفاوت الاثمان لاجلها وتختلف الاغراض فيها وتقل الرغبة وتعظم بحسبها والغيبة تصدق بغيبة المبيع من مجلس العقد وان كان حاضرا بالبلد وتصدق بغيبته عن البلد فاما الغائب عن البلد فيجوز عند المالكية بيعه بالصفة ولو كان على مسافة يوم وظاهر كلامهم ان ما كان دون مسافة اليوم في حكم حاضر البلد واما الغائب عن مجلس العقد الحاضر بالبلد فالذي رجحه ابن عبد السلام وابن عرفة وحملا عليه كلام المدونه جواز بيعه على الصفة وذكر ابن شاس منع بيعه على الصفة الا اذا كان في رؤيته مشقة كالحاضر عند المتعاقدين فانه لا يجوز بيعه على الصفة على المشهور المعروف الا اذا كان في رؤيته عسر او فساد كبيع جرار الخل المطينة التي اذا فتحت يخشى فسادها وعلل ابو الوليد الباجي هذا الشرط في الحاضر بمجلس العقد بانه اذا شرط ترك النظر فهو من بيع المنابذة المنهي عنه ومن بيع الغرر الذي لا يجوز اذا قصده البائعان او احدهما . وينبغي ان يعلم ان الخلاف بين الشافعي وغيره في جواز بيع الغائب على الصفة مسبوق بخلاف الصحابة رضوان الله عليهم فيه فروي الجواز عن عثمان وعبد الرحمن بن عوف وروي المنع عن ابن عباس وابن عمر . (يتبع)

الادب

نشرنا في العدد السابق موشح ابراهيم بن سهل والموشح الذي عارضه به شيخ الكتاب في العصر الماضي الشيخ احمد بن ابي الضياف وفي هذا الجزء ننشر معارضة شيخ الكتاب في العصر الذي قبله وهو الشيخ حمودة بن عبدالعزيز صاحب التاريخ الباشي قاله يمدح شيخه محمد الغرياني:

ان ظبيا حول كثبان الحمى ... بات يرعى زهرات الانفس
هو قد لاح سناه اضرما ... بفؤادي جذوة المقتبس

• • •

ويح قلبي كم تصدى للمحن ... سالكا نهج الردى فيمن سلك
ولقد حذرته من قبل ان ... يتردى هالكا فيمن هلك
كيف ينجو من راى الظبي الاغن ... يطبق الجفن على سحر الملك

• • •

سافرا عن وجنة ذات حمى ... بضبي الحافظه محترس
تحسب الخيلان فيه انجما ... كسفت فوق نهار مشمس

• • •

يا خليلي انظرا هل تمصران ... غير حب شاقه ذكر الحبيب
فاذا ما جئتما لا تعذلان ... من غرامي ليس بالامر الغريب
فعصا السلوان يمضي في امان ... والهوى يأوي الى ماوى رحيب

• • •

وادبرا لي بنفسي انتما ... اكؤسا فيها حياة الانفس
واسقيا سقيا ورعيا لكما ... علق الشوق بتلك الاكؤس

• • •

هل يعيد الدهر اوقات الصبا ... وتعاطينا بها صرف الشمول
حيث نفح الروض ازكته الصبا ... واتت تهديه في ذيل بليل
وحمام الدوح غنت والربا ... سكت فيهن صهباء الاصيل

• • •

والندا الساقط من جو السما ... صار دمعا في عيون النرجس
وهو في وسط اقام نجما ... فنب جال بثغر الملعس

• • •

ضرب الليل خباه من قمر ... ضوءه للارض القى اطنبه
كيف حال الصب فيه بالسهر ... وهو لو رام سرا ما ضربه
بات مقتولا بعيب من حور ... فالدجى تبكي عليه اغربه

والدراري قد اقامت ماتما لبست فيه حلال الحندس
والسهى ما بينها رؤحما ذقته فهو بسقم مكتس

* * *

من له في كل قلب مسكن تحسد الابصار فيه الافئدة
جردت من ناظريه الفتن ماضي الحد كليل الاغمدة
هو شمس في الدنيا بل احسن اكحل اللحظ عليها ايدة

* * *

بيته قلبا به قد خيما وله فيه خيار المجلس
عيد أضحي من سلو معدما ربما قد صح بيع المفلس

* * *

صاح قد حلت من الصبر العرا عقدا من سحر الحاظ نيام
ان يكن منها مضل الورا فلها هاد من الشيخ الامام
من سما في مجده شيم الذرا وله فوق السماكين مقام

* * *

ولغريان نماه من نما ذا كتسى بالفخر ابهى ملبس
شرف الغرب بهذا الانتما من حلول الثغر للاندلس

* * *

ماجد جل المعالي مرتضى افحمت اوصافه نظم القريض
لم يطقها لو اتت فيما مضى شعر ذي الرمة في بحر العريض
صارم لله اضحى منتضى وغمام بحيا العلم يفيض

* * *

جاءها سهلا وحزنا كلما حل ارضا لم يدع من يبس
يرفع الجهل على الناس كما يرفع المطلق حكم النجس

* * *

همة قد طعنت قلب الحسود وارتقت فهي السماك الرامح
فهي عند الاوليا سعد السعود وهو للاعداء سعد الذابح
قد بدا منها فلورت ان يسود زند مجد ليس فيه قادح

* * *

لاح في الدنيا منيرا مثل ما لاح ضوء الصبح بعد الغلس
فغدت ثغرا به مبتسما ظلمة الليل لها كالعرس

* * *

يا اماما قد حوى كل العلا ها كما تحوي فنون القافيه
كلم من كل لفظ يجتلى هي في السمع كقرطي ماريه
عارضت قول ابن سهل مذ صلا قلبه الحب بنار حاميه

* * *

هل درى ظبي الحما ان قد حما قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثل ما لعبت ريح الصبا بالقبس

الحياة العلمية

في جامع الزيتونه

لقد كانت فاتحة السنة الدراسية بالمعهد الزيتوني في هذا العام تغاير ما كانت عليه في السنوات الماضية مغايرة لها عظيم الاثر في الحياة العلمية بهذا المعهد العلمي العظيم فقد فكر عدد من مدرسي المعهد في حالة التعليم به وما تتطلبه من اصلاحات لترقية مستوى التعليم ولما اشتد عزمهم على ذلك اعلنوا بالصحف السيارة على عقد اجتماع دعوا اليه كافة المشايخ المدرسين بالمعهد وفروعه ببلدان المملكة وعينوا تاريخه بيوم الاثنين الخامس عشر من شوال الموافق لليوم الثاني من اكتوبر عام التاريخ والغرض منه تيقرير عقد مؤتمر عام لاصلاح التعليم بالمعهد الزيتوني وفروعه وتشكلت لجنة تحضيرية لتحضير الاعمال تتركب من المشايخ محمد الفاضل بن عاشور . محمد صالح النيفر محمد الشاذلي ابن القاضي

وكان اول اعمال اللجنة اعلام المشيخة بما وقع العزم عليه ثم طلب الرخصة من الوزارة الكبرى على طريق المشيخة العلمية في عقد الاجتماع العام وقبل تاريخ انعقاد الاجتماع المعلن عنه تحصلت اللجنة على الرخصة

وعلى الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين الخامس عشر من شوال والثاني من اكتوبر انعقد اجتماع المدرسين بقاعة الخلدونية الكبرى حضره نيف واربعون من مدرسي المعهد على اختلاف طبقاتهم كما حضره عدد من مدرسي الفروع ببلدان المملكة نيابة عن زملائهم

وقد افتتح الكاتب العام للجنة التحضيرية الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الجلسة مبينا تكوين الفكرة والدعوة الى الاجتماع والاسترخاص من الحكومة ثم اخذ راي المشايخ

فوافقوا على عقد مؤتمر علمي لترقية التعليم في المعهد وفروعه للحاجة الماسة لذلك ثم وقعت المفاوضة في القانون الاساسي وبعد المصادقة عليه انتهى الاجتماع والكل يستبشر خيرا بهذه الحركة العلمية المباركة متواعدين موالات الاجتماعات لاتمام الاعمال التحضيرية ثم الشروع في اعمال اللجان

وفي الجلسة الموالية وقع انتخاب اللجنة التنفيذية فاسفر على انتخاب المشايخ محمد الفاضل بن عاشور الطيب النليلي محمد صالح النيفر محمد بن نية محمد الشاذلي ابن القاضي

ثم وقع انتخاب اعضاء اللجان جملة وعددهم اربعون عضوا وانتخاب المستشارين فكانت النتيجة على الصورة الآتية :

١ – لجنة اماكن التعليم ومساكن الطلبة

المشائخ محمد الهادي بن القاضي (مقرر اللجنة) محمد المنستيري علي بن مراد العربي العنابي اعضاء

٢ – لجنة الثقافة العامة

المشائخ محمد الفاضل بن عاشور (مقرر اللجنة) محمود بن الطاهر محمد ابن نية مصطفى المؤدب اعضاء

٣ – لجنة الاشراف على تنظيم التعليم

المشائخ محمد صالح النيفر (مقرر اللجنة) ابراهيم بن مراد احمد شابي عبد الرحمن خليف (نايب عن مدرسي فرع القيروان) اعضاء

٤ – لجنة التعليم الشرعي والارشاد

المشائخ محمد الشاذلي ابن القاضي (مقرر اللجنة) العربي الماجري – احمد بن ميلاد – محمد شاكر (نايب عن مدرسي فرع صفاقس) اعضاء

٥ – لجنة تعليم العربية وآدابها

المشائخ محمد بوشربيه (مقرر اللجنة) الطاهر القصار التهامي الزهار – الاسعد قديه اعضاء

٦ – لجنة التعليم الرياضي والطبيعي

المشائخ عبد الوهاب الكرارطي (مقرر اللجنة) محمد الاخوة عثمان التابلي محمد بن مبارك اعضاء

٧ – لجنة تنسيق التعليم العربي العام

المشائخ محمد الشاذلي النيفر (مقرر اللجنة) محمد بن زمايقيه الطاهر الغمراسني يونس التابعي (نايب عن فرع سوسه) اعضاء

٨ – نظام المدرسين ومستقبل الشهادات الزيتونية

المشائخ محمد المختار بن محمود (مقرر اللجنة) مصطفى بن جعفر عبد الحميد حيط عمار الوسلاتي (نايب عن فرع سوسه) اعضاء

٩ – لجنة التعليم التحضيري

المشائخ بلحسن الاخوة (مقرر اللجنة) محمد عباس – احمد النيفر حسن العرفي (نايب عن فرع صفاقس) اعضاء

١٠ – لجنة التعليم الاسلامي العربي للبنات

المشائخ الطاهر النيفر (مقرر اللجنة) الطيب التابلي احمد المهدي النيفر يوسف خاخم (نايب عن فروع صفاقس) اعضاء

الاعضاء المستشارون

الاساتذة العابد مزالي ـ محمد علي العنابي ـ عبد الوهاب باكير ـ علي البلهوان عبد الحميد بوسن محمود المسعدي ـ محمد سويسي ـ عبد السلام الكناني ـ الجلولي فارس ـ المنصف المنستيري ـ عثمان الكعاك ـ الطيب العنابي ـ الصادق بسيس ـ احمد القروي

وقد والت اللجان اجتماعاتها وحررت لوائح الاصلاح ثم وقع عرضها في جلسات عامة وما زالت هذه الجلسات تعقد بقاعة المكتبة الخلدونية مساء كل احد واثنين على الساعة الخامسة

وسنوافي قراءنا الكرام عن مقرراتها عندما يتم اللجان اعمالها .

هذا وان العمل الجليل الذي قام به المدرسون بالمعهد الزيتوني العظيم لجدير بان ينظر اليه بعين الرعاية والتقدير لما ينطوي عليه من تحقيق آمال شعب كامل بل شعوب الشمال الافريقي في رقي نظام التعليم بجامع الزيتونة معقل الدين الاسلامي واللغة العربية الفصحى بهذه الاصقاع الاسلامية العربية والمورد الصافي الذي يكرع منه ابناؤها ويتغذون بلبانه ولطالما تاقت نفوس مفكري هذه الشعوب واصحاب الراي فيها لمشاهدة مثل هذه الحركة من شيوخ التدريس بالمعهد الزيتوني لما علموا منهم ان التعليم بهذا المعهد يحتاج الى اصلاح حقيقي شامل وما ادركوه من نقص في المتخرجين منه في بعض المواد التي يلزم ان يحيطوا بها علما فقيام المشايخ المدرسين بهذا الامر العظيم يعد كجواب عن ذلك النداء المتكرر الذي ينطق به حال اهل الراي وقادة الفكر بهذه الربوع واداء الواجب الذي يحس به المدرس نحو معهده ونحو دينه ولغته ونحو وطنه العزيز

واذا راينا المشايخ المدرسين يسيرون باعمال اللجان في جو هادي لا تكتنفه الدعايات علمنا انهم يقصدون بعملهم هذا الجد ولا يتطلبون جزاء ولا شكورا يبحثون في الحقايق وما يوصلهم الى الغايات الحميدة لا يرغبون في الزخارف التي لا تغني من الحق شيئا

وهذا شان من يقدم على عمل اصلاحي عظيم ويروم نجاح مساعيه يبذل قصارى همته في البحث المنتج ويجعل رائده البلوغ الى غايته السامية ويخلص فيما انتدب اليه وذلك آية النجاح بعون الله تعالى

وبالفعل فان اللجان سارت سيرها الموفق بتاييد الله تعالى من غير زخرف من القول ولا دعايات ملفقة وقطعم مراحلها الاول تعقد الاجتماعات المتوالية وتتبادل فيها الاراء الصائبة وتعمل بجد ونشاط تشعر بعظم المسؤولية ووقر الحمل الذي تحمله حتى تبلغ به الى شط السلامة بحوله تعالى وقوته والله الهادي الى اقوم سبيل

وله حين جهز الامير علي باي ولديه حمودة والمامون في جيش عظيم ظم أعيان دولته بقصد الطواف بالمملكة على سبيل التدريب

اقلا علي اللوم اني لفي شغل ... شغلت بسلمى اين من اهلها اهلي

اقامت بذات الجذع من جانب الحمى ... وها انا ما بين الصدى والنوى رحلي

يمثل لي منها بكل ثنية ... خيال اذا غمضت ابصرته حولي

تكاد تناجيني وبيني وبينها ... من البعد ما بين السماحة والبخل

ولم انس في جور الوداع وقوفنا ... وقدفت داعي الفصل في ساعد الوصل

فحمنا عن الاقوال فيه وانما ... قنعنا بايماض العيون عن القول

هناك يمل العيش من لا يمله ... وتنقلب الاوضاع علوا الى سفل

عذيري من الايام اعظم فجورها ... واعظم ما جارت به فرقة الشمل

فيا ويلها لم تعي من كسر خاطري ... ويا رحمة لي من افاد بها عذلي

على انها او جادلت لقضى لها ... بسابقة الاحسان من كان ذا عقل

تقول فأن المرء لم يصف عقله ... اذا بات كالعود الطافل في النعل

وما العقل الا ان يرى فوق سابح ... تطير به من سفح تل الى تل

تصبحه بين الالى وعراره ... وتمشي به بين الصنوبر والاثل

وترفعه يوما الى صدر موكب ... وتنطبه طورا بسوح أبي حسل

بهذا يقاد العز بعد شماسه ... ولا يمكن الانتاج الا من الشكل

قضيت حق ان نبا عنك سمعها ... فعد ناظرا فيها ولا تمض في جهل

وسل كل ذي عز بجيبك بصدقها ... ويكفي علي بن الحسين عن الكل

هو السيد الباشا والاقف له ... ذ اقفت في هذا الوجود على مثل

تبرم من دين الركود وقد راى ... بنجليه ما يعني الغضنفر بالشبل

توسم في حمودة مبلغ المنى ... وفي خلق المامون عارضة النبل

هما درة الملك الذي يصطفيهما ... ونعم جناحا طائر العقد والحل

اذا نظرت عيناك من بان منهما ... سمعت مقال الملك هذان من شكل

فاحضر بالاسفار ما غاب عنهما ... ورقاهما في الحال عن حالة الطفل

ليكسبهما ان السكون استكانة ... وان اقتناص الخير من صهوة الخيل

قصدوا عن الخضراء لا عن ملالة … وساروا بعون الله في حفظ ذي الطول

وباتوا على بيرين اول منزل … فقلنا استفادوا البر من اول الفعل

وحثحث من ماء الغدير جيادة … الى تلة الغزلان تكسح بالبزل

ويا حسنها بعد الخريريب اذ غدت … الى منزل القيعان تسل كالسيل

ولما رأت شماسا امتد ذرعها … لتبليغ ميدان الذراع على رسل

وجاءت الى النشبان ثم تخلصت … بادرار دور القيروان من الحمل

منازل كانت في يديه كنانة … يناضل عنها بالعتيد من النبل

اسطت على من جاء يخطب وصلها … وقالت له ما بعد بعلي من بعل

وابرقت الارجاء منها وارعدت … وباتت قدور الحرب من حولها تغلي

وله يستعطف الباشا محمد الرشيد

زين صدور المحفل ❊ بنوا حسين بن علي … اهل الوفاء والنهى ❊ من الطراز الاول

في ملكهم جلالة ❊ وكونه لهم جلي … سيرتهم حميدة ❊ قامت بهدي الرسل

حتى غدت دولتهم ❊ تغبط بين الدول … العفو والحلم لهم ❊ طبيعة لم تزل

قد ورثوها خلف ❊ عن سلف مفضل … لايكبر الذنب لهم ❊ ولوغدى كالجبل

بل ربما عدوا الذي ❊ اذنب مثل المفضل … وابغض الناس لهم ❊ واش اتى بخلل

عساهم اذ ياخذوا ❊ في خطتي بالامثل … ويهبوا اساءتي ❊ لعفوهم عن زللي

فانني معترف ❊ بما جنته انملي … وفضلهم اوسع من ❊ جنايتي وخطلي

فالله يبقيهم كما … شاءوا بنيل الامل

ولهمؤرخا تجديد قنطرة وادي مليان

انظر لجسر ينجلي ❊ بكل صنع اجمل … يزهو به مليان عن ❊ مجردة ويعتلي

ومن معاني اسميهما ❊ يظهر فضل الاول … وزاد فضلا اذ دنى ❊ لمن بنى بالمنزل

نجل حسين من نحى ❊ منحى الهداة الاول … بلغه خالقه ❊ ما يبتغي من امل

وباسمه ارخته ❊ زكا سه الباشا علي

سنة ١١٨٠

ولـه ايضا

قل للشهود تعززوا … فسوقكم ذات عيث

لا تطمعوا ان تهوزوا … من عاشر بثليث

ان الكسور توارت … في كف شاهد غيث

في الـوزارة الكبرى

اسند صاحب العرش الحسيني سيدنا محمد الامين باشا باي اقلا الله منصب رئاسة القسم الاول بالوزارة الكبرى المنحل عن صديقنا امير الامراء محمد قاسم المحال على التقاعد الذي انحلت في مدته اعقد مشكلة زيتونية وهي قضية مدرسي المعهد الى كفاءة امير الامراء الشيخ محمـد الطيب بالخيرية فاحدث ذلك ارتياحا عظيما في الاوساط العلمية الزيتونية لان هذا المنصب الجليل تقلب فيه رجال عظماء من خريجي جامع الزيتونة قاموا باعبائه احسن قيام وآخـرهم الشيخ البشير السقـاط وفي بسناده اليوم الى رجل الادارة والحزم دليل على عناية صاحب المملكة ايده الله باناطة مهـام الـدولة اعظماء الرجال وتقدير قيم المتخرجين من المعهد الزيتوني ذوي الكفاءة والمقدرة امثال الشيخ محمد الطيب بالخيرية الذي تقلب في مناصب الدولة وتسنم ذروتها وسلمت له المقدرة من الجميع

كما ان الشيخ اقام الدليل على مرونة الزيتوني ومقدرته على تحمل اعباء المناصب العالية والقيام بها على اكمل وجه في جميع الوظائف التي تقلد امرها وفيه جواب ضمني على مـزاعم من يغمس قنات الزيتوني ولا يـرى فيه الكفاءة في تحمـل المناصب الادارية ويستنـد على مظاهـر بعض الامتحانات والمناظرات ولم يعلم ان متخرجي المعاهد العلمية تتفاوت مـداركهم والحكـم بالقياس على فرد او بعض افراد حكم غير صحيح

وانا نستبشر خيرا بما يقدمه جنابه الى المعهد من خدمات وما سيعين به المولى الـوزير الاكبر في النهوض به الى المستوى اللائق بسمعته وسمعة المملكة التونسية

وايد ذلك ما كان في فاتحة ايامه من جمع مجلس الاصلاح للنظر في حاجيات المعهد وما يتطلبه اساتذته من ترقية مناهج التعليم

وانا نؤمل من جنابه ان يكون عضوا عاملا يعمل على رقي المعهد الى اقصى حـد وهو المعهد الذي تغذى من لبانه فيكون عند حسن الظن به

كما نؤمل منه ان يحفظ حقوق متخرجيه وينزل الاكفاء منازلهم ولا اخاله الا فاعـ اعانه الله على ما اولاه وامده بالتوفيق والسداد

عدد ٩

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء التاسع	تونس في صفر ١٣٦٤ وفي فيفري ١٩٤٥	المجلد الخامس

عدد خاص

رئيس قلم التحرير : محمد المختار بن محمود

المدير : محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات : ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة : نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس - تليفون ٤٩-٢٦

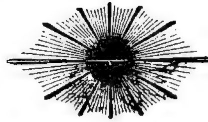
حساب مستمر بادارة البريد رقم ٢٤٢٢

الثمن ١٠ فرنكات

مطبعة الارادة

فهرس العدد

الصفحة	المقال	صاحبه
	الافتتاحية	
٢١٧	الاسلام والمبشرون	محمد الشاذلي ابن القاضي
٢٢١	دور جامع الزيتونة نحو الدعاية المسيحية	
٢٢٣	خطاب مدير المجلة بين يدي الملك المعظم	
٢٢٤	احتجاج المشائخ المدرسين بجامع الزيتونة	
٢٢٥	احتجاج طلبة جامع الزيتونة	
٢٢٦	شهادة القس لوازون الفرنساوي بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم	
٢٢٧	رأي للمستشرق الامريكي ادواردو رمسي في الاسلام والمدنية الحديثة	
٢٢٨	نداء للعمل ـ بقلم الاستاذ برنارد يشو	
٢٢٩	التبشير بين المسلمين ـ بقلم مارقريت ميلز	
٢٣١	ولاية صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخا للجامع الزيتونة وفروعه	
٢٣٣	خطاب صاحب الفضيلة سماحة شيخ الجامع في حفل التنصيب	



الاشتراكات

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر
والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ١٠٠
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ١١٠
مجلد المجلة عشرة اعداد

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء التاسع	تونس في صفر ١٣٦٤ وفي فيفري ١٩٤٥	المجلد الخامس

الاسلام والمبشرون

« يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون »

ظهرت من الكنيسة البروتستانية بتونس في العهد الاخير نشرية تهجمت على الاسلام والمسلمين وخاصة على مقام الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وكشفت القناع عما يقوم به الرهبان والراهبات في هذا الشمال الافريقي مما يسمونه بالتبشير وما يرتكبونه من الحيل لتنصير ابناء المسلمين والدعوة الى بذل الجهد لجلب الملايين من المسلمين للمسيحية والسعي الحثيث للوصول الى هذه الغاية.

ونحن بما علينا من الواجب نحو هذا الدين الحنيف الذي ندين به ونحو اخواننا المسلمين وما فرضه علينا الاسلام من الاصداع بالحق والرد على كل متهجم معاند نجيب هؤلاء القوم عما نشروه واذاعوا به من الترهات والاباطيل

تقول الرسالة « هل تستيقظ الكنيسة قوية وغازية فتجلب للمسيح هؤلاء الملايين من المسلمين الذين اضلهم نبي دجال » فتصف بهذا الوصف مقام سيد الوجود الهادي الى الحق بتعاليم دين الله القويم الذي اخرج الناس من ضلال الشرك والكفر الى نور اليقين وانقذهم من حضيض

الوحشية الى الحالة الراقية من الحياة الاجتماعية كما نطقت به آثار الاسلام على الشعوب الافريقة يوم مد شعاعه عليها فقد الفاها على ذلك الحال فنقلها من الدركة الساقطة التي كانت عليهـا الى درجة عالية من النظام والرقي ومكنها من العز والسيادة وتطورت ذلك التطور العجيب لما اتبعت تعاليم الاسلام كيف لا والاسلام قد طهر قلوبهم من ادران الشرك والتجسيم واسقط من عقـولهم تلك الاوهام والاباطيل وانقذهم من الضلالات الوثنية فاعترفوا لله تعالى بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة التي تشملهم فقاموا باركان الاسلام وعبدوا الله كما يحب ان يعبد به وكما علمهم ، واجتث الاسلام من نفوسهم ما ركمته معتقداتهم مما ينافي العقل ويضلل الفكر ويكدر صفاء الروح فنشطت فطرتهم من عقالها ولمت ملكاتهم بعد ان تكاس عليها غبار الاوهام دهرا طويلا فاندفعت قواهم الذاتية الى تغيير الموقف في الحياة وتعديل الوجهة في السلوك فشع العلم وسطع نوره وتهذبت الاخلاق ولانت العريكة وصلحت النفوس وقلت الشرور وساد الوئام

ولا غرابة في ذلك فان الاسلام ينهى عن الفساد في الارض وعن الشرور والآفات كقتل النفس بغير حق والتعدي على الحقوق وتعاطي المسكرات والمقامرة والسرقة والربا واكل اموال الناس بالباطل والعدوان وارتكاب الدنايا والموبقات واحتقار الضعفاء واهمـال التربية . ويحث على مكارم الاخلاق ويامر بالمعروف والشفقة والرحمة بالانسان والحيوان والمحبة ويحث على الاحسان والصدقة والزكاة واعانة المحتاج واغاثة الملهوف ، وعودهم النظافة والنظام وامرهم بتحري الحق والصدق في المعاملات والتباعد عن الغرور والمخادعة وامر باصلاح المعيشة بالوسائل المشروعة والترفع عن الظنون والاوهام ومجانبة اهل البطالة والعصيان وامرهم بالاقبال على العمل . وبالجملة يامر بالعدل وكل الفضائل وينهى عن الفحشاء والمنكر وكل الرذائل فهذه وامثالها تعاليم الاسلام التي امر بها صاحب الرسالة الاعظم صلى الله عليه وسلم واهتدى بها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها فجعلت المسلمين من عهد الرسالة من الوجهة الاخلاقية والاجتماعية في اعلى درجات الحضارة واخرجت الناس من عالم الوحشية الى عالم الانسانية الفاضلة

فكيف يسوغ عاقل لنفسه ان يصف هذه التعـاليم بالضلال ويصف صاحبها بمـا وصفه هؤلاء الرعاع . انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

وهل من تعاليم سيدنا المسيح التعدي على الناس ورميهم باوصاف يتنزه اللسان الطاهر ان ينطق بها ولا يبيح لصاحب المروءة ان يلصق بهـا واحدا من عموم النـاس فضلا عن اصحاب المقامات السامية فضلا عن رسول يدين برسالته نيف وثلاثمائة مليون مسلم

وهل من الحكمة رفع الصوت عاليا بالدعوة الى غزو عقول المسلمين وقلوبهم في بلاد اسلامية عرف اهلها بالتسامح مع الضيف ولو كان من اعداء الدين ومجازاتهم على صنيعهم هذا بمثل هذه الوقاحة التي لم نرو مثلهـا ولو في عهد التعصب الصليبي ؟ وتتجرأ النشريـة على المسلمين فتقول :

« والعرب قوم على غاية من التعصب وان جميع اتجاهاتهم وغرائزهم تميل بهم للاباحية والشر وقسوة الطباع » ما هو مظهر التعصب الذي ظهر لكم فحكمتم عليهم بهذا الحكم ؟ أمن اقبالهم على الله واعتقادهم بوحدانيته تعالى واخلاص العبادة له وحده ووصفه بصفات الكمال وتنزيهه عن النقائص وصفات المخلوقين ام من شدة تمسكهم بدينهم الذي علمهم كيف يعاشرون اهل الكتاب بان لهم ما للمسلم وعليهم ما عليه . وكيف يعاشرون الناس كافـة بالعدل والاحسان ؟ ام من سماحهم لكم بمساكنتهم واقامة شعائركم بارضهم وشراء حاجياتهم من شركاتكم وتعليم ابنائهم بمدارسكم وتمريض مرضاهم بمستشفياتكم كمـا قلـتم ؟ ام من اعتقادهم بنبوة انبياء الله الذين منهم سيدنا المسيح عليه الـسلام وانه رسول الله والشهادة لهم بصفات الكمال كالعفة والامانة والصدق والعصمة ؟

وما هو المظهر الذي ظهر لكم فحكمتم بان غرائزهم تميل بهم للاباحية والشر ؟ امن مقتهم للالحاد والملاحدة الشيء الذي جاءت به المدنية الحديثة وهم اشد الناس مقاومة له ؟ ام من مظاهر الخلاعة والمجون التي ما انفك المسلمون يقاومون تيارها الجارف بكل ما لهم من علـم بخطرها الذي حذرهم منه دينهم القويـم ؟ ام من انقيادهم للقوانين العامـة والوقوف عند الحـدود التي تفرض عليهـم واحترامهم للنصوص ؟ ام من استتبـاب الامن واكرام الضيف ولـو كان من غير ابناء جنسهم واعانته على مهماته الشاقة والنصح له وامنه على ماله وعرضه ؟

انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

اعجب لمن يروم اصلاح الناس فيما يزعم وصدهم عن المهالك ويداه مخضبتان بالاثم والعدوان وهلا اعتنى القوم بشبابهم الذي يمرق من حضيرة معتقداتهم كل يوم كما يمرق السهم من الرمية متأثـرا بالدعايـات الالحادية التي يئن من وقرها اهل العقول وما انفك اولوا العزائـم الصادقـة من ابناء هذا العصر وقادة الفكر فيه يردون عليها ويقاومونها بكل حجة وبرهان ذلـك اجـدى لهم من الهجوم على المسلمين وتسفيه عـدد ليس بقليـل يعد بمئات الملايين وانتهـاك الحرمات ومس احساس اولائك المئات من الملايين وشتم رسول الله حاشا الرسول مما يقولـه المعاندون

كنا نحسب اننا في عصر زالت فيه الحجب وتعلم الناس احترام الحقوق الخاصة والعامة واندك فيه صرح التعصب يقوم الناس على حسن المعاشرة متمسكين بما ينبغي من الاداب سالكين مسلكا يرفع لواء السلام ويبسط عليهم ظلال الامن والوئام ويمكن العائلة البشرية المختلفة المذاهب والنحل

من العيش متعاون افرادها على المصالح العامة تعمل كل جماعة بمصالحها الخاصة حسب تقاليدها الدينية والقومية من دون ان تلحق بغيرها ضررا ولكن النفوس العليلة التي لا تشعر بالواجب تستغل الظروف لتجلب لنفسها ما تحسب ان فيه الشفاء والصحة والراحة وما يسد نهمتها التي تركها المرض فينقلب عليها وبالا وحسرة . انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

اما كلمتهم التي بينوا فيها طرق التبشير التي تسلكها الكنيسة فجوابنا عنها موجه الى اخواننا المسلمين . تقول الرسالة فيما استعرضته من طرق التبشير في الاوساط الاسلامية انها كثيرة منها

ترويج الكتب الدينية بمحلات المطالعة والاسواق والمقاهي العربية .

ومنها وهو انجعها واجداها نفعا - فيما يقولون - السعي لدى الاطفال خصوصا اذا امكن ابعادهم عن اي تاثير اسلامي

ومنها تكوين الملاجي لصغار العرب .

ومنها تاسيس دروس خياطة يزدوج فيها التعليم التطبيقي بتعليم الانجيل .

ومنها الزيارات للديار العربية - الاجتماع بالنساء المسلمات - وتقديم النصيحة المسيحية .

هذه بعض الطرق التي افصحت عنها الرسالة .

فيا معشر المسلمين ان مما فرضه الله علينا ان نذكركم بما يوجبه الاسلام وننصح لكم ازاء هذه الاعمال وهاته الطرق الضارة بكم وابنائكم ومرضاكم ونسائكم

فالواجب عليكم ان تحذروا هؤلاء الناس فلا تعلموا ابناءكم وبناتكم في مدارسهم ولا تداووا مرضاكم في مستشفياتهم وقد اعدت لكم الحكومة المدارس والمستشفيات وفي كل حين تزيد في العدد فلا يباح لكم تقديم فلذات اكبادكم لهؤلاء الذين ظهر امرهم للعيان ولا تامنوهم عليهم بعد ما علمتم برامجهم . واتقوا الله فيما تحت امانتكم والله يحب المتقين .

محمد الشاذلي ابن القاضي

دور جامع الزيتونة

نحو الدعاية المسيحية

لما اطلعت الهيئة العلمية بجامع الزيتونة على ما تضمنه المقال المنشور بنشرة الكنيسة (عاملون مع الله) حصل لها الاستياء العظيم والالم الشديد من التجري على مقام الرسول الاعظم رسول الانسانية ومنقذ البشرية صلى الله عليه وسلم

احتجاج المشايخ المدرسين

في يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٦٤ اجتمع المشايخ المدرسون بالجامع الاعظم على الساعة الحادية عشرة وبعد البحث ومداولة الآراء قرروا الذهاب للمشيخة العلمية لتقديم احتجاجهم وطلب تبليغه للمراجع الحكومية فخرجوا قاصدين ادارة المشيخة فتلقاهم كاتب الادارة وادخلهم الى مكتب نائب شيخ الجامع وهنالك حرروا نص الاحتجاج وختم بامضاءاتهم وقدموه الى نائب شيخ الجامع الشيخ علي النيفر ليبلغه الى فضيلة شيخ الجامع الذي كان قد غادر الادارة قبل قدومهم ليبلغه الى الحكومة

وفد المشايخ المدرسين عند الحضرة العلية

وفي مساء اليوم العاشر من محرم ام وفد من المشايخ المدرسين على راسه سماحة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الاعظم الشيخ صالح المالقي قصر الامارة بحمام الانف وحضي بمقابلة صاحب العرش الحسيني سيدنا محمد الامين باشا باي بحضور دولة الوزير الاكبر امير الامراء سيدي صلاح الدين البكوش فاعرب شيخ الجامع للحضرة العلية عن الاستياء العظيم الذي حصل للهيئة العلمية بجامع الزيتونة مما نشر بنشرية (عاملون مع الله) والتمس منه اتخاذ موقف يصد المعتدين عن ارتكاب امثال هذه الامور التي تمس بكرامة الاسلام والمسلمين

تصريحات الجناب الملكي لوفد المدرسين

اني مهتم بهذا الحادث اكبر الاهتمام من قبل ان تخاطبوني في شانه وفي صباح هذا اليوم كلفت الوزير ليخاطب المقيم العام في شانه واعلمني الآن ان المقيم العام يعتذر لي عما حدث وانه اتخذ الاجراءات اللازمة نحو هؤلاء الناس وانه يعدني ان لا يعاد مثل هذا الحادث في المستقبل

- ٥ -

تصريح جناب الوزير الاكبر

ان الرقابة قدم ابها في ذلك اليوم نحو تسعين كتابة ولذلك وقعت الغفلة في السماح بصدور ذلك المقال الذي اشتملت عليه النشرية

وقد القى الاديب الفحل الشيخ الطاهر القصار قصيدا بليغا بين يدي الملك كما القي على الاسماع الملكية محمد الشاذلي ابن القاضي خطابا يجده القاري فيما بعد

وبانتهائه منه تسلمه الجناب العالي ابقاه الله وسلمه الى حضرة الوزير الاكبر وقال له :

يترجم هذا الخطاب . ثم بلغه الى المقيم ليجيبني عنه

ثم وقف شيخ الجامع وختم المجلس بقراءة فاتحة الكتاب

الهيئة الشرعية

وقد بلغنا ان اصحاب الفضيلة شيوخ الشرع العزيز قدموا احتجاجهم للحكومة

مدرسو فروع الآفاق

كما بلغنا ان مدرسي فروع الافاق قدموا احتجاجهم على طريق المشيخة العلمية بجامع الزيتونة

جمعية الشبان المسلمين

قامت جمعية الشبان المسلمين برفع نازلة وطلبت من نائب الحق العام المحاكمة لردع امثال هؤلاء القوم

بلاغ الوزارة الكبرى

وبعد فبناء على ما اطلعنا عليه من بعض النشريات التي من شانها ان تمس بكرامة الدين الاسلامي الحنيف فان ممثل الحكومة الفرنسوية الحامية التي تربطها علائق متينة مع العالم الاسلامي قد استاء كثيرا مما تضمنته هاته النشرية ويعلن ان فرنسا لازالت ولن تزال محافظة على سياسة التسامح مع كافة العناصر الاسلامية واحترام العقائد والاديان وقد وقع اتخاذ الاحتياطات اللازمة حتى لا يعاد مثل ذلك في المستقبل اه .

المجلة ـ ان عبارة التسامح التي جاءت في البلاغ تعجب منها المسلمون لانهم يعتقدون وكما هو الواقع ان اقامة الدين الاسلامي والشعائر الاسلامية في هذه الديار الاسلامية ليست من باب التسامح من الحكومة الفرنسوية بل ان الدين الاسلامي هو الدين الرسمي للحكومة التونسية ولسمو الباي المعظم من عهد نصب الحماية الى اليوم وهو دين رعاياه المخلصين للعرش الحسيني المحروس فكيف يمن عليهم بالتسامح مع كافة العناصر الاسلامية

على ان المسالة وراء ذلك فهي مسالة اطفاء غضب هؤلاء العناصر الذين طعنوا في الصميم ولا يظن انها مجرد قضية بسيطة يكفي فيها مثل هذا القول الذي عاد على موضوعه بالنقض ونحن نجاهر الحكومة بما يحس به اخواننا المسلمون وما يتحدثون به لتدارك الامر بسياستها الرشيدة

خطـــاب

الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير هذه المجلة امام الملك المعظم سيدنا محمد الامين باشا باي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

اما بعد فيا ايها الملك المعظم ان الهيأة العلمية بجامع الزيتونة اوفدت الى سدتكم العلية هذا الوفد ليعرب على لسانها بما تشعر به من الم شديد من التعدي الفظيع الذي تجرأت به الكنيسة فنشرت ببلادكم الاسلامية نشرية تهجمت فيها على مقام صاحب الرسالة الاعظم صلى الله عليه وسلم وعلى دينه الحنيف الذي يدين به رعاياكم المخلصون وما تقوم به من التبشير لتنصير ابناء المسلمين وفتياتهم بما تتخذه من وسائل الحيل والخديعة .

ولقد فرض الله على العلماء ان ينصحوا من اولاه الله امرهم ويذكروه بما اوجبه الله عليه نحو ما يضر بالرعية لا سيما ما يضر بدينهم او بدين ابنائهم وبناتهم .

من اجل ذلك فنحن نطلب يا مولانا تنفيذ ما التزمت به الحكومة الفرنساوية للمقدسين اسلافكم العظام من احترام الدين

وعدم ـ السماح بنشر اي رسالة او مقالة فيها ما يمس بدين المسلمين

ثانيا ـ الاعتذار الصريح عما صدر في رسالة « عاملون مع الله »

ثالثا ـ محاكمة الناشر والمطبعة لمخالفتهم القانون العام

رابعا ـ سن تشريع يمنع المسلمين من تعليم ابنائهم في مدارس الرهبان والراهبات ويمنعهم من التداوي بمستشفياتهم فلقد أنشأ المبشرون والرهبان المدارس لتعليم الفتيان والفتيات وبنوا لهم الملاجي والمستشفيات وهو عمل ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه التضليل والتنصير

ومع الاسف قد اقبل عليها ضعفاء العقول على حسن نية من غير ان ينتبهوا الى ان وراء الاكمة ما وراءها فنحن نطلب منعهم من ذلك وقديما قال الحكيم يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقران

يا ايها الملك الهمام اترضى ان يتهجم النصارى على سيد الوجود حتى يصفوه بالنبي الدجال اترضى تنصير ابناء المسلمين وبناتهم ؟ اللهم لا

نحن نعلم يا مولانا غيرتك الدينية وحميتك الاسلامية وشدة اخلاصك لصاحب الرسالة الاعظم صلى الله عليه وسلم فقم يا مولانا بالدفاع الذي اوجبه الله عليكم والله يؤيدكم ويثبت اقدامكم وينصركم على القوم الكافرين .

احتجاج المدرسين

بجامع الزيتونة على ما جاء في رسالة - (عاملون مع الله) -

فضيلة مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الاعظم وفروعه - دام علاه

يامولانا

ان الهيأة الزيتونية بلسان اجماعها الذي نطق به تلامذتها المضربون عن الدروس في هذه الساعة واساتذتها الحاضرون بمقام مشيختكم الجليلة يعربون عما نال الامة الاسلامية عموما من الاهانة والتعدي في ما تهجمت به نشرة الكنيسة على المقام الاسمى مقام سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وعلى دينه الحنيف

وان الامة الاسلامية المدينة بقوة جامعتها وبما تاوي اليه من حرمة وتصول به من عزة للواسطة العظمى في شرف هذه الجامعة الذي هو من اثار التشريف الالاهي لذات هذا النبيء الاكرم صلى الله عليه وسلم ترى ان الهم بالتهجم على مقامه الارفع هو نيل من شرفها الملي وحرمتها الذاتية وعزتها القومية .

وان اهل العلم من هذه الامة بما بوأتهم نسبتهم من هذا المقام الكريم من منازل الحرمة والاعتبار يرون فرضا عليهم ان يكونوا الصادعين بهذا الاحتجاج البالغ من الامة الاسلامية اسوا مبلغ فيتوجهون الى مقامكم العلمي الشريف رجاء رفع احتجاج الهيأة العلمية الدينية وعلى سماح قلم مراقبة المطبوعات برواج مثل هذا الهذيان في الوقت الذي تؤاخذ فيه نشراتنا بالسفاسف ويشدد عليها اكمل التشديد احتجاجا يبلغ من طرف مشيختكم الجليلة الى السفارة الفرنسوية بتونس والوزير المعتمد للحكومة الفرنساوية بشمال افريقيا ووزارة الامور الخارجية بفرنسا من الطرق الرسمية

والقيام بدعوى قضائية لزجر الهيأة المقدمة على هذا التهجم وردع امثالها

والله يبقيكم سندا للدين وقوة على المعتدين

وكتب في تاسع المحرم سنة ١٣٦٤ على الساعة الحادية عشرة

احتجـــــاج طلبة الجامع الاعظم

المرفوع لكل من جلالة الملك المعظم وسعادة السيد بيدو وزير خارجية فرنسا والجنرال ماست المقيم العام بتونس



وبعد فان طلبة الجامع الاعظم بحاضرة تونس تتبعوا بغاية الانتباه والاستياء ما جاء بنشرة « عاملون مع الله » التي اصدرتها بتونس - البلاد الاسلامي العربي - هيئة الكنيسة الاصلاحية « البروتستان » من التهجم الصريح على مقام صاحب الرسالة العظمى سيد المصلحين ونبي هذه الملايين من المسلمين التي تزخر بها ارجاء المعمورة

وما جاء من وصف الاسلام بكونه دين العبودية والاسترقاق وهو من اجل هذا يفرض الشقا والآلام على تلك العقيلات والكرائم المسلمات اللاتي يتبعن دستوره ونهجه . وما جاء ايضا من وصف العرب بالتعصب وحب الشر والاباحية وقسوة الطباع ، وبانهم لا يستطيعون مفارقة الشر لتاصله في نفوسهم الى غير ذلك من الاباطيل والاوهام. ان كلاما كهذا كاف لان ينشر فتنة عمياء يحمل الوزر في اثارتها - من دون ريب - على هؤلاء القوم الذين لعبت برؤوسهم نعرة التعصب الديني

غير ان تعشقنا للتروي وحبنا للرصانة والتعقل . تلك التعاليم السمحة التي استقيناها من ديننا السمح الكريم تجبرنا بان لا نقف مواقف الطيش والرعونة التي وقفها الآخرون لانطوائهم على الحقد وجهلهم عواقب الامور ، بل نكتفي الآن ببعث هذا الاحتجاج الصارخ الصادر من قلوب ملئت استنكارا واستياء من جراء هذا الموقف الوقح الذي تقفه هيئة الكنيسة المومى اليها .

ولا يفوتنا في هذا المقام ان نلاحظ : ان العود لمثل هذا الطعن والتخرصات والاباطيل لن تكون محمودة العاقبة اذا انتهكت حرمات الدين في شخص رسوله . ووصل الاعتداء الى الطعن في صلوحية هذا الدين ووقع التهجم على العقيدة ورميها بالنقائص

شهادة القس لوازون الفرنسي

بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم *

لقد جل نور حكمة القرآن الذي انزله الله على صدر نبيه المبعوث لا محالة لارشاد البشر - والله يعلم حيث يجعل رسالته - فمحمد بلا التباس ولانكران من النبيين والصديقين وهو رسول الله القادر على كل شيء بل وانه نبي عظيم جليل القدر والشان امكنه بارادة الله تكوين الملة الاسلامية واخراجها من العدم الى الوجود بماصير اهلها ينيفون عن الثلاثمائة مليون من النفوس وداسوا بابلهم سلطنة الرومان . وبرماحهم قطعوا دابر اهل الضلالة الى ان صارت ترتعد من ذكرهم فرائس الشرق والغرب

واذا ادركتم الآن الاسلام فعلي ان ازيدكم ايضاحا بان اقول ان مبنى الديانة النصرانية شيئان وهما بنوة عيسى (تعالى الله عن ذلك) ووجود الخالق تعالى

ففي الاول يقول المسلمون كلاما معقولا وهو ان المسيح ليس ابن الله وانما هو من روح الله لان الله لم يلد ولم يولد

واما الشيء الثاني الذي هو وجود الخالق وتنزيهه عن الند والنظير مع وصفه بالقدرة والعلم والعلو والوحدانية فالاسلام والنصرانية فيه سواء سوى ان المسلمين لما عرفوا جلال الله القادر على كل شيء بسطوا اكف الضراعة واقروا بعجزهم وطلبوا منه الرحمة والمغفرة والعافية في الدنيا والعفو في دار السلام . والنصارى جهلوا خالقهم وزاغوا عن الطريق المستقيم

ولذلك تجد المسلمين في رفعة عن النصارى من هذه الحيثية ولا ترى فيهم واحدا يكفر بالله كما يفعل النصارى في كل حركة وسكون وما اهتدى مائات الملايين الى الاسلام الا ببركة محمد الذي علمهم الركوع والسجود لله وابقى لهم دستورا ان يضلوا بعده وهو القرءان الجامع لمصالح دنياهم ولخير اخراهم .

---

* القى القس لوازون هذه الخطبة بتونس



رأي المستشرق الامريكي ادواردو رمسي

في الاسلام والمدنيـة الحديثة

قبل ان نشرح علاقة الاسلام بالمدنية الحديثة ونبين المركز الرفيع الذي تحتله بين الديانات العظيمة المعروفة يجب علينا ان نرجع الى الايام التي سلفت قبل ظهور النبي محمد ونرى ما كان عليه سكان البادية من عبادة الاصنام ووخيم العادات ثم نبحث عن الاصلاحات التي ادخلها النبي الكريم في شبه الجزيرة اذ بضدها تتميز الاشياء

كانت بلاد العرب غارقة قبل الاسلام في احط الدركات حتى انه يصعب علينا وصف الخزعبلات التي كانت سائدة في كل مكان والفوضى العظيمة التي كان منهمكا فيها اناس ذلك العصر وجرائم قتل الاطفال واود البنات وهن احياء والضحايا البشرية التي كانت تقدم باسم الدين والحروب الدائمة بين القبائل المختلفة والنقص المستديم بين اهل البلاد وعدم وجود حكومة قوية كل هذه كانت سببا في سيادة الهمجية وازدياد الجرائم وانتهاك الحرمات وهذه حقائق راهنة يحملها التاريخ ولا يستطيع انكارها

كانت بلاد العرب في حالة تشويش وبلبلة وفوضى منتشرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ اية امة حتى ان بيت الله الحرام الذي بناه ابراهيم عليه السلام لاقامة الشعائر الدينية فيه حول الى معبد يحتوي على اربعمائة صنم لكل قبيلة صنم يعبدونه

واما الاديان السماوية التي جاء بها موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما من الانبياء فقد فقدت نقاءها وفضيلتها الاصلية وعبثت بها ايدي اللاعبين فحرفوا كلام الله ولونوا معتقداتهم بخزعبلات واعتقادات لم ينزل الله بها من سلطان حتى اصبح الناس لا يكادون يفرقون بين الفضيلة والرذيلة .

وبالاختصار كان العرب يعيشون في جو فاسد مملوء بالغبار والمكروبات حتى ان مجرد ذكرى هاتيك الايام تقشعر منها النفوس . هكذا كانت حال سكان شبه جزيرة العرب وتلك هي عاداتهم حينما جاءهم . محمد صلى الله عليه وسلم شارحا للعالم رسالة الله الواحد القهار حاملا بيده اليمنى الهدى والفرقان وبيده اليسرى نور المدنية الوضاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، وهنالك بزغ فجر عصر جديد كان يرى في الافق وبشرت الايام بطلوع شمس العرفان ، وانقشاع سحب الجهالة المظلمة التي اخفت النور السماوي عن ابصار الناس زمنا طويلا واتى اليوم الذي فيه اعادت يد المصلح العظيم ما فقد من العدل والحرية والتسامح والفضيلة

نـــداء للعمـــل

بقلم الاستاذ برناردشو

لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي انه حائز اهلية الهضم لاطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع ان يكون جذابا لكل جيل لا مشاحة في ان العالم يعلق قيمة كبيرة على تنبؤات كبار الرجال ولقد تنبأت بان دين محمد سيكون مقبولا لدى اوروبا غدا. وقد بدا يكون مقبولا لديهم اليوم وقد صور اكليروس القرون الوسطى الاسلام باحلك الالوان اما بسبب الجهل او بسبب التعصب الذميم

ولقد كانوا في الواقع يمرنون الناس على كراهية محمد وكراهية دينه وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح ولقد درسته باعتباره رجلا مدهشا فرايته بعيدا عن مخاصمة المسيح بل يجب ان يدعى (منقذ الانسانية) واني لاعتقد بانه لو تولى رجل مثله دكتاتورية العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السعادة للذين هم في اشد الحاجة اليها . ولقد ادركت في القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون امثال كرلايل وجوت وجيبون القيمة الذاتية لدين محمد وهكذا وجد تحول حسن في موقف اوروبا من الاسلام ولكن اوروبا في القرن الراهن تقدمت في هذا السبيل كثيرا فبدات تعشق عقيدة محمد . وفي القرن التالي تقدمت وربما ذهبت الى ابعد من ذلك فتعترف بفائدة هذه العقيدة في حل مشاكلها. فبهذه الروح يجب ان تفهموا تنبؤاتي وفي الوقت الحاضر كثيرون من ابناء قومي ومن اهل اوروبا قد دخلوا في دين محمد حتى ليمكن ان يقال ان تحول اوروبا الى الاسلام قد بدأ .

وتتصور سكان البادية حينما راوا اصنامهم تكسر على مراى منهم وهم المشهورون بالشجاعة والصلابة في الراي وعدم الخضوع افلا يثور ثائرهم ويهبون للفتك بمحمد ؟

ولكن محمدا كان يتكلم بصوت الله فكانوا يجدون في نبرات صوته هديا وتاثيرا كبيرا فلم يستطيعوا صد تيار الحق عن الجري في مجاري النقاء الجديدة لانه اجتاح كل الموانع والسدود كما يجتاح السيل الجارف كل شيء يقف في طريقه . وانتصرت الفضيلة اخيرا على الرذيلة واخمدت قوة الله هاتيك الشرور والآثام وحررت الانسانية من قبضة الوحشية .

اتى الوحي من عند الله الى رسوله ونبيه الكريم ففتحت حججه العقلية السديدة اعين امة جاهلة فانتبه العرب وتحققوا انهم كانوا نائمين في احضان الرذيلة المظلمة.

هذه ترجمة المقال المتهجم فيه على مقام صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم والمشتمل على الدعوة لتنصير مسلمي شمالي افريقيا المنشور في عدد ٩-١٠ من جريدة « عاملون مع الله » المدرج تحت عنوان :

التبشير بين المسلمين

بقلم مارقوريت ميلز

ان شمال افريقيا من اجدب واقحل اراضي التبشير في هاته القارة الواسعة بل يمكن ان نقول : وفي العالم باسره

واذا فكرنا في كنيسة القرون الاولى التي ازدهرت مع ترتوليان وسبريان واغستنون وآخرين حذوهم فانا نتساءل : هل يمكن باعانة من عزة روح الله وبالدعاء تحقيق رؤيا ايزنسيال ٣٧ - عزير - بوادي العظام في شمال افريقيا وهل تستيقظ تلك الكنيسة التي انمحت اليوم لترجع الى حياة جبارة غازية فتنصر وترجع الى المسيح تلك الملايين من المسلمين الذين اضلهم نبي دجال .

قد اغفلت كنيسة المسيح مدة قرون بث النصرانية بن المسلمين وكان ريموند لول اول من اجاب نداء الله في ذلك العمل

ان ريموند لول كان عالما اغدقت عليه الانوار فاراد بثها . فجاء الى شمال افريقيا وعمل فيها ثلاثا وعشرين سنة لبث روح الله بين العرب فجلب بعض الارواح ولهذا اطرد مرتين ثم رجع واخيرا رجم ببجاية وعمره ٧٩ سنة

ثم بعده اغفلت هاته البلاد تماما وساد الاسلام فيها حتى ضعفت الكنيسة المسيحية حتى اضمحلت في وخلال القرن التاسع عشر اهتم بعض مسيحي لندرة بتنصير قبائل زواوة من بلاد الجزائر فاجتمعوا في مجلس كونوه بلندرة وبعد كثير من الدعاء والمشورة عزموا على تكوين بعثة تبشيرية في بلاد القبائل التي مدت نفوذها فيما بعد على رقعة من الارض اوسع من بلاد زواوة واصبحت تعرف بـ« البعثة التبشيرية لشمال افريقية »

وغايتها الاصلية هي جلب المسلمين لتحصل لهم بالتجربة معرفة شخصية للسيد المسيح كمنقذ وحيد حسب كلام الله في قوله : « انه لا يوجد بين الرب والعباد الا واسطة واحدة هي المسيح في الناسوت » وقوله : « ليس تحت السماء اسم آخر اعطي للبشر غيره يمكننا من النجاة »

ان ذلك العمل عسير جدا خصوصا وان العرب شديدوا التعصب وميولهم كلها وجميع

غرائزهم قد جعلتهم ذوي قسوة وفسق وفجور وان الانجيل يجبرهم على النظر الى ذنوبهم وجها لوجه وعلى ضرورة الاقلاع عن خطاياهم اذا ما ارادوا اتباع المسيح . وقد وجد من العرب من صرح بعد الاستماع الى مبشر يعظ ويدعو الى التوبة ونداء الله في المسيح : ان الطريق ضيق للغاية وانه يختار البقاء في الشر على حصول العفو الرباني وما يغلب به من القوة على ذلك الشر .

ما هي الطرق التمهيدية للتبشير ؟

هي بيع الكتاب المقدس على ايدي الباعة المتنقلين او ايدي المبشرين في عرض التوراة او في الساحات العامة والمقاهي العربية .

ان احداث دروس انجيلية تشبه مثلا مدرسة يوم الاحد التي يتعلم بها الصبيان والكهول لهو طريق تدريجي لتعليم الانجيل

ان عمل التبشير في الصبيان هو الذي نعلق عليه اكبر الآمال خصوصا اذا امكن ابعادهم عن كل تاثير اسلامي .

ان ايجاد بيوت ومآوي لصغار العرب اليتامى يكون من غير شك انجع وسيلة لتكوين نوات مسيحية في اقطار شمال الافريقيا يخرج لنا رجالا ونساء قد تنصروا ثم يكونون بدورهم مبشرين بين ذويهم

ان دروس الخياطة التي تناسق فيها التعليم العلمي مع تعليم التوراة قد استعملتها النساء المبشرات كطريق وصلن به الى نتائج سارة . فيحفظ في تلك الدروس نصوص من التوراة والانجيل عن ظهر قلب وكذلك الاشعار القدسية الصالحة للترتيل والغناء فتزرع تلك الحبوب التي ستنبت على القلوب في مستقبل الأيام لتسبح الله .

ان الزيارات للبيوت العربية لهي فرصة تمكننا من الاعانة على النصيحة والعمل لتلك النساء المسلمات الخاضعات لغيرهن المبعدات عن امور الله . كم تخبىء تلك الديار من شقاء وآلام حيث يسيطر الاسلام ؟ وكم قلوب متعذبة وراء ذلك الحجاب الابيض الذي نراه يمر في الطرقات ! والله يعلم مما تحتاجه اخواتنا المسلمات وما علينا نحن ان نحمل لهن من التسلية مع كلامه وان نكون شهداء لهن على محبته وان نبلغهن الآمال والحياة الابدية في المسيح .

لنبتهل بالدعاء لفائدة هذا العمل الذي يعتريه ما يثبط لايشجع العزائم احيانا ولنعتقد ما اعتقده احد الحواريين وهو ان عملنا في المسيح ليس بضائع .

مارقريت ميلز (مبشرة)

عن جريدة « عاملون مع الله » عدد ٩ ـ ١٠

في جامع الزيتونة

ولاية صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

شيخا لجامع الزيتونة وفروعه

ان من اخص ما امتازت به العائلة الملكية الحسينية العناية الكبرى بجامع الزيتونة وهي في الحقيقة عناية بالدين الاسلامي الحنيف فكلما تبوأ ملك منهم عرش الامارة ظهرت عنايته بجامع الزيتونة واهله فهي طريقة موروثة وسنة متبعة سار عليها ملوك هذه العائلة الكريمة وقد ظهرت هذه العناية في اكمل مظاهرها من المقام الارفع والكهف الامنع سيدنا ومولانا محمد الامين باشا باي فانه من يوم ولايته ابدى اهتمامه العظيم بجامع الزيتونة وعطفه على شيوخ المعهد وتلامذته فحل مشكلة المشايخ المدرسين في العام الماضي وهي عناية سجلها التاريخ بمداد الفخر في صحيفته الذهبية ولم تزل عنايته بتلامذة جامع الزيتونة تظهر بين آونة واخرى فشجع مشاريعهم وامدها بالعطايا السنية وفي كل يوم يظهر مظهر جديد ناطق بهذه العناية السنية وفي فاتحة هذا العام ظهرت رغبته العلية في اسناد خطة مشيخة التعليم بجامع الزيتونة الى صاحب السماحة علامة القطر شيخنا سيدي محمد الطاهر ابن عاشور لما اشتهر به فضيلته من المدارك العالية واصالة الراي وسعة المعارف وجودة القريحة وما عرف فيه من العزيمة النافذة والباع الطويل فلم يشا ان يبقى الجامع لا يستفيد من مداركه السامية فجاهر وزيره الاكبر امير الامراء سيدي صلاح الدين البكوش بما عزم عليه فحادث الوزير الاكبر فضيلة الشيخ بالارادة الملكية فاحجم ورغب من دولة الوزير اقناع الجناب العالي بان له من شواغله العلمية ما يصرفه عن هذه الولاية ويرجو من الله قبوله وعموم النفع به فالح عليه دولة الوزير وتواعد معه على زيارة القصر الملكي ولما استقبله الجناب العالي ظهرت منه ابقاه الله الرغبة الملحة فلم يسع الشيخ الا القبول نزولا عند ارادة ملكه وانها لعناية ملكية دلت على ما للجناب العالي من الاهتمام العظيم بجامع الزيتونة ففي اسناد مشيخة التعليم الى مثل هذا الطود العظيم اكبر شاهد على ذلك فان المنصب يعظم بقدر عظم متوليه والمشيخة العلمية من يوم تاسيسها تسند الى اعاظم

الرجال وفي اسنادها اليوم الى زعيمهم الاكبر مفخرة القطر لانصع دليل ناطق بهذه العناية من الجناب العالي ابقاه الله وفي مساء الثلاثاء السادس عشر من صفر الجاري استقبل فضيلة الشيخ في بستانه بالمرسي دولة الوزير الاكبر وتلقى من مقامه الرفيع الاعلام بتنفيذ الارادة الملكية وفي صباح يوم الخميس في حدود الساعة الحادية عشرة وقع موكب الولاية في القصر الملكي بحمام الانف بحضور وزراء الدوله ورجال البلاط وفي حدود الساعة الثانية عشرة جرى موكب التنصيب بجامع الزيتونة وقد كان في استقباله شيوخ التدريس والتلامذة ومتوظفو ادارة المشيخة العلمية فقدم حضرة الشيخ وبصحبته جناب شيخ المدينة امير الأمراء السيد الشاذلي حيدر ولما انتظم بهم الموكب اعلن شيخ المدينة بالارادة السنية والولاية المباركة وبأثر ذلك ارتجل الشيخ الشاذلي الجزيري النائب الاول لشيخ الجامع خطابا رحب فيه بالشيخ الجليل وعدد مناقبه وفضائله وختمه بالدعاء

ثم خطب فضيلته خطابا رفيعا حل من النفوس محل الاجلال والاكبار وختمه بالدعاء لصاحب التاج الحسيني ثم تقدم احد تلامذة المعهد فرتل ربعا من القرآن المجيد من قوله تعالى : ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون

وبانتهائه اعلم الشيخ النائب صاحب الفضيلة ان عددا من الشيوخ والتلامذة يرغبون في تهنئة جنابه بما فاضت به مشاعرهم من النثر والشعر فاعلن قبول ذلك مع ابداء الممنونية

فتوالى الخطباء والشعراء وكان في البداية العالم الشيخ التهامي الزهار وفي النهاية الاديب الشاعر الشيخ احمد المختار الوزير

وبانتهائهم شكر فضيلته لهم عواطفهم النبيلة واحساساتهم الشريفة ثم تليت فاتحة الكتاب وبعدها استوى قائما وتقبل تهاني الشيوخ والموظفين والتلامذة وانفض الموكب على الساعة الثالثة عشرة

والمجلة - تتقدم الى صاحب الفضيلة بتهانيها مشفوعة بالتجلة والاحترام راجية من الله تعالى ان يعينه على رفع منار العلم الاسلامي في هذه الاقطار على وجه يحقق آمال المسلمين ويتناسب مع تاريخ جامع الزيتونة المجيد ويعد خريجيه الى القيام بواجبهم الديني والاجتماعي ملمين بنصيب وافر من المعارف وشؤون الحياة متاهلين للعمل في اسرة العالم الاسلامي والعالمي العمل الصالح ومثله من تعلق عليه الآمال ويرجى له التوفيق في الحال والمآل

خطبة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ الجامع وفروعه في موكب التنصيب بجامع الزيتونة

الحمد لله الذي جعل اطناب الدين موثقة باوتاد العرفان وناط نتائج اليقين بدلائل النظر والبرهان والصلاة والسلام على رسوله المؤيد بمعجز البيان شرف الله ذكره كفاء ما شرف به نوع الانسان والرضى عن ءاله واصحابه الخالد فخرهم على الزمان .

اما بعد فيايها الاساتذة الجلة والتلامذة المنوط بهم امل الملة ان المنزلة السامية التي بوانيها حسن ظن ملكنا الجليل دام له العز والملك الاثيل بان اسند الي مشيخة الجامع الاعظم وفروعه قد مكنتني من فرصة مباركة فرصة الاجتماع بهذه النخبة الباهرة من ابنائي الاساتذة الذين عرفت فيهم سمو الهمة في خدمة العلم وبذل النصح في تلقينه . وهذا الجمهور النير من الناشئة الزيتونية الذين لم يزالوا يبرهنون على الاخلاص في تعلقهم بالدين والعربية والحرص على استكمال مادة العلوم الواسعة من المناهج الناجعة في الايصال الى الغايات النافعة

وان ملاحظة هذه المباهج النفسية من التعاون مع المخلصين في خدمة علوم الدين هي التي تهون علي ما يوجبه هذا الاسناد من تجشم كلف كنت عنها بمعزل والانقطاع عن الاستغراق في الاشغال العلمية التي هي ريحانة النفس

فليكن اجتماعنا هذا افضل ما اجتمع عليه المسلمون من التواصي بالحق وتجديد عهدنا الذي قطعناه على انفسنا من بذل المستطاع للنهوض بالتعليم وتثقيف اذهان التلامذة بالعلم الصحيح والفهم القويم بما يمكنهم من مراتب السيادة الفكرية التي هم الاصفياء بها فبذلك نخدم الامة الاسلامية بالعنصرين اللازمين لارتقاء الامم في مصاعد الكمال وهما العلم الصحيح والتعليم الكامل

ان تعليم هذا المعد هو الحافظ على الامة علوم دينها الذي به فوزها في الحياة العاجلة وسعادتها في حياتها الابدية والحافظ عليها علوم لغتها التي هي ضمان جامعتها ومظهر مفاخرها وعزتها

فانتقاء أقوم الاساليب وتوخي ايسر المناهج لايصال هذه العلوم الى اذهان المتعلمين هما معقد عملنا الذي نتكاتف لتحقيقه ويهب بنا داعي الاخلاص لطريقه .

فاذا نحن وفينا بعهدنا هذا ووجدنا من ابنائنا الطلبة ما هو المامول من حرصهم على استكمال التعليم الزيتوني واجهزة صلاحه بصرف عنايتهم الى تحقيق دروسهم والتملي من فهم المسايل العلمية وضبط ما يتلقونه من اساتذتهم ودوام المراجعة والمدارسة تحقق لنا بعون الله وبتوافر هذه المعاني النجاح المامول

ولا شك ان اطيب ثمار التعليم الصحيح وازكى نتائج التربية القومية هو ما يظهر في الناشئة المتعلمة من ادراك اسرار الشريعة واستكمال تخلقهم بمكارم الاخلاق الاسلامية واستقامة سيرهم على ءاداب الشريعة ذلك ملاك السعادة الفردية واساس الرقي الاجتماعي المنشود وقد قال النبيء صلى الله عليه وسلم للذي طلب منه ايجاز الوصية « قل ءامنت بالله ثم استقم »

عـدد ١٠

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء العاشر	تونس في شهري ربيع ١٣٦٤ وفي مارس ١٩٤٥	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس - تليفون ٢٦٠٤٩

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٢٤٢٢

الثمن ١٠ فرنكات

مطبعة الارادة

١٧ • ٥

فهرس العدد

الصفحة	المقال	صاحبه
٢٣٤	الاصلاح الاجتماعي	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٢٣٦	تفسير آيات من سورة البقرة	الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
٢٤١	شرح حديث التوكل	العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي
	الفتاوي والاحكام	
٢٤٤	حكم المسح على الكلسيطة والجبيرة	المقدس المبرور شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الخوجة
٢٥٥	سؤال عن حكم طلاق المدهوش وجوابه	العلامة صاحب الفضيلة الشيخ محمد الحطاب بوشناق
	سؤال عن حكم الشك في وصول اللبن الى جوف الرضيع	»
	التاريخ	
٢٤٦	الشيخ محمد الجسودي	الشيخ محمد طراد
٢٤٨	الرياضة البدنية في القديم والحديث	العالم المدرس الشيخ عبد الوهاب الكرارطي
٢٥٦	عود على بدء	العالم المصلح الشيخ سالم بن حميدة
	الادب	
٢٦٣	تهاني شيخ الجامع الاعظم (قصيد)	العلامة المدرس الشيخ الناصر الصدام
٢٦٤	عدتم كعود العقد (قصيد)	شيخ الادباء الشيخ العربي الكبادي
٢٦٤	شيخ الشيوخ وسيد العلماء (قصيد)	الاديب الفحل الشيخ الهادي المدني الحاكم بمجلس الدربة
٢٦٦	لبيك داعي العلم (قصيد)	الاديب الاريب الشيخ احمد المختار الوزير
»	يا فخر من قد علا (قصيد)	الشاب محمد عبد الرحمن
٢٦٧	مظاهر الولاء والتعظيم لجامع الزيتونة ـ الاستاذ الاكبر يقتبل التهاني الرسمية	
	تابين الشيخ مبارك الميلي	
٢٦٨	الشيخ مبارك الميلي	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٢٦٩	من خطاب رئيس جمعية الشبان المسلمين العالم المدرس الشيخ محمد صالح النيفر الذي ارتجله في تابين الراحل	
٢٧٠	ترجمة الشيخ مبارك الميلي	العالم الشيخ عبد الحفيظ جنان
٢٧٤	الشيخ مبارك الميلي المؤرخ المصلح	الشاب عبد الحميد زروق
٢٧٧	الله اكبر ... (مرثية)	الشاب الازهر بن بلقاسم
٢٧٨	ايه يا راحلا تمهل (مرثية)	الشاب حسن المهدي الجزائري

عدد ١٠

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء العاشر	تونس في ربيع الاول ١٣٦٤ وفي مارس ١٩٤٥	المجلد الخامس

الاصلاح الاجتماعي

ان المجتمع التونسي اجتاز في تطوره الاجتماعي مراحل متعددة حصلت من غير سابق برامج محكمة وضعت ليسير على مقتضاها ومن غير سن نظم صحيحة دعي الى اتباعها وكل ما حدث هو نتيجة التطور الطبيعي الذي حصل من تاثير البيئة والاوساط ومحاكات الغير . فالبيئة التي توفرت فيها وسائل النهوض كانت السبب المؤثر في رقي افرادها والوسط الذي سادت فيه الفوضى كان مؤثرا في تدحرج الاخلاق لا يجد مقاوما ولا من يحرس الفضيلة من شره واخطاره والمحاكات تسير مع الهوى والشهوة لا تتبع نظاما محدودا ولا تسير على سنة صحيحة وبذلك كان هذا التطور المشاهد معيبا في كثير من النواحي محمودا في بعضها عند اهل الراي ممجدا مرغوبا فيه عند من يرغبون في مسايرة الحوادث كيفما كانت وعلى اي شكل حدثت من غير ان يراعوا الامور حق رعايتها ويحكموا تنسيق الحياة العامة حتى تسلم من الفوضى والضعف وتقوم على اساس مكين ينتج النتاج والحسن والثمرة الطيبة

والشعب التونسي اجتاز هذه المراحل فيما يزيد على نصف قرن حصلت له في اثنائها تجارب عدة يصح ان تكون له عونا على ادراك خطئه الذي كان عليه حيث اهمل شؤونه الاجتماعية وتركها تسير على غير نظام متاثرة باشياء لا يصح ان ينبنى عليها نهوض الامة ورقيها المادي والادبي

وهكذا يظل مستقبلنا الاجتماعي بعيدا عن سيطرتنا وتحكمنا ما دمنا لا نعيره اهتمامنا ولا نحسب له حسابا ونتركه يسير مع حوادث الزمن ومتاثرا بمؤثرات يكون فيها الخير ويكون فيها الشر وكل باحث اجتماعي يصعب عليه مهما اوتي من مقدرة ان يحدد لنا الاخطار التي تهدد الامة ما دامت تسير رهينة الصدف وكيف ما يتفق لها المسير . ومع ما نشعر به من الحاجة

الاكيدة الى الاصلاح الاجتماعي نشعر ايضا بـالحاجة الى تفهم معنى هذه الجملة تفهما تبنى عليه طرق الاصلاح فان كثيرا من الباحثين تناولوا بعض نواحي الضعف في مجتمعنا فكتبوا فيها وحسبوا ان الاصلاح الاجتماعي موكول باصلاحها فاذا صلحت صلح حـال المجتمع فكانوا مجازفين في حكمهم غير عالمين بقصور نظرهم وتقصيرهم في البحث

فان البعض يرى ان التقدم الاجتماعي يرتبط بالعادات والتقاليد . وبعض آخر يرى انه متصل بالتعليم ويرى البعض انـه متصـل بالاسرة والحيـاة الزوجية ونهوض المرأة وقسم آخر يرى انه متصل بالاداب العامة والاخلاق وفريق يرى انه متصل بـانشاء الملاجي والمستشفيات والقضاء على التسول ومطاردة الاشرار ويرى فريق بتاسيس الشركات وتنمية الثروة واعانة المحاويج وتشجيع الهيئات الخيرية ويقول جمع انه متصل بترقية مستوى طبقات الشعب وترقية معيشة العامل والصانع وتنظيم الحياة الريفية وترقية الحياة بالقرى والمداشر والاعتناء بـالصحة العامة وينادي جمع بانه متصل بتنظيم الجمعيات والنقابات وتحسين اجور العمال والاعتراف بحقوقهم وصون مصالحهم ويرى فريق انه متصل بالقضاء على دور اللهو والمجون ومقاومة اهل الدعارة ويحكم فريق بانه متصل بترك البدع والمنكرات ومقاومة الدجالين والمحتالين الى غير ذلك من الاراء في تفسير معنى الشؤون الاجتماعية والاصلاح الاجتماعي

فانت ترى اختلافا كبيرا في تفهم معنى هذه العبارة وتصويرهـا على الوجه الاتم

ولكن واحدا منها لم يكن هو المعنى الصحيح التام الذي تؤديه هذه العبارة وكما اصطلح عليها علماء الاجتماع . ونحن لا نكون قد بعدنا عن الحقيقة اذا قلنا ان اصلاح الشؤون الاجتماعية يتناول جميع مرافق المجتمع فالمسائل الثقافية والاخلاقية والاقتصادية والعائلية والزوجية وحتى التشريعية هي بمجموعها قوام الحياة الاجتماعية فاذا اقتصرنا على بعضها لم نكن قد ادينا الواجب الذي تفرضه واهمال البعض يؤدي الى عدم التناسق المفضي الى الاضطراب في البرنامج الاجتماعي الذي يجب ان يسطر ويتبع

واذا فصلنا هذه المسائل عن بعضها واردنا ان نقيم حواجز بينها سرنا على غير تناسق في الخطى واضطربت امورنا وفلت زمام حركة الاصلاح من ايدينا وسرنا وراءها نتبعها لا ندري اين المصير وكيف يقف بنا المسير

لذا وجب علينا ان نبين ان هذا الاختلاف منشأه قصور في ادراك الاسباب التي ترتبت عليها العلل الاجتماعية ومتى عرفت الاسباب على ما وصفنا سهل العلاج الصحيح الذي يزيل السقم

والباحث المصلح الذي يريد ان يقدم طرق الاصلاح الصحيحة ليعالج بها امراضنا الاجتماعية ينبغي له ان يقسم اغراضه الى النواحي المذكورة ويفرد كل ناحية ببحث خاص ويصف ما فيه من مفاسد وعلل ويصف لها بعد ذلك طرق الاصلاح التي تضمن لها السلامة والسعادة ولا يليق به ان يهتم بناحية من نواحي الحياة العامة فيقصر نظره فيها ويجعلها محور ابحاثه ويهمل غيرها حاسبا انه اذا تم علاج عضو من اعضاء الجسم العليل نقه الجسم وسلم من باقي الاخطار وشفي شفاء تاما. فان الواقع يخالفه في نظريته مهما اجتهد واهتم في علاج ذلك العضو وهي القاعدة الاساسية التي ندعو لاعتبارها واقامة البرامج عليها. والاخطر من ذلك كله ان يعمد الى المسكنات الوقتية فيعتمد عليها في العلاج فان كل اصلاح يقوم على اعتبارات وقتية لا تستـاصل الداء الدفين يكون معينا على زيادة استفحال الداء وباعثا على ضجر العليل من الامه واوجاعه والبرنامج العلمي الذي يجب ان يحكم وضعه لاصلاح المجتمع هو الذي يشمل سائر مرافق الحياة ومقوماتها ويقوم على قواعد شرعنا الاسلامي المتين وذلك ما سنفرد له مقالا خاصا بعون الله . محمد الشاذلي ابن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

من درس تفسير القرآن الكريم

للاستاذ الاكبر المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

استئناف ابتدائي لابتداء مواجهة بخطاب عام بعد الفراغ من الاخبار والمخاطبة لفرق خاص فانه لما استوفى احوال المومنين واضدادهم من المشركين والمنافقين لا جرم تهيأ المقام لخطاب عمومهم بما ينفعهم ارشادا لهم ورحمة بهم لانه لا يرضى لهم الضلال ولم يكن ما ذكر آنفا من سوء صنعهم حائلا دون اعادة ارشادهم والاقبال عليهم بالخطاب ففيه تأنيس لانفسهم بعد ان هددهم ولامهم وذم صنعهم ليعلموا ان الاغلاظ عليهم ليس الا حرصا على صلاحهم وان الله غني عنهم كما يفعله المربي الناصح حين يزجر او يوبخ فيرى انكسار نفس مرباه فيجبر خاطره بكلمة لينة ليريه انه انما اساء اليه استصلاحا وحبا للخيرة فالله تعالى لم يترك من رحمته بخلقه حتى في حال عتوهم وضلالهم وفي حال حملهم على مصالحهم

ثم ان هذا الاستيناس وجبر الخواطر يزداد به المحسنون احسانا وينكف به المجرمون عن سوء صنعهم فياخذ كل فريق ذكر فيما سلف حظه منه

وليس الخطاب موجها لخصوص المشركين وان كان ذلك راي بعض المفسرين نحو علقمة ان ما افتتح بيأيها الناس هو مكي وذلك ليس بمطرد كيف وهذه السورة مدنية بلا ريب

وافتتح الخطاب بالنداء تنويها به. ويا اصل حروف النداء ينادى به البعيد والقريب ومن زعم من النحاة ان يا لنداء البعيد فقد ادعى ما لا دليل عليه فاقتدى به بعض المفسرين اذ تطلبوا للنداء بيا في مواضع القرب نكتا لتنزيل القريب منزلة البعيد. قال سبويه : « فاما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة اشياء بيا وأيا وهيا وأي وبالالف الا ان الاربعة غير الالف قد يستعملونها

اذا ارادوا ان يمدوا اصواتهم للشيء المتراخي عنهم او للانسان المعرض عنهم الذي يرون انه لا يقبل عليهم الا باجتهاد وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الالف ولا يستعملون الالف في هذه المواضع التي يمدون فيها. اهـ»

فسوى بين الاستعمالين في يا واخواتها عدا الهمزة . قال الرضي: ان استعمال يا في القريب والبعيد على السواء ودعوى المجاز في احدهما او التاويل خلاف الاصل

واي في الاصل نكرة تدل على فرد من جنس اسم يتصل بها بطريق الاضافة نحو اي رجل او بطريق الابدال نحو يأيها الرجل وقولهم في الاختصاص انا افعل كذا ايها الواقف عندك (١) والعرب قد ينادون المنادى باسم جنسه او بوصفه لانه طريق معرفته او لانه اشمل لاحضاره كما هنا فربما اتوا بالمنادى حينئذ نكرة مقصودة او غير مقصودة وربما اتوا باسم الجنس او الوصف معرفا باللام الجنسية اشارة الى تطرق التعريف اليه على الجملة تفننا فجرى استعمالهم ان ياتوا حينئذ مع اللام باسم الاشارة اغراقا في تعريفه (٢) ويفصلوا بين حرف النداء والاسم المنادى حينئذ بكلمة اي وهو تركيب غير جار على قياس اللغة ولعله من بقايا استعمال عتيق وقد اختصروا اسم الاشارة فابقوا ها التنبيه وحذفوا اسم الاشارة فاصل يايها الناس يا هؤلاء الناس وقد صرحوا بجميع اسم الاشارة في بعض الكلام وعليه قول ابي الطيب « اين ازمعت ايهذا الهمام » والناس تقدم الكلام في اشتقاقه عند قوله تعالى ومن الناس وهو اسم جمع نودي هنا وعرف بـال يشمل كل افراد مسماه لان المجموع المعرفة باللام للعموم ما لم يتحقق عهد واحتمالها العهد ضعيف اذ الشان عهد الافراد فلذلك كانت في العموم انص من عموم المفرد المحلى بال ، فقوله يايها الناس في معنى يا جميع الناس فالتعريف في الناس للعموم والمنادى هو ذلك العام فان نظرت الى صورة الخطاب فهو انما واجه به ناسا سامعين فعمومه لمن لم يحضر وقت سماع هذه الاية ولمن سيوجد من بعد يكون بقرينة عموم التكليف وعدم قصد تخصيص الحاضرين وذلك امر قد تواتر نقلا ومعنى فلا جرم ان يعم الجميع من غير حاجة الى قياس

وان نظرت الى ان هذا من اضرب الخطاب الذي لا يكون لمعين فيترك فيه التعيين ليعم كل من

---

(١) وقد تشرب معنى الاستفهام والشرط والموصولية كما هو شان كثير من النكرات المبهمة في اعتداد هذه المعاني عليها مثل ما ومن

(٢) فطلله كثير من النحاة بانه لكراهية اجتماع حرفي تعريف ورده الشيخ الرضي بان اجتماع حرفين في احدهما من الفائدة ما في الآخر وزيادة لا تستنكر كما في لقد وألا ان وقالوا يا هذا ويا انت فاختير في التعليل انه كراهية اجتماع اداتي تعريف وهما يا وال

يصلح للمخاطبة بذلك وهذا شان الخطاب الصادر من الدعاة والامراء والمؤلفين في كتبهم من نحو قولهم يا قوم ويا فتى وانت ترى وبهذا تعلم ونحو ذلك ، فما ظنك بخطاب الرسل وخطاب هو نازل من الله تعالى ، كان ذلك (١) عاما لكل من يشمله اللفظ من غير استعانة بدليل آخر . وهذا هو تحقيق المسالة التي يفرضها علماء الاصول ويعبرون عنها بخطاب المشافهة او المواجهة هل يعلم او لا والجمهور وان قالوا انه يتناول الموجودين دون من بعدهم بناء على ان ذلك هو مقتضى المخاطبة حتى قال العضد ان انكار ذلك مكابرة فهم قالوا ان شمول الحكم لمن ياتي بعدهم هو مما تواتر من عموم البعثة وان احكامها شاملة للخلق في جميع العصور كما اشار اليه البيضاوي

قلت الظاهر ان خطابات التشريع ونحوها غير جارية على المعروف في توجه الخطاب في اصل اللغات لان المشرع لا يقصد لفريق معين وكذلك خطاب الخلفاء والولاة في الظهاير والتقاليد فقرينة عدم قصد الحاضرين ثابتة واضحة غاية ما في الباب ان تعلقه بالحاضرين تعلق اصلي الزامي وتعلقه بالمعدومين تعلق معنوي اعلامي كما ذكر علماء الاصول في تعلق الامر

والعبادة الخضوع والتذلل وتقدم القول فيها عند قوله تعالى « اياك نعبد » ولما كان التذلل والخضوع انما يحصل عن صدق اليقين كان الايمان بالله وتوحيده بالالوهية مبدا العبادة لان من اشرك مع المستحق ما ليس بمستحق فقد تباعد عن الخضوع له فالمخاطب بالامر بالعبادة المشركون من العرب والدهريون منهم واهل الكتاب والمؤمنون كل بما بقي عليه من واجب العبادة من اثبات الخالق ومن توحيده ومن الايمان بالرسول والاسلام للدين ومن الامتثال لما شرعه الى ما وراء ذلك كله حتى منتهى العبادة ولو بالدوام والمواظبة بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه فانهم مشمولون بهذا الخطاب

وقد مضى القول في معنى الرب والاضافة هنا ظاهرة ووجه العدول عن غير طريق الاضافة من طرق التعريف نحو العلمية اذ لم يقل اعبدوا الله لان في الاتيان بلفظ الرب ايذانا باحقية الامر بعبادته فان المدبر لامور الخلق جدير بالعبادة لان فيها معنى الشكر واظهار الاحتياج وافراد اسم الرب دل على ان المراد رب جميع الخلق اذ ليس ثمة رب يستحق هذا الاسم بالافراد والاضافة الى جميع الناس الا الله

فان المشركين وان اشركوا مع الله آلهة الا ان بعض القبايل كانت لها مزيد اختصاص ببعض الاصنام كما كان لثقيف مزيد اختصاص باللات قال الشاعر * وفرت ثقيف الى لاتها *

(١) هذا جواب قوله وان نظرت

وكان للاوس والخزرج مزيد اختصاص بمناة . وربما كان للرجل الواحد الآه خاص به او عدد من الآلهة وقد ذكر الفخر عن كتاب ديانات العرب ان النبي صلى الله عليه وسلم سال عمران بن حصين (اي قبل اسلامه) كم لك من الآه قال عشرة قال فمن لغمك وكربك ودفع الامر العظيم اذا نزل بك قال؟ الله قال مالك الا الآه واحد اه

فالعدول للاضافة هنا لانها اخصر طريق في الدلالة عن هذا المقصد فهي اخصر من الموصول فلو اريد غير الله لقيل اعبدوا اربابكم فلا جرم كان قوله اعبدوا ربكم صريحا في انه دعوة الى توحيد الله

فقوله الذي خلقكم زيادة بيان لموجب العبادة او زيادة بيان لما اقتضته الاضافة من تضمن معنى الاختصاص باحقية العبادة . ووقع في الكشاف تجويز كونه صفة تخصص الرب لان للمشركين اربابا ولكنهم لا يثبتون لهم الخالق وليس بمناسب للمقام اذ كيف يجهل المراد في مثل هذا المقام حتى يوتى بصفة مقيدة . ولان الخلق وان اختص عندهم بالله تعالى فكذلك ربوبية جميع الخلق وصف خاص عندهم بالله تعالى كما عرفت

وقوله « والذين من قبلكم » قصد منه تذكير الدهريين من المخاطبين الذين يزعمون انهم انما خلقهم آباؤهم فقالوا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر فكان قوله والذين من قبلكم تذكير لهم بان آباءهم الاولين لا بد ان ينتهوا الى اب اول فهو مخلوق لله تعالى . ولعل هذا وجه زيادة من في قوله من قبلكم مع امكان الاستغناء بقوله قبلكم لان من في الاصل للابتداء فهي تشير الى اول الموصوفين بالقبلية .

والخلق الايجاد على تقدير وتسوية ومنه خلق الاديم اذا هياه ليقطعه ويخرزه

وجملة لعلكم تتقون تعليل الامر باعبدوا فلذلك فصلت اي امرتم بعبادته الرجاء منكم ان تتقوا. ولعل حرف يدل على الرجاء . والرجاء هو الاخبار عن تهيء وقوع امر في المستقبل وقوعا مؤكدا . فتبين ان لعل حرف مداوله خبري لانها اخبار عن تاكد حصول الشيء

ومعناها مركب من رجاء المتكلم في المخاطب وهو معنى جزئي حرفي وقد شاع عند المفسرين واهل العلوم الحيرة في محل لعل الواقعة من كلام الله لان معنى الترجي يقتضي عدم الجزم بوقوع المرجو عند المتكلم فللشك فيها جانب حتى قال الجوهري « لعل كلمة شك » وهذا ينافي ثبوت علم الله تعالى باحوال الاشياء قبل وقوعها، ولانها قد وردت في اخبار مع عدم حصول المرجو كقوله تعالى « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » ولهم في تأويل لعل الواقعة في كلام الله تعالى وجوه :

احدها قال سيبويه : لعل على بابها والترجي او التوقع انما هو في حيز المخاطبين . اه يعني انها للاخبار بان المخاطب يكون مرجوا واختاره الرضي ولكنه يعني انها مجاز قريب

ثانيها ان لعل في مثل ذلك للاطماع (بكسر الهمزة) قال الزمخشري « وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرءان اه » اي فلعل مجاز في الاطماع لان الرجاء يستلزم الاطماع

ثالثها انها للتعليل بمعنى كي قاله قطرب وابو علي

رابعها ما ذهب اليه صاحب الكشاف انها استعارة فقال : ولعل واقعة في الآية موقع المجاز لان الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله تعالى ليبلو لم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عنه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختبار اه

فكلام الكشاف يجعل لعل في كلامه تعالى استعارة تمثيلية لانها جعلها تشبيه هيئة مركبة من شان المريد والمراد منه والارادة بحال مركبة من الراجي والمرجو منه والرجاء فاستعير المركب الموضوع للرجاء بمعنى المركب الدال على الارادة

وعندي وجه آخر خامس مستقل وهو ان لعل الواقعة في مقام تعليل امر او نهي لها استعمال يغاير استعمال لعل المستانفة في الكلام سواء وقعت في كلام الله ام في غيره فاذا قلت ابتعد فلانا لعلك تنصحه كان اخبارا باقتراب وقوع الشيء وانه في حيز الامكان ان تم ما علق عليه فاما اقتضاؤها عدم جزم المتكلم بالحصول فذلك معنى التزامي اغلبي قد يصلح انتفاؤه بالقرينة وذلك الانتفاء في كلام الله اوقع فاعتقادنا بان الله عالم بان كل شيء لم يقع الآن ايقع ام لا يقع في المستقبل هو القرينة على تعطيل هذا المعنى الالتزامي دون احتياج الى التاويل في معنى الرجاء الذي تفيده لعل حتى يكون مجازا او استعارة لان لعل انما تاتي بها لان المقام يقتضي معنى الرجاء فالتزام تاويل هذه الدلالة في كل موضع في القرآن تعطيل لمعنى الرجاء الذي يقتضيه المقام

والجماعة لجأوا الى التاويل لانهم نظروا الى لعل بنظر متحد في مواقع استعمالها . واما لعل المستانفة في الكلام فانها اقرب الى انشاء الرجاء منها الى الاخبار به . وعلى كل فمعنى لعل غير معنى افعال المقاربة

التوكـــــل *

- ٣ -

بقلم العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي

وقوله في صدر حديث الباب (يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب) امة النبيء صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام امة الاجابة وامة الاتباع وامة الدعوة والاولى اهل العمل الصالح والثانية مطلق المسلمين والثالثة من عداهم ممن بعث اليهم وكان المراد في الحديث امة الاجابة وهم اهل العمل الصالح لقوله بعد الذين لا يسترقون الخ ولفظ السبعين يحتمل ان يكون مرادا به معناه الحقيقي وهو خصوص السبعة عقود ويحتمل ان يراد به التكثير لكثرة استعمال السبعين فيه والثاني اظهر لان المقام مقام امتنان وفضل ولان من اتصف بهاته الصفات لا دليلا على حصرهم في السبعين ونرجو ان يكونوا اضعاف اضعافهم من غير حصر واستعمال السبعين في ذلك شايع ذايع من ذلك قوله تعلى في صفة الجنة ذرعها سبعون ذراعا وقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فان السبعين في الاثنين مستعملة في مطلق الكثرة لا في خصوص العدد عند العارف بالمذاق العربي فان قيل ماورد في بعض الروايات من ان النبيء صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل قوله تعلى ان تستغفر لهم سبعين مرة "الخ قال لازيدن على السبعين يدل على ان السبعين مستعملة في خصوص معناه وهي السبعة عقود قلت يحضرني الجواب عنه بما قرره بعض شيوخنا المحققين في بعض دروسه بان ذلك خرج عنه عليه السلام مخرج افراغ الجهد لامته وبذل ما في وسعه وطاقته حذرا من التقصير لاحتمال استعمال السبعين في خصوص معناه وان كان احتمالا ضعيفا وهو جدير بالقبول فان قيل الحديث على استعمال السبعين في التكثير مثير لنقع اشكال الشهاب القرافي بين كلام الفقهاء والاستعمال حيث قال في الفرق الثامن والعشرين بعد المائة بعد ما نقل عن الفقهاء ان الفاظ العدد نصوص في معانيها فلا تقبل المجاز ولا التخصيص فليس لك ان تطلق العشرة مثلا وتريدها التسعة على سبيل المجاز ولا ان تطلق العشرة وتبين ان مرادك بها بعضها وهي الخمسة على سبيل التخصيص لانه من المجاز لكنه

* م الجزء الثالث من شرح حديث التوكل المنشور بالجزء ٧ من المجلد ٥ صحيفة ١٤٥

يختص ببقاء بعض المسمى والمجاز قد لا يبقى معه شيء كما تقول رايت اخوتك ثم تقول اردت بهم تصفهم وهم فلان وفلان فهذا تخصيص لبقاء اللفظ مستعملا في بعض الاخوة والمجاز وان تقول اردت بهم مساكنهم او دوابهم وليس شيء من الاخوة بالمساكن او الدواب . قال القرافي وعليه اشكال لان العرب تستعمل السبعين وتريد به الكثرة كما في الايات المتقدمة . والف فيقولون جئتك الف مرة فلم تقض لي حاجة ولا شك ان ذلك مجاز دخل الفاظ العدد او ما في معناه كالكرتين في قوله تعلى فارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فالمراد كرات بدليل قوله ينقلب اليك البصر الاية انتهى باختصار وقد اقره محشيه ابن الشاط وغيره ممن اختصر فروقه. قال العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور في هداية الارب وهو اشكال قوي وقد حاول الجواب عنه بعض الفضلاء في مراجعة لي معه في المسئلة بما يوخذ من كلام ابن الهمام بان المنسوخ في كلام الفقهاء استعمال العدد في عدد آخر مثله كاستعمال السبعين في الثمانين مثلا لا استعمالها في مطلق الكثرة كما يرشد لذلك قولهم لا يجوز ان تطلق العشرة وتريد بها التسعة او غيرها من مراتب الاعداد فيندفع الاشكال ولله الكمال . قال ولا يخفى انه لا يدفع الاشكال المذكور لان دعوى المنع التجوزي في العدد في كلام الفقهاء عامة على ان دعوى منع التجوز بعد عن مثله ناهض عليه بلا ... نه عند استعمال العدد في الكثرة اذ هي عدد كما لا يخفى فتامله فقد خفي عن الناظرين ... باختصار وقوله وعلى ربهم يتوكلون . قد علم مما تقدم ان المراد بقوله لا يسترقون عدم الاسترقاء مما لا ينبغي الاسترقاء منه او في المقام التي لا يطلب فيه ذلك وان المراد من قوله ولا يتطيرون عدم التطير مما ليس بسبب محقق ولا مظنون محصول الضرر وحينئذ فمعنى قوله وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون على ربهم في جميع المهمات مع تعاطي اسباب جلب النفع ودفع الضر على ما ينبغي كما تقدم ومن اعظم الاسباب لذلك الدعاء وفي الحديث الدعاء سلاح المؤمن سيما وقد وعد باجابته تعلى في غير ما موضع فقال ادعوني استجب لكم وقال اجيب دعوة الداعي اذا دعاني . امن يجيب المضطر اذا دعاه الى غير ذلك ولكن ينبغي للداعي ان يحترز في دعائه من طلب المستحيلات والوقعات لما في ذلك من اساءة الادب مع الخالق سبحانه وقد اول ما ورد ظاهره ذلك من الآيات والادعية قال في الكشاف في تفسير قوله تعلى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا الخ فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما بقوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه فما معنى الدعاء بترك المواخذة بهما

فهو من الدعاء بالواقع ومثله يعد سوء ادب قلت الدعاء راجع لسببهما وهو التفريط والغفلة اهـ. قال ابن عطية او ان عدم المؤاخذة بهما متسبب عن دعاء المؤمنين بهذا الدعاء الذي علموه بنزول الآية فقد روي انه لما نزلت الآية وتلوها نزل جبريل عليه السلام وقال للنبي صلى الله عليه وسلم فعل الله ذلك يا محمد ـ قال الامام الرازي في تفسير قوله تعلى ادعوني استجب لكم ـ ظاهر الاية مشكل لاننا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع وقد لا يجاب له ووعده سبحانه لايتخلف واجاب عنه باجوبة منها انه لا يلزم من الاستجابة حصول المطلوب في الدنيا لما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة المسلم لا ترد الا باحدى ثلاث ما لم يدع بأثم او قطيعة رحم ـ اما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يصرف عنه من السوء بقدر ما دعاه انتهى وحينئذ فالاجابة متحققة ووعد الله حق قال البيضاوي في تفسير قوله تعلى : « واذا سألك عبادي عني . الآية » تقرير للقرب ووعود بالاجابة قال عبد الحكم اي في الجملة على ما عليه كلمة اذا لا كليا ومعنى اجابة الداعي ان يقول الرب لبيك يا عبدي .

ولكن ينبغي للداعي ان يتخير لدعائه مظان القبول والاجابة كمجالس الذكر والعبادة وعقب ختم القرءان والحديث وان يقرن ذلك بخشوع وانابة رافعا كفيه الى السماء اذ هي قبلة الدعاء وفي حديث انس ابن مالك رضي الله تعلى عنه مرفوعا ان الله رحيم حي كريم يستحي من عبده ان يرفع اليه يديه ثم لا يضع فيهما خير انتهى .



الفتاوى والاحكام

نص سؤال ورد على المقدس المبرور شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الخوجة رحمه الله وبرد ثراه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى ءاله وصحبه ومن ولاه

ساداتنا العلماء الحنفية حاملي الشريعة المطهرة الحنيفية . جوابكم الشافي في انسان به مرض غير جرح في محل الوضوء باحدى رجليه يضره ايصال الماء الى تلك الرجل ولو مسحا عليها الضرر المعتبر في جواز التيمم فهل يجوز له المسح على ما هو المعروف عندنا باسم الكلاصت عملا بقول الدر في باب المسح على الخفين وحكم مسح جبيرة وهي عيدان يجبر بها الكسر وخرقة قرحة وموضع فصد وكي ونحو ذلك كعصابة جراحة ولو براسه كغسل الى ما تحتها الخ وقوله فيه ويمسح نحو مفتصد وجريح على كل عصابة الخ وقول محشيه الخلاصة الصفوة ابن عابدين اي على كل فرد من افرادها سواء كانت عصابة تحتها جراحة وهي بقدرها او زائدة عليها كعصابة المفتصد او لم يكن تحتها جراحة اصلا بل كسر او كي وهذا معنى قول الكنز كان تحتها جراحة او لا الخ اذ لا فرق بين كون العصابة او الخرقة مخيطة على هيئة خاصة وبين كونها لفافة غير مخيطة ام لا يجوز له ذلك افيدوا الجواب مأجورين .

الجـــــــــواب :

الحمد لله الشافي والصلاة والسلام على صاحب الشرع الشافي وعلى ءاله واصحابه وكل من اهتدى بمناره وانتسب الى جنابه

اما بعد فالجواب وبيد الله ازمة الالهام الى الصواب ان محل الالم اذا كان بحيث يضر المسح على العضو المتألم فانه لا محالة يسقط ايصال الماء اليه ولو مسحا قال الامام الاعظم رضي الله عنه وعن سائر ايمة المسلمين في رواية مشهورة عنه لا يفترض المسح عليه اصلا ولو على العصابة

بان يسقط المسح راسا بسبب العذر قال الكمال قال القدوري في التجريد الصحيح من مذهب ابي حنيفة انه اي المسح ليس بفرض وقوله في الخلاصة ان ابا حنيفة رجع الى قولهما لم يشتهر شهرة نقيضه عنه اي عدم الرجوع والقول بعدم فريضة المسح ولعل ذلك معنى ما قيل ان عنه روايتين وقال في التجنيس الاعتماد على ما ذكر في شرح الطحاوي وشرح الزيادات انه اي المسح ليس بفرض عنده اي عند الامام الى هنا كلام الكمال . وقال قبل بعدم الفساد بتركه اي المسح اقعد بالاصول و في البحر ما محصله ان الصلاة وان لم تفسد بترك المسح ولا يفترض اعادتها لكن يجب اعادتها بتركه اي المسح اي لان الواجب لا تفسد الصلاة بتركه لكن تختل وقيل انه اي المسح مستحب على قول الامام لان العذر والمرض اسقط وظيفة المحل كذا في الفتح وعلى هذا لا خلل . وقال الصاحبان هو فرض تفسد الصلاة بتركه قال في البحر قد اختلف التصحيح في افتراضه اي المسح او وجوبه ولم ار من صحح استحبابه على قول الامام ثم لا فرق بين سائر الآلام في حكم المسح كما يقتضيه قول الامام الزيلعي لان الضرورة تشمل الكل وفي التبيين والبحر والفتح وان كان باعضائه شقوق امر عليها الماء ان قدر والا مسح عليها اي ان قدر والا تركها وغسل ما حولها: ونقلوا عن المحيط اذا زادت الجبيرة على راس الجرح ان كان حل الخرقة وغسل ما تحتها يضر بالجراحة يمسح على الكل تبعا ونقل في البحر عن الكافي مانصه ويكتفي بالمسح على اكثرها في الصحيح وقال قبل وعليه الفتوى وان كان الحل والمسح لا يضر بالجرح لا يجزيه مسح الخرقة بل يغسل ما حول الجراحة ويمسح عليها لا على الخرقة وان كان يضره المسح ولا يضره الحل يمسح الخرقة التي على الجرح ويغسل حواليها وتحت الخرقة الزائدة على محل الجرح اذ الثابت للضرورة يتقدر بقدرها قال الكمال هكذا الكلام في العصابة . اذا علمت هاته الاصول فالكسيطه لباس الساق ولم يقصد منها شد محل الالم فصاحب الالم لا محال عند وضوءه نزع الكلسيطه حتى على فرض اعتبارها بالعصابة لانك اذا اعتبرتها بها كان مما لا يضر حلها ونزعها وقد علمت ان الحكم في هاته الصورة يجب غسل ما عدا محل الالم والعصابة متيسر فيها ابقاء غطاء محل الالم بخلاف الكلسيطه بحيث لم نزعها وهي لباس الساق اخرى في نازلة حكم الشقوق المتقدم في كلام الجماعة فان استطاع امر الماء على محل الالم وان لم يستطع مسحها وان لم يستطع المسح تركه وغسل ما حوله هذا ومتى خاف وصول الماء عند غسل جوانب محل الالم اليه يبعد عنه الى غسل الجوانب التي ينتفي فيها الخوف قياسا على ما قالوه في المحل الذي لم يستره عصابة المفتصد ففي مختارات النوازل والذخيره يمسحه وهو الاصح قال في الذخيره لانه لو كلف غسل ذالك الموضع ربما تبتل تلك العصابه وتنفذ البلة الى موضع الفصد فيتضرر نعم اذا كان نفس نزع الكلسيطة مضرا به كالغسل فانه يمسح على اكثر ما غطى منها محل الوضوء كما علمت . هذا الفقه الراجح في نظري والله المنعم . كتبه الفقير الى ربه احمد بن الخوجة في ٧ جمادي الثانية سنة ١٢٩٢

التاريخ

الشيخ محمد الجودي

هو : العالم المربي والاستاذ الفاضل بقية السلف الصالح المملوءة حياته الحافلة بالنفع العام والمهتدى بارشاده وفتاويه في مدلهم الاحكام سيدي ومولاي شيخ الاسلام أستاذي وملقني الشيخ سيدي محمد بن قاضي الجنة والمتدرع بالكتاب والسنة ابي الفلاح الشيخ سيدي صالح بن ابي الفضل الشيخ قاسم بن الحاج علي بن محمد بن ابي الطيب بن محمد بن سليمان ابن احمد الجودي التميمي القيرواني المولود بالقيروان في الثلاثين من شوال عام ثمانية وسبعين ومايتين بعد الالف والمتلقي لكتاب الله العزيز والمثابر على حفظه وتلاوته عن مؤدبه الشيخ صالح الرزق العوفي ثم عن الشيخ الحاج محمد الزوابي الشريف الحسني القيرواني والمتلقي للعلوم والاخذ لها عن علماء القيروان الاجلاء الافذاذ فاولهم تلميذ والده القاضي المفتي الشيخ سيدي محمد العلاني والقاضي الشيخ سيدي محمد حمدة بوراس وشقيقه القاضي المفتي الخطيب الشيخ سيدي الحاج محمد الذي كان يحنو عليه حنو الاب الشفوق عن ابنه البار والباش مفتي خاتمة المحققين الشيخ سيدي محمد (بالفتح) صدام الشهير الذى كانت له به عناية خاصة ويحثه على ملازمة الدروس والتدريس وسؤاله كلما قابله عما يشكل عليه في القائه وتلقيه ويكشف له النقاب عن ذلك الى غير هؤلاء من بقية علماء القيروان ومدرسيها ثم عن شموس الكلية الزيتونية ادام الله عمرانها كشيخ الشيوخ واعز اهل التحقيق والرسوخ الشيخ سيدي سالم بوحاجب وسيدي الحاج الطيب النيفر وسيدي مصطفى بن خليل وسيدي مصطفى رضوان وسيدي حميده بن مراد والد شيخ الاسلام الحالي والشيخ سيدي محمد النجار والد شيخ الاسلام المالكي فسح الله في عمره وغيرهم ممن يضيق المقام عن تعداد الغالب منهم ولما ملا وطابه ورجع للقيروان انتصب للاشهاد الذي وليه في حياة والده سنة ١٢٩٢ اثنين وتسعين ومائتين والف وعكف على التدريس احتسابا في الجامع الاعظم في النهار وفي الليل بين العشاءين وخصصه لتدريس الفقه حرصا على نفع تلامذته وعامة المصلين حتى ضاقت رحاب الجامع بكثرة المستفيدين وفي اثناء ذلك ختم كتبا عديدة في فنون مختلفة من توحيد وحديث وفقه عبادات ومعاملات وفرايض فقها وعملا حتى اشتهر ذلك وبلغ المراجع العليا فصدر له امر علي في التدريس بالجامع الاعظم بالقيروان عام ١٣١١ واجرى له المرتب

كسائر المدرسين امثاله وفي عام ١٣٢٠ قدمه نقيب الاشراف اذذاك صفوة الخيرة الشيخ سيدي محمد حمدة العواني والد النقيب الحالي للتدريس بالمدرسة العوانية واجرى له مرتب امثاله بقي له جاريا حتى لوفاته وفي عام ١٣٢٣ قدمه شيوخ زاوية سيدي عمد بوكرد التي خلف الزاوية الصحابية بالقيروان وفي عام ١٣٢٩ ولي الفتوى بالقيروان ثم رياستها عام ١٣٥٧ - ١٩٣٨ وارتحل للحج سنة ١٣٣١ فحج وزار ودخل بيت المقدس وتنقل في البلاد السورية والشامية وزار مزاراتها الشهيرة واجتمع بعلماء كل مكان تطؤه قدمه واستجازهم واجازوه وكتبوا له سندهم في تلك الاجازات التى يتعسر التحصيل عليها وجمعها عند الكثير من امثاله وكلهم السنة تثني عليه وتذكر سعة اطلاعه وطول باعه في كثير من العلوم وكثير منهم فرحوا بذلك فيما حرروه من تآليفهم وما سطروه من نفثات اقلامهم وذلك زيادة على رحلاته للبلاد المغربية مثل فاس ومراكش ومكناس واخذه عنهم سواء بالمشافهة والموافقة وبالمكاتبة اذ كلما كاتب عالما من علماء المغرب من محققيها المشاهير وطلب منه الاجازة الا واسرع في اجابته لما له من الشهرة هنالك لما يسمعون عنه من علمائهم الذين اجتمعوا به هنالك وفي الشرق وينقلونه اليهم من مباحثه العلمية والتاريخية بحيث صار معلوما عند جميعهم كواحد من اهل وطنهم ولما خصه الله به من اكرام كل ضيف يحل بالقيروان من اهل العلم من اي قطر من الاقطار الاسلامية ويجدون محله مفتح الابواب لايوايهم وجمع كل من ينتسب للعلم للاجتماع بهم ولا تسال عن المذاكرات والمباحث العلمية التي تجري بينهم هنالك بحيث صار محله قل ان يخلو من العلماء والمستفيدين من التونسيين وبقية الاقطار الاسلامية ومهما راى او سمع بواحد من اهل العلم دخل القيروان الا وذهب اليه وارسل له الرسل حتى ينزل بمحله ضيفا كريما مبجلا وهذا امر مشاهد يعلمه كل من زار القيروان. ولفقيدنا الماسوف عليه ءاثار علمية عظيمة منها تاسيسه بجعل خزائن بجامع عقبة حشر اليها كثيرا من الدواوين الفقهية النادرة والتفاسير العظيمة من مختلف العلوم وتباين الفنون وصلت عدتها الان أزيد عن ثلاثة ءالاف مجلد غالبها كتبه حبسها على الجامع الاعظم المذكور والبعض الباقي من فضلاء المتبرعين كالباشا المقدس سيدي محمد الهادي باشا باي رحمه الله وجازاه بنعيم الجنة والمحسن الشهير السيد الحاج محمد بن خليفة وبقية افراد من اهل الخير والمعينين على العلم

ومن ءاثاره العلمية ما تركه بخزانته وهما تاليفان اثنان في التاريخ اولهما صنفه عام ١٣ سماه مورد الضمآن في ذكر المتاخرين من فضلاء القيروان في مجلدين ضخمين ترجم فيه لثلاثمائة وواحد وسبعين عالما ممن اغفله صاحب المعالم وغيره زيادة عما ابان من القوة فيه من تاريخ تاسيس القيروان.

نقدم لحضرة القراء في هذا العدد كاتبا اجتماعي من علماء جامع الزيتونة انضم لمحرري المجلة وسيشارك هيئتها بتحاريره القيمة ومواضعه الطريفة وفيما يلي محاضرته التي القاها في الحفل الذي اقامته « جمعية الشبان المسلمين

الرياضة البدنية في القديم والحديث

وتاثيرها على الاخلاق

بقلم العالم الشيخ عبد الوهاب الكرارطي

بسمك اللهم استفتح. وبحضرة نبيك محمد استنجح. واسالك اللهم ان توفقنا اكثرمما نطمع وتبعدنا عن الشر حتى لا يكون له علينا سبيل .

سادتي الافاضل .   ابنائي النجباء .

اسمحوا لي ان اقدم لكن تحية الرابطة الرياضية للشبان المسلمين وشكرها الجزيل على تفضلكم بحضور هذا الحفل البهيج .

واذا كان للرابطة ان تفخر بشيء فبتقديركم لها . واذا كان لها ان تطلب لاعمالها جزاء فحسبها بعد رضاء الله . ما لقيته من حضراتكم من عطف وتشجيع .

ايها السادة :

شاءت المقادير ان تشرفني هيئة الشبان المسلين فاقترحت علي ان احدثكم بما يناسب المقام فلم اتردد في القبول ولم اتردد في ان اجعل موضوع حديثي :

الرياضة البدنية في القديم والحديث . وتاثيرها على الاخلاق . . .

وهو موضوع متسع المجال . مترامي الاطراف متشعب المسالك . يقع معالجه في بحر لجي لا ساحل له ويغرق في متلاطم من الامواج ليس لها سكون وقصاري من يريد ان يتكلم في شأنه ان يكون كالنحلة تجمع نقطة الشهد من زهرات كثيرة بامتصاص ما فيها من الرحيق. ثم تمزج من مجموعها عسلا مصفى فيه شفاء للشاربين .

ومعاهدها كالجامع الاعظم والمقام الصحابي

والتاليف الثاني سماه تاريخ قضاة القيروان من لدن الفتح الى الآن ١٣٥٢ ترجم فيه لمائة وواحد وثلاثين قاضيا لم يذكرهم غيره وعثر عليهم في بعض التراجم وعتيق الرسوم فهذا الاستاذ العظيم خدم الدين والاسلام والتاريخ في بحر الاربعة والثمانين عاما والشهر الواحد والثمانية ايام مدة عمره خدمات جليلة تنطق بها آثاره وعلومه التي بثها في بطون الدواوين وصدور الرجال تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته انه الكريم المحسن   محمد الطراد

ايها السادة :

اذا كنا نفهم من الرياضة البدنية في عصرنا الحاضر انها علاج للفتور الناجم عن الترف والحياة الوادعة او مناهضة للضعف او انها ضرب من صنوف اللهو وتزجية الوقت ، فقد كانت عند العرب في باديتهم مرادة لاعظم من ذلك خطرا ، وابعد غاية ... واليكم قبسا من البيان ...

بنيت حياة العرب في باديتهم على توقع الخطر وترقب المباغتة ، وقد كثرت فيهم الحروب والغارات وليست كلها انتقاما للشرف ، اخذا بالثار ومجازاة على العدوان ، ولكن كثيرا منها كان عدوانا ومبادهة بالشر من قوي باغ ، على ضعيف وادع بل هم اذا لم يجدوا عدوا من غيرهم قاتلوا انفسهم ولعل خير ما يمثل ذلك قول القطامي متحدثا عن افراسه الحسان وفرسانه الشجعان :

وكن اذا اغرن على قبيل ... فاعوزهن نهب حيث كانا

اغرن من الضباب على حلال ... وضبة انه من حان حانا

واحيانا على بكر اخينا ... اذا ما لم نجد الا اخانا

فهم اذا علموا ابنائهم الفروسيه ، واخذوهم بالمرانة على الرماية والتسديد فانما يفعلون ذلك استعدادا للموائبة والمجالدة ، والكر والفر كما يفعلونه التماسا لوسيلة من وسائل العيش ولسنا بصدد ان نحصر انواع الرياضات عند العرب ولكننا ذاكرون منها اشراف ما هو معروف :

كان لهم بصحراء جزيرتهم مراح وسيح يطلبون فيه انواع الوحشي والطير ...

ويستعملون لذلك الاحابيل والمصايد ، وينصبون الفخاخ ويحملون القسي والسهام ، ويتخذون لمعونتهم على هذا ما يكلبونه من الضواري والجوارح لتمسك عليهم صيدهم ، ولم يكن كل طردهم للحيوان لتحصيل الرزق ورد الجوع ، بل ان كثيرا منه كان تمرسا بالشدائد ، ومغامرة في الصعاب واعتدادا بالقوة ، والا فما شانهم والاسد ...؟ يتخذون له الزبا ، وليس هو بماكول عند عامتهم فليس يدفعهم الى صيده الا الافتنان في الحيلة والتلهي بنوع من الرياضة على حد التعبير الحديث والصيد يطلق على فعل الصائد ، وهو اعتقال الحيوان او الطائر وحرمانه من حريته التي كان يتمتع بها في مسارحه واجوائه ، كما يطلق على نفس الحيوان او الطائر اذا وقع في قبضة الصائد ، اما القنص بسكون النون فهو الصيد ، فان فتحت النون صار بالمعنى الثاني اي نفس الطائر او الحيوان ، والناس يخطئون فيقولون خرج فلان للصيد والقنص (بفتح النون) وهو لا يكون مصدرا الا بسكونها ...

وان نظرة خاطفة في كتاب المخصص لابن سيدة في باب الصيد والآته لتدلنا على ان

ان العرب كانوا يعنون بهذا الامر عناية تامة بدليل ما وضعوا له من الفاظ تدل على احواله وعوارضه فهم يسمون مزاول ذلك صائدا ، وقانصا فاذا كان خروجه في نصف النهار سمي ساميا والجمع سماة وقد دلوا على استثارة الوحش واخراجه من مكمنه فسموا ذلك : نجشا ومحاولة نجاشا ومنجاشا وعبروا عن الخيبة في الصيد والرجوع بلا شيء : بالارجاء فقالوا ارجانا وارجينا اي لم نصد شيئا . . . وغير هذا كثير . . . .

والآن ننتقل الى ناحية اخرى من الحديث ، وهي الرياضة في الاسلام ، نقول سبق الاسلام كافة البشر الى وضع القواعد الصحية الحقيقية المبنية على ارتباط صحة العقل بصحة الجسم وجعلها اسا من اسس الايمان وحمل كافة متابعيه على الائتمار بها والالتفات اليها ، اقرؤوا ان شئتم نصيحة الرسول عليه السلام: سلوا الله العفو والعافية فان احدكم لم يعط بعد اليقين خيرا منها ، ولم يكتف بهذا بل قدر كل الوسائل العامة لحفظ الصحة وتقويم الاجسام مثل النظافة والرياضة العقلية والجسمية تشرفوا ان أحببتم بقوله عليه السلام : الطهور شطر الايمان ، وقوله : روحوا القلوب ساعة فساعة وقوله : احب اللهو الى الله اجراء الخيل والرمي ، وقد كان للفروسية شان كبير في الاسلام سيما في قرطبه احدى عواصم الفردوس المفقود ، يقول المؤرخ : رينو : ان خلال الفروسيه الاندلسية وشمائلها الرقيقة كانت مستقى عاليا اخذت منه الفروسية النصرانية الكثير من خلالها ورسومها ، وكانت الاندلس كافة يقصدها فرسان اروبا من كل صوب بعهد سلام وحماية من الخلفاء ليعقدوا المباريات مع فرسان الاسلام ، وقد بلغت هذه الفروسية الاسلامية اسمى شؤونها وقمة ازدهارها في مملكة غرناطه التي يفيض تاريخها باخبار الفرسان وشجاعتهم ووفائهم وشهامتهم مما لا يسمح المقام بالافاضة فيه غير انا نذكر على سبيل التمثيل واقعة تاريخية نستطيع ان نستنشق منها خلال هذه الرياضة

هي أن الفرسان المسلمين حاصروا ملكة قستالة زوجة الفونس السابع في قلعة ازيكا سنة ٥٣٤هـ فأنبت الملكة الفرسان المسلمين على سلوكهم ورمتهم بنقص في الشجاعة والخلال لانهم هاجموا قلعة تدافع عنها امراة ـ فاقر الفرسان عدالة التأنيب ، وقدموا لها اسمى ضروب الاحترام ، ورفعوا الحصار وارتحلوا عن الديار هذا كله قد كان ولكن

اتى على الكل امر لا مرد له ... حتى مضوا فكان القوم ما كانوا

ولعل الوقت قد آن للحديث عن الرياضة في العصر الحاضر فنقول :

ان نظرة عجلى لما يقدره علماء التربية الان في شان الرياضة البدنية ومالها من الاثر العميق في الجسم والاخلاق تكفي دليلا على مكانتها العظمى وسبيلها الاقوم والعناية بها في الحقيقة

وشاهد حسي على اهتمام الامة بابنائها الذين هم عتادها ومصدر ترقيها في الحاضر والاستقبال

وقد اصبحت الحياة الرياضية اليوم في العالم الراقي من حيث مركزها الاجتماعي تشبه الحياة الاقتصادية والعلمية تمام الشبه وهذا امر حقيقي ثابت اقرته الحوادث واثبته الواقع ...

اما في بلادنا فلا يزال فيها من ينظر الى الرياضة نظرة خاصة فيها الكثير من الابهام والغموض . ولعل ذلك يعود الى عدم تفهم اولئك الاشخاص حقيقة الحياة الرياضية الطاهرة الشريفة . وما تؤتيه من ثمار نحو المجتمع مصدره الجهل الحالك والتعصب الممقوت والرياضة كانت ومازالت تسير مع المستوى الثقافي جنبا الى جنب . فتسمو بارتفاع الدرجة الثقافية وتنحط بانحطاطها ...

وغني عن الوصف ما كانت عليه درجة الثقافة في العهد القديم . وما كان يقف في طريقها من صعاب وكذلك الحال في الرياضة التي تلازم الثقافة وتمشي الى جانبها هبوطا وارتفاعا فقد ادركت من كان يحكم على الرياضة بانها من اكبر المخالفات .

ومهما فتشنا في زوايا العقول المتاخرة لنجد سببا يبرر هذا الموقف فلن نعثر على غير سبب واحد . الا وهو اضطهاد الثقافة

وهذا الاضطهاد . الذي كان يقف عثرة قوية في سبيل انعاش الحركة الرياضية بدا يزول تباعا حسب التطور الاجتماعي الذي قضى بتفهم حقيقة الروح الرياضية وما تشتمل عليه من صقل نفوس الشباب وتنقيتها من أدران المجتمع الفاسدة ومن إيجاد شباب يفهم معنى الحياة الصحيحة . شباب مسلم وثاب الى العلى . عالم بما يفرضه عليه الاسلام . من ثبات واقدام .

ولنترك الان قليلا البحث في قوة الحركة الرياضية في هذا القطر ولنات على وصف ما حولنا من بلاد والآخذ بالتحليل بلاد الكنانة مصر المسلمة واهتمامها بالرياضة لا يعود الى زمن بعيد بل لا يتعدى على وجه التقريب سنوات معدودات .

وحكومة مصر تنظر الى الحركة الرياضية كشيء مقدس يجب ان لا يمس باذى . وكانت تزيد في مخصصات الرياضة . وتؤازر انشاء الاندية واقامة المهرجانات وتغذيها بالمال والتشجيع وقلما تسمع باقامة حفلة رياضية او مهرجان لا يشرفه جلالة الفاروق . وتتبناه حكومته . ويصفق به شعبه طربا واستبشارا .

اما المخصصات المالية لها « فاقرب الى الخيال منها الى الحقيقة ولو لم اقف على ارقام ناطقة صارخة بملء فيها « مائة الف من الجنيهات » اي ما يقرب من خمسين مليونا من الفرنكات على اقل تقدير لما اتيت على ذكرها

واما التشكيلات الرياضية الرسمية فلا بد للاحاطة بها من سرد مجلد خاص ، ويكفي للدليل على مبلغ العناية بها وجود دائرة مستقلة في وزارة المعارف تشرف على هذه الحركة في جميع انحاء القطر ....

فضلا عن البعثات التي ترسل الى اوروبا سنويا لمتابعة الدرس والوقوف على آخر ما وصل اليه فن الرياضة من تقدم ورقي - والى جانب هذا كله دروس صيفية تلقى على اساتذة الرياضة بالمدارس لاطلاعهم على كل تعديل يجب ادخاله في مجرى السنة الدراسية

ولم تنحصر العناية بامر الرياضة في مصر بل تعدتها الى غالب بلدان الاسلام كالعراق وتركيا والشام وحتى في الحجاز منزل الوحي ومهبط القرءان. هذه لمحة موجزة عن الحياة الرياضية عند المسلمين

اما الرياضة عند الاروبيين فقد وصلت الى اوج مجدها وقمة عزها . واكثرها له فضل السبق في ايجاد العاب كاملة مثل كرة القدم فهي وليدة الانكليز ونبت افكارهم. وبالجملة فالاهتمام بامر الشباب وتنظيمه لم يكن وليد المناسبة بل كان نتيجة درس واختبار وتجربة واعتراف بان الحكومات لا تبنى على الاموات . ولا تتمركز على غير القوة والشباب ...

هذا وان للرياضة غايات شريفة. ولكن ليس اهمها اتقان اللعب والتفوق فيه. ومراعاة صحة الجسم . ولو ان هذه الامور في ذاتها تستحق كل اعتبار اقرارا بتلك العبارة التي ابلاها الاستعمال وما بلت ولا قدمت وهي : ان العقل السليم - في الجسم السليم . ولكن ليس لهذه الاسباب فقط وضع الاروبيون الرياضة موضعها الهام في حياتهم بل لانهم وجدوها قد افادتهم اخلاقا عاليه وفضائل سامية كانت اساس سعادتهم ونجاحهم . فتمسكوا بها وغالوا في تكريم اصحابها وتشريف المنتمين اليها - ويقول امين مرسي في كتابه : اصول التربية . ان للالعاب الرياضية أثرا كبيرا في تكوين الخلق الصحيح فضلا عن تقوية الجسم وجعله ناشطا ميالا للعمل ولذلك توجهت العناية اليها في المدارس الأروبية والاميركية - واعتبرت مادة كسائر المواد الاخرى - ووضعت داخل الجدول المدرسي نفسه - والالعاب ذات الاثر الكبير في الخلق هي التي تعرف بالالعاب الحرة - لا تلك التي ليس للارادة دخل كبير فيها ...

ولنترك صاحب السعادة عبد الفتاح باشا — احد ابطال الرياضة في مصر — يحدثنا عما يقدسه الانقليز من الرياضة يقول الانقليز ومثلهم بقية الاروبيين يقدسون من الرياضة ادابها - اذ ان ادب الرياضة هو الذي افاد الانقليز ما افادهم - وهو الذي سرى منها الى حياتهم كلها فهيمن عليها ، ووضع لهم معاييرهم الاخلاقية ، ومقاييس حكمهم على الرجال

ادب الرياضة هو الذي خلق لهم في حياتهم العامة والخاصة تلك الاحكام الاخلاقية التي تعنو لها حياة الجميع . تلك القواعد الصلبة التي لا تلين تلك الاحكام الصارمة التي لا تعرف الظروف المخففة او الاعتبارات الملطفة . . . بل ان الرا... نفسها تنحني امامها وتفسح لها الطريق راضية . الانقليز يقولون اذ يرونك تحيد عن تلك الاحكام الخلقية : العب اللعبة - اي سر في الامر على ما علمتك الرياضة فيما رسمته لك من نهج اخلاقي قسيم . . هذه عبارة يقولها عامتهم كما يقولها الخاصة . ويعنون بها شيئا واحدا . وهي عبارة ا... في جميع الاوساط فعل السحر فانها في الغالب ترد المخطيء الى صوابه ولا يكون امامه الا طلب الصفح والمغفرة . فهل نعجب بعد هذا ان يجعل الاروبيون للرياضة هذا المكان العالي في حياتهم وهل نعجب اذ نراهم حين يقدمون الرجل منهم لاكبر المهام وحمل اثقل المسؤوليات يذكرون من مناقبه انه رياضي بالمعنى الصحيح . وهل نعجب بعد ان نعلم ان الرياضة عندهم ليست صناعة تحذق بل هي مجموعة من الصفات الكريمة الفاضلة ولا اكون من المبالغين عند ما ادعي : ان الرياضة التي سقاها ماء الاسلام الطاهر وفاضت عليها انوار القرءان الباهرة هي اجل مدرسة اخلاقية عرفها العالم تجيش بالكمالات وتزخر بجميل الصفات وغني عن البيان وصف ما تسديه الاخلاق الدينية للشعوب من رقي وسؤدد ورشاد . فلا حياة للنفوس الا بالاخلاق . ولا للقلوب الا بالدين وان الامة القائمة على غير اخلاق ودين كالبناء المشيد من طين قليل الاسل قريب الاجل

فليس كالدين شيء يقرب الامال ويوحد الاعمال ويخلق الاخلاق بل لا اخلاق بغير دين وان من حاول بناء الاخلاق على الفلسفة فقد باء بالخطإ الفادح لان الفلسفة راي متحول ودخان لا يستقر في مكان وان استقر اضر وترك اسوا الاثر

اننا - ايها السادة - في هذا العهد احوج ما نكون الى الدين والاخلاق وليست حاجتنا الى تعميم العلم بقدر حاجتنا الى تعميمهما وانني اعتقد كما يعتقد التاريخ ان عظمة الامة ليست بكثرة الاموال والرجال بل بانتشار العقيدة السامية والاخلاق الفاضلة

لنترك الآن قليلا جهة الوعظ ولنعد الى ما تعلمه الرياضة من تعاليم وما تمليه من احكام . تعلمنا الرياضة انصاف الخصم والترفع في الخصومة . تدربنا الرياضة على عدم اليأس ذلك الداء الوبيل المتفشي في العموم الاسلامي

ينظر المسلم منا الى حالته ويقارن بين شقائها الحاضر وبين فخامة امالة وجلالة امانيه فلا يلبث حتى يقع في هوة عميقة من اليأس والقنوط ولكنه اذا تامل ما قام وما يقوم به هؤلاء الشبان في سبيل الاصلاح يرى ان لا مجال للياس اجل لا مجال للياس . الياس طير تمقته الطبيعة والحياة .

والوجود . لا يحب الا الظلمات ولا يسكن الا الخرائب . فلا تجعلوا ايها الشبان قلوبكم خربة من العواطف الحياة الشريفة . ولا تتركوها في ظلمات القنوط بل انظروا الى تلك الهمم التي ظهرت والعزائم التي خرجت . والمدارس التي انتشئت والجمعيات التي اسست واجيبوني . هل هذه تلائم الحياة . ام دلائل الممات . . .

ذكرتنا الرياضة في التسامح الاسلامي باتم معانيه ولكنها نسيت او بالحري عجزت ان تنفث في قلوب هؤلاء الضالين المتعصبين بصدد الذين قاموا في تونس الاسلامية . وبمرای من المسلمين ومسمع يهاجمون الامة في اقدس شخصية يعتز بها . وتريق آخر قطرة من دمها دفاعا عنها وصيانة لها . قذفهم عدوانهم الاثيم الى ان قالوا . وبئس ما قالوا . محمد دجال قلة ادب . وسخافة راي . وتعصب ممقوت . وخروج عن حدود الانسانية . تلك سيماهم وهم في الضلال يهيمون . وتعالى محمد عما يصفون . ولكنها حرب اشعلوا نارها . وفتنة اثاروا غبارها.

فيقظة ايها المسلمون وحذار ايها المبشرون وياتي بعد ذلك امر اخر . وليس اخرا . تمليه الرياضة . بل هو لبها وصميمها . هو الخشونة والبعد عن سمات المترفين

كان ياتي الى غاندي زعيم الهند الاكبر . شبان يتقدون . الحماسة . ويتحدثون عن بذل الروح واستقبال الموت باسمين . فكان يضحك لكلامهم ويطلب منهم ان يذهبوا الى البئر ليحملوا الى الجبال ماء . فيجرون بل يتسابقون ثم يطلب اليهم ان يذهبوا الى المراحيض ليغسلوها فيشق عليهم هذا الامر . ويكادون يتساءلون وما علاقة هذه العملية القذرة بالتربية والتهذيب . ولكن غاندي كان يعلمهم الفدائية الروحية اي الخوشنة . كان يحاربهم الترف . كان ينقلهم من الدنيا ذات المغريات الى الدنيا التي تنكر فيها الذوات . لسنا في حاجة الى غاندي . ليعلمنا هذه الفضيلة لان عمر ابن الخطاب كان يحكم العالم الاسلامي وهو يلبس م[illegible] وينام تحت شجرة . ويحاسب نفسه واهله على الدرهم الحقير والشيء التافه الصغير . يا شباب اليوم . اليكم يساق الحديث انتم جند الدين . انتم جند العمل الصالح

وخليق بالجنود ان يكونوا شجعانا يحملون قلوب الرجال . ويذودون ذود الابطال فكونوا اولئك الجنود . ودعوا الخمول والركود . وخلوا التجمل للغواني . فلا جمال الا جمال الرجولة ولا كمال الا كمال البطولة . فسحقا لوقت كان الخمول فيه رمز الشباب والدنايا خصلته . وسقيا لعهد كانت القوة فيه رمز الشباب . والفضيلة حليته .

ايها الشباب

كنت احب ان اطيل الطواف حول الالوان الشهية التي تزخرفها مائدة الرياضة ولكن الوقت المحدود يضيق عن ذلك . فاسمحوا لي ان اقول لكم في الختام . يا شباب الاسلام : ان لكم رياضة اسلامية غنية بالاخلاق والاداب . ففتشوا عنها واستغلوها بعقل وروية . وذمة واخلاص وتسعدوا وتسودوا . وتكونوا فوق هامات العالم كما كان آباؤكم . ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون . والله معكم . . . والسلام عليكم .

بريـد المجلة ...

الأسئلة والأجوبة

بقلم صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد الحطاب بوشناق المفتي الحنفي رعاه الله

باسمك اللهم نستفتح المقال . ومن فيض جودك نستمنـح النوال . ونصلي ونسلم على من ختمت به عقد الارسال. صلاة وسلاما يعمان الصحب والآل. وبعد فقد اجلت النظر في السؤال الذي عرضه السائل وحاصله انه تشـاجر مع ابيه واشتد به الغضب ثم بعد انتهـاء الخصومة شهد عليه اثنان بانه حرم زوجته وهو لم يشعر بذلك.

واقول في الجواب : انه لا عبرة بذلك الطلاق الذي وقع منه في تلك الحالة ولا يعتد به ان كان الامر كما قال وصار لا شعور له لانه من قبيل المدهـوش وهو كالمجنون كمـا في الدر وحواشيه واستشكل في الحواشي المذكورة فرعا نقله عن البحر والفتح والخانية في باب التعليق حاصله لو طلق فشهد عنده اثنـان بانك استثنيت وهو غير ذاكـر ان كان بحيث اذا غضب لا يدري ما يقول وسعه الاخذ بقولهما والا لا. فان مقتضاه انه اذا كان لا يدري مـا يقول وقع طلاقه والا فلا حاجة الى الاخذ بقولهما انك استثنيت وهذا مشكل جدا الا ان يجاب بان المراد بكونه لا يدري ما يقول انه لقوة غضبه قد نسي ما يقول ولا يتذكر بعد وليس المراد انه صار يجري على لسانه ما لا يفهمه اولا يقصده ويؤيد هذا الحمل انه في هذا الفرع عالم بانه طلق وهو قاصد له لكنه لم يتذكر الاستثنـاء لشدة غضبه اهـ .

ثم قال ومما يؤيد هذا الجواب ما في الولوالجية ان كان بحال لو غضب يجري على لسانه ما لا يحفظه جاز له الاعتماد على قول الشاهدين. فقوله ما لا يحفظه يعد صريح فيما قلنـا والله اعلم انتهى كلام المحقق ابن عابدين روح الله روحه ونور ضريحه

واما السؤال الثاني وحاصله ان صبيا رضع من امرأة ولم يتحقق وصول اللبن الى جـوفه فهل تثبت الحرمة بهذا الرضاع.

وجوابه انه لا تثبت به الحرمة لان شرطها تحقق وصول اللبن الى جوفه وعبارة متن التنوير مع شرحه ويثبت به وان قل ان علم وصوله لجوفه من فمه او انفه لا غير فلو التقم الحلمة ولم يدر ادخل اللبن في حلقه ام لا لم يحرم لان في المانع شكا اهـ . له احمه

وفي فتح القدير للمحقق ابن الهمـام مـا نصه لو ادخلت الحلمة في في الصبي وشكت في الارتضاع لا تثبت الحرمة بالشك والواجب على النساء ان لا يرضعن كل صبي من غير ضرورة واذا ارضعن فليحفظن ذلك وليشهرنه وليكتبنه احتياطا انتهى وبه يتضح الجواب عن السـؤال ولله الكمال

محمد الحطاب بوشناق

« عود على بـــدء »

ـ مبـــــــدأي ـ

انتقد قبل ان تعتقد ، فان علي ان افكر واقـول وليس عليك الاعتقاد والقبول. بل خذ حسن ما تلقى بقوة واشكر الله تعـالى علـيه وادفع عنك وعني غبي وغيك بالتي هي احسن

رغب الي الاستاذ العلامة الموفق الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي شكر الله تعالى سعيه ان اعود لما كنت عليه في خدمة الدين والامة والبلاد من منذ ما يزيد على ربع قرن سلف على النحو الذي كنت اسلكه في ذلك تدريسا وتعليما وتحريرا بالصحف السيارة والمجلات .

ولا اخاله رعاه الله تعالى الا مدفوعا لهاته الرغبة بحسن الظن في قاصر مقصر لا يريد الشيخ الجليل ان يرى فيه الا الحسن الذي تمثله له في شان مرءاة صـادق حـبه وحسن طويته وطاهر سريرته زادها الله تعالى صدقا وحسنا وطهارة وقد وعدت الشيخ الاستاذ اجـله الله تعالى بان استخير منه جل شأنه في اجابة رغبته عسى ان يلهمني ربي لان اكون عند حسن الظن بي ويسدد خطاي ويحفظ فكري وقلمي فيما يسخرني اليه في هذا السبيل

وفيما انا انتظر هذا الالهام اذ جمعني بـالامس مجلس باكوده محبسي ومقر عزلتي جرى فيه الحديث فيما يريده الله تعالى بخلقه ولا يريد الخير الا خيرا .

وذكرت في نفسي ما فرط مني من عمل ساحاسب عليه ولا اخال ميعاد الحساب الا قـريبا فقلت بداهة : « لا الاه الا انت سبحانك اني كنت من الظـالمين » راجيـا ان يجيبني الله عنها انا عبده المؤمن المنكر على نفسي سوء ما عملت بما اجاب به قائلها ذا النون عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وازكى السلام : « فاستجبنا له فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين »

وهناك في احدى زوايا المجلس عن يميني شيخ مسن لئن قعد به المرض المزمن والتقدم في السن عن الجهاد في سبيل الحياة فانهما لم يقعدا بقريحته الوقادة وذكائه الحاد عن الاسترسال في البحث والاسترشاد في كل واد

وقد دفعته رغبته في ذلك على التمادي عليه واستفساري عن البيان فيما قلته « لا الاه الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين »

سألني الشيخ رمضان فشه ذلك المسن العليل عما اراده الله تعالى من قوله جل شانه « سبحانك » بعد قوله « لا الاه الا انت » ومعلوم ان كلمة الشهادة « لا الاه الا انت » تنزيه عام محيط لا يدع مجالا لاية صيغة من صيغ التنزيه يمكن ان يؤتي بها للقيام بالتنزيه الذي تؤديه «لا الاه الا الله » عنوان الاسلام الخفيفة على اللسان الثقيلة في الميزان ؟

وما هو موجب الاهتمام بارداف « سبحانك » بـ « لا الاه الا انت » وموقع كل من الكلمتين من التنزيه ما علمت وقول (لا الاه الا انت) فيه فصل الخطاب

وهو يود ان يعلم الحكمة اللامعة في هذا الارداف واثقا من ان للعليم الحكيم اجل الحكم فيما يقدم ويؤخر ويثبت وينسخ ويبدا ويردف في كلامه المعجز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما هو الا تنزيل من حكيم حميد .

ولو لم اكن عودت المفاجآت لعجبت من سؤاله وهو المسن العليل الذي ان قدر ان رفع عن نفسه كابوس الامية المميت فانه لم يدرس من اللغة وعلومها والقرءان وتفسيره وعلم البيان واسراره وعلم الكلام واقيسته وبراهينه ما يثير في نفسه مثل سؤاله . ولكنني وقد عودت أن اجد في مقول العامة والصبية والسنة الخلق وما ألسنة الخلق الا اقلام البارى ما لا اجده في رحاب العلم وعلى السنة العلماء . وقد رويت عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه « لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال » وءامنت بقوله تعالى « يؤتي الحكمة من يشاء » لم اجد بدا من ان استمع القول فاتبع احسنه .

حمدت للشيخ المسن العليل سؤاله في تجله واستلهمت الله تعالى الارشاد لما اجيبه به الجواب الذي يقنعه فالهمني فقلت :

إن الذي ارشدني الله تعالى اليه الان في ذلك هو ان الله جل شانه اراد من قوله « لا الاه الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين » حكاية ما قاله ذو النون يونس عليه السلام اذ ناداه في الظلمات هذا النداء الذي اجابه عنه فانجاه به من الغم وكذلك وعد ووعده الحق ان ينجي به المؤمنين من عباده والله لا يخلف الميعاد . ولذلك اقتديت وتعبدت به . ودعني ايها الشيخ الجليل اذكرك في ايجاز وبقدر ما يمن الله تعالى به علي بقصة ذي النون التي آلت به الى ظلمات راى نفسه فيها ظالما حين ولج مسالكها مؤمنا بـ « لا الاه الا انت » وما احاطت به من تنزيه لكنه قد اوهن تنزيهه او على الاقل قد غشي خلوصه واخلاصه فيه صدا عدم صبره على ما ابتلي به من تصامم قومه عن دعوته للاصلاح

والصلاح فخرج نافرا منهم وذهب مغاضبا وظن ان لن يقدر عليه فيبتليه بما هو اشد عنتا من عنادهم وركب البحر فرارا من قدر محتوم فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم

وما هو الا ان اصبح في الظلمات رغم ايمانه حتى ذكر ان الصبر على عوارض الدعوة الى الله مما اوجبه الله تعالى على الانبياء والمرسلين والمصلحين وانه لا يريد من الامم ان تكون مائعة سهلة الانقياد لا تبدي دفاعا ولا عنادا لان الميوعة والسهولة تذهب بقوتها فلا تلقى الايمان بقوة وثبات . وان لله في عناد المدعوين حكما يريدها صيرت من عمر مثل عمر في ايمانه وخلافته ولا يرضى من الانبياء والمرسلين والمصلحين ان يضجروا مما اراد من عناد فاستعجلوا ارتفاعه من طرف المدعوين او يغضبوا وما ضجر الضاجر وما استعجال المستعجل الا مثار التشويش وافتتان الداعين والمدعوين مما يدعوان اليه فيوسوس لهم الشيطان الضجر والاستعجال ما يشعر بنقص الداعين وما يدعون اليه من دين واصلاح لو صحا لثبتت اقدامهم وعزائمهم في الدعوة اليه مهما كانت التكاليف ولعل ذلك ايها الشيخ الجليل هو الذي اشعر ذا النون وهو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل البهيم انه ظالم بالرغم من ايمانه مضطرب القدم فيما قام به من دعوة لم يصبر على عوارضها التي اراد الله ارصادها للداعين والمدعوين لحكم يريدها فراى ان ينزه الله تعالى بعد الاعلان بتوحيده بما يشعر بتنزيهه عن العبث فيما يريده ويجري به قضاؤه الحتم فنادى في ظلماته (ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) وقد اقر الله تنزيهه في قرءانه المحكم الكريم وجعلها كلمة باقية الى يوم الدين تنادي المؤمنين وتلفت انظارهم الى ان الايمان والاقرار بالتوحيد انما هو تنزيهه وان يكن عاما مطلقا قد يكون عاطلا من حلية العمل والمراقبة فيه لما يصدر عن العامل من اعمال قد تكون ظلما من واجبهم ان يتنزهوا عنه بتنزيه الله تعالى عنه فيقولون ما قال ذو النون (لا اله الا انت سبحانك)

وقد راءني وانا اقرر ذلك للشيخ ان اراه وقد اخذته هزة من الخشية والخشوع واجلال ذو النون فيما صدر منه وتعظيم حكمة الله فيه جعلت دمعه يجري من مقلتيه البراقتين القارتين كالغيث الهاطل على وجنتيه الذابلتين ذبول مجتمعنا الماحل القاحل غيثا ارجو الله ان يجازينا عنه بفيض من دموع رحمته ويغدق نفحاته فيخصب ارضنا المتعطشة لهواطل نعمه وينير بصائرنا بخير نفحاته فيلين الكالح ويحيي الموات فيصلح الزرع ويدر الضرع وهو الجواد الكريم



وفيما انا افكر في الشيخ رمضان ودموعه وانغمس في اعماق نفسي على ضوء ما قررته له لابحث في ظلماتها عن مناط ايماني بما اقرره في حق الداعين للاصلاح والضعف الذي قد يتاتى على عزائمهم من عناد المدعوين اليه الهمت الى اني لم اعد فيما دعاني اليه العالم الموفق الشيخ سيدي الشاذلي ابن القاضي من العود لدعوة الاصلاح قد اتاه ذو النون فرددت قوله « لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين »

وهنا اوشك همي بكتابة ما اكتبه ان يكون عرقا استانف به عملي

وبينما كنت استبين هذا الالهام الجاري في قرارة نفسي جريان الثجاج في حوالك المزن المرعد المبرق اذ سمعت صوتا آخر يتجه الي من زاوية اخرى من زوايا المجلس فالتفت فاذا هو صادر من بدوي كهل اسمر اللون طويل القامة حاد النظر قوي البنية لا اعرف منه الا ان اسمه البشير وانه حارس من حراس النفسضة وسبق الى ظني انه امي او قريب من الامي فعجبت له وقد اراد ان يدخل فيما نحن بصدده التفت الى مخاطبي والقيت بسمعي الى خطابه الذي انتزعني من ربقة رسوبي في قرارة ظلمات نفسي انتزاعا ما اشبهه بنفخة البعث بعد الوفاة

سمعت مخاطبي يسالني سؤالا لا يقل روعة وجلالا عن سؤال الشيخ رمضان . يسالني هذا البشير عما اراد في قوله تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » لانه اشكل عليه امر فهم ذلك وتفهمه ولم يدر ما اذا كنا حقا خير امة وحالنا ما نعلم من ضعف وخور وضياع سيادة وجاه وذل وضيعة وامتهان وفقر في الانفس والارواح والعقول والمنازل والمجتمع والعلم والحكومة والنظام والمال وقد اخذت عنا سائر السبل حتى سبيل الحركة والتنفس والنظر والسماع بل وحتى سبيل احاديث النفس والاماني والاحلام وما من سبيل الا وعلينا فيه رقيب عتيد

كما لم يدر لم كنا في هذا الحال ونحن المؤمنون بالله وقد قال تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله »

ولم يدر ايضا لم قدم الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الايمان به تعالى والحال ان الايمان به جل شانه عماد الخير واساسه الذي لا يجدي عمل في السعي لتحقيق الافضلية والخير سواه.

وهل ان القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ابعد اثرا في المجتمع من نفس الايمان بالله حتى اهتم به العليم الحكيم وقدمه على الايمان به في كتابه المحكم المعجز ؟ وما هي حكمة الله تعالى في هذا التقديم الذي استلفت نظره واشكل عليه امره وهو يعلم ان العليم الحكيم له فيما يقدم ويؤخر من قرائد آياته البينات حكما بالغة بها كان كتابه معجزا في اسلوبه وقوة تركيبه ومتانته

روحه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما هو الا تنزيل من حكيم حميد . كنت اصغى الى مسائلي واجما مدهوشا من ذلاقة لسانه وسلاسة تفسيره عما يختلج بضميره ومتوقد قريحته وحاد ذكائه وهو في ظاهره وعلى ما تراءى لي منه بادىء ذي بدء بدوي لا ينبىء حاله عن بارقة علم تخرجه عن قيود الامية

راعني ذلك واردت ان اتعرف مسائلي فهمست في اذن صاحبي بالجنب وسالته من الرجل فعرفني بانه الشيخ البشير بن عمار بن صالح وانه يحفظ القرءان وزاول التعليم بجامع الزيتونة مدة سبع سنوات

وهنا . وهنا فقط قد رجعت فجاة الى خوض لجج ظلمات نفسي حتى قرارتها فرايتني في خبر الامس الدابر الى جانب الشيخين العالمين الاستاذين محمد الشاذلي بن القاضي وصنوه ابراهيم تتناجى في شان جامع الزيتونة والزيتونيين واهتزاز اركان الجامع وتبعثر الزيتونيين ووجوب تعمير الجامع بما يوطد اركانه ويضم شتات فرائده النيرة الزاهرة خدمة للدين والامة والبلاد وصدا لدعاة الفتنة والفساد عن ان تنال من مناط شرف الانسانية ما يمس بكرامة خير الخلائق والعباد

ولم يتشلني من زاخر لجي نفسي الا ما ابلغنيه تيار اخلاص مسائلي الساري الي على جناح اخلاصه الذي افعم قلبه نوره حتى تجاوز محيطه وتعلق بامواج الاثير فصار وحيا وصار ايحاء مست امواجه المتلاطمة شغاف قلبي فبعثتني لاجابته كما تمس الكهرباء امواج الهواء وتسخرها لنقل الاحاديث في كل مذياع . فقلت وانا اسبح في خضم نفسي لاطفو على صفحاته واتمكن من إجابة مسائلي : ما هذا الا بعث ثالث ابعثه من بعد موتي لاعود للحياة ولعل العود احمد بحول الله تعالى

لقد كان في اجتماعي بالاستاذ الجليل الشيخ الشاذلي بعث اول - ولقد كان في سؤال الشيخ رمضان بعث ثان وها هو سؤال الشيخ البشير يبعثني بعثا ثالثا فمرحى لاخارة اخارنيها ربي وحبذا هذا الالهام الذي لا يزال يحدو بي الى الحياة والحركة والعمل في سبيل الله

وبعد حمد الله على ذلك قلت لمسائلي :

ان العرب قبل البعثة بل ان العالم اجمع قد كان قبل البعثة المحمدية لا يخلو من ايمان بالله تعالى كما لم يخل من توحيده

ولقد كان بنو اسرائيل من اعرق الامم في ذلك ولذلك جاءت الآيات المحكمات تترى في محكم الذكر تقرر تذكيرهم بما انعم الله تعالى به عليهم حتى كانوا افضل العالمين وانما اهلكهم ما

اهلك غيرهم بالرغم من ايمانهم بالله وبتوحيده حتى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس «انهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه» وتعقب الصالحين من علمائهم واولي الامر فيهم خلف اضاعوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت اشراف علمـاء سوء يحرفون الكلم عن مواضعه يفتون في غير علم فذبح جميعهم بغير سكين وبعث الله تعالى في خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا يحيي صحيح العلم ويقيم الامر كما يريده لصالح خلقه لايجاد العلماء العاملين القائمين بواجب النصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر رحمة منه بعموم خلقه

وهكذا شاء برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ان يخلق من اضعف الامم ايمانـا به وبرسلـه امة كانت خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وجعلها ايمة واورثها فضيلة من سبقها من الامم فصارت بعصى النصح والتآمر والتناهي والايمان بالله مالكـة لناصية الفضل والخير رافعة لراية الشرف الانساني باليمين قابضة على اعنة الحياة الدنيا بشمالها ومكن الله لها في ملكه وملكوته وارى منها ادعياء الفخر العاطل والمجد المشوم القاسط والقوة العمياء العادلة عن طريق الحق ما كانوا يحذرون ولم يجد بني اسرائيل ولم يجد غير بني اسرائيل مجرد ايمانهـم بالله تعالى في حفظ كيانهم ولا في حفظ افضليتهم ما تهاون الجميع بالامر المعروف والنهي عن المنكر

كانت الامة الاسلامية خير امة اخرجت للناس لا بالايمان بالله وحده وبتوحيده فقط ولكن بقيامها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل ذلك ومعه وبعده ولكنها ويا للاسف المميت خلف من بعد صالحيها خلف سلكوا سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى دخلوا فيما دخلوا فيه من جحر ضب الايمان الخرب وعطلوا جيد ايمانهم من التحلي بالامر بالمعروف وغلوا يديه عن النهي عن المنكر فاصبح ايمانهم عاطلا مغلولا وامشى توحيدهم اشراكا خفيا فهم في بـؤس وهوان يحاولون الصعود الى السماء على متن بضاعتهم المزجاة من الايمـان والتوحيد العاطليـن المغلولين الاجوفين فتدفعهم عنها ملائكة الله ويريدون الاستقرار على الارض والثبـات عليهـا فتدركهم زبانيتها بانكى اسباب الطرد والخسف والزلزلة ويريدون الذبذبة بين السمـاء والارض فترهقهم الشياطين بشهبها وتسومهم الرجم والحرق فهم هم حيث وضعوا انفسهم بـالرغم من ايمانهم وتوحيدهم يسكنون مساكن الذين ظلموا انفسهم من بعد ما تبين لهم ما فعل الله بهـم تؤزهم عدالة الله اذا ما اضاعوا ما امر به من واجب القيام بالامر بـالمعروف والنهي عن المنـكر الا من رحم الله ولا حول ولا قوة الا بالله

ولذلك اهتم الله تعالى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقدمه في كتابه على الايمان به وجعله الحجر الاساسي الاول في السعي المحصول على قصب السبق في الخيرية والافضلية وجعل الايمان به ثاني الرتبة في الاهتمام لان في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر رحمة شاملة بعباده تنفعهم النفع العاجل والآجل ومن منافعها صحة الايمان به وتقويته اما الايمان به وتوحيده فانهما قد لا يعدوان امر كونهما حقا من حقوقه الواجبة له على عباده وهو هو الغني عنهما وجودا وعدما وما دامت نواصيهم بيده وما دام كل شيء يسبح بحمده وما دامت ءاياته ناطقات في كل شيء بانه هو الحق الازلي الثابت الذي لا شريك له فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فانه اعتد للظالمين نارا احاط بهم سرادقها .

وها هو الحق جل شانه فشاهده يمكن اقواما تناصحوا وقاموا فيما بينهم نوعا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر رغم كفرهم به ويخذل اقواما ءامنوا به ووحدوه لعدم تناهيهم عن منكر فعلوه ولم يتناجوا بغير الاثم والعدوان فلم ينلهم مع الايمان به ان صح غير الهوان .

كنت اجيب مسائلي بذلك وانا في حال اجدني فيها وقد اصبحت شخصين شخص يجيب سائله ويقرر له ذلك وشخص ثان يخاطبني في لسان لا يسمعه من يجلس الى جانبي ولا يتطرق صوته مسمعي وهو هو الحق النافذ الى سويداء قلبي والمتخلل لمسالك روحي يهيب بي وبكل خلية من خلايا هيكلي ومن وراء سائلي ومسؤولي ومشاهدي مجلسي انك قد هويت الى محجة الله وسبيله فهلم لاعانة الشباب المسلم الذي حصر همته في احياء سنة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولتجب دعوة رئيسه الاستاذ الفاضل لما يدعوك اليه من عمل بتوفيق الله تعالى فما داعيك الا مصلح وما دعوته الا الاصلاح ولا تهرب من تكاليف ما يدعو اليه ولا تقعد عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فتكون في الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

فخرجت من مجلسي مودعا لجلساء كانوا منار الهامي لاجيب داعي الفلاح بما اكتب فتقرا تحت (عود على بدء) راجيا ان يكون العود احمد وان يسدد الله فيه خطاي ويثبت في سبيله قلمي وفكري اعانة على خدمة الدين والبلاد والعباد .

سالم بن حميدة

الادب

« تهاني الاستاذ الامام بمنصب مشيخة الجامع الاعظم »

الخير في وجه هذا يجتلي النظر ... وفي الملامح والاقوال معتبر
ترى بغرته العتق المبين وفي ... فصيح منطقه ما دونه الدرر
والمرء تحت مطاوي النطق مختبىء ... كلامه مظهر ما فيه مستتر
عرفت (للطاهر) الميمون طالعه ... من المحامد شيئا ليس ينحصر
خلق عظيم واكناف موطأة ... ومجدة تدرك المعاني فينتصر
وهمة حلقت فوق السماك فما ... يروم مصعدها شمس ولا قمر
الى رجاحة آراء مسددة ... في كل شيء لها الابداع والاثر
سل اليراع وما خط اليمين بها ... فالكتب يلفى لديها الخبر والخبر
واسأل منازل عز (دام بهجتها) ... هل ابصرت في السوى كفئا له خطر
قل للذين احبوا الحمد من سفه ... وما سعوا سعيه يوما وما قدروا
ان المحامد لا تشرى لدى عطل ... ولا المراتب تعلي من به خور
فقيمة المرء فيما المرء يحسنه ... وماله في سواها الدهر مفتخر
وآدم اصبح الراقي لمعرفة ... والعلم فيه لاهل الفكر مزدهر
من اجل ذلك طار الناس من فرح ... اذ قال قائلهم قد ساعد القدر
وافاكم علم الاعلام من فخرت ... به المعارف واعتزت به الفكر
هو الامام (ابن عاشور) الذي لهجت ... بطيب اخباره الاعراب والحضر
وحيد ذا العصر في فضل وفي شرف ... وعن ارادته الايراد والصدر
قل للزمان تقلب كيف شئت فما ... تراه فيمن ترى تسطو به الغير
يكاد من ولع بالعلم يشغفه ... ان لا تراه بغير العلم يفتكر
يرتاح للدرس والتحرير شيمته ... سميره في الليالي الكتب والسهر
تبارك الله ما ازكى شمائله ... طابت عناصرها والعيش مزدهر
مولاي ذا المعهد المعمور في ضماء ... الى نظام له العلياء تنتظر
فاسلك به منهجا ترضى عواقبه ... والرأي رايك لا خلف ولا نكر
اعلى المراتب ما ترعى الشؤون به ... وخيرها ما بامر منك يأتمر
فاسلم ودم للمعالي مفردا علما ... يمدك النجح والتاييد والظفر

(الناصر الصدام)

عدتم كعود العقد للعاطل ...

عدتم كعود العقد للعاطل ... برغم انف الزمن الماحل
للمعهد العلمي ترقى به ... للمستوى المرتفع الحافل
بكعبة الآمال في مصرنا ... جامعنا عند الفتى العاقل
فهو الذي يهدي بانواره ... من ضل واستعصم بالباطل
يسوقه باللطف نحو الهدى ... في تقى للمنزل الآهل
بكل ذي فضل وذي همة ... بكل ما يرضى النقي عامل
هناك يجني الخلق المرتضى ... بنصل دين للهوى قاتل
كفاه ان انجب من فضله ... مادحه اضحى بلا عاذل
الطاهر الاخلاق من ان يقل ... لم يترك القول الى قائل
علامة العصر الذي علمه ... بحر لذيذ الطعم للناهل
فكل من يقتبس من علمه ... يغدو سراج الرشد للآمل
ان شغل الناس باحوالهم ... في العيش من حاف ومن ناعل
فشغله بالعلم مستحكم ... وعن سواه الدهر في شاغل
يا طاهر القلب الذي لم يزل ... للعلم عونا ليس بالزائل
عالج من التعليم ادواءه ... وارده له من مجده الآفل
وغص على ما كان من نقصه ... لا تقتنع من ذاك بالساحل
حتى ترى الأصلاح قد عمه ... بثوب حزم للرضى شامل
واجعل لك العون على شانه ... فكر الهمام العالم الفاضل
فانه يعرف احواله ... من ظاهر يبدو ومن داخل
وخير من ينجد في مثل ذا ... رب النهى والخلق الكامل

تذكار مودة مر عليها ما يزيد على خمسين عاما من صديقكم
محمد العربي الكبادي ... في ربيع الآخر سنة ١٣٦٤

شيخ الشيوخ وسيد العلماء...

شيخ الشيوخ وسيد العلماء ... اليوم يوم تسابق الشعراء
اليوم يوم تسابق الكتاب والخطباء والبلغاء والفصحاء
ايه قريضي قد عهدتك منجدي ... فاصدح اذن بقصيدة فيحاء
إصدح بشعرك لا يؤودك ان ترى ... ما بين جهرة من النبغاء
فلديك من ذاك المعتق نبعة ... لما تزل في فتنة ورواء
ولديك في اعماق روحك سرحة ... تسقى بماء الخلد كل مساء

ولديك من هدى الامام ونوره — وضح يريك منازل البلغاء
فانشر على الدنيا عبير هنائك العبـ — ـاق ممزوجا بصدق ولاء
وامرح على الدنيا واعلم شرقها — وهداته بالنباة الغراء
اعلم بها البيت العتيق ويثربا — والمصطفى في الروضة الزهراء
وشيوخ مكة والبقيع ومن ثووا — مثل الاشاوس في ذرى البطحاء
اعلم بها دار المعز و « ضيفها » — والازهر المكتض بالعلماء
قل هذه زيتونة الخضراء من — بعد الذبول قد ازدهت بنماء
زيتونة ورقاء لا شرقية — بوركت يا زيتونة الخضراء
بوركت يا زيتونة حفظت لنا — نور الهدى والشرعة السمحاء
بوركت يا زيتونة حفظت لنا — لغة الكتاب وحكمة الآباء
ليكاد زيتك ان يضيء العالميـ — ـن بدون مس النار او اذكاء
هذا ابن عاشور الامام المرتضى — لبى الهدى فاجاب خير نداء
نور على نور ويهدي الله جل جلا — له من شاء لـلا لاء
مالي رايت البرزلي وخدنه — يتخطران بمشية الخيلاء
رايت خلفهما ابن حجاب يحـ — ـث خطاه نحو معارج العلياء
ورأيت هاتيك المنارة طاولت — اخوانها في مصر والزوراء
ورايت ابناء الشمال يحثون — خطاهم للكعبة الشماء
ورايت اذواب القرائح ابرزت — في البيت مسبوكا من الآراء
ورايت في الشبان آمالا نمت — وترعرعت من بعد طول عناء
هذا الامام الطاهر البحر ابن عـ — ـاشور يؤوب متوجا بسناء
فيؤوب للبيت المطهر مجددا — ويؤوب للخضراء كل هناء

* * *

مولاي اني قد نايت وربما — ينأى الفتى في الفينة الهوجاء
ولقد رجعت وما رجعت لذلك البيـ — ـت العتيق ولا الى قرنائي
كيف السبيل لاوبة اشفي بها — مما جناه البعد من الواء
انا ذلك الطير الشرود محوم — في الافق ابحث عن نمير الماء
انا كالهزار اليوم اشد كلما — هب النسيم بليلة قمراء
ولهما اشدو اذا ملك السرو — ر عواطفي بقصيدة عصماء

الهادي المدني

لبيك داعي العلم . . .

لبيك داعي العلم انـــــي المستجيب الى دعاك
هذي اللاحن خافقا ت الرجع في دنيا حماك
سجعاتها [illegible] شوق الفؤاد الى لقاك
فاضت من القلب الوفـــي وقد اجاب الى وفاك
فكأن رقة رجعها في السماحة من رضاك
وكأنها الاشعاع مقـــتبس اللوامع من سناك
وكانها الفوح الزكـــي وقد تضوع من شذاك
فصحى تحدث في الورى عن مجد ما رفعت يداك
للعلم تخلق الحكيـــم ومن مثلك في بناك
بشرى لاهل العلم قد وجدوا الهداية من هداك
فاعد لمهدنا المجيـــد شعاع نور من ضياك
انا وفي الارواح آمـــال السمو الى علاك
نسعى لتحقيق الكما ل ولا كمال سوى رضاك

في صفر سنة ١٣٦٣ احمد المختار الوزير

يا فخر من قد علا . . .

عاد المنى وسرور النفس قد آبا وزال عنا العنا والعيش قد طابا
والفكر من فرح هزت مشاعره ففاض مغتنما للقول اسبابا
مذ اشرق البدر في افق العلا وبدت انواره تجلب الانظار اعجابا
العالم العامل الفذ الذي انتشرت في الناس شهرته عجما واعرابا
السيد الكامل الذاكي المكرم من قد طاب اصلا واحسابا وانسابا
أعني ربيب العلا والمجد من رفعت آراؤه عن خفي العلم جلبابا
سامي المقام رفيع القدر ذا ادب للناس بالفضل والاخلاق جذابا
محمد الطاهر الفرد ابن عاشور نبـ راس الهدى الذي ما ظل مرتابا
طود ولكنه كالزهر في خلق ليث ولكنه لا يسكن الغابا
من قد تسامت به الخضراء وافتخرت على سواها ولم تعبأ بمن عابا
يا فخر من قد علا هامات العلا شرفا نرجوا بك اليوم للآمال ايابا
فاهنأ بما حزت من فخر ومن كرم واسلم ودم لعروس المجد خطابا
فمعهد القطر قد القى مقالده اليك يبغي المنى فافتح له البابا
وانظر اليه بعين من عنايتكم كي يمدد اليوم للعلياء اسبابا
واعطف على سائر الطلاب فيه فكم قاسوا هموما واحزانا واتعابا
حقق رجا منتهٍ منهم ومبتدىء والمقتفي منهم شرعا اوآدابا
لا زالت في الشعب نورا يستضيء به من ضل عنه سبيل الرشد او غابا

محمد بن عبد الرحمن المسعدي الجزائري

مظاهر الولاء والتعظيم لجامع الزيتونة

الاستاذ الاكبر يقتبل التهاني

بولايته شيخا للجامع الاعظم وفروعه

لقد كانت ولاية صاحب السماحة المولى الشيخ الطاهر ابن عاشور شيخا لجامع الزيتونة الاعظم مظهرا عظيما لما تضمره النفوس نحو فضيلته من الاجلال والتقدير ومـا تتوقعه من سماحته من الاصلاحات التي تترقبها الامة لمعهدها المقدس الذي حفظ لها دينها وقوميتها طيلة قرون فلا جرم اذا راينا وفود التهاني من كافة الهيئات واختلاف الطبقات تفد على مقامه الرفيع مبدية عواطفها وآمالها . وان اعظم ما نسجله من هذه الظاهرة الحميدة العطف الملكي الذي لا يساميه عطف فقد تكرم مولانا الملك المعظم سيدنا محمد الامين باشا باي فشرفت ذاته العليه قصر شيخ الجامع بالمرسى وابى ابقاه الله الا ان يقدم بنفسه تهانيه للشيخ الجليل فتقبل فضيلته من ملكه هذا العطف السامي بكل اكبار واجلال

ونحن معشر الزيتونيين نقدر من ملكنا ولاءه لجامع الزيتونة الذي ما برح يبدو للكافة في غير ما مناسبة

المقامات السامية تؤدي زيارة التهنئة لفضيلته

سمو الامير الجليل ولي عهد المملكة سيدي عز الدين باي
صاحب الدولة امير الامراء سيدي صلاح الدين البكوش الوزير الاكبر
صاحب السماحة الهمام شيخ الاسلام سيدي محمد الصالح بن مراد
صاحب السماحة الهمام شيخ الاسلام سيدي محمد العزيز جعيط
صاحب الفضيلة شيخ الجامع الاسبق سيدي صالح المالقي
اصحاب الفضيلة شيوخ المجلس الشرعي

بادارة مشيخة الجامع

وهنأه بادارة المشيخة صاحب المعالي وزير العدلية وصاحب المعالي وزير الاوقاف وكاهية المجلس الكبير ونائب مدير المعارف ورئيس اللجنة المالية بالمجلس الكبير ورئيس القسم الاول الهمام وكاهيته ومدير المدرسة الصادقية

رد الزيارات

اولا زيارة الامتنان والولاء للحضرة العلية ـ بقصر حمام الانف

لسمو ولي العهد ـ دولة الوزير الاكبر ـ شيخ الجامع الاسبق ـ لشيخي الاسلام الحنفي والمالكي لوزيري العدلية والاوقاف

الشيخ مبـــــارك الميلي

ان هذا العلم اذا حضر في اذهان ابناء الشمال الافريقي حضر معه ذلكم الرمز العظيم رمز الاصلاح والتجديد الذي هو مبدأ (جمعية العلماء) بالقطر الجزائري العربي المسلم هو رمز الآمال والثقة بالمستقبل هو رمز النهوض والاعمال الصالحة هو رمز التضحية والانقطاع للواجب المقدس فلا جرم اذا كان نعي صاحبه يقع على النفوس وقعا شـديدا فتذرف الدموع لفقده ويحزن لاحتجاب شعاع هديه وتهتز النوادي العلمية من عظيم وقع هذا النبىء المفزع حـول هذا الكوكب اللامع الذي اضاء على بلاد الجزائر ربع قرن اضـاء الارجاء المظلمة في الليل البهيم وامدهـا بقبس من نور الهداية الاسلامية وكشف لها السبل المأمونة والغايات النافعة

هو علم ذلك الرجل العصامي الذي قدم على جامع الزيتونة في ضما شديد فارتشف من حياضه العذبة وملأ وطابه من علمه النافع ثم رجع الى مسقط راسه بعد ان هضم العلوم التي تغذت بهـا نفسه فظهرت آثارها وثمارها فانتفع بها المسلمون ايما انتفاع

ولما دعاه المصلح الاكبر والزعيم الفرد ابن باديس العظيم الى واجب الوطن المقدس وجد فيه الضالة المنشودة والناصح الامين والعالم العامل فلبى النداء واسرع الخطا واعتلى بدوره منبر الاصلاح الديني كعالم مصلح ومرشد مخلص وقدوة صالحة ومدرس نصوح وانتقـل في البـلاد الجـزائرية يدعو لهدي الاسلام وتعاليم الاسلام ويعمل لبث العلم بين الشباب المسلم ويعظ الكهول والشيوخ وينير لهم سبل المعرفة فاجتمع عليه الناس وانتفعوا بعلمه الغزير واسـتناروا من مشكـاته اللامعة ونفسه الطموحة .

وقاوم اهل الدعارة والفساد اينما حل بارادة نافذة وعزيمة حديدية وايمان صادق وحجة في القول لا يداخلها لبس او مصانعة قوله جد ودعوته جد وعمله جد وحياته كلها جد

تحمل جزا عظيما من مهمة جمعية العلماء وقام بما نيط بعهدته بجد واخلاص قليل المثال حتى كان المثال الاسمى في الاخلاص والعضد الايمن لرئيسها العظيم ساكن الجنان الشيخ عبدالحميد ابن باديس رضي الله عنه

فزخرت صحايفه بجلايل الاعمال في كافة الميادين لا فرق في ذلك بـين الخطابة والارشـاد وبـين التدريس والتعليم العام وبـين التاليف والتحبير فقد جاهد في الاصلاح بلسانه وقلمه وبرز

في الميادين كمصلح عظيم وداعية خطير ومؤلف تاريخي واجتماعي من خيرة المؤلفين واصدقهم قولا وانفعهم تاليفا ومن اقدر الكتاب وابلغهم حجة بعيد عن الاصطناع والمداجات والاقاويل الزائفة لا تأخذه هوادة في الاصداع بما يمليه عليه وجدانه شديد في المقاومة والمناضلة والمناظرة جد التأثر بآراء الشيخ ابن تيمة مؤمن برجاحة مذهبه

له يد بيضاء في كثير من مشاريع جمعية العلماء التي تركها اعظم جامعة اسلامية في البلاد الجزايرية تقوم على مؤسسات ضخمة لها عظيم النفع على اهل الجزائر وترك في صندوقها المالي الذي كان امينه الامين المال الغزير الذي اعدته الجمعية لاقامة المنشآت العامة النافعة نرجو لها النجاح العام

وشخصية كهاذه الشخصية المباركة يكون فقدها خسارة على المسلمين عظيمة لا سيما في هذا العصر عصر التطور والانتقال في عصر يعز علينا ان نفقد فيه امثال هذا الرجل المصلح العظيم فان البلاد الاسلامية في حاجة الى رجالها المصلحين الافذاذ وفقد الواحد منهم في هذا العصر يعز على كافة بلاد الاسلام فانا لله وانا اليه راجعون

وتونس تقاسم اختها الحزن على فقد هذا الرجل العظيم وقد اقامت جمعية الشبان المسلمين بناديها المركزي حفلة تابين بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاة الفقيد افتتحت بخطاب رئيس الجمعية العالم المصلح اخينا الشيخ محمد الصالح النيفر وشارك فيها عددا من اخواننا الجزائريين ويجد القراء فيما يلي ما قيل في الحفل :

ملخص الخطاب الذي ارتجله رئيس جمعية الشبان المسلمين العالم المصلح الشيخ محمد الصالح النيفر

الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام داعية هدى وسبيل رحمة من ضلال بعيد وظلام حالك ولقد لقي عليه اشرف صلوات ربه في سبيل الدعوة الى الله عظائم الاذى وكبائر المكروه ولكنه لبث وتحمل وصابر حتى اخرج في جزيرة العرب من اولائكة البداة القساة الطغاة فيوض الرحمة وينابيع الحكمة وجلالة العدل الصارم . ولم يكن الهدى وحده هو الذي جلب تلك العصبة والقلوب القاسية والاحلام الطائشة الى حضائر الخير الجامعة ولكن جلالة ذلك الهدى وجدت من تلك العظمة البعيدة المدى لنفس الرسول صلى الله عليه وسلم خير المجال فذلك الثبات العجيب والمصابرة البالغة مع الحلم الواسع والكرم العظيم في ذلك الرأي الاسد والحكمة الرصينة . وبتلك الخلال الخارقة للعادة اجرى من ذلك الثماد الكالح ينابيع عذبة ومن تلك الوحشية رحمة وخيرا . وكان العلماء ورثة الانبياء متى صدموا بعملهم ما عهدوا الله عليه واتبعوا سبيل النبوة وعملوا في الدعوة

الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة واحتملوا في سبيلها المشاق واحتسبوا ما يلقونه من اجلها طاعة الله واتباعا لرسوله الكريم. فهؤلاء الجلة من العلماء هم المثل الطيب والقدوة الصالحة والنموذج الحي الحساس الذي يقدم للناشئة لتحتذي سبيله وتقتفي اثره . وفي الجزائر عمل صالح ونهضة اسلامية مباركة تقود زمامها وتتولى امرها جمعية العلماء المسلمين الزاهرة . فلقد نهض الشيخ ابن باديس رحمه الله وصحبه الاكرمون نهضة سلمية مباركة الطلعة ميمونة النقيبة ونشروا صيحة داوية رجت اطراف الجزائر المسلمة فارجعت لها اسلاميتها وعروبتها وهم في سبيل أن تجتاز صيحة الحق الطريق الى القلوب القاسية باعوا الراحة والقرار والامن . والشيخ مبارك اغدق الله على روحه شآبيب الرحمة من بررة اصحاب الشيخ ابن باديس العظيم ومن طليعة العاملين فلقد كان من اوفياء الانصار في حياته ومن العاملين المجدين بعد وفاته فحري بنا ونحن نعمل لغرس الشعور بالكرامة الاسلامية في نفوس النشئة ان نقدم لهم من المثل الحسن والقدوة الصالحة ما يكون لهم السنة الطيبة للاقتداء . فرحم الله الشيخ مبارك بما يرحم به الابرار العاملين من خلقه . وعوض الثلمة التي احدثها فراغ الشيخ بخير خلف من النشء المسلم المبارك

خطاب العالم الشيخ عبد الحفيظ الجنان

مدير مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة

ايها السادة

لقد دعيت لاشارك اخواني الشبان المسلمين بالقطر الشقيق الساهرين على ربط اواصر المحبة بين القطرين : الجزائر وتونس ـ الداعين لاعلاء كلمة الاسلام الحنيف.

انني اشارك بروحي اكثر من مشاركتي بقلمي فان اخواني المتكلمين اقدر مني على ذلك

سادتي : لقد اجتمعنا للاحتفال بذكرى الاربعين لوفاة عالم من علماء الجزائر ونابغة من افذاذ خريجي جامع الزيتونة المعمور :

ولد الفقيد رحمه الله عام ١٨٩٨ من قبيلة اولاد مبارك العربية الهلالية قرب قرية الميلية الجبلية وتربى بها ثم نزح الى بلدة ميلية التي كانت تستقبل طلاب حفظ القرءان بصدر رحب وكرم مشكور وهناك حفظ القرءان وزاول الدروس العلمية الابتدائية على المرحوم الشيخ ابن معنصر الميلي الجليل وقد اهلته هذه الدروس للالتحاق بدروس عبد الحميد بن باديس بالجامع الاخضري

وهناك وجد بغيته في دروس الاستاذ الحية وتلقى منه الافكار الاصلاحيـة بحماس وايمان اهلته بان يكون فتى من فتيان الجزائر العاملين للنهوض بدينهم ووطنهم

ومن هناك تـاقت نفسه للالتحاق بالمنبع الاصلي الذي ارتوى منه استاذه الاكبر فالتحق بجامع الزيتونة المعمور وانخرط في سلك تلامذة واخذ عن اجلة رجال العلم والتحقيق به ومن اخص ساتذته الاستاذ المفكر الحر عثمان بن الخوجه ' والاستاذ محمد النخلي الذي كان من اكبر من غرسوا الافكار الاصلاحية التي كانت الدعامة الكبرى لنهضتنا الحالية ' والاستاذ الشيـخ الصادق النيفر الذي لايجهل احد آثاره في النهضة الاجتماعية والسياسية بهذا القطر والاستاذ محمد بن القاضي علامة النقل والتحقيق رحمهم الله ورضي عنهم اجمعين

وقد كان يعترف بفضل هؤلاء الاساتذة عليه وتأثيرهم في حياته وحق له ان لاينسى من اهله لان يكون من اجل من يفخر به الماضي. وبعد التحصيل على شهادة الجامع رجع الى وطنه معاهدا ربه ان تكون حياته حياة جد ونشاط لنفع امته ووطنه ' وقد بر بعهده ووفى بوعده واعماله طيلة حياته تشهد بذلك

اعمـــــالـــه

بعد رجوعه الى الوطن دعاه داعي الواجب بلسان استاذه الابر الذي كان بمثابة النطاسي الخبير لامتنا والذي كان قد شرع في تأسيس مكتب قرءاني لتعليم ابنـاء المسلمين التعليم العربي الصرف الصحيح على الطريقة العصرية اذ لم ير أجل منه للقيام بهذا العمل الجليل الذي هو بناء لاسس النهضة الجزائرية الحديثة

شرع الاستاذ مبارك الميلي يعلم بمكتب سيدي بو معزة بقسنطينة وتصدى لبث روح التربية الاسلامية في البنين والبنات ' وانار عقولهم بما آتاه الله من الحكمة في التفكير والمهارة في التصوير واقام به مدة عامين وكون تلامذة هم الآن من الرجال العاملين للنهضة الجزائريـة

وقد كانت هذه الحقبة من تاريخه ذات اثر حاسم من تاريخ النهضة الحديثة للاتصال الوثيق بين رجلي الجزائر التلميذ والاستاذ ومنها انشأ صحيفة المنتقد والمطبعة الجزائرية مما سيأتي ذكره في عمله الصحفي

وفي سنة ١٩٢٦ انتقل الى الاغواط بدعوة من اهلها فوجد من اهلها الاقبال العظيم والتفت حوله كتلة من الشبان نفخ فيهم روح العلم الصحيح والتفكير الحر ' وقد علم بمدرستها مدة سبع

سنوات انشأ نفوسا وعقولا ، وتخرج عليه الاستاذ ابوبكر الاغواطي ، والاستاذ احمد شطه والاستاذ احمد قصيبه وقد اتم الجميع معلوماتهم بجامع الزيتونة

ثم رجع الشيخ الى موطن الصبا مبلغا لايؤدي ما عليه من دين فأنشافيها جامعا عظيما كان خطيبه والواعظ المرشد فيه ، ومدرسة الحياة التي اشرف على سير التعليم بها ، ونادي الاصلاح الذي كان يحاضر فيه ومن براثن هذه آثار حية شواهد على أخلاصه وتفانيه في العمل لفائدة امته ودينه

ومن اعماله : انه كان صحافيا وقد ابتدا ذلك باشتراكه مع شبان ناهضين بقسنطينة كان على راسهم الاستاذ بن باديس اسسوا جريدة المنتقد وهجموا بها على معاقل الجمود والجهل التي كانت متمكنة من جسم الامة شديدة الالم فيها . وقد لاقوا من ذلك ما يلاقيه امثالهم من المصلحين من الاعراض والاذاية ، فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وكان قلم الاستاذ كسيف ماض سلط على رؤوس الجامدين

ومن اشهر الضربات مقالات كان لهـا اثر عظيم عنونت بـ « العقل الجزائري في خطر » و « الجمهورية ضمن الملوكية » وغيرهما وامضية باسم البيضاوي فـاسمعت الصم وحركت جبال الجهل والظلم والارهاق

ولما عطلت جريدة المنتقد ساهم في تحرير جريدة الشهاب التي انشئت خلفا عن المنتقد منتهجة خطة المنتقد وكان المؤسس لها استاذه ابو النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس وكان نعم الوزير له في اعماله. كل ذلك اثناء العامين اللذين قضاهما في التعليم بقسنطينة بالمكتب المذكور

وختم عمله الصحفي بادارة جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ادارة خبير مقتدر ، وقد كان مديرها الى اخر لحظة من حياتها حينما سيمت خسفا فـابت الضيم وشمخت بانفها في شخصية مبارك الميلي وقال لسان حالها : بيدي لا بيد عمرو

اثاره العلمية

للاستاذ اثران عظيمان في ميدان التاليف اولهما تاريخ الجزائر في القديم والحديث في ثلاثة اجزاء اتم اثنين منها واخترمته المنية قبل اخراج الثالث فيا لها من خسارة فادحة

ولا يستطيع ادراك ما لهذا التاريخ من قيمة علمية عظيمة ، ومن قيمة ذات اثر في التاريخ الجزائري الا من اطلع عليه وكفى باطلاع عظيمين عليه وشهادتهما له فقد قـال في تقريضه امير البيان ما نصه : واما تاريخ الجزائر فوالله ما كنت اظن ان في الجزائر من يقري هـذا القري ولقد

اعجبت به كثيرا. وقال في تقريضه عبد الحميد بن باديس ما نصه : هو اول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة سوية تامة ، بعد ما كانت تلك الصورة اشلاء متفرقة هنا وهناك ' وانا واحد من هذا الجيل بلسان من يشعرون شعوري اشكرك لاقوم بما علينا من واجب لا لاقابل مالك من حق

واما الامر الثاني فهو رسالة رسميا باسم رسالة « الشرك ومظاهره » وقد عالج فيها امراض المسلمين التي كانت من اقوى دواعي انحطاطهم والعنوان يبين الموضوع وصدرها بما كتب تحت رسمه

الى الشعب اهدي صورتي ورسالتي — كذكرى لاخلاصي له وجهادي
واسدي له في العالمين نصيحة — واريد رضى ربي بها وبلادي
وان قبل الشعب الكريم هديتي — ونصحي فقد ادركت كل مرادي

ومن ذلك نتبين منهج الاستاذ رحمه الله ورايه في اصلاح حالة المسلمين وسبب انحطاطهم وان مأتى ذلك ضعف العقيدة لما تطرق اليها من شعب الشرك والضلال واسلوب هذه الرسالة بسيط وذلك لغرض مقصود لانها الفت للهداية والارشاد

اما اعجانها فهي ذات قيمة علمية على اسلوب خاص برع فيه الاستاذ وقد ادرك ما لها من قيمة عظيمة العالمون المنصفون ومع الاسف الشديد اغلبهم كانوا اجانب عنا او كالاجانب ففي الشرق كان لها الوقع العظيم والصيت البعيد بمصر والحجاز

واما في بلادنا فقد قررت لتدرس بمدرسة ليسي كارنو بتونس في سنة ١٩٤١ كما انها قررت لتدرس بكلية الجزائر وما تزال الى الآن تدرس بها .

وللاستاذ آثار اقل قيمة مما تقدم منها شروح على القصائد الآتية : بائية حافظ - لا تلم كفي - وقصيدة بشر بن عوانه وقصيدة الضرير الاندلسي - قوما خداني عن قل وقلان

هذه كلمة قصيرة لا تفي بما لرفيقي وصديقي واستاذي علي من حق واني لقلمي القصير الباع ان يدرك ذلك الشأو فليعذرني الاخوان في التقصير

لك الله يا اخي وصديقي مبارك فلقد افنيت جسمك لتحي امتك ولعلها تعرف لك قيمتك وتوفيك حقك ، فانعم بهذه المنزلة السامية ونم مستريحا وتلقى جزاء ربك جزاء الرحمة والرضوان فرحمك الله ورضي عنك

وختاما : اتقدم بالنيابة عن امتي عموما وعن قسنطينة ومدارسها خصوصا بوافر الشكر العظيم لمن كان سببا في هذه الذكرى - الاساتذة الكرام قادة جمعية الشبان المسلمين الرئيس المفضال محمد الصالح النيفر والكاتب محمد الشاذلي النيفر وغيرهما من سائر الاخوان

كما انني اشكر باسم من تقدم كل من شارك في هذه الذكرى واخص الاستاذ العلامة المحقق الشيخ الفاضل بن عاشور والاستاذ العلامة الشيخ المختار بن محمود والاستاذ الغيور الشيخ الشاذلي ابن القاضي وسائر الاخوان والسلام عليكم ورحمة الله — عبد الحفيظ الجنان

مدير مدرسة التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة

الشيخ مبارك الميلي

المؤرخ . المصلح . الصحافي الكبير (١)

تعود الينا في هذا اليوم ذكرى ذلكم الرجل العظيم الصريح الحر الذي ودع الوجود بعد ان قضى تجربة الحياة . وذاق حلاوتها ومرارتها . وشرب همومها وآلامها . وراح الى جوار ربه ضحية من ضحايا الحق . وفريسة من فرائس الايمان

تعود الينا ذكراه حقيقة من حقائق الدنيا وذكرى خالدة جريئة وعقيدة ثابتة مقررة وفلسفة عالية وتتحلل حياته امامنا شخصية خالدة ،ؤثرة جذابة تبعث فينا انبل العواطف واسماها وتلقي في ارواحنا اغلى الدروس واغلاها وتتجسد لنا امثلة بارزة من حرية الفكر ومحبة الوطن ومحبة الحقيقة وعزة النفس وعلو الخلق ونقاء الضمير وحياة الوجدان

(٢) شخصية مبـارك الميلي

والحق ان الرجل كان شخصية بارزة لم يحفل في الحيـاة بشهرة ولا بجاه بل آثر ان يعيش مخلصا للحقيقة متحصنا بالفضيلة والفكرة متزودا بدينه وتقواه .

ولقد تجمعت فيه علامات الشخصية البـارزة ظاهرا وباطنـا مع مظاهر النبوغ وآيات السمو والرفعة . فالرجل في الحق شخصية نادرة جديرة بالكشف والتامل . وفي سبيل معرفة شيء من إسراره نعود الى الوراثة التي هي عنصر في تكوين الشخصية

(٣) الوراثـة

تأثر المرحوم مبارك الميلي بعامل الوراثة وبالشخصيات الكبيرة التي اختلط بهـا وقرا عليها بالجامع المعمور جامع الزيتونة عمره الله بامثالكم وامثاله ايها الابـاء والاخوة البررة . واثر الوراثة بارز الظهور فيه . اخذ العلم والتقوى وحب العبادة عن اساتذته الفطاحل أبناء المعهد الزيتوني الذين غرسوا في قلبه حب العلم والعمل به بهذا البيت المعمور . وحب الميل الى البحث والكتابة والادب عن مشائخه واترابه وقوى المرحوم هذا الميل ادمان القراءة من عهد الشباب فغدا بيـانه من استظهار كتب البلغاء والفصحاء حتى نال ما تتطلبه نفسه وامته

اصلاح خطا

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٢٤٨	١	اجتماعي	اجتماعيا
٢٦٦	٢٤	الذي ما ظل	للذي قد ظل
«	٢٧	هامات	دست
٢٦٩	١٤	عددا	عدد

(٤) في الحياة العامة

وحياة مبارك الميلي في صدر الشباب تنبىء بانه لم يخلق لنفسه بل للناس ولن يقتصر على مهنة خاصة بل يطمح في مستقبل عام في الحياة العامة . اذ قد راينا في حياته الف « تاريخ الجزائر في القديم والحديث » التي اماط به اللثام عن الشبهات التي كانت تكتنف تاريخ الجزائر ورايناه من تآليفه كتابه النفيس « رسالة الشرك ومظاهره » التي كافح بها الخرافات والضلالات والبدع التي لا نصيب لها من الصحة ولا ما يؤيدها لها من الدين

ولذا فقد رايناه على عتبة الحياة العملية يعرض عن الوظائف وينأى بجانبه عن كل ما يرى فيه المهانة ويلقي بنفسه في تيار العمل الجارف في سبيل رفع امته وانقاذها من الجهل والضلال

(٥) عهده والصحافة

اشتغل مبارك الميلي في افق الصحافة الواسع فكتب في جريدة السنة التي انشاتها رجالات جمعية العلماء تلك الجريدة التي ذاعت ذيوعا كبيرا في عهد قصير واغلقت بابها فقطعت وجدد اسمها بالامة ثم قطعت ثم جدد اسمها بالبصائر عند ذاك قام بتحريرها وكان يكتب الى مجلة الشهاب لسان حال الامة الجزائرية خاصة وشمال افريقية عامة بل والعالم الاسلامي . وكان في ذلك العهد مملوءا قوة وحركة ونشاطا وظهر اسلوبه الكتابي قوي التعبير منسجمه ودلت افكاره على كفاية وتضلع ووفرة مادة . وخرج بمقالات في التشريع وكون منها كتابه الآنف الذكر « رسالة الشرك » فكان يؤدي الى الجزائر الفتاة مهمة المشرع النابه فوق مهمة الصحافي السياسي .

ولعل نبوغ مبارك الميلي يتجلى في مقالاته في جريدة البصائر ومجلة الشهاب فهي صفحات كافية لان تسجل اسمه في سجل الخلود . وتخلد صيته في لوح المستقبل . اذ كانت تلك المقالات اليد الساحرة الخفية التي ادارت رحى جمعية العلماء واوحت الى رجالها الاراء الحصيفة والاحكام الصحيحة. وكان عقله اليقظ وفكره المنتبه يخطف حوادث اليوم الصغيرة. حقيقة انه كان يكتب بعفة واخلاص ونزاهة - يكتب للمصلحة العامة وللحقيقة دون سواها .

(٦) نفسيته ومزاياه

ومن هذه الحياة الجميلة القصيرة التي لا تنيف عن تسع واربعين سنة يتضح ان مبارك الميلي كان في الحياة العامة رجل ارادة صلبة - وفكر عميق - وشعور وطني دافق - امتاز في الكتابة بميزتين

الميزة الاولى : حسن التعبير عن ارائه وافكاره واستغلال الحوادث الصغيرة ـ والميزة الثانية : حبه للخلق والابتكار والتفكير لنفسه ـ وقل من الناس من وهب هذه الميزة .

ولم تكن حياة الرجل الخاصة اقل روعة من حياته العامة . فلقد كان مؤمنا ابلغ الايمان بالله محبا للخير والانسانية والوطن والدين ـ وديع الخلق ـ كريم النفس ـ رؤوف القلب ـ وكان شعوره وعواطفه تعلو وتتغلب على فكره وارادته من شؤونه الخاصة ـ .

(٧) رسالته

فرسالة مبارك الميلي في حياته هي : الايمان ـ ومتابعته في كل عمل من الاعمال . اذ في متابعته لذة ـ وهي رسالة نادى بها العظيم والحقير ـ وتنادى بها روح مبارك الميلي في الافق الجزائري ـ وتصرخ فينا تلك الروح باحترام حرية الفكر ـ هذه هي دروس تلك التضحية الهائلة ـ وتلك رسالة في الحياة ـ فما انفعها واقواها وازكاها للجزائر الفتاة .

(٨) اواخر ايامه

وبينما كان هذا الراحل العظيم حادبا على عمله حدب الام على رضيعها ، كان مرضه الذي اصابه منذ زمن يجري في جسمه ويهد من كيانه وهو يغالبه ويجاهده والمرض يشتد عليه حتى صيره هيكلا في اواخر هاته السنة . ولقد قدر علي ان رايت مبارك الميلي في استراحتي الصيفية بعاصمة الجزائر عند انعقاد اجتماع جمعية العلماء في شهر جويلية . فاهتز قلبي رعبا من هزاله وتملكني شعور حنق على الزمان الغادر

ولقد كنت اعرف الفقيد في وقت عافيته . فيا للبعد ما بين الصورتين لقد علا وجهه الجميل شحوب وصفرة ، واستحال جسمه الممتلىء القوي الى هيكلا نحيفا هزيلا . نعم فارقته حمرة الوجه ولكن لم تفارقه حرارة الايمان ، وغادر الوجه جماله ولكن الروح بقيت محافظة على جمالها الخالد . وما حل يوم ٢٥ صفر سنة ١٣٦٤ حوالي الساعة التاسعة حتى فارقت روحه الحياة الفانية وصعدت الى عالم الخلود . وتركت لسان الحال يقول :

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى ... ان الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى ... (بلدا على ايدي الرجال تسير)
(خرجوا به والكل باك خلفه) ... صعقات موسى يوم دك الطور
والشمس في كبد السماء مريضة ... والارض واجفة تكاد تمور
حتى اتوا جدثا كأن ضريحه ... في قلب كل جزائري محفور
نبكي عليه وما استقر قراره ... في اللحد حتى صافحته الحور
صبرا بني قومي عليه تكرما ... ان العظيم على العظيم صبور
فلكل مفجوع سواكم مشبه ... ولكل مفقود سواه نظير

عبد الحميد زروق ـ الجزائري

الله اكبر ان الخطب قد عظما ..

العلم أشرف مما قد نيل في الامم ... والعلم خير من الاموال والنعم
واصلح العلم ما كانت مدعمة ... آراؤه بصحيح النقل في الكلم
يدعوننا لهدى الدارين بالعمل ... طوبى لمن سمع الندا ولم يصم
قامت دعاة لنشر الدين والعمل ... في كل قطر من الاصقاع والتخم
قام كذلك جمع في جزائرنا ... كل بدعوته للدين بالكلم
وظلت النهضة العلياء في كنف ... من الاسود حماة الدين بالقلم
وواسط عقدهم (عبد الحميد) انا ... وكان طودا من الاطواد في شمم
فخدموا الدين والعلم الجليل معا ... من لم يكن نهضة بالعلم لم يقم
قامت بنهضتهم ارض الجزائر من ... عظم السباة ومن نوم ومن هيم
كانت لهم اسوة بمن تقدمهم ... خير النبيين والاملاك كلهم
تلك الهداة وتلك الناس والهمم ... من لم يكن دابه الاصلاح عد عمي
قد وطدوا العلم والاخلاق في نشيء ... وفي الشباب وفي شيخ وفي هرم
جزاهمو ربهم بكل مكرمة ... وأسكنوا بجميل جنة النعم
حتى اذا ما أتموا ما بنوه لنا ... قد ودعونا وساروا نحو ربهم
آه عليهم حماة الدين قد رحلوا ... وخلفوا النهج واضحا لذي فهم
داعي المنون دعا (عبد الحميد) له ... لب نداه بلا جزع ولا وهم
مصيبة نزلت بالقطر اجمعه ... بفقده خيرة من خيرة النسم
له ايادي على الاسلام في وطن ... قد عشعش الجهل في سهل وفي اكم
ما اعظم الخطب والآذان مصغية ... والدمع منسكب من اعين بدم
علائق القلب كادت ان تفارقه ... لما سمعنا بهذا الرزء والالم
نبكيك يا من دعوتنا لهدى ... خير الانام ومن قد جاء بالحكم
شيدت للعلم انفسا مفكرة ... لم يحوها العد لا ونطق فم
ما مات من خلف الآثار شاهدة ... فانت في عمل كالمفر العلم
واهنأ علينا فان العلم منتشر ... رجعت بالناس للاسلام في القدم
جزيت جنة عدن في حماية من ... هدى الاله به قوم ذوو شمم
فلم تزل روعة والقلب منصدع ... حتى تزعزع ركن ثانيا ورمى
رفقا علينا اله العالمين بنا ... انت الرحيم وذو عفو وذو كرم
ذاك امام الهدى والعلم اجمعه ... تسربل العز والتقوى ولم ينم
(مبارك) بركت بحسن طلعته ... ارض الجزائر والشمال والتهم
تبكي الجزائر من فقد الأساة لها ... والشعب يتبعها والقوم كلهم
غير البكاء احق لو تبصره ... من قلبه موقن بنشأة الرمم

ايه يا راحلا تمهل ...

اي نور كنورك القمري ساطع في الدجى ودمع رضي
بعثته السماء للارض في ليل عبوس مقطب سرمدي
ترزم الريح في حماه فتهتز متون البحار من ذي الدوي
(وانبرى الليث زائرا خشية الموت بصوت مدويا كالاتي)
رجفة عمت البلاد جميعها فتعالى الدعاء من كل حي
واذا رحمة بجمعية العلم تشق الدجى بعزم الاتي
واذا الكون هدأة وسلام وصباح وشته ايدي العلي
ورفيف بها لاجنحة الشعب مرنا بلحنها القدسي
وربيع طيوره تتناغى في ذوي العز بالغنا البلبلي
رقص الجدول الطروب ابتهاجا وتلالا بمائه الفضي
دافقا كالمنى بمهجة اسوان تراءت بعد القنوط العصي
وكذا هبت الجزائر تمشي في حمى صاحب الحجا الالمعي
تطلب السؤدد الذي جل شأنا اي شان كسؤدد العربي
كم سقتها القرون من علقم البؤس وسيمت في عرضه كالبغي

وكم افاض علينا من مباحثه من الجمان عقود الدر منتظم
ان شئت تقرا من آثاره قصصا (تاريخه) الغر يشفيك من السقم
او (الرسالة) حكم الشرك ضمنها لله دره كم اسدى من النعم
كم دقق البحث والتحقيق ديدنه وحصحص الحق شأن كل مستلم
مواهب قد حباها ذو الجلال له اكرم بها نعما واكرم بها كرم
فيا مؤرخنا قد حزت اجمل ما قد رامه رجل جلت له همم
ناديت بالقول والفعل الجميل لنا اسمعت من قد هدى للعلم والحكم
ونلت فضل حديث بالثلاثة من قد خالف العلم لم يلحق له عدم
طوبى لمن بهدى الاسلام بشرنا وانذر القوم من بلا ومن نقم
جزاك ربك ما ترجوه من نعم يوم الجزاء ويوم الوعد والكرم
فنم هنيئا اخا العلياء في دعة ورحمة الله تغشاكم مدى الامم
في جنة الخلد ابواب مفتحة لكل من عمل الحسنى بلا ندم
في ذمة الله والتاريخ اجمعه مخلد ذكركم في سائر الامم

الازهر بن بلقاسم الجزائري

وتوالت على حماها الرزايا وضروب البلا العنيف القوي
عصرتها الآلام حتى توالت في شحوب يذيب قلب الكمي
فاذا طلعة المبارك حقا صاحب الرأي والفؤاد الذكي
تنشر النور واليقين وتجتث من القلب كل شرك خفي
حمدت ربها بصوت حنون طهرته بدمعها اللؤلئي
ورنت للفتى الكريم وضمته الى صدرها الرؤوم الزكي
فتناجى النبي وصعد آهات مراراً كشأن كل ابي
ومضى يدأب السرى غير هياب مجدا نحو السبيل السوي
ليس يدري معنى اللغوب ويدري ان شعر العلى عويص الروي
فأرانا التاريخ في حلل خضر وفي سطوة الجلال السني
قد تهادت به الحقائق يحدوها بفكر مجنح عبقري
وجلاها - لنا - بكل بيان عربي يهفو الى عربي
هو ذخر من الحجى ومقيل شائع الظل مثل روض ندي



ايه ياراحلا تمهل فانا لم ننل ظما العقول بزي
لم نكد ننتشي بلحنك حتى عطل الشدو بين دمع سخي
واريقت كأس السعادة تطفو بشعاع مرقق ذهبي
ومشى الحزن ضاربا بظلام فوق افاقنا بغيم دجي
جزع مخنق ورعب ممض اي خطب اعظم به من رزي



فمتى تنجلي الغيوم ويبدو الق الفجر في رواء بهي
وتطل الحياة سكرى من الشهد فتزجي الرجا القلب الاسي
ويرف البشر الطهور علينا كملاك يحف مهد الصبي
ويعود العزاء للامة الثكلى وتحيا بذكرك الابدي

(حسين المهدي)



المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

المدير : محمد الشاذلي بن القاضي

عدد خاص



بذكرى الشيخ معاوية التميمي



التي قامت بها

جمعية الاخوان الزيتونيين

بمناسبة مرور سنة على وفاته



فرنكات ١٥

فهرس العدد

صفحة	المقال	صاحبه
	خاتمة المجلد الخامس	
٢٨١	ذكرى الشيخ معاوية التميمي	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
٢٨٣	كلمة رئيس جمعية الاخوان الزيتونيين في حياة الفقيد	الشاب احمد القسروي
١٨٥	نص محاضرة	الشيخ محمد صالح المهيدي
٢٨٩	خلاصة محاضرة في معنى السمو في حياة الراحل الكريم	العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
٢٩١	نص محاضرة في ترجمة الفقيد	الشيخ محمد ماضور المنشي بالقسم الاول بالوزارة الكبرى
١٩٦	علاقة الاستاذ بتلامبذه	الشاب الطيب بن جمعه
٢٩٧	الاخوذي بدمعك ياقوافي (قصيد)	الشاب العروسي المطوي
٢٩٩	معاوية الاب الشفوق (قصيد)	الشاب محمد بن عبد الرحمن المسعدي الجزائري
٣٠٠	لست انسى (قصيد)	الشاب محمد الصالح الشتوي
٣٠١	فقيد العلم (قصيد)	الشاب عبد الله المباري
٣٠٢	لتبكك دزلة الاداب	العالم الشيخ محمد بوشربية المدرس بجامع الزيتونة
٣٠٤	كيف اتي الرثاء والهول راس	الشاب عبد الرحمن المسعدي
٣٠٨	الهيئة الاجتماعية ومقوماتها	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
٣١٠	نشيد (الاخوان)	محمد الطيب بوراوي المومني

انتظروا في العدد القادم...

مقالا للاستاذ عثمان الكعاك ـ وفصولا ممتعة باقلام كتاب معروفين في عالم الادب والعلم تجدونها في العدد القادم

تاريخ ممزوج بعناصر حية وقيها فائدة ولذة للمطالع بقلم كاتب قديم

استعراض للحياة التونسية بقلم كاتب مجهول ترون ذلك في الاعداد الاتية

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الحادي عشر والثاني عشر | تونس في شهري جمادى ١٣٦٤ وفي ماي ١٩٤٥ | المجلد الخامس

خاتمة المجلد الخامس

نحمدك اللهم على توفيقك وهديك ونشكرك على رعايتك وفضلك ونستمنح منك الرضى والعفو عما فرطنا وانقضى ونصلي ونسلم على خاتم النبيين وامام المصلحين وعلى آله واصحابه الذين قادوا الشعوب الى الخير والفلاح فاحسنوا القيادة وساسوا الممالك بالعدل والاحسان ونشروا الوية السعادة وعلى من بهداهم اقتدى فناصر الحق واليه دعى وقاوم الفساد ومن غوى

وبعد فان المجلة تختم بهذين الجزئين سنتها التاسعة وقد اصدرنا في خلالها خمس مجلدات وكان في الحسبان ان تصدر في هذه المدة تسعة بيد ان الظروف القاهرة الزمتنا ان نسير في السنوات الاخيرة بخطا بطيئة نحمد الله على ان تغلبنا عنها من غير ان نقطع السير ولم نركن الملل ولم يستول علينا الياس

وقد جعلنا اجزاء هذا المجلد اثني عشر جزءا عوض عشرة كما هو المعتاد في اعداد كل مجلد نظرا لطول المدة التي صدر فيها واعتبرنا الاخيرين هدية منا للمشتركين فنرجو منح تقدير هذا المجهود الذي لا نرغب من ورائه شكرا

وانما غايتنا بث المعرفة ونشر الفضيلة والدعوة الى الحق والاصلاح ومقاومة الباطل والفساد ومعالجة النفوس العليلة بما علمنا الله من هدى وحكمة نؤمل منهم التشجيع ومن الله التأييد

وقد خصصنا هذا العدد لنشر الخطب والقصائد التي قيلت في الحفل الذي اقامته جمعية الاخوان الزيتونيين بمناسبة مرور سنة على وفاة الشيخ معاوية التميمي المدرس بجامع الزيتونة الاعظم رحمه الله وعسى ان يجد فيه القراء ما تطيب نفوسهم به .

ذكـرى

الشيـخ معـــاوية التميمي

تقيمها جمعية الاخوان الزيتونيـين

كتبنا في الجزء الثامن من هذا المجلد تحت عنوان الحياة العلمية في جامع الزيتونة :

ان فاتحة السنة الدراسية في هذا العام تغاير ما كانت عليه في السنوات الماضية مغايرة لها عظيم الاثر في الحياة العلمية بمعهدنا العظيم بمناسبة انعقاد مؤتمر المدرسين، وكذلك سرى النشاط في اعضاء ذلك الجسم الفياض بالاحساس والشعور

نشاط تلامذة المعهـد

فتجدد مجلس (الشبيبة الزيتونية) في شهر ربيع الانور من هذه السنة المباركة تحت رئاسة الشاب الاديب عبد الله الزريبي التلميذ في السنة الثالثة من التعليم العالي ـ القسم الادبي ـ وتاسست جمعية (الاخوان الزيتونيين) تحت رئاسة الشاب الناشط احمد القروي التلميذ في السنة الثالثة من التعليم الثانوي. وكان باكورة اعمال هذه الجمعية الفتية ان اقامت بحفلة ذكرى بمناسبة مرور سنة على فقيد العلم والادب الشيخ معاوية التميمي فاقامت الدليل على نشاطها وحسن سلوكها بهذا العمل الذي كان له احسن وقع ومظهر اخلاص ووفاء لشيخ جليل من شيوخ التدريس نالت به جميل الرضى ، ولا غرابة في ذلك فان مجلسها يضم هيئة من خيرة التلامذة علما ونشاطا وغيرة لاسيما رئيسها الذي يتمتع بعطف شيوخه عليه وتقديرهم له ونحن نرجو للشبيبة واخوانهم السداد والتوفيق وخير العمل ما يعود نفعه على جامع الزيتونة وابنائه ويرفع شانهم الثقافي ويرقي مستواهم الادبي والمادي ويحلهم مكان العز والشرف بالمعنى الكامل للذي هم اهله في كنف الدين الحنيف الذي هم رجاله وحاملوا مشعله وآمال الامة في نهضتها وعزها ومجدها

ومن المظاهر المسرة التي تضمن لجمعية الاخوان النجاح المطرد رعاية صاحب السماحة شيخ الجامع لها وقبوله رئاستها الشرفية تقديرا منه رعاه الله للمشاريع النافعة التي تعود على ابناء الزيتونة بالخير والفلاح

والمجلة تسجل هذه الظاهرة الكريمة بكل تقدير وتتمنى ان يتضمن الجزء القابل فاتحة

المجلد السادس خبر تاسيس جمعية المدرسين التي طالما تطاولت اليها الاعناق ورغبت فيها النفوس لكريمة من عهد قديم ونحن لا نشك ان مدرسي المعهد سيعملون على تحقيق امنيتهم لا سيما وان شيوخ الجامع بما عهد منه من التنشيط على المشاريع النافعة سيجدونه خير مساعد ومعين على تحقيق رغائبهم ان شاء الله تعالى

حفلة الذكرى

فاقامت يوم الجمعة في ١ ربيع الاول الموافق ل ١٦ من شهر مارس من عامي التاريخ حفل الذكرى في قاعة الحفلات بقصر الجمعيات حضره شيخ الجامع وكاهية مدير المعارف وعدد عظيم من المدرسين والشخصيات وتلامذة المعهد . وقد شارك فيها العلامة الشيخ الفاضل ابن عاشور فارتجل خطابا نفيسا تعرض فيه بالتحليل لنفسية الفقيد وتاثيره في حياته الخاصة والعامة كان له احسن وقع عند الحاضرين . كما أن الشيخ محمد ماضور المنشي بالقسم الاول بوزارة الدولة ترجم للفقيد ترجمة حافلة . ثم تلاه الشيخ محمد الصالح المهيدي المنشي بادارة الاوقاف فتكلم على آثار الفقيد . وبعد ذلك انساب سيل ما جادت به قرائح عدد من تلامذة المحتفل به نثرا وشعرا . والشيخ معاوية قد نشرنا (نبذة من ترجمته) في الجزء السابع صحيفة ١٦٩ و (الشيخ معاوية بباريس) بقلم الكاتب الاديب الاستاذ عثمان الكعاك بصحيفة ١٧١ . وكلمتنا اليوم في ذكراه نعمه الله واخترنا ان يكون موضوعها

حياة الشيخ معاوية الاجتماعية

ان العصر الذي دخل فيه الشيخ معاوية للمجتمع هو العصر الذي عقب الحرب العالمية الماضية عصر تطور وانقلاب والمدة التي اتصل فيها بالمجتمع هي المدة التي بين الحربين واما المدة التي قضاها بعد اشتعال نار هذه الحرب قضاها وهو عليل لا تعد من ايام حياته العامة قضاها في شبه عزلة يعالج مرضه الذي قضى اخيرا على حياته

فان ذلك التطور الذي افضت به الحرب العامة الماضية بعث النشاط في النفوس على تغيير منهاج السلوك فنفض الناس ايديهم مما الفوه من الحياة الماضية مستقبلين حياة جديدة يتطلبها المجتمع ولكن ثورتهم على القديم كانت ثورة شديدة الوقع احدثت صراعا منهكا بين القديم والجديد هـذا يدعو اليه انصاره ويحتفون به وذاك متمسك به بما الفه يذود عنه كل متهجم . في هذا الخضم المملوء قتاما وهرجا صرع عدد من الذين زجوا بنفوسهم في وسط المعركة من اهل المذهبين وهناك فريق جلس على الربوة ينظر على من تكون الغلبة

كلمة رئيس الجمعية

الشاب احمد بن محمد القروي

سادتي الكرام -- اخواني الاعزاء

وقفت وقفتي هذه بين ايديكم والله يعلم ما ضم صدري من اسى وحزن على فقيدنا الشيخ سيدي معاوية التميمي وبمناسبة ذكرى مرور سنة على وفاته اقول ومهما اقول فلست مِلما ولا غيري بما كان عليه ابونا الروحي من العلم والاداب : حفظ المرحوم القرءان بمسقط راسه بمنزل تميم ثم دخل جامع الزيتونة وبعد احرازه على شهادة التطويع انتصب للتدريس متطوعا عشر سنوات متوالية حتى فاز بالمناظرة سنة ١٣٤٣ وفي سنة ١٣٤٥ اختارته الحكومة لامامة جامع باريس وبمناسبة هذه التسمية اقيمت له حفلة توديع تحت رئاسة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور الشرفية حضرها جم غفير من الاساتذة والاصدقاء والتلامذة والقيت فيها عدة خرائد نفيسة وخطب بليغة من بينها خطبة الشيخ السيد المختار بن محمود وختم الحفل بخطبة الشيخ الراحل برد الله ثراه . وبعد ان قضى المرحوم بباريس مدة سجل فيها محاسنه وعلمه رجع الى وطنه المقدس وقبل وفاته بسنة احرز على الطبقة الاولى من التدريس وكما ان الفقيد كان مدرسا واديبا وشاعرا فقد كان ايضا صحافيا وعاملا منتجا في نشر التآليف وتصحيحها اضف الى هذا كله فقد كان تغمده الله بالرحمة والرضوان راوية شهيرا اليه المرجع في تاريخ الادباء والشعراء وكان لا يمل احد مجالسته ان كلمك استزدت وان سالته استفدت ثغر باسم وفكاهة حلوة وعلم متدفق وقريحة فياضة وحب لابنائه من التلاميذ ذالك ما كان عليه طيلة حياته . هذه نبذة من تاريخ هذا الرجل

ولكن الشيخ معاوية لم يشأ ان يكون من الصاخبين ولم يشا ان يكون من المنتظرين. علم ان العكوف على القديم جمود وفيه تفويت لخير كثير، وعلم في الآخر شرور يجب الاحتياط والاحتراس منها، ولكن ليس له ثقة بنفوس الطامحين ومن ثم كانت مشاركته للمشاريع العامة يكتنفها شيء من الاحتراس، بيد انه شارك مشاركة فعالة في الميدان الاجتماعي وكان له ذكر في الاندية الخاصة والعامة على حسب نشاطه ونشاط رجال ذلك العصر وتجاوز الدائرة العلمية والادبية الى الحياة العامة في شيء من الاحتراس الذي يرى انه يلزم كل لبيب ،

العظيم الذي تقف اليوم لاجلاله مرتلين قول فخري ابو السعود :

تهفو لذكرك انفس ومشاعر ... وتجود افئدة له وخواطر
ويضيء شعر من علائك قابس ... ويتيه فخرا في مديحك شاعر
وعلوت انت فما يزيدك مادح ... مجدا ولا يعلي مكانك ذاكر

وانه ليبهجني ويملأ نفسي غبطة ان كانت جمعيتنا الناشئة جمعية الاخوان الزيتونيين قد قامت نحو فقيدنا العظيم بهذا الواجب فرأينا في ذلك تحقق امل واثمار غرس في خدمة هذه الجمعية لغرض من الاغراض التي دعت الى تاسيسها فقد بحث الزيتونيون في الازمنة الماضية عن وضع اسس لرابطتهم وكونوا الجمعيات العديدة في هذا الغرض ولم تكد تبلغ احداها الاثمار حتى تنزل عليها الصاعقة فتبددها وتذهب هباء منثورا وسبب هذا هو السهو او الثقة كما قال البعض ان السهو او الثقة هما اللذان يدفعان هيئات تلك الجمعيات الى الاستكانة لما تراه من مظاهر ترتاح اليها النفس ويسكن عندها الطلب ولكن في هاته المرة وقد اسست هاته الجمعية فالواجب على هذا الشباب الناهض هذا الشباب الزيتوني ان يعمل لابقائها واظهار نتائجها التي وايم الله ستكون سبب رقي شبابنا وتغذية افكاره وروحه بما لم نكن نعهده من قبل ودحض قول من وسمونا بالنقصان اذا نحن حققنا ما اسست له جمعيتنا من مقاومة نواحي التاخر الزيتوني التي يرجع اهمها الى ان الزيتونيين بصفة عامة قاصرون عن الاضطلاع بفنون الكتابة والانشاء والى قلة الحفلات الادبية والاجتماعات التاريخية وعدم وجود جمعيات تبعث الروح الادبية وتقوي الاتجاه نحو الانتاج الادبي . نكون قد صبنا الهدف الشريف وحققنا الغاية التي نرمي اليها من اخاء زيتوني يربط الاواصر ويجمع الخواطر يبني الجامعة ويهدم المنازعة يحفز الهمم للعمل ويستفز المشاعر للاصلاح ويستنفر القاعدين للخروج والقابعين للولوج ينفخ في هيكل بنوة التلميذ روح ابوة الشيخ بالبر والمحبة والاخلاص فيكون من ثمرة ذلك وفاء الابناء للاباء في الحياة وبعد الحياة . ــ ولما كانت الغاية من « جمعية الاخوان الزيتونيين » كما هو في الفصل الثاني من فصول قانونها الاساسي « رفع المستوى الثقافي للتلميذ الزيتوني اثناء مزاولته للتعليم بالحاضرة وربط اواصر الاخوة الزيتونية بين المنتسبين للكلية العامرة من ابنائها المتعلمين بما يلقى فيهم من محاضرات ادبية اخلاقية » رات هاته الجمعية من واجبها اقامة الذكريات لعظماء تونس وادبائها وعلمائها وها هي تبدا باقامة ذكرى مرور سنة على

محاضرة الاستاذ محمد الصالح المهيدي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وخاتم النبيين

وبعد فيا أيها الملا الكريم لقد طلب مني ابناء بررة من «الاخوان الزيتونيين» ان اشارك في هذه الذكرى الجليلة التي اقيمت الآن بمناسبة مضي عام على وفاة العالم الجهبذ المنعم الشيخ معاوية التميمي وذلك بتحرير كلمة تتناول ناحية من النواحي العامة لحياة الفقيد القيها على مسامعكم الشريفة. فلبيت هذا النداء. وكم كنت متاثرا عند مطالبتي بذلك . لانه ما كان ليخطر لي على بال أن ستقام حفلة تذكارية للشيخ معاوية التميمي بعد مضي عام عن تاريخ وفاته وهو لم تقم له هاته الحفلة بمناسبة مرور اربعين يوما عنها . لكن سرعان ما زال هذا التأثر عند ما ذكرت ان الجمعيات التونسية التي كان يهمها امر الذكرى قد كانت وما زالت حتى الآن مشغولة بشؤونها الخاصة وقد انكمش اكثرها حول

وفاة شيخ الجميع سيدي معاوية التميمي رحمه الله رحمة واسعة . واقدمت جمعيتكم على ذلك رغم حداثاتها معتمدة على الله في نجاحها فكان نجاحها نعم السلوى لنا عن ذلك الحدث العظيم الذي جمعنا لذكراه . والذي يزيد هاته المؤسسة فخرا هو ما آلت به على نفسها من اقامة حفلتين ادبيتين على الاقل في كل شهر وستعمل جهدها الى مجازات الادباء المنتجين من الزيتونيين . لذا فالمرغوب منك ايها الشباب الزيتوني النبيل ان تعتبر هاته الذكرى بمثابة عقد اواصر الصلة والتعارف بيننا والرجاء منك ان تمنحنا تلك الثقة المنشودة منك وعلى الله الاتكال . وبما ان هاته الجمعية تكونت منكم ايها الزيتونيون واليكم تتقدم فتكرموا عليها بتنشيطكم فمهما لبيتم دعوتها واقبلتم على اجتماعاتها زادتكم اجادة واتقانا .

ولا يجدر بي ان اغادر مكاني هذا قبل ان اقدم جزيل شكري وعظيم امتناني الى فضيلة العلامة الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الاعظم الذي شرفنا بقبول الرئاسة الشرفية للجمعية ولهاته الذكرى الخالدة التي سيحفظها التاريخ مدى الدهور والازمان كما اشكر ادارة المجلة الزيتونية لتخصيص عدد خاص لنشر هاته الذكرى واخيرا اشكركم على تلبية ندائنا والسلام.

احمد بن محمد القروي

رئيس جمعية الاخوان الزيتونيين

نفسه واصبح لا يبرر حتى عن وجوده في بعض المناسبات واذا استثنينا جمعية الشبان المسلمين من هذا الشمول فاننا لا نجد غيرها يعمل لفائدة الاحياء فضلا عن اهتمامها بشؤون الموتى . واذا كان الاخوان الزيتونيون قد اغتنموا هاته الفرصة ليبرهنوا عن وجودهم فنعما هو هذا العمل الذي يقومون به وهو احياء ذكرى العظماء التونسيين وقد عهدنا من الجمعيات التونسية اقامة الحفلات التذكارية لغير التونسيين

واذا كان الشباب الزيتوني قد جعل من الغايات التي يسعى اليها بمثل هاته الحفلة إيصال الماضي بالحاضر . الماضي المملوء بالعظمة والفخار . الماضي المستمد منه كياننا الحاضر فسعيه لا يكون محمودا الا اذا جعل من ذلك الماضي الاغر الجبين علما يهتدي به في مهامه مستقبله وكوكبا منيرا يضيء له جوانب ديجور حياته الاتية

وما دام الغربيون ينصبون التماثيل التي حرم الاسلام اقامتها خوفا عن العرب من عودتهم الى عبادة اللاة والعزى وهبل والاصنام ليخلدوا بها عظماءهم بعد ان خلد اولئك العظماء اممهم واقوامهم

وما برحت الامم المعاصرة حتى من الامم الاسلامية قد تنوعت في احياء ذكرى نبهائها بمختلف الوسائل ومتنوع الاساليب ليجعلوا من النصب المقامة في الساحات العامة والابهاء الخاصة امثلة للعظمة تستلهم منها الناشئة تصميمات متينة لصروح مجدها المقبل

واذا كان شان من يمتلك التصرف في شؤونه العامة فالشباب الزيتوني يمتلك التصرف في خصوصياته . وعلى هذا الاعتبار جاء اليوم يقيم ذكرى الشيخ معاوية . وسياتي اليوم الذي يقيم فيه ذكريات اخرى لعظماء الزيتونة امثال النخلي وبناشو وعثمان ابن الخوجة لينشر من صحائف هؤلاء الاعلام ما طوته يد الايام ونسج عنه العنكبوت بيوت النسيان

ايها الشباب الزيتوني لقد طلبت مني ان اقول كلمة في هاته الذكرى عن فقيد تونس الكبير الشيخ معاوية التميمي فلبيت النداء ، لكن قد احترت فيما اقوله الان وقد نشرت في العام الماضي كلمة موجزة عن حياة الشيخ في مجلة المباحث الغراء ،

حقا ان جوانب القول في حياة الشيخ كثيرة وقد رايت ان تكون هاته الكلمة عن نشاطه الذهني وشجاعته الادبية

يمتاز الفقيد عن اكثر زملائه بانه كان في اطوار حياته العلمية لم يركن الى التدريس الصناعي وهو ان يقرئ درسين في اليوم ثم لا يعود بعدهما الى النفع والانتفاع ويشتغل بصروف الحياة وملذاتها ويعكف على الملاهي او التحدث في الغير بما لا يرضاه الله وعباده الابرار

بل كان كل همه المطالعة والسعي في بث تعلم وتحقيق مسائله ودرء الشبهات عن المجد التاريخي للشمال الافريقي

فكان مدرسا في الزيتونة وفي ناديه بمسجد القبة ، وفي دار الطباعة التي يشتغل فيها بمراجعة الكتب العلمية او الدوريات والنشريات الصحفية ، وفي مزرعته اين يرشد معاونيه في العمل الزراعي الى امور دينهم ودنياهم ،

وفي جامع باريس كان من الذين انعم الله بهم على ابناء المسلمين المشارقة والمغاربة في دار غربتهم ، لا يقصر مواعظه على ما حفظه الخطبا او اعتاده الوعاظ ، بل كان يجعل من حوادث الاسبوع محورا تدور عليه رحى خطبه المنبرية ،

الى جانب هذا كله كان الشيخ يطالع كل ما وصلت اليه يده من الكتب العلمية والادبية مطالعة استفادة او تحقيق حتى اذا ما رأى فيما طالع غلط أو مغالطة بادر الى التنبيه الى ذلك ، وقد جر اليه عمله هذا عداوة من يتظاهرون بالعلم وهو بريء منهم فاضمروا له البغضاء وكادوا له ما استطاعوا فكان عليه الرحمة صبورا عن اذاهم لا يزيده ذلك الا قوة ايمان وصحة عقيدة في ان المتصرف في هذا الكون هو الله الواحد الديان

وقد نشر الفقيد من تحقيقاته العلمية ما امكن له نشره سواء أكان هذا النشر بالصحف والمجلات او فيما صدر من مؤلفات عهدت اليه مراجعتها ،

اما بقية اثاره العلمية وما حققه من مسائل تاريخية ولغوية وادبية فقد حال الموت بينه وبين نشرها في الناس ليستفيد منها الخاصة وينتفع بها العامة ، ومن هذا القسم النسخة التي راجعها من رحلة العبدري ، فقد حدثنا الشيخ قبل وفاته باسابيع انه لاقى تصويب خطئها وشرح غوامضها واصلاح ما أفسده الناسخون من عباراتها صعوبات جمة تغلب عنها بملكة الصبر والمثابرة عن العمل والتحقيق العلمي الذي رزقه الله اياها .

ولعله من واجبي وواجبكم جميعا ان نسال اين آثار الشيخ العلمية وما تركه من مسودات الرسائل والمخطوطات ؟ وهل في الامكان جمعها وطبعها وانفاق متحصل ثمنها على من تركه من الصبية ؟ وذلك اقل ما يجب من الجزاء لهذا العبقري .

لقد وجهت هذا السؤال على بعض تلاميذ الشيخ الذين يعترفون له بالفضل ويتحسرون على فقده ، فكان الجواب ان يدا عابثة مجرمة قد ران على قلب صاحبها حب الدنيا فجالت جولة البغي وصالت صولة الاثم والعدوان وكفرت بانعم الشيخ فجردته بعد الموت من كل ما انفق

فيه لذيذ الحياة واستولت على ما ترك من تراث ادبي .. ولم تراع حق الابوة العلمية ولا حرمة نزاهة المبادي الانسانية . وهي جناية لم يقصر ضررها على حرمان ورثته من نتائج مدخولها بل تعدى ذلك وجاوزه الى العائلة العلمية باسرها . فقد تسبب هذا الجاني بعمله الآثم في الحيلولة بين رواد العلم وبين الانتفاع والاستفادة من تلك الاثار . ولعل اليوم الذي سيقع فيه القصاص من اولائك الخائنين ليس ببعيد

ايها الراحل الكريم . يا من ترفرف روحك الطاهرة فوق هذا الجو العلمي المملؤ حسرة وحزنا على ما اصابك وانت في دنيا الحياة ثم مـا لحق وارثيك وانت في اخرى الخلود . لقد اساء اليك في حياتك بعض حسادك ومن تطاولوا الى الوصول الى مقامك فعجزوا عن اللحاق بك فاكل الحقد قلوبهم وكانوا هم الاخسرين . ثم خلف من بعدهم خلف اتخذوا الموت وسيلة لما ارادوا فكان لهم بعض ما نووا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب سينقلبون

ايها الشباب الزيتوني ان الكارثة التي حلت بهذا الجهبذ بعد موته نستخلص منها عبرة كبرى وهي انه من واجب كل متعلم وعالم تونسي ان يعمل جهد المستطاع لينشر آثاره وما دبجه يراعه في حياته قبل الموت الذي لا مراد منه خصوصا في البلد التي لا يمتلك فيها ادباؤها ومؤلفوها حقوقهم الادبية لعدم وجود قانون يكفل حقوق الملكية الادبية .

وقد حال الموت بيننا وبين الانتفاع بآثار كثير من اعلام التونسيين امثال الشيخ سالم بوحاجب والشيخ حميدة بن الخوجة والشيخ محمد بن يوسف وغيرهم من المحققين

هذا ايها السادة ما امكن لي قوله في هاته الذكرى المملوءة شؤونا وشجونا رحم الله الفقيد والهمنا لخير العمل

محمد الصالح المهيدي

اصلاح اخطاء في درس التفسير بعدد ١٠ السابق

صفحة	سطر	الخطا	الصواب
٢٣٨	٥	بعلم	بعم
٢٣٧	٢٢	الحق	الخالق

خلاصة المحاضرة الارتجالية

التي القاها مراقب الجمعية الاستاذ محمد الفاضل ابن عاشور

ان في مظاهر العظمة ومعاني السيادة التي تملأ هذا المجمع الرهيب لخير ما يخفف آلام الحزن ويدفع لواعج الحسرة التي تملأ نفوسنا في ساعة تجدد فيها ذكرى هذا العظيم العزيز الذي رزئنا به واقمنا هذا المجمع للاشادة بذكره

واذا كان ظلام الاحزان والذكريات الاليمة قد خيم بهذه القاعة حتى ضاقت بها الصدور فان فوق هذا الظلام محيطا نورانيا يغمره وانا محاول ان استنزل من ذلك المحيط بروقا تلمع في اطراف هذه الظلمة فتنشرح الصدور للسلوى وحسن العزاء

اوليس في نهوض الاخوان الزيتونيين للاشادة بذكرى فقيدنا العزيز بعد ان انقضى على يوم رزئنا به حولا كاملا دليل على ان الوسط الزيتوني قد احس من حياة الاستاذ وسيرته بمعنى خالد اقام حيا في النفوس فاوجب تجديد الذكرى بعد عام ذكرى لا يمجد فيها الجسد الفاني من فقيدنا الراحل ولكن يمجد المعنى الحي الخالد والمثل العالي الشريف الذي بدا في الحياة الروحية لاستاذنا العظيم . فما هو بمجمع تابين ورثاء وندبة ولكنه مجمع تكريم واشادة يتوجه فيه القائلون والمستمعون نحو مجد باق وعظمة حية كان ينوء بثملها شخص واحد فتلقفتها عنه الآف السواعد ورفعت مكانها في جو الوجود الخالد .

لو لم يكن الزيتونيون يقدرون ناحية العظمة الخلقية النفسية من الشيخ معاوية لما اقاموا لتمجيد ذكراه مثل هذا المجمع الكبير ولكنهم حين اقاموه قد اقاموا برهانا عمليا على ان معاني الكمال النفسي والسمو الخلقي تتنزل من نفوسهم بالمنزلة الممتازة وانهم يدركون من شيخهم معنى يحبونه ويتفانون فيه وجدير بجماعة تفانت في معنى من المعاني ان يظل خالدا عندها وقفا عليها وذلك ما يحدوا بنفوسنا نحو التعزي والصبر الجميل حين ندرك ان المعنى الذي بكيناه في الإستاذ الفقيد لم يذهب معه ولكنه بقي حيا خالدا في ابنائنا الزيتونيين يبشرنا بان ذلك المعهد العظيم لم يفقد الاستاذ معاوية حين حفظ ميزانه الذاتية بمنزلة الاجلال والتقدير واقامها على سبيل الاسوة والاهتداء حتى يخرج لنا المعهد الزيتوني من افلاذ كبده الف معاوية.

وما كان العنصر الاصلي الذي زكت به تلك الحياة السامية الا عنصر الذوق الدقيق والشعور المرهف الذي امتلك مشاعر الاستاذ فوجه بها نحو ناحية الفضل والرفعة والجمال الروحاني في اطوار حياته كافة وان من يعرف الاستاذ ليوقن انه في كل مظهر من مظاهر حياته قد كان يبدو شيئا ممتازا فيه من القابليات الممتازة ما يدفع به نحو الجهات الخفية من حياة الانسان جهات الحسن الملكي والجمال الفلسفي حتى يعود منها بما يقوي فيه الجاذبية ويسوق نحوه كل شعور انساني متجردا عن حجب التكاليف منخلعا عن قيود الاوضاع الاصطلاحية فقد ابتدا الطلب بالكلية الزيتونية على مناهج لم تكن تفتح للادب بين اجهزة التعليم منفذا واسعا ولكنه سرعان ما لاحظ بشعوره الحساس جاذبية الادب واستجلى جماله من وراء السجوف القائمة دونه من كتب العلوم الآلية فهام بذلك الجمال المحجب واقتاده العزم الصادق في حبه الى ان يتجاوز حدود تلك العلوم ويخترق حواجزها فيتوغل في مملكة الادب السعيدة التي كان رفاقه عنها ذاهلين حتى اصبح بين اقرانه المشار اليه في التعلق بالاداب والاذواق واصبح بعد حين اديب المعهد الزيتوني غير منازع

وكما جذبته انوار الادب اللائحة من ثنايا العلوم اللغوية فقد كان له في العلوم الشرعية ايضا لمحات من الانوار مر بها غيره ممن لم يرزق حسه المرهف فلم تاخذ بنفسه ولم يعرها التفاتا حتى ماست نفسه اليقظة الشاعرة فهزتها بكهربائها وجردتها نحو عالمها السامي تلك هي انوار النظر العميم في اسرار الشريعة والتدبر في مقاصدها ومعانيها تدبرا يسمو بطبق الشرع عن المقامات التي وقف به عندها جمهور ضعاف النظر من المتعلقين بالنسبة الفقهية فاصبح شغف الاستاذ بالمدارك الفقهية والانظار الاجتهادية والتعليمات الشرعية يدفع به نحو مادة من المطالعة واسلوب من البحث كان فيهما نسيج وحده وبمجموع هذين التعليقين اصبحت للاستاذ وجهة خاصة في التعلق بالشيوخ الذين عرفت مناهجهم بالقصد الى هاتين الغايتين وكان له معهم من العلائق المتينة ما زادته رسوخا معرفتهم بكمالاته وانجذابهم الى معنى السمو الخلقي الذي امتازت به نفسه الكريمة والذي كان يدفع به الى ان يتعلق باساتذته تعلقا امتن واسمى من التعلق المعتاد اذ لم يكن يطلب عندهم مدارك عقلية فحسب بل يطلب في حلقهم شيئا وراء هذا العالم المادي هو المعاني النفسية التي كانت روحه مندفعة نحوها اندفاعا عشقيا وبذلك كان الاستاذ عين كل درس وواسطة كل حلقة وهو في عهد الطلب بما كان له من المنزلة السامية في نفوس اساتذته وان لم يفق اقرانه في الدرس جدا وتحصيلا .

محاضرة الاستاذ محمد مـاضور

كم من طويل العمر بعد وفاته ... بالذكر يصحب حاضرا او بادي
ما مات من جهل الزمان لسانه ... يتلو مناقب عـود وبـوادي

خطب الم بالحرم العلمي فراع جانبه وخيم على مورد الادب الرفيع فكدر مشاربه وعصف بنبراس الفهم والذكاء فأطفأ شعلته واعصر بروض ممطور من سحائب الكرم والوفاء فاذبل زهرته فعظم الوقع وضاق الذرع وفاضت مياه الشئون وتقرحت المآقي والجفون . ثم اخذت السنون تدرج على مداره وتعفي بمرط احداثها على آثاره فاذا النفوس التي كانت تذهب حسرات تجنح الى التأسا

وبهذه الجاذبية نفسها او اشد منها كانت تتكيف علائقه مع اقرانه في الدروس فتراها متجها كل منهم الى الناحية المعنوية النفسية وتراهم جميعا منقادين الى التعلق به بداع يجدونه من انفسهم ولا يعرفون ما هو وبهذا التبادل العجيب في التوجهات الروحية نشأ من علائق الاستاذ بقرنائه ما كان له أعظم الاثر في انشاء معنى الاخوة الزيتونية واعطاء جامع الزيتونة حق سيادته الثقافية المطلقة على شمال افريقيا فقد كان من قرنائه عالم الجزائر وزعيم حركة الاصلاح الديني بها من بعد الاستاذ عبد الحميد ابن باديس وكان في حضور هذا الطالب بالجامع دروس الاسلام والعربية من مملكة ظن العالم باسره انها قد انسلخت عن جامعة الاسلام والتحقت بالاندلس البائدة معنى ناطق بخلود الجزائر المسلمة لم تتوجه نحو ادراكه نفس كما توجهت نفس استاذنا العظيم فاقبل على ابن باديس يحبه ومنحه وده واصفاه اخاءه وانطلق معه يضع اساس البعثات العلمية الجزائرية لجامع الزيتونة فكان طلبة الجزائر يدخلون تونس من اول يوم باحثين عن الاستاذ معاوية فيجدون فيه المتفاني في خدمة مصالحهم وتسهيل طرق طلبهم وتوفير وسائل الايناس والمجاملة لهم حتى اصبح حظ الجزائر مساويا في النسبة الزيتونية لحظ تونس وفضل الاستاذ معاوية عليها قسيما لفضل صديقه ابن باديس تلك هي مظاهر الشعور الذي امتاز به الاستاذ الفقيد وتلك بعض آثارها الجليلة علاوة عن مظاهرها الفردية في ما ملك نفوس عارفيه من عموم الطبقات من ادبه العالي ونكته البديعة وفكاهته المحببة التي عدلها بالعفة والحكمة والحرمة حتى سمى بنفوس محبيه الى التطاول نحو التعلق بذاته الكريمة تعلقا لا كلفة فيه فمنحهم حسن التعلق السمح اللطيف ولم ينزل لهم عن مقام حرمته قيد شبر .

وتنصرف عما مضى الى ما هو آت ولا تلبث حبال الاتصال ان تتراخى قليلا قليلا حتى يتطرقها الوهن « ويظن عقد عنانها محلولا » « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا »

وهنا يبدو فضل مثل الناشئة الفتية التي آذن فجر مطامعها بما لها من نشاط وحيوية حيث افتتحت امرها بذكرى شيخها لعامه الاول ولم تقل .. « وهل عند رسم دارس من معول » وارادت بذلك ان تجمع بين تخليد ذكره واشاعة فضله وفخره وبين تعرف الواجبات العلمية في دراسة آثاره والانتفاع بافكاره والاهتداء بمناره فنعمت المبادي ونعمت المقاصد وهاكم على هذا المطلوب يد المساعد

ولد شيخنا برد الله ثراه سنة ١٣٠٨ ثمان وثلاثمائة والف هجرية الموافقة لسنة احدى وتسعين وثمانمائة والف ميلادية على ما هو مثبت باوراقه الرسمية وانخرط في سلك التعليم الزيتوني موفى العشرين من ذي القعدة سنة ١٣٢٥ خمسة وعشرين وثلاثمائة والف في سن السابعة عشرة فكان في طور التعلم مظهرا للنشاط الذهني الذي وجه اليه انظار شيوخه لما يبديه من غرائب الافهام ولطائف النكات حتى اصبح صارخ الحلقات ومتلقف كرة الابحاث كما كان مثالا للوفاء والتآلف مع خاصة اقرانه لما جبل عليه من اللطف والدماثة وصدق المودة وحسن المعاشرة فكان يتقلب بين اختصاص الشيوخ وموالاة الاقران بين مدارسة ومباحثة ومثاقفة ومراجعة

فمن اخصاء شيوخه الذين ينتمي اليهم شيخنا علامة العصر الاستاذ الاكبر سيدي محمد الطاهر ابن عاشور امتعنا الله بطول بقائه فقد لازمه في غالب ما درسه من الكتب الثانوية والعليا كالتنقيح وديوان الحماسة وغيرهما في عهده الاول ثم تفسير القاضي البيضاوي وشرح الموطا والمطول وغيرها من الكتب العليا في العهد الذي ادركناه

ومنهم شيخ الاسلام وخاتمة الاعلام المنعم المبرور سيدي محمد بن يوسف الذي اختص به في دراسة المحلي الى ختمه وكذا شرح البخاري ثم تفسير القاضي البيضاوي الى منقطعه رحمة الله عليه ومنهم شيخ الشيوخ وطود الرسوخ المقدس الاستاذ سيدي محمد النخلي الذي ختم عليه العضد والمزهر وزاول عنه التفسير وشرح الموطا وسواهما الى وفاته رحمه الله تعالى سنة ١٣٤١ احدى واربعين وكان يفسح له المجال ويقدر ما له من الخلال ويقول له ان الدرس الذي لا تحضره معي ويبقى فيه مكانك خاليا اجد نقصه كنقص من فؤادي ومنهم شيخ الاسلام المحقق النحرير سيدي بلحسن النجار ابقاه الله الذي لازمه في مدارسة علوم البلاغة من مبتدئها بشرح السمرقندية الى ان ختم عليه شرحي السعد المختصر فالمطول وفي غيرها التنقيح والمحلي الى ختمهما وصحيح مسلم وشرح الشيخ عبد الباقي على المختصر والقطب على الشمسية ودروس التوثيق وغيرها واذكر

انه كان يحضر مع طبقتنا في درس شيخنا حافظ المذهب الحجة النظار شيخ الاسلام الحالي سيدي محمد العزيز جعيط حفظه الله لاحكام ابن عربي ومن الشيوخ الذين كان له بهم مزيد اختصاص شيخنا العلامة الامام قاضي الجماعة المنعم الشيخ سيدي محمد الصادق النيفر قد ختم عليه التاودي غير مرة والشمائل ثم الشفاء الى نهايتهما كما درس عنه الدردير والمحلي والاحياء للغزالي والموطأ وسنن الترمذي وغيرها من مهمات الكتب التي يندر اقراؤها بالجامع ومنهم شيخنا العلامة النحرير الممتاز بفصاحة اللسان وبراعة التحرير قاضي الجماعة الحالي الشيخ سيدي محمد البشير النيفر ابقاه الله تعالى ومنهم مفخرة تونس بالمشارق والمغارب الاستاذ الطائر الصيت سيدي محمد الخضر ابن الحسين نزيل مصر الآن ادام الله النفع به اخذ عنه الدردير والاشموني والتهذيب ومنهم العلامة المحرر شيخنا المنعم سيدى محمد بن الصادق ابن القاضي رحمه الله زاول عنه الاشموني والتهذيب ايضا كما زاول مصطلح الحديث وسواه عن العلامة الرباني شيخ الجماعة سيدى عثمان ابن المكي رحمه الله هؤلاء الائمة الاعلام هم خواص شيوخه الذين تعلق بهم ولازمهم مدى الحياة وغيرهم ممن زاول عنه المبادي في المرتبة الابتدائية كثير . ومن خواص اقرانه الذين جمعهم عهد الطلب والفت بينهم روابط المطالعة والمذاكرة شيخنا العلامة المدرس سيدي محمد الزغواني وشيخنا العلامة المؤلف سيدي الصادق الشطي والاستاذ الاعلم مفخرة الشمال الافريقي المرحوم سيدي عبد الحميد ابن باديس والعالم الموثق المدرس المرحوم سيدي الشريف التواتي رحمهما الله تعالى اولئك خاصة اقرانه وصفوة اخوانه الذين رافقوا نشأته الاولى وشاركوه في عهد الطلب ولقد صور شيخه ابن يوسف نشأته العلمية وتدرجه في مراقيها بصدر اجازته التي منحه اياها في النهاية حيث قال :

« اما بعد فان العالم الفاضل الدراكة النحرير الشيخ السيد معاوية التميمي احد نخبة المدرسين بالجامع الاعظم ممن عني بالعلم في زهرة شبابه . ودعته النفس العصامية الى اكتسابه . فاتى البيت من بابه ووقف على اربابه . وأرهف في اقتنائه شباة عزمه واعتنائه . فشحذ القريحة بفنونه . وورد ماء مدينه من عيونه . منضلعا من حقائقها . متطلعا الدقائقها . فنبغ وشدا . وبلغ من القصد المدى . وقد لازم العبد في فنون عديدة . وكتب عالية مفيدة . الى ما اجتذبت المذاكرة والمراجعة اعنته واقتطفت انامل المحاورة ثمرته . فاصبح خبيرا بالمقاصد . بصيرا بالمصادر والموارد . حريا بان اجيز له ما تناولته المشافهة وما لم تتناوله من طرق الرواية وفنون الدراية »

وكفى بهذه الشهادة من ذلكم النحرير « ولا ينبئك مثل خبير » وهي تدل بوضوح على مبلغ امتزاجه بشيوخه وارتباط صلته بهم في عهد الطلب

وقد بقت هذه الصلة موصولة على كر الزمان محفوظة من طوارق الحدثان الى آخر عهده بدار الفناء رحمه الله ، وتتمثل صورها الرائعة في التراسل معه عند بعده عنهم كما في هذه القطعة من رسالة شيخنا الاستاذ الاكبر الشيخ ابن عاشور اليه وهو بباريس حيث قال : « ان كتابكم المؤنس وروده علي ، لما وافاني غمرني مسرة اذ هو يخبرني بتحقيق ما رجوته لكم من الانبساط حين ترون تلك المدينة الزاهرة والمدنية الباهرة وما هو الحقيق بان يلوح لاذهان امثالك لانه يرسم فيها من ازدياد الرقي العصري ما يكون عونا على اكمال ما انتم عليه من الخبرة واليقين بواجبات التقدم الذي يدعو اليه ديننا القويم ، وحسبنا التاريخي القديم حتى تبثوا ذلك في نفوس المتعطشين اليه والذاهلين عنه من ابناء التعليم ، وان ورود ذلك الكتاب علي صادرا في الايام الاول من قدومكم على باريس لاقوى برهان على ما عهدناه من شدة صلتكم والحفاظ على عهدكم فان تلك البلدة قلما سلم القادم اليها من ان يمتلكه الذهل وان « يلام بنسيان الاحبة والاهل » .

وقد سقنا هذه القطعة كمثال من الرسائل الكثيرة التي وردت عليه من اشياخه خصوصا في عهد اقامته بباريس ويتجلى لكم ما تعنى به من المواضيع الهامة والافكار العامة وقد ولدت هذه الصلة في نفسه الزكية رغبة صادقة في ربط مثلها مع تلاميذه وطلابه فكان يعتني بمن تلوح عليه بوارق النجابة منهم ويهتم بتلقيح افكارهم ويفسح لهم المجالس بناديه ويفيض عليهم من مكارمه واياديه ويؤدبهم بآدابه ويلقنهم من فضل حكمته وفصل خطابه ويراسلهم ويراسلونه في الغيبة ويتخذهم لاسراره ومكنوناته افضل عيبه .

واذكر من هذا النوع ان تلميذه الاديب الكاتب الشاعر اخانا سيدي محمود خروف الصفاقسي راسله وهو بباريس واصفا شدة فراقه على ابنائه فقال في بعض جمله « وجدير بمحبين خلفتهم ان يتغنوا بقول ابن زيدون الخ فلما اجابه انتقد هذه الجملة وان التغني لايجمل بذلك الوقف فراجعه بان التغني ليس ملازما للطرب واطال في الاستدلال فكان من جواب الشيخ على ذلك ما ياتي :

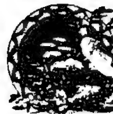
بني : لقد نشرتم ما اردنا طيه من التعبير بالتغني والانشاد . لدى مقام جري بنزف الدموع وزفرات الفؤاد وما اكتفيتم بقدحة من زناده فاخذتم تلتمسون وجها للتبرير . وماذا عسى ينفع المجير . مع اني الاجدر بالمعاذير . لولا مقام النصح وصدق الضمير . لا ابعد بكم فالمجال متسع الاطراف متشعب المآخذ والاطراف انما حسبي ان اذكركم بحكمة الوضع فالغناء وما اشتق منه انما اضيف اليه من وظائف الفراغ والسرور هذا مما لا نزاع فيه واني اعيذك من ان تستدل بغناء

الحمائم لدى مقام الحقيقة والعزائم . ان الحمام على ما في كتب الادب يبكي ويغني ويسوح ويغرد ويقرقر ويترنم ويسجع هذه اطلاقاتهم في الحمام والحقيقة ان ذلك بحسب حال السامع فالكئيب الحزين يعد ذلك الصوت المسجع بكاء والفرح المسرور يجعله غناء

ومن اجل ذلك صح اطلاق صاحب القاموس الغناء على الحمام لان اصطلاح المنجد عدم التفرقة بين الحقيقة والمجاز انما همه صحة الاطلاق الثابت عن العرب والمستعمل يضع ذلك في محله وهو صنع كبير منه ومن لا معرفة عنده يعد ذلك على المنجد نقيصة . اما استدلالكم بالحديث على المعنى المراد فقد ابعدتم فيه النجعة لان معنى ليس منا من لم يتغن بالقران اي لم يحسن صوته به وقد ورد بطريق حسن : حسنوا القران باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القران حسنا . فالمراد من الحديث طلب تحسين الصوت الخلقي او المكتسب بالقرآن بشرط عدم الاخلال لانه ادعى لسماعه وتاثير حسن الصوت ونغماته له في الطباع الكريمة المقام المعلوم فكم اجرى من دموع ومنع من هجوع وكم طلت له من دماء وأبيح له من حمى . وليس ببعيد ان اكون شهيدة يوما ما ـ انما الكلام في اطلاق اللفظ في حال . وأنا ما منعت اطلاق لفظ الغناء مطلقا ، وانظر الى قولي لايجمل بذلك الموقف وقد لاح لي عند تقرير هذا معنى في فهم الحديث ما رايت من عرج عليه ـ والحديث ذو شجون ـ وهو ان المقصود من التغني كثرة اللهج بالقرآن والاقبال عليه بالشراشر المستلزم ذلك تمام المحبة وتقديمه على سواه رمز الى ذلك كله بلفظ التغني وهو كثير في الاستعمال يقولون فلان يتغنى بكذا ومرادهم اللهج بذكره والشغف الشديد . وهو معنى تنصره الادلة الشرعية فقد كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن ...

هذه امثلة وجيزة استعرضتها لكم على ما تقتضيه طبيعة الموقف من الايجاز والاختصار فيما نشا عليه الشيخ رحمه الله من الصلة المكينة باساتذته وما استنتجه منها في تنشئة تلاميذه علكم تنسجون على منوالها في توخي طرق الافادة والاستفادة في جميع الاحوال . والعزوف عن طرق اللهو والبطالة وكل ما ينافي غاية الكمال

محمد ماضور



على هامش الذكرى

علاقة الاستاذ بتلاميذه

كلمة الشاب الطيب بن جمعة الكاتب العام للجمعية

ايها الاخوان الزيتونيون ـ ايتها النخبة الجليلة

لعل من ابرز خصائص استاذنا المحتفل بذكراه في هذا الجو المليء بالاجلال والتقدير ـ خاصية اتصاله بتلاميذه ـ وهي لعمر الحق الخصلة التي تكاد ان تنعدم في وسطنا الزيتوني. فاسمعوا لي قليلا او ليسمع لي الشيخ الجليل الذي كاني بطيفه البشوش الرحب يرفرف علينا في ساعة ذكراه السامية هذه ' فيباركنا ويحنو علينا .

ليسمح لي ما دمت سادعو الى خصلة من خصاله المأثورة والى احيائها والتمسك بها ' وما دام هنالك من سيوفي الذكرى حقها ـ والعذر عند كرام الناس مقبول .

والصلة التي ادعو اليها ـ ايها السادة ـ ليست هي صلة الدرس المجردة ' والتي لا تعد تلقين مسائل العلم المحضة في الاغلب او ما تمتد اليه في القليل من تعديل السلوك . واقول في القليل : لان هذا الفرع الثاني وهو تعديل السلوك واضح اهماله ـ وهو من الاهمية بالمكان الاول. لاتصاله بالناحية الاخلاقية التي يتحتم رعايتها في وسطنا . وليس لذلك الاهمال من سبب سوى غض الطرف عما يصدر من الهفوات القليلة والحمد لله

على اننا في حاجة الى جانب الدرس الى سلوك مهذب راق اساسه الاخوة فيما بين التلامذة والاحترام فيما بينهم وبين الاساتذة واننا في حاجة ايضا الى ناحية اخرى من العلامة في دراسته وهي ناحية يفرضها ـ المكان الاجتماعي الذي يشغله الاستاذ في مهمته التثقيفية ـ بل هي ناحية تفرضها الحياة نفسها ' واعني بها ـ الناحية الاجتماعية .

ولعل هذه التسمية ـ الناحية الاجتماعية ـ ارمز الى ما اقصد اليه من ان على الاستاذ ان يتصل بتلاميذه اثناء التعليم اتصالا اجتماعيا . اي اتصالا فيه توجيه لمواهب الشباب وتوضيح لمناهج

الا جودي بدمعك يا قوافي



الا ان الحياة وما ترينا من الاشيا لينقصها اللباب

فهل كانت معالم كل شيء لينساها البلاء فلا تصاب

وهل كان الرجاء بطول عهد يضير الكون - ان حسن الطلاب

وهل يا كون ان عز التباهي بنور الشمس يستره الضباب

مظاهر هذه الدنيا هباء كمظهر بلقع فيه سراب

تراوغنا فابت لنا انتباها الا امر الدنا امر عجاب

❀❀❀

الا جودي بدمعك يا قوافي فان الدمع يحبسه اكتئاب

الحياة السليمة وتحذير من مسالكها العقيمة على اساس تنشيط المواهب الطيبة في النشء وعلى ان تكون هذه الصلة متمة اصلتي التهذيب .. والدرس ..

وبذلك يستفيد - الشباب - من دراسته استفادة كاملة اخلاقية من تهذيبه ، ثقافية من دروسه اجتماعية من نصائح استاذه المجرب في الحياة التي يراها هو بدون ذلك غامضة ' في زي من الوهم والغرور ' فتبدو له في خياله مزوقة فاتنة بعيدة نائية ، وفي كآبته متجهمة مدبرة كانه لم يخلق لها ولا هو من ابنائها .

ان على الاستاذ ان يأبه الى تفكير ابنائه ومعيشتهم ومطالعتهم وآمالهم وغاياتهم ويمدهم هو بما اوتيه من تجربة واسعة ومعرفة قيمة نصائح يسيرون على ضوئها وله منهم شكر الابناء الابرار .

ان في ناشئتنا المباركة بذورا كلها صلاح وكلها حياة وهي حرية بالعناية ' حرية بالمواساة في هذا الزمن العصيب الذي تتشوف فيه الى حياة مشرقة الجوانب تتسع الى مواهبها المشبوبة المتحفزة وتماشي آمالها الثابتة القوية رغم العواصف والاحن التي تهز الحياة في هذا الزمن ..

وتلطعها الى حياة ثقافية واسعة جديدة في عهد مبارك جديد لمما يدعو الى الاخذ بيدها حتى الغاية التي تنشدها والى ما تنتظره من الكمال .

الطيب بن جمعة

اري نورا تصاعد للعوالي ونبراسا يهدده احتجاب
اري نسرا يطاول كل نجم له تعنو الاعاظم والصعاب
اري صرحا تفنن منشؤوه واعطوه الخلود ـ فهل اصابوا
اري جوا يفيض بهي وحسنا فيحسده ويخفيه السحاب
اري نبعا تكاثر شاربوه ولكن غيض وانتصر السراب



معاوية الابر اغبت حقا وتنساك العشيرة والصحاب
ويسترك التراب وكنت فينا منارا ـ بئس ذيالك التراب
وتنشدك المكارم والعوالي ولكن آه او كانت تجاب
امن حق بانك سوف تمضي وتبكيك الكهولة والشباب
فكن للحق يشره صراحا وهذا الكون مهزلة كذاب
ومن للعلم يلقيه امينا وبحر العلم ثجاج عباب
ومن للشعر يرويه ارتجالا اذا ما القوم بالميدان خابوا
ومن لمجامع الادباء طرا يحادثهم بلفظ يستطاب
ومن لفكاهة دوما تراها مزاحا كنهه الحق الصواب
ومن للنشء يرضعه لبانا مصفات ولا فيها ارتياب
لقد كنا نلقاها دروسا وما في درسه شيء يعاب
بلى ان القريحة من سناه تضيق بها الاباطح والرحاب
ترفرف في الفضاء الطلق حينا وتمعن في الصعود ولا ركاب
وترجع بعده سكرى بخمر هي الاقداس لا ذاك الشراب
نعيم ذاك ما تلقيه فينا وعذب سلسبيلك ما يشاب
وعلمك بالحياة له معان تبين السر ان سدل الحجاب



معاوية الابر اجب بداء والا عمنا اليوم انتحاب
اهاجرت البسيطة حيث كانت معالمها يهددها اضطراب
وجاوزت الفناء الى خلود وتحضانا لمن فوزا اصابوا
سموا طهرا فنقت الى علاهم وذو المجد الرفيع له مئاب
ترقبك الكرام بدار خلد فبشراهم لانك مستطاب
وذكرك سوف يثبت للطواري ومجدك في الخلود له كتاب
تعجلك الاله وذا اختيار وشان افاضل الناس انتخاب
فنم في المجد تحرسك المعالي ومن رب الوجود لك الثواب

ـ العروسي المطوي ـ

معاوية الأب الشفوق

قد هاجت القلب منك اليوم آثار ... والهم الفكر نظم الشعر تذكار
ومن بعادكم عنا وفرقتكم ... تذكى وتسعر في احشائنا النار
يا من نوى ذكرهم بالقلب فهو له ... جار اذا ما جفاه الاهل والجار
قد كنتم أنس قلبي حين توحشه ... من صرف دهري احزان واكدار
انا على العهد لا ننسى مودتكم ... طول الزمان وان شطت بنا الدار
هذي مآثركم في الناس قد كتبت ... منها بها في سجل الفخر اسطار
من ذا الذي ينكر الفضل الذي لكم ... والبدر في الليل لا تخفيه استار
حزتم من الفضل والاداب ما شهدت ... حقا به لكم بدو وحضار
اخلاقكم مثل زهر الروض لينة ... وقولكم مثل در البحر مختار
ورأيكم للشباب الغر نور هدى ... يهدى الالى منهم في الجهل قد حاروا



يا دهر في كل يوم منك ترهقنا ... مصائب ما لها حد ومقدار
تشقى الخلائق في يوم وتسعد في ... يوم ـ واياننا بؤس واضرار
عاثت يداك فسادا في نفائسنا ... شأن العدو الذي يحدو به الثار
فلم يرق لك ان يبقى لنا اثر ... منها ولا خبر ترويه اسفار



هذا معاوية الاب الشفوق بنا ... عاجلته وهو ذخر منه نمتار
كم قد ابان معمى في الدروس اذا ... رنت اليه من الاقوام انظار
وكم اعان على نيل المؤمل من ... تقاعست عنه اصحاب وانصار
جازاه رب الورى عنا برحمته ... في جنة وشيها نور وازهار

محمد بن عبد الرحمان السعدي الجزائري

لست انسى الذي تقمص روحي

ذكريني عهد الصفا ذكريني ... وزمانا لم [illegible] تحنيني
ذكريني بمن احب واشتا ... ق افـاه على ممر السنين
لست انسى الذي تقمص روحي ... وسقاني من الرحيق المعين
وغذاني من المعارف دهرا ... وسباني بمنطق موزون
فنهضت اوليه مدحا شهيا ... معجبا بالنهى ومنها فتوني
وانا اليوم باكيا نادبا حظ ... ي بدمع على سراه مصون
ان يفتني الوداع يوم استق ... لت روحه وانطوى بظر الحزون
فبذا المهرجان لي زفرة كبرى ... على مهبط الحجى واليقين
ايه شيخي وقل فيكم عزائي ... لست احصي دقات قلبي الحزين
عرف القلب فيكم كرم الاص ... ل وميزتمو بخلق رصين
البيان الرقراق واللهجة الفص ... حى تسامت من شخصكم كل حين
ادب زاخر وعقل سليم صائب الحـ ... كم من مجال الظنون
كم لكم في الاصول جو ضرغام ... ازلتم بها شديد الحصون
فتحاماكم الذي ظن عجزا ... ولقاكم اولو النهى باليمين
لكم الضرف والدعابة والاخ ... لاق كانت لكم بدون قرين
لا يمل الجلاس من لفظك العـ ... ذب وحسن البيان والتبيين
يا مزيح الهموم عن كل قلب ... بنكات تثير ضحك الحزين
لا ترى غير ضاحك فرح باش ... على رغم عاديات السنين
ما وجدت في الدهر مثلك شخصا ... طيب القلب غير خب خؤون
ايه يا نخبة العروبة هذا با ... ني المجد من حماة العرين
فاحيوا ذكراه كل عام ففي الذ ... كرى خلود يدوم كل القرون
ولكم في الرئيس شيخ الشيوخ الـ ... جامع الاعظم الوفي الامين
خير داع الى الهدى والمعالي ... فاقتفوا اثره بعزم مكين
ولتكونوا لديه اية صدق ... فهو بالصالحات جد قمين
عاش للمعهد الحنيفي ذخرا ... عاش للمجد منقذا للدين

محمد الصالح الشتوي

فقيـــــد العلـــــــوم

فقيد العلوم اهنا فذكرك خالد — بخضرائنا ما قام بالعلم راشد
لقد كنت نورا للشمال وزينة — تزان نواديـابها والمعـاهـد
فانت دليل الفضل في خير معهـد — اذا اعوز الطـلاب فخر مشاهـد
اهبت بنقـد هب بعـد هجـوعـه — وها هو حزين بعدك اليوم راكد
رفعت على العلـم الموفـق راية — تحارب اوهـام النهى وتطـارد
وضاع قصيد كنت تنظم عقـده — ونثر بديع حائز السبق واحـد
بنيت على الآداب صرحا ممـردا — فدكت مغانيه وغاضت موارد
فقد كنت للشبان كنز معارف — نشيطا فتخشاك النفوس الهـوامد
تطاوعك الالفـاظ تحمـل سرها — الى كل نفس غاب عنها المراشد
ابا النشىء ان النشيء بعدك تائه — وكان رشيدا جمعه بك حاشد
فانت نبيل القوم طبعـا ورقة — وانزه من زرت عليه المعـاقد
خيالك ما بين المحـابر ماثل — يعيد لنا الذكرى فتهمي القصائد
فهذي نوادي العلم تبكيك لوعة — خوت وذوت افنانهـا والمشاهد
ايا قومنـا ان المصاب بشيخنـا — عظيم وان الخطب للنفس جاهد
عسى ان نرى فيكم رشيدا بهديه — يكون لنا نعم المربي المساعد
هنالك ذكرى الشيخ تحيا فتية — فتحيـا بهـا آمالنـا والمقـاصـد

عبد الله بو عكروشه العياري

تخـدع الانسان ما أخبثهـا . .

اسكبوا الدمعة عن شيخي الكبير — واذرفوهـا انه اهـل جدير
واندبوا حظ التي ما برحت — ترسل الدمع مزيجـا بالزفير
كعبة الشرق التي ما فتئت — تجزع من منظر الموت الخطير
يا لهـا من محنة قد سجلت — في بليغ الشعر ' في حسن النثير

لتبكك دولة الآداب ...

هذا نص القصيدة المسماة التي القاها العالم الشيخ محمد بوشريبة المدرس بالجامع الاعظم على ضريح الفقيد الكريم :

مصابك لا يقاس به مصاب	ورزؤك في فم الايساب صاب
وذكرك خالد ما دام يتلى	من المعروف والحسنى كتاب
لتبكك دولة الاخلاق يا من	هو الاخلاق زاخرها عباب
وتبكك ساحة الآداب لما	خلت عرصاتها وخوى الجناب

شيخنا قد كان فذا مفردا	كان نجما، كان في الكون ينير
كان لماعا خفوقا بائنا	ينظم الاشعار في يسر نذير
ليس يدري كلفة في نظمه	لا يرى في شعره الامر العسير
لست ادري هل له في فكره	دولة الشعر كما يبغي تسير
تحت ضغط السجع تنمو زهرة	كلما ماست رمت طيب العبير
ضاع في ارجاء درس ريحها	شمها المعمور في جمع كبير
هكذا والسجع يبدو دائما	منه عفوا، من دبي الفكر النضير
يوجد الاسجاع في موقفها	لا يبالي ان بها شيء مثير
نكتة في انة يبعثها	في ابتسام، هكذا كان الشهير
كل هذا قد مضى في سرعة	شأن كل الناس في دنيا الغرور
دمعة في شهقة ارهقها	علني الحق ذا الشيخ الوقور
هذه امنيتي ارغبها	لارى بالعين ما هو المصير
حسب نفسي ما رات في عيشها	وعيوني ماؤها الدمع الغزير
كم فؤادي قد بكى في حرقة	من حياة فيضها العيش المرير
تخدع الانسان ما اخبثها	انها في ربقة الرب القدير
رب نرجو رحمة للشيخ ما	نوحت عنه حمامات تطير

حسن سفطة

ويبكك مستشير جاء يخطو | به الاخطا فلاقاه الصواب
ويبكك ككل تلميذ اضرت | به البلوى فبادره الثواب
اراك ابا شفوقا لا يضاهي | ونورا يستنير به الشباب
وركنا للعلوم به تجلت | حقائق كان يسترها حجاب
ومنطيقا له الادب المصفى | خطيبا لا يمل له خطاب
ولوعا بالعروبة مستهاما | له العربية الفصحى انتساب
رءاك ابا الفضائل والمعالي | ندي الكف لم يحجبه باب
رحيب الصدر لا ذل ذليل | عزيز النفس لا كبر وعاب
نصيرا للمروءة ان تردت | رفيع القدر في لين يهاب
ستذكرك المحافل حافلات | بذكرك شفها منك الغياب
سيذكرك الودود وقد تجلى | بان الود بعدك مستراب
ويذكرك الذين عتوا وجاروا | ولجوا في ضلالتهم وخابوا
هم الاعداء قد باتوا ولكن | بفضلك أصبحوا وهم الصحاب
« محامد لو توشحت الليالي | بها ، لانزاح عنها ما يعاب



اشيخي ضاق بي وسعي وضاقت | بي الدنيا وضاق بي الرحاب
عهدتك ءاخذا بقياد رشدي | تسليني اذا اربد السحاب
ازورك مثقلا فاعود خلوا | من اللاواء عاودني الغلاب
تصور لي الحياة نعيم خلد | وما اكدارها الا سراب
وان العيش اولى ان يقضى | ببشر لا يلوذ به اكتئاب
وان الهم عجز ليس ياتي | به خير ولا يرجى متاب
وان اللذة العظمى صعاب | تذلل او مريهر يستطاب
فكيف نضيق بالدنيا وليست | سوى البلوى لها ظفر وناب
فحتم ان نحاربها بصبر | فيعذب في مراشفنا العذاب
اذا الفوز المبين حليف شهم | قوي لا يسايره ارتياب



كيف ياتي الرثاء والهول راس

القصيدة التي القاها الشاب عبد الرحمان المسعدي الجزائري

على ضريح الراحل الكريم :

سر على اليمن والسلام بامن وانزلن مكرما بجنة عدن
وتنعم برؤية من كريم لا يشاب العطاء منه بمن
فلقد كنت في حياتك طلقا ذا محيا بالبشر واللين يدني
لم تر الدهر قمطريرا عبوسا وجهك النور فيه طالع يمن
كم قضينا بطرفكم من ظروف رغم اتعابها تقضت كوهن
كنت فيها لنا إنيسا وسلوى لم تكدر فيها القلوب بحزن
ما نسيت الزمان اهلي وقومي غير وقت كنتم به لي كخدن
يا رفاقي بني الجزائر صبوا الد مع شجوا من كل عين وجفن
قد مضى انسنا وولى فمن يكـ ـفل لي عوده بعيني واذني
راح هيهات ان يعود وهل عا د الى الناس ميت بعد دفن ؟

نعم شيخي علمت وليس علمي بهادي ضلتي ابن الشهاب ؟
تمهل شيخنا فالنأي مدم محاجرنا وفي الاحشا التهاب
تمهل شيخنا فالنأي مدم وقود علاك سال بها انسياب
تلاميذ وأشياخ وصحب اضر بهم من البدر اغتراب
تأمل هل ترى الا صديقا او ابنا او ابا لهم انتحاب
تسيل بهم دموع جاريات ويلفحهم زفير واضطراب
اتوك يرجهم داء ممض وتطمنهم من البؤس حراب
اتوك وسائق الركب اعتراف وذاك لشيخهم منهم مثاب
عليك هواطل الرحمات تترى ورضوان به حسن المثاب
وفردوس يحف بجانبيه جوار المصطفى وهو المثاب

ما على الارض من مقيم وبـاق لا ولو عاش فوقها الف قرن !



يا ربيب المعـالي والادب الغـ ـض ومن حسن خلقه عنه يثني
سرت عن حين غفلة لم تودع وتركت القلوب تشكو التعني
ما عهدناك ذا انقباض فكيف الـ ـيوم ابدلتنـا المزاح بحزن
هل كرهت البقاء فينا لانا لم نقدر ما نلت من عظم شان
واحتقرنا معارف انت فيهـا حين تهمي بها كهاطل مزن
فعزمت الرحيل عنـا وازمعـ ـت وعوضتنا المقـام بظعن
لم تغير طبـاعك الغر لكن حالت الموت عن خطاب ولحن
وغدت بيننا سدود كأن لم نك بالامس في سرور وامن



يا بني الجامـع الاخلاء صبرا هل يفيد البكاء شيئا ويغني
اخرست شدة المصـاب لساني وغدا شاردا لهـا العقـل عني
كيف ياتي الرثاء والهول راس وبكلكاله على الظهـر يحني
او يسوغ الكلام والعين عبرى تسكب الدمـع في ظلام ودجن



ايها الراحل الكريم وداعا من محب من شوقكم في تعني
كنت توليه من ولائك قسطا وتربيـه بالعلـوم وتـدني
وتقبلـه عن لسان صديـق لك في الرأي والعقيـدة سني
شيخنا المصلح المجاهـد في الله امام الهدى ابن باديس اعني
وعليك السلام من نشء قطر كنت تسدي له الولاء وتسني
ذلك نشء الجزائر النازح اليو م لاحياء مجدها المستكن
ما تلى منشد بوجـد وشوق : سر على اليمن والسلام بـامن

الاصلاح الاجتماعي

الهيئة الاجتماعية

ومقوماتها

نشرنا في العدد السابق مقالا تحت عنوان (الاصلاح الاجتماعي) كان له احسن وقع في نفوس القراء مما يشجعنا على افاضة القول في هذا الموضوع المترامي الاطراف المتشعب المسالك الذي يهتم به ابناء شعبنا اهتماما عظيما لما له من المساس المباشر برقيه العام ودعوة قادة الراي ليقوموا بقسطهم في هذا السبيل المحمود ويمدوا يد الاعانة للسعي في اصلاح الهيئة الاجتماعية كي لا يعدم الشعب ثقته في المستقبل ويبقى سائرا على غير نظام يتعثر في خطاه مرة الى صواب وكثيرا الى فساد وفوضى وحتى لا ينقلب التذمر الذي يبدو بين اونة واخرى الى استخفاف واستهتار ولا يليق ان نقف وقفة الناظر الساخر من كل ما حوله من ضعف او فساد او وقفة الآيس العاجز فلا يصلح خطأ ولا يغير منكرا ولا يقاوم فسادا ولا يرشد الى مصلحة لظنه ان المشكل متعقد يعسر عليه ايجاد حل له فيترك الحبل على الغارب فان في ذلك الخطر العظيم

ولا اقول براي من يرى ان الحياة الاجتماعية ينبغي ان تترك تسير مع حوادث الايام فهي التي لها القول الفصل في تكييف الشعب. كما انني لا ارى ان مجرد سن القوانين والنظم الاجتماعية كاف لاصلاح المجتمع فكم شاهدنا من نظم دبجت وقوانين سطرت في هذا الصدد ولم يكن لها التاثير المطلوب في اصلاح المجتمع وترقيته والوصول به الى مصاف المجتمعات الراقية وعلى الاخص ما حدث منها ولم يراع في وضعه روح الشعب وخواصه واحتياجاته مما سنبينه في محله بل انني ارى ان الحياة الاجتماعية يجب ان تغذى بالمواد الصالحة وتصان من الامراض الاجتماعية التي تحدث من الاهمال وضعف الرعاية وتعالج نقائصها بحذق ومهارة وتساس بقيادة محكمة فطريقتنا ايجابية ولا شك ان الايجابيات من شانها ان يكون لها التاثير الفعال

واني في محاولتي ايجاد حلول لمشاكلنا الاجتماعية اراني مجبورا على الكلام في اساس الاجتماع البشري ليمكن لنا ان نعلم على اي تصميم نقيم هيكل الاصلاح

ان الاجتماع البشري اساسه الطبيعي هو احتياجات الافراد ومخاوفهم وبقدر ما تكون تلك الاحتياجات متسعة ومهمة والمخاوف متنوعة وقوية يكون اساس الاجتماع متينا واسبابه شديدة وبقدر افناء تلك الاحتياجات ودفع تلك المخاوف تكون درجة الهيئة الاجتماعية في الكمال

اوالنقص فمتى كان الايفاء مساويا للاحتياج والدفع مساويا للمخاوف كانت الهيئة الاجتماعية في حالة كمال ومتى زادت اونقصت على المطلوب حصل لامحالة خلل في انتظامها وفقدت الطمانينة والرفاهية وذلك يكون بقدر الزيادة. اوالنقص ثم ان تلك الاحتياجات والدوافع على مراتب منها الضروري ومنها التكميلي وذلك يختلف باختلاف مراتب الهيئات الاجتماعية وتزداد أهمية بحسب العوامل الطالبة لها والباعثة على تحصيلها

لذلك ينبغي عند البحث في حال من احوال الاجتماع ان نعتبر القواعد الاساسية ونراعي العوامل الداعية واحتياجات الناس هي في نفسها على اقسام منها الطبيعي الذي به قوام الانسان وهذا يزداد عددا واهمية كلما تقدم درجة نحو كمال الحضارة والتمدن ومنها العقلي الذي من شانه ان يجذب العقول اليه فيتمكن من قضاء وجبات الحياة بنجاح مطرد ومنها ما تقتضيها المعاشرة بما يخول للناس القدرة على المساعدة لبعضهم ومنها الادبي الذي يعين على تحصيل الخير والمساعدة عليه ومنها الديني الذي يهدي الى تادية تلك الواجبات المفروضة علينا نحو الخالق سبحانه ونحو انفسنا ونحو افراد المجتمع ومنها تحسينات وهي تقوم على باشياء غير مضطر اليها الانسان بيد انها ذات منفعة لرفاهية جسمه ورياضة عقله

فمقياس صلاح الهيئة الاجتماعية يرجع الى استكمالها لحاجياتهما غير منقوصة ونحن اذا بحثنا في حال مجتمعنا على هذه القاعدة ادركنا مقدار النقص لا نقول في التحسينات بل وفي الاحتياجات اللازمة التي لامندوحة عنها والتي دعت اليها عوامل التطور والرقي وبعثت على تحصيلها

فان حياة البشر اليوم ليست كمالتهم في العصور الماضية يوم كانت تفرق بينهم الابعاد ولا تجمعهم احتياجات مشتركة فانها اليوم اتسعت وعظمت واتسعت اسباب الدفاع واشتدت فلم يبق من الحكمة غظ الطرف عن هذه العوامل والاسباب التي حدثت في هذا العصر ودعت الى تطور وتغيير في الاحتياجات والدوافع فان من قصر نظره فيما حوله فقط لم يدرك مدى احتياجات المجتمع في هذا العصر

ويمكنني ان اقول ان عدم التنبه الى العوامل التي دفعت الى تطور الهيئة الاجتماعية هو الذي ترك البعض يتصور ان احتياجتنا لم تبلغ الى حد كبير والى نحو ما بلغته هيئات اخرى ـ وهي في الواقع تشاركنا في العوامل التي تتطلب تسديد احتياجات اعظم واوفر ـ وبذلك التصور البعيد عن الواقع بنى حكمه على قضايا لا تستند على اصل صحيح فكانت النتيجة بحكم الواقع على خلاف المطلوب

(وسنعود)

محمد الشاذلي ابن القاضي

فهرس عام للمجلد الخامس من المجلة الزيتونية

مرتبة مواضعه على حروف الهجاء

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
		حرف الهمزة	
١	٢٥	الاسعاف الخيري الاسلامي	مدير المجلة محمد الشاذلي بن القاضي
٣	٣٣	امر علي في العمل بالخط والرسم	المقدس المبرور احمد باشا باي
٥ - ٦	١١٧	انفراج الازمة (قصيدة)	الاديب العالم الشيخ الطاهر القصار
		اسرة الرسول	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٧	١٦٦	امهات الدواوين	العالم المدرس الشيخ محمد الشاذلي النيفر
٨	١٨٥	ابو حفص عمر القلشاني	صاحب الفضيلة الشيخ محمد البشير النيفر القاضي المالكي
٣	٦١	الامة العربية في سبيل النهوض	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٥	٨١	احتفال بهيج بمدرسة الهداية	المجلة
		اقامة السدود على الاودية	المقدس المبرور شيخ الاسلام محمد بيرم الرابع
	٨٢	» » »	» » » » احمد بن الحسين
		» » »	المنعم العلامة النحرير الشيخ محمد البنا
٩	٢١٨	الاسلام والمبشرون	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٩	٢٢٤	احتجاج	المشائخ المدرسون بجامع الزيتونة
٩	٢٢٥	»	تلامذة جامع الزيتونة
١٠	٤٣٢	الاصلاح الاجتماعي	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
		حرف الباء	
٣	٥٢	بيات الدولة المرادية	المنعم امير الامراء محمد بن الخوجة
٣	٦٤	بين المغرب وتونس	المجلة
٥	٦٧	بعد الاحتجاب	المجلة
٧	١٠٤	باب من توكل على الله فهو حسبه	العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي
٨	٢٠٧	بيع الاعيان الغائبة والتي تشق رؤيتها	العلم الهمام صاحب الفضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط شيخ الاسلام المالكي
		حرف التاء	
١	٣	تفسير آيات من سورة المؤمنين	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
١	١٤	تتمة لقصيدة عقد الدر والمرجان	المنعم امير الامراء محمد بن الخوجة
١	١٩	تاريخ تاسيس مدينة القيروان	العالم المؤرخ الشيخ محمد طراد العدل بالقيروان
١	٢٢	التاريخ عند العرب	العالم المدرس الشيخ احمد المهدي النيفر
١	٣١	تخريج الدلالات السمعية	المجلة
٣	٤٧	تحرير مسالة سقوط الحق	الشيخ محمد المختار بن محمود
٩	٢٢٩	التبشير بين المسلمين	المبشرة مرقريت ميلز
١٠	٢٠٧	ترجمة الشيخ مبارك الميلي	

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
٥ - ٦	١	تفسير آيات من سورة البقرة	العلم الهمام صاحب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
٧	١٥٩	ترجمة الاستاذ محمد بن الخوجة	العلامة المدرس الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٧	١٦٣	تقريض كتاب معالم التوحيد	امير الامراء الاستاذ اسماعيل بن حفصية عامل تبرسق
٧	١٦٦	ترجمة ابو حفص عمر القلشاني	صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد البشير النيفر القاضي المالكي
٧	١٦٦	ترجمة الشيخ معاوية التميمي	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٧	١٧٦	تقريض مجلة الاديب	المجلة
	١٥٤	التوكل	العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي
٦	١٠٦	تفسير قوله تعالى : قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى	العلامة المدرس الشيخ الناصر الصدام
		حرف الحاء	
١	١٢	حكم الوقف اذا لم يذكر الواقف حدود العقار الموقوف	شيخ الاسلام محمد بيرم الثالث برد الله ثراه
٥	٨٢	الحضارة الاسلامية في صقلية	العلامة المدرس الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٥	٨٦	حياة التعليم	العالم الهمام الاستاذ الشيخ محمد الحجوي وزير العدلية بالدولة المغربية
٥	٩١	حياة المؤرخ المرحوم محمد بن الخوجة	العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٥	٨١	حكم اقامة السدود على الاودية	مشايخ الاسلام محمد بيرم ـ احمد بن الحسين محمد البنا
٦	١١١	حديث احفظ الله يحفظك	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
٦	١٣٢	الحركة الادبية	المجلة
٨	١٩٦	حكم الطلاق الثلاث بكلمة واحدة	العالم الهمام الاستاذ الشيخ محمد الحجوي وزير العدلية بالدولة المغربية
١	١٣	حكم تنظيف الثياب بالمشايخ وذكر جواب عن سؤال	العلامة الهمام الشيخ محمد البشير النيفر القاضي المالكي
١٠	٢٤٤	حكم المسح على الكلسيطة والجبيرة	المقدس المبرور شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الخوجة برد الله ثراه
		حرف الخاء	
٣	٦١	خطاب رئيس جمعية ضعفاء التلامذة	المنعم الشيخ محمد العزيز النيفر
٥	٦٦	خطاب في حفل ختم الامتحانات بالجامع الاعظم	المولى محمد الامين باشا باي صاحب المملكة التونسية

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
٧	١٨٠	خطاب في حفل مكتبة التلميذ الزيتوني	صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ صالح المالقي
٧	١٨١	خطاب » »	الشاب النبيه حمده سليم رئيس المكتبة
٣	٥٠	خطبة منبرية	الشيخ الجيلاني حمزة
٩	٢٢٣	خطاب مدير المجلة في حضرة الملك المعظم	محمد الشاذلي بن القاضي
٩	٢٣٣	خطاب شيخ الجامع الاعظم في حفل تنصيبه	المولى محمد الطاهر ابن عاشور
١١	٢٨٠	خاتمة المجلد الخامس	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
		حرف الدال	
٨	٢٠٢	الدعاء	المقدس المبرور شيخ الاسلام احمد بن الخوجه
٣	٥٥	ديوان	شيخ الادباء المرحوم محمد الورغي
٩	٢٢١	دور جامع الزيتونة نحو الدعاية المسيحية	محمد الشاذلي بن القاضي مدير الملجة
		حرف الذال	
٥	٩٦	ذكرى بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم	المرشد الواعظ الشيخ الجيلاني حمزه
١١	٢٨١	ذكرى الشيخ معاوية	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
		حرف الراء	
٩	٢٢٧	راي مستشرق امريكي في الاسلام	م. اردوارد رمسي
١٠	٢٤٨	الرياضة البدنية في القديم والحديث	العالم المدرس الشيخ عبد الوهاب الكرارطي
		حرف الزاي	
٥	٩٦	زيتوني على راس ادارة الاوقاف	المجلة
		حرف السين	
١	١٣	سؤال وجوابه	صاحب الفضيلة العلامة النحرير الشيخ محمد البشير النيفر القاضي المالكي
١٠	٢٥٥	» » عن حكم طلاق	صاحب الفضيلة العلامة النحرير الشيخ محمد الحطاب بوشناق المفتي الحنفي
١٠		المدهوش وحكم الشك في الرضاع » »	المقدس المبرور شيخ الاسلام الشيخ احمد ابن الخوجه

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
		حرف الشين	
٢	٧	شرح حديث ان : الدين يسر	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
٣	٤٠	« « «	العلامة النحرير الأستاذ الشيخ الصادق المحرزي
٥	٧٥	« لا تزال طائفة من امتي ظاهرة على الحق	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٦	١١١	« احفظ الله يحفظك	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
٧-٨	١٥٤	« التوكل	المدرس العالم الشيخ الصادق المحرزي
		الشيخ مبارك الميلي	الشيخ عبد الحفيظ جنان مدير مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة
		حرف الصاد	
٦	١١٨	الصاع النبوي	صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
		حرف الطاد	
١	٣٢	الطريقة المرضية في الاجراءات الشرعية	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
		حرف العين	
٣	٦٠	عود على بدء	
٦	١٢٨	العنصر العقلي في الادب	الاديب الشيخ احمد المختار الوزير
١٠	٢٥٦	عود على بدء	العالم المصلح الشيخ سالم بن حميده
		حرف الفاء	
١	٢	فاتحة المجلد الخامس	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٨	٢١٢	في جامع الزيتونة	المجلة
٥	٩٦	في ادارة الاوقاف	المجلة
٨	٢١٧	في الوزارة الكبرى	المجلة
		حرف القاف	
١-٧	١٨-١٦٦	القضاء الشرعي في القديم	صاحب الفضيلة العلامة النحرير الشيخ محمد البشير النيفر القاضي المالكي
١	٢٧	قصيد انشد في حفل الاسعاف الخيري	العلامة النحرير الشيخ على النيفر نائب شيخ الجامع
١	٢٨	« «	الاديب البارع الشيخ ابو الحسن بن شعبان
٥	٨٩	بعد الحرب بتونس (قصيد)	الاديب الشيخ الطاهر القصار
	٢٦٣	تهنئة شيخ الجامع (قصيد)	لعلامة الشيخ الناصر الصدام المدرس بجامع الزيتونة

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
١٠	٢٦٤	تهنئة شيخ الجامع (قصيد)	شيخ الادباء الشيخ العربي الكبادي
١٠	٢٦٣	» »	الاديب الشيخ الهادي المدني
١٠	٢٦٦	» »	الادب الشيخ احمد المختار الوزير
١٠	٢٦٦	» »	الشاب محمد بن عبد الرحمن المسعدي
١٠	٢٧٧	مرثية (قصيد)	الشاب الازهر بن بلقاسم
١٠	٢٧٨	» »	الشاب حسن المهدي
١١	٢٩٧	» »	الشاب العروسي المطوي
١١	٢٩٩	» »	الشاب محمد بن عبد الرحمن المسعدي
١١	٣٠١	» »	الشاب عبد الله العياري
١١	٣٠٢	» »	العالم المدرس الشيخ محمد بوشربية
١١	٣٠٤	» »	الشاب محمد بن عبد الرحمن المسعدي
١١	٣٠٠	» »	الشاب محمد الصالح الشتوي
١١	٢٨١	كلمة رئيس جمعية الاخوان	الشاب احمد القروي
		حرف الميم	
٣	٥٨	المستشرقون	م برشي رئيس قسم الترجمة بالوزارة الكبرى
٣	٦٦	مرثية فقيد البر الحاج احمد ابن الامين	الاديب الكبير الشيخ الطاهر القصار
٦	٩٧	منطق الحجر	العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٦	١٢٣	امهات دواوين الفقه المالكي	العالم المدرس الشيخ الشاذلي النيفر
٧	١٣٦	مراجعات في تفسير ءايات من الذكر الحكيم	العالم الهمام الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
٨		» » »	العلامة المدرس الشيخ الناصر الصدام
٧	١٧٧	موشح	ابراهيم بن سهل
٧	١٧٨	معارضة لموشح ابن سهل	شيخ الادباء الكاتب المرحوم الشيخ احمد ابن أبي الضياف
٧	١٨٠	مكتبة التلميذ الزيتوني	المجلة
٧	١٨٦	مجلة الاديب	المجلة
٧	١٧١	المرحوم الشيخ معاوية التميمي	الاستاذ عثمان الكعاك
٧	١٧٠	ملحوظة والجواب عنها	
		معارضة موشح ابن سهل	المنعم الشيخ حمدة بن عبد العزيز رئيس الكتبة بالوزارة الكبرى كان
١١	١٣٤	ملوك العائلة الحسينية	مدير المجلة
٦	٢٦٧	مظاهر الولاء والتعظيم بجامع الزيتونة	»
١٠	٢٦٩	من خطاب رئيس جمعية الشبان المسلمين	العالم المدرس الشيخ محمد الصالح النيفر

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
١١	٢٨٥	محاضرة	الشيخ محمد الصالح المهيدي
١١	٢٧٩	محاضرة	الشيخ الفاضل ابن عاشور
٢١	١٩٣	محاضرة	الشيخ محمد ماضور
		حرف ن	
٧	١٤٩	النصيحة والمراقبة واثرهما في اصلاح الفرد والمجتمع	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
	٢٠٤	نحن ننشد الاصلاح	«
٩	٢٢٨	نداء للعمل	المستشرق م. برناردي‌شو
		حرف ه	
١١	٣٠٨	الهيئة الاجتماعية ومقوماتها	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
		حرف الواو	
١٠	٢٢٩	الوصية العظمى	الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان
٩	٢٣١	ولاية صاحب السماحة الاستاذ الاكبر شيخا للجامع الزيتونة	مدير المجلة

مطبعة (الارادة) ـ تونس



انشودة الاخوان

نحن رمز المصلحين



نحن رمز المصلحين ❀ جمعنا السامي الحقيق
نقتدي في كل حين ❀ من سلافات الرحيق
لسنا الا النابغين ❀ في الورى كي يستفيق
كل حر يستبين ❀ وهو بالفضل خليق

وهو عالي الشيم

معشر الزيتونيين ❀ يا حماة المعهد
نحن اصل العارفين ❀ بين امس وغد
نحفظ الكنز الثمين ❀ للتراث الابدي
من علوم وفنون ❀ وفخار سرمدي

شاع بين الامم

نحن ابناء الالى ❀ شيدوا عالي الذرى
للهداة النبلا ❀ اذ بدو كالامرا
بخصال تجتلى ❀ وصفها لن يحصرا
ثم ساروا للعلى ❀ وتسامو في الورى

بعلو الهمم

قد الفتم كل يوم ❀ جامع الزيتونة
فهو نبراس العلوم ❀ ومنار الامة
اي شهم لا يروم ❀ وهو عالي الهمة
ان يرى بين النجوم ❀ شامخا بالعزة

يرتقي للقمم

إننا بين الملا ❀ قادة الفكر الصبوح
والاخا قد انجلى ❀ بظهور ووضوح
فهو يدني السبلا ❀ لبنيه ويتيح
ويقيم المثلا ❀ عقدة القول الصحيح

حجة للمسلم

(محمد الطيب بو رازي المومني)



عدد ١

المجلة الزيتونية

على ح

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الاول	تونس في رجب ١٣٦٤ وفي جوان ١٩٤٥	المجلد السادس

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المراسلات :

توسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس - تليفون ٢٦٠٤٩

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٢٤٢٢

الثمن ١٥ فرنكات

مطبعة الارادة

المجلد السادس — **فهرس العدد** — الجزء الاول

صحيفة	المقال	صاحبه
	المقال الافتتاحي	
١	فاتحة المجلد السادس	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
	التفسير	
٣١٦	من درس التفسير آيات من سورة البقرة	الاستاذ الاكبر المولى الشيخ الطاهر ابن عاشور ابقاه الله
٣٢٠	شرح حديث : الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي امين مال المجلة
٣٢٥	المحاضرة التي القاها في حفل الجمعية	العلامة الاديب الشيخ الصادق البليش المفتي الملحق بوزارة العدلية
٣٣٠	الحجاب من نواميس العمران واسباب التناسل	العلامة الشيخ محمد الناصر الصدام
٣٣٧	شهادة غريب - في ان القرآن جدير بالاهتمام	
٣٣٨	النقاب المتقلص (قصيدة)	للاديب النابه الشيخ عبد الله الزناد - من صفاقس
٣٣٩	**الاصلاح الاجتماعي**	للعالم الفاضل الشيخ سالم بن حميدة
٣٤٢	**العالم الاسلامي**	العلامة المدرس الشيخ الفاضل بن عاشور
	كلام جديد على مشروع اسلامي قديم وهو سكة الحديد الحجازية	الشيخ محمد ماضور
٣٤٧	اصل بيعة الرضوان	للكاتب الضليع الشيخ محمد الحبيب
٣٥٠	تاريخ الصحافة التونسية	للكاتب الكبير الاستاذ عثمان الكعاك
٣٥٢	الازمات الدينية	للكاتب الفاضل ا س ح .
٣٥٤	الحياة التونسية	لصاحب الفضيلة العلامة الشيخ الحطاب بوشناق
٣٥٦	سؤال وجوابه	
٣٥٧	العنصر العقلي في الادب	للاديب الفاضل الشيخ المختار الوزير
٣٦٠	من تاثير الرياضة البدنية	للكاتب المبدع الشيخ الطيب العنابي

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الاول	تونس في رجب ١٣٦٤ وفي جوان ١٩٤٥	المجلد السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين

فاتحة المجلد السادس

بحمدك اللهم نفتتح هذا المجلد المبارك وبتوفيق من حضرتك القدسية نعبر الى السنة العاشرة من هذا العمل الجليل المثمر وبهدايتك السرمدية نسلك منهجا من مناهج الحق وسبيلا من سبل الرشاد مستمدين الاعانة من فيوضاتك متدرعين بقوة الايمان وصدق العزيمة اللذين هما حلية اصفيائك ونصلي ونسلم على رسول جاء والعالم في هرج ومرج ونار الفتن متاججة تفترس الآمال فدعا الخليقة الى التوحيد واقام منار الحق حتى لا يضل ولا يشقى الا عنيد . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه ما جد جديد ونجح في الاصلاح ذو الراي السديد

اما بعد فالمجلة تنتقل الى سنة جديدة من حياتها وتخطو خطوة اخرى من غايتها وهي على طريقتها المثلى متمسكة بمبدئها مستشرفة لغرضها جادة في السير نحو هدفها يشد ازرها اهل الفكر الثاقب من رجال النهضة واصحاب القلم واعيان العلماء الاعلام وزينة العصر ومفخرة الاجيال شكر الله لهم وجازاهم عن الاسلام واهله الجزاء الاوفى بما قدموه للناس من هدى وعلم مما ورثوا عن صاحب الرسالة الاعظم صلى الله عليه وسلم فادوا الامانة ونصحوا والله يحب الناصحين

وما ابرزوه من ادب راق وتاريخ دفين نحن مدينون لهم ونقدر مجهودهم العظيم واعانتهم لنا على خدمة الدين والامة التي كتبناها على نفوسنا ونرجو من الله التايد

ونحن نستبشر في عهدنا الجديد بهذا العهد الذي استقبله العالم وبدت تباشير صباحه بعد ليل قاتم الجوانب حرم على الجفون الكرى بصواعقه ورعوده وقطع على السابلة طريق الامان والطمأنينة فاجفل الغيهب المريع عن فجر باسم اضاء السبيل وامن القافلة وعند الصباح يحمد القوم السرى . ورددت الاصوات نشيد الظفر وتقابلت الوجوه مستبشرة ناعمة وخفت الاجسام يهزها الفرح والحبور وتنفست النفوس عن جذل وغبطة ويحق لها الفرح والجذل وهي التي عانت ويلات الحرب وذاقت طعم الخصاصة وسامها الذل والنكد واقض مضجعها الحقد واقزعها الطغاة فباتت فيه مضطربة الفرائس مذعورة من طاغية رومة (حامل سيف الاسلام) المزعوم الذي لا تنسى مواقفه المشؤومة واعماله المرزوة ونواياه الممقوتة واحلامه الطائشة هو واصدقاؤه التي قضوا بها زمنا رغدا وهم يرقبون رؤيتها تتحقق . ولكن عبثت بها الايام وقضي عليها وهي ما زالت حلما وكذلك الشر لا يلبث وهو في النفوس الشريرة حتى يقضي عليها قبل أن تلفظه ولا يحيق المكر السيء الا باهله . فلاجرم اذا راينا الاستبشار ورايناالامال تتجدد واخذ وجه الحياة في التحول بما حدث

طاشت شرارة الحرب في اوروبا فاشتعلت نارها وتاجج جحيمها فغمرت اصقاعا نائية واحرقت اوطانا آمنة وتهدمت صوامع وكنائس وبيع ودكت معالم المعرفة واحرقت مآثر المجد واهلكت مفاخر الاجيال وقوضت عروشا كانت ترفل في مواطن العز والسؤدد وابكت ارامل وضيعت حمر حوامل واوحشت المحافل وشتتت المجامع وفقد الانسان الطمانينة والسكينة وقوضت مضاجعه ويلاتها وشرورها يبيت على احر من الجمر ويصبح تائها لا يدري الى اين المفر

سماء تمطر النار وارض تقذف بالنار واجواء ملئت بالدخان ، اشلاء مبعثرة ، وجثث هامدة ، ونفوس يتصاعد منها الزفير ، وارواح في النزع ، وافواه تلفظ النفس الاخير ، واقوام على وجه الارض هائمة ، تستجير ولا من مجير ، حتى نزلت الطامة ودارت الدائرة ، ووقعت الواقعة وتم النصر العظيم

انتصرت جيوش الحلفاء على جيوش المحور وفاز سلاح المنتصر على سلاح المنهزم ، ولكن ليس هذا هو الذي اهتز له المنتصر واحتفلت من اجله الامم ولا هو الذي عناه قادة العالم من ولوج اتون المعركة بل ان الغاية ابعد من ذلك واعظم

وفي ذلك تمهيد لانتصار الحق على القوة فهل يبلغ البشر الى هذه الدرجة ويصل الى تحقيق هذا الكمال ؟ ؟ ؟

محمد الشاذلي ابن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

من درس تفسير القرآن الكريم

للاستاذ الاكبر المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم

يتعين ان قوله الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية للرب لان مساقها مساق قوله الذي خلقكم والمقصود الايماء الى سبب آخر لاستحقاقه العبادة فانه لما اوجب عبادته انه خالق الناس كلهم اتبع ذلك بصفة اخرى تقتضي عبادتهم اياه ' وهي نعمه المستمرة عليهم ' اذ مكن لهم سبل العيش من القرار بعالم صالح لنماء البشر ، اذ هو كالفراش لهم ، ومن احاطة هذا العالم بالهواء النافع لحياتهم ' والذي هو غذاء الروح الحيواني ' وذلك ما اشير اليه بقوله والسماء بناء ، وبكون تلك الكرة الهوائية حائلا بين الناس وبين مضار قد تتسرب اليهم من العوالم العليا من زمهرير او حوامض قاتلة خانقة ' فلذلك كان نفع السماء كنفع البناء في الوقاية ' وبان اخرج للناس فيه اقامة اود حياتهم ' فشبهت به على طريقة التشبيه البليغ ' باجتماع ماء السماء مع قوة الارض وهو الثمار '

والمراد بالسماء هنا اطلاقها العرفي عند العرب ، وهو ما يبدو للناظر كالقبة الزرقاء ' وهو كرة الهواء المحيط بالارض ، كما هو المراد في قوله او كصيب من السماء . وهذا هو الغالب اذا اطلق لفظ السماء بالافراد دون الجمع .

ومعنى جعل الارض فراشا انها كالفراش في التمكن من السكون عليها ، حيث كانت

متوسطة بين اللين الشديد حتى لا يتزحزح المستقر عليها ، وبين الصلابة الشديدة حتى تؤلم المستقر فهذا وجه النسبة وذلك منة عظيمة وغيرة ، واما وجه شبه السماء بالبناء فيحتمل انها كالبناء في نظر العين فيكون محل عبرة لامته ، ويحتمل انها كالبناء فيما يراد له البناء ، وهو الوقاية من الاضرار النازلة ، والبناء في كلام العرب ما يرفع على الارض للوقاية سواء كان من حجر او من ادم او من شعر ، ومنه قولهم بنى على امرأته اذا تزوج ، لان المتزوج يجعل بيتا ليسكن فيه مع لمرأته ، فان للكرة الهوائية دفعا لاضرار حين اظهرها دفع ضرر طغيان مياه البحار على الارض ودفع اضرار بلوغ اهوية بعض الكواكب الينا وتلطيفها حين تخلط بالهواء او صد الهواء اياها عنا وهذا اظهر .

وقد امتن الله علينا وضرب لنا العبرة باقرب الاشياء واظهرها لسائر الناس حاضرهم وباديهم وباول الاشياء في شروط هذه الحياة وفيهما انفع الاشياء وهما الهواء والماء النابع من الارض وفيهما كانت اول منابع البشر ، وفي تخصيص الارض والسماء بالذكر نكتة اخرى وهي التمهيد لما سياتي من قوله وانزل من السماء ماء الخ وابتدأ بالارض لانها اول ما يخطر ببال المعتبر ثم بالسماء لانه بعد ان ينظر لما بين يديه ينظر الى ما يحيط به

وقوله « وانزل من السماء ماء فاخرج به الخ» هذا امتنان بما يلحق الايجاد مما يحفظه من الاختلال وهو خلفه ما تتلفه الحرارة الغريزية والعمل العصبي والدماغي والقوة البدنية ليدوم قوام البدن بالغذاء واحل الغذاء هوما يخرج من الارض وانما تخرج الارض النبات بنزول الماء عليها من السماء اي من السحاب والطبقات العليا واعلم ان كون الماء نازلا من السماء هو ان تكونه يكون في طبق الجو من آثار البخار الذي في الجو فان الجو ممتلىء دائما بالابخرة المتصاعدة اليه بواسطة حرارة الشمس من مياه البحار والانهار ومن نداوة الارض ومن النبات ولهذا نجد الاناء المملوء ماء فارغا بعد ايام اذا ترك مكشوفا للهواء ، فاذا بلغ البخار اقطار الجو العالية برد ببرودها وخاصة في فصل الشتاء ، فاذا برد مال الى التميع فيصير سحابا ثم يمكث قليلا او كثيرا بحسب التناسب بين برودة الطبقات الجوية والحرارة البخارية فاذا زادت البرودة عليه انقبض السحاب وثقل وتميع فتجتمع فيه الفقاقيع المائية وتثقل عليه فتنزل مطرا وهو ما اشار له قوله تعالى « وينشيء السحاب الثقال » وكذلك اذا تعرض السحاب للريح الآتية من جهة البحر وهي ريح ندية ارتفع الهواء الى اعلى الجو برد فصار مائعا وانما كان السحاب قليلا فساقت اليه الريح سحابا اخر فانضم احدهما للآخر ونزلا مطرا ولهذا اغلب المطر بعد هبوب الريح البحرية

وفي الحديث اذا نشأت نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة . ومن القواعد ان الحرارة وقلة الضغط يزيدان في صعود البخار وفي قوة انبساطه والبرودة وكثرة الضغط يصيران البخار مائعا وقد جرب ان صعود البخار يزداد بقدر قرب الجهة من خط الاستواء وينقص بقدر بعدها عنه والى بعض هذا اشير ما ورد في الحديث ان المطر ينزل من صخرة تحت العرش فان العرش هو اسم لسماء من السموات والصخرة تقريب بمكان ذي برودة وقد علمت ان المطر تنشئه البرودة فيتميع السحاب فكانت البرودة في لقاح المطر.

«ومن» التي في قوله من الثمرات ليست للتبعيض اذ ليس التبعيض مناسبا لمقام الامتنان بل اما لبيان الرزق المخرج وتقديم البيان على المبين شائع في كلام العرب واما زائدة لتاكيد تعلق الاخراج بالثمرات «فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون» ان الفاء لترتيب هاته الجملة على الكلام السابق وهو مترتب على الامر بالعبادة والمراد هنا تسببه الخاص وهو حصوله عن دليل يوجبه وهو ان المامور بعبادته هو المستحق للافراد بها فهو اخص من مطلق ضد العبادة لان ضد العبادة عدم العبادة ولكن لما كان الاشراك للمعبود في العبادة يشبه ترك العبادة لان كمال العبادة ان لا شرك بعد غيره جعل ترك الاشراك مساويا لنقيض العبادة ، وفائدته انهم امروا بما فيه سلامتهم وفوزهم فنهوا عما هم به متصفون من الشرك كأنه يقول لهم ان اردتم الاتسام بميسم العبادة والتقوى فبادروا لخلع الشرك عنكم

والند بكسر النون المساوي والمماثل في امر من مجد او حرب ، وزاد بعض اهل اللغة ان يكون مناويا اي معاديا . وكانهم نظروا الى اشتقاقه من ندا اذا نفر وعاند وليس بمتعين لجواز كونه اسما جامدا مثل الند بالفتح اسم الطيب واظن ان وجه دلالة الند على المناواة والمضادة انها من لوازم المماثلة عند العرب فان شان المثل عندهم ان ينافس مماثله ويزاحمه في مراده فتحصل المضادة ونظيره في عكسه تسميتهم المماثل قريعا فان القريع هو الذي يقارع ويضارب ولما كان احد لا يتصدى لمقارعة من هو فوقه لخشيته ولا من هو دونه لاحتقاره كانت المقارعة مستلزمة للمماثلة وكذلك قولهم قرن للمحارب المكافيء في الشجاعة ويقال جعل له ندا اذا سوى غيره به والمعنى لا تثبتوا لله اندادا تجعلونها جعلا وهي ليست اندادا وسماها اندادا لان حال العرب في عبادتهم لها كحال من يسوي بين الله وبينها وان كانت الجاهلية يقولون ان الآلهة شفعاء ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله وجعلوا الله خالق الالهة فقالوا في التلبية : « لبيك لا شريك لك الاشريكا هو لك تملكه وما ملك» لكنهم لما عبدوها ونسوا بعبادتها والسعي اليها والنذور عندها واقامة المواسم حولها عبادة الله اصبح عملهم عمل من يعتقد التسوية بينها وبين الله تعالى لان

العبرة بالفعل لا بالقول وفي ذلك معنى من التعريض بهم ورميهم باضطراب الحال ومناقضة الاقوال للافعال

وقوله وانتم تعلمون جملة حالية ومفعول تعلمون متروك لان الفعل لم يقصد تعليقه بمفعول بل قصد اثباته لفاعله فقط فنزل الفعل منزلة اللازم والمعنى وانتم ذووا علم والمراد بالعلم هنا العقل التام وهو رجحان الراي المقابل عندهم بالجهل على نحو ما في قوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقول النابغة - وليس جاهل شيء مثل من علم - وقول السموأل . فليس سواء عالم وجهول . وقد جعلت هاته الحال محط النهي او النفي تلميحا في الكلام للجمع بين التوبيخ واثارة الهمة فانه اثبت لهم علما ورجاحة الراي . وفي ذلك اثارة لهممهم والفات لبصائرهم نحو دلائل الوحدانية ونهاهم عن اتخاذ الآلهة او نفي ذلك مع تلبسهم به وجعله لا يجتمع مع العلم . توبيخا لهم على ما اهملوا من مواهب عقولهم واضاعوا من سلامة مداركهم . وهذا منزع تهذيبي عظيم . ان يعمد المربي فيجمع لمن يربيه بين ما يدل على بقية كمال فيه حتى لا يقتل همته بكثرة اليأس من كماله فانه اذا ساءت ظنونه في نفسه خارت عزيمته وذهبت مواهبه ويأتي بما يدل على نقائص فيه ليطلب الكمال فلا يستريح من الكد في طلب العلى والكمال وقد اومأ قوله وانتم تعلمون الى انهم يعلمون ان الله لا ند له ولكنهم تعاموا وتناسوا فقالوا ان لا شريك هو لك .

قال درابر الامريكي :

بعد ان وسع العرب ملكهم وايدوا كلمتهم حولوا افكارهم نحو المعارف والعلوم فامتازوا فيها وبرزوا على معاصريهم اذ كان من مبدئهم ان يرقبوا ويمتحنوا وقد حسبوا الهندسة والعلوم الرياضية وسائط للقياس . ومما يجدر بالذكر انهم لم يعتمدوا فيما كتبوه في الميكانيكيات والسائلات على مجرد النظر بل على المراقبة والامتحان بواسطة الآلات وذلك ما صيرهم مبتدعي الكيميا وقادهم لاختراع ادوات التصفية والتبخير ورفع الاثقال ودعاهم الى استعمال الربع والاصطرلاب في علم الهيئة واستخدام الموازنة في الكيمياء مما اختصوا به دون سواهم والى صنع جداول للجاذبية النوعية في علم الهيئة كالتي اصطنعت في بغداد والاندلس وسمرقند وجعلهم يوجدون ايضا تحسينات عظيمة في قضايا الهندسة وحساب المثلثات واختراع الجبر واستعمال الارقام العديدة في الحساب وكان هذا كله من نتائج استعمالهم طريقة الاستدلال والامتحان ولم يقرروا في علم الهيئة لوائح فقط بل رسموا خرائط النجوم المنظورة في فلكهم ايضا مطلقين على ذوات القدر الاعظم اسماء عربية لا تزال ترد على كراتنا الفلكية وقد عرفوا حجم الارض بقياس درجة سطحها وعينوا الكسوف والخسوف ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة وقرروا طول السنة وادركوا الاعتدالين ولاحظوا اشياء بعثت نورا باهرا على نظام العالم واختص علماء الفلك من العرب باختراع الآلات الفلكية لقياس الوقت بالساعات المتنوعة وكانوا السابقين في استعمال الساعة الدقاقة وانشأوا العلوم العملية »

الحديث الشريف

عن ابي مالك الحارث بن عاصم الاشعري (رضي الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) (رواه مسلم واحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي)١)

الطهور المراد به هنا الفعل وهو التطهر وهو بضم الطاء على المختار وقال القرطبي الفتح هو المروي والطهور بالضم المصدر وبالفتح اسم لما يتطهر به فان كانت الرواية بالضم فالمعنى ظاهر لا غبار عليه وان كانت بالفتح فصحيح ايضا والمراد به المصدر او على حذف مضاف اي استعمال الطهور والمراد منه الطهارة عن الحدث الاكبر والاصغر في البدن وعن الخبث في الملبوس والمكان أو التنزه عن المستخبثات الحسية والمعنوية كما سيجيء تفصيله

وقوله شطر الايمان اختلف في معناه فقيل ان المراد ان الاجر فيه ينتهي الى نصف اجر الايمان وقيل المراد بالايمان الصلاة قال تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اي صلاتكم والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر ولا يلزم في الشطر ان يكون نصفا حقيقيا وقيل غير ذلك ومهما يكن من الامر فانه تنويه عظيم بشأن الطهارة في الاسلام

واعلم ان الطهارة لها اربع مراتب المرتبة الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات . المرتبة الثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام : المرتبة الثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة . المرتبة الرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين

وكل رتبة من هذه الرتب لا تنال الا بعد تحصيل التي قبلها فلا ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم

---

١) راوي هذا الحديث الشريف هو ابو مالك الحارث بن عاصم الاشعري رضي الله عنه وهو من اصحاب رسول الله روى عنه جابر بن عبد الله وغيره من الاعلام مات في خلافة عمر بن الخطاب مطعونا هو ومعاذ وابو عبيدة وشرحبيل في يوم واحد ثالث ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة

وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ من طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات ولن يصل الى طهارة الجوارح عن الاثام ما لم يطهر الظاهر عن الاحداث والفضلات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه

وللشارع عناية بالطهارة حتى جعلها نصف الايمان وجعل اهلها من المحبوبين لدى الرحمن قال تعالى (والله يحب المتطهرين) وقال (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فالطهارة من الدين بل هي أساس الدين وهي كما تكون حسية في الجسم والثوب والمكان تكون معنوية في القلب والآداب والاخلاق ولا قيمة للطهارة الحسية ما لم تصحبها الطهارة المعنوية حتى يتفق ظاهر المسلم مع باطنه وبطهارة الظاهر والباطن يكون المسلم رحمة وخيرا ومصدر بركة واحسان

(النظافة الحسية) للنظافة الحسية اثرها الفعال في صحة المسلم وقوته وكمال عقله وتمام نفسه وكل امة لا تقوم الا على القوة ولا قوة الا بالصحة كما يقولون العقل السليم في الجسم السليم ولا صحة الا بالنظافة والطهارة . والطهارة تكون بالماء الصافي قال تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان) وقد امر الشارع الحكيم ان يكون المسلم طاهر الجسم والثوب وكل ما يتصل به ما استطاع الى ذلك سبيلا واثنى على المبالغين في تطهير انفسهم وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ترك التطهر من البول كما يفعله من لا خلاق لهم ولا دين عندهم وهؤلاء صحتهم في الغالب في تاخر واضمحلال زيادة على ما هم عليه من الوسخ والقذارة

روي ان النبيء صلى الله عليه وسلم مر بالقبور فسمع صوت انسانين يعذبان في قبريهما ولم يسمع هذا الصوت من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم فقال عليه الصلاة والسلام حين سمع هذا الصوت انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اي يعذبان في امر هين سهل بحيث لو فعلاه في حياتهما لكان هينا عليهما بلى انه كبير اي جرمه عظيم كان احدهما لا يستتر من بوله اي لا يبالي بما يصيب جسمه من بوله لتركه الاستنجاء وكان الاخر يمشي بالنميمة وقال صلى الله عليه وسلم (عامة عذاب القبر من البول فاستنزهوا من البول) وقال عليه السلام (اتقوا البول فانه اول ما يحاسب عليه العبد في القبر) ولهذا نهى الشارع عن البول او التغوط في الطرقات او في الامكنة التي يجتمع فيها المسلمون او في ظل شجرة او جدار يجلس فيه الناس فذلك مما لا يليق بمن ينتمي للاسلام لانه ينافي المروأة فوق ما فيه من ايذاء المسلمين لما ينبعث من البول من الرائحة الكريهة وما يتولد عن ذلك من الديدان (والميكروبات) القاتلة وهذا هو الضرر الكبير والشر المستطير وقد قال صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) فانظر كيف كانت

هذه القوانين الصحية المعمول بها في الاعصر المتاخرة عند الامم المتمدنة كانت قوانين شرعية قبل ان تكون قوانين بلدية عصرية

ومن المعلوم ان الصلاة التي هي عماد الدين وركنه المتين لا تصح الا مع طهارة الجسم والثوب والمكان

(اقسام الطهارة) والطهارة الشرعية قسمان صغرى وكبرى فالصغرى هي الوضوء وهو يكون بغسل جميع الاطراف الظاهرة من الجسم المعرضة للغبار والتراب والحشرات فغسلها يزيل ما يعلق بها ميؤذي الجلد لو بقي فوقه والامراض الجلدية تنشأ في الغالب من الوسخ الذي يختلط بالعرق فتنشأ عنه البثور وغيرها فالوضوء اكبر نعمة على المسلمين تدل على كمال عناية الشارع الحكيم بالنظافة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين)

وقد حث الشارع على الاسباغ في الوضوء وعلى الاحتفاظ بالوضوء وعلى التوضي لكل صلاة مبالغة في ان يكون المسلم دائما على نظافة تامة وطهارة مستمرة فلا يصيبه اذى غبار ولا وسوسة شيطان قال عليه السلام (من توضأ على وضوء كتب له عشر حسنات) وقال (لن يحافظ على الوضوء الا مؤمن) وقال بعض السلف الوضوء على الوضوء نور على نور وقالوا الوضوء سلاح المؤمن فالمؤمن المتمسك بدينه السائر على منهج نبيه يكون دائما على طهارة فتراه وضيء الوجه بهي الطلعة جميل المنظر يعلوه النور وهو نور على نور . وقد حث هذا الدين الحنيف على نظافة الاسنان فسن السواك في كل وضوء وعند كل صلاة وعند الذكر وقراءة القرآن وعند الاستيقاظ من النوم وعند تغير الفم مبالغة في تطهير الفم مما قد يعلق بالاسنان واللثة من بقايا الاكل التي لو تركت لغيرت رائحة الفم واثرت في الاسنان فتهدمها تهديما وتقتلعها من جذورها وذلك يؤدي الى ضعف المضغ فتتضرر المعدة وتنشأ عن ذلك امراض كثيرة كعسر الهضم والامساك وضعف البصر والصداع حتى ارجع الاطباء الامراض الباطنية كلها الى مرض الاسنان وبالسواك يامن المسلم هذه الشرور ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل وضوء وقال عليه الصلاة والسلام السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ولهذه المصلحة امر الدين بازالة زوائد في الجسم يضر بقاؤها وهي المشار اليها في حديث خمس من الفطرة الاستحداد وهو الحلق بالحديدة وهي الموسى والختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظافر حتى يكون المؤمن على اكمل الحالات واحسن الصور واجمل المناظر

واما الطهارة الكبرى فهي الغسل وتكون من الحدث الاكبر وهو تعميم الجسم بالماء وفائدته ازالة افرازات يخرجها الجسم في بعض الحالات بحيث تضعفه لو بقيت عليه مع ما فيه من انعاش الجسم وتقويته ولولا الغسل لانبعث من الجسم رائحة كريهة تؤذي صاحبه وغيره ولما فيه من الفوائد الصحية جعلها الدين الاسلامي فرضا وسنة في مواضع كثيرة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام ودخول مكة والوقوف بعرفة حتى يكون الانسان في المجتمعات العامة على نظافة تامة فلا يؤذي من يجتمع به ويجاوره ويجب غسل الميت زيادة في التطهير ومبالغة في التنظيف حتى لا تكون به اقذار تضر حامليه ، فاي دين هذا الدين الاسلامي يبالغ في الطهارة والنظافة حقا انه لدين الطهارة ومما يتصل بذلك نظافة المنازل والبيوت فان المنزل هو المأوى الذي ناوي اليه بعد اعمالنا ونسكن اليه عند راحتنا ونومنا فاذا كانت نظيفة عاد ذلك بالخير والصحة لنا ولابنائنا وان كانت وسخة قذرة كانت شرا على ساكنيها وداء وبيلا للقاطنين فيها فتجب العناية التامة بالمنازل فتنظف يوميا بالكنس والمسح وازالة الغبار من الجدران والنوافذ حتى لا تاوي اليها الحشرات مما يضر بالصحة ويقلق الراحة

كما يلزم نظافة الاغذية قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون) فيحرم تناول الاغذية النجسة كالدم والخمر والخنزير والميتة وما فسد من الاطعمة فالمعدة بيت الداء وما فسد من الاغذية مجلبة الأدواء

وبعد فقد علمنا من هذا كله ان الدين الاسلامي دين الحضارة والنظافة دين العفة والطهارة دين المحافظة على الصحة دين البعد عن كل رجس ودنس اما ما نراه من تهاون بعض المسلمين في امر النظافة وعدم العناية بشان الطهارة في انفسهم وابنائهم وكل امورهم المنزلية فهو ليس من الدين والدين بريء منه قال صلى الله عليه وسلم (ان الله طيب يحب الطيب) وقال تعالى (ان الله يحب المتطهرين) فديننا ايها المسلم هو دين النظافة والطهارة وهما من شعائره الظاهرة وخصائصه الواضحة لكن مع الاسف الشديد نجد غيرنا يعنون بالنظافة ويعطونها حظا عظيما من اهتمامهم في كل مظهر من مظاهر حياتهم بينما نحن لا نقيم لها وزنا ولا نعطيها مثل تلك العناية ولا ذلك الاهتمام

ان النظافة لا تكلف المرء كبير نفقة ولا عظيم مشقة فالماء كثير وهو ميسر لكل طالب وقطعة صابون لا تساوي اكثر من فرنكين اثنين تكفي لتنظيف ملابسه وجسمه الا ان الاسلام نظيف فتنظفوا فالدين الاسلامي لم يترك جهة من جهات النظافة الا طرقها وحض على

التمسك بها في الجسم والنفس والمسكن والملبس والافنية والساحات والسبل والطرقات مما لا يدع مجالا للشك في انه دين النظافة والطهارة

(الطهارة المعنوية) الطهارة المعنوية ترجع الى نظافة القلب والقلب كما قدمنا في حديثنا السابق ملك الجوارح وهو المسيطر عليها فمتى حسن القلب حسنت افعال الجوارح ومتى قبح قبحت ونظافة القلب تكون بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة والعلم النافع فبذلك تتنزه الجوارح عن المعاصي والقبائح وتنصرف الى الطاعات والمصالح والعجب ممن يعنى بنظافة ظاهره ويهتم بتنسيق هندامه ومنظره وباطنه مملوء بالاقذار والاخباث الخلقية وجوارحه مرسلة في الشرور والاضرار بالمسلمين والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده فهؤلاء الذين يحسنون ظواهرهم بانواع الزينة وباطنهم في ظلمات بعضها فوق بعض وهم على جهل بدينهم الذي ينتمون اليه هؤلاء محجوبون من ربهم بعيدون عن آداب دينهم بفساد اعمالهم وكثير آثامهم

وقوله في الحديث والحمد لله تملأ الميزان معناه انها تملأ ميزان الحامد لله تعالى حسنات والمقصود بيان عظم اجرها وكثرة ثوابها وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الاعمال وثقل الموازين وخفتها قال تعالى (فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية) وكذلك قوله وسبحان الله والحمد لله يملآن او تملأ ما بين السماء والارض وسبب عظم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار اليه وقوله والصلاة نور معناه انها تمنع صاحبها من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهديه الى الصواب كما ان النور يستضاء به وقيل انها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة وقوله والصدقة برهان معناه انه يفزع اليها كما يفزع الى البراهين فان العبد اذا سئل يوم القيامة عن ماله اين صرفه فيقول تصدقت به كانت له صدقاته برهانا على صدقه وهي حجة على قوة ايمان صاحبها وقوله في الحديث والصبر ضياء معناه ان الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئا به مهتديا مستمرا على الصواب . وقوله والقرآن حجة لك او عليك معناه انك تنتفع به ان تلوته وعملت به والا فهو حجة عليك وقوله . كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها معناه ان كل انسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته له فيعتقها من العذاب كما قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) ومن يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها اي يهلكها وفقنا اللهم للعمل بطاعتك وجنبنا ان نوبق انفسنا بمخالفتك

محمد الطاهر بن القاضي

في حفل جمعية الزيتـــونيين

المحاضرة التي القاها العلامة الاديب الشيخ الصادق البليش المفتي الملحق بوزارة العدلية

« عن جرير قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة »
« الوداع استنصت الناس ثم قال لاترجعوا بعدي كفارا يضرب »
« بعضكم رقاب بعض »

ايها المسلمون

يا رجال العلم ويا حماة الدين .. ويا تباع محمد وانصار التمسك بعروته الوثقى وحبله المتين . بارك الله لكم هذه الاريحية الجليلة . والعاطفة السامية النبيلة . عاطفة التعلق باذيال منقذ الخليقة من وهدة سقوطها .. والمربي البشرية ومهذب اخلاقها .. واستاذ الانسانية وقائدها الى اسمى مراتب الكمال . وداعيها الى التخلق بزكي الاخلاق وجميل الخلال. ذلك الانسان الكامل .. ألكامل في كل شيء .. في شرفه .. في خلقه .. في مبادئه .. في كل معاني الكمال

ذلك المثل الاعلى في كل ناحية وفي كل مضمار . وقبلة الاصلاح - العالمي المتوجهة نحو تعاليمها كافة الانظار . ومنبع الفضائل المتفجرة عن معين عذب زلاله زواخر البحار ودوافق الانهار

هذا الرسول الاعظم والنبيء المرشد الاكرم . الذي نتشرف اليوم بالاحتفال بذكراه : ونجتمع ها هنا لاظهار اخلاصنا في التعلق بذاته . وقوة ايماننا به وبرسالته . وشدة تمسكنا بمبادئه : هذا الرسول الذي اذا قام فالدنيا مجر رماحه وان قال فالدنيا عيون وسمع : لحري بكل مسلم بل بكل انسان ان يعترف بماله على البشر من جلائل المزايا . وان يقدر لجنابه حق التقدير انقاذه الانسانية مما كانت تتخبط فيه من الويلات والرزايا . جدير بنا ان نحتفل بذكرى محمد صلى الله عليه وسلم وان نقيم لذلك المهرجانات والمواكب. وان نبالغ في هذا الاحتفال . ونبالغ.. ونغالي.. ونهتز به سرورا وحبورا ولا نكاد مهما بالغنا : ومهما بلغنا من الجهود ان نصل الى عشر معشار واجب التقدير لمزية واحدة من مزاياه على افرادنا وعلى مجتمعنا في عاداتنا وفي تقاليدنا وفي كل شيء له تعلق بمعاشنا ومعادنا

جدير باحتفال ذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدان باستعراض مشهد من مشاهد دعوته . واستذكار موقف من مواقف ارشاده لامته ، وتشخص طريقة من طرق هديه لاهل ملته

اي مشهد اجل ، ام اي موقف اعظم ، ام اي طريقة ابهر من وقوفه صلى الله عليه وسلم في اعظم جماعة اسلامية ، في اعظم موسم ديني ، في اعظم بقعة من بقاع الارض .

وقد حكى جابر بن عبد الله وصف الخروج لهذا المشهد على ما رواه لنا الامام مسلم في صحيحه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم اذن في الناس في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس بان يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى اتينا ذا الحليفة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء حتى اذا استوت به ناقته على السراء نظرت الى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القرءان وهو يعرف تاويله وما عمل به من شيء عملنا به .

في وسط هذا المشهد العظيم . وبين يدي هذا الملا الكريم . مع من انضم اليه ممن قصد البيت العتيق . وتوجه اليه مباشرة رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق . يقف محمد صلى الله عليه وسلم ليبث اعظم الاصول الدينية ، ويذيع اسمى المبادي الاجتماعية ، ويبلغ اقدس القواعد الخلقية ، ويامر بابلاغها الى من لم يشهد ذلك المجمع ، ولم يكتب له حضور ذلك المؤتمر الاقدس الارفع

هذه الاصول وهذه المبادي وهذه القواعد هي المتجلية في خطبته المشهورة ، ووصيته المعروفة المأثورة المختصرة في رواية البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : « يايها الناس اي يوم هذا قالوا يوم حرام . قال فاي بلد هذا . قالوا بلد حرام . قال فاي شهر هذا . قالوا شهر حرام . قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا »

يا لها من روعة ويا له من جلال ، رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء يعلن في هذا المشهد العظيم شدة اصل تحريم النفس ومبدا حرمتها ، ويذكر قاعدة حفظ الاموال والاعراض ولزوم عصمتها ويبين خطر ذلك باجلى بيان ويضرب له اوضح الامثال مبالغة في التبيان

رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المشهد العظيم يبلغ الناس اخطر بلاغ لتأكيد اخطر القواعد الاجتماعية ، وامتن المبادي النظامية للحياة الانسانية . ويشهدهم على انفسهم : الا هل بلغت . الا هل بلغت ـ فيقولون نعم يا رسول الله ـ فيشهد الله عليهم بذلك : اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد ، ويامر ـ وامره متبع ـ بان يبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى له من سامع

في هذا المشهد العظيم ووسط ذلك البحر الزاخر من المسلمين ينزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم باعظم بشرى له ولامته ، وانفس تحفة لمحمد واهل ملته ، بشرى اكمال الدين ، واتمام النعمة على المؤمنين . فينزل الله تعالى في تسجيل هذه البشرى وتاييدها لهذه الامة قرءانا مبينا ، فتتردد بين عرصات ذلك المشهد « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا »

يا لها من بشرى يتلقاها عموم المسلمين ، ويا لها من مكرمة يمتاز بها اهل هذا الدين ، ويا له من عيد يتكرر ويتجدد ، وذكرى تتوالى كلما اجتمع المسلمون لفريضتهم بذلك المشهد :

ـ اكمال الدين ... واتمام النعمة ـ

الدين ـ الدين وما ادراك ما الدين .. دين الاسلام الذي ارتضاه لنا الرب من بين اديان البرية دينا واكمله لهذه الامة . واتم به على محمد وامته جليل النعمة .. اكمله الله لامة محمد .. وهل ذلك الا دليل على ما صارت تمتاز به هذه الامة من ميزات الكمال ، وما اصبح متوفر فيها من شتى المحامد وكريم الخلال . اذ قاعدة التناسب الكوني لا تسمح بان يعهد بالكامل الى الناقص ، ولا يوكل لغير اهل الكمال تطبيق مبادي هذا الدين الكامل الخالص . اذن فامة محمد قد بلغت قمة الكمال فارتضاها ربها لدين وارتضى لها دينا بلغ الحد الاقصى من مراتب الكمال واحكم لها بذلك بناء هيكل مجدها على امتن اساس ، واعلن القرءان ذلك في آية كنتم خير امة اخرجت للناس

فما اجدر كمال هذه الامة بان لا يعتوره اي خلل او زلل ، وما اجدر هذه الامة بان تحافظ على كمالها من ان يزلزل اركانه اي زيغ او خطل ، هذا الكمال الذي اهل الله به المسلمين لاكمل دين . حري بالمسلمين ان لا يرجعوا فيه على اعقابهم فينقلبوا خائبين . حري بهم ان يتمسكوا به الى ابعد حد . وان لا يخضعوا الى قاعدة ـ الشيء اذا بلغ الحد . تهيا للرجوع الى الضد

ولعل هذا هو ما جعل محمدا صلى الله عليه وسلم وهو الذي بعثه الله في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين : وهو الذي يقول الله في عطفه على امته لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رءوف رحيم . قلنا لعل هذا بعد ما جعله صلى الله عليه وسلم يهتم بامر امته : ويعز عليه رجوعها على اعقابها : ويحرص على بقائها على كمالها الخلقي وكمالها الديني فيقف في ذلك المشهد العظيم . ووسط ضوضاء التهليل والتكبير والتحميد . وجلبة التقديس والتلبية والتسبيح والتمجيد فيقول لجرير .. وما ادراك ما جرير ... جرير بن عبد الله الذي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم . ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » ووجهه في مائة وخمسين فارسا من احمس الى غزوة ذي الخلصة ذلك البيت الخثعمي الذي كان يعبد به احد انصاب الجاهلية ويسمى الكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقضى على شوامخ هياكله وبنائه . وحرق معالمه حتى تركها كجمل اجرب في سواد قطرانه . هذا الصحابي الجليل يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الحفل الحفيل

ـ استنصت الناس ـ

نعم لان البلاغ خطير : والامر جسيم : ويجب ان تعيه القلوب وينفذ الى كافة المسامع ويبث في كافة المحافل وتتلقاه سائر الاندية والمجامع ـ وما يكاد يهدا ذلك الضجيج . من الحجيج وترهف الاذان . لتلقي البيان ـ حتى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم

لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض

تبارك الله ما اجل هذه الموعظة وما اروعها ، وما احكم هذه البلاغة النبوية وما اجمعها ، كلمات قليلة ، جمعت في مطاويها معاني كثيرة جليلة فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ها قد بلغتكم اقصى مراتب الكمال واكمل الله لكم دينكم فلا ترجعوا على اعقابكم ... وها قد اتم الله عليكم نعمه فلا تكفروها وعضوا على دينكم بالنواجذ واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون

اذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم ، تمسكوا بتعاليم هذا الكتاب وتفقهوا بحكمته .. واتعظوا بوعظه .. فذلك هو ملاك التقوى . ولكل فلاح ذلك هو السبب الاقوى

اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور . حافظوا على تضامنكم وتحالفكم ضمن هذا الميثاق الالهي الذي واثقكم به ربكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ولا تفصموا رابطته ولا تحلوا عراه . فمن خرج عن جامعة هذا الميثاق فقد باء بالخسران في دنياه واخراه ـ

اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، دوموا

على هذا التآلف وبالغوا في تمسككم بوحدتكم الى اقصى حد . وكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد

لا تكفروا هذه النعم الجليلة فانكم ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرض لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم . وهو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ، ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا

لا تعدلوا عما انتم عليه الآن من هذه الحالة الكاملة .. الكاملة .. في نفوسكم .. الكاملة في دينكم .. الكاملة في معنويتكم .. ودوموا عليها ولا تفارقوها لا بعد موقفي هذا في حياتي . ولا بعد فراقي لكم بمماتي . فاني اخاف عليكم ان عدلتم عن ذلك ورجعتم على الاعقاب ، ان تهلكوا هلاكا محققا كهلاك ضرب الرقاب

وهلاك التقاطع والتنافر والتخاذل ، اخطر على الامم والافراد من هلاك التقاتل

وفقد الامة معنويتها وما تتمتع به من ميزات الكمال . اخطر عليها من ذريع الاجتياح وفاتك الاستئصال

لذلك ورد التحذير على لسان الشريعة من مخالفة هذه المبادي والاعلان به في اعظم مشهد اسلامي بابلغ تشنيع ، واشد تبشيع

وهل اشنع على المسلم من ان يلصق به وصمة الكفر او يحشر باي ملابسة كانت في عداد الكفار ؟ وهل ابشع في نظر المؤمن من ان ينسب الى كفر ما او ينسب اليه كفر ما وهو الذي يكره بغريزته الايمانية ان يعود الى الكفر كما يكره ان يلقى به في النار ؟

فهذا عرض وجيز لاقدس مشهد اسلامي عظيم واروع وصية نبوية جليلة . عرضناه عليكم بما يناسب هذا المقام من الاختصار والقيناه اليكم بمناسبة هذه الذكرى النبوية الجميلة . لنتشخص بهذه المناسبة المباركة مشهد اعلان اكمال هذا الدين الحنيف على هذه الامة . وما حبانا به المولى جل جلاله بهذا الدين العظيم وبهذا النبيء الكريم من اتمام النعمة . وما ارتضاه الينا من الاسلام دينا لنزداد تمسكا بمبادئه وتعلقا بها ولا نعود على مبرم غزلها بالنقض ، ويتحقق منا الغرض من وصية ـ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ـ والسلام عليكم ورحمة الله .



الحجاب من نواميس العمران

واسباب التناسل

ان من القى نظرة على هذا الكون متبصرا باحوال الخليقة اولها وآخرها مستمدا مما احاط به حسه في اهل عصره ومصره او مما تلقفه من بطون التواريخ وتضاعيف القصص في احوال الاجيال الغابرة والامم البائدة بصر بان الحجاب سياج الخليقة وكنفها الاحمى وجنتها الواقية

ذلك ان الله تعلى قد طبع كلا من الزوجين الذكر والانثى على ما ركبه في مزاجهما من رغبة متبادلة باعثة على الاتصال فالازدواج فالقرار فالسكون (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها) وبذلك توفر من اسباب العمران ما توفر فتبارك الله احسن الخالقين

ثم بما تاصل في النفوس من النزوع الى الفوضى واجابة داعي الهوى المفضي الى مفاسد وشرور يجرف سيلها ويعظم في الخليقة ويلها شرع الله تعلى ما شرع من النظم والاحكام سدا لذرائع الانحطاط والتدهور والافتتان وابقاء على الفضيلة ومكارم الاخلاق وتحفظا بوسائل الصون والعفاف فشرع لنا سبحانه فيما شرع من الدين الحجاب بما فيه من تربية وازع الحياء الذي هو شعبة من الايمان وخير كله وخلق الاسلام

١) اذا تمهد هذا علمت أن السبب في تفاضل الامم الاسلامية في التمسك بالحجاب تابع لتفاضلهم في التخلق بخلق الحياء فان الامة اذا لقنت ذلك في تربيتها الاولى وارتكزت عليه اصول تعاليمها بالغت في التحفظ بالحجاب والوصاية به فلن يضرها دعاة السفور على وفرتهم وتزيينهم سوء عملهم

ومتى قل حياء شعب من الشعوب الاسلامية كالشعوب التي اصطلمتها المدنية الغربية وامتلكت عليها عواطفها ونسيت قوميتها فاحبوا الغرب والغربيين حبا جما زهدوا في الحجاب وزين لهم شياطين الغواية السفور بانه شارة من شارات التمدن والحرية وان مروءة الاوانس مصونة بسياج

---

١) هذا واقع موقع الجواب عن سؤال كان وجه الي من طرف بعض الكتاب ببعض الصحف السيارة محصله ما بال الشعوب الاسلامية مختلفة في امر الحجاب

الحرية فنجح فيهم مفعول اولائك الاشرار وانما تنجح المقالة في المرء اذا صادفت هوى في الفؤاد

هذا هو السبب في تفاضل الامم في الاحتجاب ونبذه والا فدواعي الاهواء النفسية والميل الى التهتك واتباع الشهوات موفور في جميع الشعوب والاجيال من هاته الامة كغيرها من الامم وان النفس لامارة بالسوء

الا ان من سبقت لهم من ربهم الحسنى خافوا مقام ربهم ونهوا النفس عن الهوى فحضرهم من خلق الحياء ما صان لهم المروءة واطفأ عنهم نار الفتنة واسدل عليهم جلباب الحياء فاستقاموا كما امروا

والاخرون غلبتْ عليهم شهوتهم وشقوتهم فهتكوا الحجاب واتوا بيوت الغي والرذيلة من كل باب فتغاضى بل رغب في هتكه ذكورهم سعيا الى التمتع بالسفور والتبرج فبرزت نساؤهم سافرات متهتكات مكسيات عاريات فحلت الويلات وفشت الضلالات وتتابعت المنكرات وكل ما هو آت آت فيا لله للمسلمين من شرور تتقطع لها القلوب حسرة وتنهمر لها العيون عبرة

واليك ايها المستغرق لاكتناه التحقيق سراجا وهاجا مشرقا بنور الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية حتى تكون آمنا بالله من التدهور في ثنيات الطريق معتصما بحبل الله الوثيق

ذلك ان علماء الشريعة مجمعون على ان وجه المراة وكفيها ليس بعورة كما انهم مجمعون على وجوب ستر الوجه عند خوف الفتنة وتوقعها

اذا تبينت هذا فاعلم انه لا صحة لزعم من يزعم ان آية الحجاب خاصة بازواج النبيء صلى الله عليه وسلم لصراحتها في العموم الشامل لهن ولغيرهن من نساء المؤمنين

وآية الحجاب قوله سبحانه (يايها النبيء قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن(١) ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)

ارشدت الآية الكريمة الى كيفية احتجاب الحرائر وهي ادناء الجلباب الذي هو ثوب اوسع من الخمار وقيل هو الرداء على ما كانت عليه ملابسهن عند نزول الوحي والتشريع كما انهن لهن كيفية اخرى في الاختمار ارشد اليها قوله سبحانه (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) لما في ذلك من احكام الحجاب بستر الوجه والنحر والصدر

---

١) اخذ بعض العلماء من قوله سبحانه ذلك ادنى ان يعرفن الاية استحباب اتخاذ العلماء لزي خاص يميزهم عن السوقة ويكون لهم شعارا

ثم في آية الحجاب التي تلونا وراء افادتها لكيفية الاحتجاب الاشارة الى حكمة مشروعيته وهي تمييز الحرائر عن الايماء اللاتي هن عرضة لاذاية الصعاليك واهل الدعارة فانهن انما يتزرن اتزارا وليس من خيمهن التجلبب او الارتداء والمحتشمة منهن تتلفع بفضل مئزرها لا غير

لم تتلفع بفضل مئزرها ❊ دعد ولم تسق دعد في العلب

وفيما كانت عليه الايماء من الاحتشام شهادة لما اسلفنا من ان الحجاب منبعث عن غريزة الحياء فانهن على ما هن عليه من الابتذال وقلة المروءة لهن من الحياء بقية تبعثهن على الاحتجاب في الجملة وبعض المئزر

ومما ينبئك بانبعاثه عن خلق الحياء ايضا وانه من الفطرة ما نطقت به اشعار العرب في جاهليتها الاولى من كل ما دل على اتخاذهم للخمر والخدور والهوادج ملازمة للحجاب في الضعن والاقامة فمن ذالك قول ام عمران بنت وقدان تحمس قومها وتهز من عطفهم

اذا انتم لم تطلبوا باخيكم ... فذروا السلاح ووحشوا بالاقرق
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا ... نقب النساء فبئس رهط المرهق

ومنه ما ورد للربيع بن زياد العبسي

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليات ساحتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن اوجههن بالاسحار
قد كن يخبئن(١) الوجوه تسترا ... واليوم هن برزن للانظار
يضربن حر وجوههن على فتى ... عف الشمائل طيب الاخبار

ومنه قول الاخر

اومت بعينيها من الهودج ... لولاك في ذا العام لم احجج

ومنه ايضا

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات انك مرجلي

ومنه ايضا

راين الغواني الشيب لاح بناظري ... فاعرضن عني بالخدود النواضر
وكن اذا ابصرنني او سمعن بي ... سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

ومنه

ان تخرج الكاعب من خدرها ... يومك لا تذكر فيه الخفاء

١) قف على اصل استعمال لفظ (التخبئة) في الاحتجاب الباقية الى اليوم في اللسان العامي بالديار التونسية

ومنه

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

ومنه

وخمار غانية عقدت براسها اصلا وكان منشرا بشمالها

ومنه

واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب الخدور

ومنه

انسية بالنور قد برقعت فقلت ما احسن هذا الجنان

ومنه

جاءت مبرقعة فقلت لها اسفري عن وجهك القمر المنير الازهر

ومنه

وبيضة خدر لا يرام خفاؤها

ومنه

كم بدور في خدور المنحنى يستعير البدر منهن التحامل

ومنه

سمعتك تحكي من خيمات عالج عسى لك عهد بالخيام قريب

ومنه

ايام ليلى العامرية جارتي وخباؤها المضروب قيد عنان

ومنه

وفي الخدور بدور في لاحظها سحر وفي حسنها ماء ونيران

ومنه قول الحماسي عمرو بن معديكرب

وبدت لميس كانها بدر السماء اذا تبدى

قال التبريزي اي برزت هذه المراة كاشفة وجهها ثم قال وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تامن السباء او لما داخلها من الرعب

ومثله

ونسوتكم في الروع باد وجوهها يخلن اماء والاماء حرائر

بل وهناك ما يشهد باطراده فيمن قبل العرب من الامم البائدة ففي التنزيل من قصص موسى وابنتي شعيب عليهما السلام وكذلك في كشف بلقيس عن ساقيها عند حسبانها الصرح لجة وفي قولة امراة العزيز للصديق عليه السلام (اخرج عليهن) ما يلمع اليه ويشهد بوجوده

ثم الحجاب من ذرائع غض البصر الذي اوجبه الله تعلى على الزوجين الذكر والانثى فانهن متى احتجمن على الكيفية المقررة آنفا زهد الرجال في النظر اليهن ليأسهم مما يحاولون

اما اذا كان على ما عليه حجاب المحتجبات اليوم متخذا من فاخر الثياب متقن بانتقاء القدود

شفافا عما وراءه فانه من الزينة التي امرهن الله تعلى باخفائها ونهاهن عن ابدائهـا وهو للعيون بل للقلوب جذاب وما اجدره بان يضرب عليه الحجاب.

هذا ومتى حال الحجاب بينهن وبين اذاية اهل الدعارة تهيأ لكل من الفريقين ان يتحقق بامتثال امر ربه سبحانه بغض البصر اذ قد صار الامتثال له بذلك ميسورا

فالحجاب اذا من مقتضيات غض البصر المأمور به شرعا وكفى به دلالة على مشروعية الحجاب للعموم دون الخصوص.

ولعل دعاة السفور انتحلوا القول بالخصوص مما نقله العلامة النووي في شرحه على صحيح مسلم عن القاضي عياض رضي الله تعلى عنهم وقوفا عند صدر مقالته الاتية دون الاتيان عليها والاحاطة بها اتباعا لما تشابه منها ونص تلك المقالة قال القاضي عياض :

(فرض الحجاب ممـا اختص به ازواج النبيء صلى الله عليه وسلم فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك لشهادة ولا لغيرها ولا يجوز لهن اظهـار شخوصهن وان كن مستترات الا ما دعت اليه الضرورة من الخروج للبراز قـال الله تعلى « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » وقد كن اذا قعدن للناس جلسن من وراء حجاب واذا خرجن حجبن وسترن اشخاصهن كما جاء في حديث حفصة يوم وفاة عمر ولما توفيت زينب رضي الله عنها جعلوا لها قبة فوق نعشها تستر شخصها) انتهى

فمناط الاختصاص بهن رضي الله تعلى عنهن اطراد العزيمة في حجاب الوجه والكفين لاغير بحيث لا يكشفن ذلك رضي الله عنهن لشهادة او غيرها كما قدمنا وفي حديث الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه ياسودة. دليل قاطع ونور من كلام النبوة ساطع لم يبق معه مجال لدعاة الاختصاص

ومن ادلة ذلك ايضا ما في الصحيح برواية احمد وابي داود والترمذي رضي الله تعلى عنهم عن ام سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة فاقبـل ابن ام مكتوم حتى دخل عليه وذلك بعد ان امر بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبـا منه فقلنا يارسول الله اليس اعمي لايبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميـان انتما الستما تبصرانه اهـ

وجه الدلالة هو ان هذا الحديث وان كان خطابا للسيدتين ام سلمة وميمونة وهما من ازواجه صلى الله عليه وسلم الا انه قد علل فيه الاحتجاب بعلة طبيعية لها اثرها واطرادهـا فيهن على ما هن

عليه من الكمالات الخاصة بهن دون عامة النساء الامر الذي يدل دلالة مؤكدة على وجوبه في حق غيرهن من بقية النساء بقياس الاولى

وبهذا التحقيق تعلم ان هذا الحديث دال على وجوب الحجاب وجوبا عاما كآيته التي تلونا .

بقي منزع لطيف وهو انه صلى الله عليه وسلم قد سلك في جواب ام سلمة التسليم لحكمتين : الاولى اغتنام الفرصة لارشادها الى انهن ايضا منهيات عن النظر الى الاجانب والثانية عدم الخوض معها في شيء لا يهم في الوقت وهو ان العميان يدركون من الجمال ما يدركه البصراء فان لهم في ذلك نوادر مانورة وحكايات مشهورة وحب الفتى بالسمع مرتبة اخرى

ومن تلكم الادلة ايضا ما في صحيح مسلم رضي الله تعلى عنه عن ام عطية رضي الله تعلى عنها انها قالت امرنا تعني النبيء صلى الله عليه وسلم ان نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور

وجه الدلالة ان العواتق جمع عاتق وانما سميت العاتق عاتقا لخروجها من الامتهان في الخدمة والخروج في الحوائج وذلك عندما تقارب البلوغ فلهاته التسمية دلالتها على ما للعرب في جاهليتهم من تمسك بالحجاب وعناية به

ولا يقال ان الحديث دال على خلاف المطلوب حيث امر صلى الله عليه وسلم باخراج العواتق والمخدرات لانا نقول ان ذلك مشروط بعدم خوف الفتنة كما نقل ذلك شراح الحديث عن عامة اهل العلم والمذاهب

قلت وانتفاء الفتنة هنا قد تحقق لامرين الاول افرادهن بمكان دون مكان الرجال تفاديا من الاختلاط المجرم على ما هو مقرر بمواضعه وربما توخى ذلك العرب ايضا في جاهليتهم قبل الاسلام ففي كتب السير انه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير يقلن

طلع البدر علينا ❀ من ثنيات الوداع ❀ وجب الشكر علينا ❀ ما دعا لله داعي

الثاني انهن في عبادة شانها انصراف الاذهان فيها عما سوى المعبود سبحانه فان خشوع القلوب كفيل بخشوع الجوارح سيما النساء فان لهن من التصميم في عامة امورهن والتوجه الكلي ما ليس لغيرهن

ثم مما يدل لوجوب افرادهن بالامكنة اول الامرين المذكورين ما في صحاح الترمذي وابن خزيمة وابن حبان رضي الله تعلى عنهم عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال (المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان واقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها). ويروى

عن ابن مسعود رضي الله تعلى عنهما انه كان يخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول اذهبن الى بيوتكن خير لكن

وبهذا وامثاله تتبين صحة قول العلماء رحمهم الله تعلى في حديث النبيء صلى الله عليه وسلم وهو قوله (صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد) انه خاص بصلاة الرجال دون النساء لان صلاتهن ببيوتهن افضل في حقهن من الصلاة فيما عداه حتى مسجده عليه الصلاة والسلام فقد روى ابن خزيمة عن ام حميد امراة ابن حميد الساعدي انها قالت للنبيء صلى الله عليه وسلم يارسول الله اني احب الصلاة معك (قال قد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي) قال فامرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها واظلمه وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل فلهذا الحديث ايضا دلالته على عموم وجوب الحجاب

ثم لننزع الى الاستدلال على وجوبه كذلك منزعا عقليا عمرانيا وذلك بما محصله ان الله تعلى قد خلق الناس ذكورا واناثا من نفس واحدة ثم ذرأهم في بقاع الارض شعوبا وقبائل متفرقين بتفرق دواعيهم وما يسروا اليه وركب بحكمته الباهرة في نفوسهم من النزعات ما صير بعضهم حريصا على معرفة البعض باحثا عنه في طول البسيطة والعرض فذاك قوله سبحانه (يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) فانه بمقدار البعد الحاصل بين الفريقين تسمو الحاجات وتتضاعف الرغبات وتقوى الوحدة الجامعة بين الزوجين حتى اذا اتيح لهما ما اتيح من التلاقي والاجتماع ظهر منهما ما كان كامنا فيهما كمون النار في الزند من قوة امتزاج وتناسب فتناكحوا فتناسلوا فانجبلوا وسبحان من اعطى كل شيء خلقه وحقه

ومن القضايا المسلمة والحكم المأثورة قولهم (لولا الحرص لخربت الدنيا ولولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الرياسة لبطل العلم)

ومن ثم اباح الله تعلى ما اباح من تعدد الزوجات والسراري بما لاينتهي الى عدد على ماتقرر

ثم ان لهاته الظاهرة ظواهر تؤكدها وشواهد صدق ترشحها وتؤيدها

فاما الظاهرة الاولى فهي ما وقع من التفريق بين آدم وزوجه عليهما السلام لما اهبطا الى دار التوالد والتناسل فان ذلك لحكم منها ان يفعل بهما الشوق مفعوله وتحضر انفسهما ما كمن بها من حب وانعطاف يؤكده بعد الشقه ويهون في سبيله اقتحام المشقه

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

واما الظاهرة الثانية فهي تحريم الشريعة لنكاح ذوي الارحام الا ما قد سلف في النشأة الاولى.

واما الظاهرة الثالثة فهي ما ورد في الشريعة ايضا من ندب وارشاد الى امر صحي عمراني وهو نكاح الغريبات دون القريبات فان ذلك من اسباب انجاب الاولاد واستقامة فطرتهم وكمال فتوتهم واعتدال امزجتهم وذلك قوله صلى الله عليه وسلم (اغتربوا لا تضووا) اي تزوجوا الغريبات كي لا يقع فيكم الضوى وهو الهزال

وهذا مما ادركته تجارب العرب فالشريعة فيه مؤكدة للطبيعة

ومما ينبئك بذلك قول شاعرهم

فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضوى وقد يضوى رديد الاقارب

وقول الاخر ان بلالا لم تشنه امه لم يتناسب خاله وعمه

ومن يمعن في كلامهم يجد لذلك نظائر واشباها

واما تقارب الانساب في غير الانسان فهو على الضد الا ترى الى قول كعب في عذافرته

حرف اخوها ابوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليل

وبما اوضحنا تتبين ان الامر بالاغتراب في الحديث المتقدم امر ارشاد الى حكمة صحية عمرانية تناسلية والا فالشرع مبيح لنكاح ابنة العم ونحوها من القريبات ولله في خلقه شؤون.

الناصر الصدام

شهادة غريب

قال القس رودويل :

يجب الاعتراف بان القرآن جدير بالاهتمام لما حواه من النظريات العالية والارشادات القيمة فهو الروح الذي غير تلك الامة الجاهلة الى امة ذات مدنية زاهرة بسطت جناحيها على منطقة تحد غربا بآسيا وشرقا بحدود الهند فقد انقلب الرعاة البسطاء ما بين طرفة عين الى مؤسسي امبراطورية عظيمة مرصعة بالمدن الكبرى فهم الذين جمعوا المكاتب القيمة وهل من ينكر العظمة التي وصلت اليها الفسطاط وبغداد وقرطبة ودلهي .. (الى ان قال) ويجب ان لا تنسى أوروبا انها مدينة لهذا الكتاب ولهذا النبيء بشمس العلم التي اطلت على ارجائها فقشعت ظلمات القرون الوسطى .

النقاب المتقلص

خرجت مبرقعة ولكن مالها … تسبي العقول بغنجها وبخالها

يغريك خرقتها بما تخفيه من … مرجانها وورودها ونبالها

تدعوك اما حركتها نسمة … بتعال متع ناظرا بجمالها

وتقلصت حتى بدا من وجهها … ما وهمها اخفاه يا لخبالها

فكان وجنتها احست حرقة … فغدا كمروحة خمار دلالها

اتخذته اسود كي يزين بياضها … تبا لتركيب دليل ضلالها

أمن السداد خروجها غربية … والشرق منبت عمها بل خالها

كلا فلا شرقية تبدو ولا … غربية فانظر تذبذب حالها

قالت حضارة عصرنا تقضي بان … تسعى الغزالة في جوار غزالها

ترتاد اني تشتهي برشاقة … لا من يسيطر في لذيذ فعالها

ما العيش الا في حمى حرية … تمضي بها الحسناء في آمالها

حسنا ولكن ما مسوغ برقع … يغريك بالفحشاء في اهوالها

في مثل كف ليس يحجب تحته … عاج الثنايا اولما جريالها

اذ كل ممنوع حلا ولربما … طربت به الانذال دون حلالها

خلي نقابك يا مليحة واسرحي … بين الرياض وفي نعيم ظلالها

واسعي الى الاسواق سافرة ولا … تخشي بها التانيب من عذالها

لا تلفتي الانظار نحوك وامرحي … ايقال بنت الغرب في سربالها

اذ مثلهن تغص اسواق بهـ … ـن ولا يصبن من اعين بنصالها

هذي الحضارة يافتاة تموهت … في ناظريك ابت غير منالها

فيها مجال غير ذا لسعادة … هلا دريت كبير حسن خصالها

لوذي بمكنون الحجاب ففيه لو … تدرين صون للفتاة وحالها

هو عفة فيها الوقار وحشمة … للغادة الحسناء انفس ما لها

كوني بخدرك درة مكنونة … لا تبذلي الرقراق من سلسالها

ابقي على شرف يعز مناله … مثل الثريا في انتظار هلالها

لك من كتاب المسلمين وسنة … للنفس حقا منتهى آمالها

صفاقس … عبد الله الزناد

الاصلاح الاجتمـــاعي

مبـداي

« انتقد قبل ان تعتقد . فان علي ان افكر واقـول وليس عليك الاعتقاد والقبول . وخذ احسن ماتلقى بقوة واشكر الله تعالى عليه وادفع عني وعنك غبي وغيك بالتي هي احسن فاني لا اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله »

شرحت لي المجلة الزيتونية صدرها فذا بي اراه محلى بنضيد من يتيم در القول الحكيم نضمت فرائده يد المبدع الحكيم جل جلاله بما اوحته الى قريحة الاستاذ سيدي محمد الشاذلي بن القاضي مديرها شكر الله تعالى سعيه فجرى به قلمه نورا يضيء السبيل سبيل الاصلاح الاجتماعي وما أصدق ما صدر به الاستاذ الجليل نضيده الدري حين يقرر بمشرق نوره « ان المجتمع التونسي « اجتاز في تطوره الاجتماعي مراحل متعددة حصلت من غير سابق برامج محكمة وضعت ليسير « على مقتضاها ومن غير سن نظم صحيحة دعي الى اتباعها »

ولعلي لا اكون مخطئا اذا اردت بحول الله تعالى ان استدرك عن مشرق هذا النور ان المجتمع التونسي بصفته عضوا من الوحدة الاسلامية الحاضرة انما خضع في تطوره الاجتماعي الذي اجتاز مراحله على ذلك النحو انما هو خاضع لناموس أجتماعي قضى عليه بذلك نظرا لانه خاضع بحكم الطبع لما يسود تلك الوحدة التي هو عضو منها في اجتيازها لمراحل تطورها هي ايضا من غير سابق برامج محكمة ومن غير سن نظم صحيحة تدفع عنها ما احاط بها من منذ انشقاق عصا تلك الوحدة وتصدع قوامها

ولعلي بحول الله تعالى لا اكون مخطئا ايضا اذا قلت ان نفس الوحدة الاسلامية بصفتها عضوا من الوحدة الانسانية الحاضرة انما هي خاضعة ايضا في تطورها الذي تجتازه على ذلك النحو لطبيعة اجتماعية قضت عليها بذلك وقد فقد منها من ينيرها سواء السبيل في قوة عارضة وثبات تقيها من شرور الطبع الجامح والهوى العليل ولم يجد ما سنت وظن انها سنته في حكمة واحكام لتلافي انشقاقها وتصدعها فلم يزدها الا تكالبا على الفساد والافساد والضلال والضلال واني لا ارى ان ما حل بتونسنا العزيزة في تطورها هو نفس ما تعانيه مصر والشام والعراق وغير مصر والشام والعراق من المجتمعات الاسلامية الحاضرة متاثرا جميعها في ذلك بما حاك بها من اشواك التقليد الاجتماعي في القديم والحديث حتى حاك الدروع التي افرغها عليها ابو وحدتها الاسلامية محمد رسول الله تعالى

باوهنها ولا خاضد يخضد تلك الاشواك في حكمة تقي تلك الدروع من شر ما يشكوها مؤمنا فقيامه بذلك لله وحده لا يبتغي فيه جزاء ولا شكورا واني لارى كذلك ان ما تعانيه هاته الوحدة الاسلامية من ذلك هو نفس ما تعانيه اروبا واميركا وغير اروبا واميركا من المجتمعات الانسانية متاثرة في ذلك بما حركتها هي ايضا من اشواك التقليد الاجتماعي الاعمى للهيئات الاجتماعية البائدة من قدماء المصريين واليونان والرومان وغيرهم مع مسابقة الهيئات الاجتماعية الحديثة بعضها لبعض في ذلك وفيما تحبذه منه من تعاليم وتقاليد واعمال لا تخلو ظواهرها من جميل خلاف ولا نطاسي نزيها يتجرد لخدمتها عن ميول العواطف والجنس فيكون انسانا يخدم لصالح الانسان رحمة للعالمين كما كان رسول الله تعالى محمد ومن سبقه من النبيئين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

ولعل هذا هو السر في اختلاف الآراء في تحقيق مناط التقدم الاجتماعي فقال قوم انه مرتبط بالعادات والتقاليد وراى آخرون انه متصل بالتعاليم وحقق غيرهم انه رهن الاسرة والحياة الزوجية ونهوض المراة وظن نفر انه ثمر الآداب العامة والاخلاق واعتقد آخرون انه نتيجة القضاء والسياسة والاسعاف العام ومطاردة الاشرار وآمن فريق بانه نتيجة التعاون الحالي ونمو الثروة في مختلف طبقات الشعوب الى غير ذلك من آراء لا تعدو دعوى ترقية المستوى البشري بترقية معيشة العامل والصانع وتاسيس الجمعيات التعاونية والنقابات والتدين بدين الديموقراطيات

لقد وعدنا الاستاذ سيدي محمد الشاذلي بن القاضي فيما دبجه براعه من ذلك بصدر العدد ١٠ العاشر من المجلد الخامس من المجلة الزيتونية بانه سيفرد مقالا خاصا ليبين لنا فيه ما يجب ان يقوم عليه الاصلاح الاجتماعي قياما يستاصل الداء الدفين مع بيان ما يجب في احكام وضع ما يجب وضعه لاصلاح المجتمع اصلاحا يغني عن تلك المسكنات الوقتية المبنية على الاعتبارات الوقتية

ولقد حاول الاستاذ اعانه الله ان يشرع في انجاز ما وعد به فنشره بخاتمة العدد ١١ الحادي عشر من المجلد الخامس من المجلة الزيتونية الفيحاء واقرر به ان الحياة الاجتماعية ليست رهينة سير الحوادث والايام وان مجرد سن القوانين والنظم الاجتماعية ليس بكاف لاصلاح المجتمع وترقيته وان اساس الاجتماع البشري هو احتياج الافراد ومخاوفهم وبقدر ما تتسع الحاجيات وتدفع المخاوف تكون درجة الهيئة الاجتماعية في الكمال او النقص ووعدنا بالعود لبسط نظريته في الموضوع فلننتظر ما سيفيضه علينا من حكمة يمن الله تعالى بها عليه ونساله جل شانه ان يلهمنا واياه التوفيق في ادراك ذلك

وفي انتظار ما سيلهمه الله تعالى اياه من بيان ينير به سبيل الهدى والعمل لتحقيقه ارى من واجبي ومن واجب كل قارئي ان يسابق الاستاذ رعاه الله تعالى في ذلك ببيان ما يراه في الشان تعاونا على البر والتقوى ورجاء ان نظفر بما يـؤدي الى الاصلاح المنشود بحـول الله تعـالى

اما انا فاني :

كانسان خلق من امشاج كل منها ينازع اخاه في تكوينه وعمله وبقائـه في دائرة التناسب والتناسق واحترام شخصية الفرد باحترام شخصية امثاله بما يجعل تلك الامشاج صالحة لتكوين شخصيتي الانسانية وتحضى امشاجى بنعمة الحياة والبقاء حين لا يبقى في منهـا ومن مواليدهـا الا الصالح في نفسه المصلح لاخيه المؤمن بخواصه وقيمتها ايمانه بحريته واستقلالـه في دائرة لا تعطل من اخيه خواصا وقيمة وحرية واستقلالا بل تجعله جوهرا سليما صالحا لان يستند اليه استنادا متناسقا يكون من شخصيتي ذاتية انسانية مؤمنة بخواصها وقيمتها وبحريتها واستقلالها بالف وتؤلف لتستند الى مثلها من الذوات الانسانية فيكون جميلهـا الوحـدة الانسانية المؤمنـة بخواصها وقيمتها وبحريتها واستقلالها الصالحة للخلـود والبقاء

وانـي :

كمسلم يعتقد واثقا انه انما خلق هذا الخلق البديع المتركب من امشاج لا يقتضي ظاهر طبعها وما فطرت عليه غير الجلاد والتناحر لبقاء الاصلاح الجدير بان يكون خليفة الله تعالى في ارضه آية من آياته البينات وحكمة من حكمه البالغة مؤمنا بما اودعه الله تعالى فيه من خواص ارادته وقدرته مقدرا نعمته فيما يريده مني من القيام بواجب خلافته لاصلاح خلقه وتدبير ملكـه فلا اضل عن سبيله وقد هداني ولا ارجو سواه وقد اغناني ولا اخاف غيره وقد اجارني وحماني ولا افرح بما اوتى لزواله بعد حين ليخلفه عني بما عنده وهو خير وابقى ولا احزن على ما فاتني فارحت من مسؤلية معاناته لان يعوضني منه ازكي وانقى ولا اهن وانا به تعالى الاعلى والاقوى ولا انزل وانا به جل شانه الاعز والاحمى حرم الله تعـالى على نفسه ظلـمي فلا اظلم نفسي بمجاوزة حدوده وحدودها تسفلا واعتلا . عساني ان اكون لديه الخليفة الفاعل المحسن فيما يعمل لان يكون به كل يوم في شان يـاتي بخلق جديد يناسبه ويؤانس نفسه مناسبـة ومؤانسة تكون من امشاج البشريـة السوية وحدة انسانية فاضلة مقدسة منزهة تؤوب اليه مؤمنة بقيمتها واثقة بكرامتها حرة مومنة بحريتها قائمة بنفسها مستقلة بذاتها راضية عنه مرضية منه صالحة للخلود والبقاء .

سالم بن حميدة

(للبحث بقية)

العالم الاسلامي

سكة الحديد الحجازية

كان من ابرك نتائج الزيارة التي قام بها للحرمين الشريفين حضرة صاحب الفخامة شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية والاجتماع التاريخي الذي ضمه الى عاهل البلاد العربية الملك عبد العزيز آل سعود ان قررت الحكومة السورية رصد مليون من الجنيهات لاصلاح سكة الحديد الواصلة بين المدينة المنورة ودمشق وبسريان هذه البشرى تجددت مشاعر وعواطف في نفوس جميع المسلمين بين جاوة وغربي افريقيا هي بعث تلك الاحساسات التي كانت تهزهم سرورا وابتهاجا منذ احدى واربعين سنة لما تحرك القطار الاول على هذا الخط بين دمشق وعمان سنة ١٣٢٣ ثم صدمت هذه العواطف البهيجة صدمة عنيفة بحوادث الحرب وثورة البلاد العربية بقيت بعدها مخدرة راسبة في قرارات النفوس حتى حركها نبأ اليوم الذى هو بكر من ولائد الوحدة العربية

فقد اكتسى هذا الخط الحديدي من نشاته صبغة دينية اجلته في مظهر سمو واعتبار لنظر عموم المسلمين منذ عزم على انشائه خليفة الاسلام السلطان عبد الحميد الثاني باشارة عضده المتين احمد عزت باشا العابد من عرب الشام الذي كان رئيس المابين الهمايوني ومبتكر المشاريع العمرانية الاقتصادية الهامة بالسلطنة العثمانية في عهد عبد الحميد توفي بمصر سنة ١٣٣٨ ولقي هذا العزم اقبالا وتاييدا وثناء في كافة الاوساط الاسلامية لامرين هامين كان يرجوهما العالم الاسلامي من وراء انجازه

الامر الاول ـ هو تقوية النفوذ العثماني في الحرمين الشريفين وايجاد طريق يضمن سهولة نقل القوات العثمانية من اطراف السلطنة الى البلاد الحجازية لقمع حركات العدوان وقطع دابر الاضطرابات والفتن التي كان يشكوها العالم الاسلامي بلسان واحد من امير مكة الشريف عون الرفيق وهي الشكوى التي سجلها امير الشعراء احمد شوقي في قصيدته :

ضج الحجيج وضج البيت والحرم   واستصرخت ربها في مكة الامم

التي يوجه فيها نداء استنجاد واغراء للخليفة في هذه الابيات

رب الجزيرة ادركها فقد عبثت بها الذئاب وضل الراعي الغنم

***

لك الربوع التي ريع الحجيج بها أللشريف عليها ام لك العلم

***

فجرد السيف في وقت يفيد به فان للسيف يوما ثم ينصرم

الامر الثاني ـ تقريب طريق الحج وتوفير راحة الحجيج فقد كانت اركاب الحج تلاقي الامرين دون الوصول الى المسجدين المعظمين سواء في الاسفار البحرية وما يلاقي الركب من العناء ثم ما يتعرض له من الاهوال بين جدة ومكة ثم بين مكة والمدينة او في الاسفار البرية من طريق بادية الشام حيث يقطع الركب زمنا طويلا يتعرض فيه الى اهوال اخطر مما في الطريق البحري حتى كانت هذه العوائق والصعوبات كثيرا ما تصد اركاب الحج عن غايتهم خائبين

فاملوا من هذا الخط ان يكون سببا في تسهيل رحلة الحج وتامينها وتقريبها وتحدثوا بانه اذا انجز استطاع الحاج ان يصلي الجمعة في المسجد الاقصى بالقدس الشريف ثم يصلي الجمعة الموالية في مسجد النبيء صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ثم التي تليها بمكة في المسجد الحرام

فاقبلوا بهذه العاطفة الدينية الشريفة على الاكتتاب الذي اعلنت حكومة الخلافة فتحه وانصبت التبرعات على الاستانة من مصر والهند وايران وشمالي افريقيا ومسلمي البلقان والقوقاز والتركستان والصين والبلاد العثمانية الشاملة للممالك العربية من اليمن والحجاز والعراق والشام وكان التبرع الشخصي للسلطان عبد الحميد وحده اربعين الف ليرة تركية وكان الاكتتاب كافيا لتسديد النفقات التي اقتضاها تاسيس هذا الخط من اقامة الحنايا والقناطر والانفاق في ارض قفراء اعز موجود فيها الماء حتى بلغت النفقات الى ثلاثين مليون جنيه انكليزي امتد بها الخط على مسافة الف وثلاثمائة ميل ما بين دمشق والمدينة

وكان اول مظهر من مظاهر النجاح لهذا العمل الجليل وصول القطار من دمشق الى عمان شرقي الاردن فقد كان دخول اول قطار الى محطة معان في يوم عيد الجلوس السلطاني سنة ١٣٢٣

واهتز العالم الاسلامي طربا لهذا الحدث العظيم وفاضت على دار الخلافة آيات الثناء والهناء من كل صوب وانطلق شاعر النيل الاجتماعي حافظ ابراهيم يوجه الى الخليفة والعالم الاسلامي والامة العثمانية الدستورية تحيته الفياضة في القصيدة النونية الخالدة

انى الحجيج عليك والحرمان واجل عيد جلوسك الثلاثان
ارضيت ربك اذ جعلت طريقه امنا وفزت بنعمة الرضوان
وجمعت بالدستور حولك امة شتى المذاهب جمة الاضغان

وكان وصول القطار الى المدينة المنورة سنة ١٣٢٥ اعظم وابهج وكان في الحسبان ان ينتهي بقرب الى مكة المكرمة قبل عام ١٣٢٨

واقبل الحجاج من اطراف الدنيا على السفر بهذا الخط فكانوا يفدون الى دمشق بالخطوط الحديدية المتلاقية عليها من مصر الى اروبا او بالبواخر المترددة على حيفاء وبيروت او بالوسائل البرية الخاصة من اطراف البادية العراقية والشامية فلا تزال سكة الحديد تتقاهم اركابا يومية تتغنى بنعمة الحج ونعمة الامن ونعمة الراحة وتشيد بفضل امير المؤمنين وكانت مدة السفر بين دمشق والمدينة المنورة خمسة ايام يدفع الحاج في مقابل سفره فيها نحوا من ليرتين عثمانيتين ولم يزل في جميع بلاد الاسلام اليوم من اذا ذكر هذا العهد عنده بكى حنينا لتلك الساعات الطيبة التي فاز فيها بالحسنتين منهم رجال نعرفهم ببلادنا بارك الله فيهم

وبقي الناس يلهجون بهذه الحسنة في مفاخر السلطان عبد الحميد حتى لم تستطع الثورة الفكرية التي كونها ضده الاتحاديون في بلاد الاسلام ان تمحو هذا السطر النير من صحيفة مجده كما قال حافظ في خلع عبد الحميد

فرح المسلمون قبل النصارى فيك قبل الدروز قبل اليهود

❀❀❀

حاولوا طمس ما صنعت وودوا لو يطيقون طمس خط الحديد
ذاك عبد الحميد ذخرك عند الله باق ان ضاع عند العبيد

وتبعت وصول سكة الحديد الى المدينة حركة علمية ادبية فكم قصائد قيلت في وصفها ومدح منشئها وكم مساجلات رصعت مجالس الادب في المدينة المنورة حول هذه المأثرة الخالدة وكم محاورات علمية اثرية جرت بين العلماء حول ما في السنة من المبشرات بهذا الفتح العظيم الذي تنور بالانتساب الى المدينة المنورة

حتى كان من اثار هذه المحاورات ما صدر عن قلم استاذنا العلامة الشريف حافظ المغرب وسند الاسلام سيدي محمد عبد الحي الكتاني من الصنع العجيب والابتكار البديع في رسالته التي سماها : اليواقيت الثمينة في الاحاديث القاضية بظهور سكة الحديد ووصولها الى المدينة وقد بناها

ـ حفظه الله ـ على سبعة احاديث تشير الى ظهور سكة الحديد بما تدور حوله معانيها من تقارب الازمان وتقارب الاسواق وترك القلائل ورخص الخيل وتواصل الاطباق وعمران الخراب وزوال الجبال وعلى ثلاثة احاديث تشير الى ما يقتضي ان سكة الحديد تصل المدينة بما تشتمل عليه من التبشير بعود ارض العرب مروجا وانهارا وبلوغ مساكن المدينة الى يهاب وخروج الناس من المدينة الى الشام يبتغون الصحة وهو تصنيف جليل يزيد طالعه انشراحا لدلائل النبوة ومعجزاتها الباقية طبع بالجزائر سنة ١٣٢٩ وكان هذا الاقبال العظيم على سكة الحديد الحجازية يمتد بالآمال الى ارجاء واسعة من البرامج العمرانية والاقتصادية والاجتماعية الناشئة عن تواصل اطراف العالم العربي وارتباط البلاد العربية بالخطوط الاروبية الرئيسية فكان من المقدر الذي في حكم الواقع ان يكتمل امتداد هذا الخط الحديدي الى مكة ثم الى جدة ومنها الحديدة وصنعاء. ولكن شبح الحرب العالمية المرعب سنة ١٣٣٢ قد قطع لذة هذه الاحلام فعلى بوادر الاضطراب والاختلال الاولى بدا الخراب ينتاب سكة الحديد بتجري قبائل البادية العربية امام ضعف الحراسة ثم كانت سنة سنة ١٣٣٥ تحمل للسكة الضربة القاضية في ثنايا الحوادث المؤلمة التي جرت بين الترك والعرب

فاندفعت طلائع الجيوش الهاشمية نحو السكة تخربها بالمفرقعات لتقطع على الجيش التركي المرابط في المدينة المنورة طريق الازواد والامداد وبذلك انقطعت السكة من نقط عديدة فتعطل سير القطار وانقطع الاتصال بين المدينة ودمشق وكانت لشدة الحصار الخانق الذى نزل على المدينة المنورة فلم يستطع ان يصبر على لأوائه الا القليلون

ونزلت نقطة من سواد الحزن الذي لا يمحى في كل قلب ينبض بالشعور بروح الاسلام واطبق سواد القلوب على سواد الاحزان حتى وضعت الحرب الكبرى اوزارها وضمت السلطنة العربية الهاشمية بين الشام والحجاز فبدا الملك حسين وابناؤه يعملون جهدهم لاعادة هذا الخط وبعث الامل الكمين في نفوس المسلمين في تجديده وكادت اعمال الترميم ان تنتهي وان يعود القطار الى سيره سنة ١٣٤٣ لولا ان هجوم السعوديين على الحجاز قد قطع على الدولة الهاشمية كل امل واوقفها عن كل عمل ومن يومئذ دخلت قضية سكة الحديد الحجازية في مشكل قانوني جديد

فبعد ان كان هذا الخط يمتد في وسط مملكة واحدة هي السلطنة العثمانية ثم السلطنة الهاشمية اصبح بحكم معاهدة سيفر وما التحق بها من الاحداث من تملك السعوديين للحجاز وسقوط السلطنة الفيصلية عن سوريا وتاسيس امارة شرقي الاردن وسن النظام الخاص بفلسطين

اصبح هذا الخط خطا امميا مشتركا بين اربع ممالك هي سوريا وفلسطين وشرقي الاردن والحجاز وازاء هذا اضطربت المواقف السياسية نحو الخط الحديدي

فكانت الفكرة السائدة في البلاد الاسلامية باسرها ان هذا الخط نظرا لصبغته الدينيــة التي كونته عليها دولة الخلافة ونظرا لتجمع راس مال تكوينه من اكتتاب بلاد الاسلام قاطبة فانه لا يجوز أن يعتبر من املاك الدولة بل لا يعتبر الا اعتبار الاوقاف الاسلامية الموقوفة على اقامة شعائر الدين فليس لدولة من الدول عليه حق الملك كما ليس لها ذلك على المساجد والاوقاف

ولقوة هذه النظرية تلقتها الاوساط الحقوقية العالمية بالاذعان واعترفت بصوابها الحكومتان الفرنسية والانقليزية في مؤتمر لوزان

فبعد ان تورطت جمعية الامم في تسجيل هذا الخط ملكا للدول الاربع المار في اراضها وقسمته بالكيل بين تلك الدول اعلن مؤتمر لوزان نقض هذا العمل وقرر ان الخط من املاك الجامعة الاسلامية العامة ودعا الى تكوين لجنة اسلامية مشتركة تستقر في المدينة المنورة وتتولى تنسيق العمل بين الحكومات في كيفية تنظيم سفر الحجيج بهذا الخط على اوفــق وجه ولكن هذه الفكرة لم يتبعها تنفيذ عملي ووقع الشروع في اصلاح القطع السورية والفلسطينية والشرقية الاردنية بواسطة شركات النقل المحلية واستعملت لمصالح تلك الشركات بين دمشق وعمان وبقي القسم الحجــازي منها معطلا الى اليوم

وطالما تألم زائروا المدينة المنورة لمرأى المحطة قائمة عند باب العنبرية تبكي من بناها وقضبان السكة لا تعرب عن حياتها باكثر من تعثر السائرين فيها والعربات واقفة يتجاذبها الوجود والعدم

وكانت هذه الالام تدفع بالحكومة السعودية الى فتح المذاكرات مع الدول لاعادة هذا الخط على قاعدة الوقف الديني التي تقررت في لوزان وحاولت فصل المسالة على هذه القاعدة في مؤتمرين عقدا لهذا الغرض في حيفاء سنة ١٣٤٦ وسنة ١٣٥٤ فاسفرا عن الاخفاق حتى وجدت المسالة حلها البسيط على بساط الوحدة العربية في المذاكرة الشخصية بين الملك عبد العــزيز ورئيس الجمهورية السورية وانطلقت حكومة سوريا ترصد الاعتمادات لترميم القطعة الحجازية من الخط والحكومة السعودية تتذاكر مع الولايات المتحدة الاميريكية في شراء العربات واطمأن المسلمون الى امل واضح في هذه المذاكرة الاخوية وتباشروا باقتراب اليوم الذي يهلل فيه العالم الاسلامي لعود سفر الحجيج بالقطار بعد طول الانتظار وتعاقب الادوار .

محمد الفاضل ابن عاشور

التاريخ

اصل بيعة الرضوان وسببها

وما نـزل فيها وورد في فضلها

قال تعلى في كتابه « لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » هاته الاية من سورة الفتح التي نزلت في رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية وذلك انه في سنة ست من الهجرة النبوية راى عليه الصلاة والسلام في منامه انه دخل مكة هو واصحابه . آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين وانه دخل البيت واخذ مفتاحه وطاف هو واصحابه واعتمر واخبر بذلك اصحابه ففرحوا ثم اخبر اصحابه انه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر وخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه الف واربعماية من المسلمين يوم الاثنين غرة ذي القعدة من سنة ست من الهجرة وساق معه الهدى سبعين بدنه وفي هاته الغزوة المباركة وقع نبع الماء من بين اصابعه الكريمة تلك المعجزة العظيمة التي ادخرها الله له وخصه بها دون انبيائه المرسلين ورحم الله القائل :

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر ❊ فان في الكف معنى ليس في الحجر

ومعجزة اخرى وهي انهم لما نزلوا بالحديبية التي هي بئر قرب مكة نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة ماء فاشتكى الناس له صلى الله عليه وسلم العطش وكان الحر شديدا فاخرج صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته ودفعه الى البراء بن عازب وامره ان يغرزه في جوف البئر فجاش الماء ثم امتلأت البئر فشربوا جميعا ورويت ابلهم .

ولما اطمأن صلى الله عليه وسلم بالحديبية جاءه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه فسأله ما الذي جاء به فاخبره انه لم يات يريد حربا انما جاء زائرا للبيت فلما رجع لهم رسولهم واعلمهم لم يستمعوا له كما لم يستمعوا ولم يعتمدوا قول رسولهم الثاني وارسلوا رسولهم الثالث وهو عروة

ابن مسعود الثقفي عظيم الطائف ومتمول العرب ولما اتى هذا الرسول للنبي صلى الله عليه وسلم وراى ما يصنع اصحابه من التأدب معه والتعظيم والمحبة والاجلال فاذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له ولا يغسل يديه الا ابتدروا وقضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يسقط شيء من شعره الا اخذوه تبركا ولما رجع اليهم الرسول قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه اخاف ان لا تنصروا عليه فقالوا له لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور وقال ما اراكم الا ستصيبكم قارعة . فأخذ صلى الله عليه وسلم في اهل قريشا ويعلمهم انه جاء زائرا غير محارب وهم يقولون لا يدخل علينا عامنا هذا . وكان من رسله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان مع عشرة من اصحابه فاحتبسوهم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل مع العشرة الذين معه فأمر الله سبحانه بالبيعة فنادى مناديه ايها الناس البيعة . البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فثاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة من اشجار السحر فبايعوه على عدم الفرار وانه اما الفتح وما الشهادة وقيل لها بيعة الرضوان لان الله تعالى رضي عنهم في قوله جل من قائل لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال عليه الصلاة والسلام لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة وقال ايضا لا يدخل النار من شهد بدرا أو الحديبية

واول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان ابن ابي سنان الاسدي فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ابايعك علي ما في نفسك قال النبي وما في نفسي قال اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان واقام صلى الله عليه وسلم بالحديبية عشرين يوما وقع في اثنائها صلح الحديبية

وفي هاته الغزوة حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه الشريف حلقه خراش ابن امية الخزاعي ورمى شعره على شجرة فاخذه الناس تبركا واخذت ام عمارة رضي الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرا باذن الله تعلى

وكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة الصحابي الجليل سيدنا ومولانا ابو زمعة البلوي صاحب ودفين مقامه الشهير به بمدينة القيروان رضي الله عنه وعن سائر اصحاب سيدنا ومولانا الرسول الاعظم صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه وسلم وهو الصحابي الجليل ابو زمعة عبيد الله

ابن ءادم البلوي نسبة الى حي من قضاعة يسمى بلي على وزن علي .. فاذا نسب اليها قيل بلوي شهد بيعة الرضوان وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وشهد فتح مصر سنة عشرين في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه وغزا افريقية مع الامير معاوية بن حديج سنة اربع وثلاثين واستشهد بجلولة بالمكان الذي بني فيه حوطة تسمى الى الان بسيدي عبد الله الشهيد وهي التي في الميل الرابع والعشرين من القيروان تعرض على يمين الذاهب لسوق الجماير من عمل جلاص ودفن بالقيروان بالبقعة التي سميت به من ذلك الوقت فقيل البلوية وامرهم رضي الله عنه عند الوفاة ان يستروا قبره وان تدفن قلنسوته معه التي فيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا ينقل المؤرخون عن المؤرخ الشيخ ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن رشيق في كتابه كرامات اهل افريقية وكل من كتب في هذا الشان ينقل اتفاق من سبقه على ان قبره في المكان الموجود الآن بقبته وعليه سياجه المشاهد وهكذا ينقله الخلف عن السلف الى يومنا هذا قال ابن ناجي وقبر ابي زمعة الغالب والاصح انه معين في البلوية فان هناك سارية يقول كثير من الصالحين انها علم على قبره اما بمنامات راوها او بانوار يرونها عليها ويذكرون انهم يرون عليها طايرا ياوي اليها لا يراه الا الاولياء فلا يقدرون على القرب منها حتى يطير عنها والله اعلم . وكتب العلامة المحقق مفتي تونس في عصره الشيخ سيدي ابي القاسم عظوم صاحب الاجوبة والبرنامج بخطه بطرة نسخته من المعالم على هذا المحل ما نصه اخبرني رجل من اهل الخير اسمه دحمان بن علي في شهر رجب عام ١٠٠٦ ستة والف انه كان راى طائرا اخضر حسن الخلقة ياوي الى قبة المقام المذكور عشية الجمعة ويبيت هنالك ويطير صبح يوم السبت قاصدا ما بين الشرقي والجوفي قال وما رايت قط مثل ذلك الطائر ولذا دل على ان هذا الرجل الرائي من الاولياء لقول المصنف لا يراه الا الاولياء ثم قال ابن ناجي الى غير ذلك مما يحكى عن الصالحين وغيرهم من اجابة الدعاء في ذلك الموضع ثم قال فجدد قبره رضي الله عنه حيث تلك السارية وبنيت عليه قبة منمنمة الوضع وجعل لها حرم يدور بها من جهاتها الاربع مصان بالبناء والغلق وجعل في تلك القبة حيث كان العمود عند راسه لوح من رخام رسم فيه اسمه وكتب فيه هذا قبر ابي زمعة البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك مما شمل اللوح انتهى كلام ابن ناجي وهذا اللوح الرخامي المذكور هو التاج الذي يشاهده الزائر الآن عرضه اربعة وخمسون صانتيما وارتفاعه عن سطح التابوت المشاهد سبعة وخمسون صانتيما مكتوب عليه بالخط الكوفي اثنا عشر سطرا نصها بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله هذا قبر ابي زمعة البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه بيعة الرضوان تحت الشجرة الى آخر السطر الثاني عشر ولا يوجد بهاته الكتابة تاريخ وانما يفهم منها ان هاته الكتابة كتبت ما بين القرن الرابع والخامس من الهجرة

(يتبع) محمد طراد



صحف من التاريخ التونسي

تاريخ الصحافة التونسية

استفز همتي الصديق المخلص السيد البشير الفورتي لتسجيل ما اهمل من تاريخ تونس في الحقبة المتأخرة وبالاخص ما يتعلق بالنهضة الفكرية ورجالها ونشر تلك الصفحات المطوية واتفقنا مع اصدقاء لهم اضطلاع واطلاع على ان يكتب كل فرد منا ما يعثر عليه وما هو عالق بذهنه او نقله عن السن الثقات مستنجدين بذاكرة الاخ البشير الخنقي صاحب جريدة لسان الشعب الفياضة ليكون ذلك مادة لمن يتولي الكتابة في تاريخ تونس الحديث وها لنا ابدأ هذه المذكرات باوليات الصحافة التونسية والطباعة بهذه الديار حاثا كل من عرف شاردة في الموضوع افادة القراء بها خدمة للادب والتاريخ

في ١٨ رمضان سنة ١٢٧١ ﻫ ١٨٤٥ م على عهد السلطان العثماني عبد المجيد الاول تربع على دست العرش الحسيني بتونس المشير الثاني الباشا محمد بن حسين باي خلفا عن ابن عمه المشير الاول احمد باشا باي. وفي ٢٤ المحرم سنة ١٢٧٤ تاسست دار الطباعة الرسمية وهي اول مطبعة بهذه البلاد وكان مقرها بنهج الحفصية وتطبع على الحجر بخط مغربي جميل ثم في سنة ١٢٧٦ جلبت لها الحروف الحديدية ثم نقل معملها الى شارع القصر المعروفة بدار لازغلي سابقا التي انتقلت على ملك المرحوم الشاذلي البكوش ثم على ملك غيره الآن ثم وقع نقلها الى نهج سيدي ابن زياد خلف خزنة المكاتيب بالكتابة العامة حذو ادارة المحافظة الآن. وفي عام ١٣١٩ نقلت الى نهج الدريبة بشارع دار الجلد حيث مقرها الحالي. وكان يتولى تصحيح مطبوعاتها جماعة من جلة شيوخ الجامع الاعظم وطبعت بها زيادة عن نشريات القوانين والنظم عدة كتب علمية قيمة كالموطا لامام دار الهجرة عليه الرضوان والموافقات والفروق ومعالم الايمان وديوان قبادو ومطلع الدراري والثلث الاول من الجزء الاول من الحلل السندسية والجزء الاول من ازهار الرياض الخ الخ ...

واول صحيفة صدرت بتونس كانت على عهد المشير الثالث محمد الصادق باشا باي ففي ٤ المحرم سنة ١٢٧٧ صدر العدد الاول من الرائد الرسمي بسعي من الوزير المصلح خير الدين

مؤلف كتاب اقوم المسالك في تدبير الممالك وطبع بدار الطباعة الرسمية وكان المقال الافتتاحي (خطبة الجريدة) مدبجا بقلم مفتي تونس وشاعرها الشيخ محمود قبادو. وتولى ادارة الجريدة ودار الطباعة صحافي سوري يدعى منصور كرليتي كان اصدر قبل ذلك بباريس صحيفة عربية باسم عطارد ولم تعمر كثيرا وتعرف بالوزير خير الدين وبعض عظماء تونس ودارت بينهم محاورات فكان لهذه الصلة الاثر في انتخابه لادارة الرائد الرسمي وكان للسوريين لذلك العهد الاثر في دواوين الحكومة واقلام الترجمة

حرر بالرائد الرسمي اعلام ذلك العصر كالجنرال حسين وزير المعارف وعلامة القطر الشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد بيرم صاحب صفوة الاعتبار وجريدة الاعلام المصرية التي اصدرها بعد هجرته في البلاد التونسية والوزير خير الدين نفسه كتب عن الممالك وسياستها فصولا ممتعة وكانت لغة التحرير فصحي متينة لا ان الاحتفال بالتسجيع جعل بعض التعقيد في المعاني

واهتمت الجريدة في سنتها الاولى بدرس نظام المجلس الاكبر وبقية المجالس وسفر الامير الى الجزائر وثورة خمير وتعرضت للاحداث الخارجية كفتح قنال السويس واكتشاف امريكا زيادة عن النظم والقوانين والوفيات وغيرها من الانباء. واستمرت في سنواتها التالية تتولى نشر انباء العالم واحداث تونس مع عيون الادب وفصول العلم وتولى تحريرها بعد ذلك الشيخ حمزة فتح الله المصري الذي سافر بعد ذلك لمصر وتولى مفتشا بادارة المعارف المصرية واشتهر بالتضلع بعلم النحو ومتن اللغة. ثم تولى رئاسة تحرير الرائد الشيخ محمد السنوسي صاحب المؤلفات والتحارير المعروفة فالحاج حسن لازغلي منشيء النزهة الخيرية (وهي تقويم تونسي صدر ٢٨ سنة ابتداء من سنة ١٢٩١) وفي مدة هذا الاخير تمحضت الرائد لنشر الاوامر العلية والمناشير الرسمية والاعلانات القضائية واستمرت على ذلك ايام تولي المرحوم محمد بن الخوجة رئاسة تحريرها ثم الغيت رئاسة التحرير وارجع نظر الصحيفة الى ادارة المصالح الاقتصادية ثم الكتابة العامة فالادارة العامة للداخلية فالكتابة العامة. والرائد تاسع الصحف العربية التي صدرت في العالم.

محمد الحبيب

الازمـــات الدينية

في التـاريخ التونسي

اذا درسنا تاريخ الاسلام بالمملكة التونسية - من عهد الفتح العربي (٢٧ هـ) الى الآن ومررنا بالدول الاسلامية العربية او العربية البربرية التي تعاقبت على راس الحكم التونسي من الاغالبة الى الفاطميين الى الصنهاجيين الى الحفصيين الى الحسينيين - وجدنا المملكة التونسية قد اجتازت بعدد من الازمات الدينية التي تختلف اهمية ومقدارا ، وتختلف امتدادا او قصرا في الزمان او في المكان ، ويختلف تأثيرها على تكييف الروح الديني اشعاعا وضؤولة . ونحن مستعرضون لك اهم الازمات الدينية التي مر بها التاريخ التونسي الاسلامي . ثم نفصل ذلك تفصيلا

١ - ازمة النشوء

وهي ازمة مرت بها تونس عند انتشار الديانة المحمدية بربوعها . ونستطيع ان نقول انها بدأت سنة ٢٧ وانتهت نهائيا على راس القرن

٢ - ازمة اختيار مذهب ينضوي تحت لوائه العدد الاوفر من السكان

وذلك في القرن الثالث على عهد بني الاغلب عند ما دفع التسامح الديني واجتهاد الائمة الى تكاثر المذاهب . وقد حل سحنون الازمة بترجيح المذهب المالكي

٣ - ازمة الصراع بين المالكية والشيعة

انتشرت المالكية على عهد الاغالبة انتشارا عظيما . ثم لما زالت الدولة الاغلبية وحلت محلها الدولة الفاطمية او العبيدية - وكانت هذه الدولة على مذهب الشيعة نشبت « الفتنة » بين « الشيعة الرسمية » و « المالكية الشعبية » فانتصر مذهب الشعب على مذهب الدولة

٤ - الازمة السلفية

وهكذا نستطيع ان نسميها . وذلك ان تبحر المدينة على عهد الصنهاجيين قد ادى الى انحلال ديني احتيج في علاجه الى الرجوع الى ما كان عليه السلف الصالح من التمسك باهداب الكتاب والسنة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا هو الاصلاح الكبير الذي قام به اكبر مصلح ديني في الشمال الافريقي المهدي بن تومرت

٥ ـ ازمة القديم والحديث

استولت اوروبا على جهات من العالم الاسلامي وحملت اليها مدنيتها المـادية . فوقع ضعفاء الايمان في ازمة ايمانية شديدة . على اية قاعدة والمادية نسبة يستطيع احدنا ان يوفق بين القديم والحديث ؟ اي بين المدنية الاسلامية والمدنية الاوروبية ؟ وعلى اية قاعدة والى اية نسبة يستطيع احدنا ان يوفق بين الشرق وبين الغرب ؟ وبين تراثه القومي الذي هو زاهد فيه وبين المدنية الجديدة الخلابة التي اقبل عليها في شيء عظيم من التكالب

وقد مر الناس خلال هذه الازمة بثلاثة اطوار : طور انكماش رفضوا فيه المدنية الجديدة بكليتها ونفروا منها نفورا كبيرا وازدادوا تمسكا « ماديا » بالمدنية الاسلامية ، طور انفعالي اقبلوا فيه على المدنية الجديدة بقوة تضاهي ابتعادهم عنها في الاول ـ وهذا هو الطور البسيكولوجي الخطير ، طور ارتجاعي اعادوا فيه النظر في المدنيتين وسبروا غورهما وقـابلوا بينهما ووازنوا بين محاسن كل واحدة منها . فكان الى المدنية الاسلامية اشد ميلانـا مع ادخال بعض العـناصر المادية التي لا تختص بمدنية دون اخرى مثل الاختراعات العلمية النافعة . فبدو جزيرة العرب جنود ابن السعود المحافظ هم الآن ميكانيكيون موتوريون اي انهم تركوا الرمح والجمل واستعملوا الدبابات والرشاشات والدراجات النارية وواصلوا بين الجهات بالطائرات ومع ذلك فهم يقيمون الحدود طبق مـا امرت به الشريعة المطهرة ويؤدون الفروض على الوجه الاكمل . انت لا تجد السينما في العربية السعودية لكنك تجد الهاتف على حبل يد ابن السعود لان السينما من مظاهر اللهو والخلاعة والدعة التي اتت بها المدنية المادية وهي من جرائمها القاتلة ايضا ـ اما الهاتف فانه جهاز لا بد منه لدولة حية ناشطة لها بدوها الميكانيكيون



قد استعرضنا باختصار اهم الازمات الدينية التي مرت بها المملكة التونسية في تاريخها الاسلامي ولو نظرت اليها بعين تحليل لوجدت ان الازمة الاولى ـ وهي ازمة النشوء ـ انما هي ازمة ضميرية فردية اي ان كل فرد من افراد المجموع التونسي قد وجد نفسه امام ديانة جديدة متحتمة فوازن في ضميره بين المعتقد القديم والمعتقد الجديد فوجد الجديد احسن من جميع الوجوه واعتنقه اعتناقا نهائيـا وهو في ذلك مخير لا مسير . وقد صدر عمله هـذا عنه طواعية عقب موازنة . ثم ان هذه الازمة الضميرية الفردية قد انقلبت الى ازمة مجموعية لانهـا لما كانت شاملة لكل فرد من افراد الشعب بحسبه فقد شملت مجموع افراد الشعب بكليتهم وعن بكرة ابيهم .

(للبحث صلة) عثمان الكعـاك

حول الاصلاح الاجتماعي

الحياة التونسية

اخترنا هذا العنوان لغموضه وكثرة معانيه وشتى مظاهره. اخترناه لانا نعتقد انه لا يمكن لاحد ان يكون له المام بجميع مظاهر حياة امة من الامم مهما اتسعت معلوماته لذلك. اخترناه ايضا حتى يشارك في هذا الموضوع اهل المعرفة والكفاءة والحزم ولنكسوا جميعا بلادنا حلتها الكاملة فتخرج كالعروس في اروع مظاهرها لابنائها وتكون نزهة للناظرين.

قال ابو القاسم التونسي ـ الحمد لله الذي انبتنا في هذا البلد الامين بلد كثرت خيراته وتنوعت موارده.

فاجابه صالح التونسي بقوله : خل عنك هذه الافكار واطرد عن نفسك هذه الاوهام فاين هي تلك الخيرات واي موارد تعني الم تر ما تقاسيه هذه الامة من الجوع والعراء فامتقع وجه ابى القاسم وكاد ان يتميز من الغيض فتنفس الصعداء واستغفر علنا وحوقل ثم قال يا اخي صالح انما اردت الكلام على الحياة التونسية اما حالة الفقراء فامرها موكول الى الله ولاصحاب الفضل وراغبي الاجر والغفران. يا اخي صالح الم يقل الله عز وجل : واما بنعمة ربك فحدث ـ يا اخي صالح الم ينعم الله على هذه البلاد بشجرة الزيتون المباركة وبالكروم الطيبة الكثيرة وبالنخلة ذات الثمرة اللذيذة وبالغابات الغناء الكثيفة . الم ينعم الله على هذه البلاد بالمياه الدافقة الغزيرة . الم ينعم الله على هذه البلاد بذخائر المناجم المعدنية ، يا اخي وهل تعلم ما تنتجه بلادنا من القمح والشعير وغير ذلك من الحبوب والفواكه وهل تعلم ما يستخرج من بطون بحرنا وهل تعلم مقدار ما يصدر من بلادنا وما يرد اليها من البضائع المصنوعة وغير المصنوعة من البلاد الاجنبية . فقال صالح ما هذا الكلام وما تعني به فوالله كأنك تصبه علينا صبا تكلم وافصح لنا عن مقصودك فقال ابو القاسم الحمد لله الذي هداك الى طريق الرشاد واعلم يا اخي ان بيني وبينك

خلاف لفظي اني اقول ان بلادنا غنية فتجيبني بان التونسي فقير وكلنا نعلم ان الفقر نتيجة الاهمال وان الغنى نتيجة العمل المنظم وقد ضرب لنا الله عز وجل مثلا لذلك بفرض الفروض وعين لنا اوقات ادائها بغاية الدقة والضبط بحيث لو حافظ عليها الانسان في ترتيبها وفي ميقاتها لنال السعادة الابدية ولنجحت اعماله الدنياوية وكذلك لو حافظ الانسان على اشغاله اليومية بتلك العناية والنظام المحكم لفاز بما يريد . ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولله در العالم المفكر الاستاذ عبد الوهاب باكير حيث قال في مجلة « المباحث » الراقية في عددها الثاني : « واما الحياة العلمية فانها مبنية على قواعد عقلية واساليب منطقية يسلكها الفكر في اكتشاف النواميس الطبيعية التي يسير عليها هذا العالم وكلما الغى الباحثون تلك الاساليب وتلك القواعد اخفق مسعاه واستحال عليه الوصول الى نتائج مرضية »

وبعد فلا شك ان حياة الامة لها صلة بحياة افرادها في حياتها الادبية وفي حياتها المادية ولا شك ان سعادة الامة لها صلة بسعادة افرادها ايضا . وما السعادة الا وجود التوازن الذي يتحصل عليه الانسان في تفكيره وفي اعماله .

والتوازن لا ياتي بفائدة الا اذ استتم التفكير ووجه الى عمل منظم لاستنتاج فائدة مقصودة بالذات فاذا تم ذلك تكون الامة راقية سعيدة ولا يتم ذلك الا اذا وجد في الامة علماء عاملون مخلصون في اعمالهم وشعراء مبدعون يذكون بعطفهم انفاس المخلصين ويكبرون اعمال المصلحين وكذلك لايتم ذلك كله الا اذا وجد في الامة فلاحون منتجون وتجار حازمون وعمال اكفياء اما ويا للاسف فاين فلاحونا واين تجارنا الحازمون وهل انك سمعت قط ان جمعية من جمعياتنا الفلاحية اخرجت يوما ما احسن ما انتجته من قمح او من بقل او من غنم أو من بقر تعرضه مفتخرة وكدليل قطعي على استعداد التونسي واهتمامه ومقدرته على الانتاج بتفوق لا يتفق لغيره ولا يقدر عليه سواه وهل سمعت قط ان تاجرا من تجارنا اشتهر وشارك في شركة فلاحية وسافر كالرائد الحازم ليطلع على اسباب ثراء جيراننا وعلى سير معاملهم وصنائعهم ومصنوعاتهم الرائجة ليستفيد منها ويفيد بلاده بعد رجوعه اليه . نعم يجب على التونسي ان يعمل للعلم والادب والفن ويجب عليه ايضا ان يعمل في آن واحد للفلاحة والتجارة بارادة واحدة وبعزم واحد لغاية واحدة وهي اعلاء شان بلاده وهو الهدف الذي نرمي اليه لتوجيه مجهوداتنا لذلك يجب على الشباب ان يعمل للاقتصاد بنفس الجرأة التي يعمل بها للثقافة يجب عليه ان يعرض علينا ما انجته بابداعه في الاقتصاد كما انتج وابدع في العلم والفن وفي الحقيقة فان حياة الشعب هي مجموع ما يتحصل

الفتاوى والاحكام

س ـ رجل ولي الخطابة باحد المساجد هل يجوز له اخذ الاجرة عليها ؟

ج ـ ذهب ابو حنيفة واصحابه الى بطلان الاجارة على الامامة والاذان وتعليم الفقه والقرءان وغير ذلك من الطاعات ولكن افتى المتاخرون من اتباعه وهم مشائخ بلخ بجواز الاستئجار على هذه الاشياء وعللوا ذلك بالضرورة اي ضرورة المحافظة على الشعائر المذكورة لظهور التواني بين الناس في الامور الدينية فلو لم يرخص لهم في اخذ الاجرة عليها لضاعت والمتقدمون انما كرهوا ذلك لانه كان للمعلمين والائمة ونحوهم عطايا من بيت المال فكانوا مستغنين عما لابد لهم من امر معاشهم اما اليوم وقد حرموا من عطاياهم فلا مانع من اخذهم الاجرة على ما يقومون به من عمل . فالحاصل ان للامام ان ياخذ الاجرة على الامامة كما افتى به المتاخرون قاطبة.

محمد الحطاب بو شناق

عليه من الاعمال الصالحة في العلم وفي الاقتصاد وفي الفن وبتوازن هذه العناصر وبقيمتها تكون سعيدة او غير سعيدة ولا فرق في قيمة عمل الطبيب الحاذق وقيمة عمل الفلاح الناشط وقيمة عمل العامل في المناجم بل ان عمل كل فرد هو امر لازم لنجاح عمل آخر بحيث اذا اختل عمل الواحد منهم اختلت اعمال الاخرين جميعا وتدهور مجتمعه وصاروا جميعا الى الحضيض الاسفل وكل ميسر لما خلق له وهي الحقيقة الحكمية للاستنتاج والعمل المنظم

ولا يغرنك ايها القاري الكريم ما تسمعه من العويل مما يعوز عمالنا لعدم وجود المساعدة والتنشيط لان ذلك عذر الضعيف الذي لا ارادة له والذي يطلب عيشه من الغير فيكون عالة على الناس فينتقص بلا شك من مجهود المجتمع نقصا يشمل جميع اعماله فينحط بلا ريب ويتدهور بسرعة تتناسب مع عدد المتسولين وما يستعملون من الحيل للعيش على كاهل ذوي الهمم ولو ادى ذلك بهلاك الجميع ولا اعني قط بالمتسولين اولئك الاشخاص المتشردين من خليط في العمر وفي الجنس بل اعني عنصرا آخرا اشد واكبر خطرا على المجتمع وهو الشباب المتدفق حياة وقوة والذي لا يعمل ولا يفكر الا في ارضاء شهواته والاسراف فيها فما سبب هذا الداء الذي نخر هيئاتنا ياترى فلا شك ان الشباب المتكاسل هو نسخة من ابويه الذين تعودا الركود والاتكال على الغير في حياتهما فيشيب ولدهما على ما شابا عليه والدواء هو ايقاظ همة الشباب حتى يشعر بقيمته الشخصية والاجتماعية ايضا لان التذكير واجب شرعي كما قال عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

ا. س. ح.

الادب

العنصر العقلي في الادب (٢)

بقلم الاديب الشيخ المختار الوزير

فـروع الادب

لقد بسطنا من المقدمات في فصلنا السابق ما تادى بنا الى اقرار نتيجة وثيقة متمكنة وهي ان هذا العنصر العقلي في فن الادب هو الروح الذي يعمر هياكل الشعر . ومن دون هذا يفقد الادب ميزة التاثير والالهام . وقد آن لنا من بعد ذلك ان نأخذ في تفصيل هذه النتيجة بوجه من البيان ينفي ما قد يتغشى جنبات الموضوع من الغموض والخفاء . فليس يكفي ان نقتنع بانه لا بد من ملاحظة العنصر العقلي في نقد الادب وتقديره ، بل علينا ان نستوضح مكانة هذا العنصر بالقياس الى غيره من العناصر الاخرى ، وفي هذا السبيل ارى لزاما علينا ان ناخذ في ذكر ما اشار اليه النقاد حديثا من تقسيم الادب الى هذين الفرعين ، الى ادب الثقافة والتعليم ، والى ادب العاطفة والكمال ، وان بدء الحديث على اعتبار هذا التقسيم لفن الادب ، يستدعي ان نلم بقضية طالما تحدث النقاد في تاصيلها ، فابدوا فيها واعادوا ، وافاضوا القول واطنبوا في الشروح والتفاسير ، واعانهم الذكاء فاندفعوا في المفاوضات والمحاورات ، واستلـموا تجاذب اطراف المقدمات ، وانقطعوا لتاييدها انقطاعا

ومثار هذه القضية ، البحث عن الغاية من فن الادب ، أليس لفن الادب غاية ؟ أليست الغاية من فن الادب ان يعود بالنفع والخير لصالح الانسان ؟

وقد زعمت طائفة من النقاد ان الادب شعلة يشع نورها اللموع على الفكر الانساني ، فيزداد نفاذا وادراكا ومعرفة ، ويزداد علما بالمناطق التي اقتحمها الاديب ، فمهمة الادب على هذا الاعتبار القصد الى ثقافة الانسان وانارة سبيله في الحياة ، فالادب يعالج تقرير الانظار

المختلفة ، وسرد الوقائع ، وتدوين العلم ، ذلك ليبلغ الغاية اذ يكون عون الانسانية يساعدها على استجماع اسباب رفاهة العيش ويمكن لها من الاخذ بمعاقد الحضارة، ويفيدها ذكاء باستخدام مرافق الحياة ، فاذا قصر الادب دون هذه الغاية ، ولم يكن عونا للانسانية ، ولم يؤد لها حقها عليه ، فليس خليقا ان يكون ادبا . وانما هو شيء آخر لا نفع فيه ولا غناء

ونحن نلاحظ من خلال هذا المنظر ان الادب لدى هذه الطائفة قد تقيد بالنزعة النفعية واصبح فنا يقصد منه التثقيف والتعليم ليس غير ، وهكذا ان لم يكن فن الادب يحمل رسالة تهذيبية ، ولم يكن ممهورا برأي اجتماعي ، او نصح خلقي ، او فكر فلسفي ، او ملخص تاريخي ، او غير هذا من اصل مذهب او عقيدة ملة فبعيد جدا ان يكون ادبا ، وهكذا ليس يرضى هؤلاء النفعيين ان يحتكموا لغير النفع الذي يسودوه ، ورروضوا نفوسهم على القيام بفروض طاعته والاذعان له ، فاذا تلقتهم معارض فنون الاذواق زاخرة بما فيها، لجوا في عتو مخلصين لمذهبهم هذا ، ويتجلى تقديرهم للنفع من خلال تقدهم لتلك الايات الفنية الباهرة ، فاذا هم يتساءلون ، ما ذا يقصد المصور بهذا العمل ؟ وماذا يريد الشاعر من هذا القصيد ؟ وما هذه الانغام والملاحن وعلى أي شيء تدل وما نفع ما تدل عليه ؟ ، ويتعاظم خطر النفعيين حتى ينكرون « وجود الفن للفن »

وهنالكم طائفة اخرى تدين مخلصة كذلك بما قد انكر النفعيون ، وهؤلاء يحرصون ان تبقى حرية الفن كاملة ، لا تتقيد بشيء من قيود النفع ، ويكتفون من الادب ومن سائر الفنون الاخرى ان تكون مثيرة للعاطفة ، ومثيرة الى القوى العقلية ، والوظيفة التي يؤديها فن الادب على راي هذه الطائفة ان يعبر عن الصورة التي عزلها خيال الاديب واتخذ من تركيبها الابداعي غرضا وغاية ، وعبر عنها تعبيرا ممتعا لذيذا قويا مؤثرا على كل حال، وهكذا نكون امام هذه الصور في غير حاجة الى الحكم عليها بالصدق والصحة ، او الكذب والبطلان ، وفي غير حاجة الى ان تكون فائضة بالمنافع والخبرات وصالح الانسانية ، يقول الاستاذ «أدورث» « علينا اذن ان نسمح للفني المخترع بان يلهو بموادة قليلا ، وان نتغاضى عن مزاجه الخلقي ، وان لا ننتظر منه ان ينتج قطعة فنية او غيرها من المخترعات كما يجمع الحاسب جداول الارقام » ولكي يزداد موضوع هذه القضية وضوحا ، اذكر ههنا راي تاغور فيلسوف الهند وشاعره ، فقد تناول هذه القضية في محاضرة عن الفن القاها بامريكا ، وترجمها الاستاذ يوسف حنا من منذ اعوام ، واقتبس منها لطلابه ملخصها استاذنا بالجامعة احمد الشايب ، وقد أتبع ذلك بشرح

قيم . قال تاغور . « ان اهم فارق بين الانسان والحيوان ان الثاني يرتبط بالحياة ارتباطا يقف عند حدود الضرورة . فلا يتعداها . الى الكماليات الفائضة المستجدة التي تعد من اقوى مظاهر الحرية الانسانية . فالحيوان يقنع بما يسد كفايته من الطعام والشراب . في حين ان الانسان يطمع دائما ان يتجاوز هذه الحدود . فيضاعف ارباحه ويكدس ذخائره . ويتلمس الاسباب لانواع الرفاهية . والنعيم . ويتحرر حينئذ من كل ضرورة ملحة . ويصبح سعيه في سبيل المال غاية . من الغايات . وهنا نقول السعي للسعي وكما يقال العلم للعلم والفن للفن . كذلك نجد معارف الحيوان تنتهي عند حاجته الى المسكن . والغذاء وتكييف نفسه على حسب الجو المحيط به . ولكن الانسان . يعرف اكثر مما تتطلبه ضرورات العيش وهذه الزيادة . من المعرفة هي التي تدفع الانسان الى الفخر بانها المعرفة للمعرفة . وهي التي تشعره بلذة الاطلاق والحرية وتسمح له ان يقيم عليها علومه وفلسفته . فاذا تركنا هاتين الناحيتين الحسية والعقلية . الى ناحية الوجدان . راينا ان الانسان يشترك مع الحيوان في ضرورة التعبير عن عواطف الفرح والالم. والخوف والغضب والحب . وهذا التعبير الوجداني لا يتعدى حدود المنفعة عند الحيوان. ولكنه عند الانسان يتصل بسبب قوي الى نفس الحدود النفعية . ثم يتجاوزها الى آفاق اخرى يكون التعبير فيها عن الوجدان غير مقصود به حفظ الحياة . وانما هو التعبير للتعبير او يكون الفن للفن . فالانسان له فيض من نشاط العاطفة . يزيد كثيرا عما تتطلبه حاجته الى منفعته وحفظ نفسه . وهذا الفيض العاطفي صعب على النفس كبته . فهو يحاول دائما الخروج الى لكون في شكل ما . وهذه الاشكال هي نتائج الفنون اهـ » .

ومن مراجعة اطراف هذه القضية وتفهم ما ألم به تاغور نلاحظ ان الادب قد تأدت به هذه الاعتبارات الى احقاق تقسيمه . فاصبح الادب فرعين مختلفين هذا الفرع المرتبط بحدود المنفعة . ثم ذلك الفرع الطلق البعيد عن كل اتصال باسباب النفع . فكان ادب الثقافة والتعليم . وكان كذلك ادب العاطفة والكمال .

ونغتفر لانفسنا ما كنا نتعمده من ارسال كلمة الادب في جملة ما دار لنا من حديث من دون ان نتقيد باعتبار هذا التقسيم .

ومهما يكن من شيء فقد تهيأ لنا ان نعود الى استجلاء العنصر العقلي في كل فرع من فرعي الادب . لنتعرف مكانة هذا العنصر في الفرعين على السواء .

(يتبع)

صفحة الشباب

من تأثير الرياضة البدنية في التفكير القومي

البحث عن كمالات الغير لا عن نقائصه

(بقلم الشيخ الطيب العنابي)

قرات في العدد الاخير من « المجلة الزيتونية » الغراء مقالا ممتعا تحدث فيه صديقي الفاضل الشيخ عبد الوهاب الكرارطي عن الرياضة البدنية

قرات ذلك المقال ولست ادري والله كيف ولا لماذا اثارت قراءته في نفسي حاجة غريبة ملحة تدعوني بدوري للكتابة في الرياضة البدنية وتلح علي في تلك الدعوة وتسرف وتفرط في هذا الالحاح الى حد بعيد

نعم انها لحاجة غريبة لانني كنت ولا ازال حتى اليوم ابعد الناس عن الرياضة البدنية وعن الشغف والولوع بالرياضة البدنية شغفا خاصا وولوعا ممتازا . وانا في ذلك كزميلي الشيخ عبدالوهاب الكرارطي فهو - فيما كنت اعلم - ازهد الناس ايضا في حضور المظاهرات الرياضية التي كانت تنتظم بتونس وهو لا يزال - فيما احسب - محتفظا او شبه محتفظ لنفسه في بذلك الزهد محافظا او شبه محافظ عليه

ولكن من يدري فلعلني اجد في نفسي دون ان اشعر بذلك الشعور الكامل نفس تلك الدواعي ونفس تلك العوامل التى كان يجدها الشيخ عبد الوهاب الكرارطي في نفسه قبل ان يكتب فصله عن الرياضة البدنية والتي دعت بالاخارة وبعثت به الى خوض غمار الكتابة في شيء لا يمت له هو بصلة التعارف الصناعي العلمي ؟

اي والله ! من يدري فلعلنا - وقد اصبحنا من قدماء الزيتونيين - حرمنا الرياضة البدنية ومن الاستفادة شخصيا من الرياضة البدنية ؟ ومن يدري لعلنا تألمنا جد الالم من ذلك الحرمان ؟ ومن يدري فلعلنا - وقد انضجتنا الحياة وحررتنا السن من قيود التقليد والامتثال المجرد البسيط -

شعرنا اليوم بحاجة الى رد الفعل فاحببنا الانتقام لانفسنا المهضومة المظلومة وقمنا نرغب الشباب في هذا الفن الجميل بعد ان رغبنا سابقون بكل الوسائل عنه ؟

وهنا احسب ان تلاميذي الصغار العزيزين بالمدرسة الخلدونية سوف لا يغفرون لي ابدا زلة الاطالة في هذه المقدمة، وانهم عند ما يقرؤون مقالي هذا سوف يمططون حواجبهم قليلا وسوف يقضمون شفاههم بعض القضم وسوف يرخون رؤوسهم تعجبا من هذه الاطالة واستنكارا لها واحتجاجا بها لانني طالما نهيتهم وشددت عليهم في النهي عنها

ولكن تلاميذي الصغار العزيزين سوف يصبحون - بعد قليل من الزمن او بعد كثير ان شئتم - كبارا مثلي ومثل صديقي الشيخ عبد الوهاب الكرارطي . وسوف يسمحون لانفسهم - عندما تنضجهم السن والتجربة وعند ما تحررهم السن والخبرة من قيود الكتابة المدرسية - بالاطالة في ما يكتبونه من مقدمات ان راوا فائدة في تلك الاطالة او كانت على الاقل لهم فيها لذة ولهم فيها متعة

نعم ! انه في امكان تلاميذي وتلاميذ الشيخ عبد الوهاب الكرارطي الصغار العزيزين انتظار ايام النضج والاكتمال للتحرر مما يفرضه التعليم المدرسي من قيود . ولكن ليس لهم ابدا ان يفرطوا ايام الصبا والفتوة . وما في الفتوة والصبا من قوة وغزارة واندفاع ومرونة . ليس لهؤلاء التلاميذ الصغار العزيزين ان يضيعوا هاته الايام الغوالي وان ينتظروا ايام النضج والاكتمال ليقبلوا على الرياضة البدنية ، فالرياضة البدنية واجب اكيد يتحتم عليهم اليوم قبل غد المبادرة بالقيام به وواجب اكيد واكيد جدا . وقد حدثكم صديقي الشيخ عبد الوهاب الكرارطي عن الرياضة في القديم والحديث وقد حدثكم هو وحدثكم غيره من قبله عما عسى ان ينجر لشباب الامة ، لهاته الزهرة النضرة التي نعلق عليها امالا جساما من المنافع البدنية والاخلاقية للافراد بصفتهم افرادا ، وللجماعة بصفتها كتلة ولكن معين هذه الاحاديث لن ينضب - وانك لواجد - دون جهد او عناء - من الاحاديث عن الرياضة البدنية ما شاء الله - ما من شانه ان يكشف للناس عن حقيقتها وان يعرفهم مزاياها وان يحببها ويقربها لهم تحبيبا وتقريبا

❀❀❀

وبعد فمن اجل مزايا الرياضة البدنية تقويمها للتفكير القومي فهي تلقن الامة معنى الكرامة والاعتزاز بالذاتية والاعتماد على النفس والثقة بالمستقبل والثبات في النضال ، والمثابرة في العمل وتوحيد الغاية وما الى ذلك ، وكل هاته المزايا قريبة لعقول الناس مفهومة او تكاد ، ولكن هناك ناحية اخرى من نواحي تاثير الرياضة البدنية في التفكير القومي الا وهي توجيه عنايته الى الكمالات وعدم اهتمامنا بالنقائص وبالنقائص فحسب (يتبع) الطيب العنابي

اصلاحات

الخطاء	الصواب	عدد الصحيفة	السطر
ان قولـه	ان	٣١٦	٦
مساقها	مساقه	٣١٦	٦
لاستحقاقه	يوجب استحقاقه	٣١٦	٧
في الوقاية . وبان	في الـوقايـة فشبهت بالنبي على طريقة التشبيه البليغ وبان	٣١٦	١٢
للناس فيه	للناس ما فيه	٣١٦	١٣
حياتهم فشبهت به طريقـة التشبيه البليغ باجتماع	حياتهم باجتماع	٣١٦	١٣
وجه النسبة وذلك	وجه الشبه وذلك	٣١٧	٢
وغيرة	وعبرة	٣١٧	٢
لاضرار كثيرة حين اظهرها	لا ضرار كثيرة اظهرها	٣١٧	٦
عنا وهذا اظهر	عنا .	٣١٧	٧
بالغذاء هو	بالغذاء واصل الغذاء هو	٣١٧	١٥
ان تكونه يكون في طبق	ان تكونه يحصل في طباقات	٣١٧	١٦
برد ببرودها	برد ببرودتها	٣١٧	١٩
ما اشار له	ما اشار اليه	٣١٧	٢٢
الجو برد	الجو فبرد	٣١٧	٢٥
مائعا وانما كان	ما ئعا وربما كان	٣١٧	٢٥
هذا اشير	هذا يشير	٣١٨	٤
البرودة في لقاح	البردوة هي لقاح	٣١٨	٦
أتت الفاء على	اتت الفاء لترتيب هذه الجملة على	٣١٨	٩
السابق وهو	السابق وتسببه	٣١٨	٩
من ندا	من ند	٣١٨	١٦
ان لاشريك	الاشريك	٣١٩	٢١

مدير المجلة : محمد الشاذلي بن القاضي

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

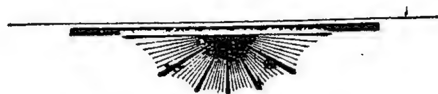
تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

المدير محمد الشاذلي بن القاضي

عدد ممتاز

خاص

بجامع الزيتونة



ثمن العدد فرنكات ٢٥

مطبعة الارادة ـ تونس

عدد ٢ - ٣

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزآن ٢ و ٣	تونس في شعبان ورمضان ١٣٦٤ وفي جويلية واوت ١٩٤٥	المجلد السادس

ازدهار الزيتونة

شجرة مباركة ، تعهدتها الرعاية الالهية ،وشملتها النفحات النبوية ، هذه الزيتونة التي اخضرت ، واينعت واورقت وامتد ظلها الظليل الوارف فآوت اليه امم تبرد حرق الاماني وتروح على حرور الآمال

فاذا هي تجد في اغصانها المتهدلة جمالا كانت تتصوره في الاحلام وتدرك في ظلها نعمة كانت تهتف بها الالسن وتهيم بها القلوب فتتعلق بزيتونتها تعلق حب صادق وتقف دونها في وجه كل طارق

تلك هي القوافل من بني العلم التي اجتازت ازمات المحنة العالمية الكبرى سنة ١٣٦١ فخرجت من اضطراباتها متماسكة سالمة وخلت بنفسها في هداة الهواجر الصيفية تعاود قوتها بعد الكد وتجدد نشاطها بعد الكلال

ثم راجعت ميدان العمل على بواكر المنعشات الخريفية يحفزها الشعور اليقظ وتحدو بها الهمم الوثابة فبادرت الى هيكلها المقدس تمتن اساسه وتحمي حماه وتؤلف بين رجاله صفوفا تسعى بالحق وجماعات تؤدي الواجب فلم تخرج من مرحلة ذلك الفصل الدراسي الا وقد توجت رؤوسها باكاليل الفخر وحملت بايمانها اعلام النصر

ورجعت بها العطلة الصيفية الى هدأة الهواجر فاقبلت تحاسب نفسها على ماقطعت بها العزائم

من اشواط وما صعدت بها الهمم من مراق وقلبت البصر حواليها فاذا العيون النابهة ترمقها بلحظات الاكبار وإذا على حافتي الطريق احداث رمى بهما الطبع الفاتر والعزم الخائر حتى انتبهت على وقع خطى الثبات ونهضت تمشي مع القافلة تستمد الحزم وتجدد العزم

فكان اهتمام العيون الناظرة وانتعاش النفوس الفاترة قد ولد في القافلة نخوة دفعت بها الى مفتتح العام الدراسي الراحل بهمة سامية وعزيمة مترامية كان من آثارها ذلك الحدث المشهود في تاريخنا الزيتوني الحديث : احدث انعقاد اجتماع المدرسين

فهنالك في جو الثقة والاخلاص والشعور بالمصالح العليا تظافرت الجهود على تسيير سبل الوصول لتلك العزائم المختلجة فانكرت الذات وذابت الانانية واطرحت السخافة ومات الحقد وتقاربت الانظار حين تقابلت في طريق غايتها الفوز باماني النفوس الطامحة

وتباشرت الاوساط : بان الهياة الزيتونية ، تتمخض عن الخير ، وستلد الحق

واقبلت الحكومة التونسية ، بداعي الرشد والسداد ، على هذا المظهر من الحياة ، فرانه جديرا بان يعطيها ما ينظم الجهاز الرابط بينها وبين الجامعة الزيتونية ، فجاذبت الحياة الزيتونية نحو هذه الناحية من الانتاج ، ودعت الى عقد دروة جلسات لمجلس الاصلاح ، كان العهد على مثلها قد طال ، من ثمان سنين ونطقت مجامع مجلس الاصلاح بما نطقت به جلسات المؤتمر ، من ان العزيمة قد رسخت ، والفكرة قد اختمرت ، والزمان قد استدار ، وان الظروف التي كانت تسمح لافذاذ الرجال ، بالابتعاد عن محيط العمل ، قد انقلبت ، وان نزول الشخصية ، المشار اليها بهذا الصدد ، الى الميدان ، قد اصبح امرا حتما لا مناص منه

ووجد الاستاذ الامام ، محمد الطاهر ابن عاشور ، نفسه امام هذا الواجب ، الذي وجهته نحو فضيلته الارادة الملكية السنية ، عن اجماع اهل الدولة ورجال العلم ، فلم يسعه الا ان يهجر كتبه واوراقه ، وينزل الى المحيط الاجتماعي ، فتلقي اليه الهياة بقيادتها ، عن نفوس مقتنعة بانه ابن بجدتها وتلتف حوله عواطف التاييد وحسن الثقة ، مختلفة المصادر ، متباعدة الاوساط

وابتدا حفظه الله يتقدم بقافلته الناهضة ، في طريق الجد ومنهج الرشد ، فلا يخطو خطوة الا والقلوب من ورائه تزداد به تعلقا ، وفي سيره ثقة ، والناظرون حواليه يدخلون غمار القافلة وينصبون في سيلها ، حتى انقضى الموسم الدراسي موسما تاريخيا بما ملاه من احداث ، قدرها حق قدرها الخاص والعام

فكان من دواعي الفخر لمجلتنا وهي قلب الزيتونة النابض ، ان تصدر هذا العدد الممتاز ، في ختام الموسم التاريخي ، سجلا لما ملك الحياة الزيتونية من تأثر ، وانعش النفوس فيها من مفاخر .

خطاب صاحب السماحة والفضيلة

الاستاذ الاكبر المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ الجامع الاعظم وفروعه

بمناسبة الحفل البهيج باختتام السنة الدراسية بالجامع المعمور

الى الله ارفع اطيب المحامد واعلاها . على ان رفع قيمة العلم وأغلاها ، وما منح اهله من النعم واولاها . والى رسوله محمد اتوجه بافضل الصلوات واملاها ، المرسل بشريعة مر عليها الدهر فما ابلاها ، وزادها مر الليالي جدة فاوضحها واجلاها ' وآله وصحبه وكل من اقتدى بتلك الفئة وتلاها ، وانقذ الامة من كل ما غرها ودلاها

فضيلة العلم وحظ الامة التونسية منه

اما بعد فان ما تقرر عند العقلاء من فضيلة العلم ونباهة محله ' والشرف الباذخ لحملته واهله ' يغني عن الاطناب في ابلاغه فقد وعاه السامعون ، وحسبنا آية «وما يعقلها الا العالمون »

وان اشرف الاشياء يقتضي صرف الاهتمام اليها ودوام العناية بحفظها ونمائها فلذلك كان من سعادة الامم ان تنصرف عناية قادتها وكبرائها الى البحث عن وسائل ترقية العلوم وتهذيب اساليب التعليم وتوفير عدد المتعلمين والترغيب في الاقبال على طلب العلم

ولم تزل همم ذوي الكمال منصرفة الى تيسير سبيله ، واذاقة الظامىء اليه صافي سلسبيله بشتى وسائل التيسير من تقريب المسائل وتوفير الاوقات واراحة البال من المشوشات ونقض السدود الحائلة دون السير في ذلك السبيل وتربية الشراهة على التحصيل

وبمقدار اعتناء الامة بالتدبر والتفكر في هذه الوسائل وتقريبها لابنائها يتوسم المتوسمون منها تأهلها للارتقاء وتشام غيوث من يرق عزمها اذا لاح متألقا

ولم يكن حظ الامة التونسية في هذا المضمار من بين الامم حظا منقوصا فقد سايرت في ذلك تطور العصور تمهيدا واكمالا ' ونشطت في احوال اورثت تكاسلا او اقبالا

فمعهدها هذا الجليل باصله وفروعه ومدارسه المبثوثة في الحاضرة والايالة قد كان ميدانا

لهذا السباق ، وقديما جرت فيه جيادة جري انتظام واتساق . فطلعت في افقه شموس واهلة . وفي شواهد التاريخ الاسلامي على ذلك كثير من الادلة ، اذ لم يزل ماوى تـارز اليه علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية فكان وجهة الاولين لحفظ قوانين الشريعة اصولا واحكاما . وغذاء حياة العربية كتابة وكلاما ، من اجل ذلك كان النصح لهذا المعهد حقـا على كل مسلم لانه يجمع مواضع النصيحة التي تضمنها قول النبيء صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة لله ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم »

النصح للزيتونة هو النصح لمتعلميهـا

وملاك النصح له هو النصح لمتعلميه لان المتعلم هو القطب الذي تدور حوله حركة التعليم والنصح له هو جامع غايات النظم التعليمية وان نصح المتعلمين يجمع في تزويد افهامهم من العلم الصحيح وذلك هو المقدار العلمي الذي يجد العالم به سهولة العمل بمعلوماته كلما دعته حاجة الى العمل بها في تفكير نفساني او في معاملة مع الناس او في تحرير خطـاب او شغل او تدبـير مهم او فهم دقائق العلماء فالنصح للطلبة يحصل بالاستكثار من هذا النوع في تعليمهم بحسب اختلاف مراتبه لكي يشبوا على ذلك ويتدرجوا فيه

كيف كانت العلوم بالزيتونة وكيف يجب ان تكون

فعلينا ان يكون طلبة العلم في المعهد الزيتوني علماء بالاصول الاسلامية والمعاملات الفقهية التشريعية والاداب الدينـية والاخلاق القويمة وعلوم واداب اللغة العربية وما يتحصل بذلك من تاريخ الامة وتاريخ احوال وضعيتها بين الامم المعاصرة لها في سائر عصورها وتاريخ رجالها وسيرهم

ولم يخل هذا المعهد في اي العصور من علوم تكمل مدارك خريجيه تكميلا يؤهلهم لمسايرة احوال مجتمعهم ونحن اليوم في عصر صار فيه المجتمع الانساني بمنزلة ما كان مجتمع القطر الخاص وتغلغلت حاجات الامم ومصالحها بعضها في بعض فاصبح تقارب الثقافة بينهم ضربة لازب وصار ما كان يعد تكملة موضوعا الان في عـداد الواجب . فلذلك كله لم يغن التلميذ الزيتوني عن ان يضرب معامم عصره بسهم صائب ، وذلك يلزمه لا محالة الى ان يصعد في جو الثقافة الزمنية الى مرتقى لا يقعد به عن مجاراة ارقى الامم احاطة بدلائل الحيـاة السعيدة ولم يغن عن الاخذ بالنصيب الكامل مما يتناوله امثاله من علوم التبصر فلا يعدم بصارة باحوال العـالم تبصر خريجي المعاهد الراقية ، وبرامج ذلك توضع على وفق المناسبة للمراتب التي يختار التلميذ الانتهـاء اليها على وجه تحصل به التكملة ولا يضاع معه الاصل

ضبط البرامج

وقد وصلنا الى غاية تحديد الدرجات للشهادات فعلينا ان نكللها بضبط البرامج الملائمة لها وعلى هذا الاتجاه ستتوجه مناهج التعليم التي توضع للعام المقبل بمعونة الله تعالى وهذا لا محالة يستدعي ضبط المواد والابواب والتآليف المقروءة والساعات المعينة لذلك وكفاءة من يوكل اليهم رعي ذلك من مدرسين وقيمين

وهذا الضبط هو المعبر عنه بالاسلوب القويم ومرجعه الى التفكير في توفير المعلومات وقلة الاوقات وراحة الاذهان والدربة على العمل بالمعلومات فان فائدة العلم العمل ولعلنا ان نبلغ املا من تقريب ثقافة نشاتنا وتعديل مستواها العقلي

عناية ملوك تونس بالعلم

وقد كان الملوك الصالحون في عصور الاسلام دائبين على بذل العناية والتاييد لجانب التعليم الاسلامي وكان من سعادة هذا القطر ان لم تزل عناية امرائه تسابق همم العامة في اخلاص النصيحة لهذا الجانب وبذل الجهد في ترقيته الى اعلى المراتب

فكان ملوك البيت الحسيني الرفيع العماد سائرين على منهج توفيق وسداد، فيما حاطوا به العلم واهله من العناية، وشملوا به ربوعه من التعهد والرعاية، بما سجلته صحائف التاريخ للملوك المقدسين . ثم بما يبدو اليوم من ضماير الخير على يد وارث سرهم ومظهر فخرهم ملكنا المعظم سيدنا محمد الامين ، فلم يزل منذ ابتداء ملكه السعيد يظهر للهيئة العلمية الزيتونية وده وانعطافه ويذب عنها في دفع كل ملمة ومخافة وقد جرى هذا المعهد في مدته شوطا بعيدا ولم تزل الهمم العلية ترجو له من ذلك مزيدا

شكر لامة التونسية

فما تزال عموم الاوساط الاسلامية تبدي لنا من المعاضدة والتاييد، ما بعث الامل الى مدى بعيد ، وبشر بالفوز في عملنا بخير مزيد ، واوجب علي ان اصرح في هذا الجمع الجليل على لسان الزيتونيين بفائق الشكر وعظيم الامتنان لعموم الامة التونسية وبخاصة لقادتها ومثقفيها وصحافتها وجمعياتها على ما وجهوه للهيئة العلمية في شخصي من مظاهر الثقة والاعتبار فكان هذا الجو المستنير المختص بمعهدنا المقدس دافعا على مواصلة الجهد في ابلاغه نحو الغايات السامية التي يرجوها له الجميع

شكر الطلبة الزيتونيين

وهذا العام الدراسي الذي نطوي اليوم بساطه قد كان عام عزم وجهود وطموح وانكباب على البحث في حل المشاكل والعقد التي تعترض العاملين في سبيل الاصلاح الزيتوني ، ومع ذلك فقد مر على التلامذة مرورا مرا اذ كان حلوله عقب عضوض ناب الحرب فوردوا لطلب العلم وقد قلت الازواد ورقت الثياب ولكنهم تجلدوا على ذلك وصابروا فكنت تراهم صفر الوجوه ولكنك لمقاهم ايقاظ القلوب حديدي البصائر مؤمنين بمصيرهم السعيد في الحياتين فهم جديرون منا بالثناء والشكر واحقاء لو خارت عزائمهم بالعذر آملين منهم ان يتلقوا العام القابل بمظاهر الفتوة فيحي من عزائمهم ما ياخذ الكتاب بقوة

اصلاح مدارس الطلبة

وانا لا اهمل تقدير سيرتهم نحونا حق قدرها من خطة التعقل والرصانة والطاعة للمقررات والتفهم للصالح العلمي مما دلني على انهم قد استودعوني ثقتهم باني ابذل الوسع فيما يؤول الى سعاد مستقبلهم جاعلا في مقدمة ذلك النظر في مدارس سكناهم وهي مشكلة عظيمة في حياة الطلبة من جهة قلتها وضعف مرافقها وحسب السامع ان يعلم ان اكثر من نصف عدد التلاميذ يلاقون عناء قاسيا من ذلك وايضا فان نظام المدارس مرتبط بنظام التلامذة في قرن اذ لا يستطاع ضبط احوال التلامذة وصونهم وتوفير راحة بالهم في مدة الطلب الا بابلاغ نظام المدارس الغاية التي تقتضيها امثالها وذلك يتوقف على اصلاح الموجود وايجاد المفقود

وقد سددنا الجانب الاول بايجاد دائرة خاصة تابعة للمشيخة تختص بالنظر في تنظيم شؤون المدارس واما الجانب الثاني فاري حقا على الامة ان تجعل للاعتماد على نفسها الحظ الاوفر في اقامة مصالح نشاتها لذلك بادرنا بتوجيه الدعوة لنخبة من افاضل الامة فكونوا لهذا الغرض المهم جمعية تم تشكيلها القانوني تحت رئاسة فضيلة شيخ الاسلام المالكي الذي كان من قبل باذر نواتها وستبتدىء هذه الجمعية انجاز برنامجها الرامي الى ايجاد بناية ضخمة تاوي اكثرية من التلامذة في نظام محكم

وقد سبق للتهمم بهذه المهمة سابقون سبق الجياد فعرض علي احد الافاضل من اهل السخاء انه اعد مليون فرنك لبناء مدرسة على النظام الكامل (ورغب ان يكتم اسمه) كما فاتحني

الفاضل الخير السيد علي الديماسي انه قد اقتنى منزلا ضخما لجعله مدرسة تامة المرافق وهو بصدد تصميم مثال لاقامته، وفاتحني الفاضل الغيور السيد المختار الصالحي باستعداده لانشاء مدرسة كاملة

العناية بالفروع الزيتونية

وبعد فان اصلاح التعليم بالجامع مرتبط اشد الارتباط بالعناية بالفروع الزيتونية بالمدن الخمس من المملكة وقد تبين لي من مشاهدة معظمها ومن المراجعة والدراسة للاوراق المتبادلة بيننا وبين من لهم النظر في سيرها ما فتح عين الامل بان تصير في مستقبل قريب منابع علم تمد البحر الاعظم بحر جامع الزيتونة بما يزيد فيضه ويرفع مقياسه واخص بالثناء فرع صفاقس الذي اصبح برنامج المرتبة الاخيرة من التعليم فيه تاما واعد من تلامذته في هذه السنة زهاء الخمسين لاقتحام امتحان شهادة الاهلية

العناية بالتعليم الابتدائي

ووراء هذه العناية بالفروع تتوجه العناية الى التعليم الابتدائي الذي يحضر فيه التلامذة لولوج الفروع الزيتونية فان ذلك عقدة عسيرة وهي تفاوت احوال التلامذة الذين يزجون بانفسهم في الوسط التعليمي باعتبار مقادير ما هيأوه من التعليم الابتدائي اذ يوجد بينهم بون بعيد في مراتب التاهل فمنهم المحضرون من المدارس القرءانية ومنهم الوافدون من المدارس الرسمية ومنهم من زاول التعليم في الكتاتيب او الزوايا ومنهم من لم يسبق له من التعليم الا حظ زهيد ثم يحشر هؤلاء كلهم في صعيد الى السنة الاولى من المرتبة الاخيرة الزيتونية فيصير ذلك التفاوت مثار مشقة للذين يجرون اختيارهم ، ثم لمدرسيهم ولرفقائهم في الدروس ثم للجان الاختبار للتنقل في السنوات وقد دلتنا الشواهد ان المدارس القرءانية هي افضل مهيء للتعليم الزيتوني وامداده بالتلامذة الاكفاء وسنعد لهذه العقدة علاج حلها في مفتتح السنة الدراسية بمعونة الله تعالى

دعوة ابوية لشيوخ التدريس

وانا حين اعرض هذا البرنامج الذي اراه خير كفيل لتحقيق ءامالنا في الاصلاح يخامرني اليقين باني واجد من ابنائي السادة شيوخ التدريس ما اعرف منهم من تسهيل سبيل هذا المهم بما يبذلون في اعانتنا من سامي الهمم لما ابدوه من التفاف حول المشيخة ومعونة على مقرراتها ومصارحتهم بما يتوسمون منه صلاحا للعلم وذويه ولقيامهم بالمهام العلمية التي تسند اليهم بفرط رغبة وعمل بعزيمة

وقد ظهرت ءاثار المرامي الصائبة والعزائم المتينة في جميع اركان الجهاز التعليمي واضحة للمبصرين وستكون بالغة اسماع الواعين فاشكرهم على ما قاموا به من بث العلوم فكدوا اذهانهم وضايقوا وقاتهم ليجتنوا لابنائهم جنى شاقيا ويسيغوهم من مستنبطات أفهامهم نميرا صافيا

واخص بالشكر والثناء جناب السادة العلماء رؤساء لجان الامتحان والسادة المشائخ اعضاءها على ما اتوه من الحزم والاعمال في مدة قد اندرج معظمها هذا العام في زمن الراحة الصيفية

فاليكم ايها الأساتذة الكرام اوجه دعوتي للازدياد من التكاتف للنهوض بما يحق لهذا المعهد المقدس الذي فيه ربت عقولنا وقويت سواعد اعمالنا وانفتحت لنا منه حقائق الاشياء فلنزدد من الانتطاق لخدمته وصرف الهمة لايصال ابنائكم الروحيين الى المستوى الذي ترضونه لهم فتعملوا في ذلك عمل من طب لمن حب

النتيجة بعد اطراد العناية

وقد كانت نتيجة الامتحانات وما اسفرت عنه من النجاح والتفوق مع ما جرت عليه من الضبط والتدقيق خير دليل على اطراد عناية الشيوخ بالدرس واقبال الطلبة على التحصيل فلقد شارك في امتحان شهادة العالمية في القسم الشرعي ستة وثلاثون فاز منهم بشهادة العالمية ثمانية وعشرون منهم واحد بملاحظة احسن . واحد عشر بملاحظة حسن . وشارك في امتحان العالمية في القسم الادبي واحد وثلاثون فاز منهم واحد وعشرون بالشهادة منهم ثلاثة عشر بملاحظة حسن وقسم القراءات كانت نسبة النجاح فيه تامة اذ شارك في امتحان العالمية فيه اربعة نال اربعتهم الشهادة وكان ثلاثة منهم بملاحظة حسن

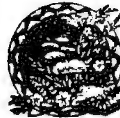
اما امتحان شهادة التحصيل فقد كانت نسبة النجاح فيه وسطا في قسم العلوم اذ شارك فيه ثلاثمائة حصل الشهادة منهم مائة وثلاثون منهم اثنان بملاحظة احسن وثمانية واربعون بملاحظة حسن ولكن من الاسف ان كان مظهر الاقبال على علم القراءات فيه ضعيفا اذ لم يشارك في امتحان شهادة التحصيل للقراءات الا تلميذان حصل كلاهما على تلك الشهادة وكان واحد منهما بملاحظة حسن

اما شهادة الاهلية فقد اجتاز الامتحان لها ثلاثمائة وخمسة حصل مائة وسبعة واربعون منهم على الشهادة وكان ثمانية من المحصلين بملاحظة احسن وتسعة وستون بملاحظة حسن

الحمد لله .. لنحمد الله ..

فالحمد لله على ان ختم هذا العام بمظهر العناية المختلفة المصادر فهذه حكومتنا التونسية قد تمثلت عنايتها في هذا الاحتفال واضحة جلية بحضور جناب اصحاب المعالي الوزراء الفخام لا زالوا مظهر الرفعة والكمال ومصدرا لجلائل الاعمال ولا برحوا للسدة العلية انجادا ولمساعيها الصالحة اعضادا وهذه الهيئة الشرعية الجليلة قد شرفت المقام برجالها الجهابذة الاعلام وفي مقدمتهم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي ابقى الله بركتهم للانام وفيهم صاحب الفضيلة شيخ الجامع الاسبق الذي شدت يبنى وبينه اواصر العمل في صالح العلم في اطوار جمة كان في جميعها مظهر الاعمال المهمة

وهذه نخبة من رجال العدلية التونسية الموقرة ومن علية الموظفين وخلاصة المثقفين ورجال العمل المخلصين قد التفوا حولنا في هذا الموكب التفافا يمثل الالتفاف القلبي في مظهر التفاف جسدي فليحمد الزيتونيون فضل الله عليهم على ان عمر بهم هذا البيت وجعل افئدة من الناس تهوي اليهم .



الحركة العلمية بجامع الزيتونة

نريد في هذا العدد ان نسجل الحركة العلمية المباركة في جامع الزيتونة في هذا العام التي قام بها شيوخ المعهد وتلامذته وما لها علاقة به ونحن بذلك نقوم بواجب نحو معهدنا العظيم ورجاله العاملين

مؤتمر المدرسين

في باكورة هذا العام الدراسي اقام المشائخ المدرسون مؤتمرا تباحثوا فيه عن ترقية مناهج التعليم وما يحتاجه المعهد من اصلاح

وقد نشرنا في الجزء الثامن من المجلد الخامس كيفية تكوين المؤتمر وتقسيم لجانه واعضائها والاغراض التي سيبحث فيها المؤتمر ووعدنا القراء بنشر ما تم من اعمال المؤتمر وذلك ما نريد بيانه في هذا الجزء

لقد والت لجان المؤتمر اجتماعاتها في القاعات التي اعدت لذلك حتى اتمت اعمالها وكل لجنة تتمم تقريرها تعلم بذلك اللجنة التنفيذية فتعين هذه موعد الجلسة العامة ليعرض فيها مقرر اللجنة تقريره وبعد المناقشة فيه تقع المصادقة عليه

وكانت الجلسات العامة للعرض والمناقشة تقع بقاعة الخلدونية الكبرى اولا ثم في ادارة المجلة الزيتونية وكان اول تقرير عرض للمناقشة تقرير لجنة الثقافة من مقررها الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور وآخر تقرير عرض تقرير لجنة العلوم الشرعية والارشاد من مقررها الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي

وقد اجتمعت اللجنة التنفيذية الدائمة للمؤتمر في ادارة المجلة الزيتونية وانتخبت مكتبها على الصورة التالية :

محمد الشاذلي ابن القاضي رئيس اللجنة محمد الصالح النيفر كاتبا عاما محمد الفاضل ابن عاشور الطيب التليلي محمد بن نية اعضاء

واجتمع المقررون في لجان المؤتمر لانتخاب مقرر عام حسب القانون الاساسي للمؤتمر فانتخبوا الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور مقررا عاما ثم سلمت تقارير اللجان العشر الى المقرر العام ليحرر التقرير العام المتضمن لمقترحات لجان المؤتمر ليعرض على المصادقة

وبعد ذلك تشرفت اللجنة التنفيذية بمقابلة سماحة شيخ الجامع الاستاذ الامام الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور واطلعته على انتهاء اعمال اللجان وطلبت من سماحته ان يكون المؤتمر تحت رئاسته الشرفية فقبل ذلك رعاه الله .

الادب

يا لهـا ءايـة

القصيدة العصماء التي القاها حضرة الشاعر الكبير الاستاذ الطاهر القصار بحفل ختم الامتحانات بالمعهد الزيتوني العامر ننبتها الى حضرات القراء فيما يلي

كن بصيرا فانما العلم ءايه   كشفت للعقول عن كل غايه
سطعت عصمة وفاضت رشادا   وبدت رحمة وشمت هدايه
وجرت تقطع الزمان توحي   لبني الارض بالحجا والدرايه
حفظ اللوح سرها لبني ءا   دم صونا لملكهم ووقايه
يا لها ءاية بها كرم الطيـ   ـن فكان السجود رمز العناية
شرفت طينة الورى بحصاة الـ   ـعقل حفظا من الاذى وحمايه
فانبرت السن العقول لنشر الـ   ـعلم تتلو على البصائر ءايه
فاذا بالقوى يسخرها الانـ   ـسان تسعى بعزمة وعنايه
واذا بالجماد يطوي بساط الر   ريح يجري لمستقر وغايه
واذا بالمنى ظباء فلاة   ما عليهن من يد او ولايه
تتراءى للصائدين ولكن   اين منها من لا يجيد الرمايه ؟
وهواة المنى لدينا كثير   انما القصدون دون الكفايه
ليس انكى من الجهالة والفقـ   ـي . وجهل الشباب شر نكايه
واذا الشعب سامه الجهل سوء   سلب الملك واستحق الزرايه
وتصدت لكبده البيض والسمـ   ـر تثير الشقا وتذكي الاذايه
وهوى صرعه للنبع هشيما   تنفخ النار فيه رقط السعايه

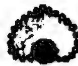
وإذا العلم ندعن كرم الاخـ ـلاق اضحى على الحياة جنايه
سائلوا الارض ما لتلك العوالي نال منها العفـا فباتت نفايه
وسلوا زينة الحضارة عمـا قد دهى كل معقل وبنايه
ففساد الاخلاق افسد ما في الا رض واستباقها لشر نهايه
يا رعاة الشباب بقادة الزيـ ـتونة استعصموا بحبل الهدايه
وانهضوا نهضة الضراغم للاخـ ـلاق واستاصلوا جذور الغوايه
وابعثوا في الشباب روح المعالي وانقذوا بالنهى لاشرف غايه
وادفعوا غارة الزمان بما في الـ ـعزم من قوة وفرط عنايه
واجعلوا امركم لمفخرة الخضـ ـراء تاج النهى وقطب الدرايه
فحجا الطاهر ابن عاشور قد وسنـا رايه المسدد ءايـه
ترشد المدلج المجد وتذكي همم النشىء بالهدى والرعايه
فاذا كان فيكم يابني العلـ ـم ذما من عروبة او نفايه
اجمعوا امركم ومدوا بايديـ ـكم الى المجد . تلقفوا خير رايه

فلا تعدلوا عن سنة الرشد

نص القصيدة التي القاها حضرة الاديب الاستاذ محمد الشاذلي النيفر المدرس بالجامع الاعظم عمره الله بحفل جمعية الزيتونيين

لقد ارج التاريخ ذكر محمد وشعشع نور البارق المتوقد
وقد عبقت للحق اضوع نفحة وجاء رسول الله اعظم مرشد
لان تسالوا الايام عن يوم مجدها لافصح تبيان الزمان بمولد
فذكر رسول الله تاج مرصع وواسطة العقد الثمين المنضد
اقيموا على العلياء امة احمد وجاروا على الاقدام في كل مشهد
عسى هبة الاسلام ترجع كرة وتذهب بالعيش الشديد المنكد
انيطوا علاكم بالنجوم فاننا نؤسس مجدا بالثناء المشيد

اعدوا لعصر العلم اكبر نهضة   وسيروا حثيثا واستعدوا الى غد
ايا امة الاسلام هذا كتابكم   يحرضكم جهرا لنيل التسود
فلا تعدلوا عن سنة الرشد اننا   بهديك يا خير البرية نهتدي
فللحق مسعانا وللرشد امرنا   فعسى خطانا للرييح المسدد
لاعزاز دين الله اكبر قصدنا   فلن تلهى بالهني المرغد
اعيدوا لنا مجد العروبة ثانيا   لنحي عصر العرب عصر التجدد
اولئك ابناء احن لمجدهم   اغني به شعرا/اروح واغتدي
فلا استسيغ الدهر غير لساننا   « وصعب على الانسان ما لم يعوده »
لسان كتاب الله افصح منطقا   ليسال حقا بالضمير وباليد
ركدنا طويلا فلتر اليوم هبة   ونهضة صدق قد انيطت بفرقد
الا فارفعوا للناس راية مجدكم   وسدوا بترب الذل فوه المفند
ايا علماء الدين ان وراءنا   من السعي ما لا ينقضي بتعدد
اذا مادلهم الامر كانت عقولكم   رشادا ونورا عندها خير مسعد
فلا تجعلوا سير الزمان بغيركم   وكونوا لاحداث الزمان بمرصد
ولا ترهبوا دهرا قسيا وسعيكم   لاعزاز دين الحق دين محمد
اذا ما رغبنا عن رشاد لجاهل   فلسنا وايم الحق اهلا لسؤدد
اذا ما رغبنا عن طلاب لمغنم   اضعنا وايم الحق اعظم مقصد
تراث رسول الله هدى وحكمة   وارشاد ملهوف لاعذب مورد
اقام نبي الله يدعو لملة   ويسلك منهاج الرشاد بمهتد
نروم حياة لا تعن لقاعد   ونرغب عصر العلم عصر التزود
الى العيش عيش العز سيروا بهمة   فلسنا باذناب ولسنا باعبد



بان امر الاله يـــا قوم فينـــا ...

للشاعر الفحل الاديب الشيخ الطاهر القصار

قيلت لمناسبة احتفال زيتوني في ربيع ٢ عام ١٣٦٤

لم اقف بينكم لاطري واجزي — او أرى ساحبا حريرا وخزا

او لأرقى اريكة الشعر فضلا — من دعـاة لقوا الدعـاية كنزا

انمـا موقفي لوحي شعـوري — كلما حرك الفؤاد استفزا

لم ادنس كرامة الشعر بالزو — ر لاحتل من ذوي الحظ حرزا

او لتجري موارد الرزق حولي — او لتلقى بساحة الوصل همزا

طـمع المرء في سوى الله عجز — وامتنان الفتى على الحر اخزى

عرف الشعر للنهوض امـاما — يكسب الامة الطـموحة عزا

فـاذا بي اراه منحرف الخطـ — و سقيم البنـاء لفظـا ومغزى

قصم العروة الوثيقة بـاضـا — د فاضحى لمنطق العجم يعزى

وانتأى عن حمى العروبة حتى — اخذته الصروف . والفر يغزى

فـاذا بالجمان يرتد خزرا — واذا بـالبيان يبرز لـغزا

واذا بـالنظـام يختـل حتى — يصبح البيدق المعـطل فرزا

واذا بـالالهى تحـمل سمع النـ — ـاس وقرا وتمطر النوق وخزا

ما لتـلك الخطى تمشر في معـ — زاء هذا الوجود جهلا وعجزا

عمي الناس ام نسوا خطط النسـ — ـر فشط المرام عنـهم وعزا ؟

ام عفا ملكهم فقلو فهـانوا — فاصاب الزمـان منهم فحزا

فـاذا هم كالطير يذ.دعه الذبـ — ـح فيقضي الحياة رقصا وقفزا

واذا الغي حـل بـ المرء اضحى — ذنبـا في الوجود يثمى ويجزى

وهل الشعر غير دين قويم — ولسانا يكسو المواقف عزا

وخلال يبين عن كرم النفـ — ـس وعلم ينيل فخرا وفوزا

بان امر الاله يا قوم فينا ويخلفنا فعزنا الخلف حزا
وقضنا عرى الشريعة حتى حكم الله بالعذاب فاخزى
ودهت سوأة الزمان حمانا فبدا اضعف المواطن حرزا
وخفرنا من العروبة عهدا كان للمجد والسيادة رمزا
ولوينا الكلام عن منهج الضا د فتاه اللسان لحنا وعجزا
وغدا النثر اذ تمضربت الاذ واق خلطا واصبح الشعر مزا

هذه الحال وللمؤاخذ عنها من اذا اخلص القالة اجزى
وسكوت الهداة عن مثل هذا وبقى يبدل السعادة رجزا
فدعوا سارق الرغيف طليقا وخلوا العالم الخؤون ليجزى
وامسكوا شاعر المتوبة حتى يصبح الشاعر الابي الاهزا
ينفذ القول للمطاعن سهما ويهز النفوس للخير هزا
ويزد القريض عن سفه المد ح وزور الرثى الى تخبى مغزى
اين اهل الحجا واين ألوا القو ل أنصفي لهم بذا اليوم ركزا ؟
ء اهو الذي ءاخذ بتلابيـ ـب النهي والضلال يشتد غمزا
فاذا بعضنا لبعض عدو واذا شملنا فلول واجزا
اولم نشترع من القطب والغو ث اباطيل سامت الدين لمزا ؟
اولم نتبع طريق الزوايا والزوايا لها الابالس تعزى ؟
قدس الله ذو الجلال فقد ابـ ـدى لنا الدين واحد لا يجزى
فلنذد عن كرامة الدين والضا د عسى الله يبدل الذل عزا
وبحسبي رضى الضمير فاني لم اتف بينكم لاطرى واجزى

الطاهر القصار



بين جميل مردم وزيتوني قديم

رتيمة

او

(الغزل الوطني)

لما سمع فضيلة الاستاذ الجليل السيد خليل مردم بك بازماع العلامة السيد محمد الخضر حسين على الارتحال عن دمشق الشام ، كتب اليه ما يلي :

ان من خير ما اثبته في سجل حياتي ، واشكر به الدهر عليه معرفتي الى الاستاذ الجليل السيد محمد الخضر التونسي واخوانه الفضلاء وصحبتي لهم فقد صحبت الاستاذ سنين عدة رايته بها الانسان الكامل الذي لا تغيره الاحداث والطوارىء ، فما زلت اغبط نفسي على ظفرها بهذا الكنز الثمين ، حتى فاجاني خبر رحلته عن هذه الديار ، فتراءت لي حقيقة المثل « بقدر سرور التواصل . تكون حسرة التفاصل »

فلم يعد لي الا الرجاء بان يكون لي نصيب من الذكر في قلبه وحظ من الخطور على باله لذلك فانا اتقدم اليه بهذه القصيدة لتكون (رتيمة) لي عنده وذكرى احد المخلصين اليه ، امتع الله به ، وادام له الكرامة وكتب له السلامة في حله وترحاله :

ـ الغزل الوطني ـ

طيف للمياء ما ينفك يبعث لي ... في آخر الليل ان هومت اشجانا

يغري الدموع باجفاني مسهدة ... من حيث يوري على الاحشاء نيرانا

فلو تراني وامر الليل مجتمع ... مشتت الراي اثر الطيف حيرانا

حسبتني طفلا قد ضل واحدها ... عنها فطبقت الآفاق تحنانا

قد كان صبري وفيا ان فزعت له ... عند الشدائد لكن في الهوى خانا

فما انتفاعي به ان عز نائله ... عند التي كل شيء دونها هانا

يا أنة عند ادبار النجوم حدت ... من المدامع ثجاجا وهتانا

مرت على سمع لمياء تشفع لي ... ولو تمر على قاسي الصفا لانا

أكاد اقضي جوى والدار جامعة ... فكيف حالي اذا وقت النوى حانا

وليلة من ليالي الوصل صالحة … دفت ضمائرنا فيها ونجوانا

بتنا على السفح والظلماء ضاربة … على التلاع اطانيبا واركانا

لولا بريق الثنايا ما اهتديت الى … موارد نقعت بالرشف هيمانا

ترثي لشكواي اذ ارثي لشكوتها … والنجم من فوقنا يرثى لشكوانا

ما راعني غير انات اذا انفصلت … من قلبها وصلت بالقلب احزانا

حاولت اكشف من غمائها ظللا … تذيقها غصص الاشجان الوانا

فلم ادع عوذة او رقية رويت … الا وعوذتها سرا واعلانا

فبعد لأي بدالي ان ما منيت … به تذكرها اهلا واوطانا

دمشق ٢٩ محرم ١٣٣٨ هـ … خليل بن احمد مردم بك

فاجابه الاستاذ بهذه الابيات :

ما النجم تجري به الافلاك في غسق … كالدر تقذفه الاقلام في نسق

لقد سلوت محيا البدر اذ طلعت … عقيلة الطرس والاجفان في ارق

وكنت ارشف من مجرى بلاغتها … راحا فيهدا ما في الجاش من قلق

نخشى اذا افصحت عما توهج من … حماسة ان تشب النار في الورق

فالبستها اساليب النسيب وكم … ذاق الحشا لوعة من ناعس الحدق

هي (الرتيمة) فيما قال مبدعها … وهل يغيب السنا عن طلعة الفلق

اني على ثقة من ان ذكرك لا … ينفك مرتسما في النفس كالخلق

وكيف انسى (خليلا) قد تضوع في … حشاشتي وده كالعنبر العبق

وفي الورى خزف لكن تبرج في … نضارة الذهب الاصفى او الورق

ولو عصرت بكف النقد مهجته … لما تقاطر غير الضغن والملق

❀❀❀

لاعتب ان ضاق باعي في القريض فلم … يضيء كما ضاءت الجوزاء في الافق

فان احساسي الشعري يوشك ان … يلاقي النفس الاقصى من الرمق

لم تبق لي حادثات الدهر منه سوى … اثارة كبقايا الشمس في الشفق

دمشق … محمد الخضر حسين

نظم : مصطفى خريب

في المحفل الرياضي الزيتوني

اعدوا واستعدوا   فما من ذاك بد
أقيموا الاس وابنوا   عراصا لا تهد
وسووها جسوما   تريد فلا ترد
شدادا ذات باس   وعزم لا يصد
كثيرات المعاني   لها عدد وعد
لها خبب ووخد   وارخاء وشد
فنون من فنون   تعاد وتستجد
ولكن الهوى وا   حد فيهن فرد
هو الفوز المرجى   هو النصر المعد
هو المجد الذي لا   يطول علاه مجد
لنا معه انتساب   وفينا منه عهد
فدى للمجد روحي!   فحيوا المجد وافدوا..

❁❁❁

شباب العلم مرحى!   فهذا السعي رشد
تيقظت النوايا   وجل بذاك قصد
واقلعت الجواري   بظهر اليم تعدو
على بركات ربي   تروح بكم وتغدو
فكونوا في ذراها   كامراس تشد
وصونوا جانبيها   ومرقبها وسدوا
وخلوا الضعف عنكم   فان الضعف نكد
وان الضعف كفر   وموجدة وحقد
فويل ثم ويل   لصحبته وبعد!

❁❁❁

تحيات توالى   ثناء لا يحد
سلام واحتفاء   بكم ورضى وود
لأشبال تآخوا   على التقوى وجدوا
خذوا علم الاماني   وادوا الحق ادوا
خذوا بقوى وعزم   فان العزم جند
وجدوا في سبيل الـ   على فالامر جد...

خطاب فضيلة شيخ الجامع

الذي القاه في احتفال جمعية الزيتونيين

ان من بواعث الابتهاج شهودنا هذا الحفل الزاهر الناطق بما بلغ اليه شعور الزيتونيين بحق الامانة التي القى بها نحوهم معهدهم العظيم فهذا الاجتماع اليوم هو مظهر لحسن استعداد جميع القوى الزيتونية للاخذ بعضد الاتجاه الاصلاحي ليبلغ اقصى مداه . فلقد يعد من التقصير في النظر ان يعتقد خريجوا هذا المعهد أن لعلاقته به حدا ينتهي عند استكمال الطلب والفوز بالشهادات والانتقال الى ميدان العمل في الاجتماعي في المناحي القضائية والادارية والحرف الحرة مع ان واجب الاعتراف بالجميل يفرض عليه في خدمة العلم فاز منه بالشرف الذاتي وصلة المعهد الذي هيأ له سمو منزلته الاجتماعية واجبات لا تقل عن واجبات العاكفين فيه على بث العلم وتحقيقه وبالقاء نظرة على تاريخ العصر الماضي يتبين ما يقتضيه حق هذا المعهد من ابنائه المبثوثين في مختلف فروع الحياة من معاني الفخر التي يؤدونها اليه بحسن سلوكهم في مناهج الشرف التي فتح لهم ابوابها اذا كان رائدهم في الحياة حفظ سمعة هذا البيت الذي يعتزون اليه والاعانة على اشتهارها .

فما كان فخر جامع الزيتونة بشيوخ الشريعة واساطين التدريس في عديد الاجيال باعظم من فخره من خريجيه من كبار الوزراء وعظماء الكتاب ومشاهير الحكام والمحامين ورجال الصحافة والاقتصاد . ومما يضاعف ابتهاجنا ان يكون ذلك الشعور في العهد الذي التفتت فيه الهمة الملكية السامية همة اميرنا الجليل ادام الله تاييده وتسديده الى توجيه النهضة الزيتونية خير وجهة من الاصلاح والانتعاش

فلنعقد العزم على خدمة شرفنا الاثيل الذي يمثله معهدنا الرفيع العماد فنكون احقاء بمجد بنوته ونضمن له النجاح في خدمة الجامعة الاسلامية وبخاصة الامة التونسية



الحركة العلمية

الاستاذ الامام يتفقد فروع جامع الزيتونة

لقد كانت عناية شيخ الجامع الاعظم وفروعه المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور باصلاح التعليم بادية من بداية مباشرته لادارة المشيخة ومن مظاهر هذه العناية قيامه بجولة تفقدية في ثلاثة فروع من فروع الجامع وهي فرع صفاقس وفرع سوسة وفرع القيروان ليقف بنفسه على سير التعليم بها وما تحتاجه من اصلاح ورعاية حتى يكون نظام التعليم بها وسيره مطابقا لما في الأصل فتعطى ثمارها كاملة غير منقوصة النضوج

وتعين موعد الرحلة يوم الجمعة في جمادى الثانية وفي ماي من العام الجاري على طريق السكة الحديدية واستصحب معه الشيخين محمد العربي الماجري ومحمد الشاذلي ابن القاضي المدرسين من الطبقة الاولى بالمعهد ليقوما بمهمة الاطلاع على احوال التدريس ونظام التلامذة .

وعلى الساعة السادسة من ذلك اليوم كانت السيارة التي تقل الاستاذ الامام من بستانه بالمرسى امام محطة السكة الحديدية وعلى الساعة السادسة وعشرين دقيقة غادر الرتل المحطة وكان الوصول الى مدينة صفاقس على الساعة الثانية وعشرين دقيقة فكان في استقبال سماحته الوفود العلمية يتقدمهم ارجال الشرع وجناب عامل صفاقس امير الامراء السيد نصر بن سعيد الذي طلب من سماحة شيخ الجامع ان يكون الوفد في ظيافته

وقد كان هذا الاستقبال بالغا مبلغا عظيما من الحفاوة والاكرام والاستبشار بهذه الزيارة التي يرجى من ورائها كل نفع واصلاح واستقر سماحته في بستان العامل وقد تواقدت عليه الذوات مهنئة بمقدمه الذي تشوفت اليه النفوس كثيرا

وفي المساء زار الشيخان مكتبة التلميذ الزيتوني الصفاقسي ومدارس سكنى التلامذة

وفي صباح يوم السبت قدم الوفد الى الجامع الاعظم على الساعة الثامنة والنصف يتقدمه الأستاذ الامام وكان في استقباله شيوخ المجلس الشرعي والقيمان يتقدمهم فضيلة الشيخ القاضي الشيخ محمود حشيشة عضو النظارة العلمية بالفرع . فوقع الطوف اولا على دروس تلك الساعة ثم توقف التعليم وجلس سماحة الشيخ امام محراب الجامع وحوله الشيوخ والتلامذة واولياؤهم فخطب فيهم خطابا عظيما :

خطـــــاب الاستاذ الامام

في الفـرع الزيتوني بصفـاقس

حمدا لمن ايد اهل العلم ورفع لهم شانا ومنحهم جم المزايا فاصبح جيد الملة بهم مزدانـا وصلاة وسلاما على من انزل عليه ن والقلم وما يسطرون. وقل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وعلى ءاله واصحابه الذين رفعوا للعلم اعلاما ' وراشوا لنصره سهاما ، وجعلوا قتاده للمنتجعين ثماما

اما بعد فانا جد بهج بمقامي الآن وسط ابنائي ومن بنسبهم الروحي اعتزازي واليه اعتزاءي اولئك الاساتذة الذين صرفوا الهمم للنهوض بهذا المعهد فرع الزيتونة المثمر وهذه الناشئة النيرة من التلامذة الذين بينوا تهممهم بعلوم الشريعة وعلوم العربية وبمشاهدتي هذا الجامع زاهرا معمورا وذلك مراى يبعث الامل ويشجع على المضي في خير عمل

لقد كان العلم في قديم عصور تاريخنا منتشرا في مدن الايالة وقراها وكان حظ صفاقس من ذلك وافرا حين انجبت جلة العلماء في عصور كثيرة ثم عرض ما انضب ذلك السيل فصار طلبة العلم منها ياوون الى حاضرة تونس لاخذه من جامع الزيتونة وكذلك كان الحال في مدن الايـالة اذ صار اهلها بين مغترب لاجل الطلب ويآئس من استطاعة الاخذ اليه بسبب

ثم كان احداث تعليم منظم بفروع للجامع الاعظم من اهم ما سعيت اليه ايـام قمت بخطة نيابة الدولة لدى النظارة العلمية وبعد داب على ذلك السعي صدر الترتيب المؤرخ في ١٢ ثاني عشر شعبان سنة ١٣٣١ احدى وثلاثين وثلاثمائة والف وبه غرست نواة دوحة التعليم الاسلامي المنظم في المدن الخمس وعد يومئذ تقدما عظيما ، وسطرا من التاريخ قويما ، بيد انه لم يلاق من اطراد الاقبال ما يلقح عوده ويمرن تحقيق طائره في اوج العلا وصعوده

فهب اهل صفاقس لانتهاز الفرصة وابتدأوا يستخرجون من ذلك التعليم ما املوا منه ان يروي الظماء وراوا من صالحهم ان يعالجوا حفرها والتدادها ولسان حالهم ينشد هو الري ان تعطى النفوس ثمادها حتى اصبحوا اليوم يحمدون رواءه ويتطلعون الى ما وراءه

ان الغرض الاهم من اعمالنا هو النهوض بالتعليم الاسلامي بما يمدنا الله به من الاستطاعة لتثقيف الاذهان بالعلم الراسخ والفهم القويم ' فان علوم الدين هي الوسيلة لتزكية النفس واعدادها

لقبول الكمال الحق ، وعلوم اللغة العربية هي العروة لشد اواصر الجامعة الاسلامية وادراك معجزة القرءان البيانية فلا جرم ان يكون معظم اعمالنا تسهيل سبيل الوصول بطلبة العلم الى هذه الغاية المزدوجة : بانتقاء احسن الاساليب وتوفير نفيس اوقات العمر وقوام ذلك هو تذكير العاملين وارشاد المتعلمين فبذلك يحصل النجاح المامول، وان توسيع نطاق هذا العمل لا يتاتى الا بتنشيط الفروع الزيتونية الموجودة وبالاكثار من فتح فروع حيث لا توجد واقامة نظام جميعها على الاتصال المحكم والوثيق بالمركز الزيتوني بطريقة تكفل بتمثيل مشيخة الجامع بالفروع وتعميم مناهج التعليم وبرامجه المسلوكة بالمعهد الزيتوني وبذل العناية والاهتمام للمتعلمين وتوفير راحتهم في سبيل تحصيل الشهادات التي هي نتائج تعليمهم مع ما يقتضيه ذلك من مديد المساعدة للمشائخ القائمين بادارة هذه الفروع بما يلزم لادارة دواليب اعمالهم وللمشائخ المدرسين بكامل حقوقهم وجعلهم في مستوى نظرائهم وتعزيز كل فرع من الفروع بايجاد قسم مدرسي صالح لالقاء الدروس التطبيقية على احدث الاساليب وارقاها بحق الضبط والسهولة وبالاكثار من تاسيس المدارس لسكنى التلامذة وافية بما يقتضيه حفظ الصحة

وانا باذل قصارى الجهد في تحقيق هذه الرغايب وسيقع الشروع في دورة هذا الامتحان الشهادة الاهلية بتكليف احدى اللجان بالتنقل لاجراء امتحانها على المتاهلين له من التلامذة توفيرا لراحة الطلبة من عناء النقلة وكلفة النفقات وتحقيقا لمبدا اعتبار الفروع اعتبار اصلها في جميع نواحي النظام دون ميز

والامل في اعانتكم بكل المستطاع في هذه الاصلاحات وطيد وما هي من همة اهل العزم والفضل ببعيد واتوجه الى الله تعلى في دوام التوفيق والتسديد وتواصل العناية والتاييد من جانب مولانا الملك المعظم السعيد ، الذي اقامه الله للامة امينا حق امين ، نسال الله ان يطيل بقاءه حقب السنين ،

وبالانتهاء من هذا الخطاب القيم تقدم صاحب الفضيلة الشيخ محمد المهيري والقى الخطاب التالي:

خطاب العلامة النحرير الشيخ محمد المهيري المفتي بصفاقس

يا جناب فضيلة مولانا الاستاذ الامام شيخ الجامع الاعظم سيدي الطاهر بن عاشور

ان هذا اليوم الذي تتقبلكم به مدينة صفاقس يعد اسعد يوم شهدته في تاريخ حياتها العلمي وان هاته الساعة التي اشرق في جامعها نبراس فضيلتكم دام علاكم هي اجمل ساعة تراها في مجمعها القومي، فلقد استنارت ربوعها باشراق محياكم ، وتضوعت ارجاؤها بعبير شذاكم

على الطائر الميمون يا خير قادم فهل طرفه من عطفكم تحملونها
فهذا بلادي بالقدوم تباشرت عسى نظرة منكم بها تحمدونها

يا سلالة الغطاريف الاماجد السادة آل ابن عاشور وحفيد الوزير الخطير امير الامراء سيدي العزيز بو عتور ، اني ارحب بجنابكم بلسان اهالي صفاقس والهيئة الشرعية والعلمية وتقدم عاطر الثناء وجميل الترحاب للفضلاء الاكارم الذين وازروكم في هاته الرحلة الصيفية وهذه صفاقس تمد يدها لحضرتكم طالبة مساعدتكم على سيرتها التقدمية فان مطالب التعلم تنمو وتتطلب غيرة ذات اريحية وانها تمت الى جنابكم بصلة وحسن وداد ، ومنكم رعاه الله

تنقاد له ازمة الاصلاح اي انقياد وقد بوأكم الله اريكة تسيير العلوم وجعل بيدكم زمامها ومن قبل كنتم على جدارة رئيسها وامامها ، فسيروها لنا معتصمين بحبل الله في سبيل النجاة .
وافيضوا على هاته البلدة من ثاقب افكاركم ما يؤهلها في الميدان العلمي لسعادة الحياة ، فان تقديمكم لها يؤذن بالبشرى وحسن الالتفات ، وبحسن مساعيكم لا تضيع الجهود التي بذلها ابناؤهـا طيلة ربع قرن في سبيل تقدم التعليم ، رائدهم حسن الطوية الى ان تحين الفرص لنيل امانيهم على يد من يخصه الله بالفضل العظيم ، وها قد كللت مساعيهم بالنجاح على يدكم ايها الفذ الكفء الكريم وتلالات على وجوههم اشعة الفلاح في هذا اليوم والموكب الفخيم ، وهاهم يرجون منحهم المساواة مع اخوانهم السادة مشائخ جامع الزيتونة دام عمرانه ماديا وادبيا فان صناعة التعليم متحدة ومعانات الفهم والتفهيم بين الطائفتين متقاربة متجسدة بيد ان هؤلاء طالما رفعوا اصواتهم متذمرين فيخمدها ضجيج البشائر ، ولكن بعد تنهية القسمة في الاجور يجدون انفسهم على هيئة كامس الدابر، اما نتيجة اعمالهم وشرح مطالبهم فقد كنت قدمت للجناب رعاه الله بيان ملخصها، مؤملا انجازها عند اتاحة فرصها ، وحيث كنتم على ذكرمنها فذلك كفيل بالمرغوب، ومطمئن للتوفية بالمطلوب وفي ربط الفرع باصله من كل النواحي اكمل ضمان لكل مطلب اصلاحي ذلكم الذي نعلق عليه غاية امالنا من جنابكم ، والله يحفظ لنا كمالكم والسلام .

وعلى اثره تقدم الاستاذ الشيخ المختار السماوي والقى الخطاب التالي :

خطاب العالم الشيخ المختار السماوي

المدرس المعاون بفرع صفاقس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

اما بعد فيا صاحب السماحة ويا استاذنا الاكبر شيخ جامع الزيتونة الاعظم المعمور سيدي محمد الطاهر بن عاشور رفع الله بكم منار العلم وذويه

مولاي مدير معهد الشمال الافريقي الوهاج ان يومنا هذا لمشهود اغر في قلائد الدهر وعلى جبين العصر في تاريخ صفاقس الخالد

حقا سيكون هذا اليوم فاتحة عصر علم جديد تضمون حجرة الاساسي بيديكم الطاهرتين ان هذا الكد السريع على عاصمة الجنوب التونسي لطلائع يمن وبركة لهذا المعقل الديني العتيق .

هذا العصر العلمي وان بقي بحسب النظم خاضعا لنصوص تشريعية قديمة لم تبق صالحة لهذا العصر فان الفروع الزيتونية الجهوية جزء لا يتجزأ من اصلها الثابت القويم لذا فان شعب صفاقس يستلفت نظركم السديد لاصلاح حال فرعه الزيتوني من وجهتيه المعنوية والمادية بتحسين مرتبات شيوخه المعاونين والحاقهم بزملائهم المدرسين الرسميين بالفرع لتنشط بذلك هممهم وتطمئن نفوسهم وينقطعوا لهذا العمل الشريف

واصرح بان عدد الشيوخ المعاونين يفوق ضعف عدد المدرسين الرسميين بهذا الفرع فعلى المعاونين اذا جل اعباء التعليم في مقابلة مرتب شهري زهيد لا يتجاوز فرنكات ٦٠٠ وطالما طالب المعاونون بحقوقهم كل المراجع فاغدقت عليهم والحمد لله وابلا من الوعود والامال وعللتهم بها طويلا ولكن لكل شيء نهاية

هذا وقد باشر الشيوخ المعاونون التعليم المجاني بهذا الفرع طيلة اعوام وساهموا في تكوينه

الحاضر وهم يتقاضون الآن هذا المرتب الزهيد

سيدي الاستاذ الاكبر المدير لمعهد الزيتونة الاعظم ان صفاقس لتعلق على زيارتكم هاته اكبر امالها في تحسين الحالة العلمية بفرعنا الزيتوني ورفع مستواه لاقصى الدرجات في عصركم الزاهر الميمون وفي الختام ارفع لسماحتكم سلفا على كامل الاحترام والاجلال اعظم الشكر والثناء من شيوخ وتلاميذ جامعنا الكبير ودمتم محترمين .

وعلى اثره تقدم الشيخ محمد الفخفاخ والقى القصيد الاتي :

قصيدة الشيخ محمد الفخفاخ المتطوع بفرع صفاقس

تِهْ يا زمان وخلد الافضالا	فالعلم نور يستفيض جلالا
من افقه نور السناء فاشرقت	خضراؤنا في حسنها تتلالا
فتجملت وتضمخت واستقبلت	عنوان فضل قد سما وتعالا
حلف العلا ان لا يجيء تكرما	من غير مهر كي يزف حلالا
عمل الحياة بجدها متجدد	وهو الوصال لمن اراد وصالا
وبغيره لا يستقيم صلاحنا	عمل به يرضى الآله تعالى
فكذا استقام على الطريقة طاهر	نقد العلوم وهذب الاقوالا
سبر الفنون وخاض في ابحاثها	فجلى المياه ومدها سلسالا
علم يقيم لكل دعوى حجة	طرق الهدى من صبحها تتلالا
كالشمس تبعث ضوءها من قرصها	وكما الامومة ترضع الاطفالا
وتوجه البحر الجليل مسهلا	وصل المياه بالفروع وصالا
وسما لواء العلم ينشر فضله	ويمد ظلا وارفا جوالا
رفلت (صفاقس) بهجة واستقبلت	اسد الحمى يستصحب الاشبالا
اهلا وسهلا بالمبارك طلعة	شرفتنا فتفضل الاجلالا
انت الامام وكلنا نأتمه	فاسري بنا نحو النهوض مجالا
انت الطبيب وكلنا انصاره	فاشفي قلوبا سقمها قد طالا
صوت الصلاح من الهدى اصداؤه	اشباه وحي تلهم الاعمالا
يا طاهرا قد فقت غيرك محتدا	انت الكمال لمن اردت كمالا
فارسل لنا من نور هديك نفحة	تهدي البصائر حكمة ومقالا
صرح المعارف سعده في مطلع	هيا بنا هيا بنا وتعالى
نجني من الاصل الشريف معارفا	فالعلم نور يستفيض جلالا

ثم خطب الشاب الطيب بن الهاشمي المستوري التلميذ بفرع صفاقس فقال:

يا جناب عميد الزيتونة المحترم ....!

ايها السادة المشائخ الافاضل ....! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انى لمتشرف جدا اصالة عن نفسي ونيابة عن زملائي تلامذة الفرع الصفاقسي الزيتوني دام عمرانه ان اعرب لكم عن تحيتنا لمقامكم السامي تحية مرفوعة على كاهل الاحترام ولقد سبقكم أيها العميد والسادة المشائخ الاماجد صيت دال على انكم رجال الجامع الأعظم الوحيدون المحنكون ونحن نعتقد وحق لنا ان نعتقد ان لجنابكم مع تلكم الخصلة الاساسية خصلة لا تقل عن الاولى قيمة وهي التفاني في حب الجامع واهله والسعي في جلب الرفاهية للطلبة...

حللتم ايها السادة العظام بهاته الديار للمرة الاولى في تاريخ الزيتونة بقصد الاطلاع بانفسكم على احوالنا فلا شك انكم ستجدون ما حصل فيها من الرقي العلمي وهذا الفضل كله يرجع الى السادة المشائخ المدرسين والمتطوعين كثر الله من امثالهم والذين ضحوا اوقاتهم الثمينة ونصائحهم النادرة الرشيدة في تكوين هذا النشىء المبارك

وان الامة الصفاقسية عموما والزيتونيين خصوصا تعلق عليكم الآمال العظيمة في اصلاح الزيتونة المباركة والسير بابنائها البررة الى المقام الاسمى اللائق بها خصوصا وان الزيتونيين بلغوا الآن طورا من اطوار نهضتهم العلمية والاجتماعية توجب عليهم تمتعهم باصلاح كليتهم المعمورة وتوسيع نطاق التعليم الثانوي بفروعها والتسهيل على ابنائها الضعفاء مشاق السفر الى الحاضرة المحمية والاقامة فيها خصوصا في هاته المدة العصيبة لكي يتسنى لابناء الامة مزاولة التعليم الى ما بعد الشهادة الاهلية في الفروع القريبة من اماكنهم ومداشرهم وتنحصر هاته المطالب المعقولة الشرعية:

اولا : يكون امتحان الشهادة الاهلية بالفروع الخمس وهذا ليس بالامر العسير والحال اننا نرى ان ادارة العلوم والمعارف بتونس تقرر امتحان شهادة البروفي مثلا في مدارسها الكائنة داخل الايالة كسوسة وصفاقس والقيروان... والقصد منها تعميم التعليم وتسهيله على مزاوليه

ثانيا : انشاء لجنة محلية تحت اشرافكم العالي القصد منها تسهيل الامور على الطالب كالسكنى مثلا والمفاهمة في شانه مع من له النظر اذا دعت الضرورة لذلك ولنترك النظر للسادة المشائخ

الكرام الذين تفضلوا بانفسهم للاطلاع على مدارسنا

واملنا وطيد في قبول ما ذكر واننا نترقب الجواب بامل كبير وايضا بفارغ صبر ونتمنى انكم تتمكنون في المدة الوجيزة التي سنقضيها عندنا من درس هذا المشروع لتطمئن القلوب

وفي الختام أجدد لكم أيها السادة عواطفنا الجميلة ونتمنى لجميعكم صحة طيبة وعيشا رغيدا والسلام عليكم ورحمة الله

وكان مسك الختام خطاب حضرة العالم الورع الشيخ محمد شاكر المدرس بفرع صفاقس

خطاب العالم الشيخ محمد شاكر المدرس بفرع صفاقس

تحية صفاقس لضيفها العظيم واعضاده الكرام

تحيات لعلياكم تزف ... بترحيب واجلال تحف

لنا البشرى بمقدمكم وحق ... لرايات الهنا فينا تصف

فاهلا مرحبا سعدت ربوع ... بهامن انسكم قدفاح عرف

ربوعا ترتجي منكم نجاحا ... بلوغ منى بهارفق وعرف

فلا زلتم بافق العلم نورا ... بكم يهدى الى ما فيه لطف

يحق لصفاقس ان تعد هذا اليوم من اسعد ايامها واجل اعيادها ان تشرف فيه فرعها العلمي بحضور عالم القطر التونسي الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه مع نخبة من اساتذة هذا الجامع المعمور . اجل سيعد هذا اليوم العظيم غرة في جبين تاريخ صفاقس اذ ستحضى فيه بوضع الحجر الاول من اساس الاصلاحات العلمية التي هي في احتياج شديد وشوق مديد اليها منذ عهد بعيد وان لنا في عناية مولانا الاستاذ العظيم والضيف الكريم لاعظم مامول والله يبلغ الجميع غاية المنى والسؤل .

وختم الموكب بتقديم المشائخ المدرسين والمعاونين والمطوعين بالفرع الى سماحة الشيخ . ولضيق نطاق هذا العدد تعسر علينا نشر جميع الخطب والقصائد .

وبعد ذلك وقع تفقد مدارس سكنى التلامذة الوافدين من الخارج على الفرع

فوقعت زيارة مدرسة القلال

وهذه المدرسة من المدارس العتيقة غير صالحة للسكنى مضرة بصحة التلامذة مع كثرة عدد الساكنين بها بيوتها ضيقة وليس بها نوافذ ولا تدخلها الشمس . وارضها تراب وليس بها التنوير

الكهربائي مع وجوده بالمسجد وبيت الحارس وحرمان التلامذة منه الامر الذي يستلفت الانظار وعسى ان تتدارك نيابة الاوقاف هناك الامر وتقوم بواجبها نحو اولئك التلامذة الذين تغربوا وانقطعوا للعلم فتسهل عليهم امرهم وتحفظ عليهم صحتهم المهددة بخطر عظيم

ثم وقعت زيارة مدرسة البركة الشيخ علي النوري وهذه المدرسة على حالة حسنة يرغب فيها التلامذة فان لبيوتها نوافذ كبرى وغالبها تدخلها الشمس وقد وقع اصلاحها اخيرا وشيخ الزاوية السيد الطاهر ابن علي النوري تظهر عليه العناية بها يسكنها خمسة عشر تلميذا ولو اقتدت نيابة الاوقاف بشيخ مدرسة الشيخ علي النوري لاراحت التلامذة من مشاق عظام وعساها نرى من صديقنا الشيخ الصادق الصانع الذي تولى النيابة ما يحقق الرجاء ومثله من يذب عن كرامة العلم واهله

ثم وقع تفقد مدرسة البركة الشيخ عباس الجديدي وهذه المدرسة حبسها السيد الحاج احمد البرادعي بارك الله في حياته وادام النفع به

وهذه المدرسة هي احسن المدارس واحدثها قد روعي في بنائها القواعد الصحية والتلامذة يغتبطون بسكناها سوى انها ينقصها الماء والتنوير الكهربائي ولا اخال مؤسسها الا متمم احسانه بما يوفر على التلامذة راحتهم ويسهل عليهم مهمتهم

ثم وقع تفقد المدرسة الحسينية .

وهذه المدرسة عتيقة البناء وهي على حالة سيئة نلفت اليها انظار نائب الجمعية المفضال - وكل هذه المدارس عامرة بالتلامذة الذين قصدوا الفرع من الوسط والجنوب

وقد تكررت زيارة الجامع مرات متعددة وقع في اثنائها التفقد لسير التعليم والانظمة المتخذة له وحالة المشائخ والتلامذة الادبية والمادية وموازنة الدروس والمنهاج الذي جرى على مقتضاه التعليم بالفرع

وكان في مقدمة المطالب التي تقرر الاجابة عنها اجراء امتحان شهادة الاهلية بالفرع

وذلك نظرا لمصلحة التلامذة المادية والادبية المتاكد مراعاتها فان الفرع قد اعد للمشاركة في امتحان هذه السنة سبعة واربعين تلميذا والظروف الحالية لا تسمح لهم بالوفود على الحاضرة لامور منها عدم وجود المسكن ومنها حالة التموين العسيرة لا سيما الرغيف ومنها وافر النفقات وعلى الاخص اجرة السفر على طريق السكة الحديدية ومنها اللباس الذي يلزم للمسافر ولباس غالب تلامذة الفرع ردىء وخلق الى غير ذلك . الامر الذي اكد على شيخ الجامع ان يجيب طلب ابنائه ويسهل عليهم وعلى اوليائهم المشاركة في الامتحان في فرعهم نفسه بان يرسل اليهم لجنة تقوم باجرائه

وفعلا نفذ عزمه واصدر قراره بتعيين اللجنة الاولى التي تحت رئاسة صاحب الفضيلة الشيخ

محمد الدامرجي المفتي الاول الحنفي وعضو مجلس الاصلاح وعضوية المشائخ محمد المنستيري وابراهيم ابن مراد واحمد المهدي النيفر وينوب عن المشيخة النائب الثاني الشيخ علي النيفر ومن الادارة الكاتب السيد محمد عراب

ولكن حال دون تنفيذ ذلك اجراء دولي افضي الى حدوث ازمة ادت الى تعطيل الامتحانات بجامع الزيتونة الى اجل يعين من طرف المشيخة

وانحلت هذه الازمة بادىء بدء على الصورة التالية : يجري الامتحان الكتابي في هذه السنة بالفرع في صفاقس والشفوي بتونس فاجرى الامتحان الكتابي هنا وفي صفاقس . ولما جاء دور الشفهي اصر التلامذة على عدم القدوم الى تونس للاسباب المقدمة والى الآن لم تجب الحكومة مطلبهم المشروع وحرموا من الدورة الاولى ونحن نلح على الحكومة باجابة مطلبهم ومعاملتهم معاملة التلامذة الذين يتعلمون بسائر المدارس فانهم تجري امتحاناتهم في بلدانهم ولا يكلفون مشاق السفر ونفقاته

وقد كانت الاقامة بصفاقس تسعة واربعين ساعة زار في خلالها الاستاذ الاكبر الجامع مرتين

السفر الى مدينة سوسة

وعلى الساعة الثالثة من مساء يوم الاحد كان موعد السفر الى سوسة فحضرت الوفود العلمية الى محطة الرتل لتوديع الاستاذ الامام وكان في المقدمة الهيئة الشرعية وجناب العامل وخليفته الثاني فودعوا سماحته بمثل ما استقبلوه به وكلهم آمال في النهوض بالفرع الزيتوني صفاقس

وحوالي الساعة السادسة دخل الرتل محطة سوسة وكان في انتظار الاستاذ الامام وفود المستقبلين المتالفة من الهيئة الشرعية يتقدمها الشيخ محمد القروي قاضي مدينة سوسة والهيئة الادارية وعلى راسها العامل امير الامراء السيد الطيب السقا والهيئة العدلية يتقدمها الرئيس الشيخ عبد الله المهذبي وهيئة الاوقاف يتقدمها النائب السيد البهلي النيال والسادة الاشراف والعلماء والاعيان فسار الموكب الى مركز « الشبان المسلمين » حيث اعد استقبال الاستاذ الامام هناك

ولما استوى بالحاضرين المقام نهض رئيس الشبان المسلمين بفرع سوسه والقى الخطاب الآتي :

خطاب الشيخ احمد زعتير

رئيس فرع جمعية الشبان المسلمين بسوسة

الحمد لله الذي جعل مفخرة الرجال في العزم والحزم والاعمال . وسخر مطايا العلا لذوي الشان والبال . وسير امور الخلق على ضوء مواهب اهل العلم والكمال وايقضت في العباد من يحقق لهم البشائر والامال . والصلاة والسلام على اشرف نبيء لا زال لنا اعظم قدوة ومثال

مولاي صاحب الفضيلة . شيوخي العظام . سادتي الكرام ، لاول مرة اقف في تاريخ هذا

البلد بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن هيئة فرع جمعية الشبان والكشاف المسلم بمدينة سوسة معبرا عما يختلج في النفوس من المسرة والعواطف نحو زيارة مباركة يشرفنا بها اكبر رجل في العلم وارسخ شخصية في المجد واعرق بيت في الشرف ذلك البيت الذي ما يزال يمد البلاد باكابر الخلف لخير السلف. ان هذه الزيارة المملوءة بالاماني قد رسخت في العواطف والقلوب قبل ان تسجل في الصفحة الذهبية الخالدة لهاته البلاد . ان هاته الزيارة قد جددت واحيت عهدا تقادم زمانه كان فيه اعاظم العلماء على اتصال مستمر بابنائهم وشبانهم ينفخون فيهم روح النشاط والعمل ويبثون بينهم روح الاسلام وصفات الكمال . ذلك العهد الذي قد سكن طويلا وخفتت فيه اصوات العلماء واستقل كل في زوياه محتجبا . اما اليوم فالعصر عصر انقلاب وتطور يتجدد على يد شخصية فذة عرفتها جميع الاقطار الا وهو علامة الزمان شيخ مشائخنا الاستاذ سيدي الطاهر بن عاشور مدير الكلية الزيتونية المحروسة لذلك فاني اتقدم الى اعتابه بالشكر والثناء وبالتقدير والاحترام للمشائخ الرفقاء ولا يفوتنا ان نبرهن على الروح العلمية والاخلاقية التي لا ينفك في بثها في الشباب والمجتمع باخلاص واعمال جليلة ذلك هو نسخة عبقريتكم العلامة سيدي محمد القروي دام محروسا . واخيرا فالدعاء لكم بطول المسرة والهناء وبقائكم في السمو محفوظا بعناية خالق البرية والسلام عليكم ورحمة الله

وعلى اثره نهض السيد احمد العروي الكاتب لفرع جمعية الشبان والقى الخطاب التالي :

خطاب السيد احمد العروي

سادتي الفضلاء !

أن الله سبحانه وتعالى اتاح لفرع الشبان المسلمين بمدينة سوسة فرصة من انمن الفرص الا وهي اقتبال منار العلم ورافع لواء الثقافة حجة المنقول والمعقول فخر الديار التونسية العلامة البحر الامام الاستاذ الفذ الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه . ورغما عن ضيق النادي وقلة مرافقه وعدم تاثيثه بما يليق فاننا راينا لزاما الإحتفاء بابينا الروحي وشيخنا الهمام لنقيم لجنابه الدليل على ان الاشجار التي غرسها قد اورقت وطابت ثمارها فهي تؤتي اكلها كل حين باذن ربها فلقد تفرق ابناؤه الروحيون خريجو الكلية الزيتونية والمعهد الصادقي في انحاء البلاد مهتدين بهديه ناشرين الكلمة الطيبة والمثل الاعلى والخلق الحسن بين جميع السكان على اختلاف طبقاتها فهم معجبون بعلمه الغزير الفياض وحكمته العالية ورايه الثاقب السديد . ولقد بلغ منهم السرور منتهاه لما بلغهم الخبر اليقين من تسمية فضيلته على راس الكلية الزيتونية العامرة

فلقد راوا في ذلك عناية كبرى من لدن الجناب العالي ابقاه الله في الاخذ بيد التعليم الديني وممثليه بهاته الديار وتحسين طرقه واساليبه وتعميم نفعه وضبط مواده واوقاته ولم تمر فترة من الزمن على تولية فضيلته حتى اخذ يصدر قراراته المطاعة وتعليماته المختلفة في كيفية تحسين الاساليب التعليمية والاخذ بيد الضعفاء من الطلبة واعطاء مادة الدروس الاهمية الكافية والشرح اللائق ثم صدرت من جنابه المناشير السامية الى مختلف الفروع الزيتونية بانحاء القطر تطالب المدرسين بضبط الحالة التعليمية وتطبيق الاساليب الموصلة للمقصود والسير في التعليم على احدث اسلوب واقوم منهاج فراينا المشائخ المدرسين هنا وعلى راسهم العلامة النحرير الشيخ سيدي محمد القروي قاضي سوسة متصلين بزملائهم للتعليم العمومي يواصلون البحث والتنقيب على ما يرفع من شان العربية في هاته الربوع ويبوئها المكان اللائق بها كل ذلك يدلنا على ان الفروع قد فهمت الواجب المفروض عليها والمسؤلية الملقاة على عاتقها من تربية النشء ونشر الثقافة الدينية وحماية العربية الفصحى ونحن موقنون سلفا بان اصلاح الكلية الزيتونية وفروعها سيتم على احسن حال وابرع منوال حتى يكون الطالب الزيتوني مماثلا لقرينه بالمدارس الثانوية ثقافة واطلاعا ممتازا بثقافته الدينية لكن مملوء الوطاب ايضا بما اصبح علمه ضروريا في معترك حياتنا اليوم من رياضيات وتاريخ آداب اللغة وعلم النفس والبيداغوجيا ومبادئ الصحة وعلم طبقات الارض ومبادىء علم النبات وغير ذلك من العلوم العصرية التي ما فتئت الطبقات التونسية تطالب بادخالها على برنامج المعهد الزيتوني منذ برزت لحيز الوجود فكرة الاصلاح والتحوير على ان الطبقة المستنيرة من الامة تنتظر بفارغ صبر نتيجة الاصلاح المنشود وتتمنى ان يكون تام الموجبات من ايجاد المؤلفات على اختلاف انواعها وتنقيح الاساليب التعليمية وادخال المواد اللازمة في البرامج على نسبة معقولة والاخذ بيد الطلبة وتحسين حالتهم ماديا وادبيا وفتح مختلف الابواب في وجوههم عند انتهاء دراستهم هذا وان الشبان يعتقدون ان الامور كلها ستكون في طريق الصواب وان المساعي ستكلل بحول الله تعالى بالنجاح وذلك بوجود فضيلة الشيخ على راس الكلية الزيتونية العامرة فهو كما عرفناه ذلك الفذ الهمام ـ صاحب الراي العالي ـ والصوت المسموع في كل مسألة ومشروع قد افاد القطر التونسي خصوصا والامة الاسلامية عموما . قوي الحجة سريع الخاطر ساطع البرهان ابي النفس شهم غيور على الدين والوطن ولذا فان جمعية الشبان المسلمين بسوسة اصالة عنها ونيابة عن باقي المشاريع الاهلية بهاته المدينة (كالكشاف المسلم التونسي ـ والخيرية الاسلامية وفرع الجامعة العامة للمتوظفين التونسيين وجمعية اولياء التلامذة المسلمين بالمدارس الثانوية وقدماء المكتب العربي

الفرنسي والنجم الرياضي الساحلي وادارة القلة وغيرها) تتشرف بان ترفع لسامي جناب الشيخ ولمن رافقه في تنقلاته اكمل عبارات الترحب والتبجيل والاحترام مع اعطر تحية وازكى سلام بمناسبة قدومه السعيد راجية من الباري جل وعلا ان يجعل هاته الرحلة الميمونة فاتحة زيارات متوالية تعود فائدتها على الدين والشريعة بكل هنا وخير كما ان الشبان المسلمين يشكرون شكرا ما عليه من مزيد جناب امير الامراء سيدي محمد الطيب السقا والسادة العلماء ورؤساء الاقسام والموظفين والاعيان والوجهاء والتجار وطلبة الفرع الزيتوني وتلامذة المدارس الثانوية والابتدائية الذين لبو دعوتنا واتوا من كل فج عميق لهاته الحفلة السنية مبرهنين على تقديرهم لقيمة الرجال العظام وفطاحل العلماء الكرام مؤمنين حق الايمان أن الالتفاف حول منار الاسلام والعربية بشمال افريقيا كعبة القصاد (الجامع الاعظم عمره الله) اعظم كفيل للاحتفاظ بكنز الهدى وبلغة الضاد وان زيارة فضيلة الشيخ لعربون على اعتناء المراجع العليا بالفروع الزيتونية وان هاته الزيارة المباركة لتعد حادثا جليلا يسجله التاريخ بحروف ذهبية لعاصمة الساحل فالله تعالى نسال ان يجعل مقامه في مدينتنا مباركا ميمونا وان يرفقه وصحبه الكرام السلامة في الاقامة والترحال انه كريم فعال وله الامر في البدء والمآل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعلى اثره قام الشيخ السيد يوسف المحجوب كاهية رئيس فرع جمعية الشبان المسلمين والقى الخطاب الاتي :

خطاب الشيخ يوسف المحجوب

على الطائر الميمون ياخير قادم ... واهلا وسهلا بالعلى والمكارم
قدمت بحمد الله اكرم مقدم ... مدى الدهر يبقى ذكره في المواسم

منذ وافانا خبر زيارتكم لسوسه طرنا فرحا وملئنا املا بمستقبل يفوق الآمال بفضل ماتبدونه يافضيلة شيخ كليتنا العامرة من الحزم والنشاط الجديرين بالعلماء الطموحين للرقي العاملين للتقدم امثالكم وها لم يمض زمن طويل على تسلمكم زمام الكلية الزيتونية الزاهرة حتى سننتم سنة كل متنور جاد في رفع مستوى الثقافة فقمتم برحلتكم المباركة هاته تتفقدون فروع الجامع الاعظم وسير التعليم بها وتمدون مدرسيها بنصائحكم الثمينة وتفيدونهم باساليبكم المتينة وبعد اتصالكم بجامع صفاقس حللتم بسوسه لتتفقدوا دروس جامعها الكبير وفي جولاتكم هاته لاعظم باعث للهمم واكبر مثال يقتدى به للاخذ بالاساليب الحديثة والسير في طرق التعليم بروح تتمشى مع العصر وما انتجته المدنية الحاضرة

وراى فرع جمعية الشبان المسلمين بسوسه الذي لي الشرف ان اكون كاهية رئيسه لزاما عليه الاحتفاء بشخصية بارزة كشخصية العلامة النحرير والاستاذ الكبير سيدي محمد الطاهر بن عاشور حامل مشعل العلم والرقي في هاته البلاد باليمين سيما والشيخ الامام له القدح المعلى في تكوين جمعية الشبان المسلمين بتونس وهو اكبر دعاتها واعظم انصارها وليسره وايم الحق ان يرى عمله المبارك كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء . وقد ساعفني الحظ بان شهدت حفلة تكريم صغار حفظة القرآن التي اقامتها جمعية الشبان المسلمين بتونس وتراسها شيخنا الجليل وما بالعهد من قدم في جمع مشهود والقى فيها محاضرة قيمة كشفت الغطاء مرة اخرى على ما لاستاذنا من غزارة مادة وقوة عارضة وسحر بيان فهولاء الشبان المسلمون بسوسه يرحبون بمقدمكم ويعربون لكم يافضيلة الشيخ الجليل على ما تكنه صدورهم نحوكم من التوقير وما يعلقونه عليكم من الآمال لمساعدة هاته الامة على النهوض من كبوتها ورفع مستواها الادبي ببث الفضيلة في جميع طبقاتها بنشر تعاليم الدين الاسلامي الحنيف وتنظيم الوعظ والارشاد ومقاومة الموبقات التي تؤتى على قارعة الطريق وباللاسف وينبغي للقيام بهاته المهمة الصعبة رجال اصحاب عزم ومقدرة والكلية الزيتونية دام عمرانها التي ساعفها الحظ بان تكونوا على راسها وهي اكبر مثبت لهولاء الرجال المصلحين ولا شك ان في مقدمة برنامجكم جعل التعليم بها صالحا لاعداد علماء ومفكرين يظاهون علماء ومفكري العالم المتمدن مع حلية الفضيلة الاسلامية التي هي راس كل علم نافع وعمل صالح ولما كان لي ماض في مسالة الاصلاح الزيتوني ولم انس تنشيطكم اياي بما كنتم تسدونه الي من عبارات الشكر على مقالات كانت في الحقيقة بضاعة مزجاة نشرتها في الموضوع بجريدة النهضة الغراء فلا باس بحوصلة تلك الافكار في هاته العجالة وكانا متمسكون بتحتم اجراء اصلاح التعليم بالمعهد الزيتوني عاجلا غير آجل وكل من ينتمي للثقافة عليه واجب النصح في هذا الباب وقد عرضت عليكم امانة كعبة الشمال الافريقي فحملتموها ونحن مستبشرون بذلك بقدر ما يجري على يدكم من الاصلاح وسيجري على يدكم بحول الله الاصلاح الحقيقي لانني اعلم وكل الامة تعلم انكم من انصاره والعاملين عليه ـ غير العلم الحديث اساليب التفكير والمنطق والتعليم وفاز الفكر البشري فوزا نسبيا بصبره وطول كفاحه واستولى على شيء من مخبآت الكون فمن الواجب ان يدرك الزيتوني شيئا من القواعد العلمية التي تكشف عن قوانين الكون في مادة الكيمياء والعلوم الرياضية والعلوم الحسابية التي هي الآلة القارة الخالدة البديعة لضبط جميع العلوم وعلوم الحياة وعلم الهيئة وعلم طبقات الارض وعلم النبات والحيوان الخ . . . وسهل اسناد تعليم هاته المواد للنخبة التونسية المبرزة فيها

المتخرجة من المدرسة الصادقية كالاستاذ السويسي وقوشه مثلا - ولا بد للزيتوني ان يمارس اساليب التفكير الحديثه فيدرس عند بلوغ المرتبة النهائية من التعليم الثنوي الفلسفة بما حوت من علم نفس واخلاق ومنطق فسنفيد منها بعد ان يكون قد حصل في سلك التعليم الابتدائي والسنوات السابقة من التعليم الثنوي على معارف واسعة من العلوم الكونية المشار اليها واساس كل ذلك تقسيم التعليم الى ابتدائي وثنوي وعال حسب البرامج المسنونة في سائر العالم وهذا لا يمنعنا من تخريج رجال الدين والعلوم الشرعية فبعد ان يحرز التلميذ على ثقافة عامة يتوجه للتعليم الثنوي ليتخصص في القسم الشرعي وبهذه الطريقة تتربى في التلميذ قوة الملاحظة والانشاء والقياس والاستنباط وبهذه الطريقة تخرج لنا الكلية الزيتونية علماء ومفكرين يؤثرون في الوسط والمجتمع فتبلغ حجتهم وتؤثر هدايتهم علماء جديرين بهذا النعت والله عز وجل يقول « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء » فهاته الاية الكريمة اتت على جل العلوم الحديثة واردفت بتعريف من يخشى الله من عباده وهم العلماء بهاته العلوم لا محالة - لا يسمح ضيق المقام بالتوسع في الموضوع وانما هي اشارة الى تاكد الاصلاح الزيتوني والى تعطش الامة قاطبة لهذا الاصلاح ولنا امل وطيد في علامة قطرنا شيخ الجامع الاعظم دام عمرانه لما له من الفكرة العصرية الوقادة والاطلاع الواسع على برامج التعليم العصرية والاخلاص لمشروع الاصلاح الذي نصبو اليه جميعا ونسال الله ان يعين الجميع على انجازه ويجعله غرة في جبين عهد فضيلة استاذنا الاكبر وعلامة قطرنا سدد الله خطاه وايده في سيره الناقع لابناء جلدته الذين علقوا عليه آمالهم في اكبر هيئة اجتماعية تتشخص فيها ذاتيتهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ذلك ارتجل الاستاذ الامام خطابا جامعا اجاب فيه على الامال في النهوض بمعهدنا العظيم حسبما تضمنتها الخطب التي القيت في هذا الحفل البهيج فكان له اعظم وقع وبعد الانتهاء قدمت للحاضرين كؤوس المبردات وانفض الجمع والوجوه مستبشرة والنفوس تفيض بعواطف طاهرة زكية

وقد ابى فضيلة الشيخ القاضي الا ان يكون الوفد في ضيافته فخرج الاستاذ الامام قاصدا دار الشيخ القاضي مشيعا من جناب العامل والعلماء الى الدار

وفي صباح الاثنين كان موعد تفقد الفرع الزيتوني بسوسه وعلى الساعة التاسعة الا ربع قدم جناب العامل وخلافته وصاحبا الاستاذ الامام الى الجامع ولما دخل الوفد الى الجامع استقبله العلماء بكل حفاوة واكبار وطاف سماحته على حلق الدروس ثم قصد محراب الجامع ولما استوى به المقام خطب الخطاب التالي

خطاب الاستاذ الامام في الحفل العظيم في فرع سوسة

الحمد لله حمد منغمس في الائه معترف بجلايل نعمائه على ان افاض لنا من العلم مهيعا نميرا وارشدنا كيف نذود عن حياضه ما يكسبها تكديرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي انزل الله عليه الكتاب وضمن حفظه وعلى اله واصحابه الذين لم يقصر احد منهم في ان ياخذ منه حظه اسوس العلوم الراسخة واطراد الفضايل الباذخة

اما بعد فاني مغتبط بحلولي في هذا المعهد الجليل العتيق بين نخبة ابنائي من اساتذته الذين ثقفوا التلامذة بالعلوم النافعة وتلامذته الذين زانوا حلقه الساطعة ولم لا اغتبط بذلك وانا اتوسم في هولاء وهولآء زهرة المستقبل وحظاتها . ونجائب السبق وحداتها وعسى ان يعود بهم على هذه البلدة ما كان لها من مجد تالد وذكر هو على صفحات التاريخ خالد فلقد كان العلم في العصور الاولى من تاريخنا مبثوثا في سوسة وما حولها فازدهرت جنات المعارف وازدهت ورسخت قواعدها وما وهت حتى تغنت بها الحمائم وتفتقت عن ثمارها الكمائم فظهر منها علماء اعلام في عصور كثيرة وكان ابو اسحق الجبنياني يقول لقد رايت هذا الساحل وما منه قرية الا وبها رجل من اهل العلم او القرءان او رجل صالح بزار

ثم عرض ما انضب معينها فصار طالب العلم يشد الرحال الى المعهد الزيتوني فيتجشم عرق القربة ويذوق مرارة المشقة والغربة وربما ضاق صبره عن ادامة العيش في غير بلاده فاضطر الى القعود ءايسا من نوال مراده وليس الاعراض عن النافع حين يعسر به الانتفاع بمحمود لدى اهل الراي والاضطلاع لذلك كنت نظرت في اول ما سعيت اليه من النظم ايام قيامي بخطة نائب عن الدولة فرايت من اعظم المصالح العلمية تنظيم التعليم بفروع من الايالة وسعيت في ذلك سعيا اثمر الترتيب المؤرخ بالثاني عشر من شعبان عام واحد وثلاثين وثلاثمائة والف وهو الترتيب الذي غرست به نواة التعليم الاسلامي المضبو في المدن الخمس غير انه لم يلاق من الاقبال عليه ما يقيم عماده ، ويشد اوتاده ، لاسباب كان فيها للمدرس بعض العذر ، وللتلميذ عذر الخشية من اضاعة العمر ، ولما وقع الالتفات الى تحسين حالة المدرسين تحسينا وجب انصراف هممهم الى العناية بهذا المعهد والنهوض بما فيه من دروس علوم الدين وعلوم اللغة التي بها نبلغ مرتقى كمالنا في الجامعة الاسلامية والعلوم التي بها النجاح في تبوا المكان الاسمى من الحياة الاجتماعية رايت ان اقوم بالزيارة لهذا المعهد للنظر في احوال التعليم والاساتذة والمتعلمين والنهوض بها الى المكان

الاسمى بتثقيف اذهان التلامذة بالعلم الراق والفهم القويم وقوام ذلك هو تذكير العالمين وارشاد المتعلمين وان توسيع نطاق ذلك لا يحصل الا بتنشيط الفروع الزيتونية الموجودة وبالاكثار من فتح فروع حيث لا توجد وباقامة نظمها على الاتصال المحكم العرى بمشيخة المركز الزيتوني بطريقة تكفل بتمثيل المشيخة بالفروع وبان تجري بها المناهج والبرامج المسلوكة بالمعهد الزيتوني وبذل العناية بالمتعلمين وتوفير راحتهم في سبيل تحصيل الشهادات (التي هي نتائج تعليمهم) مع ما يقتضيه ذلك من مد يد التنشيط للمشايخ القائمين بادارة هذه الفروع بما تستلزمه ادارة دواليب اعمالهم على وجه مسترسل ومنتظم . وللمشايخ المدرسين بجعلهم في مستوى نظرائهم وتعزيز كل فرع بايجاد قسم مدرسي صالح لالقاء الدروس التطبيقية على احدث الاساليب واوفاها بالضبط والتسهيل وبالاكثار من تاسيس المدارس لسكنى الطلبة الوافدين على مثال يفي بما تتطلبه اصول حفظ الصحة

وانا باذل غاية المستطاع في تحقيق هذه الرغائب وءامل اعانتكم على تحقيق هذه النوايا كل بما يستطيعه ويدعو اليه . والتجأ الى الله تعالى ان يحقق الامال ويوفق الاعمال . ونحن جميعا ناوي الى ركن شديد ملكنا المؤيد بعناية الله والتايد سيدنا محمد الامين مد الله في عمره الثمين واعانه على مصالح المسلمين

وبعد فراغه خطب فضيلة قاضي سوسه الشيخ محمد القروي وعضو النظارة العلمية بالفرع

خطـاب قـاضي سوسـه

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيد المعلمين وامام المرشدين وعلى آله المطهرين مصابيح الهداية واصحابه الراشدين نجوم الاقتداء في ظلمات الجهل والغواية

اما بعد فيا ايها الاستاذ الاكبر والامام العلم الاشهر اني سعيد الحظ بان اقف موقفي هذا بين ايديكم مدفوعا بعدة عوامل عامل الاجلال والتكريم لمقامكم العلمي الكريم وعامل الابوية الروحية وفضل الاستاذية كما يدفعني عامل ثالث لاحيي في شخصكم الكريم الجامعة الزيتونية كعبة العلم الافريقية التي ارتشفت من عذب معينها وكرعت من سائغ سلسبيلها وذلك لانكم ابقاكم الله وانتم راسها المفكر وقلبها النابض وروح نهضتها المباركة كما احيي فيكم يا مولاي العالم الفذ والاستاذ الامام بالاقطار الافريقية فان افتخرت مصر بمراغيها فيحق لتونس ان ترفع راسها عاليا وتفتخر بابن عاشورها بل وتباهي به وتتحدى اخواتها من الامم الشرقية الراقية

لهذا وذلك يامولاي واستاذي المبجل علقت الامة التونسية على ولايتكم المباركة على راس الكلية الزيتونية اطيب الآمال واطمانت كل الاطمئنان على مستقبل الزيتونة وابنائها

ولم تمض ايام قلائل على تسلمكم مقاليد الامور حتى راينا وراث الامة جمعاء بالزيتونة نضارة وازدهارا وقوة وخصوبة .ومن آثار هذا الازدهار والتطور السريع زيارتكم هاته لفرعها بسوسة فانها وايم الله زيارة مباركة تسجل في تاريخ هذا الجامع العتيق الاغلبي بمداد الذهب

وسيعقبها بحول الله وبفضل اهتمام فضيلتكم وحسن عناية سماحتكم عصر تجديد لمعنويات هذا الفرع ورفع لمستوى الثقافة فيه وزيادة في الاقبال عليه حتى يتم ان شاء الله في القريب عمرانه العلمي في آن واحد مع اتمام عمارته بالترميم الجاري الان فيما تقوض من بنيانه وتهدم من اركانه فيجتمع له حينئذ العمران الحسي والعمران المعنوي في اكمل مظهر واجمل صورة

واذا تضافرت الجهود واقبلت الامة الساحلية واستيقظت من غفلتها وفهمت الغاية وسعت لها سعيها فانه لا يبعد ان يرجع لهذا المعهد عصر يحيى بن عمر الذي كان يحتاج رضي الله عنه عند القاء الدرس هنا لمسمع من كثرة عدد الطلبة واتساع حلقتهم حوله وتباعد اطرافها عنه

ولذا اتاسف كل الاسف من قلة اقبال اهل الساحل المعروفين بالذكاء والفطنة على هذا الفرع وان كنت اقدر لهم اختلاف مباديهم وغاياتهم في التعليم واحترم ارادتهم في توجيه ابنائهم في مناحيه المختلفة غير اني الح بمحضر شيخنا الاكبر واستاذنا الامام ان يكون اهتمامهم بهذا الجانب واتجاههم نحو هاته القبلة وهذا الفرع من تلك الكعبة اوفر وانم والاهم يقدم على المهم وان كنا محتاجين لسائر العلوم ولكنا لعلوم اللغة والدين احوج

على ان الجمع بين الجانبين ممكن الوقوع بالتحصيل على النصيب الكافي من العلوم العصرية ثم التفرغ للعلوم التي تدرس بكليتنا الزيتونية والله اسال ان يمد استاذنا الامام بحسن عونه وتوفيقه حتى يجمع لنا بكليتنا ما يغنينا من العلوم فنولي وجهنا نحو القبلة التي نرضاها ونعدل عن الاتجاه الى سواها

استاذي المعظم :

ان لازدهار الفروع وعمرانها يتوقفان على امور وهي اولا التنظيم المحكم لطرق التعليم والتهذيب

ثانيا ـ تحسين حال المدرسين والقائمين بشؤون الفروع تحسينا لا اجحاف فيه ولا تقتير

ثالثا ـ تركيب لجنة تتولى امتحان شهادة الاهلية بنفس الفرع ليرى العموم ويشرقوا ويلمسوا بايديهم وبين اظهرهم نتيجة الفروع

رابعا ـ جبر طلبة المرتبة الابتدائية على تلقي العلوم من البداية الى شهادة الاهلية بفرع جهتهم

وعدم قبولهم بجامع الزيتونة الا بعد التحصيل على تلك الشهادة . هذا رايي الخاص في الموضوع واعتقد ان بهاته الامور الاربعة تزدهر الفروع وتعمر عمرانا لا مزيد عليه

وفي ازدياد عمرانها عمران الاصل بدون شك وانما في المرتبة المتوسطة والمرتبة العالية وانظاركم السديدة وآراءكم الصائبة فوق ذلك

وفي الختام اجدد لمقامكم العلمي الرفيع ولحضرة صاحبيكم الاستاذين الجليلين الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي والشيخ سيدي محمد العربي الماجري سامي التحية والتبجيل والاجلال والتكريم

واؤكد لكم ان اهالي سوسه وعملها مغتبطون بهاته الزيارة جد الاغتباط ويعدون هاته الساعة المباركة من ابرك الساعات واسعدها ويسالون الله جميعا ان يطيل بقاءكم سالمين آمنين عاملين لرفع العلم واعلاء شان الدين وان يقر اعينكم بالآل والبنين لا سيما فخر الشباب الناهض الاستاذ النحرير العبقري شبلكم الفاضل كان الله له ولكم خير ناصر ومعين آمين والسلام

وبانتهائه القى العالم الشيخ التجاني بوراوي المدرس بالفرع الخطاب التالي :

خطـاب العالم الشيخ التجـاني بوراوي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد تاج العارفين الهادي الى الصراط المستقيم وعلى ءاله وصحبه شموس الهداية ونبراس العلوم المطفي لظلمة الجهل والمرشد الى طريق الحق القويم وتابعيهم المحبين لسنتهم المتمسكين باوامر المولى العزيز العليم

اما بعد فحتا لنا معشر المدرسين وكل من لبى دعوتنا وشاركنا اليوم ان نحتفل بشيخنا الامام العلم الفذ الهمام شيخ المحققين وصاحب الراية في جميع العلوم معقوله ومنقوله سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه . وجناحيه المتينين الفاضلين الاكملين المنتخبين العلامة سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي والعلامة سيدي محمد العربي الماجري من دعته بمشاركتهما اليه العاطفة العلمية وغيرته على حقوق ابنائه الروحية لزيارة الفروع والاطلاع على سيرها ونظام دروسها وحالة تلامذتها ومدرسيها ليربطها ربطا متينا مع الكلية الزيتونية . ومهما اظهرنا لفضيلته من الاجلال والترحاب نعد من المقصرين وكلما اردنا مدحه او شكره وجدنا انفسنا من العاجزين اذ ان خصاله العالية كبرت عن مدح المادحين

مدح الشيخ نفسه بالمعالي ✽ فغلا عن مديح المقال

قالت لي نفسي امدحته قلت كلا ✽ كبر الشيخ عن مديح الرجال

لا سيما هاته السنة الخالدة التي ما سبقه بها احد قبله لا من المتقدمين ولا من المتاخرين والمستحقة للترسيم بالذهب الابريز في طالعة كتب المؤرخين وستكون بحول الله دعاية لعمارة فرعنا وبقية الفروع التي هي منتهى بغية كل من كان لنشر العلم من المعينين

جازى الله عن ذلك شيخنا جزاء المحسنين وامتع ببقائه الاسلام والمسلمين هذا وفي الختام اذكركم يا فضيلة شيخي واستاذي في قضية الفروع التي ابقينا لكم فيها تقريرا يكفي الآن عن زيادة التبيين قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين

وعلى اثره القى العالم الشيخ البشير الشطي المدرس بالفرع الزيتوني بسوسه الخطاب الاتي

خطاب الشيخ البشير الشطي

الحمد لله الذي جعل تقدم العلوم وازدهارها على ايدي كرماء عاملين الذين اخذوا على عاتقهم نشر الثقافة العربية في مختلف الميادين . واعزوا بذلك الشريعة السمحاء وذادوا عن حياض الدين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الامين . اما بعد فيا صاحب الفضيلة ويايها المشائخ الاعلام . ان هيئة المدرسين بسوسه تقدم لحضراتكم اسمى عبارات التبجيل والترحاب وتتمنى لكم رحلة موفقة وسفرا ميمونا يعود على الفروع الزيتونية بكل خير عميم ونفع جسيم . يا صاحب الفضيلة ان قيامكم بواجبكم على اكمل وجه واهتمامكم بكعبة الشمال الافريقي وفروعها قد سطر لحضرتكم صحائف بيضا سجلها لكم التاريخ بمداد الفخر والامتنان واذا تتبعنا حركتكم المباركة وما قدمتموه من خدمات جليلة تذكر فتشكر

نجد هذا الاعتناء بكليتنا العامرة مغروس في تلك الشيم الشما صانها الله فلا زلت على ذكر من دروس التفسير القيمة التي كنتم تلقونها قرب باب الشفاء على مدرسين اعلام ورغم اعفائكم من التدريس نظرا لتوليكم خطة القضاء ومشيخة الاسلام فانكم ضحيتم بوقتكم النفيس في تتابع هاته الحلقات بانتظام ومعهد ابن خلدون الذي اينعت ازهاره ونضجت ثماره مدين لجنابكم باعظم منه واجل نعمه وقد كنتم ابقاكم الله من المفكرين في انشاء فروع زيتونية داخل الايالة بكرع من حياضها من لا يقدر على النفقات الباهضة التي تستدعيها الاقامة بالحاضرة ولا ريب ان هذا الابتكار الجليل ستسيرون به اشواطا الى الامام وستولونه بنصائحكم الثمينة ورعايتكم الجليلة وقد ظهرت باكورة اعمالكم في هذه الجولات التي حزتم بها قصب السبق في هذا المضمار ومواقفكم الشريفة في مؤتمر اللغة العربية قد تركت في نفوسنا اجل وقع واحسن اثر اذ بفصاحتكم النادرة وبراعتكم الفائقة ازلتم القناع عن

المشترك الذي تفتخر به لغتنا العربية واتيتم بتحقيقات وبنات جمعات المستمعين ينظرون لجنابكم بعين ملؤها الاكبار والاعجاب واذا القينا نظرة على حياتكم الحافلة في شتى النواحي تبين وانكم مصدر النهوض العلمي والادبي والاجتماعي فالايالة التونسية قد قدرت جهدكم وعرفت فضلكم

توليتم خطة التدريس فزنتموها ـ وخطة القضاء فصنتموها ـ ومشيخة الاسلام فحميتموها ومشيخة الجامع فاعززتموها

ابقى الله مقامكم العلمي العملي لمثل هذه المكارم والمحامد ناشرين لواء العرفان في مخضر الرياض قريري العين بالفاضلين والفاضل وعياض

ثم تلاه العالم الشيخ احمد زعيتر المدرس بالفرع الزيتوني بسوسه وتلا الخطاب التالي

خطاب العالم الشيخ احمد زعيتر

الحمد لله الذي اعطى مقاليد الادارة العلمية لخيار ذويها . واصطفى لمعالم العرفان احسن بانيها . واستبشر عصرنا طلقا محياه لعودة المياه لمجاريها . ودب دبيب امال كانت ضائعة في نفوس طالبيها . وتطاول الناس اعناقا للاعزاز حق الجامع المعمور الذي ما زال قبلة امانيها . والصلاة والسلام على اشرف مبعوث للانام مرشدا لها وهاديها

مولاي يا صاحب الفضيلة . ايها الشيوخ الاعلام . اصالة عن نفسي ونيابة عن زملائي المدرسين اعبر لكم عما اثارته طلعتكم علينا المحفوظة بالعناية القدسية والمحيطة بالجلال والمهابة من معاني الابتهاج والغبطة ومن بشائر الامال المعقودة بعصركم الزاهر . وعما اكنته نفوسنا من زيادة التقدير والتعلق باذيال معاليكم المحروسة اذ مما لا شك فيه ان تكون زيارتكم للفرع الزيتوني بمدينة سوسه كسائر الفروع اكبر باعث للاعتقاد في حل المشكل الزيتوني ذلك المشكل الذي تتشوف جميع الطبقات الى حله القريب على وجه يرضي في آن واحد المدرسين بصفة خاصة والتلامذة والتعليم بصفة عامة حيث ان المدرسين يشعرون بالرسالة الملقاة على عاتقهم في ابنائهم الروحيين ويفقهون بالعلاقة التي تربطهم بهم . لذلك فهم يرون ان المعضلة الزيتونية ليست منحصرة في رغائبهم الخاصة وانما هي منحصرة في وحدة مطالب ذات ثلاثة فروع . اولها رغباتهم ـ وثانيها مطالب تلامذتهم ـ وثالثها اصلاح التعليم نظاما واسلوبا

والذي دعاهم الى ملازمة هذا الموقف من الاصلاح الزيتوني المنتظر هو ما هم به مسؤولون عن اولئك التلامذة الذين هم نتيجة تدبيرهم العلمي والاخلاقي وخلاصة مجهوداتهم يحاسبون عليها

امام الله ورجاء البلاد الاكيد في انقاذها من مهالك الجهل والفوضى الاجتماعية

مولاي ان المدرسين بالفروع يطلبون حيزا لائقا بكرامتهم العلمية في الحياة ويؤملون باعتمادهم على رعايتكم وعطفكم وحسن تفكم بمدارك اولي الامر والنهي منكم . والحاقهم بزملائهم اهل الطبقة الثالثة وليس ذلك بالامر العسير ولا بالمطلب البعيد عن كفاءتهم

هذا ونحن نعلق على زيارتكم باكورة العصر الجديد . كبير الامال وتحقيق النوايا ولا يسعنا الا ان نبتهل بالدعاء الى الله ان يطيل عزكم ومجدكم وان تحف الرعاية الالهية ببقاء العضدين الشيخين سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي وسيدي محمد العربي الماجري وكما لا يفوتنا من مسك الختام الا ان نبرهن على حسن التدبير والعمل لفائدة مدرسي الفرع وتلامذة الذي يقوم به بحزم ونشاط واخلاص الشيخ العلامة سيدي محمد القروي ناظر الفرع والسلام عليكم

وعلى اثره تلا العالم الشيخ عمار الوسلاتي المدرس بالفرع الزيتوني بسوسه الخطاب الاتي

خطاب العالم الشيخ عمار الوسلاتي

الحمد لله الذي فلق الجهالة بالعلم الوضاح ونسخ آية الليل بآيات الصباح وطوى بساط القديم ما نشر من جديد الاصلاح وبما بث في الهمم الشماء من نوازع للصلاح ودوافع الى الفلاح ودواعي النجاح والصلاة والسلام على من آسى من الانسانية الكلوم والجراح بما اعلى من راية الدين والحق في الكفاح وبما ذلل الكفر من الجماح من بز عبيق نفحه اللاس والآذخ وطاب ذكره وفاح مهما خبا نجم او لاح وغدا غاد او راح سيدنا محمد فخر العرب الافصاح وعلى الآل والصحب الذين هم (عضده والجناح ١)

وبعد فياحضرة الاستاذ الامام والعالم الهمام اني اذا ما تحدثت عن سجاياكم فانما اتحدث عن خلائق تزخر بسوابقها نحو مكارمكم الطامية وتقذف بلآليها امواج مزاياكم المترامية وعن خصال نبتت في المجد نبوت الشامخات من الرواسي حفظتها الاملاك وعرفتها الاناسي بل ما عساني اقول فيمن قضى الدهر يتحدر في اصلاب العلماء والوجهاء والفضلاء الى ان تمخض بهذا العصر السعيد وطلع فيه طلوع هلالة العيد فكان اعجوبة الزمن ذكاء وحكمة وعبقرية وفطنة نطقت بذلك الكتب في مبانيها واسفرت عنه الاسفار في معانيها وشهدت به العصر ايامها ولياليها

١) تورية لوصف الشيخ رفيقيه بانهما جناحاه يطير بهما نحو العلا من كلمة فاهبها في نادي الشبان المسلمين مساء حلوله بسوسه

يا حضرة الاستاذ الامام ويا حضرات السادة الاعلام لقد عرفناكم بالخبر قبل الخبر وبالعين لا بالاثر فعلمنا ان قد تزينت في افق المجادة عظمتكم بانجم زاهرة من حسناتكم الفاخرة وزهت في جنبات العز والسؤدد رياحين ذكركم الحميد السائرة وانوار فضلكم العميم الزاهر

سادتي حق لبوسة ان تميس تيها وسرورا وان تختال فخرا وحبورا اذ بدت اجواؤها في الصفاء ورقلت اكوانها في البهاء بما انعكس فيها من طلعات الزائرين الكرام وغرر الضيوف العظام وحق لاطيارها ان تترنم على الايك بالاسجاع ولبلابلها ان تصدح بآخذات الاسماع فان شمسنا ما هي الا ضيؤكم يشرق متوهجا ويرسل النور متموجا وان بدرنا حين نظرتموه اقتبس من نوركم ونم عن طيب شعوركم ولما راى تمام فضلكم تم (٢) وعميم خيركم عم فتقبلوا عن جيلكم زهورا من الشكر يضوع رياها وورودا من الثناء يفوح شذاها

هذا وان زيارتكم للفروع ايها الضيوف الافاضل والشيوخ الاماثل لهي برق صادق يشق ظلماء الياس وبشير بعوء المظلمة والضير والباس وان الفروع قد أحييتم ثبوم امانيها تهديكم على الدوام تهانيها والسلام عليكم ورحمة الله .

وعلى اثره القى العالم الشيخ محمد التهامي عمار المدرس بالفرع القصيد الاتي :

قصيد العالم الفاضل الشيخ محمد التهامي عمار

سلام على شيخنا الطاهر * وعضويه بلقاضي والماجري
وعونهم الطيب المشبهين * بيمن الجناحين للطائر
فاهلا وسهلا ورحبا بكم * وبشرى لوفد لنا زائر
فبوسة ثم القرى حولها * غدوا بين مثن ومستبشر
فيا شيخ جامع زيتونة * وشيخ الفروع الهمام السري
افيضوا على القطر من زيتها * ومن نورها الساطع الباهر
فقد داهمتنا جيوش الظلام * تفاقم صدمع على الجابر
فيسر سبيل الهدى والعلوم * وكن خير مستنهض ناشر
تعهد فروعا لزيتونة * يصرن زياتين للناظر
فمثلك من يرتجى للقيام * باعباء اصلاحها المثمر

٢) اشارة الى تاريخ الزيارة وانها جاءت مع تمام هلال جمادي الثانية ١٣٦٤

وللدين حق علينا جميعا ٭ فهل للحنيفة من ناصر
شغلنا بزيد يضارب عمرا ٭ وشيعي ومعتزل كافر
وكم من اساليب مستحسنات ٭ جدنا على غيرها الدائر
وكم من مذاهب فينا استجدت ٭ لهونا على امرها المخطر
ونحن الاولى ينبغي ان نسود ٭ على البر والبحر في الاعصر
فهل سخرت لسوانا السموا ٭ ت والارض في الآي للذاكر
دعونا من الشان والطيلسان ٭ فلسنا رهابنة الاديرِ
فدينـنا دين الهدى والدنى ٭ ودين الفلاحة والمتجر
و دين الصناعة مثل الحديد ٭ وشتى الفنون لمستبصر
ودين العدالة والمكرمات ٭ ودين المساواة في العنصر
على ضوء هذي المبادي نسير ٭ لنحضى بمستقبل زاهر
فاصلاحنا ينبغي ان يكون ٭ على مقتضى الزمن الحاضر
لنرجع للدين ريعانه ٭ فيرضى لدى البر والفاجر
ويدخله الناس فوجا ففوجا ٭ بنصر وفتح من القادر
فسبح بحمد لرب السماء ٭ وسل عون توابنا الغافر
وسارع الى عمل الصالحات ٭ فنحن على اثرك الطاهر
وخذها عجالة نظم كثير ٭ خلت عن ترو من الشاعر

وانتهى الحفل بخطاب الشاب عبد العزيز رجيبه :

خطاب الشاب عبد العزيز رجيبه

مولاي علامة الشمال الافريقي ـ وعنوان مجده الحقيقي ـ مفخرة البلاد التونسية ـ ذو الاخلاق والشمائل البهية ـ رافع منار العلم في هاته الربوع ـ كعبة القصاد ـ ومنهل الوراد ومنجع الرواد الذي سرى ذكره في الآفاق ـ ولهجت بمدحه جميع الرفاق ـ فضيلة شيخ الجامع الاعظم وفروعه سيدنا ومولانا وقدوتنا محمد الطاهر بن عاشور ادام الله بقاءكم .

لشد ما تمنينا امنية اختلجت في ضمائرنا منذ زمن بعيد الا وهي قيام سعادتكم بزيارة موقفة لفرعنا الذي بدات تظهر فيه النهضة المرجوة ـ فالحمد لله الذي حقق رجاءنا وجعل املنا غير

مكذرب فها انتم بيننا وها نحن مبتهجون بقدومكم الميمون - مسرورون بوفادتكم المبشرة بتحقيق لامال فرحون بالمستقبل الزاهر الذي سنحرز عليه لاننا نعتقد ونتحقق ان فضيلتكم ما يمر عليكم يوم الا وقد اسديتم للجامع المعمور وفروعه نعمة خالدة وحسنة مشكورة وقمتم باعمال جليلة تكون في جبين الدهر غرة لا تزول. امد الله في حياتكم وجزاكم على ما فعلتم خيرا - ان هذا اليوم من الايام الخالدة - يوم السرور والهناء والبشر والرضاء والسعادة الحقة يوم فاتحة العهد الجديد الذي طلما رجوناه وتشوقنا اليه - فها هي جميع التلاميذ مغتبطون بكم وباعمالكم المثمرة وخدماتكم الجليلة - شاكرون لكم اياديكم البيضاء وكلهم مور لكم من اطرائه ومدحه.

وقد بلغنا منشوركم الذي بعثتم به الى مشائخنا الكرام فوجدناه تحفة من التحف الثمينة تنبيء عن اخلاصكم وصدق نيتكم فهو يشتمل على امور مهمة وافكار رئيسية لامحيد عنها ترجع بالنفع والخير العميم. وانا اريد من فضلكم ان تسمحوا لي بان اقوه بكلمات تعبرعن افكار التلامذة.

١) اما من ناحية التعليم فان هناك مواد تدرس دراسة مستفيضة كالفقه والنحو وهناك مواد اخر دراستها ضئيلة جدا وهي كالمعدومة كالانشاء التي هي من ضروريات العصر والتي يجب ان تدرس دراسة عميقة ليتمكن التلامذة من فهم اساليب العربية وبلاغتها ولا خير في تعلمنا اذا لم يخولنا لفهم لغة القرءان والوقوف على اسرارها . والتاريخ مثلا لا يقل اهمية على الانشاء فهو يحدثنا عن الرجال العظام لنقتدي بهم في افعالهم ويذكرنا سلفنا الصالح الذين حملوا لواء العرفان اعصارا متوالية فهو يحرضنا ويدفعنا للنسج على منوالهم لنبلغ اوج الكمال مثل ما بلغوا ولنرتقي الى المقامات السامية مثل ما ارتقوا واما دروس الاخلاق التي هي اساس كل شيء والتي عليها مدار حياة الشعوب . فهي تغرس الفضائل في نفوس التلامذة شبان الغد وبناة الحاضرة المتجلية وتربيهم تربية اسلامية محضة فينشوا على الصفات المحمودة والاخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة فيكتسبون حينئذ الكفاءة على تادية رسالتهم نحو امتهم وبلادهم . فالمرجو من فضيلتكم تنقيح هذه الكتب الطويلة الذيل وترتيبها على احدث منهاج يوافق عقلية النشء الكريم ويطابق روح العصر . واما من جهة السكنى فاننا محرومون من المرافق اللازمة كالضوء والماء . ونرجوا جعل امتحان الشهادة الاهلية بالفرع ليكون ايسر للتلامذ وارفق بهم وان نكون متصلين بالجامع الاعظم اتصالا حقيقيا لا انفصام له . واختم كلامي بمزيد الشكر والثناء لفضيلة مولانا سيدي محمد القروي قاضي سوسة والمكلف بفرعها جزاء لما قام به من الاعمال التي تتعلق بتنظيم الفرع وتوثيق عرى الاخوة بين جميع التلامذة ولا ننسى ايضا المجهود من طرف مشائخنا الكرام واخيرا اختم كلامي بالدعاء طول حياتكم ولكم منا احسن التحية والسلام .

ثم تقدم وفد من مدرسي قرى الساحل الى الاستاذ الامام والفت نظر سماحته الى المدرسين الخارجين عن الفروع الخمس وضعف الجراية التي يتقاضونها واهمال شانهم وقلة العناية بهم الامر الذي ادى الى ضعف النتائج التي هم مسؤولون عنها امام الله والامة

ثم اجرى تفقد عام على سير التعليم وعلى المدرسين والتلامذة

وبعد ذلك وقع تفقد مدارس سكنى التلامذة

وفي المساء وقعت زيارة المدرسة التريكية القرآنية باستدعاء من مديرها الصالح المصلح الشيخ محمد التهامي عمار وكان بصحبة الاستاذ الامام فضيلة الشيخ القاضي وجناب العامل والعلماء فاستقبل سماحته بحماس من الشباب السوسي وارتجل مديرها خطابا دينيا قيما

ثم انشد التلامذة النشيد التالي :

نشيد التلامذة

التحيات الزكية ❊ من بنيكم واحترام ❊ صانكم رب البرية ❊ ايها الوفد الكرام
مرحبا بالطاهر الشيـ ❊ ـخ ابن عاشور الامام ❊ يا مدير الاصل والفر ❊ ع ويا رمز النظام
للحياة المدرسية ❊ خير ما يسعى الانام ❊ زخرفت جنات علم ❊ فادخلوها بسلام
بعد تخريب وهدم ❊ واغتراب وانصرام ❊ الهم الله رجالا ❊ اصلحوا كل انهدام
بذلوا حزما ومالا ❊ انجزوا خير المرام ❊ لهمو اجر وفخر ❊ بعد محمود الهمام
قدموا اعمال بر ❊ صالحات للدوام ❊ لهمو فضل وشكر ❊ كل حين كل عام
التحيات الزكية ❊ من بنيكم في الختام

وهذه ابيات انشدها تلامذة القسم السادس الصغار بمناسبة انتهاء الحفلة

ايها الطاهر اهلا ❊ يابن عاشور وسهلا ❊ قد حللت الصفو حلا ❊ وجرى دمع السرور
انت للعين ضياء ❊ في اهتداء وارتقاء ❊ يا وريث الانبياء ❊ انت للمعمور نور
بك شمل الانس دام ❊ في صفاء وسلام ❊ ايها الشهم الهمام ❊ دمت في عيش نضير
فاقبل الشكران منا ❊ كرما منك ومنا ❊ ان رحلت الآن عنا ❊ انت في نجوى الضمير

ثم خرج الوفد قاصدا المأوى الجهوي الخيري الذي اسسه اهل الجهة ولما يتم بناؤه بسبب حادث الحرب فوقع الطواف به وقد تبرع اهل الجهة في انشائه وهو عمل خيري عظيم يرجى منه ان يسد حاجة اهل الجهة فجزى الله المحسنين احسن الجزاء

وقبل مغادرة سوسة وقعت زيارة السري المفضال السيد عبد الحميد الجربوعي احد اعيان سوسة الذي اعد للاستاذ الامام استقبالا في داره اكراما لسماحته وتقديرا منه لهذه الزيارة التي استبشر بها اهل سوسة وعلقوا الآمال الطيبة في النهوض بالفرع الزيتوني الذي يغذي ابناء الساحل بالعلوم الاسلامية

وعلى الساعة السادسة غادر الركب سوسة قاصد مدينة الصحابة :

القيروان

ولما بلغت السيارة الى الميل العشرين قبل المدينة الفى الاستاذ الامام في استقباله وفدا رسميا يضم فضيلة باش مفتي القيروان الشيخ الطاهر السدام وفضيلة القاضي الشيخ احمد عطاء الله وفضيلة المفتي الشيخ عبد الملك اللعواني وجناب العامل امير الامراء السيد عبد العزيز السقى وخليفته السيد يوسف كريفة والسري السيد عمر العواني النائب بالمجلس الكبير ونائب الجهة السيد الحاج صغير نقرة

فركب الاستاذ الامام سيارة العامل وسار الركب الى مقام السيد الصحابي ابي زمعة البلوي رضي الله عنه وفي الساحة الكبرى امام باب المقام اجتمع اهل القيروان لاستقبال الضيف الكريم وكان مشهدا مؤثرا دل على مبلغ تعلق القيروانيين بجامع الزيتونة الاعظم وشيخه الاستاذ الامام

وبعد الترحم امام ضريح السيد الصحابي انعقد موكب حافل بالصحن الداخلي كان اول الخطباء فيه الشيخ محمد شويشه رجل القيروان الفذ ارتجل خطابا قيما رحب فيه بزائر القيروان وباعث روح الاصلاح الديني وبانتهائه القى الاديب الاستاذ محمد الحليوي قصيدة كلها عيون . وبسائره القى العالم المدرس الشيخ الطيب الورتاني قصيدة - يجدها القاري في خاتمة احتفال القيروان

قصيد الاستاذ الحليوي

شعري دعوتك دعوة الالحاح * فهنا مجال القول والافصاح
اني دعوتك للقريض المنتقى * فاسمح به من خاطر سماح
انا لم اجشمك المدائح زلفة * كلا ولم اك قط في المداح
اني نظمتك في مفاخر امتي * والمجد مجد جدودي الاقحاح
واشدت بالماضي القديم وعزه * فبعثت اي حمية وطماح
ولكم نظمتك كالفرائد للعلى * ولدعوة للخير والاصلاح
وهززت عطف النبل فاهتزت له * اعطاف كل غرانق جحجاح
وقد اتخذتك ترجمان مشاعري * وجعلت وحيك بلسم الاجراح
وزجرت نفسي عن مطامع جمة * وصرفتها عن باطل الامداح

وحلفت اني لست احبو مدحتي ❀ الا لشهم في الخطوب وقاح
او للامام امام عصري انه ❀ طب النفوس ومنهل الارواح
علم يعز نظيره في دهره ❀ هيهات ! ليس نظيره بمتاح
علم تجمع علمه في شخصه ❀ كتجمع الاضواء في المصباح
علم اعاد من الائمة سيرة ❀ امست لطول العهد كالضحضاح
ما ضر من اضحى يعيش بعصره ❀ ان لم يشاهد مالكا في الساح
او ينتجع سحنون في حلقاته ❀ وابن الفرات بعصره النفاح
الله زينه بزينة علمه ❀ فحباه مملكة على الارواح
جم التواضع في سماحة خلقه ❀ لكنه في هيبة السفاح
والعلم سلطان - يزين ربه ❀ بجلالة لم تكتسب بسلاح



يا ابن الائمة آل عاشور الألى ❀ زانوا البلاد بحكمة وصلاح
وبنوا لتونس شهرة فنشرتها ❀ في كل آفاق وكل نواحي
فغدت ترى كالشمس في اشراقها ❀ وسنائها وجمالها الوضاح
القيروان تشوفت وترقبت ❀ بشرى طلوع الفرقد اللماح
حتى طلعت على الربوع مكرما ❀ كالغيث ينتاب الاديم الضاحي
وشيوخها وشبابها في حفلة ❀ قد ترجموا عن شكرهم بصداحي



اليوم جامع عقبة قد اشرقت ❀ ارجاؤه : الطاهر الوضاح
مضت القرون ولم يشاهد مثله ❀ في علمه وتقاه والاسجاح
ذكر الائمة في جلالة قدرهم ❀ فارتاح للعهد القديم الضاحي
ايام كان الملك في عرصاته ❀ ورجاله في غدوة ورواح
لو كان يشكو معلم من دهره ❀ لشكا اليك ولج في الايضاح
او كان ينطق صخره عن حاله ❀ لبكى وافصح ايما افصاح
من بعد ان كانت تعج رحابه ❀ بالعلم - امسى لعبة الارياح
لكانني اصغى الى اعلامه ❀ من عالم الاشباح والارواح
تدعوك يا شيخ الشيوخ فانت من ❀ يرجى الى التعمير والاصلاح
ولسوف يحفظها الزمان مبرة ❀ تبقى مع الامساء والاصباح

وختم الاحتفال بخطاب ارتجله الاستاذ الامام اجاب فيه الخطباء بعد ان شكر اهل القيروان على ما ابدوه نحو سماحته من الحفاوة والاكرام ثم تليت فاتحة الكتاب وبعد ذلك وقع تفقد المدرسة الصحابية التي يسكنها تلامذة الفرع

وهذه المدرسة قد وقع ترميمها واصلاحها فاصبحت على حالة حسنة تاوي عددا وافرا من التلامذة ولكن هؤلاء التلامذة قد وقع الاجحاف بحقوقهم المادية المنجرة لهم من الاوقاف المحبسة عليهم فعسى ان نرى من نائب الاوقاف المفضال ما يطمئن الخواطر ويسهل على طالبي العلم الانقطاع للعلم لا سيما وكلهم ممن يحتاج لمد يد المساعدة خصوصا في هذه السنوات الاخيرة فقد وجدناهم على حالة سيئة يقتاتون مقدارا لا يغني من جوع وهذا عار واي عار

ففي مثل هذا العصر يتقدم التلميذ الى طلب العلم فيفترش الحصير ويتوسد الحجر ويكتفي باكلة واحدة في اليوم - لم يطاوعني قلمي على وصفها - ويلبس اردأ الثياب . ونحن نستلفت الانظار اليهم ونستعطف اهل الاحسان ليمدوا لهم يد المساعدة على تحصيل العلم

ثم خرج الجميع من المدرسة قاصدين دار آل العواني التي اعدها رئيس العائلة العوانية ونقيب السادة الاشراف الشيخ العواني لاقامة الاستاذ الامام وفي صباح يوم الاثنين كان موعد تفقد الفرع الزيتوني بالقيروان فحضر جناب عامل المكان وخليفتاه واصحاب السماحة شيوخ المجلس الشرعي عند الاستاذ الامام وسار الجمع الى جامع عقبة الاعظم

الاحتفال في الجامع الكبير بالقيروان

بعد ان زار الاستاذ الامام المكتبة العتيقة دخل الى الجامع ولما استوى به المقام القى الخطاب التالي :

خطاب الاستاذ الامام في جامع عقبة

الحمد لله الذي جعل العلم نبراس هدى وايد من تازر بمجده وارتدى والصلاة والسلام على رسوله الذي جمع الباس والندى واصحابه القائمين بنصره لقمع العدا وايمة دينه الذين لم تخل سماء الفضل من كوكب منهم بدا وابى الله ان يذهب ارشادهم سدى فقام عماد الحق بهم قياما سرمدا

اما بعد فانا مغتبط بحلولي في هذا المعهد الجليل الذي طالما زخرفت به بحار ومدت شجرة ثقافته ظلها الوارف فانمرت فطاحل كانوا غرر الزمان وسموا الى اوج دونه اوج كيوان وخبر ذلك يدور مجملا مدار الاستفاضة ويلقاه مفصلا من متع في رياض التاريخ سمعه والحافظة فاطالة التنويه به

تعد اطنابا وتفصيل ءاثار مجلدة لا يعد من المبالغة عـابا ولكن صرف الدهر ضرب ضربانه فمس بيد التغيير حظا عظيما من صروحه وآبانه فسبحان الذي حول الاحوال وقسم الحظوظ بين البلاد وبين الاجيال وتلك سنة الله في زعامة الحضارة ان لا تكون دوله وفي نماء العلم ان يكون حيث تستقر الدولة

ومع ذلك فالفضل للمتقدم وسابقة المجد تعود على اهله وتتمم فلا ينبغي ان تفتر الهمم اذا صار الاصل فرعا وعاد ذلك المربع مرعى ، فالحمد لله الذي حفظ لهذه المدينة المباركة من بهجتها الماضية رواء وخلد فيها من نور الدين والعلم سناء فلم يزل هذا المعهد العظيم ركنا مقصودا وحوضا للمستقين سائغا ،وورودا فاسال الله ان يمنحنا في موقفنا نحو هذا الهيكل المبارك التوفيق لما يرضيه من بعث انوار العلوم الزكية وان يرزقنا من نجاح العمل كفاء خلوص النية ويسعدنا بالاقتداء برجاله الاعلام الذين صابروا ورابطوا في خدمة الاسلام

فالآن لما وقع الالتفات الى تحسين حالة المدرسين تحسينا يعوض انصراف هممهم الى العناية بتعمير هذا المعهد والنهوض بما فيه من دروس علوم الدين وعلوم اللغة التي بها نبلغ مرتقى كمالنا في الجامعة الاسلامية والعلوم التي بها النجاح تبوىء المكان الاسمى من الحياة الاجتماعية . رايت حقا ان اقوم بزيارة هذا المعهد الجليل للنظر في احوال التعليم والاساتذة والمتعلمين عسى ان نبلغ به الى المكان الاسمى الذي هو به حقيق وذلك بتثقيف اذهان تلامذته وقيادة بالعلم الراسخ والفهم القويم وان قوام ذلك الداب على تذكير العـالمين وارشاد المتعلمين ولا جرم انه لا يحصل توسيع دائرة ذلك الا في ضمن تنشيط الفروع الزيتونية الموجودة (وهذا في مقدمتها) وبالاكثار من فتح الفروع حيث لا توجد وباقامة نظمها على قاعدة الاتصال المحكم العرى بمشيخة المركز الزيتوني بطريقة تكفل بتمثيل المشيخة بالفروع وبان تجري بها البرامج والمناهج المسلوكة بالمعهد الزيتوني سواء وبذل العناية بالمتعلمين وتوفير راحتهم في سبيل تحصيل الشهادات مع ما يقتضيه ذلك من مد يد التنشيط للمشائخ العاملين بادارة هذه الفروع بمـا تستلزمه ادارة دواليب اعمالهم على وجه مسترسل ومنتظم وللمشائخ المدرسين بجعلهم في مستوى نظرائهم وتعزيز كل فرع بـايجاد قسم مدرسي صالح لالقاء الدروس التطبيقية على احدث الاساليب واوفاها بالضبط والتسهيل وبالاكثار من تاسيس المدارس لسكنى الطلبة الوافدين على مثال يفي بما تتطلبه اصول حفظ الصحة

وان اجدر الفروع بالتقديم والاهتمام هو هذا المعهد الذي ملات شهرته صحائف التاريخ

فمن الواجب علينا ايها الجمع ان نتكاتف ونتعاضد على العمل لانهاض العلم بهذا المعهد الجليل وماذا عسى ان نكد ونجتهد وللبلوغ الى ذروة مجده طرائق لا تعد لكن ذلك وان كان مرتقى صعبا فان حسن النية اذا ملك قلبا يسر الله من العمل ما يرضي عبادا وربا

ولنا في الاعتماد على حسن نوايا ملكنا الجليل ذي الفخر الاثيل ما يقدمنا على هذا المهم الذي هو به كفيل فانه لم يزل يمد اهل العلم بالرعاية ويشد سواعدهم بكامل العناية ويرغب في رضى الله تعالى الذي هو اقصى غاية لا زالت صحائف التاريخ بشارة ناضرة وعيون الآمال العظيمة الى سحاب فضله ناظرة اه

وبانتهائه القى حضرة العلامة النحرير الشيخ الطاهر الصدام الباش مفتي بالقيروان الخطاب التالي

خطاب الشيخ باش مفتي

يا مسجدا اسس بنيانه * عقبة في صحب كرام الخلل
مرت قرون بك انت التي * تكسو من العرفان اضفى الحلل
ومضرب الامثال بين الورى * وكعبة القصاد عند الاول
انتابك الدهر باحداثه * ومن عليه الدهر لم يستطل
فلم يزل تسقفر ارجاؤه * حتى خلا اعتراه الخلل
الا وبصيصا من سنا نوره * لم يشف من فرط صدانا الغلل
ولم نزل نسعى لعمرانه * ونبذل الجهد فتعيى الحيل
حتى تولى الامر ذو همة * مسدد الراي رشيد العمل
علامة القطر ونبراسه * لم يدر في اسعاده ما الكلل
فانجاب ليل الياس عنا به * ولاح بالاصلاح صبح الامل
وجاء عن خبرتكم انها * لم تبق من مشكلة لم تحل
وهذه الزورة قد بشرت * بالنجح فالكل بها في جذل
لم تعيك الجلى واعباؤها * فهل ينوء بك هذا الجلل
يدعوك ذا البيت لعمرانه * يا ايهذا العبقري الاجل
وسوف يعطى بك ما امله * الست في الانجاز ذاك الرجل
والله لا زال لكم حافظا * يحرسكم في مكثكم والنقل
ما قام للاصلاح داع وما * لبى النداء للرشد شهم بطل

يا فضيلة الاستاذ الجليل ذي الراي الاصيل والمجد الاثيل ـ سادتي

ان هذا الجامع العتيق الذي اسس على التقوى * وانبعث منه العلوم والانوار في جميع الانحاء * وتزاحمت به حلقات التدريس * واقبل المعلمون والمتعلمون برحابه على العلوم باذلين كل نفيس * اصبح اليوم التعليم به ضعيفا ضئيلا * لا يفي بحاجات بلدنا الا قليلا * حتى اضطر الضعفاء من طالبي العلم الى العدول عن طلبه لا يجدون اليه وسيلة ولا سبيلا * كيف وهذا الجامع الاثري المبارك لا يوجد به الا ستة مدرسين عند تمام النصاب * على حين ان عدد الطلبة يمكن ان

يبلغ به المئات ان توفرت لهم الاسباب * وطالما حاولنا فيما مضى تلافي هذه الحالة الاسيفة * باكمال موازنات الدروس بالمتطوعين طالبين لهم اعانات ولو ضعيفة * لكن لم يحصل المرغوب رغم الطلب والتكرار * حتى تخلف من بقي مباشرا منهم عن التدريس بعد طول الانتظار * وكدنا ان نياس من انجلاء هذه الازمة التي كدرت القلوب * والتجانا بالدعاء الى علام الغيوب * فاذا الرجاء منبعث في قلوبنا من جديد * وباكورات المساعي القيمة تظهر يوما فيوما وتزيد * وذلك بولايتكم مشيخة جامع الزيتونة المعمور وفروعه * فتباشرنا بحلول عصر جديد وبلوج فجر السعادة وطلوعه * ولم نلبث ان صدق الواقع تباشرنا * بحلولكم اليوم بين اظهرنا * متخذين احزم طريقة في البحث والاستطلاع * وراء الحقيقة وكشف القناع * طريقة كل حازم نبيل وسيد فضل جليل * يذلل المشاكل والصعوبات * ولا تقف امامه المفاوز والعقبات * يبحث عن الداء ليستاصله * وعن الدواء ليوصله * فداؤنا قلة المدرسين * اذ هم لا يتجاوزون الستة عدا * والدواء جعلهم ضعف ذلك مع منح جراية لاثنى عشرة من المتطوعين * حتى تكون جملة من يزاول الاقراء اربعة وعشرين * فاذا تعددت حلقات الدروس * اصبح الحديث عنها بلا ريب في كل ناد من كل حاضر وباد فتثور الهمم وينبعث حب التعلم في النفوس * وتشرئب له الاعناق * وتتقاطر وفود الطلبة من جميع الافاق * فيعمر جامع عقبة الجليل بالمئات من المتعلمين سالكا الخطوة الاولى في استرجاع مجده الاثيل * فيكون ذلك مفخرة من مفاخركم العظيمة * وحسنة من حسنات اياديكم الكريمة * يسجلها لكم التاريخ وتتناقلها الالسن جيلا بعد جيل * تنالون بها الثواب الجزيل * لا سيما وجامع عقبة جامع خيرات وبركات * من عدة نواح وجهات * منها انه اسسه على التقوى نخبة من الصحابة الاصفياء * وما لبث ان صار حصنا من حصون الدين * وكعبة للمسلمين * ومنها امتيازه بارواح طاهرة ونفوس زكية * رجعت الى ربها راضية مرضية * اعني بذلك ارواح الشهداء الذين هم حول جدرانه مقبورة * والذين هم احياء عند ربهم يرزقون * بحيث ان اشعة الرحمة به متدفقة بلا انقطاع * والانوار الالهية فياضة بالاجماع * والدعاء به مستجاب * ولذا نبتهل لرب الارباب * فنقول اللهم يا سامع الاسواط * يا مجيب الدعوات * اطل بقاء شيخنا في المسرات * واجر على يده الصالحات * وانفع به الاسلام والمسلمين * واحي به علوم الدنيا والدين * واجب دعاءنا يا كريم يا وهاب * بحرمة فاتحة الكتاب .

وعلى اثره قدم العالم الشيخ حموده العامري المدرس بالفرع الزيتوني بالقيروان لفضيلة الاستاذ الخطاب التالي الذي لم يقع القاؤه :

خطاب العالم الشيخ حمودة العامري

يافضيلة استاذنا الاكبر وشيخ شيوخنا المحترم ان شباب الفرع القيرواني الماثل اليوم في جامع عقبة ولولياء التلامذة الذين تفاءلوا خيرا بمقدمكم السعيد يطلبون من جنابكم السامي ان تسيروا الثقافة لسير التعليم بهذا الفرع الذي اصبح يشكو قلة النظام وعدم انتظام الدروس به . إننا نطلب من ابوتكم التعجيل بتعيين نائب عنكم تناط بعهدته ادارة الفرع ويكون المشرف على سير التعليم به فاذا انتظمت الدروس ساد الفرع النظام وتضاعف اقبال التلامذة عليه ونما عمرانه . ـ هذا وان ابناءكم الروحيين مدرسي جامع عقبه منبع الثقافة ومبعث الروح العلمية الفياضة يرغبون من ابوتكم مواصلة سعيكم المشكور في تنمية عدد مدرسيه كما يرغبون من سماحتكم الاهتمام بقضية اخواننا المتطوعين تنشيطا لهممهم على بث الثقافة ونشر راية العرفان بين هذه الربوع

وختاما نشكر عنايتكم بسير التعليم بالفروع الزيتونية العامرة ونشاطكم المستمر وبكامل الابتهاج والسرور نقدم لحضرة سماحتكم خالص تحياتنا بمثولكم بفرعنا هذا كما نشكر حضرة الاستاذين الجليلين سيدي العربي الماجري وسيدي محمد الشاذلي ابن القاضي عنوان الحزم والنشاط لما قاما به من مساعدتكم في هذه الرحلة الميمونة التي سيسجلها لكم التاريخ في صفحاته الخالدة والتي نرجو ان تكون ثمرتها النتيجة العاجلة ـ والله المسؤول ان يكلل اعمالكم بالسداد وان يثبت خطاكم لما فيه رضى الله والعباد انه قريب مجيب وبالاجابة جدير والسلام عليكم ورحمة الله .

ثم القى الشيخ محمد الطيب البليش العدل والامام بالقيروان الخطاب التالي :

خطاب الشيخ محمد الطيب البليش

الحمد لله الذي جعل تقدم الامم بالعلوم والعرفان والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله واصحابه في كل وقت واوان

اما بعد فيا عمدة التحقيق وقابض زمام التوفيق والتدقيق . ان القيروان تعتبر يومها هذا غرة في جبين حياتها بتشريفكم لربوعها والتفاتكم لكعبة مجدها ومعهد فخرها . حقيقة ان القيروان السعيدة باقبالكم . متشبثة باذيالكم . لتضمدوا لها جروحها باعادة ما تصدع من بناء عزها . وتبنو من جديد ما انهار من صرح عز شامخ وعلو كعب راسخ . اجل ان القيروان لفخورة بهذا اليوم الذي يعده اهلها اعظم فتح لمعهد عقبة الذي اكفهر له وجه الدهر وفقدت عرصاته ما كان تشد له الرحال من كل قطر كان معهدها الاثري كعبة القصاد من سائر الاقطار والبلاد لتلقي العلوم

الدينية والثقافة الشرعية حتى ملا ذكره الخافقين وها هو الآن اصبح اثرا بعد عين . فحلول وكابكم السامي بهذا البلد الامين يعيد لهذا المعهد ما فقده فيما مضى من السنين ، فسيروا به الى الامام رافعين راية العلم باليمين يشجعكم الخاص والعام مستعينين بعناية الملك العلام في حمى ولي النعم ، من يعجز عن ذكر محاسنه القلم المحفوظ بحفظ السور والآي سيدنا محمد الامين باشا باي صاحب المملكة التونسية لا زال مرموقا بعين العناية الربانية . وفي الختام اسأل الله تعالى ان يمنحكم الرضى ويصرف عنكم سوء القضاء ويسدد خطاكم لما فيه الخير والصلاح ، منادين في ربوع العلم حي على الفلاح بجاه سيدنا محمد صاحب المعجزات الفاخرة وبسر سورة الفاتحة .

وعلى اثره الفى الشيخ محمود بن جربو العدل بالقيروان الخطاب الاتي :

خطاب الشيخ محمود بن جريو

استاذي ووالدي الاعز ! اخواني الاعزاء ! بني الكراما !

بلغت فوق عقد الستين ولم اقف فيه موقف التالي لما يخالج الظمير وها انا امام جمع جمع ممن لاذ بشيخ الجميع واستاذ الكل الاب البار

ومحبتي الراسخة فيه تدفعني لان اقف امام حضرته مترجما على لسان حال الكتب المتيقة بالجامع الضيق بالقيروان اذ لسان حالها يقول :

انا الكتب بالجامع الاعظم بالقيروان انا الخطوط الكوفية انا الحكم المدخرة انا الاداب المخزونة انا الموعظة لاولي الالباب انا الاملاءات الصادرة من افواه علماء البلاد انا جواهر الدين انا حجة اليقين . ولكن ! الآن انا الموصودة الابواب انا الآن في السجن والعذاب

فهل من راحم لذلي هل من مانع عني السوس والفار هل من دافع يدفع عني العار هل من فاك لقيودي هل من واقف على رسم وجودي . ؟

ولقد علمت ان الامام الاكبر والعالم الافخر حل بين عرصات جامعي يا املي ومانعي بابنيك البارين وبصاحبيك العالمين وبعضديك الحازمين ان شاء الله تتبدل احوالي لما ابداه لسان حالي وينشر عني ما ذكره يحلو لي يا امام الهدى ومصباح الدجى

فهل شكاني وشكواي لسماحتكم نافعة للبلاء والابتلاء دافعة ام اخاطب من بيده اقفالها وسجنها ووهنها ام ارفع امري لمن بيده حلها وسراحها ونشرها بعد رمسها من وزرائها وذوي الامر فيها حتى تزيح عنها ثوب ذلها وتلبس رداء عزها وزينة نشرها

ام تقف باعتاب اميرها وامينها ناشرة شعرها كاشفة لجبينها عازمة على بث شكاتها لمن يرحم ذلها ويشفي المها

اسكتي يأماه وكفاك ما لسيدي ابديته اذ هو العالم بما تحويه في مطاويك والذي سيسعى بحزمه في حل اقفالك وحسن مئالك

وانا كما تعلمين لم اكتم الذي ابديته ولا ازيد لاجلك فيه . ولكن خوفي اذا جئت ربك يوم القضا فعلى من يكون الحكم بالقضا ذلك مفوض وموكول لمسبب الاسباب سريع الحساب

يقول السامع ما بال الوكيل يدافع عن اوراق طال عليها الزمان ومرت عليها دهور واون .

ولم يسلك طريقة الترحيب باستاذه ومربيه ويسلك طريقة من قبله ومقتفيه

اعلم ايها القائل ان استاذنا غير محتاج الى ذلك وهل يحتاج النهار الى دليل . ومحبتي له منعتني من ذلك اذ انها الدافع للمدح كما انها اذا تمكنت اوجبت السكوت

استاذي ووالدي البار يعلم مني ما لا ابديه فيه وكفاني منه ما نلت من جواهر فيه واسداء اياديه

ابقى الله انسا وجوده بكرمه وجوده والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد الاواه وءاله وصحبه ومن والاه .

وعلى اثره القى الشاب محمد محسن العلويني التلميذ بالسنة الثالثة الخطاب الآتي :

خطاب الشاب محمد العلويني

سادتي الكرام واخواني الاعزاء

نحتفل اليوم بزيارة نخبة من مشائخ الزيتونة على راسها سماحة عالم الخضراء ومفخرة القطر ومدبر كعبة الشمال الافريقي ، لعاصمة الاغالبة ، تلكم البلدة المقدسة التي تضم بين احضانها رفات الاعلام الصالحين واجساد الصحاب المجاهدين . نستقبلهم اليوم بقلب ملؤه الفرح والحبور في هذا البيت العتيق الذي ابنته اليد الطاهرة الزكية يد المجاهد المفضال والبطل المغوار سيدنا عقبة بن نافع في ارض لم تدنس تربتها بالكفر والضلال ولم يحل بها الا من كان لاعلاء كلمة الله مدافعا وفي سبيل انتشار الاسلام مجاهدا ، والذي كان يضم بين اساطينه المئات من حلقات الدروس يولى شطره طلاب العلم من كل فج عميق ومن كل حدب ينسلون . اما الآن فقد فقدت علماؤه وقلت تلامذته فاصبح مقفر العرصات خالي الجوانب يدعو امره الى الاشفاق والرحمة له ، نعم لقد الم الخطب بالحرم العلمي فعظم الوقع وضاق الذرع وفاضت مياه الشؤون تلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله

تبديلا . غير اننا نعلق آمالا واسعة واماني كبارا على اسناد مشيخة الجامع للمرة الثانية عن جدارة واستحقاق لعلم الاعلام ووحيد هذا العصر في الفضل والشرف سيدي محمد الطاهر ابن عاشور اطال الله بقاءه مما ابهجنا وملأ انفسنا غبطة وسرورا لما قطعه على نفسه من بذل المستطاع للنهوض بالتعليم وتثقيف اذهان التلامذة بالعلم الصحيح والفهم القويم كي يخدم الامة الاسلامية بالعنصرين اللازمين لارتقاء الامم في مصاعد الكمال وهما العلم الصحيح والتعليم الكامل »

سادتي

ان فرعنا اليوم لفي حالة يرثى لها تجلب الحزن والاسى فهو اليوم في حاجة ماسة الى اهتمامكم الكبير لتقوموا باصلاحه وتنظيمه . وما ذلك الا بجعل نائب بالفرع يسهر على مصالحه ويكون المسؤول الوحيد على تنميته وازدهاره على هذا البلد الامين يستعيد حياته التي فارقها وعهده النضير الذي تولى عنه

وختاما نقدم لكم تحيتنا مشفعة بالتبجيل والاحترام داعين الله تعالى ان يعينكم على منار العلم الاسلامي في هذه الاقطار على وجه يحقق آمال المسلمين انه مجيب النداء قريب لمن دعا .

وعلى اثره القى الشاب محمد مزهود التلميذ بالسنة الثانية الخطاب التالي :

خطاب الشاب محمد مزهود

سيدي الاستاذ الامام ! يحق لي ان اقوم نيابة عن اخواني ابناء السنة الثانية بالقاء كلماتي هاته كلمات الترحيب لضيف سليل المجد اورثنا وسيورثنا فخرا تالدا وشرفا عظيما

ليس في استطاعتي ان اقدر لكم ما يجيش في صدري وما يختلج في اعماق نفسي نحو شخصكم الكريم من عواطف الاجلال والاكبار كلا ولا في استطاعة آبائنا المقدمين لكم احسن التحيات وارق التسليمات .

سيدي : اني في هذا الاوان اي عنفوان الشباب قد استهزني الفرح والسرور والغبطة والحبور بزيارة مدير معهدنا المعمور معهد العلم معهد الثقافة والعرفان . ومنذ ايام شاع في ربوع مدينتنا نبأ قدومكم السعيد فاشرأبت اعناقنا واهتزت نفوسنا حتى الساعة التي اشرقت علينا فيها انوار العلم وفاض علينا فيها السرور والصفاء

سيدي الاستاذ : اننا نتقدم اليكم وقلوبنا كلها آمال واماني راجين ان تعملوا على اصلاح حالة هذا الفرع الذي اضحى منكود الحظ خالي العرصات يذرف الدمع السخين كل من اطلع على

حقيقته ثم قارن بين ما اصبح عليه الآن وبين ماكان يعج به من آلاف الطلبة والشيوخ . تهوي اليه قلوب الافارقة وتتطلع اليه النفوس بلهفة وشوق وتحدب عليه وتمده بعنايتها وعطفها

اننا نطلب يا سماحة الاستاذ اصلاحا شديدا سريعا حتى يعود للقيروان بعض مجدها وتسترجع حياتها الماضية وسيرتها الاولى ـ والسلام عليكم .



وقدكان الاحتفال في جامع عقبة بهيجا تسوده الروعة والجلال فقد حضر اهل القيروان على اختلاف طبقاتهم لسماع خطاب الاستاذ الامام فكنت تراهم يفدون على الجامع ويدخلون من الابواب زرافات ووحدانا يعلوا وجهوههم البشر ويتسابقون لاخذ مكان اقرب من الاستاذ الامام

وهنا نشكر جناب العامل السيد عبد العزيز السقا وخليفته السيد يوسف كريفة على السعي الحميد في ابلاغ خبر قدوم الاستاذ الامام لكافة الطبقات

ولما جاء دور الخطابة كنت ترى التاثير الشديد باد على الوجوه من تلك الذكريات التي ذكر بها الخطباء قومهم وما اصبح عليه جامع عقبة العظيم بعد ما كان عامرا بحلق الدروس يزخر بفحول العلماء الاعلام الذين شيدوا مجد الاسلام الخالد في هذا الشمال

وقد بلغ بهم التاثر اقصاه حتى سالت دموع الحاضرين

وختم الاحتفال حوالي الساعة الحادية عشرة . ثم وقع تفقد الدروس التي عادت الى نظامها بسماع فضيلته دروس تلك الساعة وقام عضداه الشيخان العربي الماجري ومحمد الشاذلي ابن القاضي بتفقد موازنة الدروس ومراجعة دفاتر الادارة وتصفح اوراق الحضور والامتحانات

وبالانتهاء من التفقد خرج الاستاذ الامام قاصدا المدرسة القرءانية تلبية لدعوة قدمت اليه من طرف نائب الجهة السيد الحاج الصغير نقره وسار اليها في جمع عظيم يشمل الهيئتين الشرعية والادارية واعيان القيروان . ولما بلغ حي المدرسة وجد فضيلته مدير المدرسة والمعلمين في انتظاره فاستقبلوه بكل حفاوة وتعظيم فوقع الطواف على اقسام المدرسة وسمع فضيلته اناشيد مدرسية وقطع نثرية وشعرية ومحاورات ادبية وكان الشيخ شويشه يلقي الاسئلة على التلامذة الواحد بعد الاخر والكل يجيب بحذق ومهارة وحسن القاء

فاستبشر سماحته بما راى عليه تلامذة المدرسة من النجابة ومتانة التعليم وحسن النظام بما دل على عناية مدير المدرسة الشيخ الطاهر عطاء الله والمعلمين بها شكر الله سعيهم

ونلاحظ هنا ان معظم اقسام المدرسة يجلس فيها التلامذة على فرش مبسوطة على الارض وهي

من الحلقة لفقد المنضدات التي كانوا يجلسون عليها حيث وقع العبث بها زمن الاحتلال وعدم تمكن مدير المدرسة من تجديدها لان الادارة لم تمكنه من المواد اللازمة لذلك الامر الـذي يؤدي الى خلل في التعليم وضرر بصحة التلامذة وهذا ما نستلفت اليه انظار المسؤولين عليه .

وهذه المدرسة يعطف عليها اهل القيروان لثقتهم بمديرها الفاضل وقد تخرجت منها شبيبة صالحة امت جامع الزيتونة والمدارس الثانوية فحصلت على شهاداتها العلمية وما زالت تمرها بانجب التلامذة . واول من تولى ادارتها رجل القيروان الغيور على وطنه الشيـخ محمد شويشه ثم العالـم الاديب الشيخ الطاهر الفاسي قاضي مدينة المنستير الآن ثم الشيـخ الطاهر عطاء الله مديرها الحالي وقد اسدى جميعهم لابناء وطنهم النفع العميم جزاهم الله احسن الجزاء .

ثم خرج الاستاذ الامام من المدرسة بعد ما شكر جناب المدير والمعلمين فودعه جنـاب العامـل خارج المدرسة وقصد سماحته هو ورجال الشرع والعلماء الذين كانوا في رفقته مدرسة الشيـخ عبيد المحبسة على تلامذة العلم .

وهذه المدرسة على حالة حسنة في الجملة ولكنها خالية من التلامذة يسكنها الفقراء وابناء السبيل

ثم وقعت زيارة المدرسة الحسينية فالفاها على حالة سيئة لعدم اهتمام ادارة الاوقاف بها وباخواتها كما سبقت الاشارة اليه في مدارس صفاقس

ثم وقعت زيارة المدرسة العوانية وهي كالمدرسة العبيدية ويسكنها نفر من تلامذة العلم

وبذلك انتهى التفقد الذي دام اربع ساعـات ونصفـا متوالية فكان له اعظم وقع في نفوس اهل القيروان لما راوا عليه سماحته من العناية الشاملة

وقد تناول طعام الغذاء على مائدة آل العواني الاشراف التي استدعى لها الشيخ العواني العلماء وسراة الامة . وكان الخروج من القيروان على الساعة الرابعة والنصف والوصول الى سوسة على الساعة السادسة الا ربع فوجد في انتظاره بمحطة الرتل جم غفير من علماء سوسة واعيـانها وعلى راسهم فضيلة الشيخ القاضي الشيخ محمد القروي فودعوه داعين الله ان يبقي الاستاذ الامام ويجعل سبحانه التوفيق والصلاح في كل ما قصده ودبره

وكان الوصول الى تونس على الساعة العاشرة وخمس واربعين دقيقة فوجد في استقباله بغرفة الاستقبال بالمحطة علماء جامع الزيتونة يتوسطهم معالي وزير العدلية امير الامراء سيدي الحبيب الجيولي وبعد ما قدموا لفضيلته عبارات الترحيب والتعظيم امتطى سيارته التي اقلته الى بستانه بالمرسى امده الله باعانته واحاطه بسور من الطافه الخفية وجعل النفع به عميما والصلاح رائده انه قريب مجيب .



القصيدة الفيحاء التي القاها الاديب العالم الشيخ الطيب الورتاني المدرس بفرع القيروان

اعظـم بنزل ....

روض تفتق عن اريج زهوره وامتد في الآفاق نشر عبيره
وبدت تباشير الصباح مطلة تخطو الى ما غم من ديجوره
تزجي الى القلب الكئيب تعلة وتزيح عنه البؤس في تبشيره
وتشع في نفس الحزين مسرة فيها الرجاء مزيحة لستوره
سلكت الى الوادي الخصيب فايقظت عشبا غدا متطلعا لنضيره
حملت الى الكوخ البئيس بشائرا فيها المنى فتشوفت لبشيره
وحبته عطفا خالصا خفقت له نفس تولاها الشقا بسعيره
هذي طيور الروض في مرح الغدير ترف حول غديره
تشدو لحونا بالاماني عذبة وغدت تناغي الزهر في تعبيره
قد حملتها الشوق نحو نزيلها اكرم به شوقا بدا لمريره
نعم النزيل مكرما في رفقة رغبوا الى فضل الجزا ووفيره
اعظـم بنزل قد تخيره الاولى راموا الهدى للنشء من توفيره
نزل تجمع فيه شعب محمد رمز الفضيلة والهدى وسميره
خفقت له نفس تقطع بينها باتت ترف تشوقا لحضوره
مولاي هذي القيروان تقدمت نحو العزائم والهدى ونصيره
مولاي شعب القيروان تقدمت لكم به امال هدى خبيره
يرنو الى الامل البسيم تشوقا نظر الاغن الى الضحى وبكوره
يرعى غضيض الطرف في راد الضحى ويميل عند القيظ نحو غديره
يرنو الى ما حوله من شاهق فيقر عينا اذ غدا في سوره
شعب غدا في حيرة من امره مستصرخا مستصعدا لزفيره
في النفس منه تحسر وتوجع للطفل اذا ضحى سمير قصوره
شعب رجا بعث العزيم ميمما مهد الرشاد بقلبه وصغيره
انا لنرجو في تلهف آمن احياء ما قد غاص من مسبوره
فيعود مجد قد تولى مدبرا وثوب عز قد هوى لشفيره
يا شعب فاهنا قد بدا فجر السنا وانشق ليل الياس عن ديجوره
وسرى البشير يزف للقلب الكسير علائما لحبوره
فاستقبلن الجد والاخلاص والحزم الرشيد مجليبا بسروره
ولنحي تواقا الى نيل العلى متطلعا للمجد من مسطوره

من وزير العدلية المغربية

الى الاستاذ الامـــام

بعث العلامة الهمام سيدي محمد الحجوي وزير العدلية بالحكومة الشريفية المغربية الى الاستاذ الامام شيخ الجامع الاعظم بالرسالة الآتية والمجلة تنشرها لما فيها من روح التضامن والاخوة الاسلامية العربية والاهتمام بالمعهد الزيتوني وشيخه العظيم

سيدي الاستاذ الامام . ومن له في صفوة الايمة مقام الامام ' شيخ المسلمين ، وعلم المهتدين ، وناصر الملة والدين ' تحية وسلاما واعظاما مستداما . مولاي لان حال دون المراسلة ما نحن جميعا مطوقون به من اشغال استغرقت دقائق الاوقات النفيسة فانها ولله الحمد لم تشغل القلوب التي لا تزال حافظة الود المتزائد لا تمحي منها صورتكم النورانية بل هي حاضرة بها في كل ثانية مستحضرة لمشاهدة انوار اخلاقكم المحمدية وخدماتكم الجلى للملة الاحمدية وانارتكم بها حوالك الاحوال وصقلها قلوب الامة بما لكم من سني الافعال المحمديه واسمى الخطب العلية ـ مولاي : اسمح لي ان اهنيء الزيتونة وشيوخها العظام لما تفضل الله عليها من عودتكم لمنصتها العليا ' وانارتها بسراج ستضيء به الدنيا ، فالعود ان شاء الله احمد ، وساعدها صار اشد واسد ، اذا القوس وترها ايد ' رمى فاصاب الكلى والذرا ' وان اخاكم على كثرة ما هو مستغرق فيه من بعض قيام ببعض الواجبات ' لا تكون لكم حركة في تلك البلاد ، وتعهد لنفع العباد ، الا وهو يلاحظها ويستحضر مصادرها ، ومواردها كحركتكم لصفاقس وحركتكم المباركة لتعهد معاهد العلم والعرفان ' بما اوتيتم من مواهب الرحمان وخطابكم العالي الذي القيتموه في حفلة تفريق الجوائز الزيتونية وهو من الخطب المسكرة بالسكر الحلال . لا تزالون مدثرين بسربال الجلال والقبول والاقبال . امتع الله الامة الاسلامية بكمالاتكم الباهرة . ومناقبكم المتكاثرة الزاهرة .

محمد الحجوي

تدارك سهو

جاء بصحيفة ٤٠٢ سطر ١٥ : فسبح محمد وهو خطاء والصواب : فسبح بحمد

بين الاقطـار والامصار

المعـاهد الاسلامية الجامعة

بقلم الرحالة الطيب ابن عيسى

اتيحت لي الفرص اثناء اسفاري شرقا وغربا ان اتعرف بجوامع اسلامية كبرى ليست خاصة بالعبادة واقـامة الصلوات فحسب بل هي كليات دينية تدرس فيها العلوم والفنون منذ احقـاب ودهور على اختلافها خصوصا في العهد الاخير فقد دخلت العلوم الدنيوية الى الازهر وجـامع الزيتونة وجامع القرويين وهي المعبر عنها بالعلوم العصرية العمرانية المرتبطة بالحياة العامة

واعني بالمعاهد الجامعة التي عرفتها

اولا ـ الجامع الكبير بمدينة القيروان الذي اسسه عقبة ابن نافع اواسط القرن الاول للهجرة دفين جامعه الثاني الذي اسسه ببلدة سيدي عقبة المعروفة الى اليوم باسمه والتي تبعد ١٨ كلو ميتر عن مدينة بسكرة عاصمة الصحراء بجنوب عمالة قسنطينة من ولاية الجزائر

وبجامع القيروان الكبير تشعشعت انوار المعارف في صدر الاسلام لا سيما في عهد دولة الاغالبة (بني الاغلب) وظهور المدنية الاسلامية والحضارة العربية في احلى المظاهر فكان هذا المعهد مقصودا لمزاولة التعليم به والانتفاع من مواهب اساتذته وفحول علمائه من طـالبي العلم شرقا وغربا حيث كان حافلا بالدروس القيمة ومشاهير العلماء وكانت له وقتـئذ فروع لعلوم الدين والدنيا منها فرع دار الحكمة المعد لتخريج الاطباء الذين منهم ابن الجزار ، ولا تسال عن خريجيه من عظماء العلماء الكثيرين

وقدمت في الذكر جامع القيروان الكبير نظرا لكونه اكبر الجوامع التي تعرضت لهـا واقدمها واشهرها في غابر التاريخ اما الآن فقد ضعف امر التعليم به واصبح معدودا فرعا لجامع الزيتونة

ثانيا ـ جامع الزيتونة الاعظم بحاضرة تونس الذي تـاسس اواسط القرن الثاني للهجرة وهو الجامع المعمور منذ اثنى عشر قرانا والذي شهرته في العالم الاسلامي عمومـا والشمال الافريقي خصوصا تغني عن التنويه بشانه والتعريف بحاله بل يكفي ان اقول انه كعبة القصاد ومـا زال كذلك لا سيما في عهد الحفصيين والموحدين والاتراك والحسينيين خلد الله ملكهم وقد استقى من

منهله العذب الآف العلماء في ازمنة مختلفة وها هو الان يصل الى قمة المجد وتبلغ سمعته عنان السماء خصوصا وقد اتسعت برامجه وتعددت العلوم التي تزاول به والفنون التي تدرس به أو بفروعه بالحاضرة اعني جامع سيدي يوسف وجامع القصباء ومعهد ابن خلدون (الشبيه بالفرع لانه تابع لجمعية الخلدونية المسيرة لاعماله وان كان تلاميذه من طلاب العلم بجامع الزيتونة) او بفروعه الخمسة باشهر مدن المملكة وهذه الفروع واقعة بالجوامع الكبرى للقيروان وسوسة وصفاقس وقفصة وتوزر والفروع هذه تؤهل التلميذ للانخراط في سلك الممتحنين للاحراز على شهادة الاهلية

وبجامع الزيتونة يتاهل المتعلم بعد الاهلية الى شهادة التحصيل ثم العالمية ثم التدريس من الرتبة الثالثة فالثانية فالاولى فالاستاذية فالخطط الشرعية وتطابيع جامع الزيتونة يرجع عهده الى مدة الوزير الخطير خير الدين باشا التونسي (مؤسس المدرسة الصادقية) اي لمنذ سبعين عاما وعوامل الزيادة في التنظيم والتحسين ما تزال مدخلة عليه لا سيما في العصر الحاضر حيث شمل الاصلاح المعلم والمتعلم واسلوب التعليم المتسع النطاق مع اتساع البرامج ونموها من حين لاخر لا سيما عند ما تسمى شيخ للجامع الاعظم

وموضوع جامعنا الزيتوني قابل لزيادة الاطناب لان معلوماتي عنه تفوق معلوماتي عن غيره اذ اني من خريجيه المتغذين بلبان معارفه والمطلعين على احواله عن قرب

ثالثا ــ جامع القرويين بمدينة فاس التي كانت تحت سلطنة المغرب الاقصى الذي تاسس اواسط القرن الثالث للهجرة وقد بناه واسسه القيروانيون وفي طليعتهم المتبرعة بمالها وجاهها والمهاجرة من مدينة القيروان الى مدينة فاس لهذا الغرض الشريف صاحبة المجد المؤثل والفخار العظيم فاطمة الفهرية القيروانية

وشهرة جامع القرويين العلمية لمنذ احدى عشر قرنا معروفة ويكفي للتنويه بشانه ان علماء كثيرين بالاندلس كانوا في وقت حضارتهم التي يضرب بها الامثال ونخوتهم العلمية التي سارت بذكرها الركبان يتلقون دروسا من جامع القرويين ويرتوون من مناهله

والآلاف من علماء المغرب الاقصى والبلاد الاندلسية كانوا من المتعلمين بهذا المعهد الديني والذي اصبح اليوم ضاما لبرامج تعليمه الفنون العصرية ولا تزال تدخل عليه التحسينات الجمة والاصلاحات المهمة لا سيما في عهدي المنعم مولاي يوسف ونجله سيدي محمد الملك الحالي اطال الله عمره حيث اتسع نطاقه وكثر طلاب العلم به وبفروعه في اشهر مدن المغرب الاقصى

رابعا ـ الجامع الازهر بقاهرة مصر الذي تاسس اواسط القرن الرابع للهجرة ولعهد قريب احتفل في مصر بمضي الف سنة على تاسيسه لان جوهر الصقلي قائد جيوش المعز لدين الله احد امراء الدولة العبيدية التي كان مقر ملكها بمدينة المهدية ثم بمدينة القيروان (وهما من المدن التونسية) لما فتح البلاد المصرية انتقل اليها المعز لدين الله واسس بها الدولة الفاطمية اول ما شرع في بناء الجامع الازهر ومن الصدق ان الازهر الذي هو اخر المعاهد الاسلامية من حيث تاريخ التاسيس اصبح اليوم اول المعاهد من جميع الوجوه ومن الصدق ان اواسط القرون كانت تواريخ التاسيس للمعاهد الاربع على هذا الترتيب الجامع الكبير بالقيروان في القرن الاول ثم جامع الزيتونة الاعظم بتونس في القرن الثاني ثم جامع القرويين بفاس في القرن الثالث ثم الجامع الازهر بالقاهرة في القرن الرابع ومن الصدق ايضا ان جميع هذه المعاهد كانت جوامع لا مدارس وان كان الازهر قد انتقل تعليمه الى الكليات التابعة له المقامة خارجه والمشيدة على اسلوب الكليات المصرية ولم يبق تعليم نهاري بالازهر وفي الليل بقية دروس خاصة بالعوام والاميين للقيام بواجب وعظهم وارشادهم

ولعهد قريب كان التعليم بداخل الجامع الازهر ويقوم بالدروس شيوخ واسلوبهم في الاقراء من حيث الحلقات كاسلوب علماء الزيتونة والقرويين الا ان الشيخ بالازهر يجلس على كرسي وله مدون مقابل له يجلس مثله على كرسي وينوب المدون في بعض الاحيان وفي جامع القرويين يجلس الشيخ على لبدة يحملها غالبا تحت ابطه متى خرج من الجامع وفي جامع الزيتونة نجلس الشيخ على الحصير كتلامذته وله مدون غير انه لا يقوم مقامه بحال ولكن يجلس امامه

ودروس الازهر في الماضي كدروس جامع القرويين تطول بالساعات ويباح للمعلمين والمتعلمين تناول المأكل اثناء الدروس كما يباح الخروج من الدرس ثم الرجوع لقضاء الحاجة البشرية وعلى عكس ذلك التعليم في جامع الزيتونة فان الدرس لا يدوم اكثر من ساعة بل ٥٠ دقيقة فقط وفي الماضي كان يدوم ساعتين لا اكثر

وعلى كل حال فان نظام الجامع الازهر سار شوطا شاسعا في طريق التقدم والنظام المصري وتغير تعليمه تغيرا محسوسا من جميع النواحي واصبح معهد الازهر كليات جامعة تزاول فيها علوم الدين وعلوم الدنيا مع التخصص في قسم من اقسام العلوم والفنون

ومن حيث شكل البناء فالجوامع الاربعة متشابهة الا ان لكل جامع مأذنة (صومعة) ما عدا الازهر فله اربع مئاذن وفي كل الجوامع بيت الصلاة من امام والصحن من خلف واكبر جامع هو

جامع القيروان فالازهر فالزيتونة فالقرويين وسقوف بيوت الصلاة مقامة على (سواري) منحوتة في ثلاثة جوامع وعلى عرصات مبنية في جامع القرويين واصغر صحن هو صحن هذا الجامع وبشرق وغرب الصحن المجنبات وهي عبارة عن اقواس مقامة على السواري ماعدا جامع القرويين فلا مجنبات به وبالجامع الازهر قد بنيت الاروقة وهي عبارة عن مساكن خاصة بطلاب العلم وفي كل بيت فراش وخزانة وكرسي وطاولة وجميع الاثاث اللازمة حتى من (خابية) الماء وبيوت التلامذة تشابه بيوت النزل او بيوت المدارس المعدة لمبيت التلامذة الزيتونيين عندنا والرواقات تسمى باسماء المحبسة عليهم مثل رواق الحرمين ورواق الشام ورواق المغاربة (يشمل الطلاب الواردين من طرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى) وغير ذلك من الاروقة

وقصارى القول ان المعاهد الاربعة التي زرتها وعرفتها في سياحاتي هي من اشهر المعاهد الاسلامية بالعالم اجمع

وبصرف النظر عن العلوم والفنون التي تدرس بهذه الجوامع وبفروعها وعن اختلاف البرامج والاساليب فان صبغتها اسلامية بحتة اما اصول الدين والفقه المتفرع عنها فان المذاهب الاربعة المشهورة (المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي) هي التي تداول بها حسبما ياتي :

فبجامع الازهر يدرس الفقه طبق المذاهب الاربعة وبجامع الزيتونة المذهبان (المالكي والحنفي) وبجامع القرويين المذهب المالكي وبجامع القيروان المذهب المالكي فقط

وفي القرون الوسطى كانت تدرس بعض المذاهب الاخرى الخارجة عن الاربعة المذكورة واخصها المذهب الاباضي بجامع القيروان والجامع الازهر اي عندما كانت الدولة العبيدية منتصبة بالمهدية وبالقيروان وكذلك عندما تاسست الدولة الفاطمية بقاهرة مصر زمن المعز لدين الله اواسط القرن الرابع وانتشار المذهب الاباضي وقتئذ بتلك الربوع فكان المذهب الاباضي يدرس بالازهر

وبرحلاني الشاسعة بالمشرق والمغرب تشرفت بزيارة هذه المعاهد الجامعة والكليات الدينية العامة بمئات الاساتذة والاف التلامذة اما عمرانها الحالي فكان حسبما ياتي : الجامع الازهر فجامع الزيتونة فجامع القرويين فجامع القيروان الكبير ـ ادام الله الانتفاع بتلك المعاهد ابد الابدين

جمعية الزيتونيين

تقيم احتفالها السنوي

اقامت جمعية الزيتونيين حفلتها السنوية في شهر ربيع الثاني في قاعة المحاضرات بمدرسة السي كرنو وقد جلس على منصة الخطابة الاستاذ الامام محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفضيلة قاضي الحاضرة الشيخ محمد البشير النيفر والعلامة الشيخ الناصر الصدام وامير لامراء الطبيب بالخيرية رئيس القسم الاول والعلامة الشيخ الصادق البليش المفتي الملحق وزارة العدلية والشيخ علي بن عبد السلام الحاكم بمجلس الاستيناف بالعدلية والاديب الكبير الشيخ الهادي المدني الحاكم بمجلس الدريبة

وجلس بمقاعد الشرف المرفع شانه الامير الشاذلي باي نجل الحضرة العلية ومعالي وزير الدولة امير الامراء حسن حسني عبد الوهاب وفضيلة المفتي الشيخ محمد الحطاب بوشناق ونخبة من العلماء

وافتتح الاحتفال رئيس الجمعية الشيخ محمد المؤدب العضو بمحكمة الاستيناف بالعدلية التونسية بخطاب جامع . ثم اعطى الكلمة الى فضيلة الشيخ القاضي فالقى محاضرة ـ القرءان والاخلاق ـ افاض فيها سماحته القول عن اخلاق الرسول الكريم التي مدحه عليها القرءان والقواعد العامة التي يقوم عليها صرح الاخلاق الفاضلة عند العلماء والفلاسفة وكيف كانت مرعية في آداب القرآن التي تخلق بها الرسول وادب بها المسلمين .

وباثر انتهائه تناول الكلمة الشيخ الصدام فالقى قصيدا كان له الوقع الجميل ثم اعطى الكلمة للشيخ البليش فالقى محاضرة قيمة ـ نشرنا نصها في العدد السابق ـ كما القى الشيخ علي بن مراد عضو الجمعية قصيدا من نظم العلامة الشيخ علي النيفر نائب شيخ الجامع الذي اقعده المرض عن المشاركة بنفسه ـ وباثره اعطى الكلمة للشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة وامين الجمعية فالقى خطابا ـ الاسلام والوحدة الاسلامية ـ

ثم اعطى الكلمة الى الشيخ علي بن عبد السلام فالقى قصيدا كان له الوقع الحسن وباثره اعطى الكلمة الى الرئيس بالخيرية فالقى خطابا نفيسا تضمن الغرض الذي تاسست له الجمعية وما يجب عليها أن تقوم به ودعوة الزيتونيين للتعاون والتضامن الخ (يجده القاري في غير هذا المكان)

ثم القى الشيخ القصار القصيد الذي تضمنه هذا الجزء (صحيفة ٣٧٤) كما القى الشيخ الشاذلي النيفر عضو الجمعية قصيدا نشر (بصحيفة ٣٧٢ من هذا العدد) ثم اعطى الكلمة للشيخ المدني فالقى قصيدا نفيسا كله عيون نال استحسان الجميع ـ وكان مسك الختام خطاب الاستاذ الامام المنشور (بصحيفة ٣٧٩) من هذا العدد

مكتبة التلميذ الزيتــــوني

تقيــم احتفــالهــا السنــوي

على الساعة السادسة افتتحت الحفلة بتلاوة آي من الذكر الحكيم من ترتيل القارىء الشاب الناشط حمده بوسنينه فكان الخشوع وحسن الاداء وود الحاضرون لو دام هذا الترتيل الحسن ليزيدوا خشوعا ويزدادوا ايمانا والقى من بعده فضيلة الاستاذ الامام شيخ الجامع الاعظم وفروعه مولانا محمد الطاهر بن عاشور فكان البيان وكان السحر وكان العلم والموعظة فارشد وافاد وشرف المكتبة وبين فوائدها ونصح ابناءه لورودها ووعد الشباب الزيتوني باعانته واصلاح برامجه لما رأى من نتيجته وصدق عزمه واليك نص الخطاب:

الحمد لله الذي اكمل لنا الدين وانعامه تممه ، وارسل رسولا يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اولى الفضل والمكرمه

اما بعد فقد ختمت هذه السنة الموسمية لاعمال مكتبة التلميذ الزيتوني بعد عمل جاد وهمة يقظى لا تعرف السهاد فبرهنت اعمالها على كفاءة القائمين بتنسيقها واظهرت في خلال هذه السنة تقدمات جمة ووفرة من الاعمال المهمة ولقد زارتني هيئة جمعيتها غير مرة واطلعتني على الجهود المصروفة في انمائها فشاهدت تقدما سريعا اقر العين واوجب شكر اولئك الساعين

ان اهمية هذه المؤسسة حقيقة ببذل العناية والمعاضدة للقائمين بها فان ايصال العلوم النافعة الى اذهان التلامذة غاية سعى اليها الحكماء والناصحون فتوخوا لها مختلف الطرق ودبروا لتفاضلهـا وتقصير خطاها قصارى ما استطاعوا من ابتكار الاساليب واختلاف مظاهرها فالتلميذ الذي يقضي ساعات يومه في متابعة برنامج تعليمه وتحضيره المستغرق اوقاته لا يزال بعد ذلك في حاجة الى الازدياد من المعارف وهو مع ذلك محتاج الى استجماع ذهنه واستجداد نشاطه عقب الاعمال التي قد تفضي به الى الملال فلا جرم ان كان جديرا بان يحتال ناصحوه على أن يعرضوا على ذهنه معارف لم تسمح له دروس التعليم بتلقيها ولا تسمح له طلب الكمال بان يفرط فيها ولا تساعده قوة العمل بعد الفوات بتلافيها فمن الحكمة ان يوفق بين حالتي حاجته وراحته فكما كانت تلك المعارف مغايرة للعلوم التي يلقنها في برنامج تعليمه كذلك ينبغي ان تكون وسيلة ايصالها الى ذهنه مغايرة للوسائل المعتادة حتى يحصل استجداد نشاط ذهنه باختلاف الاساليب من غير حرج عليه في ذلك ولا تبرمه

فانّ لاختلاف الاساليب تجديدا لاقبال النفس على مزاولة الاشياء المتكررة ولذلك كان النبيء صلى الله عليه وسلم يتخول اصحابه بالموعظة خشية السآمة عليهم واقتداء بتلك السنة كان عبد الله بن عباس اذا افاض في القرءان والتفسير طويلا وخاف عليهم الملال يقول لاصحابه عقب ذلك احمضوا يريد خذوا في ملح الكلام والاخبار ومعنى تلك الاستعارة ان الاحماض هو ان ترعى الابل الحمض وهو النبت الذي فيه ملوحة وحموضة بعد ان كانت ترعى الخلة وهي الحلو من النبت تحب ان تخالف الطعم تجديدا لشهوة المرعى

ولعلكم تذكرون تلك النكتة التي وجه بها علماء البلاغة اسلوب الالتفات في كلام العرب فمثلوه بحسن القرى اذ يخالف المضيف لضيوفه بين الوان الطعام وكما كان اختلاف الالوان من قرى الاشباح كذلك يكون اختلاف الاساليب من قرى الارواح

ان العلوم شتى ومناحي التفكير عديدة وكلها لازم لاستكمال الحضارة ويتبعها شيء ءاخر مهم وهو مزاولة المجتمع واندماج المرء بين اهل عصره والتلميذ في منقطع من العمل يغمر اوقاته ويستغرق ساعاته فان هو لم يحتل على التردد من تلك العلوم والمناحي والاتصال بذلك المجتمع كان كالغريب في قومه وكأنه ابن امسه لا ابن يومه ، وليس اجدى عليه في قصده وابقى له على سننه وتقاليده العلمية من انتيابه مكتبة التلميذ فهنالك يتعرف الى طبقات من صنفه لا تجمعه واياهم حلق الدروس ويطلع على كتب لا تعرض له في برامج تعليمه ، فيصبح ذهنه كالنحل العواسل تختار من كل الازهار والثمرات لتخرج له عصارة مختلفة الالوان والاذواق فيها شفاء للنفس

فمكتبة التلميذ الزيتوني تحتوي على فوائد غالية ومقاصد شريفة تجتمع في انها : تحصل فائدة الاجتماع في الاختصاص وتقايس الافكار وتزويد العقول بالمعارف الجمة كل ذلك في حفظ كرامة واستبقاء للآداب العالية ومكارم الاخلاق

ورحم الله ابا عثمان الجاحظ اذ يقول في الكتاب : هو الصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال لك بالكذب

واني اثني على همة الشباب الزيتوني انه شباب يقبل باختيار واريحية وبوسائله الخاصة على ما يساق اليه الناس بالالزام . وهذه ظاهرة مباركة تسهل علي ما اضمره لهذه النابتة من اصلاح ورفع مستوى فان من اختار لنفسه وسائل تكملة ثقافته لا يتردد في الاقبال على امثالها اذا رسمت في برامج تعليمه

الذلك كان العمل الذي تقوم به الهيئة المسيرة لهذه المكتبة عملا جليلا مجديا في ترفيع الثقافة الزيتونية علما وعملا فلها جزيل الشكر على انقطاعها لخدمة الناشئة العلمية الزيتونية انقطاع عناية وايثار ومثله معه اوجه للجنة مراقبتها الناصحة ورئيسها المفضال والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه .

وبعد تصفيق حاد القى حضرة العلامة الشيخ علي النيفر رئيس لجنة المراقبة العلمية لمكتبة التلميذ الزيتوني كلمة تعرض فيها لتاريخ تاسيس المكتبة واعمالها وشرح قصدها وجليل غايتها واليك هو :

خطاب الشيخ علي النيفر

سيدي الامام الاوحد فضيلة شيخ الجامع وفروعه

سادتي شيوخ التعليم بالكلية الزيتونية العامرة

أيها السادة الاعيان

يا ابنائي التلامذة الاعزاء

ان نفوسنا لتهتز ارتياحا وتنبسط اغتباطا وانشراحا حين نبصر نشئنا الزيتوني الناهض مطمح انظارنا ومعقد آمالنا ينزع الى ما يعلي ذكره ويشيد فخره ويزين امته وقطره

فقد انشأ جمعيات عدة كفيلة بتحقيق ما يصبو اليه من غرض نبيل وان للجمعيات في عصرنا الحاضر حظا في التحصيل على شتى المنافع غير ضئيل مبرهنا فيها على نشاط وحزم ونبوغ ونفاذ عزم معلنا للملا ان سيكون الجدير بالاخذ بزمام العلى

وان من اجل واجدى ما ابتكره وكونه فكان علما على نبالة قصده وعنوانا على تمام رشده مكتبة التلميذ الزيتوني التي نحتفل اليوم باختتام اعمالها الطيبة في غضون السنة الدراسية الحاضرة

ان هذه المكتبة الحديثة العهد السائرة في سوى القصد قد انشاتها في اثناء عام ١٩٤٢ ثلة من التلاميذ الزيتونيين النجباء بارك الله فيهم بعناية وتاييد العلامة النظار فخر هذه الاقطار شيخ الجامع الاسبق وشيخ الاسلام اليوم سيدي محمد العزيز جعيط وقد رخص لها من جناب الحكومة في ماي من العام المذكور وتسلم مؤسسوها المحل المستقرة به اليوم من جمعية الاوقاف في سبتامبر من العام نفسه .

الا ان نشوب الحرب بالايالة التونسية منعها من الشروع في اداء مهمتها فلم تباشر اعمالها الا منذ ١٦ فيفري عام ١٩٤٤

وكان الهدف الذي يرمي اليه مؤسسوها بانشائها ايجاد مادة من الكتب الادبية وغيرها في مختلف الفنون النافعة مما لم تحوه المكتبتان الاحمدية والصادقية بالجامع الاعظم مع تيسير استعارتها على التلاميذ بحيث تكفل تلك المادة بتكميل ثقافة التلميذ الزيتوني العزيز بما يجد فيها من توفر الاسباب المفضية الى ذلك

ولا يغرب عن علمكم الشريف ايها السادة ان التلميذ مهما بلغ من الذكاء والاقبال على دروسه وعناية شيوخه به فلا يرتقي بمعارج النضوج الفكري ولا يتسنم اوج النبوغ ولا يضطلع بتحقيق العلوم وابتكار دقائق الفهوم ولا يستطيع بز الاقران والتبريز بكل ميدان الا بالانكباب على مطالعة الكتب النافعة وادمان مناقشتها بهمة لا يعتريها كلال وعزيمة ماضية الشباة لا تخور ولا تفل فكان انشاء هذه المكتبة الميمونة النقية سادا لبعض تلك الثلمة موفيا بمتاكد هاتيك الحاجة

وقد سار بها مؤسسوها القائمون عليها ابناؤنا النجباء خطا فسيحة في سبيل الدعاية لها ثم بتنضيمها بعد اخراجها من محيط التفكير الى حيز التكوين فجاءت على نسق عصري جليل ينبيء عن ذوق نير جميل ادنى لروادها من التلاميذ اطيب الثمار وارشدهم الى ما تجدي مطالعته من نافع الاسفار التي تجاوزت الآن الالفين عدا

وفي اوائل السنة الحالية راى فضيلة العلامة النحرير الجهبذ الشهير الشيخ سيدي صالح المالقي شيخ الجامع السابق والمفتي الاول اليوم ان يحدث للمكتبة مجلس رقابة يشرف على اعمالها الموقتة فانتخبني لذلك بعضوية العلامتين الشهيرين الشيخين سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي وسيدي محمد الفاضل ابن عاشور ولما تقلد مشيخة الجامع استاذنا الامام شيخ مشائخ الاسلام سيدي محمد الطاهر ابن عاشور ضم الى المجلس المذكور العلامتين الفاضلين الشيخين سيدي محمد العربي العنابي وسيدي محمد التهامي الزهار وقد بدأ المجلس المذكور اجتماعاته بالمكتبة العبدلية في ربيع الآخر وفي مارس من العامين الجاريين وقرر امورا تهم سير المكتبة منها ان اجتماعه يكون شهريا عند زوال يوم الاثنين الاول من كل شهر شمسي في محل المكتبة لاجراء المراقبة المالية على عمال اللجنة المؤسسة للمكتبة القائمة عليها ومنها ان شراء الكتب للمكتبة يكون في المستقبل باذن كتابي من رئيس مجلس الرقابة او احد اعضائه بقصد زيادة التحري في انتقاء الكتب المشتراة للمكتبة ومنها تشكيل لجنتين تتولى احداهما الاشراف على توزيع كتب المكتبة على مراتب التلامذة التعليمية من ابتدائية وثانوية وعليا على معنى ارشاد المستعيرين وتوجيههم الى مطالعة ما هو اجدى عليهم مما يلائم مداركهم واستعداداتهم وهذه تتركب من الشيخين سيدي

محمد الفاضل ابن عاشور وسيدي محمد العربي العنابي والاخرى مهمتها الاشراف ايضا على اعمال لجان التصحيح لمحررات المستعبرين لكتب المكتبة في اهم ما استفادوه من مطالعتها وما عسى ان يكونوا قد راوا فيها من مواضع الانتقاد او التوفق

وهنا ارى لزاما علي ان ابدي اعجابي واكباري لهذه الطريقة المجدية التي انتهجها مؤسسوا مكتبة التلميذ الزيتوني القائمون عليها من اخذهم على مستعيري كتبها بتقديم تحرير للجنة المكتبة حين ارجاعهم لما استعاروه منها تتضمن اهم ما استفادوه من مطالعتها وما لهم فيها من الملاحظات وينوط تصحيح تلك المحررات والملاحظة عليها بلجان تتولى ذلك تنشيطا لاصحابها وارشادا لهم الى تلافي ما فيها من مواضع نقص يجب عليهم اكمالها

ولعمري ان تعويد الناشئة الزيتونية باتعام النظر فيما يطالعون وعرضه على محك النقد والتمحيص ثم تقييده بعقال الكتابة والتلخيص لهو منزع حكيم وسلوك بمنهج قويم. وقد لقيت مكتبة التلميذ الزيتوني تنشيطا من الامة غير يسير باعانتها ماليا بما اقامته من حفلات وبما اسدته لها من تبرعات كما ان الحكومة قد ساهمت في ذلك بما خصصته للمكتبة من اعانة سنوية قدرها اربعة وعشرون الف فرنك باقتراح من رجال المجلس الكبير الفضلاء واننا لنرجوا ان تتضاعف في مستقبل الاعوام اضعافا كثيرة كما نؤمل من الامة التونسية ان يتزايد منها الاقبال والتاييد لمشروع المكتبة المفيد بما يناسب المهمة القائمة بها المكتبة والمؤمل قيامها بها في المستقبل وفي الختام انني أثنناء الجم على لجنة المكتبة المؤسسة لها لما بذلته من جهود اثمرت فوق المأمول كما انني على روادها الاولى برهنوا بما حرروه على تهيئهم الى تبوأ اريكة مستقبل ادبي زاهر يبهج النفس ويثلج الفؤاد.

واذا رايت من الهلال نموه ايقنت ان سيصير بدرا كاملا

فقبل الخطاب بتصفيق حاد ثم القى رئيس مكتبة التلميذ الزيتوني الشاب حمده سليم كلمة تحدث فيها عن الواجب والرسالة التي تؤديها المكتبة من يوم تاسيسها واليك هي :

خطاب الشاب حمده سليم رئيس مكتبة التلميذ الزيتوني

حضرة الامام الاستاذ شيخ الجامع الاعظم وفروعه . حضرات الشيوخ الافاضل - سادتي الكرام - انني ارحب بكم واشكر لكم تلبية دعوتنا والتفافكم حول هذا المشروع المبارك

ايها الشباب

يقف الطالب الجسور منكم على راس عامه المدرسي مفتشا محصول الشهور والايام - وانك لتحاسب نفسك فتحمدها او ترضاها

بمثل هذا الحساب اليسير العسير يقف مشروع مكتبة التلميذ الزيتوني اليوم على عامه المدرسي الثاني في قلب الزيتونة العامرة : يرقب رسالته البالغة ومقدار التهيء الذي أعده للنجاح

لقد مر على فكرة هذا المشروع الثقافي أربع سنوات كانت يلتحفها الخيال وعامان عملنا على تحقيقها بهذا المفعول الواسع في وسطنا الزيتوني فاستطاعت بعمرها القصير ان تطوي مراحل بعد كان يحوط شبابنا بجلال غريب ويقصيهم عن حقيقة المعرفة العامة

وفتحت نافذة منتصرة للمطالعة الصحيحة التي عالجت بها الزيتوني وانتجت بما انتهجته في معالجتها من التوجيه والتدراية هذا الذهن البصير المتطلع في شبابنا

فمشكلة المطالعة الصحيحة وما ادراك ما المطالعة الصحيحة التي فقدها الزيتوني طويلا ، وظاهرة المطالعة التي نشكو ضعفها في ماضيات السنين والارشاد الصحيح الذي ترتكز عليه التربية لاستقلالية في توجهها تنطبع كلها في رسالة مكتبة التلميذ الزيتوني واضحة تربي الفكر الزيتوني المنقاب في كتبها وتغرس بذرة اولى للاصلاح ولكليتنا الحديثة المنتظرة حين يصدق كارليل « الكلية الحديثة هي المكتبة »

هذا هو مشروع الكتاب في معهدنا المعمور ولن تؤمن باثر الكتاب الا اذا تابعت المراقبة في تنقله بين نشئنا ولمست مفعوله في كل نفس وشاهدت التهيء الذي يؤخذ به وتلوت همسا شعارنا « يا يحي خذ الكتاب بقوة » فاسال الزيتوني ماذا استفاد من مكتبته الغنية

وسائل الصغير عما تحصل من مكتبة الاطفال وما وجده فيها من الصور الجاذبة والقصة المضحكة الطريفة وصاحبه حين يسترجع كتابته المصححة وقد مر عليه ما ينسيه ما كتب وراقب تعجبه من غلطات ما كان يرتكبها وقد اطلع على مثلها الصحيحة بعد تسليمه لكتابته في مطالعاته المتعددة وهكذا نجعل من زمن التصحيح ما يدرك خطاه بنفسه ويستدرج به في معارفه

واسال الشيخ المدرس عما يجد في نفوس تلامذته وما كان لاثر المكتبة فيها تجد الحقيقة والرضى

ولنعد الى جانب من المطالعة الصحيحة الذي نعدمه في مكتباتنا فتنغلق امام الطالب بما تسطره ويصطدم باوقاتنا الدراسية الضيقة وبهذا لا يتمكن طالبنا العادي من المطالعة الصحيحة والاستفادة الا التنقير الضعيف والاثر السيء في تربيتنا الفردية والاجتماعية

اننا نطلب توسيع اوقات مكتبتينا الصادقية والخلدونية لتتظافر مع مكتبة التلميذ الزيتوني التي تعير الطالب الزيتوني الكتب للخارج ويتمكن من البحث والدراسة في حدود المطالعة الصحيحة

أيها السادة الافاضل

لقد اثار بروز المكتبة نهضة ادبية في شبابنا الزيتوني نباركها وندعو لها النضج والمواصلة

وعرفت مشيختنا العلمية لها حقها المحترم فحصنتها بمجلس اعلى للمراقبة من جلة الشيوخ والاساتذة لتتاكد العناية بهذا المشروع الضروري وتتوسع الثقة فيه

اننا مراقبون من طرف مشيختنا العلمية وتتمكن هذه المراقبة الحازمة في كل أعمالنا تحت رعاية حضرة الاستاذ الامام شيخ الجامع الاعظم وفروعه اطال الله بقاءه جميع من اعان هذه المكتبة ماليا وادبيا فبارك الله في رجالنا المراقبين

ايها الشباب الزيتوني

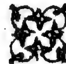
ان بمكتبتك اليوم الفي مجلد ونصف ومثل هذا العدد لا يرضي شخصية الزيتوني الافريقي فاعمل لتوفير كتبها واعد تاريخ مكتباتنا السالفة فللتاريخ عودة ولعزمك مفعول

وقد لقينا العناية من انصار المشاريع الزيتونية والتونسيه

ولقينا مواصلة العمل في التضحية من لجنة التصحيح التي اخذت على عاتقها مسؤلية تصحيح مئات الكتابات المقدمة الى المكتبة - واننا لنهيب بهذا الاخلاص ومواصلة الطريق .

ومن بعده القى الشاعر الاديب الاستاذ الهادي المدني قصيدة بعث بها في النفوس تيارا كهربائيا قصيدة كلها دقة ورقة وحسن وطلاوة . ومن بعده اسدل الستار وانقضى الفصل الاول من الحفلة وفي ابتداء الفصل الثاني القى نائب المحافظ الشاب محمد الامام السوسي كلمة تعرب عن احصائيات مكتبة التلاميذ الزيتوني - ٦٦٩٩ - الصادقية ١٢٢٠٠ - الخلدونية ١٢٢٠٠ مقارنا بها بقية احصائيات المكتبتين . ومن بعده القى الشاب الاديب الناشط الطيب جمعة كلمة عن لسان لجنة مراقبة الكلمات الواردة على المكتبة فكانت صورة لسداد الراي ورصانة الفكر وكانت الملاحظات الدقيقة والاقوال الصادقة . ومن بعده القى الشاب الجيلاني بن الحاج علي كلمة قدم فيها آثار العمل الذي قامت به المكتبة وحيي بها شبابها الناشط ومن بعد ذلك اسدل الستار

ولما رفع الستار وقع تفريق الجوائز فكان الفرح والسرور ومن بعد ذلك القى الشبان محمد الرائس والهادي غربال كلمتين والهادي نعمان قصيدة تمجيدا للمكتبة واعلاء من شان الفوائد التي يتحصل عليها المطالع من منهلها وهم الثلاثة من الشبان الذين احرزوا على جوائزها ومن بعده رتل بعض آيات من القرءان الكريم الشاب بو سنينه . وفي الختام القى الاستاذ عثمان الكعاك حديثا عن المكتبة تعرض فيه المكتبات العامة والدور العظيم الذي تقوم به .



الاحتفال العظيم

بختم السنة الدراسية في جامع الزيتونة

كان يوم الاحد السادس من شعبان الاكرم الموافق للخامس عشر من جويلية موعد ختم السنة المدرسية لهذه السنة ففرشت الزرابي واقيمت الحواجز حول مقام الشرف الذي يجلس فيه المدعوون فجلس العلماء في سمطين امام محراب الجامع الى باب البهور وجلس في الوسط امام المحراب الاستاذ الامام محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وعن يمينه اصحاب الفضيلة شيوخ المجلس الشرعي ثم السادة الاشراف ايمة الجامع وعن يساره اصحاب المعالي الوزراء ورجال العدلية التونسية وبعض نواب المجلس الكبير واعيان الامة من مثقفين وتجار وغيرهم وجلس تلامذة المعهد صفوفا متراصة

فابتدىء الاحتفال بتلاوة ربع من القرءان الكريم من ترتيل القاري الشيخ عبد الملك الشوك بصوته العذب وبعد انتهائه القى الاستاذ الامام خطابه التاريخي العظيم (الذي وشحنا به صدر المجلة) فوقع من نفوس الحاضرين الموقع العظيم وتلقوه بكل اعجاب واكبار وانصتوا اليه متفهمين المرامي السامية التي يرمي اليها والمقاصد الكبرى التي تضمنها والتي ستقام على مقتضاها مناهج الاصلاح التي يراد منها بما يحفظ على الامة دينها ولغتها وقوميتها ويؤهل الناشئة المباركة لخوض حلبة المعترك الاجتماعي بسلاح المعرفة والتربية الفاضلة

وبانتهائه وزعت الجوائز على المبرزين في حلبة الامتحانات ونودي على كافة الناجحين وختم الاحتفال بتلاوة فاتحة الكتاب واسرع الجميع لتهنئة الاستاذ الامام فتلقاهم ببشاشته المعهودة ولطفه .

وانتهى الاحتفال على الساعة الحادية عشر والنصف . والمجلة تدعو الله تعالى ان يطيل حياة الاستاذ الامام لا زال منبع نفع واصلاح وان يقرن مساعيه بالنجاح . وتهنى التلامذة الناجحين وتتمنى لهم النجاح المطرد وحسن الاحدوثة بما يعود على المعهد بالذكر الجميل وعلى الامة بالنفع الجزيل .

في قصر الاستاذ الامام بالمرسى

حملة الشهائد الزيتونية يؤدون زيارة لشيخ كليتهم المحترم اعترافا منهم بالمجهود العظيم الذي يبذله لتنمية الجهاز الثقافي بالمعهد العامر . فيستقبلون من لدن سماحته استقبال الاب الكريم لابنائه البررة

عشية اليوم الموالي ليوم ختم السنة الدراسية بالكلية الزيتونية العامرة ام وفد من المحرزين على الشهادات الثلاث - : العالمية . والتحصيل . والاهلية - قصر سماحة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الاعظم بمرسى قبل ليعبر لسماحته على ما تكنه نفوس الزيتونيين جمعاء نحو مقامه السامي من الاكبار والتعلق . وما يعلق عليه الكل من آمال طيبة لتحقيق البرنامج الاصلاحي العام الذي تضمنه خطابه العظيم يوم الاحتفال الباهر

وقد استقبل الوفد امام قصر الشيخ العالمان الجليلان الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي والشيخ محمد الفاضل ابن عاشور . ثم ذهب الجميع لقاعة الاستقبال الانيقة الانيقة وفيها وجدوا الاستاذ الامام ينتظرهم فاستقبلهم بما فيه من لطف ودماثة اخلاق . ولما استقر بالجميع المقام نهض الاديب الشيخ عبد الله الزوبي احد المحرزين على شهادة العالمية في القسم الادبي والقى على مسامع سماحته الخطاب الذي يجده القراء بعد كما القى الشيخ محمد علي الحليفي خطابا ناب فيه عن جماعة المحصلين يراه القراء فيما يلي

وقد اجاب الشيخ عن الخطابين بما ينبعث عن التفاؤل بمستقبل الزيتونة الزاهر

وامام القصر ودع الامام ابناءه بعد ما اخذت صورة فوتوغرافية تاريخية تسجيلا لهذا الارتباط الوثيق . وقبل الانصراف استحسنت فضيلته زيارة الوفد لسماحة شيخ الجامع الاسبق العلامة الهمام سيدي صالح المالقي قاديت له هاته الزيارة برفقة الاستاذين الفاضلين الشيخ الفاضل ابن عاشور والشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي

ثم انتهت هاته الزيارة المباركة الميمونة والسنة الجميع داعية الله ان يحقق للزيتونة آمالها وغاياتها

خطاب الاديب الشيخ عبد الله الزريبي

يا سماحة مولانا الامام

هذه وفود من بنيك دفع بها دافع التايبد لفضيلتكم الى ان تؤم بيتكم العامر لتعبر لكم عن كبير امتنانها لما ظهر منكم في الفترة الوجيزة التي توليتم فيها قيادة كعبة الشمال وثالث معاقل المسلمين في ارض الاسلام الشاسعة الاطراف من الحزم والعزم والكياسة والصبر والاناة وفي كل ذلك ما يبشر بكل خير ويجعلنا واثقين تمام الوثوق باننا واصلون ـ ان شاء الله ـ الى تحقيق مثلنا العليا في هاته الحياة الصاخبة المائجة . تلك المثل التي ترمي الى ربط الطريف بالتالد . والمحافظة على مجد الاسلام الخالد. ذلك المجد الذي قاوم اعاصير الزمن الهوج وانتصر عليها جميعا وما تزال تكيد له ولكنه دائما الغالب المنصور حتى يبعث الله من في القبور

وهل يحاول احد طمس معالم الاسلام ومعانيه السامية وبين اعيننا جامع الزيتونة تشع منه تلك المعاني بين الفينة والفينة وعلى راسه سيد المصلحين في هذا العصر يبعث بلوائح الاصلاح من قلبه العامر بالايمان والوثوق بالنفس فترددها السنة الشيوخ الاجلة في حلقات الدروس وما تزال تسري في عروق الطلبة سريانا قويا حتى يؤمن الجميع في تسليم واذعان على مرامي القيادة وما يقصده من غايات

ان شعبا فيه مثل جامع الزيتونة يقوده قائد بصير مقدام مثل استاذنا الاكبر وفيه شباب تواق الى المجد طماح الى المعالي يجري الدم العربي الزكي في شرايينه لهو شعب جدير بالبقاء مرفوع الراس موفور الكرامة عزيزا في بلد عزيز

ايها الجهبذ الهمام جئناكم اليوم لا لنهنئكم هناء ابويا بما احرزنا عليه من نجاح فقط ، بل لنحقق لكم امتثالنا لكل ما تامرون واستعدادنا لتنفيذ ما تقررون فنحن وراءكم وبين ايديكم عقدنا العزم وعاهدنا الله على ان نسير بسيركم وتتبع خطاكم حتى نحقق آمال المسلمين في كعبة الاسلام

وسوف لن يصدنا صاد ولن تلين قناتنا ولن نرجع القهقرى او نولي الادبار ذلك ما عاهدنا الله عليه وذلك ما نحققه الان وبعد الان والله المستعان

يافضيلة المولى

ان هذا الشعور الذي عبرنا لكم عن بعض منه على لسان المحرزين على شهادة العالمية بقسميها هو شعور كامل ابناء الزيتونة الذين اصبحوا جميعا يؤمنون بقضية الاصلاح ويتفانون فيها ويبذلون نفسهم ونفيسهم في سبيل تاييدها ونصرتها فمنكم الامر وعلينا الطاعة والامتثال وحزب الله هم الغالبون .

خطاب الشيخ محمد علي الخليفي

يا مولانا الاستاذ الأكبر ، يا ايها الجهبذ الهمام أن هذا الجمهور المتكاتف من تلامذة المعهد المعمور الذي اتى ليؤدي الى سماحتكم اقدس معاني التهاني بختم السنة الدراسية لاعظم برهان صارخ على ما يكنه شاب الزيتوني لفضيلتكم من معاني الاخلاص الذي لم تتكون دعائمه الا على اساس من الفضيلة الصادقة والمحمدة الحقة التين لم تدنس نقاوتهما اغراض المادة الممقوتة ولا بخست قيمتهما شهوة الغرض الفردي

وقديما كانت نفس الزيتوني محطمة واماني مبعثرة فتراه يكد ويكدح وينهك ماله من قوى وملكات ثم لا يجني من وراء ذلك سوى الخيبة القاتمة التي تشقيه في دنيا الحياة وتلفحه بنار الالم وما ذلك الا لكون حظ الزيتوني من شتى المعاملات سواء في ذلك ادبيها وماديها لم يكن كحظ غيره وفيرا ومن ثمة كنا نرى الزيتوني كلما اراد ان يقبض على حقيقة من الحقائق السامية او احتثه الامل الطموح الى الاستئثار بمهمة من مهام الحياة . الا وحبطت مساعيه ومنيت آماله بالخيبة والخسارة واذا الامل الفسيح يعود جهما عبوسا ورقعة الاحساس تنقلب في وجهه ضيقة بعد ان كانت فسيحة

ثم لا يلمح الزيتوني في طريقه تلك سوى اوهام معربدة وخيالات جامحة كلما اراد ان يقبض عليها ويمسكها بيدين عاريتين توارت عنه كما تتوارى الاشباح في جنح الظلام

وهكذا سار الزيتوني احقابا متوالية وطوى اعصرا متطاحنة في هذا الدرب المتعرج . الذي يجهد النفس وتلك الاعصاب . ولولا انه كان محتقبا حقيبة الصبر في تلك الطريق الوعرة المسالك لقضت عليه ضروب الشقاء المتراكمة وصنوف التعاسة المتزاحمة

اما وقد بدل الخلق غير الخلق واصبح الزيتوني يتمتع بنتائج اعمال لم تخامره بها احلامه منذ عصور متقادمة وآماد متصرمة فقد ظل الزيتوني ولا شك يبني لنفسه صروحا من الآمال لا تقوض مدى الايام . كيف وقد تحرك في عروقه ماء الصحة وتدفق في شرايينه العزم والثبات من اجل ما رآه من بوادر كفيلة بتحقيق ما له من رجاء وانفاذ ماله من رغبات طاهرة توقظ الامل وتبعث الحسن ولا اكون قد غاليت في صغيرة او كبيرة اذا انا قلت ان الزيتوني اليوم يصح اعتباره قد تكون من العدم وانشيء بعد ان لم يكن يذكر . اذ قد تداولت على الوسط الزيتوني لزمان متتابعة كاد ان يكون في خلالها جدبا ماحلا . لولا ان قيض الله له شيخنا هذا فرفع رايته المنكسة وشاله من كبوته التي من اجلها كاد ان يدرج في كنف الموت ويدفن في اودية العدم

المعهد الزيتوني في نظر الشعب

بقلم مندوب المجلة المتجول الشيخ الطيب بن عيسى

للجامع الزيتونة الاعظم ومعهده العامر صيت ذائع بالعالم الاسلامي اجمع منذ القديم اذ تعتبر جامعته ثالثة الجامعات الاسلامية وقد ازدادت سمعته انتشارا في العهد الاخير حيث كثر الاقبال على مزاولة العلوم به من انحاء المملكة التونسية والجارتين الشقيقتين (الجزائر وطرابلس الغرب) بما اصبح معه معتبرا كعبة الشمال الافريقي لا سيما وان فروع الجامع باشهر مدن المملكة قد اتسع نطاق الاقبال عليها بما صير بعضها تؤهل الى الاحراز على شهادة الاهلية مباشرة دون الانخراط في سلك الامتحان السنوي للجامع الاعظم نفسه

للتطور الذي ادخل على المعهد الزيتوني من حيث توسيع نطاق برامجه واحداث شهادة (العالمية) للتخصص في بعض الفنون المزاولة بالجامع وللتقدم السريع الذي آل اليه نظامه العصري المحكم فقد نمت شهرة هذا الجامع المعمور مع كافة فروعه بالحاضرة وبمدن المملكة ولا يزال ينهال على مشيخة الجامع ومديريته الثناء المزدوج والشكر الوافر لما قامت وتقوم به من جزيل الاعمال

وقد سمعت باذني الثناء والشكر على المشيخة المسيرة للجامع اخيرا اثناء قيامي بجولة استطلاعية استغرقت نحو شهر بعدة بلدان واقعة بشمال القطر التونسي كنابل ومجاز الباب وباجة وسوق الخميس وسوق الاربعاء والربع وسليانة ومكثر والكاف والدهماني والقصور والسرس وتالة وتاجروين

نعم اصبحت نفس الزيتوني لا تعرها الا الامال المشرقة والرجاء المضيء لما للزيتونيين في شيخهم الحازم من ثقة تامة في القيام بكل ما يعود عليهم بالخير الجم والنفع العميم ولما عهدوه فيكم يا مولانا الاستاذ من ساعد فتي لا يكل وعزم متوثب لا ينثني

وهم بدورهم تعهدوا ان تكون لهم همم مستنهضة وعزائم متوثبة نحو اقدس الاغراض واشرف الرغبات حتى يكونوا قد حققوا المعنى السامي الذي من اجله بعثوا لتعمير ذلك المعهد الشريف . يرجو الله ان يديم عمرانه بمن لا ينام دون الاشراف على معالي الامور ومن لا يبيت دون الاحراز على اشرف الغايات كما نرجو من الله تعالى ان يؤيد بالنصر وتسديد الخطا شيخنا الكريم القيم بامورنا والساهر على اكمال ما فينا من نقص .

وعلمت ان عناية المشيخة بنجاح طلاب الزيتونة لم تذهب سدى وان عموم السكان قد رمقوها بعين الاعتبار والاكبار

ورحلة فضيلة علامة القطر ومفخرته الى اشهر المدن بالجهتين الرابعة والخامسة كان لها تاثيرها الفعال على نمو تلك الشهرة التي يتمتع بهـا المعهد الزيتونية منذ العهد البعيد خصوصا وقد بسط للعموم ما ينويه من الاصلاح والتحسين

سمعت اولياء التلاميذ يثنون وهم مرتاحوا البال على ابنـائهم مدة اقامتهم بالحاضرة وبالمدن التي بها فروع الزيتونة لا سيما وقد اهتمت مشيخة الجامع بشئونهم في وقت الشدة فمونـتهم عند ما انقطعت المواصلات وتفككت عرى العلاقات بين الاباء والابناء مدة الحرب القائمة بنفس البلاد التونسية لعهد قريب .وازيدكم اخرى وهي ان الاقبـال على المجلة الزيتونية قد تبع ذلك الصيت الذائع للكلية الزيتونية حيث ان الناس يعتبرون هذه المجلة لسان الجامع الناطق المبرهن على ما بلغت اليه الثقافة العلمية الدينية بالجامع من السمو الى صروح المجد والعظمة لا سيما وكبار العلماء يكتبون بها الفصول الطوال

وجدير بالاباء ان يهتموا بحاضر ومآل ابنائهم ما دام مستقبل البلاد معلقـا على نواصيهم وما يبذلون من مجهودات في سبيل الانهاض بالامة من الوجهة العلمية المشوبة بالتفقه في علوم الدين والتفنن في علوم الدنيا معا

وبما ان الجامع الاعظم قد اصبح كعبة القصاد ومركز الوارد للكرع من سلسبيله العذب ومنهله الصافي فلا غرابة اذا احرز على ما احرز عليه من الولاء والالتفاف حول شيخه الامام والاقبال على مزاولة الدروس بين عرصاته والانخراط في سلك حلقاته المتعددة

اعان الله القائمين بمهمة التعليم الاسلامي بالجامع وفروعه على مـا اولاهم واظهر لهم نجابة التلامذة بوضوح تام ليطمئن خاطرهم ويرتاح بالهم على مستقبل المنزلين منهم منزلة فلذات الاكباد حتى تزدهم السعادة ويعظم لهم الشان

المراسل المتجول

الطيب ابن عيسى

شيخ الجامع الازهر

محمد مصطفى المراغي يودع العالم الفاني

وافت انباء القاهرة بوفاة الامام المصلح العظيم الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر الشريف والمعاهد الدينية وقد اهتز المسلمون لهذا النبا الفاجع اهتزازات عنيفة وارتج العالم الاسلامي شرقا وغربا لهول هذا المصاب الجلل . ولا غرابة في ذلك فمقام المراغي في ميدان الاصلاح العام مقام محمود مرموق في كل ديار المسلمين بالاجلال والاكبار . وقد قاسمت تونس آلام شقيقتها مصر بما بعثته من برقيات التعازي على لسان اكبر هيئاتها ٠

فلقد بعث سماحة الاستاذ الامام شيخ جامع الزيتونة الاعظم رسالة تعزية لوكيل مشيخة الازهر باسم جامع الزيتونة والمنظمات التابعة له كما ابرقت كل من جمعية الشبان المسلمين والجمعية الخلدونية برسائل من هذا النوع

فاحسنت وكالة الازهر الرد على الرسائل الانفة الذكر بما يدل على الاتصال المتين بين امال المسلمين وآلامهم

والمجلة الزيتونية - بدورها تشارك مصر في كارثتها وتدعو الله ان يجمل عزاء المسلمين فيه انه سميع مجيب .

خطاب الاستاذ الامام

في الجلسة العامة للجنة الحي الزيتوني *

الحمد لله المغني عن المحل والمخصص ، اللهم لما ينجع من الاعمال ويخلص ، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث بالدين البين المحص ، وعلى آله وأصحابه الذين ايدوه وذادوا من رام ان يغمص ، ومن تبعهم فجعل من اثرهم يحذو ويقبص

اما بعد فاني جد مبتهج بان احيي جمعكم الزاهر تحية ممنون على ان لبيتم الدعوة ، واني اقدر المعنى السامي الذي ينطوي عليه هذا الجمع الميمون ، فان اجتماعكم في هذا المعهد الجليل وانتم النخبة التي تتمثل فيها الامة التونسية بمختلف نواحيها الاجتماعية المتوزعة العناصر ، لبرهان ساطع على ما استقر لهذا المعهد في نفوس الامة قاطبة من منزلة الرفعة والاجلال ، وعلى ان نسبة الامة منه نسبة واحدة لا يعتبر فيها فرق بين من اقامه الواجب الاجتماعي ضمن جدرانه وبين من بعد به ذلك الواجب عنه فان كل اولئك مستوون في مقدار التعلق النفسي به والانتماء اليه استواء حالي ابي العلاء الذي مثله بقوله :

ما سرت الا وطيف منك يصحبني ... سرى امامي وتأويبا على اثري

لذلك فان صاحب النفس الشاعرة حين ترى هذا المعهد غاصا بحلق الدروس مكتظا بجموع

---

* عقد صاحب الفضيلة شيخ الجامع اجتماعا هاما دعا اليه نخبة من طبقات الامة وعلمائها وفي مقدمتهم سماحة الشيخ محمد العزيز جعيط شيخ الاسلام المالكي وذلك في ٢٢ جمادى ٢ عام ١٣٦٤ وافتتحه بهذا الخطاب العظيم عرض فيه على الحاضرين الحالة التي اصبح عليها التلميذ الزيتوني من قلة المساكن ورداءة الموجود وفوض لهم البت فيما يرونه منقذا لأبنائهم من هذه الضائقة الاليمة . فقرر المجلس بعد المفاوضة تشكيل لجنة تتولى تاسيس مدارس للتلامذة الزيتونيين على احدث مثال وقد الفت اللجنة قانونا يسمح لها بمباشرة الاعمال المزمع عليها وقدمته للحكومة وانتخب لرئاسة اللجنة سماحة شيخ الاسلام المالكي وعضوية الشيخ محمد حمدة الشريف نقيب الاشراف والامام الاول بجامع الزيتونة وخليفته الامام الثاني الشيخ محمود محسن والسيد الطاهر بن عمار كاهية المجلس الكبير والسيد بكار الحلصي مدير التعاضد المالي والشيخ الطيب رضوان والشيخ محمد الزغواني والشيخ محمد المنستيري

الطلبة يدرك ان وراء هذا الجمع الجسماني جمعا روحانيا اعظم منه واسمى ، الا وهو جمع القلوب الملتفة حوله العاطفة على اهاليه بالحب والود والمؤازرة والمناصرة ، اذ يرى فيهم القائمين بحق كلمة الاسلام والذب عن حوزة الملة والحفاظ على اللغة العربية التي هي العروة الوثقى لشد أواصر الجامعة الاسلامية والشبيبة الصائرة الى رحلة اسلامية عتيدة قائمة بالفرض الكفائي المؤكد على الامة في اية فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وعلم انهم مناط آمال الامة وزهرة حياتها القومية ، فيرتقن عند ذاك بان كل ما ينمي عدد الشباب ويحميه في طريق طلب العلم ويوفر عليه راحته حتى يقبل على عمله الجليل مطمئن البال مكفي المؤنة هو عمل يعد السعي فيه مفروضا عليه نحو دينه وامته ، ويعد البخل في حقه تقصيرا نحو عنوان شرفه ومجده فحقيق به ان لا يدخر عن اولئك الابناء الروحيين ما لا يدخره عن ابناء صلبه

ونحن اذا التفتنا الى الحالة الحيوية التي عليها طلبة المعهد الزيتوني نرى فيها من الحرمان والخصاصة والاضطراب اشياء لا يمكن ان يبلغ التعليم حد الاصلاح المطلوب له الا بعد تلافيها فان العدد الاكثر منهم يقدمون على مدينة تونس متغربين عن اوطانهم في سبيل طلب العلم ومن هذه الكثرة التي ينيف عددها على الالفين وخمسمائة تجد نحو النصف مأوى في بيوت المدارس التي تعاقبت على تاسيسها ايدي رجال الخير من عهد الدولة الحفصية الى الآن فيلجأون منها الى بيوت توسعها الضرورة لاكثر مما يسع وضعها الذاتي قد فقدوا منها مرافق الحياة التي تعدها الحضارة الحالية في الحاجات القريبة من حيز الضروريات

ففي بيت ضيق الارجاء قليل الهواء كثير الرطوبة فاقد الاشعة يقضي ثلاثة او اربعة من شبان الطلبة حياتهم بين نوم واشتغال بالدروس وخزن للازواد وايقاد وطبخ فلا تزال زهرة شبابهم تذوي ومظاهر المرض والكلال تمتلك سحناتهم وءاثار الانقباض والكدر تشوش افكارهم وتنتقص من اقبالهم وتفل من حدة نشاطهم حتى اثر هذا خللا في سير التعليم وانحط بابناء هذا المعهد عن المستوى الذي يراد وصولهم اليه بما يقام عليه التعليم من برامج

ومع ذلك فان هذه الحالة التعيسة التي يقاسيها شطر الغرباء من الطلبة الآوين الى بيوت المدارس تكاد تعد جنة نعيم في مقابلتها بحالة الشطر الاخر الذي عجزت المدارس عن ابوائه حتى اصبح لسان حالهم متمثلا في هذا بقول ابي الطيب :

ماذا لقيت من الدنيا واكثره   اني بما انا شاك منه محسود

فان نحوا من الف تلميذ واكثرهم من تلامذة السنوات الاولى القليلي الخبرة الصغار السن

ياوون في مبيتهم الى المنازل المعدة للغرباء وابناء السبيل مع ما في تلك الاوساط من الابتعاد عن كل ما تقتضيه حالة الطالب من الملائمات المادية والادبية

وهل من شك في ان جميعنا يشعر بحار يقد فؤاده حين يرى زهرة من نابتة هذا المعهد المعظم ياوي الى منزل حقير الظاهر سخيف الباطن يداوه الاخلاط وتجافيه الاداب ومكارم الاخلاق

ولطالما حرك هذا الشعور حمية اسلامية في نفوس بعض المحسنين فقاموا بجهود مشكورة في سبيل انقاذ الطلبة من هذه الحالة المؤلمة نذكر منهم بلسان الثناء الملك المقدس سيدنا محمد الحبيب والمنعمين الحاج قاسم بن يوسف والحاج سعيد الدغري والشيخ محمد الصالحي والحاج احمد بن الامين والحاج عليا صوة والخير حسينا حمزة . ولكن هذه الجهود كانت غير واسعة النطاق بسبب ما يضيق به الجهد الفردي فهي وان خففت الضنك وقللت التكوين لكنها لم تستاصل الداء ولم تتوصل الى تحسين حال الاغلب من الطلبة بحيث يظهر اثرها باديا في الحالة العامة فيرتفع مستوى التحصيل الزيتوني

من اجل ذلك توجهنا اليوم بعرض هذه الحاجة على مجمعكم الزكي رجاء ان تضيء اراؤكم المشرقة الغاية المامولة من التوصل الى ايجاد عمل اتقن وايضاح مظهر اسمى يكون عنده اجتثاث هذا الداء الاجتماعي من عروقه باقامة مأوى عظيم مستكمل وسائل الصحة والراحة حتى يكون باعتبار ماوى لطلبة الجامع وباعتبار ءاخر معلما تذكاريا خالدا رامزا الى ما للامة التونسية من التعلق بدينها والاهتمام بمستقبل شبابها المهاجر في طلب علومه. ونحن ان ندعوكم الى هذا العمل الجليل نجدد يدا اسداهـا الى هذا المعهد فضيلة العلامة الجليل شيخ الاسلام محمد العزيز جعيط فقد يذكر الكثير منكم انه كان فكر في الدعوة الى هذا المشروع وانه ليسرنا اليوم ان يكون هو راس هذا الهيكل الذي ازدان بحضوره هذا الجمع وفتح لنا بابا واسعا من الرجاء في نجاح هذا العمل المعهود به الى جمعكم لكريم الذي هو عمل يتوزع الى نواح ويسير على سبل عديدة لتحقيق الغاية من النظر في برنامج العمل واعداد الارض ورسم مثال البناء ووسائل تكوين المال اللازم لذلك وجميع هذه الاعمال موكولة لنظر مجمعكم لتتوزعها لجان تتولون تعيينها من بينكم

وان ما تحققه جميعا من العناية التي يحوط بها الجامع واهله سيدنا الملك المعظم محمد الامين ايده الله لاعظم منشط على مواصلة هذا العمل والثبات على السير في هذه السبل ثباتا يبعثه ما علق في تاج عرشه الكريم من الآمال ويحقق به بمعونة الله نجاح الاعمال .

المجلد السادس

فهرس العدد

الجزآن ٢و٣

الصحيفة	المقال	صاحبه
	ازدهار الزيتونة	المجلة
٣٦٣	خطاب انتهاء السنة الدراسية	صاحب الفضيلة المولى الشيخ الطاهر ابن عاشور
٣٧٠	الحركة العلمية بجامع الزيتونة	المجلة
٣٧١	يا لها آية.. ـ قصيد ـ	العالم الاديب الشيخ الطاهر القصار
٣٧٢	فلا تعدلوا ـ قصيد ـ	العالم الاديب الشيخ الشاذلي النيفر
٣٧٤	بان امر الاله ـ قصيد ـ	الاديب الشيخ الطاهر القصار
٣٧٦	رتيمة ـ قصيد ـ	الاستاذ خليل مردم
٣٧٧	الغزل الوطني ـ قصيد ـ	الشيخ الخضر حسين
٣٧٨	شباب العلم في الحفل الرياضي ـ قصيد ـ	الاديب مصطفى خريف
٣٧٩	خطاب في حفل جمعية الزيتونيين	الاستاذ الامام
٢٧٩	الاستاذ الامام يتفقد فروع الزيتونة	المجلة
٣٨٠	خطاب الاستاذ الامام بفرع الزيتونة بصفاقس	
٣٨١	خطاب العلامة النحرير الشيخ محمد المهيري المفتي بصفاقس	
٣٨٢	خطاب العالم الشيخ المختار السماوي المدرس بفرع صفاقس	
٣٨٤	ـ قصيد ـ الشيخ محمد الفخفاخ المطوع بفرع صفاقس	
٣٨٥	خطاب الشاب الطيب الهاشمي التلميذ بفرع صفاقس	
٣٨٦	خطاب العالم الورع الشيخ محمد شاكر المدرس بفرع صفاقس	
٣٨٨	خطاب رئيس فرع جمعية الشبان المسلمين بسوسة	الشيخ احمد زعتير
٣٨٩	خطاب كاتب فرع جمعية الشبان المسلمين بسوسة	الشيخ احمد العروي
٣٩١	خطاب كاهية رئيس جمعية الشبان المسلمين بسوسة	السيد يوسف المحجوب
٣٩٢	خطاب في الحفل العظيم بفرع سوسة	الاستاذ الامام
٣٩٤	خطاب فضيلة قاضي سوسة	الشيخ محمد القروي

الصحيفة	المقال	صاحبه
٣٩٧	خطاب الشيخ التجاني بوراوي المدرس بفرع سوسة	
٣٩٨	خطاب الشيخ البشير الشطي المدرس بفرع سوسة	
٣٩٩	خطاب الشيخ احمد زعبتر المدرس بفرع سوسة	
٤٠٠	خطاب العالم الشيخ عمار الوسلاني المدرس بفرع سوسة	
٤٠١	ـ قصيد ـ العالم الشيخ محمد النهامي عمار المدرس بفرع سوسة	
٤٠٢	خطاب الشاب عبد العزيز رجيبه التلميذ بفرع سوسه	
٤٠٤	⊛ في المدرسة لتريكة بسوسة ⊛ نشيد التلامذة	
٤٠٥	ـ في القيروان ـ قصيد الاستاذ الحليوي	
٤٠٧	ـ الاحتفال في الجامع الكبير بالقيروان ـ خطاب الاستاذ الامام	
٤٠٩	خطاب الشيخ الطاهر الصدام الباش مفتي بالقيروان	
٤١١	خطاب العالم الشيخ حموده العامري ـ وخطاب الشيخ الطيب البليش	
٤١٢	خطاب الشيخ حمود بن حريبو العدل بالقيروان	
٤١٣	خطاب الشاب محمد العلويني التلميذ بفرع القيروان	
٤١٤	خطاب الشاب محمد مزهود التلميذ بفرع القيروان	
٤١٧	أعظم بنزل ـ قصيد ـ للعالم الاديب الشيخ محمد الورتاني المدرس بفرع القيروان	
٤١٨	رسالة من وزير العدلية المغربية الى الاستاذ الامام	
٤١٩	المعاهد الاسلامية	الشيخ الطيب بن عيسى
٤٢٣	جمعية الزيتونيين تقيم احتفالها السنوي	المجلة
٤٢٤	في حفل مكتبة التلميذ الزيتوني	ـ خطاب الاستاذ الامام ـ
٤٢٦	خطاب العلامة الشيخ علي النيفر	
٤٢٨	خطاب الشاب حمده سليم رئيس مكتبة التلميذ الزيتوني	
٤٣١	الاحتفال العظيم بختم السنة الدراسية	المجلة
٤٣٢	حلة الشهائد عند الاستاذ الامام	
٤٣٣	خطاب الشيخ عبد الله الزريبي	
٤٣٤	خطاب الشيخ محمد علي الحلبقي	
٤٣٥	المعهد الزيتوني في نظر الشعب	الشيخ الطيب بن عيسى
٤٣٧	وفاة شيخ الازهر	المجلة
٤٣٨	جمعية الحي الزيتوني ـ خطاب الاستاذ الامام	

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

المدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس - تليفون ٢٦٠٤٩

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٢٤٢٢

وصولات الاشتراك لا تعتبر خالصة الا اذا كانت ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الاشتراك عن سنة ١٥٠ فرنك

مدير المجلة : محمد الشاذلي ابن القاضي

مطبعة الارادة - تونس

عدد ٤

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء ٤ - ٥ - ٦ | شوال-ذي القعدة-ذي الحجة ٦٤ وديسامبر ٤٥ | المجلد السادس

اقرأ بهذا العدد :

فلسطين الدامية

وعريضة المدرسين للامير

حول قضية فلسطين

ثمن العدد فرنكات ١٥

مطبعة الارادة

الحي الزيتوني

نشرنا في العدد السابق كلمة حول الحركة المباركة التي قام بها نخبة من رجال الفضل والاحسان والقصد منها ايجاد حل لقضية من القضايا التونسية التي شغلت البال طويلا في هذه السنوات الاخيرة وهي قضية مسكن تلامذة جامع الزيتونة الاعظم ولسنا مبالغين اذا قلنا انها قضية هامة ولم تظفر بحل وان ما يزيد على الف تلميذ يبيتون في المخابي والمقاهي واصطبلات الدواب ومساجد بعض الزوايا يفترشون الحصير ويتوسدون الحقائب اذا اقبل عليهم الليل تراهم حيارى اين يقضون سواد ليلتهم واذا اصبح الصباح اسرعوا الى المعهد ونفوسهم ملاى بالايمان وانها حالة لا بد ان تحول الى احسن وسيجدون في يومهم ما يخفف عنهم نصب البارحة وتتكرر الآمال والشاب حياته كلها آمال

امام هذه الظاهرة المخجلة التي عليها جمهرة من شبابنا المتعطش للمعارف في هذا العصر الذي يعده عصر الرفاهية والحضارة والمدنية ' فكرت تلك النخبة الفاضلة في الدعوة لتاسيس حي تقام فيه مدارس يسكنها تلامذة المعاهد الزيتونية بالحاضرة وكونوا جمعية تتولى مباشرة ذلك وقد تم تاسيس الجمعية بصفة قانونية ومثل مجلسها امام الحضرة العلية وطلب رئيسها الهمام المولى الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط من الجناب العالي ان تكون له الرئاسة الشرفية فقبل ذلك بغاية السرور والانشراح واذن ابقاه الله في الشروع في العمل لتحقيق هذا المقصد الحميد الذي سيعود بالنفع على تلامذة جامع الزيتونة عمره الله ' وان هذا الامر يتوقف على امرين اصليين اولهما تخصيص ارض صالحة مستجمعة للشروط اللازمة لبنايات تاوي ١٠٠٠ من التلامذة من اراضي الاوقاف

وقد علمنا ان مجلس الجمعية سيعمل للتحصيل على اذن من الجناب العالي على اخذ ارض من اراضي الاوقاف خارج باب سيدي عبد الله

والثاني اشتراك كافة التونسيين في توفير المال اللازم لهذه المؤسسة .

والشعب التونسي الذي يعطف على التلامذة الزيتونيين ويقدر مجهودهم العظيم الذي يبذلونه في خدمة الدين واللغة والعربية والاسلام لا اخاله الا قائما بما يجب عليه نحو ابناء الوطن .



عدد ٤

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء ٤ ـ ٥ ـ ٦ | شوال ـ ذي القعدة ذي الحجة ٦٤ وديسامبر ٤٥ | المجلد السادس

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٢ ـ تونس ـ تليفون ٢٦٠٤٩

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٢٤٢٢

وصولات الاشتراك لا تعتبر خالصة الا اذا كانت

ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الاشتراك عن سنة ١٥٠ فرنك

مطبعة الإرادة ـ تونس

ثمن العدد ١٥ فرنكات

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »

بقلم الحجة الامام المولى محمد الطاهر ابن عاشور

انتقال لاثبات الجزء الثاني من جزاي الايمان بعد ان تم اثبات الجزء الاول من ذلك بما قدم من قوله تعالى : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم » الخ فتلك هي المناسبة التي اقتضت عطف هذه الجملة على جملة « يا ايها الناس اعبدوا ربكم » ولان النهي عن ان يجعلوا لله اندادا جاء من عند الله فهم بمظنة ان ينكروا ان الله نهى عن عبادة شفعائه ومقربيه لانهم من ضلالهم كانوا يدعون ان الله امرهم بذلك قال تعالى: « وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم » فقد اعتلوا لعبادة الاصنام بان الله اقامها وسائط بينه وبينهم فزادت بهذا مناسبة عطف جملة وان كنتم في ريب عقب قوله فلا تجعلوا لله انـدادا واتى بان في تعليق هذا الشرط وهو كونهم في ريب وقد علم في فن المعاني اختصاصها بمقام عدم الجزم بوقوع الشرط لان مدلول هذا الشرط قد حف به من الدلائل ما شانه ان يقلع الشرط من اصله بحيث يكون وقوعه مفروضا فيكون الاتيان بان مع تحقيق المخاطب علم المتكلم بتحقق الشرط توبيخا على تحقق ذلك الشرط ووجه ذلك ان القرءان قد اشتملت الفاظه ومعانيه على ما لو تدبره العقل السليم لجزم بكونه من عند الله فانه جاء على فصاحة وبلاغة ماشهدوا مثلها من فحول بلغائهم وهم فيهم متوافرون متكاثرون حتى لقد سجد بعضهم لبلاغته واعترف بعضهم بانه ليس بكلام بشر وقد اشتمل من المعاني على ما لم يطرقه شعرائهم وخطباؤهم وحكماؤهم بل وعلى

ما لم يبلغ الى بعضه علماء الامم. ولم يزل طول الزمان يظهر خبايا القرءان ويبرهن على صدق كونه من عند الله تهدّه انصفات كافية لهم في ادراك ذلك وهم اهل العقول الراجحة والفطنة الواضحة التي دلت عليها اشعارهم واخبارهم وبداهتهم ومناظراتهم والتي شهد لهم بها الامم في كل زمان فكيف يبقى بعد ذلك كله مسلك للريب فيه اليهم فضلا عن ان يكونوا منغمسين فيه ووجه الاتيان بفي الدالة على الظرفية الاشارة الى انهم قد امتلكهم الريب واحاط بهم احاطة الظرف بـالمظروف واستعارة في لمعنى الملابسة شائعة كلام العرب كقولهم هو في نعمة واتى بفعـل نزل دون انزل لان القرءان نـزل نجومـا وقـد تقـدم في اول التفسير ان فعـل يدل على التقضي شيئا فشيئا على ان صاحب الكشاف قد ذكـر ان اختياره هنا في مقام التحدي لمراعاة مـا كانوا يقولون لولا انزل عليه القرءان جملة واحدة فلما كان ذلك من مثار شبههم ناسب ذكره في تحديهم ان ياتوا بسورة مثله منجمة ومعنى السورة تقدم في طالعة سورة الفاتحة والتنكير للافراد والنوعية اي بسورة واحـدة من نوع السور وذلك صادق باقل سورة عنونت باسم يخصها واقل السور عدد ءايات سورة الكوثر والمثل المثيل والمشابه المشـابهة تامة . والضمير في قوله من مثله يجوز ان يعود الى ما انزلنا ويجوز ان يعود الى عبدنا فان عاد الى ما انزلنـا اي من مثل القرءان فالاظهر ان من ابتدائية اي سورة ماخوذة من مثل القرءان اي كتاب مثل القرءان والجـار والمجرور صفة لسـورة والمراد بالمثل مثل مقدر على اعتقادهم وفرضهم ولا يقتضي ان هذا المثل موجود لان الكلام مسوق مسـاق التعجيز وان اعيد الضمير لعبدنا فمن اتعدية فعل اتوا وهي ابتدائية وحينئذ فالجار والمجرور ظرف لغو غير مستقر ويجوز كون الجار والمجور صفة لسورة على انه مستقر والمعنى فيهما ائتوا بسورة منتزعة من رجل مثل محمد في الامية ولفظ مثل هذا اسم وقد تبين لك ان لفظ مثل في الآية لا يحتمل ان يكون المراد به الكناية عن المضاف اليه اذ لا يستنفي المعنى ان يكون التقدير فـاتوا بسورة من القرءان او من محمد خلافا لمن توهم ذلك من كلام الكشاف وانما لفظ مثل مستعمل في معناه الصريح الا انه شبه المكنى به عن نفس المضاف هو اليه من حيث ان المثل هنا على تقدير الاسمية غير متحقق الوجود الا ان سبب انتفاء تحققه هو كونه مفروضا فان كون الامر للتعجيز يقتضي تعذر الماءمور فليس شيء من هاته الوجوه بمقتضى وجود مثل للقرءان حتى يرد به بعض الوجوه كما توهمه التفتزاني وعندي ان الاحتمالات التي احتملها قوله من مثله كلها مرادة لرد دعاوي المكذبين في اختلاف دعاويهم فان منهم من قال القرءان كلام بشر ومنهم من قـال هو مكتتب من اساطير الاولين ومنهم من قال انما يعلمه بشر وهاته الوجوه تفند جميع الدعاوي فان كان كلام بشر فاتوا بمماثله

او مثله وان كان من اساطير الاولين فاتوا انتم بجزء بعضها من هاته الاساطير وان يعلمه بشر فاتوا انتم من عنده بسورة فما هو ببخيل عنكم ان سالتموه وفي هذا ارخاء لعنان المعارضة وتسجيل للاعجاز عن عدمها والمراد من الاتيان بمثله في بلوغ الدرجة العليا من البلاغة والفصاحة لان ذلك معنى المماثلة فلو اتوا بشيء من خطب او شعر بلغائهم غير مشتمل على ما يشتمل عليها القرءان من الخصوصيات لم يكن ذلك اتيانا بما تحداهم به فليس في جعل من ابتدائية ايهام ياتوا بشيء من كلام بلغائهم لان تلك مماثلة غير تامة

وقوله تعالى « وادعوا شهداءكم من دون الله » معطوف على فاتوا بسورة اي ائتوا بها وادعوا شهداءكم والدعاء يستعمل بمعنى طلب حضور المدعو وبمعنى استنطاقه وسؤاله لفعل ما والشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل من شهد اذا حضر ثم استعمل في معان لازمها الحضور مجازا وهي المخبر عن تصديق دعوى او تكذيبها لان خبره فرع شهوده ما يقتضي الصدق او الكذب .
والظاهر ان المراد هنا ادعوا آلهتكم بقرينة قوله من دون الله اي ادعوهم من دون الله كدابكم في الفزع اليهم عند المهم معرضين بدعائهم واستنجادهم عن دعاء الله والملجأ اليه ففي الاية رجوع الى توبيخهم على الشرك في اثناء التعجيز من المعارضة وهذا من افانين البلاغة ان يكون مراها تبليغ غرضين فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثاني وفيه تظهر مقدرة التبليغ اذ ياتي بذلك الاخران بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام ولا تكلف قال الحرث بن حلزة

اذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

فان قوله رب ثاو عند ذكر بعد الحبيبة والتحسر منه كناية عن ان ليست هي من هذا القبيل الذي يمل ثواؤه وقد قضى بذلك حق ارضائها بانه لا يحفل باقامة غيرها ويجوز ان يكون المراد ادعوا نصراءكم من اهل البلاغة فيكون تعجيزا للعامة والخاصة او ادعوا من يشهد بمماثلة ما اتيتم به مما نزلنا ويكون قوله من دون الله على هذه الوجوه حالا من الضمير في ادعوا او من شهداءكم اي في حال كونكم غير داعين الملك الله او حال كون الشهداء غير الله بمعنى اجعلوا جانب الله الذي انزل الكتاب كالجانب المشهود عليه فقد ادناكم بذلك تيسيرا عليكم لان شدة تسجيل العجز يكون بمقدار تيسير اسباب العمل ويجوز ان يكون دون بمعنى امام وبين يدي يعني ادعوا شهداءكم بين يدي الله واستشهد له بقول الاعشى

تريك القذى من دونها وهي دونه اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

وفيه بعد كما جوز ان يكون من دون الله بمعنى من دون حزب الله وهم المؤمنون اي

الحديث الشريف

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك ـ رواه الشيخان .

بالغ الاسلام في الوصية ببر الوالدين فقرنه بعبادة الله تعالى واكد النبيء صلى الله عليه وسلم في حق الام فجعل برها مقدما على بر الاب ففي هذا الحديث الشريف تنويه عظيم بشان منزلة الام في العائلة وان منزلتها تفوق منزلة الاب بكثير فقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثال حق الاب حيث اكده صلى الله عليه وسلم للرجل السائل ثلاث مرات لسلام وفي المرة الاخيرة فقط قال ابوك .

ان من اوكد الواجبات في الاسلام بعد توحيد الله تعالى وتخصيصه بالعبادة طاعة لوالدين ومراعات حقوقهما وحسن صحبتهما والبر والرفق بهما حتى جعل الشارع الحكيم الذنوب والمعاصي مراتب متفاوتة وانتشار المفسدة المرتبة عليها وجعل من اكبرها الاشراك بالله تعالى وعقوق الوالدين .

قال تعالى في سورة الاسراء : « وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » فقد جمع الله تعالى في الآية الكريمة بين وجوب عبادته تعالى وحده وان لا يشرك معه في العبادة غيره الذي هو الحق الاول من الحقوق الواجبة على المكلف في نظر الشريعة السمحة

احضروا شهداء من الذين هم على دينكم فقد رضيناهم شهودا فان البارع في صناعة لا يرضى بان يشهد بتصحيح فاسدها وعكسه ابابة ان ينسب الى سوء المعرفة والجور وكلاهما لا يرضاه ذو المروءة

وقوله ان كنتم صادقين اتى بان لان صدقهم غير محتمل الوقوع والصدق ضد الكذب وهما وصفان للخبر لا يخلو عن احدهما والمعنى ان كنتم صادقين في انهم اولياء وشهداء او ان كنتم صادقين في ان القرءان كلام بشر وفي هذا اثارة لحميتهم اذ عرض بعدم صدقهم فتتوفر دواعيهم على المعارضة

وبين الاحسان للوالدين ورعاية ما لهما على الشخص من حق وحرمة تنبيها لاولى العقول السليمة والفطر المستقيمة على ما للوالدين من حق وحرمة ومزية على هذا المجتمع الحيوي الزاخر بافراد الانسانية العاملة بحسب اصل الفطرة على خير المجموع والعام ولا عبرة بما جاء على خلاف اصل الفطرة فهو خارج عن مقتضى النواميس الطبيعية العامة وان حق الوالدين في ذلك مقارن لحق الله تعالى فالله تعالى له حق الايجاد والانشاء والوالدان لهما حق التسبب على تنفيذ مراد الرب في هذه الخليقة من بقاء هذا العالم الى الامد المقدر ولما كانت التكاليف التشريعية يؤمر بها الافراد كل على حسب حيويته وما له من وظائف يقوم بها وسط المجتمع العام كان التكليف بالطاعة والبر بالوالدين متوجها اولا وبالذات للولد المتسلسل منهما والمتولدة نفسه من نفسيهما فهو مدين بوجوده وحياته اولا لله تعالى منشيء الكائنات وخالق الموجودات بتقديره وقضائه وتدبيره وتربيته فالحمد لله رب العالمين . ثم هو مدين ثانيا لوالديه اللذين تسببا سببا مباشرا في بروزه لعالم الكائنات والسهر على مصالحه الحيوية وتنمية جسمه تنمية صالحة حين كان عاجزا عن جلب ما يحتاجه الى نفسه وبه بقاؤه وعاجزا عن دفع ما يؤلمه او يضر به وبه هلاكه

فكان من مقتضى الحكمة ان يؤمر هذا الولد حين يشب ويترعرع ان يرعى لله تعالى حقه الاول عليه فيوحده وينزهه عما ينعته به المبطلون الظالمون ويعبده حق عبادته

وان يرعى لابويه حقهما عليه وحسن صحبتهما له في مبدا تكوينه ونشاته فيحسن هو بدوره صحبتهما ويرفق بهما ويعرف لهما ما قاما به نحوه من معروف ونصح وما تحملاه من اجل ابلاغه هذا الحد الذي بلغه من نصب وبلاء ومشقة وعناء

وهذا المعنى هو الذي نبهت عليه الايات - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - من سورة الاسراء التي تلونا صدرها

« وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا . اما يبلغن عندك الكبر »

« احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما »

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

« ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا »

فقد اقتضت هذه الآيات الكريمة ان الله الذي هو خالقك ومربيك وحافظك أمر ان لا تعبدوا سواه لان العبادة غاية التعظيم وهو لا يليق الا بمن كان في غاية العظمة منعما بانواع النعم العظام التي لا يكون لغيره ان ينعم بها وانه امر ايضا مع امره الاول بان تحسن بالوالدين احسانا . ثم فصل سبحانه وتعالى بعض انواع الاحسان تاكيدا لشانه وهو الاحسان اليهما في اخص اوقاته

احتياجهما للاحسان وهو وقت العجز والكبر فانهما في هذا الدور من حياتهما احوج ما يكونان الى الاعانة والرفق وحسن الصحبة من ولدهما ، مع ان ملاذ جسمه وصوارف نفسه قد تصرفه عنهما في هذا الوقت ويراهما حملا ثقيلا على عاتقه فيستشعران منه بقلق من وجودهما بجانبه ويكون هذا مؤلما لهما اشد الالم وموجبا لسخطهما ونكد عيشهما وفي هذا من القسوة والشدة المفككة لاجزاء العائلة ما لا يخفى

فقال وهو احكم القائلين « اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما. فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » اي لا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل مؤنتهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك ولا تظهر لهما الضجر والمخالفة ، فالمراد التحاشي عن سائر انواع الايذاء القولي والفعلي وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه ولا غلظة اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة . ثم قال (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) اي تواضع لهما وتذلل من فرط رحمتك عليهما وشفقتك بهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) فقد بالغ عز وجل في التوصية بهما ولو لم يكن سوى ان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك واحد وهو القضاء بهما معا لكفى

(وقد روى ابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رضا الله تعالى في رضا الوالدين وسخط الله تعالى في سخط الوالدين وصح ان رجلا جاء يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد معه فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وجاء انه عليه الصلاة والسلام قال لو علم الله تعالى شيئا ادنى من (الاف) لنهى عنه)

وليس هذا هو كل ما جاء عن القرءان الكريم في التوصية بالوالدين فقد اشار القرءان الى ذلك في عدة آيات منها قوله تعالى في سورة لقمان (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير) وقوله من سورة الاحقاف (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فهذه الآيات واضحة الدلالة في ثبوت حقهما معا وزيادة حق الام نظرا لما قامت به من الام الحمل والولادة والارضاع والتربية وهذا امر مشاهد لا يحتاج الى بيان فالام تسهر الليل جاثية على ولدها تحنو عليه وتغذيه من دمها وتضمه الى صدرها وتغسل اوساخه ولا يلحقها اي ملال بل ذلك اشهى الى قلبها من كل محبوب بخلاف الاب في ذلك فهذه مزية الام على الاب التي اوجبت لها

مزيد تفضيل على الاب في الاحسان والاحقية بحسن الصحبة . ومما يؤثر في هذا الباب ان رجلا كبرت عنده امه فجعل يخدمها كما كانت تخدمه فيغسل لها القذى بنفسه ويؤكلها بيده ولا يهدأ له بال الا بعد راحتها واتفق ان طلبت منه الحج الى بيت الله الحرام فحملها على كتفيه وسار بها حاجا حتى اذا به يطوف بها حول الكعبة اذ ابصر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال له اترى انه قد بقي لامي علي حق وذكر له كل خدماته معها فقال له نعم لا يزال حق الام قائما عليك فانك تفعل معها ذلك وانت تتمنى لها الموت اما هي فكانت تفعل معك ذلك وهي تتمنى لك الحياة والسعادة

وبالجملة فان المؤمن مامور من ربه ونبيه بان يرعى حق والديه معا ويكرمهما ويبالغ في الذل والطاعة لهما فان رضاهما من رضاء الرب وان يخص الام بمزيد الرعاية والعطف والشفقة فان الجنة تحت اقدام الامهات

واما هؤلاء الذين يعاملون آباءهم وامهاتهم معاملة قاسية وينظرون اليهم نظرات احتقار وازدراء فهؤلاء ليسوا من الدين في شيء وسينالون عند الله العقوبة اللائقة بهم زيادة على ما يصيبهم في الدنيا من الهم والنكال وسيقتص منهم ابناؤهم لا محالة فيعقونهم كما عقوا هم آباءهم سنة الله في خلقه فقد ورد في الحديث - بروا آباءكم تبركم ابناؤكم .

ولقد حدث التاريخ ان رجلا كبر عنده ابوه وتقوس ظهره وسال لعابه كما كان صغيرا - سنة الله في خلقه (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) فكره ابنه ان يأكل معه على مائدة واحدة وطرده عن تناول الطعام معه وصار ياكل هو واولاده الصغار والاب في معزل عنهم ياكل من اناء خاص اعد له واتفق ان انكسر هذا الاناء فعنفه هذا الابن العاق تعنيفا شديدا ووضع له اناء من خشب لكيلا ينكسر ولاول مرة كان ياكل منه وهو في معزل والصغار ابناء ابنه ياكلون مع ابيهم اذا باحدهم يقول لابيه لماذا صنعت لجدي هذا الاناء يا والدي فقال له حتى لا ينكسر يا بني فقال الولد حسنا يا والدي فلنحتفظ لك بهذا الاناء حتى تكبر وتكون مثل جدي فناكل فيه منفردا عنا كما يأكل هو الآن . -

فكانت هذه عظة بالغة لهذا الابن العاق الذي قام من فوره يقبل يد والده ويسأله الصفح والمغفرة

هذا مثل صغير يدلك على انه لابد من القصاص فان شئت عز الدنيا وسعادة الآخرة ورضا الله تعالى والتمتع باولاد فيهم قرة العين فاستخدم نفسك بذل مطيعا لوالديك « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

الاصول العامة التي اقيمت عليها النظم الاجتماعية في الاسلام

الحرية الشخصية

في الاسلام

اعتنى الاسلام بحياة البشر الخاصة والعامة ومهد لها قواعد وسبل لها السبل واقام من الاصول العامة ما يتم به نظام المجتمع وحرسها بقوانين تدفع عنها اليد العابثة وترد النفوس الخبيثة عن غيها وشرها

وكان قوام هذا النظام واساسه الذي شيدت عليه اصوله وفروعه الوحدة الاسلامية وتساوي المسلمين آحادا وجماعات في الحقوق العامة

وبذلك قضى الاسلام على الشعوبية وهدم معاقل الانانية ولم يحفل بما عليه الناس من نظام الطبقات ونزل بذلك القرءان وخاطب الرسول الناس بما تلقاه في هذا الصدد من التعليم

« يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير »

ذكرهم بانهم خلقوا من اب وام فما منهم من احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاضل في النسب والتفاخر بالاموال والجاه ورتبهم سبحانه على شعوب وقبائل يعرف بعضهم نسب بعض فلا ينتسب الى غير آبائه لا ان يتفاخروا بالانساب وذكر الخصلة التي يفضل الانسان بها غيره وتكسبه الشرف الرفيع والكرامة عند الله وهي التقوى .

روي انه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة بالكعبة فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الآية »

فالله تعالى خلق الناس شعوبا ليتعاونوا على مرافق الحياة ويتعارفوا ويتبادلوا المصالح التي يهمهم حصولها وقضى بهذا التشريع على الاوهام القديمة التي كانت تاصلت في البشر

وقد كشف الاسلام بهذا النبراس الوضاء سرا من أسرار الاجتماع البشري وهو ان للهيئة الاجتماعية سننا مرعية في اصل التكوين لا تتخلف ولا تتحول وعلى الشعوب ان تعلم تلك السنن وتهتدي بهداها وتعمل بمقتضاها حتى تسلم من علل المجتمع التي اصابت كثيرا من الامم ولم تزل تصيب اخرين من الذين جرت اعمالهم على غير هداها

وبهذا النوع من اصول بعالم الاسلام كون الرسول من المسلمين امة تقوم على جادة الحق وتعمل على اساسه المكين وتندفع وراءه لتحصل على السعادة العظمى والمقصد الاسمى فكان من نتائج ذلك ما ناله المسلمون من العز والسلطان واقامة قسطاس العدل تلمس المسلمون السنن من مضانها وانقادوا لاحكام الشرع لما وجدوا فيها من حفظ مصالحهم . فكانوا خير امة اخرجت للناس وتحروا الصراط السوي في اعمالهم ومعاملاتهم ونظمهم الاجتماعية وهذبوا النزعات التي ورثوها عن آبائهم الاولين وطهروا نفوسهم منها بما جاءهم من الحق على لسان رسول رب العالمين ولم يتركوا للاهواء مجالا لتسيطر على نفوسهم وقاوموها باتباع هدى القرآن وتعاليمه الواضحة وساروا على سننه التي بينها للناس وعلى الأخص فيما يرجع الى النظم العامة فعلموا ان نظام الحياة يابى المحاباة وان سنن الخليقة تعم الكافة على حد سواء كما افصح عنه الحديث القدسي :

الجنة لمن اطاعني ولو كان عبدا حبشيا والنار لمن عصاني ولو كان شريفا قرشيا . على هذا النحو من الهداية تطهرت نفوس المسلمين من الوساوس والاوهام التي كانت عالقة بكثير من الشعوب ولم تزل وعلى هذا الاصل بين الرسول للمسلمين عامة ولاهل بيت النبوة خاصة ان الحق احق ان يتبع وان الرسول لايغني عنهم من الحق شيئا وقد وردت بذلك في هذا الباب احاديث كثيرة كلها تقرر اصلا عاما يجب على لكافة اعتباره ان الناس امام الحق سواء

وفي ذلك يقول رسول الله مخاطبا اعز الناس اليه : « اعملي يا فاطمة فاني لا اغني عنك من الله شيئا » وابلغ ما جاء في هذا حديث المخزومية الوارد في الصحيح اخرج اصحاب السنن عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان قريشا اهمتهم المراة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه الا اسامة حب الرسول فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب قال : يا ايها الناس انما ضل من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها

كل هذا يبين لنا مقدار اهمية هذا الاصل في النظام التشريعي العام ومدى تأثيره في حياة المجتمع الذي يشمله ويسيطر عليه

وبقدر اعتبار الاسلام لمساواة الناس والقضاء على المحابات بقدر اعتباره للحياة الشخصية واعطائها ما تستحقه من الحرية في دائرة لاتخرجها الى الاباحية والفوضى والعبث

فان الاسلام اعتبر مبدأ الحرية الشخصية في كل ما هو داخل في دائرة القانون العام الاسلامي في دائرة الفضيلة والكرامة

اعتبر هذا المبدا فيما لا يجلب ضرا على الناس . واما ما هو من هذا القبيل فانه اقام له موانع تمنع الانسان ان يخوض غماره

فبين الاسلام للناس انه ليس من الخير لبني الانسان ان يترك وهواه فيندفع في تحصيل اغراضه كيفما شاء وشاء له الهوى ولو اضله عن سبيل الهدى فان هذا ليس من السداد والصلاح في شيء ولا ان قاعدة الحرية الشخصية يلزم ان تشمله ، فان مبدا الحرية الشخصية اصل من الاصول العامة ولكن لا يصح ان ناخذ من هذا الاصل ذريعة فنلحق به غيره مما يشتبه على قاصري النظر فيظن انه من افراده وجزئي من جزئياته فان هذا غلط او مغالطة .

فالاسلام أقام هذا المبدا واحاطه بسياج يمنع عنه كل دخيل واعتبر فيه قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد وجعل من الشريعة ما يكون قانونا يميز داعي الحق والفضيلة من داعي الهوى والشره والشهوات ؛ فمهما كان فعل المرء لا يصادم مصلحة ولا يجلب مفسدة فللانسان مجال فسيح في تحصيله ، ومتى كان الداعي الذي يدعوه هو الهوى ويحصل عند وقوعه مفسدة تلحق بالنفس او بالغير فلا مجال للمرء في تحقيقه بدعوى ان للانسان حريته يفعل ما اراد فان هذا النوع احق ان يوسم بالاباحية الممقوتة التي لا يقرها عقل ولا دين

ولو ترك الناس واهواءهم التي احبوا ان يطلقوا عليها اسم الحرية لاصبحوا في فوضى لا حد لها ولا نعلم مدى الشرور التي تنجر لهم من ورائها والاضرار التي تنجم عنها

فالحقوق التي اعتبرها الاسلام وخولها للناس ومكنهم منها هي الحقوق التي تقتضيها نظم الحياة ويستلزمها التكوين الخلقي للبشر مما ينتج الاثار المحمودة ولا يجلب الفساد او يوقع ضررا

اما ما يطلق لاهل الدعارة والفسوق ليرتكبوا الخبائث فهذا ليس من الحرية في شيء ويعده الاسلام فسوقا واثما ولا يتغاضى عنها بحال

وكيف يسوغ اعتبار الحرية الى اقصى حد والاسلام اقيم على اعتبار قاعدة جلب المصالح ودفع المضار وهل يتم اقامة الحياة العامة على اساس الحرية المطلقة من غير قيد ولا شرط وهل امكن للبشر ان يعيش على هذا المبدا الهدام مبدا الاباحية المطلقة في عصر من العصور حياة سعادة وهناء

ان الناس اليوم ينتحلون لنفوسهم اوجها متنوعة في ارتكاب المفاسد ويتناولون بالتاويل الباطلة لاقناع نفوسهم بصحة ما يقدمون عليه حتى لا ينكر عليهم احد ما فعلوا او ما يقدمون عليه من شرور ، وهذا لعمري نوع من المغالطة يغالطون به نفوسهم او يغالطون به الغير والمشكل خطره عظيم ، وهل انكى اثرا من المغالطة والتباس الباطل بالحق وكسوه بجلبابه حتى لا تبصر الابصار ولا تدرك الحقيقة ويخفى عليها نورها ويحجبها التضليل والاوهام .
وهل اشر على الانسان واخطر عليه من هذا النوع من التلبيس والتدليس ...؟

لناخذ مثالا من احوال دعاة الحرية الشخصية المطلقة الدالة على صحة عدم مباديهم الاسراف والميل مع تحصيل اللذات والشهوات كيفما امكن هل نشر هذا الحب والميل غير تدهور الاخلاق وانحلال الاسر وضياع الثروات ؟ الم يكن ذلك من نفسه اكبر شاهد على بطلان مبادئهم الفاسد اليس الاقدام على شرب المسكرات والانكباب على الميسر وقضاء الوقت في اللهو المجون هي اكبر بلية تحل بالمجتمع الذي فشت بين افراده اليست هذه كلها معاول تخريب ادت الى ذيوع ضروب من الفواحش والفساد في الارض ٠

فالاسلام بوقوفه من مبدا الحرية الشخصية عند الحد الذي يسمح به المنطق القويم والطبع السليم لا يقصد ان يكبل الحرية بقيود من الفولاذ ، ولكنه يريد ان تكون حرية صالحة تنتج آثارا محمودة وتعين على اقامة المصالح المرغوب فيها من الجميع . اما الحرية التي تطلق لاهل الدعارة والفسقة والاباحيين ليرتكبوا تحت ستارها ما تخجل له الانسانية وتاباه سنن التكوين فهذه يعدها الاسلام اباحة هدامة لا يقرها ولا يتغاضى عنها بل اعد لها انواعا من العقوبة والتنكيل وكل مجتمع يبني وجوده على معاكسة السنن الالهية فانه يصاب بجرائر آثامه « قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »

محمد الشاذلي ابن القاضي

الى الفتاة المسلمة

زواج البساطة والصفاء

حفلة زفاف السيدة عائشة الصديقة

وصفت ام المؤمنين السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها حفلة زفافها فقالت :

« تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم فاتتني امي . واني في ارجوحة ومعي صواحب لي . فاتيتها لا ادري ماذا تريد مني ، فاخذت بيدي واوقفتني على باب الدار ، فاذا نسوة من الانصار في البيت ، فقلن على الخير والبركة ، وعلى خير طائر . فاسلمتني اليهن فاصلحن من شاني . فلم يرعني الا ورسول الله ضحى صلى الله عليه وسلم . فاسلمتني اليه ، وانا يومئذ بنت تسع سنين ».

وكانت معها في الحجرة « اسماء » بنت عمر فحدثت تقول :

« لم يكن في وليمة السيدة عائشة من الطعام سوى قليل من اللبن شرب الرسول بعضه ثم مد يده الكريمة بالاناء الى عائشة فخجلت ولم تتناوله. فقلت لها : لا تردي ما يعطيه لك النبي صلى الله عليه وسلم وشربت اسماء ما تبقى».

على هذا النحو من البساطة والصفاء وقلة الكلفة تم زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها في الشهر الثامن من الهجرة

الفتاوى والأحكام

ثبوت الملك للمحبس

شرط في القضاء بالحبس

سئل العلامة النحرير الحجة الشيخ محمد النجار المفتي المالكي برد الله ثراه هل الرسم المتضمن عقدة تحبيس الذي بيد صاحب الدعوى ينهض حجة للمتمسك به على الحائزين للعقار الحيازة الشرعية ويفتك بمفرده العقار من ايديهم او لا ؟

فاجاب قدس الله روحه بما نصه :



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه . وبعد فقد عرض علي الرسم المسطر حوله وسئلت هل هو بقطع النظر عن صحة عقدة التحبيس التي تضمنها او فسادها ينهض حجة للمتمسكين به على الحائزين للعقارات المذكورة به الحيازة الشرعية ويفتك بمجرده من يد الحائزين لها او لا ؟ فكان فخر ظهر لنا في الجواب ان الرسم المذكور لا يفتك به من يد الحائزين فانه بقطع النظر عن العقدة التي تضمنها خال من ثبوت الملك للمحبس في يوم التحبيس وهو امر لا بد منه في الانتزاع من يد الحائزين كما نص عليه المتقدمون كالامام ابن رشد واعتمده المتاخرون كالشيخ ابن عبد السلام والشيخ القلشاني والشيخ البرزلي والشيخ التسولي وقد بسط ذلك الطود الراسخ مالك زمانه الشيخ سيدي محمد المحجوب في جواب له عن سؤال عن احباس بدفاتر القضاة قال فيه : واما المقام الثاني وهو ثبوت الملك للحبس فاعلم ان اعتبار ذلك في القضاء بالحبس هو الذي عليه عامة اهل الفتوى فيما راينا من الاندلسيين وغيرهم .

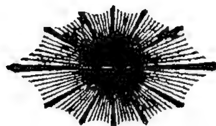
وكفى عاضد له ان اليه ذهب الشيخان ابن رشد وابن الحاج وكرره الاول في غير ما موضع من اجوبته واقتصر عليه ابن عبد السلام وابن عات واعتمده صاحب الاجوبة مقتصرا عليه وافتى به خاتمة المحققين الشيخ علي الاجهوري ونقله البرزلي في اجوبته والونشريسي عن غير واحد من اهل الشورى وظاهر كلامه انه لا فرق في ذلك بين قديم الاحباس وحادثها

لكن رايت في نوازل الشصبي ونقل صاحب التبصرة نحوه عن ابن الهندي ان هذا خاص بغير الاحباس القديمة واما هي فيسقط اعتبار ذلك فيها . وحده القائل بذلك بالخمسين او الستين عاما واليك النظر في تحقيق المراد من هذا فلعل له معنى لا ينافي ظاهر كلامه عند التامل والحاصل انه لا يقضي بالرسوم المذكورة ولا يفتك بها من يد عادية على مقتضى نص العتبية اه . باختصار

قالت تراه كيف ابقى كلام الايمة على ظاهره واعتمده وانفصل عليه وترجى ان يكون لكلام ابن الهندي معنى لا ينافي ظاهر كلامهم وجعله مفتقر للتسامل ليرجع الى كلامهم وقد حقق الله رجاه فقد ذكر الشيخ عبد الكريم البازعني ان محل كلام ابن الهندي ما اذا كان مدعي الحبسية حائزا فانه لا يحتاج معه الى اثبات الملك للحبس لا ما اذا كان غير حائز فانه يحتاج حينئذ الى اثباته ويشهد له قول الشيخ علي بن رحال ان من قال لا بد من ثبوت الملك معناه انه لا يكون ذلك حجة على من قام فيه .

والحاصل ان ثبوت الملك للحبس شرط في القضاء بالحبس حتى يفتك به يد حائزه طال الزمان او قصر على ما هو التحقيق وقد سلك هذه الطريقة ابو الفدا الشيخ سيدي اسماعيل التميمي وذكرها الشيخ عظوم في مواضع من اجوبته وافتى بها المحقق ابو اسحاق الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي في فتوى مختومة بختمه كما افتى بها شيخنا العلامة الشيخ سيدي الشاذلي بن صالح ووافقه على ذلك شيوخ وقته ووقع الحكم به بدار الشريعة المطهرة .

وانما اركضت جواد القلم في فسيح هذا المجال لنرفع عن كثير من المعضلات عقال الاشكال . وبذلك افتيت السائل ما لم يظهر ما ينافيه ـ حرره فقير ربه محمد النجار الشريف المفتي المالكي بمحروسة تونس لطف الله به في ٢٢ صفر الخير وفي ماي سنة ١٣٢٠ وبها ختمه



الاصلاح الاجتمـــاعى

بقلـم الأستاذ سـالم بن حميـدة

(تابـع لما قبله)

اقول اني :

كـذلك الانسان وكذلك المسلم ارى ان اصـلاح المجتمع الانسـاني لايتأتى اصالة الا بشيء واحد الهمه الله تعالى لرسوله محمدا كما الهمه للرسل والنبيئـن عليهم الصلاة والسلام من قبلـه الا وهو بذر بذور الايمان به تعالى الايمان القوي الحنيفي السالم من مظـالم الشرك والاشراك حفظا لايمان الانسان ايمانا خالصا راسخا بكرامته وبقيمته وبحريته واستقلاله في كل نفس وتوطيد دعائم ذلك الايمان بكل قلب حتى لايتركب المجتمع الا من وحدات قوام حياتها ووجودها وبقائها ذلك الايمان الصلب متجانسة متناسبة متناسقة متضامنة فيما يجب لوحدتها وتوحيدها في عمل متجرد لما يجب دائم لصيانة وحدة الجوهر الفرد ووحدة انتظامها مع امثالها وتوحيد جميعهـا من عوادي المادة العمياء والنار المحرقة والقوة الغاشمة التي ما خلق جميعها مسخـرة للانسان الا لتغذي إيمانه لكرامة البشر ورفعة قيمته وصيانة حريته واستقلاله عملا يفلح بتكوين وحدتـه في الله ويوطد صلوحيته لخلافته بتوحيده

وارى ان المجتمع الاسلامي الحاضر لايصلح الا بما صلح به اوله وهو ما اسنه له الله تعالى من منذ اعلانه جل شأنه بجعل الانسان خليفة له في ارضه وتكريمه اياه في عالم ملكوته بين ملائكته وشياطينه ومن منذ ان فرض عليه ما يحفظ به ايمانه بكرامته وحريته واستقلاله ومكانته في الخـلق وتمكينه

وكفى الانسان اصلاحا ما وصى الله تعالى به آدم اباه وعلمه اياه في عالم ملكوته وقبل ان يقذف به ابتلاء واهتزازا في عالم ملكه للقيام بامر خلافته في نفسه وفي خلقه وشرع له ما وصى بـه نوحـا وابراهيم وموسى وعيسى ومحمدا عليهم الصلاة والسلام من يقيموا دينه دين الوحدة والتوحيد ولا يتفرقوا فيه بعد العلم فيكونوا شيعا واحزابا كل حزب بما لديهم فرحون فرحا يدفعهم لا محالـة لمجاوزة حدوده وحدودهم فيتنازعون فيفشلون فتذهب ريحهم ولا يغني عنهم من تدبيرهم ونظمهم شيئا

اجل اني كانسان وكمسلم ارى ذلك كله وارى معه ان الله جل شأنه لم يفرض علي توحيده الخالص

التنزيه وتقديسه وتنزيهه لحاجة له تعالى في ذلك التوحيد والتقديس والتنزيه وهو الغني بنفسه عني وعن جميع خلقه

وانه انما فرض ذلك علي وعلى كل خلقه بعد اقامة البرهان والحجة الدامغة عليه ليبث به في نفس الانسان ما يغمرها بنعمة الايمان بكرامتها وبحرمتها وبقيمتها التي خصصتها بها ارادته وقدرته على ابرازها ليشاهد الثقلين قدرته لتعمل في سبيل تكوين وحدتها الخالصة من اشواك الشرك والانقسام والتعدد وتوطد توحيدها الحنيف المنزه عن عبودية الحاجة والرجاء والخوف والخضوع والانقياد للمثل والشبيه وان كان هو النفس او قوة المادة الحمقاء الجامحة العمياء او سلطان هذه القوة الضال القاهر المميت الغشوم . لذلك وحده تولى الله تعالى للانسان فنازله وحاربه وجالده وجادله وتباهى بمنازلته ومحاربته وجلاده وجداله في شيء من العتاب والتحذير من الغرور خوف الوقوع في مهاوي الضلال تمرينا له على الثبات على الحق وايمانه به مهما عصفت زوابع الاهواء والحاجيات ومهما جمحت به المادة ومهما اعتز عنه سلطان القوة القاهر لان هواه الاشد وحاجته الالزم ومادته الابقى وسلطانه الاعز انما هو الله الذي يعمر قلبه ولا يسع ولا يسعه سواه

لذلك وحده امر الانسان بان لا يتخذ من هواه الآها هو ابغض الآلهة عند الله تعالى وبان لا يتخذ من احباره ورهبانه وملوكه وسلاطينه اربابا يسبح بحمدهم بكرة وعشيا وهو يامره بان لا يعبده الا عن بينة وحجة واقامة دليل على صحة مشروعية ما يعبد وما به يعبده ويطيع اوامره ويجتنب نواهيه وبان لا يتخذ من الملائكة والنبيين اربابا حتى لا يهن ولا يحزن بعد ان خلقه في احسن تقويم وجعله الاعلى القوي القاهر الغني به حتى عن السراء والضراء والموت والحياة والحاجة وما تاتي به من خلق واختراع ان يكن حقا مؤمنا به وحده الايمان الحافظ لكرامته وعزته وعلوه وتفوقه وحريته واستقلاله وخلافته لله تعالى فيما استخلفه عليه من القيام بامر وحدته وتوحيده حفظا لوحدة مجتمعه القيمة وتوحيده السالم من كل شرك يغر النفس فتدلى من سموها لغير حق فتسفل فتنزل فتهين فتهان فتكفر بكرامتها وعزتها كفرها بجلال الله تعالى وعزته فيها فيكتب عليها بينانها الذل والخزي اينما ثقفت الا بحبل من الله وحبل من الناس ولعذاب الآخرة اشد وانكى

ولذلك كان اول ما يأخذ الله به النبيين بل وحتى الابطال ارهاصا لنبوتهم هو ايمانهم بسمو نفوسهم وتفوقهم عما عليه السواد والزبد الذاهب جفاء من خلق الله ثم ينفخ فيهم بعد هذا الايمان من روحه المدبر الآمر ما يمكنهم من صرف الخبيث بالطيب والطيب بالخبيث حتى لا يبقى الا ما يمثل نفوسهم وايمانهم موحدا صالحا يبقى ما بقي الايمان خالصا صالحا صلبا كالماء ينز له من

السماء فتسيل اودية بقدرها فيحتمل السيل زبدا رابيا فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض والارض لله يورثها للاصلح من عباده وان تغلب غيرهم فيها فمتاع قليل مهما طال

انظر في تدبير الله تعالى امر انبيائه عليهم الصلاة والسلام وانظر فيما يوحى به وينفخه لحكمة يريدها في كل روع عالم او بطل صالحا كان او عتل قاسطا بل وحتى الشيطان من منذ ان تتعلق ارادته الحكيمة بايجادهم وبعد ايجادهم وقبل ارسالهم او بدئهم العمل في خلقه لما يريده فسترى ان اول ما ساس امر تكوينهم به هو مرن عليه نفوسهم من الايمان بكرامة الذات وحرمتها وبحريتها واستقلالها والسعي لاعلاء شأن هذا الايمان وتوحيده بنفي درن الشرك والاشراك بموقيه

دون القاريء الكريم حياة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وحياة فطاحل العلماء واساطين الفلاسفة وابطال المحاربين والغزاة وعواهل الساسة والملوك والامراء واقطاب المشمولين والنبغاء من العمال والفنانين والادباء في كل عصر وفي كل مصر وفي كل شعب وعند كل مجتمع فليدرسها درسا حرا نزيها في روية واعتبار ولعله بعد ذلك لايرى الا ما ارى من ان اجل ماكان له الاثر الحاسم الذات فيما قاموا به من عمل ايا كان هو ما فطرهم الله تعالى عليه من الايمان بالكرامة النفسية والاعتداد بشخصيتها وحرمتها الذاتية في حرية واستقلال من طريق توحيد الله تعالى التوحيد الخالص

ولعله يرى بالاخص ان اثر ذلك في الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كان اصلح وابقى لان ايمانهم بالكرامة النفسية والاعتداد بشخصيتها وحرمتها الذاتية في حرية واستقلال قد استند الى عماد اقوى ولاذ بحمى امنع وما هو الا تقوية ذلك الاعتداد بتسخيره لتوحيد المجتمع البشري وباندماجه فيه اندماجا يكتسب به قوة الجمع بتوحيده من سبيل توحيد الله تعالى وحصر العبودية فيه حصرا تشد به افراد المجتمع عن كل خضوع وخنوع وامل في غير حق وحدواه بهم فيه توحيدا ارتقوا به الى ما لايمكن ان يرقى اليه مشرك متذبذب مغرور ضال او متسفل احمق خامل وكان تجردهم لله هو السر في اصلاح مجتمعاتهم اصلاحا بقيت معالمه خالدة وآثاره باقية رغم مايتناوبها من الحدثان وما يحيط به من الخذلان مهما تطاول الجديدان لينظر القاريء الكريم حتى في تدبير الله تعالى لكثير من الطغاة الجبابرة الذين تقتضي حكمته ان يبتلي بهم خلقه لعله يرى انه جل شأنه يسخر لهم ما يريدون ويعصمهم بالرغم مما يأتون ويستجيب لهم اذ يدعون تقديرا منه جل شأنه لاعتدادهم بشخصيتهم وحرمتهم الذاتية وحريتهم واستقلالهم وايمانهم بذلك ايمانا يدفعهم لهضم الشرك والاشراك فيما آمنوا به ايمانا راسخا صلبا لايلوى له عنان ولاتلين له قناة وان وقع بهم في الضلال

(للبحث صلة)

فلسطين الـــدامية

ان الامة العربية تخطو اليوم خطوات متواصلة بعد ما نهضت من كبوتها التي اردتها في هوة سحيقة دهرا طويلا ، تخطو وتجد في السير لتلتحق بقـافلة البشر التي سبقتها اشواطا في معدات الحياة ومعارج الحضارة ولكنهـا في كل اطوار تطوراتهـا لا تلبث ان تجد العراقيل مبثوثة في سبيل ابنائها العاملين وتجد التدابير احكمت لسلبها تراثها النفيس

وقديما بيت اليهود الصهيونيون امرهم على اغتصاب قطعة من البلاد العربية ووطن من اقدس اوطان الاسلام ليقيموا فيه دولة يهودية ويتخذوه وطنا قوميا لهم وساوموا في ذلك عبد الحميد الخليفة العثماني فابى واستنكر محاولاتهم هذه وعد منهم ذلك جراة لا تغتفر ورد عليهم الصفقة التي حاول زعماؤهم عقدها معه ولم يرم تبديل الموضع الذي أئمنته عليه الامة الاسلامية بلغ ما بلغ المقابل وان كان في اشد الازمات السياسية والحربية وتجشم الخطر المحدق به في ذلك الاوان وصبر على ما فرض عليه وابى تسليم المسجد الاقصى ولو انه قد ادى به الامر الى خسارة جزء عظيم من بلاد الاسلام لانه يعلم ان التفريط في فلسطين وتسليمها للصهيونيين لينشؤا بها دولة اسرائيل الغابرة ' خطر لا يدانيه خطر ' والمسلمون في كافة الاقطـار يقدسون المسجد الاقصى ولا يمكن لهم ان يفرطوا فيه كيفمـا كانت التكاليف والظروف ويبذلون في الدفاع عنه النفس والنفيس .

ولما دالت دولة العثمانيين وخرجت البلاد الشامية من نفوذهم طمع الحزب الصهيوني في نيل امنيته على يد الدول الغربية المنتصرة على حكومة الاتراك لا سيما بعد ما تحصلوا على وعـد بلفور الذي وعدهم إياه واخذوا يستعدون لتحقيقه تنفيذا للصفقة التي ظنوا انفسهم انهم ربحوها بانتصار المتحزبين الذين عقدوها مع بعضهم

ولكنهم نسوا او تناسوا ان البلاد عربية واهلها هم العرب ومن عقدوا معه انما وضع يده على البلاد بصفة وصي لا مالك حتى اذا ما تم الرشد السياسي الذي هو من اوضاعهم ايضا يتحتم عليه رفع يده وتسليم الامر لاهله ' فلا يملك تسليم فلسطين لاية دولة او امة لتتولى امرها وتجعله جزءا من بلادها وتخرج اهلها وتطردهم الى بلاد اخرى

لم يفهم الصهيونيون هذه الحقيقة المرة وابوا الا ان يحققوا غرضهم واخذوا يهـاجرون الى فلسطين ثم يشترون الاراضي من كل بائع بارفع الاثمان وافحشها واسسوا قرية ثم صارت مدينة

لهم ودعوها بالوطن القومي الاسرائيلي وجمعوا الاموال الطائلة لتوسيع امر الهجرة والشراء ونصبوا ابواق الدعايات في كل بلاد ليقيموا الحجة على احقية امرهم وصحة دعواهم ودحض حجج خصومهم اليوم العرب . تلك الامة التي آوتهم يوم طردهم الناس وعاملتهم بالمعروف يوم ارهقهم البشر وسامهم سوء العذاب ، وسوتهم مع ابنائها في الحقوق والمعاملات واتخذتهم ملوكها اخصاء وقربوهم اليهم وافسحوا لهم المجال في مجالسهم ووظائف الدولة وشجعوهم على العلم والتعليم فكشروا لهم اليوم عن انياب الخديعة والمكر ورموهم بكل نقيصة وعار وانهم ليسوا باهل ليسوسوا البلاد المقدسة وانهم احق بملكها منهم .

ولاغرابة منهم ذلك فقد خانوا الله من قبل بعد ما اخذ عليهم العهود والمواثيق وكيف يستغرب منهم ذلك وقد رايناهم راي العين يتقربون لمن سام بني قومهم سوء العذاب ونكل بهم اشد التنكيل رايناهم كيف يتسابقون في خدمة ركابه ويدلونه على ما خفي عليه امره ولما دارت عليه الدائرة تكوا امامه ليتصدق عليهم من الخيرات التي بين يديه يوم ايس من بقائها عنده فعطف عليهم دون سواهم واغدق عليهم يوم التوزيع الاكبر ونالوا منه ثروات ثم لما دحر مهزوما مطرودا رايناهم يمرحون متهللي الجبهات مستبشرين

ولاتحسبن ان ما فعلوه معه تقية ليامنوا شره فان ما قدموه لمن خدمات جليلة هم في غنى عنها وفي مقدورهم الوقوف موقفا لا ريبة فيه ولكنهم بنوا حياتهم على قاعدة الاستفادة من الظروف كيفما كانت وعلى اي شكل اتت وباي صورة تشكلت فهم يؤمنون بان النتيجة المحبوبة تبرر الواسطة كيف كانت فمجاهرتهم اليوم بالعداوة للعرب وسعيهم الشديد في اغتصاب وطن من اوطانهم المحترمة ووقوفهم هذا الموقف البغيض لا نعجب منه فتلك شنشنة لهم قديمة عرفها لهم التاريخ يقص علينا من انبائهم ماقيه مزدجر وعبرة بالغة لمن ينتفع بالعبر ولكن قليل ماهم من بني البشر

ولكن العجب ممن ينخدع لدعاويهم الباطلة الخالية من الحجة الصحيحة والمنطق المعقول ويسعى لهم سعيهم وقد رآهم اليوم كيف اخذوا يعدون خلانهم بالامس الذين يتغنوا باسمائهم وحفلوا بسلطانهم وعزتهم فشهروا بهم اليوم بل حملوا في وجوههم السلاح وقاتلوهم به تقتيلا ما ظنكم بمن هذا ديدنه كيف يستحق العطف والتأييد ليقيم دولة الباطل على جثث ابناء البلاد ان هذا لمن افظع مـا يسجله تاريخ هذا العصر المملوء بالمفاجآت والحوادث المفزعة

نحن على علم مما اذاعه الحلفاء يوم دخلوا غمار الحرب انهم يريدون من اشتعال نارها ان تذيب قولاذ التحكم بالهوى والعواطف وتعطي الناس حقوقهم المشروعة وترد يد كل معتد اثيم الى

الوعظ والارشاد

من محاضرات الناشئة الادبية بالمهدية

في سبيل نهضتها الاجتماعية

ما هي طرق الوصول الى اصلاحنا

بقلم المرشد الشيخ الجيلاني حمزة واعظ المهدية

ايها السادة الافاضل

لا بد لكل شعب كريم يريد النهوض ويسعى للتخلص من القيود ان يعد العدة لذلك الانقلاب سعيد حتى يكون له جليل الاثر في حياته العامة في حاضره ومستقبله . فنحن في عصر الاختراع والابتداع والجهاد والنضال , في عصر استأثر فيه الاقوياء العاملون بالخيرات ، وباء فيه الضعفاء المقصرون بالحسرات , لذلك يجب علينا ان نبحث في علل تاخرنا وفي علاجه وهل الى الخلاص منه سبيل ؟ وفي المثل العامي « ما حك جلدك غير ظفرك » وهذا أمر طبيعي اذ من يتألم من اوجاعنا اكثر منا ومن يهمه امرنا اكثر من نفوسنا , فعبثا نعول على مؤازرة الغير بل الاحرى بنا ان نعتمد على انفسنا وعلى انفسنا فقط في عملنا المقدس حتى اذا ما تحققنا بان لاقـوى غير قوانا نضاعف مجهوداتنا ونبذل كل ما في وسعنا للوصول الى الغاية السامية التي نسمي اليها

ان الامة التي يكثر فيها العاملون والعارفون وتنتشر فيها وسائل الصحة في الاجسام والبيئـات ويعظم فيها العاملون الذين تستغني بانتاجهم الامة عن سواها من الامم وتغلب فيها الاخلاق الطيبة المرضية التي تحول دون تفشي الباطل وانتشار الفساد جهرة , هي الامة الصـالحة لهذه الحيـاة المستحقة لان يورثها الله الارض والعاقبة للمتقين .

جبها بعد ما ترد مانهبت واغتصبت ظلما وعدوانا فما بالنا نرى الامور تجري على غير ذلك المجرى الذي ضحت الامم في سبيله باعز ما لديها ويقوم الصهيونيون بهذا الهجوم العنيف علنـا نجد الجواب على خلاف ذلك ، ليحق الحق ويزول الظلم ويكف الصهيونيون عن شغبهم ومكرهم ويأمن العرب على ارطانهم وفي اوطانهم وانا لمنتظرون

محمد الشاذلي بن القاضي

أيها السادة

لاتجد احدا من التونسيين راضيا عن هذه الاحوال والعارفون والجاهلون في عدم الرضا سواء لذلك تجد كل واحد يتبرأ من هذه الاحوال ويشكو منها . وهذه الشكوى في جملتها تدل على ان بقية من الخير لا تزال قارة وثابتة في قلب كل تونسي وفي قرارة نفسه وعلى ان التونسيين جميعا يتوقون الخلاص من هذا الداء العضال الذي اوجع القلب واحزن الفؤاد وادمى العين من اجل ذلك وجب على المصلحين في الامة التونسية ان يبينوا للناس طريق البرء من هذا الداء وسبيل الخلاص من هذا التاخر وان يفزعوا الى كل من يتوقف هذا البرء وهذا الخلاص على مجهوده وعلى عمله ليقوم كل بما يجب عليه من العمل وليشعر المقصر في العمل والمتقاعس عن تلبية النداء بانه جارم وخاطىء وبان له يدا واكثر من يد في دوام هذا الحال التي لاتحمد ولا تشكر

واني في هذه الايام بدات اشعر والحمد لله بشيء من الفرح والاغتباط لاني رايت الامة التونسية قد هبت من رقدتها وقامت تتحرى المسالك القويمة لرد عزها وسعادتها بعزيمة ثابتة وشجاعة كاملة رغما عما قاسته من انواع النوائب وما عانته من ضروب الشدائد لاسيما في هذه الاعوام الاخيرة فقد كان حل بساحتها ما لاعهد لها به من النقص في الاموال والانفس والثمرات ومع هذا فهي حافظت على كيانها وتحملت جميع هذه المصائب بصبر عجيب وصدر رحيب ولذلك اثبتت للملاء أنها من اجدر واحق الشعوب بالبقاء وها هي الآن قد تحركت للنهوض متوقعة من رجالها العاملين الآخيار وابنائها المخلصين الابرار ان يمهدوا امامها الطريق لتستنم ذروة العز والفلاح مؤملة منهم ان يحققوا امانيها الصالحة بجهودهم الطيبة . فهلموا ابناء الامة نشد ازر بعضنا البعض هلموا بنا نصلح احوالنا هلموا بنا نسعى فيما فيه اصلاح امتنا فنحن في وقت تقدمت فيه الامم وكثر فيه المزاحمون بحيث ان لم نفق من غفلتنا ونتفق على تحسين حالتنا داستنا الارجل ووطئنا اقدام الغير من اصحاب الجد والحزم والتقدم فتسوء حالتنا وتصير الى ما لاتحمد عاقبته .

مسموعة بينهم كل ذلك حصل باتحادهم وتعاونهم فاذا اردنا الاصلاح حقا والنهوض فما علينا الا ان نسلك المسلك الذي سلكوه والطريق الذي عبروه وقد رايت بعد امعان الروية والتعمق في درس هذا الموضوع ان السبل المؤدية الى اصلاحنا الحقيقي الثابت هي هذه :

السبيل الاول : حب الوطن

اجل اول هذه السبل هو حب الوطن الذي نشأنا وترعرعنا فيه وشربنا من ينابيعه واكلنا من حاصلات تربته هذا الوطن الذي يحتوي على كل ما هو عزيز علينا ومحبوب منا الذي تظللنا اشجاره الباسقة وتطربنا اغاريد عصافيره الذي كل حجر فيه وكل زاوية وكل شجرة تذكرنا زمنا مضى واياما تقضت

هذا الوطن الذي يضم ثراه رفات اجدادنا واحبابنا يجب ان نحبه بكل جوارحنا ونبذل النفس والنفيس في سبيل اسعاده واعلاء شأنه ليكون عاليا راقيا . فكم من رجال احبوا بلادهم بما قد موا اليها من الخير فشيدوا المدارس لتهذيب ابناء الامة وحبسوا عليها الضياع الواسعة واسسوا الملاجئ للايتام والفقراء كل ذلك حبا في بلادهم

بلادي هواها في لساني وفي دمي ... يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
فلا خير في من لا يحب بلاده ... ولا في حليف الحب ان لم يتيم

وقد طبع الله الناس على ان يحبوا اوطانهم حبا عميقا لايذكر بجانبه حب المال ولا حب الاهل والعيال وقد قرر ذلك وجلاه في كتابه العزيز فقال : « ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » ففي التسوية بين قتل الانفس والخروج من الديار والاوطان دليل على ان هذه التسوية ثابتة في النفوس البشرية بالفطرة والسليقة ومن اصدق الشواهد على ذلك ان يوسف بن يعقوب عليهما السلام اوصى لما ادركته الوفاة ان تحمل جثته الى وطنه ومسقط راسه وقد كان تنفيذ تلك الوصية على يد موسى عليه السلام وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان هاجر الى المدينة كان اذا ذكرت مكة التي ولد ونشأ فيها تغرورق عيناه الكريمتان بالدموع حنانا اليها وشوقا ثم يقول : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة »

وليست الوطنية الهيجان والشقشقة وانما وطنية كل امرئ في عمله : فالتلميذ وطنيته ان يكد ويجتهد في تحصيل العلوم والمعارف والاستاذ وطنيته ان يهذب النفوس ويثقف العقول والصانع وطنيته ان يتقن صنعته ويحافظ على عهده وهكذا يقال في التاجر والموظف وغيرهما

(الموضوع صلة)

التاريخ

اصل بيعة الرضوان

بقلم الفاضل الخبير الشيخ محمد طراد

(٢)

ثم ان قبر ابي زمعة اصله ارضي اي غير مرتفع على سطح ارض القبة لانه اسران يسترقبه كما تقدم اذ توجد رخامة لونها اصفر منبسطة على القبر مع الارض طولها ميتران اثنان وخمسة وخمسون صانتيما وعرضها ميترا واحد وثلاثة عشر صانتيما بني فوقها بالرخام الأبيض التابوت المشاهد في ارتفاع ميتر واحد وخمسة وعشرين صانتيما وهاته القبة المثمنة التي ذكرها ابن ناجي لم تبق موجودة وانما هاته القبة الموجودة شكل مربع ضلعه القبلي من داخل القبة سبعة امتار وخمسة واربعون صانتيما والجوفي كذلك وكل من الشرقي والغربي سبعة امتار واربعون صانتيما وعرض جدرانها الاربع متير وعشرون صانتيما وبذلك لم يبق اثر لتثمينها الذي كانت عليه اولا ووسط هاته القبة البديعة البناء والتزويق الطارمة التي بها قبر المعظم رضي الله عنه ضلعها مشرقا مغربا اربعة امتار وخمسون صانتيما

من روى عن هذا الصحابي الجليل

روى عنه ما سمعه من النبيء صلى الله عليه وسلم ابو سالم الجيشاني وابو فراس مولى عمرو بن العاص وابو قيس مولى بني جمح وهذا الراوي الاخير روى عنه ما اتصل سنده بالعلامة المؤرخ ابن الدباغ من ذرية الصحابي الجليل سيدنا السيد بن حضير فقال ابو قيس سمعت ابا زمعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من اصحابه من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها واتى يوما الى مسجد الفسطاط وقد بلغه عن عبد الله بن عمر التشديد فقال لا تشددوا على الناس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قتل رجل من بني اسرائيل ثمانيا وتسعين نفسا ثم اتى راهبا فقال اني قتلت ثمانيا وتسعين نفسا فهل تجد لي من توبة فقال لا فقتله ثم اتى الى راهب آخر فقال له اني قتلت تسعا وتسعين نفسا فهل تجد لي من توبة فقال لقد تحملت شرا ولئن قلت ان الله ليس غفورا رحيما لقد كذبت تب الى الله فقال اما انا فلا افارقك بعد قولك هذا .

فلزمه على ان لا يعصيه فكان يخدمه في ذلك فهلك يوما رجل فاثني الثناء عليه بشر فلما دفن جلس على قبره فبكى بكاء شديدا فانكر اصحابه ذلك ثم هلك آخر فذكره بخير فلما دفن جلس على قبره فضحك فانكر اصحابه ذلك واجتمعوا الى رئيسهم وقالوا له كيف تاوي قاتل النفس وقد صنع ماقد رايت فوقع ذلك في نفسه واقسهم وكانوا يزهدون فيه فاتى الى صاحبهم حزنا من ذلك وهو مع صاحب له يكلمه فقال له ماذا تامرني به فقال له اذهب فاوقد التنور ففعل ثم اتى يخبر انه قد فعل ما امره به فقال له الق بنفسك فيها و لهى عنه الراهب وذهب الآخر ثم استفاق الراهب وقال اني لأظن الرجل قد القى نفسه في التنور بقولي فوجدوه جالسا في التنور فعرق فاخذ بيده فاخرجه من التنور فقال له الراهب ما ينبغي ان تخذ مني وانما اكون انا اخدمك اخبرني عن بكائك عن الميت الاول وعن ضحكك عن الاخر فقال اما الاول فلما دفن ذكر ما يلقى من الشر فذكرت ذنوبي فبكيت واما الاخر فلما دفن رايت ما يلقى من الخير فضحكت وكان بعد ذلك من عظماء بني اسرائيل . وهذا الحديث المروي عنه يصحح ما اتصل بنا نقله عن العلامة النحرير الراوية لمحدثنا الشهير الصوفي السالك المرحوم المقدس الشيخ سيدي الحاج محمد دحمان الفساني مدرس الحديث الشريف بهاته الروضة البلوية الحاضرة انه كان مهما ذكر عنده احد من اهالي بلدته القيروان الا واظهر الانكسار ولا يرعي احدا وقال احد من اهالي بلدته القيروان الا واظهر الانكسار ولا يرعي احدا وقال لا ينبغي لاحد من بلدنا الا ان يكون على الحمل صفة كان سلفنا الصالح اقتداء به وحبا في متابعتهم واننا اضعنا التمسك بهاته الناحية فيها ويلنا ما ذا يكون جوابنا اذا وفدنا عليهم ويأخذه حال عند ذكره ذلك ولما كان في بعض الليالي اذ راى كانه داخل الزاوية الصحابية قاصدا اقراء البخاري في المنام لعادته اذا بالسيد الصاحب محيطا به جماعة عظيمة ولم يخطر بباله وته او غير ذلك وهو يخوض معهم في امر كانهم خالفوه فيه وهو يبن لهم ويحتج عليهم ولما ابصر الشيخ دحمان مقبلا استبشر به وقال لهم ما تقولون في شهادة الشيخ دحمان فقالوا كلهم نسلمها ما قبل السيد الصاحب على الشيخ دحمان يبين مخالفة لهم وقائلا له قلت لهم ان القيروانيين اناس ملاح فما تقوله انت يادحمان فقال حق يا سيدي كيف لا يكونون ملاحا وهم جيران سيدي وخدامه ومنسوبون عليه فقال حسبتك تقول غير هذا فقال لا يا سيدي المنسوب محسوب

وفي صبيحة تلك الليلة بعد ما فرغ من درسه حكى منامه هذا للتلامذة وكيف لا يكون هذا والقيروان تلقب برابعة الثلاث اي مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس والقيروان الرابعة فجميعها محترم مقدس لما قرر ولما رواه البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مقاتل عن معاذ بن

أحاديث فضل افريقيا

للعالم الاديب المدرس الشيخ الشاذلي النيفر

جاءنا ابو العرب في كتبه التي الفها في طبقات علماء افريقيا باحاديث اسندها الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم ار من تكلم على هذه الاحاديث من الناحية السندية وبحث في رجالها ونظر في متونها نظرا ناقدا فثبت صحتها او زيفها غير ان هناك كلمة مقتضبة في رحلة التجاني لا تسمن ولا تغني من جوع مع ان المؤرخين من الافارقة كادوا ان يكونوا مجمعين على ذكرها

خالد عن عبدالله بن مسلم الاسلمي انه صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل من اصحابي مات ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة وهذا الحديث رواه ايضا عبد الله بن بريد بن المسيب حيث قال : مات ابي بالحصين مقبرة مرو وهو قائد اهل المشرق ونورهم لان النبيء صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل من اصحابي مات ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة فابو زمعة قائد اهل المغرب الى المحشر فاعظم بهاته المزية والمفخر

ومقام ابي زمعة قد اسلفنا ان الاعتناء بتعيينه والمحافظة عليه كان من قديم العصور ومازال الامراء وذووا الاحكام الذين يتولون الحكم والسلطة على هاته الديار يالفون في الاعتناء باشادة مقامه وتوسعة رحابه التي كانت في القرون الثلاثة الاخيرة منبت الاعشاب واكثرها نبت البيبونج حتى حكى الشيوخ ان كل زائر لهاته القبة يرى هذا النبت في محل الصحن ويرى الناس تأخذ منه للتداوي حتى قيض الله الامير الجليل صاحب المبرات والقربات مفيض الصدقات المرحوم حمودة باشا الذي جلس على كرسي والده مراد لما توفي عام ١٠٤١ وتوفي هو سنة ١٠٧٦ وجرى على سنته حفيده محمد (بالفتح الملقب بصاحب الخيرات ابنه مراد الثاني فاشاد بناء الصحن وزاد في تحسين القبة والبيت الاخير من اللوح الذي بداخل القبة فوق بابها نصه : وفي عام ست وتسعين بعد الف لقد تمها واليمن قد جاء واقبل ثم اذا قرانا اللوح الذي فوق باب المدرسة هناك ونصه بسم الله الرحمن الرحيم

(يتبع) محمد طراد

ومن اوردها منهم وتبرأ من تبعتها لم يكن يسأت في ذلك الا بمجرد الراي دون تدقيق وتمحيص ، واني ان شاء الله سانقد هذه الاحاديث حسبما بلغه الجهد ووصل اليه التمحيص ولا ادعي اني بلغت الى الغاية او قاربت النهاية ، ولكن خلاصة المطالعات ونتف من تضاعيف كتب الحديث تكشف الغشاوة وتظهر ما تحت الرغارة ان شاء الله

وزبدة ما نفصله ان ابا العرب جاء في كتبه بالغث والسمين ولكن غثه يفوق سمينه وستعرف ذلك بما ناتي عليه من نقد نزيه ، ففيه الموضوعات والصحيح ولكنه يقدم لك الموضوع ولا ياتي بالصحيح الا بعد ان يملا سمعك بما لا يحل سمعه

ومن كتب على هذه الاحاديث من المتاخرين ملؤا الصحائف بالاحالة على تراجم الرجال دون ان يعيروا التفاتهم الى الاحاديث نفسها التي هي بالعناية احوج وصرف الهمة اليق حتى يتبين الموضوع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتميز الذهب من البهرج

وابو العرب الذي جشمنا مؤونة البحث عن هذه الاحاديث هو محمد بن احمد بن تميم التميمي المتوفي سنة ٣٣٣ اشهر من ان يعرف سلم من حوادث الدهر كتابه طبقات علماء افريقيا وتونس وقد صدره بما جاء في فضل افريقيا وهناك جاء بالدواهي

ويدلك على انه جاء بالدواهي روايته عن شهد بن حوشب المتوفى سنة (١١١) وحوشب بوزن جعفر وقد جاء في حق شهر في كتب الالباس واحاديث شهد بن حوشب كلها موضوعة ولما اراد الصاغاني عد الضعفاء والمتروكين ذكر في الطالعة شهد بن حوشب

والذي روى ابو العرب بسنده الى شهد بن حوشب ان هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهودة كان النبيء صلى الله عليه وسلم نهى عن سكناها وقال سوف يقتل بها رجال من امتي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم ثواب اهل بدر واهل احد وانه ما بدلوا حتى ماتوا واشوقاه اليهم

وقال شهد بن حوشب سالت التابعين عن هذه العصابة فقالوا ذلك عقبة واصحابه قتلهم البربر بتهودة فمنها يحشرون يوم القيامة واسيافهم على اعناقهم حتى يقفوا بين يدي الله تبارك وتعالى وشهد هذا قالوا فيه انه متروك الحديث وهو اعلى درجات الجرح فهو ساقط الحديث لا يكتب عنه شيء

وقد استعمل على بيت المال فاخذ خريطة فيها دراهم فقال قائل :

لقد باع شهد دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهد

ومن تتبع الفاظ الرجال فيه وجد (تركوه) (ليس بالقوي) (لا يحتج به)

قال ابن عدي وعامة ما يرويه شهد من الحديث فيه من الانكار ما فيه وشهد ليس بالقوي في الحديث وهو ممن لا يحتج ولا يتدين به

وروى التجاني في الرحلة وهو غير موجود في الطبقات وبسند ابي العرب الى سفيان بن عينة موقوفا عليه : الفضل في ثلاثة مواضع المصيصة باب من ابواب الجنة ليحشرن منها يوم القيامة سبعون الف شهيد ' وعسقلان باب من ابواب الجنة ' موضع هنالك بالمغرب يقال له الياقوتة بالمنستير داخل في البحر الى جانبه سبخة على تلك السبخة قنطرة من قناطر الاولين يحشر منها يوم القيامة سبعون الف شهيد

ومثل هذا لا يكون من قبل الراي كما هو معلوم من الاصول ' وبعد هذا نذكر ان هذا الحديث روى بلفظ آخر من غير ذكر افريقيا رواه المقدسي في تذكرة الموضوعات ونصه : اربعة ابواب من ابواب الجنة مفتحة في الدنيا : الاسكندرية وعسقلان وقزوين وعبدان

في هذا السند عبد الملك بن هرون بن عنترة ذكر في الميزان انه كذاب متروك الحديث يضع الحديث وقد روى هذا الحديث عن ابيه عن جده فهذه السلسلة هي سلسلة الكذب عن علي كرم الله وجهه مرفوعا .

فقد بان بهذا ان هذا الحديث قد تصرف فيه الوضاعون وتفننوا فيه من وقف ورفع واسكندرية وافريقيا حسب الشهوات والرغبات

وذكر ابو العرب في كتاب الطبقات قال حدثني فرات قال حدثني خلف بن محمد ابو محمد القابسي قال حدثنا البهلول ابن راشد قال حدثنا عباد بن كثير عن ليث ابن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحل نحو نية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ومن خرج منه فبعفو الله

في سنده عباد بن كثير هذا هو الثقفي مات سنة بضع وخمسين ومائة قال فيه البخاري يسكن مكة تركوه وكان شعبة لا يستغفر لعباد بن كثير وقال فيه ابن المبارك ما ادري من رايت افضل من عباد في ضروب من الخير فاذا جاء الحديث فليس منه في شيء ومات عباد ولم يشهد سفيان جنازته

كفاك بشهادة هؤلاء الاعلام ان عباد ابن كثير متروك الحديث فلا يكتب حديثه وبه تعلم ما في هذا الحديث فهو حديث موضوع ليس بنبع ولا غرب

واما ليث بن ابي سليم قال التجاني لا يحتج به من كتب ابي العرب وقد تتبعت الكتب المترجمة لليث فلم اجد من ذكر انه لا يحتج به من كتب ابي العرب الا ان يكون ذلك مذكور في بعض كتب الافارقة التي لم تصلنا

ثم بعد هذا قد جرح فيه بانه ضعيف الحديث مضطرب الحديث. مات سنة احدى واربعين ومائة وقد اختلط في آخر عمره وجاء في الاغتباط بمن رمي بالاختلاط ليث بن سليم وصوابه ليث بن ابي سليم وهذا مطعن في الحديث زيادة على ما تقدم

فقد تبين مما اتينا عليه ان احاديث ابي العرب في فضل افريقيا لا تقوم على سوقها وقد بقيت له احاديث اخر منها ما يسلك هذا المسلك ومنها ما هو واصل الى درجة الصحة وسنأتي على ذلك مجملا ان شاء الله .

محمد الشاذلي النيفر

نفتح في هذا العدد بابا جديدا للقراء ننشر داخله صحائف مختارة من حياة بعض الكتاب التونسيين ممن له اثر في في النهضة الحديثة ـ وقد جهله شباب هذا العصر .

من الصحافيين المنسيين

المرحوم حسين المقدم

صاحب جريدة « نتائج الاخبار » وجريدة « المبشر التونسي » ومحرر جريدة « القصباء » وصاحب امتياز « البصيرة » من الصحافين الاقدمين والكتاب الاولين ، ورجال العلم المصلحين والسياسيين المحنكين ، وكان كاتبا بارعا ، واديبا فذا تعلم تعليما صحيحا كاملا على فحول عصره واخذ العلم عليهم ـ علوم العربية ونصيبا وافرا من العلوم العصرية ـ واختص في علمي التاريخ والجغرافية

التحق بالسراية الملكية والمحية السنية في اواخر ايام الامير علي باي ، وكان محل عناية الملك وابنائه والامراء يحبونه ويقدرونه ، ويعجبون بذكائه ومزاياه ، وارتقى من رتبة معين بالمحبة الى ضابط والى رتبة يوزباشي وبقي كذلك الى ايام الباشا محمد الهادي باي فكلفه بتربية ولداه الطاهر باي والبشير باي ، فعلمهما تعليما صحيحا وغرس في قلبيهما محبة الوطن ، والايمان الصحيح والاعتزاز بالدين الاسلامي القويم والعروبة . فكانا كالفرقدين في سماء البيت الحسيني علما وشهامة ووطنية وتقى ، حتى ضرب بكل فرقد منهما الامثال في محبة العلم والعلماء وتونس والتونسيين ، فسلام الله ورحمته على الاكرمين ، وصار محلهما يؤمه العلماء والادباء والصحافيون ورجال السياسة ، فيكرمانهم وربما يجعلان للبعض منهم مرتبا شهريا زيادة على الهدايا والعطايا

كان المرحوم حسين المقدم يكلف بالمهمات السياسية بين القصر والسفارة ، وللباي علي وكذلك محمد باي الثقة التامة فيه ، فيقوم بالمهمة احسن قيام بما يوحيه اليه ضميره الطاهر ووطنيته الصادقة ودينه الاسلامي القويم حتى كان المرحوم الامير مصطفى باي يطلبه من سيده على سبيل الاعارة فيرسله له ليعرض عليه مشاكل سياسية وعائلية فيبدي رايه بما يزيل المشاكل ويحل العقد

وعند ما اريد ادخال علم الجغرافية مع غيره من العلوم الرياضية للجامع كانت رغبة القصر ان يقوم السيد حسين المقدم بهذه المهمة ، فعارض بشدة فيه مدير العلوم والمعارف م· مشويل وابى

السفور والحجاب

بقلم العلامة الشيخ محمد القروي قاضي سوسة

الحمد لله الذي احتجب عن خلقه في بحر الانوار * واستتر جل وعلا عن العيون في سماء السر المكنون فهو يدرك الابصار ولا تدركه الابصار والصلاة والسلام على عين الكمال ونبراس الجمال الذي اسفر عنه صبح الرساله * فازيح بوجوده حجاب ظلمات الجهل والضلاله * وعلى آله واصحابه نجوم الاهتدا * ومصابيح الصلاح والهداية واعلام الاقتدا *

اما بعد فيا ايها السادة النبلاء والمشائخ الفضلاء والاخوان الكرام : قد انتدبني رئيس جمعيتكم هاته صديقي الحقوقي الحازم الاستاذ السيد الطيب الغشام للقيام بمسامرة يكون موضوعها الحجاب والسفور فترددت في اجابته وبقيت اقدم رجلا واوخر اخرى لان موضوعا كهذا ليس بسهل التناول اذ ترتبط به كثير من الشؤون الدينية الخلقية وله اثر بين في الهيئة الاجتماعية فهو امر هام قد تداوله الافكار قديما وحديثا ومسألة خطيرة قد بسطت ووضعت تحت محك الانظار منذ زمن طويل بل قد افردت بالتأليف * واهتم بها المتاخرون اهتماما لم يحظ به غيرها من المسائل التالد منها والطريف

وكان المرحوم السيد حسين المقدم اول صحافي تونسي نشر جرائده في مقدمة جرائد النهضة التونسية فاصدر « نتائج الاخبار » و « المبشر التونسي » وحرر في جريدة « القصباء » وكان صاحب امتياز جريدة « البصيرة » الشهيرة لمديرها نجيب باشا ملحمة ورئيس تحريرها فرج الله نمور السوريين

واصل السيد حسين المقدم من جزيرة « جربه » من عائلة شهيرة استوطنت الحاضرة منذ سنين طويلة ولازالت معروفة بالفضل والوجاهة بين التونسيين ولها علائق بالنسب مع كثير من اكبر العائلات التونسية وظهر كثير من افراد هذه العائلة في ميدان الادارة والمحاماة والتجارة وغير ذلك وله اقارب لايعرفون من فضله او آثاره شيئا غير ان المرحوم ترك ابنا مات اخيرا في ريعان الشباب وبنتا هي الآن زوجة لاحد الفضلاء . مات في عنفوان شبابه وخلف اثرا في نفوس عارفيه من رجال السياسة والدراية والعلم والادب والوطنية يذكرون له ذكاءه واقدامه وحزمه ونشاطه ووطنيته واخلاصه ودماثة اخلاقه ولطفه وكرمه . رحمه الله رحمة واسعة .

البشير الفورتي

والحق يقال انها اعظم واهم من ان تكون موضوع مسامرة وذلك لتشعبها وكثرة فروعها وغزارة مادتها وصعوبة مراسها وخطورة شأنها وتحرج موقف المتكلم فيها واي موقف احرج واخطر من موقف رجل يقرر حقائق ويبدي اراء امام فريقين اتجه احدهما الى التغالي المفرط في امر الحجاب . وسلك الى ذلك سبيلا لايوافق عليه حديث صحيح ولايرشد اليه نص صريح من آي الكتاب . والآخر اباح السفور بدون قيد ورغب فيه وقام حاثا عليه بكيفية تؤدي الى الفساد العاجل والعقاب الآجل . وتؤذن باضمحلال مكارم الاخلاق وتقويض صروح الفضيلة . والانحطاط بنا الى الدرك الاسفل من انواع الرذيلة . ولم يكن بين هذين الفريقين من تحلى بحلية التوسط والاعتدال الا نفر قليل فهؤلاء في رأيي هم الذين تحروا رشدا . وسلكوا الى الغاية المطلوبة طريق الهدى

ولكن رغما عن جميع ذلك . وصعوبة موقفي هنالك . قد بادرت الى اجابة اقتراح حضرة الصديق المذكور وتجاسرت على خوض عباب هاته المسالة لا ثقة بنفسي واعتمادا على سعة معلوماتي بل الامر بالعكس فاني لست من فرسان هذا المجال ولم تلتحق راحلتي الضالع بعد بجياد اصحاب البراعة واليراعة والمعارف الجمة من فحول الرجال . نعم وان كان ذلك الالتحاق بمن ذكر متعذرا على امثالي غير انه لاحجر علي في ان اقتفي اثرهم واتشبه بهم ولا ابالي كما قيل

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

والامر الاول المقصود بالذات الذي حملني على فعل ما فعلت واقتحام ما اقتحمت هو قوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) قالوا لمن يارسول الله قال : (لله ورسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم

فالنصيحة لله باتباع امره واجتناب نهيه ونصرة دينه والتسليم له في حكمه والنصيحة لرسوله باتباع سنته واكرام قرابته والشفقة على امته والنصيحة لكتابه بتدبر آياته واتباع ماموراته وتحسين تلاوته والنصيحة لعامة المسلمين بالذب عن اعراضهم واقامة حرمتهم والنصرة لهم في جميع احوالهم جلبا ودفعا

فمن النصيحة لعامة المسلمين موضوع سمرنا الليلة

لكن قبل ان اشرع في المقصود ارجو من الفضلاء السادة الحاضرين (ان ظهرت لهم بوادر اعتراض على ما سابديه من الآراء) ان يتركوها لما بعد كي نتفاهم فيها بصفة خاصة ونتناقش في شأنها مناقشة علمية ولعلهم يجدون في اواخر كلامي ما يقنعهم ويشفي غليلهم ويكون كالجواب عن اعتراضاتهم اذ لايخفى على حضراتكم ان الكلام باواخره والامور بخواتمها .

ولنشرع الآن في المقصود فنقول مستمدا من فيض الاعانة الالاهية ومستمطرا سحائب النفحات النبوية ١) ان الموضوع ينحصر في خمسة مباحث المبحث الاول في بيان معنى الحجاب والسفور لغة وشرعا

٢) المبحث الثاني : في تفصيل احكامهما في الديانة الاسلامية وادلة ذلك من الكتاب والسنة

٣) المبحث الثالث : في حالة المراة وحقوقها قبل الاسلام وبعده

٤) المبحث الرابع : في الحجاب والسفور من حيث الوجهتين العقلية والاجتماعية

٥) المبحث الخامس : وهو خاتمة المباحث في خلاصة القول وزبدة المخض في مسالة الحجاب والسفور وكيف يجب ان تكون المراة المسلمة ولنتكلم الآن على المبحث الاول فنقول :

الحجاب لغة مصدر حجبه يحجبه بمعنى ستره يقال حجبت المراة وجهها اي سترته

والسفور لغة مصدر سفرت المراة تسفر سفورا كشفت عن وجهها فهي سافر ويقال اسفرت ايضا بالهمز . هذا معناهما في اللغة اما في الشرع فلا منافاة بينهما خلافا لما يتوهمه جل الناس فالحجاب شرعا هو منع المراة من الخلوة والاختلاط بالاجانب مع عدم وجود محرم معها ومنعها من كشف زينتها الا ما ظهر منها ووجوب استقرارها في منزلها ما دام الخروج لا ضرورة له وهو بهذا المعنى لا ينافي السفور الشرعي الذي هو كشف المراة وجهها وكفيها كشفا شرعيا لايخشى منه فتنة ونحوها فقد تكون المراة ظاهرة الوجه والكفين وهي مع ذلك محجبة تماما لاتخرج عن الحجاب والاحتشام قيد انملة

وعليه فالضجة التي اثارها الكتاب حول المسالة التي سموها السفور والحجاب لااساس لها بالمرة ولم يكن من اللائق اثارتها باي وجه كان الا اذا حملت لفظة السفور على مايقصده شبان العصر الحاضر من خروج المراة بكامل الحرية وغشيانها المجتمعات وظهورها بالازياء الحديثة ودخولها في معترك العمل بدون استثناء ولاقيد واختلاطها بالرجال الى غير ذلك مما يريدون ادخاله تحت اسم السفور مع انه لايصح ان يطلق عليه اسم سفور ولا حجاب بل هو في الحقيقة خروج عن التقليد وتخط للاداب واختراق للحدود الشرعية وتجاوز لسياج الاخلاق الفاضلة

سادتي الكرام

اذا علمنا معنى الحجاب والسفور شرعا فلنعلم الآن ان الحجاب حجابان (١) حجاب يراد به ستر البدن بحيث لايرى من بدن المراة شيء (٢) وحجاب يراد به ستر شخصها وراء ساتر من جدار او ستار او نحوهما

(١) اما الحجاب بالمعنى الاول فهو مذكور في آيتين من سورة النور واربع آيات من سورة الاحزاب

فآيتا سورة النور هما قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بمايصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن الالبعولتهن او آبائهن اوآباء بعولتهن اوابنائهن اوابناء بعولتهن اواخوانهن اوبني اخوانهن اوبني اخواتهن

ننشر في ما يلي العريضة التي قدمها المشائخ المدرسين بجامع الزيتونة للحضرة العلية احتجاجا على الحركة التي يقوم بها الحزب الصهيوني ضد عرب فلسطين ووعد بلفور المشؤوم بمناسبة ذكراه المؤلمة

عريضـــة

الى الامير الجليل سيدي محمد الامين باشا باي صاحب المملكة التونسية

الحمد لله الذي جعل عز هذا الدين في ملوكه الصالحين وقرب لهم رشدهم في العلماء الناصحين وبطانة الخير الصادقين والصلاة والسلام على من بعثه الله للعرب عزا ونورا ونسخ بشرعه ما كان في الكتاب مسنورا وعلى آله الاطهار حماة الذمار ومعدن الفخار وصحابته الذين رفعوا راية الاسلام على الامصار وخلدوا عزها على الاعصار

اما بعد يا مولانا الملك الجليل الذي زان بخلقه النبيل مرقى المجد الاثيل فان الهيئة العلمية الزيتونية الممثلة في هذا الوفد الناطق بلسانها بين يدى جلالتكم الملكية تعرب لحضرتكم الشامخة عما حل برجال المعهد الزيتوني قاطبة شيوخا وتلامذة ولعموم الامة الاسلامية بتونس خصوصا وبالعالم عموما من الكدر العظيم من جراء المحاولات الاثيمة التي تقوم بها الحركة اليهودية قصد التعدي على ارض اسلامية والمساس بهيكل مقدس من هياكل شعائرنا الدينية هو ثالث الحرمين الشريفين يشد المسلمون الرحال له قصدا من المشرقين والمغربين وان حضرتكم العلية لا يعزب عن شريف علمها ان القضية الصهيونية

او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون » سورة النور ٣٠ ـ ٣١

وآيات سورة الاحزاب هي قوله تعالى « يا نساء النبيء لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ان يذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا »

(يتبع)

هي قضية تقوم على فكرة باطلة ساقطة في نظر الحقوق الدولية لانها ترمي الى ارجاع امة الى ارض لاحق لها فيها الاذكرياتها التاريخية ولوكانت المعاني التاريخية تؤيد حقوق الدول على الاراضي لصح لمملكتكم الافريقية ان تطالب بمملكة اسبانيا وللحكومة التركية ان تطالب بممالك البلقان ومع ذلك فان هذه الدعوى السخيفة تجد مؤيدين وانصار في جميع العالم المتمدن باربا وافريقيا وذلك الا لان اليهود باتحادهم واجتماع كلمتهم قد استطاعوا ان يفرضوا هذه الفكرة فرضا ويسوقوا رجالا من قادة السياسة العالمية في طريق تأييدها واذا كان اليهود الذين هم اقلية الاقليات في سكان العالم يجدون هذه المساعدة باتحادهم فاولى بنا نحن معاشر المسلمين الذين لاتغرب الشمس عن ملكنا الحقيقي الذي تزينه تيجان الملك واعلام النصر كتاج يتكم الحسيني المفدى بالمهج والارواح ان نتكاتف في سبيل الدفاع عن حرمنا المقدس وعن اخواننا الذين يقاسون ضروب الارهاق والتشريد والتغريب في مملكة فلسطين وان نهيب في مثل هذا العمل المحمود بسدتكم الرفيعة العماد وقد قدمت جلالتكم للدولتين الحليفتين بريطانيا وامركا من دولتي النصر في هذه الحرب امورا لاينساها التاريخ العالمي من ارض مملكتكم التي عرفوا فيها بوادر النصر الاولى والآلاف المألوفة من رعاياكم الذين سقطوا — ولسدنا طول العز والبقاء — في ميادين الحرب بايطاليا والمانيا والشرق الاقصى في سبيل قضية الحلفاء ومن نتائج مملكتكم التي سدت للحلفاء عوزا ذابال في التموين والعتاد الحربي وكل هذا يحقق لجلالتكم الملكية كلمة نافذة وصوتا مسموعا عند الحلفاء اذا تداخل به مولانا المعظم في تأييد عرب فلسطين كان ذلك ردا قويا وقطعا صارما لما يريد اليهود ان يدخلوه في ذلك الحرم المقدس من العبث علاوة على ان ذلك الجنس اليهودي تعيش منه جالية ذات بال في حمى عرشكم المنيع وتتمتع تحت ظل الاسلام وفي ذمته بهذه الديار منذ اربعة عشر قرنا بالامن والكرامة والهناء وتتمم اليوم بحقوق دينية ومدنية وسياسية تماثل او تفوق مايتمتع به الشعب الاسلامي ومع ذلك فقد كفروا بهذه النعمة وتطاولوا الى الذاتية التي يعيشون في حماها وقاموا في مملكتكم السعيدة بحركة ترمي الى التفرقة بين ابناء التبعة التونسية وتقصد الى فصل طائفة من اتباع الدولة عنها بادعاء ان الجنس اليهودي لايجوز ان يستمر خاضعا للتبعة التونسية ولا ان تستمر اللغة العربية لغة رسمية له ولا المحاكم العدلية التونسية ذات نظر عليه بل ينبغي ان يصبح شعبا مستقلا لغته الرسمية هي العبرانية ومحاكمه هي المحاكم اليهودية وعلمه هو العلم الصهيوني وهذا يامولانا هو الذي تصدر به اسبوعيا جريدة مباحة النشر بمملكتكم التي انتم ليث عرينها وهذا عين العبث بحرمة الدولة والتعدي على امنها الداخلي فلمجموع هذه الاعتبارات يتشرف هؤلاء الماثلون الآن في بساط

الادب

خواطر

الانســـــان والحقيقة

في هذا الخضم المتلاطم الامواج وهي بين مد وجزر تتولد كهرباء لايرى نورها ولايبصر شعاعها ولكنها قوة واي قوة ودافع واي دافع ومحرك واي محرك

هي قوة تنازع البقاء ودافع رد الغائلة ومحرك جلب في هذا الخظم النفع بقوم الانسان وهو ذلك الشخص العجيب ذو النفس الجبارة والمتواضعة المملوءة مكرا وخداعا ووداعة ورحمة ذو العقل الفياض بالحكمة والسمو والمحتال الساخر

يسكن ولا يعلم لماذا يسكن ويعمل ولايدري لماذا يعمل يستحجم عليه الامر فلا يهتدي الى صواب يستنطق الحياة عن الخبر قبل ان ينبت عليه العشب وتنسج عليه العنكبوت يسالها عن السر الذي

عزكم من شيوخ العلم بجامع الزيتونة باستلفات انظاركم العلية السامية باسم الامة الاسلامية عموما هيآتها الدينية بصفة اخص الى ما لجلالتكم ادرى به من لزوم توقيف هذه الحركات عند حد الاخفاق وذلك بتكرم حضرتكم الشامخة بتوجيه السعي الى تحقيق النقط الآتية :

١) تكليف حضرتكم العلية لوزير خارجيتها بابلاغ دول الحلفاء ان كل حل المشكل الفلسطيني على خلاف المصالح العربية الاسلامية يحل من نفس جلالتكم محل الاستياء

٢) اعتبار الحركة الصهيونية بتونس كحركة اجرامية متعدية على امن الدولة الداخلي

٣) توقيف النشريات التي تتهجم على ذاتية البلاد وحرمة العرش بمثل ما تتهجم به الجريدة الصهيونية ـ الصوت اليهودي ـ وان الذي توجه بهذه المطالب الاكيدة الى سدتكم الرقيبة المجيدة لجدير بان يرجع وقد صدق سعيه الموفق وتجسم امله المحقق فلا زال مولانا الملك الجليل قبلة النوايا الصالحة ومجرى للمساعي الناجحة ولا زالت كلمة الدين به عالية باسرار سورة الفاتحة

التحفت به فتلكأ عنه وسرعان ما تشغله بحوادثها قبل ان يستخلص جوابه فيتحول من قصده وهو الضفل

تحدثه نفسه فينصت اليها في سكون ويطلق لها العنان فتنقل به من عالم جهل اسراره وخفي عليه امره وما حوله لتحدثه عن كل شيء فلا تحدثه عن شيء

ينتبه من نومه وتتحرك سواكنه بعد ان انبعث فيها قوة الحركة اثر ذلك السكون الرهيب ويحس برجعة الى الوجود وتتسابق اليه الخواطر ابعث فيه العزيمة والنشاط وتوجهه الى وجهة معينة او الى وجهة ما من وجهة الحياة . يفكر ليتيج ويقوم ليعمل ويضرب عليه جبروته وهو في ذهول من ذلك الذي اجهده بالاس واطار ذراعه حتى اذا ما تقشعت سحابته وجد نفسه في وسط ذلك الخضم وبين المد والجزر

تمثل بين ناظريه نظارة العيش فيمد اليها يده ليقتطف منها ما اعجبه من ثمارها وماراقه من ازهارها ويطلق على قلبه خاتم الحرص فيطبعه بغروره الفاتن وتستدرجه الحياة بناعم رونقها وجمال بهجتها ولكن يقف دونه حاجز يحرمه ودافع يرده فيشخص وهو مضطرب النفس وقد اخلف ما طاب فيا ما اذكى عن الزمان عليه بعد ما تحرز وتحفظ وكفكف ذيول العزيمة وقام لأخذ قسطه ، نصيبه من الحياة

ينزوي في ركن بيته في قلق بعد ان دب اليه اليأس وهو يريد في هذه المرة ان يحدث نفسه ولا يرغب منها ان تحدثه فيخاطبها بلغة العقل ومنطق الحجر ووحي الحق فتنقاد وتصغى ثم تتنفس الصعداء يحدثها عما حدثته به الرسائل والكتب ولم يجد له في عالم الانسان من اثر يحدثها عما نطقت به الآثار ولم ينطق به الاغرار ، يحدثها ويحدثها . . فتضجر وتمل ثم تعطف وتحن

مسكين هذا الانسان ما اجهله بالحقيقة ما اشد ما يتقي من اخطار غير الانسان وما اشد ما يفتر بالانسان ويأمن مكره وينخدع لقوله ويصدقه فيما تخطه يراعه وما يقرره في مجتمعاته من المبادي السامية لتحافظ نوعه وتصون ذهنيته وترقي مستواه الذي يدعي انه فرغ له جهده تسعيا وراء سعادة الجميع

الشاذلي



من تأثير الرياضة البدنية في التفكير القومي

البحث عن كمالات الغير لا عن نقائصه

بقلم الشيخ الطيب العنابي

قرأت في عدد الاخير من المجلد ه من المجلة الزيتونية الغراء مقالا ممتعا تحدث فيه صديقي الفاضل الشيخ عبد الوهاب الكرارطي عن الرياضة البدنية.

قرأت ذلك المقال ولست ادري والله كيف ولماذا اثارت قراءته في نفسي حاجة غريبة ملحة تدعوني بدوري للكتابة في الرياضة البدنية وتلح علي في تلك الدعوة وتسرف وتفرط في هذا الالحاح الى حد بعيد

نعم انها لحاجة غريبة لانني كنت ولا ازال حتى اليوم ابعد الناس عن الرياضة البدنية وعن الشغف والولوع بالرياضة البدنية شغفا خاصا وولوعا ممتازا . وانا في ذلك كزميلي الشيخ عبد الوهاب الكرارطي فهو - فيما كنت اعلم - ازهد الناس ايضا في حضور المظاهرات الرياضية التي كانت تنتظم بتونس . وهو لا يزال - فيما احسب - محتفظا او شبه محتفظ لنفسه بذلك الزهد محافظا او شبه محافظ عليه .

ولكن من يدري فلعلني اجد في نفسي دون ان اشعر بذلك الشعور الكامل نفس تلك الدواعي ونفس تلك العوامل التي كان يجدها الشيخ عبد الوهاب الكرارطي في نفسه قبل ان يكتب فصله عن الرياضة البدنية والتي دعته بالاخرة وبعثت به الى خوض غمار الكتابة في شيء لا يمت له هو بصلة التعارف الصناعي العملي ؟

اي والله ! من يدري فلعلنا - وقد اصبحنا من قدماء الزيتونيين - حرمنا الرياضة البدنية ايام دراستنا معا بالزيتونة منذ نحو من عشرين عاما وحرمنا من لذة مباشرة الرياضة البدنية ومن الاستفادة شخصيا من الرياضة البدنية ؟ ومن يدري فلعلنا تألمنا جد الالم من ذلك الحرمان ؟ ومن يدري فلعلنا وقد انضجتنا الحياة وحررتنا نسبيا من قيود التقليد والامتثال المجرد البسيط - شعرنا اليوم بحاجة الى رد الفعل فاحببنا الانتقام لانفسنا المهضومة المظلومة وقمنا نرغب الشباب في هذا الفن الجميل بعد ان رغبنا سابقونا بكل الوسائل عنه ؟

وهنا احسب ان تلاميذي الصغار العزيزين بالمدرسة الخلدونيه سوف لا يغفرون لي ابدا

زلة الاطالة في هذه المقدمة . وانهم عندما يقرؤون مقالي هذا سوف يمططـون حواجبهم قليلا ويقضمون شفاههم بعض القضم وسوف يرنحون رؤوسهم تعجبا من هذه الاطالة واستنكارا لها واحتجاجا بها لانني طالما نهيتهم وشددت عليهم في النهي عنها

ولكن تلاميذي الصغار العزيزين سوف يصبحون ـ بعد قليـل من الزمن او بعد كثير ان شئتم ـ كبارا مثلي ومثل صديقي الشيخ عبد الوهاب الكرارطي وسوف يسمحون لانفسهـم ـ عندمـا تنضجهم الحياة والتجربة وعندما تحررهم السن والخبرة من قيود الكتابة المدرسية ـ بالاطالة في ما يكتبونه من مقدمات ان راوا فائدة في تلك الاطالة او كانت على الاقل لهم فيهـا لذة ولهم فيها متعة

نعم ! انه في امكان تلاميذي وتلاميذ الشيخ عبد الوهاب الكرارطي الصغار العزيزين انتظار ايام النضج والاكتمال للتحرر مما يفرضه التعليم المدرسي من قيود . ولكن ليس لهم ابـدا ان يفرطوا ايام الصبا والفتوة وما في الفتوة والصبا من قوة وغزارة واندفاع ومرونة . ليس لهؤلاء التلاميذ الصغار العزيزين ان يضيعوا هاته الايـام الغوالي وان ينتظروا ايام النضج والاكتمال ليقبلوا على الرياضة البدنية . فالرياضة البدنية واجب اكيد يتحتم عليهم اليوم قبل غد المبادرة بالقيام به . واجب اكيد واكيد جدا وقد حدثكم صديقي الشيخ عبد الوهاب الكرارطي عن الرياضة في القديم والحديث وقد حدثكم هو وحدثكم غيره من قبله عما عسى ان ينجر لشباب الامة . لهاته الزهرة النظرة التي نعلق عليها امالا جساما من المنافع البدنية والاخلاقية للافراد بصفتهم افرادا وللجماعة بصفتها كتلة . ولكن معين هذه الاحاديث لن ينضب . وانك لواجد ـ دون جهد او عناء من الاحاديث الرياضية البدنية ما شاء الله ـ ما من شانه ان يكشف للناس عن حقيقتها وان يعرفهم مزاياها وان يحببها ويقربها لهم تحبيبا وتقريبا .

وبعد فمن اجل مزايا الرياضة البدنية تقويمهـا للتفكير القومي فهي تلقن الامة معـاني الكرامة والاعتزاز بالذاتية والاعتماد على النفس والثقة بالمستقبل والثبات في النضال . والتدابر في العمل وتوحيد الغاية وما الى ذلك . وكل هاته الخصال معلومة او تكاد وكل هاته المزايا قريبة لعقول الناس مفهومة او تكاد ولكن هنـاك ناحية اخرى من نواحي تاثير الريـاضة البدنية في في التفكير القومي الا وهي توجيه عنايتنا الى الكمالات وعدم اهتمامنا بالنقائص وبالنقائص فحسب

وهذه الناحية مجهولة من كثير من الناس او تكاد . وهي غامضة بعض الغموض مستعصية على الافهام بعض الاستعصاء وهذا ما دعاني الى تخصيص هذه العجالة لها

فاذا حضر شاب من الشبان لدى دار من دور الرياضة البدنية مثلا اجروا عليه امتحانا وفحصوا رئتيه وخفقان قلبه وتاملوا في خلق اعضائه وبحثوا عما تتمتع به هاته وذلك من المزايا ثم قالوا ان هذا الشاب يحسن ان يكون سباحا او يحسن ان يكون عداء او يحسن ان يكون املاكما مثلا.

ومعنى هذا ان الرياضيين قد بحثوا وعثروا عن خصال خلقية اودعها الله في ذلك المترشح الجديد الذي تقدم لهم وانهم ارادوا اعانة هذا الفتى على استغلال خصاله الخلقية وعلى الاستفادة مما اودعه الله في جسمه من مزايا

ومعنى هذا ان ارباب الرياضة البدنية انما تتجه عنايتهم الى الكمالات وانهم لا يهتمون بالنقائص الا بقدر ما يحميهم الاهتمام بها من الوقوع في الغلط الفادح بتوجيه الشاب المترشح في طريق غير التي يمكن له ان يستفيد من السلوك فيها اكبر استفادة

ولكنك يا اخي القاري الكريم لست بواجد عند غير الرياضيين من العناية بالكمالات ومن محاولة استغلالها والاستفادة منها اقصى استفادة ما انت واجده عند اهل الرياضة البدنية. بل انك ربما تجد عند الاولين من الاهتمام بالنقائص والاسراف في البحث عنهـا والحرص كل الحرص في ابرازها الشيء الكثير الوافر .

تعال معي قليلا بربك الى ديوان من دواوين الحكومة مثلا ! تعال وانظر ! على هذا الديوان يقبل يوميا عشرات من المترشحين للمناصب الادارية يلتمسون بهذا الديوان عملا ما . .

لناخذ مترشحا مجهولا من هؤلاء المترشحين ' ولنساله لماذا رسب في مناظرة الدخول فهو سيجيبنا لا محالة بان حظه - مثلا - كان رديئا ' قد يكون صاحبنا ذكيا وقد يكون صاحبنا ذا نباهة وكياسة وذا شخصية وارادة وقد يكون ذا حزم وذا ابتكار ' وقد يكون فصيح اللسان عارفا باحدى او بكثير من اللغات الاجنبية.

ولكنه ساء الممتحن خط المترشح الرديء (اعني الخط) او ساءه عدم اجابته عن سؤال جغرافي بسيط يتعلق بسرعة مياه وادي مجردة او ساءه شيء بسيط ككل هذه الاشياء البسيطة التي كثيرا ما يعجز عن الاجابة عنها خيار المترشحين ' نعم ! لقد اكتشف الممتحن تلكم النقيصة واكتشفها بعد تعب وجهد وعناء . ولكنه اكتشفها على كل حال ' وما دام قد اكتشفها فهو يستغلها وهو يستفيد منها . وهكذا راينا هذا المترشح يرسب في المناظرة الادارية

وانت تفهم معي عندئذ ان الممتحن لم يوجه عظيم اهتمامه والقسم الوافر من عنايته الى كمالات الشاب المترشح اي ان الممتحن لم يكن في يوم من ايام حياته من اهل الرياضة البدنية

وانه لم يفكر ولن يفكر الى يوم البعث كتفكير ارباب الريـاضة البدنية لأنه لوكان من هؤلاء لاخيرين ولو كان له تفكير كتفكيرهم لاستفاد في الحين من خصـال المترشح الشاب ولأعرض اعراضا مجرداً عن نقائصه التـافهة. ولقال انه بارع في الرياضيـات فهو يصلح حينئذ للوظائف الحسابية ، او انه ذو شخصية وحزم فهو يصلح لمركز من مراكز القيادة والاشراف او انه عارف معرفة جيدة بلغة اجنبية فهو يصلح للتعريب والترجمة وما الى ذلك

وما نشاهده بالديوان الحكومي نشاهده بكل مكان عند غير الريـاضيين من بني الانسان ، وهو كما ترى تفكير خطر قد يحرم - وكثيرا ما يحرم - الوطن من الانتفاع بمواهب قسم عظيم من ابنائه

ومن ذلك يتضح ان الرياضة البدنية التي تؤثر في التفكير القومي تأثيرات حسنة متعددة يعسر التعرض لها وبسطها ولو بايجاز واختصار في مقال واحد قد تعين الريـاضيين منا على العناية بمواهب ابناء البلاد في يوم من الايام وعلى البحث عن هاتيك المواهب وعن محاولة استثمارها لخير الوطن ولفائدته ، ولو كان هذا هو التاثير الوحيد للرياضة البدنية في تفكيرنـا القومي لكفانا ذلك داعيا لمحبتها والدعوة لها والعمل على نشرها وتحبيبها للشبيبة ولربما فرضها على الجيل الناشيء بكل الوسائل

فتونس - بلدنا الامين العزيز هذا من احوج بلاد الله في الفترة الحاضرة ، فترة النهوض من الكبوة والانبعاث من الركود والفتور ، الى استغلال عبقرية ابنائها ، وما دام الحال على هذا المنوال فلا عجب اذا خالجت نفوسنا عوامل تدعونا الى الكتابة عن الريـاضة البدنية والى الكشف عن محاسنها ، وما دام الحال على هذا المنوال فالقراء يفهمون بلا ريب لماذا شعرت بحاجة ملحة الى الكتابة عن الرياضة البدنية بعد ما شعر صديقي الشيخ عبد الوهاب الكرارطي - ولي الجزم كل الجزم بذلك - بنظير تلك الحاجة. والله ولي التوفيق .

الطيب العنابي



ذكرى هجرة سيد البشر *

صلى الله عليه وسلم



صاحب الفضيلة والدي الروحي سيدي الشاذلي ابن القاضي ، سادتي الافاضل ، اخواني الاعزاء

ان اجتماعنا في ليلتنا المباركة هاته لهو من اجل واعظم الاجتماعات كيف لا وقد بزغ بين ربوع هلالها الميمون على العالم الاسلامي بشائر الاتحاد والمؤاخات وحلت بحلول يومها الرحمة من المولى والبركات ليلة يحتفل فيها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها قاطبة باسمى الذكريات ولا شك ان هاته الذكرى كما هي معلومة عند الجميع تاخص فيما ألقيه على سامعكم الشريفة في هاته الكلمات :

شاء المولى سبحانه وتعالى ان ينقذ البشر من ضلالة الوثنية ويدخلهم في نور الوحدانية فبعث اكرم الخلق سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم وسط الجزيرة العربية اين ضربت الجهالة اطنابها لظهور مزية هاته الرسالة السامية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس توطئة لبعث روح الاسلام جهرا ولم يزل على تلك الحال الى ان نزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » ..... ووقتئذاك جهر عليه الصلاة والسلام بالدعوة المحمدية فامن قوم هداهم الله لدينه القويم وتعنت آخرون بما اوتوه من قوة تأثرا لشيطان وانانية النفس عليهم وتمكنه من احساساتهم وما كانت هته العراقيل مثبطة لاعمال النبيء صلى الله عليه وسلم بل مازاده ذلك الاعزما واخلاصا في العمل وتفانيا في رضى المولى عز وجل صبر على الشدائد العظام وتلقى اذى قومه بصدر رحب داعيا لهم بالهداية والغفران حيث كانوا لايفقهون ما هو عليه من الحق واليقين ولكن كلما ازدادت الايام تقدما الا وزداد لكفار اذاية له صلى الله عليه وسلم

لما اشتد البلاء على المسلمين اذن للمصطفى صلى الله عليه وسلم في هجر مسقط راسه الى قر نصرته وامتثالا لامر ربه وتحقيقا له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة في سبيل نشر لواء الاسلام واعلاء كلمة الملك العلام ولم يزل سائرا هو ومن معه الى ان اناخت به اشواق الهجرة نحو يثرب ولما قرب منها تغيرت الحالة واستبدلت بما هو اسعد واسمى حيث وجد اهلها في اقتباله خارج طيبة

---

* اقامت الشبيبة الزيتونية احتفالا براس السنة الهجرية مجمعا في جامع التوفيق خطب فيه عدد من الادباء وكان من خطباء تلك الليلة الشاب حسن الهنتاتي الذي نشرنا خطابه في صفحة الشباب تنشيطا له

وهم فرحون مستبشرون ينشدون : « اقبل البدر علينا ۞ من ثنية الوداع» القصيد المشهور
رفع عن قلبه جلباب الحزن والاسى واسبل عليه رداء العز والنصرة والبهاء صبر على مفارقة وكر اجداده
راضيا باعلاء كلمة الله واظهار اياته .

سادتي .. لم يكن هذا كله بل الاسمى من هذا هو تحليل نفسية المدنيين ، حيث تنازلوا عن املاكهم ومؤونتهم وحتى عن بعض زوجاتهم لفائدة المهاجرين تخفيفا للوطأة التي لاقوها في سبيل هذا الدين ، باعوا النفس والنفيس لرضا المولى الكريم ، ورسوله ، تآخى الانصار مع المهاجرين لاجل الدين ، وتساكنوا لاجله ايضا ، وجاهدوا جنبا لجنب في سبيله ، فما اعظم هاته الواقعة وما اسمى مغزاها ... وتخليدا لهاته الواقعة الاسلامية والذكرى الاعتزازية ، جعل مبدا التاريخ الاسلامي مناطا بها ، وها نحن وسط القرن الرابع عشر لهاته الذكرى ، وها نحن نحتفل لاول مرة في تاريخ الزيتونة والمدارس بها ، ولا اقول انه لم يقع الاحتفال سابقا ، بل قد وقع مرارا ، ولكن تلك الاحتفالات كانت بسيطة جدا ، وخصوصا بالوسط الزيتوني ، وما هو الاحتفال بجامع الزيتونة ؟ يتلخص فيما يلي : زينوه وزخرفوه ، واثثوه وعمروه ومدنوه ، ولكن ايها السادة يلزمنا نحن ان لا نبحث عن زينة البناء وزخرفة الاحجار وتجميل الغرف ، وتعصير الجو وتمدين الوسط وتفخيم الميدان ، وانما يلزمنا ان نبحث عن زينة الروح وزخرف النفس وجمال الوطنية وفخامة الروعة والحرية . كنت ابحث فاجد جامع الزيتونة قد ضعف نوره الوهاج ، فلم اعثر على اكتئاب الزيتونة في الحالة الاجتماعية ، ومساهمة الزيتونة في الحالة الاخلاقية ، اجد الزيتونة بعيدة كل البعد عن شؤون هذه الامة .... بعيدة عن المؤتمرات الاسلامية ، بعيدة عن الجهود الاسلامية ، بعيدة حتى عن التدخل في المشاكل الدينية ....

واليوم ! .. وقد اصبحت الزيتونة جامعة دينية عصرية عالمية ، واضحت البيوت تهتز بالزيتونة البائنة ، مصدر الكمالات ، ومنبع الصرخة الرهيبة ذات الدوي والاباء ، الزيتونة التي لطمت العظماء في التاريخ القديم ، والتي اثارت الغضبات في التاريخ الحديث . هذه الجامعة العظيمة مطمح الامال اخذت في استرجاع زعامتها الدينية ، وطالما اعتززنا بهاته الزعامة ، ذات الكلمات العليا والقول الفصل ....

وفي هذا العصر الجديد ... عصر التطور الثقافي والانقلابات الفكرية نجد الزيتونة قد بعدت كل البعد عن جميع المساوي ، واخذت تنفض عنها ما علق باذيالها ، وها هي نراها قد تصدت لاصدار النصائح والعظات في صميم الدين والاخلاق ، وهاهو الحصار الذي حال بين علماء الزيتونة والامة قد زال ، وما ذلك الا بفضل مجهودات مديرها المقدر الاستاذ الامام ، فخرة القطر صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور امده الله في انفاسه ، وايده بعزته ، ذلكم

الرجل الفذ الذي طالما بحثت عنه الزيتونة ، ذلكم المصلح العظيم الذي خلد ذكره على صفحات قلوب ابنائه المخلصين ، وبما ان محبة العمل في سبيل الصالح العام برقية الاندفاع في ضمائر العاملين كان اول ملب لهذا الداعي واول مضي في سبيل ابناء الزيتونة رجل الحزم والعمل المثمر والد الجميع العلامة الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي الذي اخذ قبل كل شيء في جمع كلمة الزيتونيين وايواء لطلبة بالبقاع الشاغرة بالمدارس ثم اخذ يبحث عن اهم أسباب راحة الطالب ، فاوجد مطبخا في مدة وجيزة ، وها هو عازم على انشاء ثالث ورابع وعاشر اذا ما لاقى من التلامذة قوة الاستعداد وحسن الامتثال

سادتي ! هاته نبذة اصلاحية اثارتها هاته الذكرى الاصلاحية العظمى هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ايها الشباب ! ما هو عملنا؟ وما هي آثارنا؟ وهيا نحاسب أنفسنا على ما صدر منها ، نحاسب انفسنا! ولكن على ما نحاسبها ! ولا ثورة ادبية ولا عملا اصلاحيا، شغفنا بالمقاهي ودور السينما حتى طمس على قلوبنا، ولم نعد ندرك كنه حقيقة الذي تغربنا لاجله، وتركنا الاهل والاباء في سبيله

ايها الشباب العزيز! ويا رجل المستقبل :

ظهرت شجرة الاقتداء والامل ! وها هم في ميدان العمل ونحن منا المتقاعسون ومنا اولو الكسل، فانهضوا من سباتكم العميق واستعدوا للعمل نحو صالح كيفكم وتهيأوا لاتقاذ قوميتكم ولغتكم التي هي رمز وطنكم ان كان عليكم عزيزا، فالفرص نادرة، لذا لا ندعها تمر بدون ان نقتطف منها الثمار الفاخرة . . .

يا ابناء البلاد ! ان هاته الظروف السعيدة فتحت لنا مجالا لكي نعمل لاصلاح بلادنا، وان عملا كهذا يستدعي جهودا وتضحيات كبرى خصوصا من شبيبتنا التي يعدها المفكرون اعظم عنصر لنصرتنا ، فوحدوا الصفوف كما وحدت بين المهاجرين والانصار ووحدوا الكلمة كما وحدوها، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان .

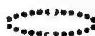
افهم . . . انه لا حزبية اليوم ، ولا زيتوني ولا مدرسي ، ولا بدويا ، ولا تونسيا ولا افاقيا وكونوا عباد الله اخوانا .

الدين يفرض علينا واجبات ، والامة تبني علينا كثيرا من الآمال، والوطن يصرخ وينادي: «هل من شباب مثقف منصرا هل من رجال آلم يكف من التخاذل والانحلال !. . .

فضعوا ذكرى الهجرة نبراسا في طريق عملكم ، واعملوا على ثورة، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. . .

المعهد الزيتوني وفروعه

في عهد الاصلاح الجديد



لقد كنا كتبنا في اعدادنا السابقة عما يقوم به الاستاذ الامام من الاعمال الجليلة في ترقية مستوى التعليم بجامع الزيتونة وفروعه والعناية الكبرى التي يبذلها في اصلاح مناهج التعليم والسير بالفروع الى الدرجة التي علاها التعليم بالمعهد

وقد كانت فاتحة السنة الدراسية في هذا العام مظهرا من مظاهر تلك العناية فقد ظهر البرنامج الجديد الذي اعده الاستاذ الإمام وجمع له لجنة علمية من مدرسي المعهد على اختلاف طبقاتهم في مدة الراحة الصيفية وقدمه للمدرسين للعمل بمقتضاه نرجو من الله تعالى ان ييسر في تطبيقه على اكمل وجه

وهذا المنهاج سيحدث تطورا عظيما في اسلوب التعليم بالمعهد وفروعه وقد نسق على قانون صلاح التعليم وروعي فيه تثقيف تلامذة المعهد بالعلوم الاسلامية العربية والكونية على احدث الطرق المتبعة في المدارس النظامية واوضح للمعلم والمتعلم كيفية الافادة والاستفادة وما يلزم الاستاذ القيام به ومتابعته

وقد استقبل بالارتياح له والنشاط للعمل بما تضمنه

وقد ارسل الى فروع المعهد ليسير التعليم بها على مقتضاه ولا شك ان اولياء التلامذة الحريصين على تثقيف ابنائهم بالطرق العلمية الراقية سترتاح نفوسهم لذلك ايما ارتياح حيث حصلوا على ابنائهم بعناية الاستاذ الامام الذي طمنهم على تحقيق رغبتهم المنشودة منذ زمان

وختاما ندعو الله سبحانه وتعالى ان يجعل هذا العام الجديد مباركا ميمونا على الامة الاسلامية جمعاء وان يجعل العام علينا فاتحة عصر النظام والارتقاء بالزيتونة لاعلى درجات العز والانفة والكمال

واخيرا افارق هذا المرقب الذي شرفتموني به ناشدا تحيى الذكرى الاسلامية تحيا الزيتونة وليحيي رجالها المصلحون .

<table>
<tr><td>القيت اثناء الحفلة التي اقيمت ليلة السنة الهجرية
على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية
من طرف تلامذة المدرسة الحبيبية والتوفيقية النظاميتين</td><td>التلميذ الزيتوني
حسن بن ابراهيم الهنتاتي
السنة ٣ ثانوي الطريقة الثانية</td></tr>
</table>

هذا وقد كان الاقبال على فروع المعهد في فاتحة هذه السنة عظيما وانتظم سير التعليم فيها على الوجه الحسن وابتدأ المشائخ المدرسون عملهم بنشاط عظيم لم يسبق نظيره من قبل وقد تواردت علينا الاخبار بما يبشر بفاتحة عصر جديد سيزدهر فيه التعليم بالفروع ويبلغ درجة طالما تمناها ابناء الايالة واولياؤهم لخف عليهم مشاكل الارتحال الى تونس وقلة المساكن بها

وانما بقيت قضية من اهم قضايا الاصلاح وهي اقامة نواب عن شيخ الجامع بالفروع يباشرون ادارتها مباشرة فعالة ويراقبون سير التعليم بها وينفذون مقررات المشيخة على ما هو جار به العمل في المعهد

واما الاكتفاء بالمشائخ النظار الذين يشتغلون بالحكم وادارة المحاكم الشرعية فانه يخل بمراقبة سير التعليم ويؤدي الى حدوث اخلال كبرى ربما لا يتم معها انتظام الفروع على وجه يكون كفيلا بمصالح التلامذة

ولقد ادرك ذلك نفس المشائخ النظار راجين ان يقوم باعباء هذه المسؤولية من ينوب عن الشيخ المدير للمعهد من يكون مسؤولا له لان اوقاتهم والتكاليف التي يقتضيها وظيفهم الشرعي بصفتهم حكاما تحول دون القيام باعباء وظيف ادارة الفرع لا سيما وهم يباشرون المحاكم في الصباح والمساء وادارة الفروع تستدعي التفرغ لها في نفس هذه الاوقات فبحكم الضرورة لا بد من اسناد خطة نائب لكل فرع لشخصيات اخرى غير الحكام تتولى امرها وتنقطع لها ليمكن انتظام سير التعليم بالفروع

وان هذا لا يكلف الحكومة والمشيخة امرا عظيما ولا تجد في سبيل تحقيقه شيئا خطيرا وما دامت مصلحة التعليم تستدعيه المصلحة ويتوقف عليه انتظام التعليم

فباسم الجميع ومصلحة التعليم نوجه هذا الطلب راجين تحقيقه وما هو على الهمم العليا بالامر العسير . كما انه يتعين احداث خطة منفقد للفروع يراقب سير التعليم وتطبيق برامجه ويقف على عناية المشائخ بها ويوحد النظم المسنونة والترتيب المقررة اذ بذلك يحصل ضمان مستقبلها وتدرج في سلم الرقي المنشود

في الوزارة الكبرى

ما زالت العناية الملكية السامية تتجه نحو رجل الادارة الفذ والسياسي المحنك امير الامراء وشيخ الكتاب الشيخ محمد الطيب بالخيرية رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى فقد وشح صدره بشريط عهد الامان ذلك الوسام الرقيع الذي اعتاد الملوك الحسينيون تقليده لاخص رجال دولتهم المخلصين وتبعا لهذه التقاليد المتبعة انعم الملك الجليل سيدنا محمد الامين باشاباي على حضرته الخاص بهذا الانعام الذي هو به جدير جزاء انقطاعه واخلاصه للمهمة الكبرى الذي يقوم باعبائها عن جدارة ومقدرة ولياقة والشيخ محمد الطيب بالخيرية قد عرف منه الجميع حكومة وشعبا الاخلاص للوظيف الذي يناط بعهدته وبذل الجهد في قيامه بالواجب الذي يقتضيه وقد استبشرنا به خيرا من اليوم الذي اسندت لكفاءته رئاسة القسم الاول وعلق الزيتونيون على غيرته الامال وبنعمة من الله نرى جنابه يتابع الخطى في تحقيق تلك الامال ومثاله من يعتمد عليه دولة الوزير الاكبر في انجاز مشروع الاستاذ الامام شيخ الجامع الاعظم الاصلاحي الذي هو امل الامة جمعاء

والمجلة تهني الرئيس بهذا الوسام الرقيع وتتمنى له اطراد الرقي في عصر ملكنا المعظم ابقاه الله

اقتراح

حياتنا الاقتصادية

؟

مبارات

جائزة مالية قدرها :

٥٠٠٠ خمسة آلاف فرنك

فهرس العدد

الصحيفة	المقال	صاحبه
٤٤٤	تفسير ءايات من سورة البقرة	الاستاذ الامام المولى محمد الطاهر ابن عاشور
٤٤٧	الحديث الشريف	العلامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
٤٥١	الحرية الشخصية في الاسلام	محمد الشاذلي ابن القاضي
٤٥٥	فتوى ثبوت الملك للمحبس	للعلامة المرحوم الشيخ محمد النجار
٤٥٧	الاصلاح الاجتماعي	الشيخ سالم بن حميده
٤٦٢	فلسطين الدامية	محمد الشاذلي ابن القاضي
٤٦٥	اصل بيعة الرضوان	الشيخ محمد طراد
٤٦٧	احاديث فضل افريقيا	العالم الاديب الشيخ الشاذلي النيفر
٤٧٠	حياة بعض الكتاب التونسيين : حسين المقدم	الصحافي السيد البشير الفورتي
٤٧١	السفور والحجاب	العلامة الشيخ محمد القروي قاضي سوسة
٤٧٤	عريضة الى الامير عن الحركة الصهيونية	هيئة المدرسين بجامع الزيتونة
٤٧٦	ـ خواطر ـ الانسان والحقيقة	الشاذلي ..
٤٧٨	البحث عن كمالات الغير لا عن نقائصه	الشيخ الطيب العنابي
٤٨٢	ذكرى هجرة سيد البشر	الشاب حسن الهنتاتي
٤٨٥	المعهد الزيتوني وفروعه في عهد الاصلاح الجديد	المجلة



عدد ٥

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية

محرم - صفر - جانفي - فيفري ١٣٦٥ - ١٩٤٦

الجزء ٧ - ٨

المدير محمد الشاذلي بن القاضي

المجلد السادس



عدد ممتاز

٢٥ فرنكات

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس - تلفون ٢٦٠٤٩

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٢٤٢٢

مطبعة الارادة - تونس



(صورة) عميد الزيتونة فضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

عدد ٥

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

الجزء الثامن	ربيع الانور	المجلد السادس

تقديم العدد

انها لظاهرة مباركة ان يكتمل شعور الشباب الزيتوني الكريم ورجالات المعهد المعمور بذاتيتهم العلمية وبشخصيتهم الفكرية المحترمة وانه لاحساس نبيل هذا الذي يتدفق من سائر الاوساط المثقفة بل ومن عامة التونسيين نحو المعهد الزيتوني الاعظم في مشخصاته من طلبة واساتيذ ورؤساء احساس ملؤه الاجلال والاكبار لرسالة الزيتونة العلمية والاجتماعية الى هذا الشعب النبيل الماجد.

ان في اجلالنا للمظاهر الزيتونية العلمية في اي حين ، تقديس لعظمة هذا البيت العريق في الازمنة والدهور بما فيها من عظمة وسقوط وما تخللها من سمو وانحطاط ، وقد ازدهر البيت الكريم في عصور العظمة وايام السمو وثبت ذلك البيت ثباتا لاريب فيه لايام السقوط وقارع عوامل الانحلال في كل حين فكان مصداقا للقول الكريم « لمسجد اسس من اول يوم على التقوى »

وان في تقديرنا لهذه الحركة الزيتونية المباركة هاته الحركة التي تعبر عما بالزيتونة من نضج وعما بها من روح مقاومة لعوامل الوهن متطلعة في مدارج القوة نحو كمالها المنشود ان تقديرنا لهذه الحركة اصدق محبة لاولاء الذين يتقدمون بهذا المعهد ويشقون له الطريق وبيدهم قوة ايمان هي نور هذا الطريق القويم .

اجل محبة صادقة تغذيها هذه الاشعاعات الروحية من فيض الاخلاص القدسي .

الا فليبارك الله هذا السير . الا فليحرس الله رجال الاخلاص .

الا فليحرس الله شبابنا بروح منه .

كتابة

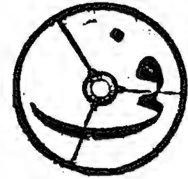
جمعية الاخوان الزيتونيين

حـــديث وصفي

لحفل الذكرى السنوية

لعودة الاستاذ الامام لمشيخة الجامع الاعظم وفروعه





مساء يوم غرة فيفري من سنة ١٩٤٦ اقامت « جمعية الاخوان الزيتونيين » حفلها البهيج على مسرح قصر الجمعيات في حدود الساعة الثالثة، وكان المسرح مكتضا بما ينيف عن الالفي نسمة من طلبة الجامع المعمور عدى الجم الغفير من الاساتذة الزيتونيين ومن رجال الامة وسراتها من مختلف المشارب الثقافية افتتحت الحفلة بتلاوة آيات من الكتاب الكريم من ترتيل الشاب الزيتوني عبد الملك الشوك. وارتفع الستار عن طلعة المولى الامام سيدنا محمد الطاهر ابن عاشور متوسطا العقد العلمي النضيد من المشائخ الجلة والسادة الخطباء والشعراء.

وكان عن يمينه العلامة الشيخ سيدي المختار بن محمود والاستاذ الطيب العابي والاستاذ المؤرخ محمد الصالح المهيدي والاديب الشاعر جلال الدين النقاش وعن شماله السيد التهامي عمار « رئيس لجنة الدفاع عن مدرسي الفروع الزيتونية » والاستاذ التهامي الزهار والشيخ الصادق ابسيس وتوالوا على منصة الخطابة جميعهم وحسب الترتيب في هذه النشرة الخاصة. يقدمهم الشاب الناشط رئيس الجمعية الذي افتتح الحفل بخطابه. وكان النصف من المستمعين حادا لكل معنى سام يأخذ بالقلب.

وفي الختام قام فضيلة شيخ الجامع المحتفل به والقى خطابه الجليل التالي فكان كانه يجيب عن كل رغبة ويحقق كل امنية قانصت له الحاضرون بعناية واهتمام.

وكان ختام الحفل في الساعة السادسة تقريبا في جو ملؤه التقدير والاجلال والاعجاب. وغادر جميع الحضور القاعة داعين للمولى الامام بالتأييد في عمله العظيم وبطول البقاء لسماحته حتى يؤدي رسالة الزيتونة كاملة لشعبها النبيل وشاكرين الجمعية الفتية التي توفقت لهذا السعي المحمود وقد وعدتهم بهذه النشرة اضافية من المجلة الزيتونية الغراء تخليدا لهذه الذكرى واتماما للسعي الحميد



خطاب عميد الزيتونة

فضيلة الاستاذ الامام

الشيخ محمد الطـــاهر ابن عاشور

سبحان من شرف من شاء بخدمة الاسلام تعليما ونشرا وافاض على اهل العلم من نعمه فيوضا تترى ، ورفع قدر نبيه محمد صلى الله عليه فجعله داعيا الى الله وسراجا ، وواضحا لبرهان الهدى تاصيلا وانتاجا ، وايده باصحابه الذين شادوا للدين هياكل ومعالم ، ونفحوها من حياطتهم بهمم وعزائم ، ورفعوا للامة رايات هدى فبلغت كلمة الحق باصداء رشدهم الى اقصى مدى ، اما بعد فيا ايها الملا الاعزة لقد ابهجني واانتني حلولي وسطكم في هذا الحفل المفعم ابناء واخوانا ، تساموا للعلى كهولا وشبانا ، وفي هذه الساعات التي ما شاهدت فيها الا وجوها تسفر عن طيب ضمائر ولا سمعت الا اقوالا يظهر ما وراءها من صفاء السرائر وان ما يكنه ضميري نحوكم جميعا لا ضعاف ما تحويه سريرة كل قائل وما عبرته عبارة كل متفائل اما عبارتي فاجدها قاصرة عن ايفائكم حق الشكر على ما وجهتموه نحوي من افصاح عن التعلق وخير الآمال وكيف تسع العبارة اداء شكر يوازي ماغمرني به المشكورون ولاسيما اولئكم المقاويل البلغاء من خطباء هذا الحفل وشعرائه جزاهم الله احسن الجزاء وشد ما بيني وبينهم من اواصر واعتزاء فارجوا ان اكون عند ما املوا واحقق ما اشاروا اليه من الغايات الطيبة واجلوا مما فيه نفع العلم واهله والارتقاء الى منزلته السامية ومحله .

اما ابنائي طلبة الجامع الاعظم وفروعه الذين تمثل تعلقهم بذاتي فيما قامت به جمعيتهم الناشطة الموفقة جمعية الاخوان الزيتونيين من عقد هذا الاجتماع البهيج فاني ارى بنوتهم لي علقا ثمينا جديرة ببيت

انا بني نهشل لا ندعي لاب   عنه ولا هو بالابناء يشرينا

واعد احتفالهم بي في هذه الذكرى احتفالا بذكرى اجابتي داعي واجب دعاني الى احقاقه ، وسعي نبراس هدى نسته يتطلب زيادة ائتلاقه ، فلنجعل ذلك تذكرة لنا لنتاكنف على العمل لنفع ذلك المعهد العظيم كل بما هو في دائرة عمله ففي هذا المعهد انفتحت كمائم انتاجنا ومنه بدا نور سراجنا ، فاذا حق دأبنا على خدمته ، واعلاء كلمته ، كنا قد وفيناه حق نعم اسداها ، وارتدينا حلة فخر هو الذي مد لحمتها وحاك سداها .

واني ما وضعت على كاهلي عبء الكدح على هذا الغراس النفيس والدأب على انماء شجرته المباركة الا رجاء ان ترسخ اصولها وتتكاثر فروعها وتزكوا ثمارها وتكون دانية الجنى للمجتني وان نبذل في ذلك مبلغ الطاقة ونستعين بالله لبلوغ الامنية من ذلك وان قوام عملنا هو تثقيف النشأة الزيتونية بعلوم شريعتها ولغتها وما ينير لها الطريق في مسيرها بين الامم وتمدنها حتى نراها تناغي سلفا ماجد أمضى وتسابق معاصرين سبقا مرتضى ،.

وحتى يصبحوا فخرا للعروبة والاسلام ويخلد لهم لسان صدق على ممر الايام

واري لزاما علي ان ابذل النصيحة لهذا المعهد بما فيه استبقاء سمعته الطيبة بحيث يكون مأهلا بمدارسة شتى العلوم وبحيث يكون طالبه وخريجه مثالا لحسن الاقبال على العلم والتخلق بمكارم الاخلاق الاسلامية والخبرة بما تدعوا اليه المدنية الحقة ثم مثالا للثقافة الكاملة ولحسن القيام بما يناط به من العمل لخدمة امته ودينه يماثل كوكبا دريا يوقد من شجرة مباركة زيتونة .

وان ما بذلناه من الجهود في بحر هذا العام للنهوض بالتعليم ولتوفير اسباب راحة الاساتذة والمتعلمين مما اشار اليه جهابذة الخطباء والشعراء لانعده الا قلا من كثر مما عقدنا عليه النية مع الاستعانة بالله في وضعه في البرامج الاصلاحية ولكن حاجة التطور والنماء الى الوقت الكافي سنة الهيئة والتفكير في تقصير الاوقات وانتهاز الفرص من جبلة الهمم العلية فلا اسألكم الا التكاتف والتناصر على ان تنهض بهذا العبء كل بما في وسعه من الاستقامة في الخويصة ومن النصيحة حيثما وجد اليها سبيلا

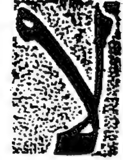
ومن ابلاغ مبادئنا الى من تربطهم به اواصر الصحبة وتشملهم نوادي المراجعة والمطالعة . ولا يحقرن احد ما يدعو اليه من النصيحة فان الكلمة الحسنة ابلغ مبالغ لايحددها الحسبان ورب مبلغ ارعى من داع . فبذلك نرجوالله ان يحقق ما نصبو اليه من الغايات السامية لننعم بمرأى آثار جهودنا زاكية نامية .

في عصر مليكنا الجليل الذي هو عنوان مجدنا الاثيل والذي لم يدخر عن مقاصد النهوض العلمي تأييده في كثير ولا قليل ادام الله عرشه رفيع العماد . وظله الوارف مبسوطا على البلاد . وانا لنا كل نفيس وثمين مما تتوق اليه نفوس العاملين . بعناية الله رب العالمين .

خطاب رئيس جمعية الاخوان

الشاب احمد بن محمد القروي

يا صاحب الفضيلة، سادتي، اخواني الاعزاء،



ول مرة في تاريخ تونسنا العزيزة تقام ذكرى احيائية ولاول مرة يحتفل جامع الزيتونة العظيم بمديره ولاول مرة يدخل تحوير جدي على التعليم الزيتوني ولذلك قررت جمعية الاخوان القيام بالذكرى :

ذكرى مرور عام على تاسيس جمعية الاخوان

ذكرى مرور عام على دخول جامع الزيتونة في عهده الجديد

ذكرى مرور عام على عودة المصلح الكبير والشيخ العبقري رمز النشاط والاصلاح والاقدام فضيلة الاستاذ الامام سيدي محمد الطاهر ابن عاشور

ايها السادة

لعل اهم موضوع شغل بال الزيتونيين سنوات متوالية هو ذلك الموضوع الذي عقدت من اجله الاجتماعات والمؤتمرات وحررت فيه العرائض وخصصت له اعمدة متعددة بالصحف السيارة . هذا الموضوع هو الاصلاح الزيتوني هو سكنى الطلبة هو ادخال العلوم العصرية ضمن مواد التعليم هو تنظير المدرسين بزملائهم اساتذة المدارس هو تنظير شهادات الجامع بغيرها من الشهادات الحكومية ، هو الحي الزيتوني ' الى غير ذلك من المطالب الضرورية المعقولة .

هذا الموضوع الذي حير الالباب وقام له العالم والجاهل والعظيم والحقير اخذ في الحل العملي منذ سنة فقط ، وبفضل رجل جمع بين نشاط الشاب العامل وفكر الشيخ المتبصر - اخذ هذا الموضوع في الحل بكيفية مدهشة حقا فالاهلية اجريت بالفروع والمطابخ تكونت منذ اشهر والمدارس محروسة نظيفة وماء زغوان يصدر الدخول لغالبها والكتب حورت تحويرا لا باس به والرياضيات اخذت نصيبا لا يستهان به من اوقات التعليم

كل واحد منكم ايها الاخوان يشعر بهذا التقدم المحسوس ويشكر فضله وكل واحد تعجب لتلكم المقدرة التي كونت هذا الانقلاب المديد ولم ينكر هذا ولم يقدح في هذه الاصلاحات الا عدو للقضية الزيتونية او حامل لاغراض بعقوبية او جاهل عنود

لقد طالما حررت مطالب واحتجاجات من طرف التلامذة والمدرسين وطالما تكونت اعتصابات

ولم يجد كل ذلك نفعـا حتى اعتلى على اريكة المشيخة مرجع العلماء وجهبذ افريقيا بلا منازع قائد الزيتونة وراسها المفكر مديرنا ابن عاشور اطال الله عمره ، وعند ذلك .. عند ذلك فقط احس كل زيتوني بشيء لم يشعر به من قبل وهو نجاح قضيته ، وصيانة عرضه ' وانتصار لغته وتحصيله على مـأموله ، وحفظ كرامته وارتفاع مستواه

ايها الاخوان ـ تسلم شيخ الجامع مقاليد الادارة الزيتونية يوم غرة فيفري من السنة الماضية فوجد نفسه اذ ذاك مضطرا الى ابقاء ما كان على ما كان ولم يدخل على النظام الزيتوني يومئذ الا بعض تغييرات لازمة . غير انه بماله من الفكر الثـاقب راى ان يمهد للاصلاحات التي اعتزم ادخالها في مفتتح السنة الدراسية فانشأ ادارة للمدارس كلف بهـا المصلح الكبير والوطني الغيور المتفانى في خدمة الصالح العام الشيخ سيدي الشاذلي ابن القاضي ـ وابرز مجلس التاديب الى العمل الجدي ولم يقتصر على تحسين حالة الزيتونيين بل راى ونعم ما راى ان يرحل الى الفروع التي بداخل المملكة مع نخبة من مدرسي الزيتونة ويشهد بنفسه حالة تلك الفروع التي بقيت طويلا منقطعة تمام الانقطاع عن اصلها . وكانت تلك الرحلة من اهم اعمال فضيلته في السنة الماضية حيث راينا ثمراتها يانعة في مفتتح هذه السنة . كان لتلك الرحلة الميمونة الاثر العظيم اذ قد نتج عنها انخراط عدد كثير من التلامـذة في سلك التعـليم الزيتـوني بـ الفروع يتراوح هـذا العدد بين المائة والمائة والخمسين في المـائة بالنسبة لعـدد التلامذة الموجودين بتلك الفروع قبل رحلة فضيلته . زار الفروع ولم تسبق له زيارتها بصفة رسمية واعطى تصريحات هامة خطيرة ولم يسبق له التصريح بتلك الكيفية ووعد ولم يسبق له ان يعد بمثل تلك المواعيد وامر ببناء المدارس للسكنى واقسام للرياضيات ولم يسبق له ان يامر في غير منطقته المحدودة ولكنه كان شجاعا ومعتقدا نجاحه في قضيته فصرح ووعد . قرات وقراتم تلك التصريحات على جريدتي النهضة والزهرة والمجلة الزيتونية وضحك الكثير منا استخفافا لاننا لم نعودها وتخوفت وتخوف الكثير منكـم من عدم انجـاز تلك المواعيد ولكن سرعان ما تقشعت سحب اوهامنا وانجز شيخنـا وعـده رغم الصعوبات التي اعترضته ونجح ونجحت قضية الزيتونة جماء هذا اخواني بعض ما وقع في الاربعة الاشهر الأخيرة من السنة الدراسية الماضية وجاءت الراحة الصيفية ولكن لم يرتح التلامذة فقط اما مديرنا وجل اساتذتنا فقد قضوهـا بين تسطير لبرامج ومساع لدى الحكومة واجتماعات لفائدة قضيتنا المقدسة وانا ان نسينا فلا يمكن لنا ان ننسى ما قام به فضيلة شيخ الاسلام حبيب

الزيتونة واب المشاريع سيدي محمد العزيز جعيط رئيس لجنة الحي الزيتوني وما قام به اعضاؤها سدد الله خطاهم اجمعين.

نعم ايها الاخوان لقد قضوا تلك الراحة بين تفكير وعمل وواجبنا يدعونا الى شكرهم جميعا ومساعدتهم فيما ورثتهم بينما. كنا نسبح ببحر او نتماشى ببستان تحت ظلال الازهار أو نشهد شريطا سينمائيا او تنام في راحة واطمئنان عشر ساعات متواليةبينما كنا كذلك كان مديرنا ونوابه ولكثير من اساتذنا على عكس ما كنا فيه اذا كانوا يبحثون عن الكتب الصالحة للدراسة والفنون التي يجب ادخالها والاشخاص الذين سيكلفون بهذه الفنون والطرق التي يجب اتباعهافي التدريس بينما كنا في ذلك النعيم كانت بالعبدلية وغيرها من اماكن اجتماعهم حروب ناشبة بين الاوراق البيض والاوراق الصفر وبين ضرب زيد عمرا واكل موسى الكمثرى والقاسم المشترك الاعظم والجذر المربع الى غير ذلك.

ولما اقبل العام الجديد رايتنا مستبشرين متهيئين لاستقبال تلك الانظمة التي طالما ترقبناها بفارغ صبر وبينما نحن في تلك الحالة اذ بالاخبار تطرق اسماعنا من حين الى آخر واذا بالاعمال تعقب تلك الاخبار واذا بجامع الزيتونة في طوره الجديد يسابق غيره من معاهد البلاد في العلوم العصرية واذا بالزيتونيين يدرسون الجبر والكيميا وعلم التشريح وخصائص الاشياء وغير ذلك. حل العام الجديد فكون مديرنا المحبوب علائق وديه بين الازهر والزيتونة واحس كل منا بمبدأ اتحاد بين الكليتين العربيتين الاسلاميتين وصرنا نسمع باذاعة مصر الحديث على الجامع وجمعية الاخوان حل العام الجديد فاصبحنا نرى الكبادي وقوشه والسويسي والعنابي من بين اساتذتنا ورأينا توزيعا جديدا بالمدارس ونظاما محكما بها اذ خصصت كل مرتبة من مراتب التعليم بمدارس خاصة بها واستحسنا هذا رغم مالحق التلامذة من تضايق وتضحيات بمصالح. ولكن هل نجح مشروع بلا تضحية وهل فاز الازهر عفوا وبلا عناء وهل من المعقول ان تنجح الزيتونة ان لم يضحي تلامذتها واساتذتها ومديرها بالغالي والنفيس ويتحدوا لما فيه خير الجميع كلا ايها الاخوان لن ننجح الا اذا ضحينا ولا نجني من الثمار الا بقدر بذرنا وسعينا ونشاطنا.

كان الطالب الزيتوني يتقاضى اعانة شهرية في القديم يوم كان ما كان. اما اليوم وقد رأينا انفسنا مضطرين الى الخروج من القديم. اما اليوم وقد علمنا ان ما نحن فيه انما هو نظام القرون الوسطى. اما اليوم وقد خرجت للوجود القنبلة الذرية فانه من الواجب علينا ان تخرج انفسنا بانفسنا من تلكم الانظمة البالية. من الواجب علينا ان نسعى لاقتناع

المتمسك بالقديم من الزيتونيين انه في خطء وانه يجب عليه اتباعنا والا تركناه منبوذا وحيدا ـ من الواجب علينا ان لا نعول في عملنا هذا الاعلى مديرنا وانفسنا وعلى الله، لاننا طالبنا وطالما طالبنا بالاصلاح ولم نجد اذنا صاغية.

لاجل هذا ـ لاجل كل هذا ايها الاخوان وجب علينا في الضروف الحالية ان ندفع لا ان نبض وان نضحى بكل ما لدينا من مال وعمل ودعاية وتاييد. دفع كل تلميذ خمسين فرنكا في الشهر فنظفت مدرسته وحفظت مكاسبه وربح وقته.

دفع خمسين فرنكا فارتاح من زيارة قريبه وابن جلدته ارتاح لانه كان يضع الثمين من اوقاته في الاشتغال بذلك الوارد. ارتاح هذا التلميذ من مضايقة ذلك الضيف المناق في اكله ونومه واوقاته. ارتاح هذا التلميذ من المسؤليات التي كان يجرها له بعض الواردين عليه من باعة الزيت والسكر في السوق السوداء. دفع هذا التلميذ خمسين فرنكا فاسست له المطابخ ونظمت له حراسة المدارس وبني مستقبل زيتونته بعرق ماله وبضحيته، دفع خمسين فرنكا فاشعر اعداء الزيتونة واحبائها انه يروم الاصلاح ويطمح للمعالي وانه لا محالة واصل الى مأموله.

ايها السادة،

لا تخلو الاصلاحات التي ادخلت على المدارس من انتقاد ـ والكمال لله وحده ـ ولكن اذا قابلناها بالحالة التي كانت عليها قبل اليوم تبينت لنا الحقيقة وعلمنا ان البون شاسع واننا خرجنا من الفوضى الى النظام ومن السوق الى المدرسة ومن محل الموبقات والسرقات والشرور الى دار العفاف والامانة الى بيت يجمع اسرة واحدة يتشرف الآن جامع الزيتونة بانتسابها اليه.

نعم ايها الاخوان لقد كونت الخمسون فرنكا ما لم تكونه الاحتجاجات والاعتصابات والتجمهر، ان دفعكم للخمسين فرنكا لهو من اقوى الاحتجاجات على الاوقاف التي كان من المناسب لها ان تسلم في اوقاف المدارس لمشيخة الجامع.

كل منا يعترف ايها السادة بان فضيلة شيخ الجامع وادارته والبعض من الاساتذة اضافوا مجهودهم لابراز هذه الاعمال للوجود واننا نؤيدهم جميعا ولكننا نعلمهم بان مهمتهم لم تنته بعد وانه من الواجب عليهم مواصلة اعمالهم لان الزيتونة متاخرة ومتاخرة كثيرا ويلزمها رجال وعمل لتخرج من تلك الظلمات، نعم الواجب يدعوهم الى مواصلة العمل ويدعونا نحن الى مشاركتهم في العمل وتاييدهم والالتفاف حولهم، يجب علينا ايها الاخوان ان ناخذ بنصيب من الاعمال لانقاذ زيتونتنا ويجب علينا الاعتراف بمجهودات رجالنا

ويجب علينا ان نلاحظ لاساتذتنا ومديرنا ما نراه صالحا لكليتنا ويجب ان تكون ملاحظاتنا مصحوبة برصانة وآداب . يافضيلة شيخ الجامع ويارمز النشاط ويا ينبوع الاصلاح باسمي وباسم الجمعية التي لي الشرف برئاستها اقول لفضيلتكم وعلى رؤوس الاشهاد ما يأتي :

تقوم جمعية الاخوان بهذا الاحتفال اكراما لفضيلتكم واعترافا بخدماتكم للزيتونة . والصراحة تدعوني الى القول باننا ما كنا لنقوم باحتفال لو لم تقوموا بما قمتم به نحو كليتنا من اعمال اصلاح سيحفظها التاريخ لجنابكم مدى الدهور لان جمعية الاخوان دابها الاصلاح ومساعدة المصلح . لان جمعية الاخوان ديدنها خدمة القضية الزيتونية لان جمعية الاخوان لها مبدا وهذا المبدا مقدس وهو رفع المستوى الثقافي للتلامذة وربط اواصر الاخوة بينهم وحينئذ فكل من يرمي الى ما نرمي اليه احببناه واجللناه .

يا صاحب الفضيلة ويا ايها السادة : قامت جمعية الاخوان بمحاضرات وذكريات ومباريات ورات ان لاتقتصر على هذا فاحدثت دروسين يوميين في الفنون الآتية :

الموسيقى - التصوير النظري - التصوير الهندسي - مبادي الفرنسية - الاختزال الفرنسي الاختزال العربي - التمثيل . لايقل عدد التلامذة عن الستين في كل درس

وان غرض الجمعية من هذا هو تكميل نقص الزيتوني من جهة واشعار الادارة والاساتذة بان الزيتونيين هم ايضا ميالين للعلوم العصرية بل راغبين فيها . نعم ايها السادة اننا نريد ان يصبح ضمن برنامج التعليم دروسا في التصوير والاختزال والرياضة وغير ذلك من الفنون التي ربما يظنها البعض من اعمال الضائعين والسوقة ... نطلب الكرسي بدل الحصير والبناية العصرية عوض الجامع

يا عميد كليتنا العزيز ان جميع الاصلاحات التي ادخلتموها على الجامع جميلة مرضية واننا نرجو ان تتقبلوا منا هذه الملحوظات التي رائدنا بها الاصلاح واخراج الزيتونة من عصور القرون الوسطى وجعلها تتماشى مع تيار القرن العشرين نرغب من فضيلتكم :

١) ان يدرس التاريخ والجغرافيا والنحو والصرف والبلاغة بطريقة التطبيق

٢) جعل مراقبة مباشرة على الأساتذة ومطالبتهم باعطاء التلاخيص للتلامذة

٣) جعل مراقبة مباشرة على المكلفين بعسة المدارس

٤) جعل مراقبة على التلامذة تراقب سيرتهم واماكن اجتماعهم ومعاملتهم بين بعضهم

٥) الاكثار من الفروع داخل المملكة

٦) السعي لدى المراجع في الترخيص لفرع مدنين والمهدية وبنزرت في مباشرة اعمالهم بصفة قانونية

٧) السعي في جعل جميع الاحباس التي

حبسها اهلها على المدارس تحت تصرف المشيخة

٨) السعي في تنفيذ مقررات مجلس الاصلاح في اقرب وقت حتى تصير المدارس القرءانية وجميع التعليم العربي اينما كان تحت ادارة مشيخة الجامع والحاق مدرسي الفروع بمدرسي الطبقة الثالثة والسعي اكثر من الكل في تخصيص ميزانية للزيتونة تكون تحت تصرف المشيخة .

٩) السعي في تخصيص حمام للتلامذة وتكون اجرة الاستحمام مناسبة .

١٠) نرغب من فضلكم تبجيل اخواننا الجزائريين علينا في المسكن والملبس وجمع ما يلزم الطالب . لانه من الواجب علينا ان نجعل الطالب الجزائري يشعر بانه بين اخوانه واهله.

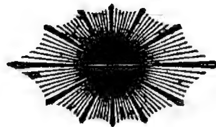
١١) نريد ان يكون لجمعية الاخوان حق الدفاع عن حقوق الزيتوني لانها هي الجمعية التي اتجه اليها الكبير والصغير وهي وجهة كل زيتوني وكل الزيتونيين في نظرها سواء .

هذه يا فضيلة مديرنا ملحوظاتنا وليعلم الجميع ان لابناء المعهد الزيتوني همة تواقة الى كل المعالي التي ترتفع بالمعهد وبنيه الى الصف اللائق به وان جمعية الاخوان دائبة في العمل لهذه الغايات الشريفة بهمة لاتفتر وبروح سامية دابها دائما صالح الاخوان الزيتونيين الذين يقاسون مختلف المصاعب في سبيل العلم الصحيح والمعرفة الحقة .

ايها الشباب النبيل فلنتحد لخدمة جامع الزيتونة واللغة العربية ولننادي باعلى صوت ليحي جامع الزيتونة لتحي اللغة العربية وليحي شيخ الجامع .

والسلام عليكم ورحمة الله .

احمد بن محمد القروي



خطاب الاستاذ العلامة

الشيخ محمد المختـــار بن محمود

(الحمد لله الذي ايد بهذا الدين رجالا صدقوا، وبعث فيهم رسولا من انفسهم الفاهم على شفا حفرة حتى كادوا ان يرتبقوا. فدعاهم الى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة فسبقوا. وقفى على ءاثارهم بقوم تربوا ثم لحقوا. ولم يرهبوا غير الله فما سئموا بما لقوا. ولم يزالوا في انتظار وعده فسعدوا بتلك النظرة وما شقوا. فالحمد لله الذي صدق وعده. وصلى الله على رسوله الذي اورى للحق زنده ورضي الله عن اصحابه الذين شدوا بالوثاق عهده. وعلى ءاله الوارثين شرفه ومجده)

(ايا شيخ اسلام وقدوة امة
مقامك اعلى من مديحي واعظم)
عهدناك قبل اليوم تشكو تاخرا
فها قد اتاك الامر والدهر باسم
وحفت بك الالطاف من كل جانب
وحولك انصار شداد اكارم
يسيرون في عزم وحزم الى الذي
تراه سدادا والمهم المقدم



ايها السادة العلماء الاعلام،
ايها الشبان الزيتونيين،
ايها السادة الفضلاء الاجلاء،

ما كنت اظن ان تسعدني الاقدار بمثل هاته الساعة التي يتاح لي فيها ان اتشرف بان اكون خطيبا في الاحتفال بمرور عام على اسناد مشيخة الجامع الاعظم وفروعه الى سيدي واستاذي الجليل الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور فان لي من شرف الانتساب الى هذا

الاستاذ الجليل فخرا اعتز به واعده اكبر مغنم غنمته وادنى شيء اكتسبته . فقد انتسبت اليه زهاء ربع قرن واغترفت اثناء ذلك من بحر علمه وفضله ما اراني منتفعا به في كل طور من اطوار حياتي وقد لازمته في الدراسة مدة لم يتح لغيري ان يلازمه مثلها . وقرات عليه من الكتب : المختصر والمطول . ودلائل الاعجاز . وديوان الحماسة والموطا وتفسير القرآن . ورويت عنه من الحكم والاداب ما يقارب سفرا ولازمته في الدرس عشر سنين كنت اجتمع به خلالها بمعدل ساعتين في كل يوم من ايام الدراسة .

وشاهدت فيه من مكارم الاخلاق ، واللين في القول والصدق في المعاملة وشدة العزيمة في العمل وانتهاج المناهج الصحيحة في الفكر . وصدق النظر الى الاشياء والترفع عن السفاسف والسخافات التي ملئت بها عقول كثير من الناس ما جعلني ازداد به كل يوم اعجابا وانشد عليه قول ملحة الجرمي :

فتى عـزلت عنـه الفواحش كلها فلـم تختلـط منـه بلحـم ولا دم

ثم انه كلما ارتفع شأنه وتدعمت اركانه : يزداد تواضعا ولينا . ومن شان النفس البشرية اذا احست بشيء من السطوة والنفوذ والمكانة . ان يحيط بها الغرور ، ويتحكم فيها الغرور ، ولكن سيدي الاستاذ الجليل ، كان بعكس ذلك ، فهو يقاوم تلك النزعة البشرية التي اضرت بكثير من الناس ، بالمبالغة في لاكرام والملاطفة ، وبالمحافظة على حسن العهد .

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة اذا غير السلطان كـل خليـل

وجدير بمثل هاته الشخصية النادرة ان تعلق عليها آمال ، وتفرض عليها تكاليف ، وتناط بها حقوق ، ويعهد اليها بمستقبل امة .

وجدير بمثل هاته الشخصية النادرة في مقابلة ذلك ان تتهيأ لمحن وابتلاءات ، واخطار وافات ، فالناس اعداء الداء لاصحاب النبوغ ، ومعاول هدم وتحطيم لآمالهم واعمالهم ، وهكذا الشان في كل عاجز مهين ، ان يقاوم كل من يريد ان يعمل عملا صالحا حتى لا يترك له مجالا للتفوق عليه

وفي مثل هذا المقام ، تتجلى حكمة الله من قوله « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم ، » وهنا يقع الامتحان وتتجلى الحقائق ، وتظهر قيم الناس ، فاما من يعبد الله على حرف ، فانه لأقل ابتلاء تخور عزيمته وتضعف قواه ، ويتأخر ثم يتقهقر ثم ينزوي ثم يموت ميتة الاحياء .

واما قوي الايمان صادق العزيمة ، فان هذه الابتلاءات تكون سببا في رسوخ ايمانه وثبات

جنانه ويكون كما قال الله تعالى « وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين »

وهذا ما رايناه من حضرة الاستاذ الجليل، فقد مرت به احداث وبالها من احداث فصبر لها وصابر ورابط واتقى الله فكان الفلاح حليفه وهكذا الانبياء يغلبون ثم تكون لهم العاقبة كما قال النجاشي لابي سفيان.

وها هنا اطوي بسرعة صفحات طويلة من تاريخ سيدي الاستاذ الاكبر وهي صفحات تروع وتهول وستنشر يوما والحساب يطول.

وانتقل بكم ايها السادة الى عهد التوفيق والالهام ففي مثل هذه الايام من العام المنصرم الهم الله جلالة ملكنا المعظم سيدنا محمد الامين باشا باي ابقاه الله الى ان يسدي للجامعة الزيتونية الكبرى يدا سيخلدها له التاريخ وذلك باسناد مشيخة الجامعة الزيتونية وفروعها الى مقام استاذنا الاكبر وتسلم مقاليد الجامعة في مثل هذا اليوم من العام الدراسي المنصرم فكان يوما مشهودا في تاريخ الجامعة الزيتونية تهللت فيه الاسارير وتبودلت بالهناء التباشير فنزل الاستاذ الاكبر الى ميدان العمل بهمة لا تعرف الملل وعزيمة لا يتطرقها الكلل ووجد على الخير انصارا كانوا عند حسن ظنه فالمشائخ المدرسون مستعدون لتنفيذ كل اصلاح والطلبة متهيئون للقيام بالواجبات المفروضة عليهم والموظفون كل في منطقته قائم بما هو معهود اليه.

فشمر الاستاذ عن ساعد الجد واخذ في تنفيذ برنامج واسع النطاق، وقد انجز فضيلته في خلال هذ العام امورا هامة سيكون لها في حياة الجامعة تاثير كبير، فاهتم اولا بفروع الجامعة الزيتونية وتجشم التعب في العام الماضي وسافر اليها بنفسه وتفقد احوالها واعاد اليها حياتها وازدهارها بقدر الامكان وبمقدار ما سمحت به الظروف.

ثم اجرى امتحان شهادة الاهلية في صفاقس لاول مرة في تاريخ الجامع، ووقعت حول ذلك ادوار عجيبة ولربما كانت مخجلة ايضا .. والتفت الى مدارس سكنى الطلبة فاسس لها ادارة محكمة تعتني بشؤون الطلبة واختار لها رجلا من افذاذ رجال العلم والعمل والعفة بهذه البلاد لا يمنعني من اعطائه حقه من المدح والاطراء الا اواصر الصداقة المتينة التي تربطني به فاخشى ان اكون كمادح نفسه الا وهو الشيخ سيدي الشاذلي ابن القاضي فكان لفضيلة الاستاذ الاكبر قرة عين وانتظم امر السلاك في اشهر قليلة من حيث السكنى والاكل والنظام بصورة كنت اعدها من الاحلام.

ثم بذل الشيخ قصارى جهده في انجاز مشروع الحي الزيتوني وهاهو الآن يسير بخطى سريعة

في سبيل النجاح بحول الله .

ووضع فضيلة الاستاذ الاكبر برنامجا جديدا للتعليم في مفتتح هذا العام والهمم مبذولة في القيام به على احسن وجه والمؤمل ان يكون بحول الله محققا لما يرجى منه من النهوض بالجامعة الزيتونية من الناحية العلمية في مختلف اطوارها وعلى اختلاف درجاتها

فهو برنامج يرمي الى تدارك جميع النقائص التي كان يرمى بها التعليم الزيتوني وهدفه الاسمى هو الارتفاع بمستوى التفكير حتى ياتي التعليم بالنتيجة المرجوة منه اذ لا يخفى عليكم ان آخر ما استقر عليه راي الباحثين في شؤون التعليم في العالم في تقرير الغرض من التعليم هو ما كان قاله مالك بن انس رضي الله تعالى عنه (ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء)

ومعنى ذلك ان الغرض من العلم هو تكوين الافكار الصحيحة والتصورات السليمة والاقتدار على القيام باعباء جميع الشؤون والاضطلاع بمهمات الدولة اذ بدون ذلك يكون التعليم ضعيف النتيجة او عديمها وهذا ما نؤمل ان يكون البرنامج الجديد متكفلا بتحقيقه بحول الله ولكن يلزم لذلك الوقت الكافي لظهور النتائج المرجوة فليس من السداد ولا من الانصاف ان يحكم على هذا البرنامج الابعد مرور الزمن الذي من شانه ان يكفي لتحقيق ذلك .

هذا بعض ما وقع انجازه في اثناء هذا العام .

ولقد بقي شيء اكبر اهمية في نظري وفي نظركم ايضا وهو اولى من كل امر سواه الا وهو تقرير مستوى المتخرجين من جامع الزيتونة .

فقد كان الزيتونيون منذ زمن ليس بالبعيد هم المرجع في كل شيء وبيدهم مقاليد السلطة والنفوذ وعلى كواهلهم يقام نظام الدولة وقد قاموا بالاعباء التي نيطت بعهدتهم خير قيام وبيضوا وجه التاريخ التونسي في جميع نواحيه ويكفي دليلا على ذلك ان تتذكروا ان الرجل الذي قاد السياسة بتونس في بداية عهد الحماية الذي هو من اشد اطوار تاريخ هذه البلاد تعقدا واضطرابا هو العالم الفقيه الاصولي الشيخ محمد العزيز بوعتور الوزير الاكبر الذي بقي في الوزارة الكبرى ربع قرن سار فيه بالبلاد بحكمة وروية واناة وامكن له بعقله الراجح وثقافته الزيتونية المحكمة ان يسير بالبلاد المضطربة المهيجة الى ساحل النجاة كلما هبت العواصف واضطربت الامواج .

ولما رجع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الى مصر من رحلته بتونس عام ١٣٢٢ افضى بتصريحات عن الحالة بتونس ' فكان اول ما الفت نظره واسترعى اهتمامه ما عليه الزيتونيون من ارتقاء المناصب العالية وكون مقاليد الدولة بايديهم ' وحرض الازهريين على ان يصلوا الى ما

وصل اليه الزيتونيون ، ولكن ويا للاسف قد اخذ هذا الامر يضعف شيئا فشيئا وصارت مقاليد السلطة تنزع من يد الزيتونيين واخذت الايدي الاثيمة تستنجد بالاسكندر ذي القرنين ليقيم الزيتونيين سدا يحول بينهم وبين الوظائف العالية كذلك السد الذي اقامه في وجه ياجوج وماجوج فاجاب الاسكندر واحضروا له زبر الحديد ونفخ ونفخوا وافرغ عليه القطر وجربوه فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا.

عند ذلك تمت الحيلة وابعد الزيتونيون واعان على ابعادهم افراد وطنيون تونسيون وسول لهم شيطانهم ان يبتكروا عاهة للزيتونيين تقضي عليهم القضاء المبرم وهى جهلهم باللغة الفرنسية،

واسمحوا الي ايها السادة الاجلاء اذا انا صرحت امامكم باني لا ارى خائنا لوطنه عابثا بكرامته ساخرا بتاريخه مثل الرجل الذي يقول مثل هذا . والا فكيف يعقل ان يفرض في بلاد دينها الاسلام ولغتها العربيه الفصحى واجدادها العرب الكرام، كيف يعقل ان يفرض على اهلها تعلم غير العربية نعم يمكن لهـا ان تتعلم كل لغة ولكن لا على معنى ان يكون الجاهل بغير العربية موصوفا بالقصور مبعدا عن مهمات الامور وعلى ان الذي يقضي به المنطق الصحيح ان يفرض على القادم ان يتعلم اللغة الاصلية لسكان البلاد لا ان يفرض على سكان الاصليين ان ينبذوا لغتهم لاجله

وقد قضى تطور هذا الحال شيئا فشيئا الى اعتداءات متكررة تقع على الزيتونيين فصاروا يقاومونهم ويقدمون عليهم غيرهم ممن يعرف الفرنسية واعرف من ذلك صورا كثيرة لا مجال لبسطها الآن وانما يهم منها بعض امور عامة.

فالمناظرات على خطة الحكام العدليين يزاد فيها للعارفين باللغة الفرنسية خمسة وعشرون نكتة، وذلك من افضع انواع الظلم في مناظرة لاخراج حكام يحكمون بين الناس بالعدل وشهادات جامع الزيتونة يقع السعي باستمرار للقضاء عليها.

فشهادة الاهلية لم تقع الى الآن تسويتها بالشهادة الابتدائية الفرنسية من ناحيه الاعفـاء من الخدمة العسكرية وفي التاجيل بها خلاف .

وادارة المعارف فرضت على المحرزين على شهادة التحصيل بل وحتى الحاملين لشهادة العالمية ان لايباشروا التعليم في المكاتب الابتدائية الا اذا تعلموا في مدرسة ترشيح المعلمين. ومن الغريب ان المادة التي يتعلمونها هناك ـ وهى علم التعليم ـ قد تعلموها من قبل عندنا بالجامع على نفس الشيخ الذي يتعلمونها عليه في مدرسة ترشيح المعلمين

والمدرسة الصادقية كان بها عام ١٩٤١ احد عشر مدرسا من جامع الزيتونة فصاروا الآن خمسة

ولما اشتكى احد المدرسين المباشرين للتعليم في مدارس الدولة لرجل مسؤول في ادارة المعارف من عدم حضور التلامذة بدرسه قال له ذلك الرجل المسؤول: لابد ان يكون هذا من ضعف اسلوبك في التعليم ولو كان اسلوبك حسنا لاقبل التلامذة على درسك وهل هناك تهكم ابلغ من هذا

ثم منذ ايام قريبة فصل احد كبار المدرسين بجامع الزيتونة من خطة التدريس بمدارس الحكومة لا لجناية جناها وانما لمعارضته لمن اراد اكراهه على التنازل عن قيمته والرضا بالدون. ولكن شهامته وعزة نفسه ومكانته العلمية منعته من ذلك فعزل من خطته بجرة قلم. ولو وقع ذلك لغير زيتوني لما استباحت ابله بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان ولكن الزيتوني يشج ولا يرثي له احد

وهذا خطر يجب الاسراع بتلافيه ' والتشنيع والتشهير بالساعي فيه ولو كان من ابناء بلادنا بل اذا كان من ابناء بلادنا يجب ان تكون مقاومته اشد واعنف. ولله در شاعر الحماسة اوس بن حفناء عند ما يقول :

اذا المرء اولاك الهوان فاوله هوانا وان كانت قريبا اواصره

فان انت لم تقدر على ان تهينه فذره الى اليوم الذي انت قادره

وقارب اذا ما لم تكن لك حيلة وصمم اذا ايقنت انك عاقره

نعم لله دره ، لانه عبر ابلغ تعبير عن نفس اجدادنا العرب الذين لايقيمون على الضيم ولا يتحملون الهون ولا يرضون بالدون . نعم ! لله دره لانه لم يخرج عما امرنا به القرءان بقوله (فمن إعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)

والقرءان لم يأمرنا بذلك الا ليجتث من نفوسنا بذور المذلة وليبعث في نفوسنا القوة والعزة التي جعلها الله لرسوله وللمؤمنين :

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب تحرك يقظان التراب ونائمه

ايها الزيتونيون

اول واجب عليكم ان تقبلوا على تعاطي العلم وتملئوا وطابكم بالعلوم على اختلافها وتعدد انواعها ونواحيها وتناهلوا لخوض معترك الحياة في جميع الميادين وعلى مختلف الاساليب ولا تتركوا بابا يوصد في وجوهكم واجمعوا امركم وشركاءكم وقوموا سد ذي القرنين حتى تحطموه لاسيما اذا كان اعوان ذي القرنين من ابناء بلادكم

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند

واعلموا ان الحقوق تؤخذ ولا تعطى والذي لايذود عن حوضه بسلاحه يحطم والذي تهون

عليه نفسه تكون على غيره اهون وانصتوا الى شوقي اذ يقول

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قوم منال اذا الاقدام كان لهم ركابا

واعلموا ان الله تعالى قد من عليكم بان جعل على راس جامعتكم الكبرى رجلا دانت له رقاب العلماء شرقا وغربا ومقالته مرجع لكبار العلماء فقد كان خاطبني العلامة الجليل الشيخ مصطفى صبري احد مشائخ الاسلام بتركيا بمكتوب صرح لنا فيه بان المقالات التي ينشرها فضيلة استاذنا الاكبر بالمجلة الزيتونية في تفسير القرءان يطالعها باهتمام ويستفيد منها كثيرا .

واستاذنا ابقاه الله يصرف جميع اوقاته في صالحكم ؛ وفي الدفاع عنكم وينزلكم من نفسه منزلة الابناء من الاب البر الرحيم ويحن عليكم حنو المرضعات على الفطيم .

وبرنامجه الاصلاحي ينحصر في كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان وهما البلوغ بمستوى لجامعة الزيتونية الى ارفع درجة وصلت اليها جامعات العالم من الناحية العلمية ومن الناحية المادية

محمد المختار بن محمود



تلك يا نشء صفحة الامس فاقرأ

للشاعر العبقري الاستاذ جلال الدين النقاش

كعبة العلم عاد عيد مناها
فاركب الشمس وافخر يا فتاها
وتحدث بعزة بلغتها
يقف النجم عن بلوغ مداها
وتمثل جلالها في حمى التا
ريخ نورا يشع مجدا وجاها
وتأمل وقوفها في مجاري الد
هر كالطود شامخا تياها
صمدت للزمان ما نال منها
قط اوسام مجدها وعلاها
كعبة بارك الالاه حماها
سجد الفاتحون فوق ثراها
ليت شعري وللخيال عيون
تتخطى القرون رغم اطواها
نبئوني اني الرحاب « عبيد
الله » يختطها ويعلي بناها
اهو « ابن الحبحاب » ذلك وها
ذي حجرة الاس في يديه اراها ؟
ادرى القائد المظفر ماذا
خط ؟ بل اي قبلة انشاها ؟
رضي الله عنه من تابعي
شاد مجدا في الدهر ليس يضاهى
وبنى كعبة افاضت من الانوا
ر ما لا يحد أو يتناهى
كعبة فجرت ينابيع علم
واصابت بها النفوس ارتواها
وتخطت على العصور وهزت
في « مجال العرفان » عالي لواها
اشرق الدين ساطعا من سماها
واضاء اللسان في منتداها

***

لو تصورت غرة الامس منها
وسنا فجرها يشق دجاها
لتجلت اليك صفحة عز
حليت بالنبوغ من مبتداها
فاذا البيت وهو روض نضير
والفوادي تجوده بجناها
واذا ورد العلوم الصوادي
حوم بالرحاب تروي صداها

واذا الخوض في موطاه الامام «الفذ
والقوم خاشعون انتباها

واذا هالة الجلالة حفت
غرة الشيخ والمشيب علاها

واذا انت في حمى «ابن زياد»
طود افريقيا ونبع هداها

فاخفض الطرف عند مرأى «علي»
وافتح الصدر للعلوم اكتناها

«مالك» اودع «الموطا» كنوزا
و «علي» الى العقول جلاها

وبزيتونة المعاهد أفضى
بالخفي الجليل من معناها

***

ثم قلب صحيفة الامس وانظر
كعبة العلم تزدهي في ضحاها

واشهد النهضة التي بلغتها
وانتهت في العلى الى منتهاها

من يدي سابع القرون تلقت
صولجان المنى وحيت رجاها

وجرت في مجال قرطبة اغرا
وبغداد في ربيع صباها

فاذا قبلة الثقافة في الخضراء
والنابغون هم ابناها

وا لواء العلوم يعقد للبيت
واهل اللسان تبدي اتجاها

مرجع القول «لابن عرفة» لما
خط فيهم حدوده وتلاها

و «ابن عبد السلام» املى من النحو ق
ما فيه للنفوس شفاها

و «ابن عصفور» في النحاة تسامى
وله اخضع النحاة الجباها

ودرينا المؤرخين ولكن
«لابن خلدون» لم نجد اشباها

ان شخصية ابن خلدون منا
والينا وان سوانا ادعاها

وهي احدى جرائم الدهر لكن
بعضهم في بلاد مصر ارتضاها

ورأى: مذ تموت نفس بارض
فاليها حتما يكون انتماها

غفر الله نزعة لذويها
حملتهم ضلالها وخطاها

وسلام على ابن خلدون
فيمن نشأوا من بلادنا في ثراها

وتغذوا بكعبة العلم فيها
وحبتهم سماؤها بجداها

***

تلك يا نشء صفحة الامس فاقرأ
معجزات الفخار في محتواها

وصل الحاضر المبارك بالما
ضي وخل الصروف تبدي قواها

هذه كعبة الزمان فهل فيـ
ك طموح يعيد ماضي علاها ؟

هذه قبلة الشمال فهيىء
بنشاط الشباب عهد مناها

أن من تنتمي اليها وتمشي
ايها النشء في ظلال هداها
سرحة عبقرية في الليالي
بارك الله في الكتاب جناها
قد انيطت بها الاماني وشدت
بهدى الدين واللسان عراها
واراد العلى بها الله لما
بامام في المصلحين حباها
طاهر الذكر خير من هب بر
عاها ويحمي من الصروف حماها
واذا عد في الورى مصلحوها
فابن عاشور من به تباهى
طرق الابتكار في السير والا
صلاح من رأيه يفيض سناها
فارسم خطاه يا نشء تحفظ
في الليالي عهودها وولاها

فهو عنوان فخرها في المعالي
ومناها وذخرها وفتاها
وتضافر عزائمها ونوايا
واتحد حوله لاجل ارتقاها
وافخر بنا بعهد جديد
كعبة الدين فيه حيث رجاها
سجلت في سجلها خير سطر
ذهبي ينم عن مبتغاها
ان ذكرى ولاية الشيخ عيدي
فمحال علي ان انساها
وهبتني العلى لواء عليا
واسمه قد نقشته في لواها

جلال الدين النقاش



تصويب اخطاء في الجزء الرابع من المجلة الزيتونية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٤٤	١٤	مع تحقيق	مع تحقق
٤٤٥	٤	فضلا عن	فضلا على
»	١٩	لايستقي	لايستقيم
»	٢٣	بمقتضى	بمقتض
٤٤٦	١	يجز، بعضها من	بعجز، بعضها من
٤٤٦	٣	للاعجاز عن	للاعجاز عند
»	٥ - ٦	ايهام بأتوا	ايهام ان أتوا
»	١٣	اقفي	قفي
»	١٥	الاخران	الاخر
٤٤٧	١٨	بتحيح	بتصحيح

كلمة العالم الشيخ التهامي الزهار

أن المسلم ابرتاح جدا عند ما يعلم ما سارت اليه الكلية الزيتونية العامرة في بحر عام من تسلم الاستاذ الاكبر الشيخ الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه ابقاه الله لادارة هذا المعهد المبارك

في مثل هذا اليوم من الشهر من العام المنصرم سار سريان البرق نبأ تسلم الاستاذ لمقاليد ادارة كليتنا واستبشر الناس خيرا وعلقوا الامال وانبث في نفوس الزيتونيين ومن يمت اليهم بصلة روح الجد والنشاط .

وها نحن ناتي على اهم الاعمال التي حققها جنابه في مدة عام

تنقسم الموضوعات الهامة التي شملهـا جنابه بالرعاية الى قسمين :

١ ـ كتب الدراسة واساليب التدريس

٢ ـ معاهد التعليم

ـ الكتب واساليب التدريس ـ

رأى جنابه لتحقيق الغرض الاسمى في اختيار الكتب واساليب التدريس ان يركب لجنة من مدرسي الزيتونة الافاضل وبعد تعيينهم جمعهم في الراحة الصيفية بالمكتبة العبدلية وافتتح الاجتماع بخطاب نفيس بين فيه الغرض من جمعهم والفوائد المنجرة من التعاون على اختيار الكتب والبحث في طرق التدريس الموصلة الى تحصيل المعلومات باسهل الطرق واخصرها ،

وكان لخطابه رنة استحسان . وبعد التفاوض اشتقت اللجنة الاصلية من نفسها لجانا فرعية واحدة للقراءات وثانية للتعليم بالمرتبة الاخيرة وثالثة للتعليم بالمرتبة المتوسطة والعالية وبعد ان درست كل لجنة اعمالها قدمت تقريرا للجنة الاصلية واجتمعت في كرات في الراحة الصيفية للاستماع الى التقارير الفرعية والمناقشة فيها

المرتبة الاخيرة ـ كان الراي الذي يحدو باللجنة ورئيسها الهمام في اختيار الكتب هو انتقاء كتب سهلة التعبير مع اشتمالها على كثرة التمارين حتى تقوى ملكة الطالب بمعالجة القواعد العلمية معالجة تقوم مقام السليقة . فلا تكون المسائل معروفة لدى الطالب معرفة سطحية نظرية واذا ما اراد الطالب ان يطبق القواعد لا يبرع براعتها في تصورها

ولذلك عمدت الى استبدال كتب كثيرة كانت منذ عصور ماضية تدرس وسبغ عليها قدم الزمان صبغة احترام وقداسة موهومة ولم تمنع هاته القداسة الموهومة افراد اللجنة من استبدالها بغيرها او الاشارة الى الطريقة التي يجب تتبعها عند ما يعسر التحصيل على الكتاب الملائم بسبب ما نحن عليه من الانقطاع عن الشرق المزبد وبسبب عدم تشجيع المؤلفين

التونسيين على التأليف من طرف الهيئات المسؤولة، هذا وان المشيخة اعتنت اعتناء زائدا بنوع من العلوم والفنون كان الاعتناء بهما محدودا وهي الانشاء والتاريخ وتاريخ الادب ولا يخفى ما لهذه العلوم من الفوائد الجمة فبالانشاء يقدر الطالب على الفهم والافهام وادراك اسرار لغتنا العزيزة ذات الثقافة الواسعة وبالتاريخ ندرك ما للماضي امتنا من اليد الطولى في بناء صرح المدنية العالمية والمشاركة في اقرار نظم عادلة للبشر قاطبة، وبتاريخ الادب ندرك الاطوار التي اجتازها الادب من اول عصوره الى ازهاها فيقف المتأدب على احسن ما جادت به قرائح ادبائنا وشعرائنا فيدرك بذلك نواحي الفن وحسن البيان وفي النهاية يدرك اسرار اعجاز القرءان واثره الخالد في التفكير الصحيح والتعبير السليم

وقد بذلت المشيخة جهودا مشكورة في العلوم الطبيعية وخصائص الاشياء باستدعائها لاساتذة قادرين على تدريس هاته العلوم باللغة العربية وكلفتهم باقرائها بعد ان كانت معطلة من منذ صدور قانون اصلاح التعليم المؤرخ في ٤ ذي الحجة عام ١٣٥١ وفي ٣٠ مارس ١٩٣٣ ولهاته العلوم من المزايا على تقويم افكار الناشئة والهداية الى واجب الوجود ما يمكن استنتاجه من الحكاية الآتية : طالبان . احدهما زاول التعليم بمدرسة الليسي وكان شغوفا بالعلوم الطبيعية فادرك بمعرفة خصائص الكائنات انه لابد لهذا الوجود من محدث قادر ولذا كان يصوم في شهر رمضان امتثالا لامر الاله والآخر كان طالبا بمدرسة الصادقية وكان شغوفا بالادب واذا ما حل شهر الصيام لا يصوم وكانا يجتمعان ويتباحثان فيقول له صاحبه الطالب بالليسي لو عالجت علوم الطبيعة لما افطرت وصمت ولكن الاديب لا يرعوي ويسبح مع الشعراء في خيالهم وتصوراتهم

رايت ذكر هاته القصة لبيان ما للعلوم الطبيعية من جليل الاثر في هداية الناس الى الحق اذا وجه الطالب هذا التوجيه

واعتنت المشيخة بعلوم الحساب في هاته المرتبة وصار الطالب ينتهي الى معرفة القاعدة الثلاثية والقواعد المتفرعة عنها كالربح والحطيطة والتقسيم والتناسبي والخالط والخارج والطريقة المترية. وروعي بوجه خاص في علمي الجغرافية والتاريخ معرفة جغرافية البلدان الاسلامية الاتصال الوثيق بيننا وبينهم في الدين واللغة والآداب . وروعي في التاريخ التبسط في ربط ما يتصل بقصص القرءان من التاريخ القديم ولا تجهل قيمة تلكم القصص في التأثير على النشء والهداية الى الاخلاق الكريمة بما وقع من الاحداث لاولي العزم من الرسل .

كما وضع جنابه برنامجا وافيا لحفظ الصحة روعي فيه معرفة القواعد الاصولية لسلامة الجسم والاخطار الناشئة من اهمال قواعد حفظ الصحة

والاسلوب المرعي في تدريس عدم هاته المرتبة منظور فيه دائما الى استخدام القواعد ومعرفة النظائر يتدرج فيه من اتقان القواعد الى تطبيق الامثلة او من معرفة الامثلة والجزئيات الى استنباط القواعد - الاولى الطريقة القياسية - والثانية - الطريقة الاستنتاجية

- المرتبة المتوسطة -

روعي في اختيار كتب هاته المرتبة توسيع الدائرة العلمية وتنبيه الفكر الى النقد الصحيح وحسن الاختيار مع استيعاب لمسائل في مختلف العلوم والفنون.

ولذلك لم يقع اهمال الكتب المبنية على طريقة الجدل في العبارة والنقاش في الآراء العلمية اهمالا تاما وقررت اللجنة برئاسته استبدال الكتب الرائجة في هاته المرتبة باخرى غزيرة المادة سهلة التعبير. ولالا تضعف ملكة الفهم من الكتب الضيقة العبارة قررت اللجنة ان يكلف شيخ الجامع شيوخ التدريس بان يقرىء تلامذة الطريقة على التناوب دروسا من هاته الكتب في كل اسبوع

وروعي في هاته المرتبة بصورة اخص تدريس فن الانشاء تاريخ الادب والنقد الادبي وروعي في التاريخ التحليل للمواقع الحاسمة في تاريخ الاسلام وتاريخ اوربا الحديث وفتوح العثمانيين في اوربا والصراع بينها وبين العثمانيين والحروب الدينية بين الاروبيين والنهضة الفكرية في القرن الثامن عشر واثرها في فكرة الاصلاح الاروبي والنهضة العربية الحديثة

ووقع التوسع في علوم الحساب وصار ينتهي الطالب الى معرفة الانساب اللوغاريتمية

- المرتبة العالية -

هنا لم تراع الا حالة واحدة وهي التخصص والتبحر في اقسام التخصص الثلاثة الموجودة الى الآن بالتعليم العالي بالزيتونة . وروعي في القسم الشرعي معرفة الاحكام الشرعية وادلتها واصول العقيدة الاسلامية ومقاصد الشريعة واسرار التنزيل وتقوية ملكة الترجيح ومعرفة طرق الاستدلال والذلك اختيرت كتب اعلام في علوم الشريعة امثال شرح ابن دقيق العيد على احاديث العمدة وكتاب العقائد النسفية لسعد الدين التفتزاني وكتاب اعلام الموقعين

وروعي في القسم الادبي معرفة الادب الصحيح وتربية الذوق السليم واتساع دائرة التفكير وتقوية ملكة النقد وتفهم اسرار اللغة ودقائق التعبير ولذلك عينت كتب كان مؤلفوها في الذروة من جودة الفهم ودقة التعبير امثال كتاب تفسير البيضاوي ودلائل الاعجاز وشرح الرقي على الكافية وشرح الامام المرزوقي على ديوان الحماسة والكامل للمبرد

ـ معاهد التعليم ـ

ضيق نطاق جامع الزيتونة وفرعيه اليوسفي والحفصي عن ايواء كافة التلامذة الامر الذي دعا المشيخة الى المطالبة بفتح معاهد اخرى جديدة وقد لا قد حصلت على فتح جامع حمودة باشا المرادي وفتح الجامع الجديد هذا وان كنا نسر بهذا الاقبال وبفتح هذه الفروع لكن لا يسعنا الا ان نقول ان الغرض من تأسيس الجوامع انما هو اقامة لشعيرة الصلاة وان اتخاذها للتعليم انما كان اضطرارا وعند ما كان يقتصر في التعليم على ارشاد الناس وتلقينهم مبادي العلوم الشرعية والفضائل النفسية ، وبعد ما توسعت دائرة التعليم وتعددت فنونه وعلومه وصار المقصد لا يحصل الا بوسائل الايضاح المتعددة التي من اهمها التطبيقات على السبورة والكتابة في الكراريس كان لزاما علينا ان نسعى ونطالب ببناء جامعة كبرى تضم مختلف كليات التعليم العالي ومعهد كبير يأوي التعليم الثنوي بمرحلتيه الاولى والثانية وان الاموال التي تصرف في سبيل تشييد دور العلم لأتي بثمارها عاجلا لانها تغني التونسيين عن ان ينفقوا امثال امثالها في سبيل اقامة السجون واغاثة عائلات الجهلة والمجرمين .

هذا زيادة على ما يجب علينا من المطالبة والسعي في اقامة معاهد في مختلف العواصم الكبيرة داخل الايالة تسهيلا على الناس في الاقبال على العلم وتمكينا لاكثر عدد ممكن من الناشئة على مزاولة تعاليمنا الاسلامية والعربية لانها وحدها الكفيلة بعصمة النشء من الزيغ وتلقينا له اسرار الشريعة الاسلامية وتعريفا لاعظم صرح بناه المسلمون في الحضارة العالمية .

ولنفس هذا الغرض نشد الاستاذ الاكبر في اواخر العام الدراسي المنصرم الرحال الى معاهد الآفاق بسوسة وصفاقس والقيروان لانه لابد من وحدة البرامج التعليمية والادارة لتخريج متعلمين متحدي الافكار والميول والمعلومات

وفي الختام لايسعني الا الاشارة بالمشروع الجليل الذي تم في عهده الاوهو مشروع الحي الزيتوني ذلك المشروع الذي يرمي الى تأسيس بناية عظمى تأوي اكبر عدد ممكن من الطلبة تتوفر فيها وسائل الراحة وتعينهم على مواصلة مراحل التعلم .

اصلاح غلط

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٤٦٧	٢	افريقيا	افريقية
٤٦٨	١٥	شهد	شهر
٤٦٨	١٧	شهد	شهر
٤٦٨	٢٦	شهد	شهر
٤٦٩	٢٥	مذكور	مذكورا

خطــاب



الشيخ الطيب العنـــابى



مولانـا يـا صاحب الفضيلة

ايها الســـــادة .

لقد تفضلت جمعية « الاخوان الزيتونيين » النشيطة فرغبت مني ان القي عليكم في احتفالها هذا كلمة عن :

«حظ الزيتونة من العلوم الطبيعية»

فتقبلت هذه الرغبة الكريمة شاكرا . نعم تقبلتها شاكرا لانني احب من قديم هاته العلوم الطبيعية حبا شديدا. وان نسيت فلا انسى ان دروس الطبيعة التي كنت تلقيتها بالمدرسة الخلدونية في سنتي ١٩٢٩ - ١٩٣٠ احدثت في نفسي ثورة داخلية لم تخمد نارها بعد ، فما كدت انتهى من سنواتي السبع بالزيتونة المحبوبة حتى شرعت في سبع اخرى قضيت بعضها هنا واغلبها بفرنسا . وكان الفضل في ذلك كل الفضل للعلوم الطبيعية التي جذبتني اليها فانجذبت ودفعت بي دفعا عنيفا في طريق جديدة لا عهد لي بها من قبل فاندفعت ثم تقبلت يا سادتي رغبة « الاخوان الزيتونيين » شاكرا الآن حرصي على تمتيع ابناء الزيتونة وسط الزيتونة نفسها بما كنت



تمتعت به انا من قبل بعد جهد وعناء خارج ذلك البيت الكريم العتيق الذي نحبه ونجله قد دفع بي في صائفة سنة ١٩٤٤ الى تقديم تقرير مفصل طويل الذيل بواسطة الصحافة عن «العلوم الرياضية والطبيعية بالزيتونة» لحضرات الشيوخ الجلة اعضاء المؤتمر الزيتوني. ثم ان

ذلك الحرص قد دفع بي في مفتتح السنة الدراسية الحاضرة للامتثال لامر حضرة مولانا الاستاذ الاكبر عند ما دعاني الى المساهمة في تلقين العلوم الطبيعية للابناء الزيتونيين ووضع على كاهلي الضعيف نحوا من اربعين ساعة في الشهر في الوقت الذي انوء فيه تحت عبء اشغالي الخاصة الكثيرة بالادارة وبالصحافة وبالجمعية الخلدونية. ولكنني امتثلت لامر فضيلته منشرح الصدر لانني قلت في سري انها لفرصة سانحة ساحقق فيها بنفسي بعض ذلك الحلم الجميل الذي كنت احسبه صعب المنال .

ايها السادة

اسمحوا لي بان اعترف لكم بانني لم اقدم لكم بشيء جديد في الموضوع ولم احدثكم عن حظ الزيتونة اليوم من العلوم الطبيعية. وعما قام به فضيلة الاستاذ المحتفل به. وانما حدثتكم قليلا او كثيرا - ان شئتم - عن نفسي وقدمت لكم في ايجاز او في اطناب - ان شئتم - هذا الذي يقف اليوم بين يديكم واقتصرت فحسب على هذا الحديث وعلى هذا الحديث وعلى هذا التقديم .

ولكن من يدري ؟ فلعلني احسنت لنفسي ولكم في آن واحد ؟ احسنت لنفسي وهذا امر واضح لا غبار عليه. واحسنت لكم لاني لم اترك لكم بعد هذا مجالا لتتساءلوا : « هذا قول سمعناه ولكن من القائل ؟ »

فانتم تعرفون القائل الآن. وهو سيحدثكم بعد عن فكرة اختمرت في نفسه طويلا. وسيحدثكم عن خبرة وعن بينة وسيحدثكم عن تجربة مزدوجة تجربة درسية اولا ثم تدريسية بالاخارة.

اذا لنطرق الموضوع. ولنبحث اولا عن حالة العلوم الطبيعية بالزيتونة في السنة الماضية

ايها السادة : لا افيض القول في الجواب عن هذا السؤال. وكل ما يمكن لي ان اقوله هو ان العلوم الطبيعية لم تكن موجودة بالزيتونة في السنة الماضية لا اكثر ولا اقل. استغفر الله انما كانت موجودة وقد جازفت في القول عند ما نفيت وجودها . لان الفصل ٣٣ من قانون الاصلاح الصادر به الامر العلي المؤرخ بشهر مارس سنة ١٩٣٣ ينص على ان الكيمياء والطبيعة والمواليد الثلاثة المعدني والنباتي والحيواني تدرس بالزيتونة. ويزيدنا الفصل ٥٢ من الامر المذكور تاكيدا في المسألة فيقول ان هاته الفنون تدرس بالزيتونة « وجوبا ».

اذا فلقد كانت الطبيعيات موجودة بالزيتونة في الماضي.... ولكنها يا سادتي كانت موجودة فوق النسخ المطبوعة من الامر السالف الذكر وموجودة فوق تلك النسخ فقط

ولننتقل الآن الى السنة الحاضرة. ولناقش السؤال التالي: « ما هو حظ الزيتونة من

العلوم الطبيعية في هاته السنة ؟ »

اليوم وقد عاد للزيتونة الكريمة امامها .

اليوم وقد اخذ القوس باريها . اليوم وقد سكن الدار بانيها . اليوم اليوم فقط يمكن لنا القول بان العلوم الطبيعية وجدت بالزيتونة نعم ان هاته العلوم وجدت ولكن لا فقط فوق النسخ المطبوعة من البرنامج العام للدراسة الذي اعدته مشيخة الجامع بل انها وجدت ببرامجها وباقسامها وبتلامذتها وبمدرسيها ايضا حيث توفقت المشيخة الى تكليف الزيتونيين الاكفاء من المحرزين على ديبلوم الخلدونية او على بعض الشهادات الفرنسية بتدريس هاته العلوم وحيث ضمت لهم بالاخارة رجلين فنيين من متخرجي لكليات الفرنسية .

وهذا يا سادتي كثير وكثير جدا وهذا كثير لان الخطوة الاولى الخطوة الصعبة الحرجة المحرجة قد وقع القيام بها بكل جرأة وبكل ثبات وبكل حزم ايضا على الوجه الاتم الاكمل وهذا ما نحمد الله عليه

وقد اصبح اليوم في امكان التلميذ الزيتوني - ولم يكن قبل اليوم في امكانه - ان يعرف كيف تتنفس وتتكاثر الازهار . وكيف تلقح وتطعم الاشجار .

وقد اصبح اليوم في امكان التلميذ الزيتوني - ولم يكن قبل اليوم في امكانه - ان يعرف مثلا ان المقص الذي يقص به الورق هو رافعة من الروافع الخاضعة لقوانين طبيعية مضبوطة وان يفهم كيف يسير القطار . بتأثير البخار

وقد اصبح اليوم في امكان التلميذ الزيتوني - بعد ان لم يكن قبل اليوم في امكانه - ان يعلم ان الاكسوجين هو غاز الاحتراق . وان اول اكسيد الكربون هو احد غازات الاختناق وهكذا

غير انني ايها السادة لم اقف بينكم لاقتصر على مدح ما وقع والقناعة بما حصل واني اخونكم واخون ضميري والواجب اذا انا وقفت عند ذلك الحد وانه كان علي ان لا اخذ الكلمة اذا كنتم ستخرجون فقط بهذه النتيجة . بل الواجب ان تحدث كلمتي فيكم حركة وان يكون لها في نفوسكم جميعا - اساتذة وتلامذة - تأثير واي تأثير .

اذا اسمحوا لي بان اقول لكم انني ندمت عما صدر مني وان ما حصل قليل وقليل جدا واليكم البيان

هيا بنا يا سادتي ننتقل - ولو زمنا قليلا - للمعهد الصادقي . وهيا بنا يا سادتي نصرف النظر - ولو زمنا قليلا - عن الكلية الزيتونية هيا بنا ننتقل للمعهد الصادقي لنتخذ منه اداة تنظير تسمح لنا بتقدير الحال بالزيتونة تقديرا صحيحا وان كان الفرق - في نفس الامر والواقع - بينا بين المعهدين من حيث المنهج والغاية .

فماذا عسانا نجد بالصادقية حينئذ ؟ نعم

نجد بها ان سنوات التعليم سبع كما بالزيتونة ولكن عدد الساعات المخصصة للطبيعيات هنا يبلغ ٣٢ ساعة من جملة ١٦٠ ساعة اسبوعية . اي ان نسبة الطبيعيات المأوية في المدرسة الصادقية التي تفسح المجال نوعا ما للعلوم العربية والشرعية تبلغ ٪ ٢٠ على اقل تقدير .

ولو عدنا الان للزيتونة فماذا نجد بها ؟ نحن نجد ان سنوات التعليم بالزيتونة هي سبع أيضا . ولكن عدد الساعات المخصصة للتعليم بمجموع السنوات السبع يبلغ ٢١٤ ساعة . ولو كانت نسبة الطبيعيات بالزيتونة كنسبتها بالصادقية لكان لنا بالزيتونة ٤٣ ساعة في الاسبوع ولكن الزيتونة لا تزال بعيدة عن ذلك بمراحل ما دام عدد الساعات المخصصة اسبوعيا للطبيعيات هو بالزيتونة خمس فقط من ٢١٤ساعة وهو يمثل / ٢١/٣-١ (جزئين وثلث الجزء من المائه)

وهذا قليل ياحضرات المستمعين الاكارم وقليل جدا كما ترون وان الاساتذة والتلامذة مهما بذلوا من جهد فهم لا يصلون الى نتيجة قلية تكاد تذكر ولو بقي عدد الساعات المخصصة للطبيعيات بالزيتونة زمنا طويلا على هذا النحو (لا قدرالله) لبقي المستوى الطبيعي للشيخ المحصل المتخرج من الجامع دون المستوى الطبيعي للفتى المحرز على الشهادة الابتدائية المدرسية .

وهذا ما لا يرضاه الشيخ المحصل لنفسه وهذا ما لا نرضاه له نحن جميعا ولا يمكن لنا ابدا ان نرضاه له . وان تقنع له به

ومن ذلك يتحصل لديكم انه من الضروري اللازم ان تقع الزيادة في المستقبل في عدد الساعات المخصصة للطبيعيات بالزيتونة وان يقع الارتفاع حينئذ بنسبتها المأوية وان يقع على الخصوص توسيع برنامج الطبيعيات والنهوض بمستوها ولو بعض النهوض .

ايها السادة

قد يذهب الظن بالبعض منكم ـ غفر الله لسوء الظن ـ حتى يحسب انني ادعو لفتح الباب الزيتوني على مصراعيه في وجد العلوم الطبيعيه . ولكنني ابادرهم بقولي حاشا لله ! حاشا لله ! فانا ابعد الناس عن ذلك .

وانا ابعد الناس عن ذلك لانني اولا اعتقد ان جامع الزيتونة عمره الله وزاد جانبد عزا واقبالا كان ولا يزال وسيبقى بحول الله الى ما شاء الله قبل كل شيء حصن العلوم العربية والشرعية الحصين لا بتونسنا الخضراء هذه فقط ولكن بكافة شمالنا الافريقي هذا .

وانا ابعد الناس عن ذلك لانني ايضا لااحب ان تلجأ مشيخة الجامع مثلا الى اخذ برامج التعليم المدرسية الفرنسية ونسخها نسخاوتقليدها تقليدا كما هي دون تبديل اوتعديل . ودون تغيير او تحوير

اذا قالت حذامي فصدقوها
فان القول ما قالت حذام

لأنني احسب انه من العار علينا كشعب ماجد كشعب عظيم كشعب له ذاتيته القائمة كشعب له فخر بالماضي واعتداد وله امل في المستقبل واعتماد عليه ان نقنع بالتقليد دون روية وان نقتصر على المحاكات دون تأمل .

لا يا سادتي فلهاته البرامج نفسها سيئات وحسنات ولها كمالات وعيوب ثم هي قد تسرف في بعض الاحيان اسرافا مضرا وقد تقتر في بعض المواد تقتيرا مجحفا . ومن واجبنا - نحن - والحالة تلك ان نقتبس منها الحسنات والكمالات وان نعرض عن السيئات والعيوب وان نحذر بالخصوص كل الحذر من الوقوع في اسرافها المضر او في تقتيرها المجحف . ومن واجبنا ان نقتبس من البرامج التعليمية لكافة الامم الاخرى الغربية منها والشرقية وخصوصا الشرقية كل ما نرى في اقتباسه نفعا وفائدة . حتى يستقيم لتعليمنا منهج واحد صالح بنا ملائم لبيئتنا الاسلامية العربية متمش مع حاجياتنا القومية في عصر يسمى بحق «عصر القبيلة القومية» .

ونحن اذا قلنا ذلك فانما نقوله اعتمادا منا على ماض قوي متين مفعم بالمكارم والعمل الصالح بكل ما في الصلاح من معنى في عصر كانت فيه هاته العلوم المسمات اليوم تجوزا بالعلوم العصرية علوما عربية . علومنا نحن اهل الشرق وفنياته وحده

ولكنما العلم قد غربا
فلا عيش الا اذا شرقا

وسيشرق العلم من جديد بحول الله وسيشرق علينا من جديد وتلك سنة الله في خلقه . وسيعود العلم لنا لاننا نريد ان نعيش ونريد ان نسعد .

ولعلنا قد قطعنا اليوم مرحلة التأمل في الماضي للوثوق به . ولعله يجب علينا ان تتجه ابصارنا دائما الى الامام وان تتطلع نفوسنا دائما الى المستقبل . وان نحاول بالعمل بعد ما حاولنا بالقول مجارة لعصر والتغلب - ان شاء الله - في حلبة السباق به . فالانسان ابن يومه لا ابن امسه . والرجل الكامل هو ذلك الذي يتلاءم مع عصره ورحم الله ابن عمنا العربي النبيل حيث يقول :

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه
على ما تجلى يومه لا ابن امسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما
فخار الذي يبغي الفخار لنفسه

ففي قوله هذا حكمة بالغة خالدة نستنير بها ان شئنا ونهتدي والله ولي التوفيق .

الطيب العنابي



أيها الاخوان من زيتونة

للعالم الاديب الشيخ محمد التهامي عمار

بـاسمك اللهم نملي الخطبا
انت علمت البيان الخطبا
أيها الاخوان من زيتـونة
ومن العـلم جعلتم نسبـا
لكم منـا التحايا قبلكم
سنحيي وستحيي العربـا
يا شبـاب اليوم اشيـاخ غد
افلا تصبون فيمن قد صبا
ان فيـكم صبوة « محمودة »
تنعش الروح كما هب الصبا
صبـوة للمجد في عليـائه
يا بنـاة الصرح مدوا السببا
وارتقوا نحو السموات العلى
سوف نرقى للسما مرقى الربا
ربمـا سخرهـا الله لنـا
واراضيه جميعـا واجتبى
علم الاسمـا ابـانـا وله
اسجد الامـلاك الا من ابى
ارلسنا خلفـاء الله في
ارضه استخلفنا واحتجبـا
هـا هو القرآن في ايديكموا
فـارفعوا عن دفتيه الحجبا
اننا لسنـا كاهل الكهف ان
ضرب النـوم علينـا طنبـا
نومة الجهل اصابت مقتلا
من نفوس وتعاطت عطبا
يـا لك الله عـدوا خـطرا
اورث الذل واخزى وسبى
ادفعوا الجهـل بعـلم نـافع
يبعث الموتى لتحيى حقبـا
علموا الاسما علوما كلها
كي تفوزوا وتنالوا الرتبا
كل علم نـافع الا الذي
يزرع البغضاء بين القربـا
ودعوا التفريق ظهريا فمـا
بسوى التوحيد نقضي اربـا
واجعلوا رمزكم زيتونة
بوركت والنور منهـا ما خبا
واقتدوا بـالشيخ في سيرته
سير حزم رغبـا او رهبـا
فهو شيخ شب في مشروعه
كان خير ابن وللابنا ابـا
شيخنا الطـاهر في مقصده
يا ابن عـاشور وقيتم حربـا

جامع الزيتونة استبشر واهـ
تز منها ككل فرع طربا
اذ وليتم امرها في حكمة
جامعا ما فرقت ايدي سبا
انت عنوان اتحـاد في هوى
لفـروع عشرة ضـم القبـا
تبتـغي الاصلاح للاصل ولك
فرع والجمع لشمل وجبا
يا ابن خلدون ويا استاذنا
يـا امـاما لا يبـالي النصبـا
ادع بـالحكمة والحسنى فمن
خـطاب العليـا ادام الطلبـا
قسما بـالصحب عشرا ووصا
يا الليالي العشر في خير نبـا

بيوم ذي نجـاة من ردى
يوم عـاشوراء موفور الحبـا
مـا نجت من امة الا اذا
وحـدت صفـا وقلبا قلبـا
انمـا دينـنا توحيـد قـلـ
ـوب ورب ومحيد عن غبـا
هذه شرعة طه فـاقتـفوا
كل من لم يقف طه كذبا
قـله ازكى صـلاة انه
اكمل الدين اتم الادبـا
وله منـا سلام فـهو من
قد هدى سبل السلام النجبا
ما اقـامت حفـلة اخواننـا
وتـالى الخـطبـا والادبـا

تنبـيه

وقع سهو عن تبديل تاريخ العدد الفائت وفي اول هذا العدد في اسم الشهر واعداد الجزء فوجب اصلاحه . وصوابه هكذا :

الجزء ٤ ـ ٥ ـ ٦ في الجزء الفائت الذي هو العدد الثالث

والجزء ٧ ـ ٨ لهذا العدد

وتاريخه محرم ـ صفر ـ جانفي ـ فيفري ١٣٦٥ ـ ١٩٤٦

كلمة فرع سوسة

للعالم الشيخ التيجاني بو راوي المدرس بالفرع الزيتوني

في مثل هذا اليوم لسنة خلت زف للامة التونسية نبأ عظيم كانت الالسن تنقل بشائره بين الافراد والبرق يرسم حديثه للعيون . والمذايع تذيع خبره في الاصقاع ، والهواتف تسر امره الى الاسماع فإذا القلوب تفعم حبورا والنفوس تفيض سرورا والوجوه تنبسط استبشارا . ذلك هو نبأ رجوع الاستاذ الامام علامة القطر ومولانا الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور الى الكلية الزيتونية يدير شؤونها ويدبر امورها . وبمجرد ما ذاع هذا النبأ اشرأبت لكليتنا الاعناق وتطلعت اليها الرؤوس وتوجهت نحوها القلوب ثم هرعت الى الحاضرة كتائب الوافدين من طلاب العلم كسيول تنحدر دفاقة بعد ان تحطمت عنها السدود .

استوى شيخنا المبجل على اريكة الادارة العلمية لكلية الشمال الافريقي فتناول الدين باليمين والدنيا بالشمال فالف منهما قانونا ابوابه الدين وفصوله العلم وفقراته الفضيلة وقدمه للزيتونة المباركة شرعة ومنهاجا تسير على سراطه فلا يضل لها سير ولا ينفرط لها انتظام

يزعم الناس ـ وحقا ما زعموا ـ ان شيخنا عصري الرأي . ميال للتجديد ولوع بمسايرة الزمن . شغوف بمستحدثات العلم . حريص على السير بكليته في قافلة التطور .

اجل ... ! وانه مع ذلك لأليف المصحف وسمير القرآن وجار الله في هذا الزمان بل ان هذا هو الغالب عليه والمتحكم فيه حتى ان العارف بشخصه لايكاد يذكره الا مقرونا بحل لمغلق من معجز القرآن اولكشف عن مستور من اسرار التنزيل ، واذا فلاغرو ان رايناه يجعل للقرآن النصيب الاوفر والحظ الاكبر من مواد الدراسة التي يتلقاها الطالب الزيتوني فور اندراجه في التعليم .

وقد ابت همته العالية ـ ابقاه الله ـ ان تقصر عنايته او تختص رعايته بالجامع الاعظم وفروعه بالحاضرة بل راى ان يتجشم المشاق ويقتحم الصعاب فارتحل الى الفروع الرسمية بالافاق فزار منها ثلاثة كان من يمن زيارته لها ان استحكمت بها حلقات الدروس وتوافد عليها الطالبون من كل حدب وصوب حتى ضاقت بهم مدارس السكنى فاضطر البعض الى سكنى الزوايا .

وانه لمن دواعي الغبطة ان نقول ان الفروع اليوم اصبحت تسير مع الاصل « حذوك النعل بالنعل » وتقتفي اثره قدما بقدم . وان كان

لاحد فضل في ذلك فانما هو لشيخنا الهمام الذي يتعهدها بالارشاد ويتولاها بالمراقبة والاشراف . فهو الذي احكم ربطها بالاصل حتى اصبحت له جزءا من كل وعضوا من جسد وقدبدا رعاه الله في انجاز ما وعد به من اعتبار المدرسين بالفروع مثل زملائهم رجال الطبقة الثالثة بالاصل فظهرت منه المساعي الحثيثة في هذا السبيل متشخصة فيما بسطه مشافهة لدى مجلس الاصلاح ومراسلة لدى المجالس الكبرى وفيما بذله من جاه ونفوذ لدى كل المراجع ذات النظر . هذا واننا لنهتبل هذه النهزة السانحة لنفصح عن امل طالما تردد في خواطرنا وجال بنفوسنا الا وهو ان يصير كل فرع من الفروع الرسمية اصلا لما حوله يضم اليه شتات الدروس المبعثرة في الداشر والقرى تلك الدروس التي نأمل لها ان تتكفل باعداد المرتبة الاخيرة ليتسنا للفروع ان تتوفر للمرتبة الثانية حتى لا تكون دون المدارس الثانوية الحكومية بسوسة وصفاقس مثلا .

وفي الختام نتقدم الى ابنائنا طلبة الزيتونة عموما بمؤازرتنا لهم في مطالبهم المشروعة ورغائبهم المعقولة التي يرومون من تحقيقها ان تستكملوا الضروريات الحياتية في منازل الاقامة ومحلات التعليم وان تحفظ كرامتهم باعتبار شهاداتهم اعتبارا لائقا بما بذلوه من الجهود في السنين الطوال حتى يمكن لهم ان يشقوا بها لانفسهم طريقا في الحياة يضمن لهم ولما يكونونه من الاسرة والعائلة عيشا رغيدا وعهدا سعيدا .

ايها السادة ... قد مضى علينا حين من الدهر ونحن لانزال في طور التشهي والتمني فهل آن لنا ان نعمل لرفع مكانتنا بين الناس وشرفنا في التاريخ ؟... هل آن لنا ان نخلع ثياب الخمول وان نغير ما نحن عليه من جمود اليس القرآن يقول ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ...؟ الم تصغوا الى تلك الروح الزيتونية وهي تهيب بكم من عالم الخلد بلسان المرحوم ابي القاسم الشابي :

اذا الشعب يوما اراد الحياة

فلا بد ان يستجيب القدر

والسلام عليكم ورحمة الله

القاها بالنيابة الشيخ التجاني بوراوي .



كلمة الشيخ الصادق بسيس

يا فضيلة الاستاذ الاكبر

يا ابناء الزيتونة المباركة

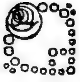
ان المكافات على الجميل والاعتراف بعوارف الكرام من الناس والاشادة بمناقب المصلحين والتغنى بمحاسن العباقرة لفضلة عالية من الفضائل التي يجب ان يتحلى بها ابناء الزيتونة قد تحلو مصادر افضل ومظاهر المكارم ومجالى الاخلاق السامية والخلال الجلائل لقد كانت بحمد الله تعالى الزيتونة المباركة وما تزال غرة شادخة في تاريخ هذه الامة الماجدة ومبعثا لنيل الاماني وذريعة لابتناء الامجاد والمفاخر التي تحلق بها الامم في آفق العزة والكرامة وتضيف الى الماضي السعيد حاضرا عتيدا ومستقبلا مشرقا بهيجا يجعلنا في مصاف الامم التي اخذت مكانها العزيز في الدنيا وقطعت في السير الى المعالي مراحل بعيدة اننا نجتمع في هذه الآونة الطيبة محتفلين بشيخ الزيتونة المصلح وقائدها الامين وزعيمها الجريء وابيها الحنون والذي نفسي بيده ما احتفلنا بك الا لما راينا من فضلك على ابناء الزيتونة وما بذلت وما جاهدت وما اصلحت وما ابدعت من مناهج متينة صالحة لبث الروح العلمية في كليتنا العامرة وجامعتنا المقدسة حارسة الاسلام وحامية العربية ومفخرة الخضراء ماضيا وحاضرا لقد مضى عام على ولايتك العزيزة عام مخصب ريان عام عامر بالمشاريع القوية فياض بالاصلاحات الحية عام قطعت فيه الزيتونة مراحل مجيدة ستتصل بموالاة السير في هذا الميدان الى ما يرجى لها من سعادة راضية وتطور اصيل الدعائم واضح المعالم .

لقد تبينا عن كثب اعمالك فراينا مصلحا حازما نافذا لا تعيقك العقابيل ولا تثنيك العقاب .

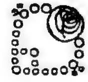
غيرت منهاج التعليم وقلبته راسا على عقب وابدلت الكتب وفتحت آفاقا جديدة من الثقافة الحديثة في وجه ابنائك فولجوها بعزائم صلاب وقرائح متشوقة الى الجديد طموح الى الصالح من كل ما احدثه العقل البشرى من طرائق مستجدة في البحث واساليب حية في العلم .

ان هذه الافكار المتعطشة الى الاصلاح من شيوخ وتلاميذ تلقت في اصلاحك تحقيق امانيها التي طالما حجبتها عن العيون وحرمت من ثمراتها القلوب عقول معقولة وادمغة مكبلة لقد كنت ايها الاستاذ الاكبر في شبابك عبدي الفكرة مناري الوجهة ومن كان من ذلك الرعيل الصالح والسرب المبارك عاش يحمل الاصلاح وها انت ذا في ميدان اصلاح طالما تمنيت ان تراه كما تريد فلتحقق آمالك ولتبسط

صفحة الشباب



كلمة امين مال الجمعية



الشاب الاديب محمد كدوس

سادتي الافاضل ، اخواني الاعزاء !

ان هذا اليوم الذي نحتفل فيه بشخصية مصلح كبير ومجدد للزيتونة المباركة لهو من اطيب الايام عندنا ، كيف لا ونحن الزيتونيين طالما تعطشنا لمن ينقذنا من هاته النظم التي تناسب القرن الثالث الهجري تقريبا تلك النظم التي فرضت علينا الجلوس على الحصير ونحن نقتني العلم في محل عمومي هو بيت الله تعالى نعم ندرس العلم بكتب طويلة مملة غير منقحة ولا مناسبة للقرن الرابع عشر هذا القرن

اما الله في حياتك الغالية ان فضيلتك الكبرى هي شجاعتك وما اصيب الاسلام الا من جبن علمائه وتفضيلهم حياة الدعة والسلامة على حياة الكفاح والنضال

وكم قضى الجبن على افكار صالحة ومناهج فاضلة وكم فتكت الدعة على فضائل ومواهب عاشت مكبوتة مغللة وحرمت اصحابها من امجاد وحسنات .

الا سقيا ورعيا لعهود كانت فيها علماء الاسلام لاتاخذهم في الحق لومة لائم ولولا جراتهم ماخلدوا في التاريخ ورددت الايام والليالي اصداء حياتهم الصائلة الجائلة تلك حسنتك الحسنى وتلك فضيلتك الجميلة بها تصاح وبها تعالج وعليها بعد الله تعتمد وعلى جندك الزيتوني العتيد لنقبل على مناهل الاصلاح اقبالا ولنسرع الخطى في هذا المراد الجليل فقد تاخرنا كثيرا على حين تقدم الناس .

لنكن الزيتونة نبلة الجميع في العمل ولنضع في سيرنا السريع قاعدة لانتخطاها هي ان تتزود من قديمنا بما فيه من ذخائر لمينة بالقوة والمتانة والصلوحية للزمان فبالقديم نستطيع ان ناخذ من الجديد وان نقتبس من الحديث لان قديم هذه الامة العربية المسلمة هو جديد على الزمان بما فيه من مواد نفيسة ومواريث فياضة بالحياة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الذي ضرب فيه اخواننا من ابناء آدم الرقم القياسي في التقدم وكأني بهم بلغوا الكمال الممكن واضحت افكارهم الطبيعة حتى صعدوا قمة الجبل حينئذ يجب علينا ايها الاخوان تحريض العاملين من رجالنا ومد يد المساعدة لهم وتخليد ذكراهم والعمل معهم فيما فيه السعادة والفلاح .

ونتمنى ان تتجدد ايام الذكريات والمسرة المقبلة بتجدد النظم وبتحطيم اغلال القرون الوسطى البالية على صخور الطاقة الذرية قرن التقدم والاكتشافات .

سادتي لقد اتى عميد كليتنا الزيتونة العامرة ومديرها الحالي الجديد الا ان تتماشى كليته مع القرن العشرين فترك من النظم القديمة ما وجب تركه وادخل من التحسينات العصرية ما وجب ادخاله ولا زال مستمرا بحمد الله في اداء ما رآه واجبا عليه مسدلا اياديه البيضاء نحو محط انظار الشعب والزيتونيين الهاتفين به .

ولست محدثكم الآن كيف صار الطالب الزيتوني يخوض في المسائل الفلسفية ولا كيف يرعى انتباهه للبحوث الاسلامية ولا متكلما عن توفر العلوم الرياضية وانما اريد ان احدثكم رغم ضعفي هذا وصوتي الابح عن حقيقة لا يحجبها حاجب ولا يضلها ستار : حقيقة انتم تعلمون ماضيها المنحط التعيس ولكن علكم تجهلون جو مستقبلها الصامت الزاهر اريد ان احدثكم عن مأوى الطالب ومحل سكناه الذي يؤثر بالطبع على سير تعليمه متعرضا لماضيه وحاضره بايجاز وبقدر الامكان فاقول :

منذ ما عرفنا المدارس وحسبما حكاه لنا روادها واخواننا الطلاب الاقدمين فهي عبارة عن ديار كسائر دور الحارة العربية العتيقة غالبها مربع الشكل بوسطها اساطين قائمة اشبه شيء بالزاوية .

ولكن هي مآوي وملاجي عمومية يختلط فيها الصالح بالطالح من الاحبة والقرناء اوقل فهي فنادق تكترى وتؤجر يبيت فيها الطالب وغيره على حد السوى الى ان اتت سنة ١٩٣٦ فتحسنت حالتها بعض التحسن بما ادخلت فيها الحكومة من نور الكهرباء ومن تجديد ابوابها ونوافذها وما هاته المرافق المادية الا فيما غير مترقب تنعم به اولو السمر واللهو ولذة سعدت بها ارواح التائهين المتهورين

فكؤوس الشاي تدور حولنا ، ولعبة الاوراق تسلينا ، والالحان الشجية ، والصوت الرنان ينعش نفوسنا ، ونحن راضون مغتبطون صباننا وشبابنا ولكن الى متى ؟

قد يبدو الحق مرا علقما ، ولكن حلو عذب لنداوي امراضنا ، فصبينا تدهورت اخلاقه وتعلم ما تعلم ، وشابنا بلغ اعلى القمم ولكن عذرا ما عسى ان نلام والذنب ليس بذنبنا ، فالحرية معبودة ، والنفس امارة والرقابة مفقودة والروح حالمة .

نعم اخواني دخلت بعض التحسينات المادية وتنعم بها غيرنا ، ومازال الطالب يطبخ ويغسل ثيابه بيده ، والزوار تتوافد . والاجتماع بالاصدقاء والخلان ينمو ، ولم يوجد بالمدرسة من القائمين بشؤونها وبمن فيها سوى شيخ يزورها شهريا وناظر لاهيا بعمله كثيرا لزهد اجرته الحقيرة ، ومثله منظف ليس بحارس وحينئذ فالمدرسة بقيت في حالة اهمال في حالة سطو بالليل وسرقة بالنهار في حالة اوساخ متراكمة . ونحن نريد تتميم دراستنا وبلوغ آمالنا والتحصيل على ثقافتنا ـ كيف يمكن هذا بربكم ونحن مجتمعون بمقر بيتنا بالزائر التاجر والصانع والعامل والمتقاضي الخ...

لا والله نحن هاجرنا بلادنا للدراسة لا للسياحة والطرب ...! وهكذا سادتي مضت السنون الطوال والمدارس والزوايا في حالة يرثى لها الى ان بزغ فجر غرة فيفري سنة ١٩٤٥ واذا بالامام الجليل ينتصب على راس المشيخة من جديد منجدا حالة الطالب الادبية والمادية ومسكنه المتأخر لعلمه ان النظام قوام الاعمال وعلامة على حضارة الامة ومجدها .

فقد كلفت سماحته احد اعيان المدرسين من الطبقة الاولى المشهورين بين ظهرانينا بالنزاهة والنشاط والاخلاص في العمل بان يدير مصلحة المدارس لسكنى الطلبة , وها نحن نرى اليوم الخطوة الاولى التي خطاها مدير المدارس المحترم بدات تظهر ثمارها الامر الذي جعلنا نعتقد وان مبدأه هو السير على منوال المدارس البياتة الدولية مع الامتياز بفرض الاخلاق الاسلامية النبيلة ، وبعمله هذا انتج للمدرستين نظاميتين تضاهيان سائر المدارس النظامية الا وهما مدرسة الحبيبة الكبرى والتوفيقية واسس بهما جميع المرافق الضرورية لطالب العلم من مطاعم ومغاسل لغسل الثياب ، وتقسيم اوقات الراحة والعمل والنظام عند السير لمزاولة التعليم والاياب منه ومن قيمين ساهرين على راحة مكفولهم ، بحيث ان الطالب اليوم صار له الوقت الكافي للكرع من مناهل العلم ، اذ ليس من شؤونه الطبخ وغسل الثياب ولاضياع الوقت بالمقاهي او الجولان بالشوارع في غير اوقاتها

وصار التلميذ البات اليوم اذا اشكل عليه درسه يجد الاعانة والتوفيق الى حل الغوامض من طرف اباء او اخوان ساهرين على راحتهم بالليل والنهار .

فالنوم عنده بتنبيه الجرس ، والنهوض باكرا كذلك بالوقت المحدد لو رايت ايها الزيتوني المتبصر اخوانك النظاميين اليوم في ساحة الرياضة لارتاح ضميرك واطمأنت نفسك فهم يذهبون في الوقت المعد الى سطح الطبيعة الفسيح الارجاء الى اهم الحقول كي تغذيهم بطلق هوائها وشذى طيب ازهارها .

ان اصفرار الوجه اليوم قد انهزم بهجوم

حمرة الدم المتدفق ، وان الجمود والانكماش بعقر البيوت قد قضى نحبه ' ولن تعد ترى اخاك اليوم الا شبلا مفتول السواعد قوي البنية جسور يتحمل الشدائد يمكنك ان تعتمد عليه في كل الرغائب .

سادتي لست في حاجة للتعرض الى منافع الرياضة وقد ادركنا مغزاها ' ولكن استبشر بتصريح مدير المدارس المحترم الذي جعلها كاجبارية على مكتفوليه باذلا الجهد لتعميمها فالنصر مساعيه ولقد تفضل جنابه علينا بالبيانات التالية فيما نحن منشوقون اليه الا وهو عمله الذي قام به ، وما عقد العزم عليه ، فمن براحجه تقسيم المدارس الى ثلاثة اقسام لاسكان الطلبة حسب رتبهم العلمية الثلاث وذلك حسب ماجاء به قانونها ' وقد ابتدأ فعلا في تنفيذ خطته باسكان افواج من تلامذة المرتبة الابتدائية بسنواتها الاربعة . فسكن من مدرسة القائد مراد ـ الحفصية فوجا من تلامذة السنة الاولى ومن التوفيقية والحبيبة الكبرى تلامذة السنة الثانية كما اسكن البعض من السنة الثالثة والرابعة المدرسة المنتشئية .

وقبل عددا كبيرا من التلامذة على اختلاف رتبهم الامر الذي خفف عليهم وطأة السكنى في هذه السنة .

وقد قرر جنابه باتفاق مع لجنة المدارس تحوير توزيع المساكن من البيت الى الفرش تسهيلا لتعميم الفائدة كما قرر مراعاة ـ القرابة والالفة في المساكنة، وابدال الحالة القديمة التي كانت عليها ـ فروش التلامذة بحالة تلائم النظم العصرية .

ولقد ادخل ماء زغوان لقسم من المدارس تسهيلا على ساكنيها من عناء الابار واخطارها واحدث مطاعم يكون الاشتراك فيها اختياريا . ولمراعاتمالية جمهور الطلبة والظروف العصيبة حدد الاشتراك فيها ـ بالف فرنك في الشهر .

هذا وقد جعلت حراس بالمدارس لحفظها من دخول الاجانب وصد العابثين بها وللعناية بتنظيفها وبذلك صار التلميذ في مأمن ، كما وقعت ترميمات اصلاحية على قسم من المدارس وصار الاسراع بالاصلاحات الضرورية ممكنا وتوفرت مواد التنظيف . .

وقد قرر جناب المدير المحترم الاعتناء بالجولات الاستطلاعية والوقوف على الاثار التارخية وترقية حالة المدارس الادبية اما من الناحية الصحية فقد وقع احداث غرفة بادارة المدارس للمعالجات الاستعجالية وتسليم ما يلزم تسليمه من الادوية وتبخير كافة بيوت المدارس.

ولكن ايها الاخوان نرى الخطوة الاولى الاصلاحية للمدارس تبرز في ثوب قشيب ونحن مشتاقون اليها اشتياق الظامىء في الصحراء ـ القاحلة للماء الزلال وصار الطالب الزيتوني ليس راضيا بها فحسب بل مرح لها والطربته

شعوره لاننا سئمنا العيش في هذا الجو وشعرنا بالتأخر في نظمنا الثقافية والاجتماعية في هاته الظروف التي راج فيها العالم وتزلزل بها الكون.

يا حضرة المدير المحترم عملا بالملاحظة والنقد النزيه الصالحين لكل المؤسسات والمشاريع الراقية، فاننا نرغب منكم ان تنجدوا حالة التلاميذ الصغار بالمدرسة الحفصية تلك المدرسة - وعار لها هذا الاسم - التي لا تصلح لسكنى صبياننا ما زالوا في طور النمو الجسمي - والذين نخشى عليهم من جدرانها المخيفة...

كما اننا نلاحظ لحضرتكم هل اذ كنتم عقدتم العزم على اخذ جميع الجناح الشمالي للمدرسة السليمانية وجعله كمكاتب لكتابكم الامر الذي يجعل تلك البيوت الست الفاتحة النوافذ للطريق غير متمتع بهوائها الطالب اليات.

والذي هو جدير بالاهتمام ويجب التبصر اليه هو ان تتخذ الادارة شعارها الرفق واللين في المعاملة مع الطلاب كما يجب عليها - نشر دعايتها في كل عمل قامت به او تنوي اقامته في نطاق زيتوني محدود حتى لا تترك مجالا للانتقاد الاعمى عن مشروعها الفتي. ونرغب من فضيلتكم ايضا بعد تخصيص مدارس لذوي المرتبة العلية ان لا يعاملوا بما يعامل به بقية التلاميذ الصغار المرتبة ذلك لشعورهم بواجبهم وبالمسؤولية الملقاة على عاتقهم

وبهاته المناسبة اقسم لزملائي المستمعين انني لو وجدت شيئا آخر يستحق النقد او الملاحظة لا اقترحته، ولكن ما عساني ان اقول والشيخ طيب القلب مخلص في العمل، وناهيك بما سمعته من طرق خاصة انه عندما ضاقت رحاب المدارس بالطلبة اسكن البعض منهم بمحله الخاص كما اعان مشروع المطاعم كذلك.

واخيرا لا يسعنا ايها الاخوان الا الاعتراف بالجميل للمصلح المجاهد - الامام الجليل، مدير الجامعة الزيتونية الجديدة.

كما اننا نحيي من صميم افئدتنا نائبه للمدارس النزيه الذي لا زلنا ندين له بالشكر

ولا اخال روح ابن الحجاب المقدسة الا ترفرف مشاركة لنا في هذا الحفل المبارك، الى الامام ايها الجامع المعمور، الى الامام - بقائد يقظ ويحسن القيادة، فليحي الجامع المعمور وليحي مديره الحالي -

محمد كدرس

كلمة الرابطة الرياضية

للشيخ محمد المازوني

يا صاحب الفضيلة سادتي الاعزاء

انني لسعيد بهاته الفرصة الثمينة التي خولت لي أن اتكلم لا كخطيب فانى لست من ارباب الخطابة بل كشاب هزه الشوق ليعبر عما خالج ضميره من الفرح والسرور بدخول شيخنا الجليل في عامه الثاني الذي نتمنى ان يكون فاتحة لاعمال جديدة تتلو سابقتها في السنة الماضية . ولا ادع هاته الفرصة تمر دون ان اكشف لكم عن خواطر وآمال وكم تكثر الآمال في عصر نجد فيه من يعي كلامنا ويحظى منه بالقبول . انني بصفتي نائبا عن الرابطة الرياضية الزيتونية سيكون كلامي في دائرة الرياضة وما هو حظ الشاب الزيتوني منها ان الرياضة بالجامع مفقودة وحق الزيتوني فيها مهضوم في وقت هو اشد الناس احتياجا اليها . انه ليؤلمنا جدا ان نرى ميادين الرياضة زاخرة بابناء المدارس وحتى البنات يقضون وقتا في التمارين الرياضية التي تفرض عليهم فرضا وتعتبر كدرس رسمي ينال العقاب كل من تخلف عنه ونحن ازاء هذا لا نعرف من الرياضة الا اسمها والرياضة كما لا يخفى احسن ما ينتفع به التلميذ في مضني دراسته فهي تعوده تحمل المشاق دون ملل وهي تقوي في ساعديه ولا تدع دورته الدموية تسير الى الركود . وهل من المعقول ان نسعى لاخراج نشء مثقف نير العقل ولكنه منهوك القوى اصفر الوجه خائر العزيمة ان لم نسعفه بالرياضة . قد يقال ان في الجامع جمعية الرابطة الرياضية الزيتونية وهي تكفل لنا باداء هاته الرسالة . ان الرابطة تعهدت ان تبث الرياضة في اوساط الجامع بفضل المجهودات الجبارة التي بذلها ولا زال يبذلها رئيسها الجليل العالم العامل سيدي محمد صالح النيفر وهي المحتاجة الى المال الى الاثاث الى اساتذة اختصاصيين الى مكان خاص بها الى مسيرين لا يضيعون في سبيلها ساعات الدرس الى غير ذلك . هل تعلمون كم عدد المنخرطين في الرابطة انه لا يزيد عن المائتين حتى في هاته السنة التي تفضلت فيها مشيخة الجامع بتكليف حضرة مدير المدارس بارسال الطلبة الداخلين تحت نظامه كل اسبوع للتمرين اجباريا وهو عمل نشكرها عليه شكرا جزيلا . على انه لا ينبغي ان نحط من قيمة ما اسدته الرابطة من الفوائد للجامع في سنينها الماضية فقد شاركت في مباريات البطولة بكرة القدم واحرزت على عدة

انتصارات وانتجت عدة افراد في قسم الكرة وسباق الارجل ورياضة البدن حتى اصبح غير الزيتونيين ، يقدرون هذا المجهود حق قدره ويقيمون لشباب الزيتونة وزنا في ميزان الرياضة ولكن هل يجدينا هذا نفعا . هل يغني انتصار فرق الرابطة في مباريات كافة الزيتونيين عن الرياضة اللهم الا اذا اصبحت فرض كفاية ونحن نريد تكوين شباب كامل واعداده لان يخوض معترك الحياة لا بفكر ثاقب فقط بل بجسم قوي ايضا قادر على تحمل المشاق له من العزم والشجاعة ما يحقق له امله ولايتم هذا بدون الرياضة فهي التي تكون فيه ذلك الجسم وتلك العزيمة واخيرا لا يسعني الا ان ارفع على كاهل الاحترام باسم الرابطة الرياضية الزيتونية اقتراحا لفضيلة امامنا الاكبر شيخ جامعنا المصلح وهو جعل الرياضة في الجامع اجبارية وتخصص وقت من الموازنة للتمرين الرياضي وايجاد ميزانية خاصة بالرياضة لاشتراء ما يلزم من الاثاث و الآلات لتعاطي جميع فنون الرياضة من كرة القدم وكرة السلة والقذف والعاب القوى وسباق الارجل وغيرها وايجادة اساتذة اختصاصيين في هذا الميدان وايجاد الامكنة الكافية لايواء عدد عظيم من الطلبة على التناوب يؤدون درسهم الرياضي على احسن ما يرام ويكونون في الوقت نفسه قد اعدوا جسمهم لتلقي دروسهم العلمية بكل نشاط وعزم واخيرا ندعو الله ان يمهد الطريق ويذلل العقبات لمديرنا الفذ حتى يحقق لنا هذا الامل الذي طالما خالج ضمائرنا ويفتح بجانب الاصلاحات العظيمة التي اجتمعنا الآن للتنويه شانها والله يحقق الآمال

محمد المرزوني المراقب العام
للرابطة الرياضية الزيتونية

في عالم المطبوعات

الاسلام اليـــــوم

اسم كتاب ظهر أخيرا خلال الحرب بقلم م. ادبيري ودوم لندو تكلم فيه عن حالة المسلمين في العالم العربي وغيره . وخص الكلام على مرسى عدن باليمن . والعراق . ومملكة ابن السعود وسوريا وفلسطين . وشرق الاردن ومصر الحديثة والسودان المصري والانقليزي وليبيا وشرق افريقيا وافريقيا الغربية . والجزائر وتونس والمغرب الاقصى وفارس وافغنستان والهند ومالزيا ...

تكلم على المسلمين في هذه الجهات بكلام خبير ودقة وتجرده واستعان بخبراء كل قطر وعلمائه فجاء كتابا نفيسا وسفرا حافلا وقد زينه بالخرائط والرسوم فزادته جمالا على جماله .

وربما اقتطفنا من درره بعض المباحث لقراء المجلة الزيتونية حسب رغبة المؤلف في نشر اثماره في الاوساط العلمية الراقية وبين علماء الغرب . والمجلة الزيتونية منتشرة كل الانتشار في هذه الاوساط وهي مجلة العلم والعلماء بلا منازع .

احبـــــك...

للاديب الشاب محمد الصـالح الشتوي

احبك من يوم يسجله الدهر
ويبقى على مر الزمان له ذكر
به هتفت في الكون السن يعرب
وردد في ساحاتها النثر والشعر
به عمت البشرى فرددت النهى
ثناء وكان الزهر يعبق والعطر
به اسست الخضراء آمـال امة
وقيل قديما طابق الخبر الخبر
احل حل من تهواه في الناس انس
والقى عصى موسى فقد بطل السحر
امـام على كل العقـول مقدم
له الرتبة العليا له الشان والامر
تربع في عرش المهابة والعـلا
ومن فيضه قد امرع العقل والفكر
وهل يستطيع الشعر حصر فضائل
وهل يمسكن السد اذ زخر البحر
وما غايتي بالشعر ابغي مثوبة
ولكنه دين يـوفي به الحـر
لتهنـا اقـوام ويـهان معشر
وتخرس في افواههم السن غدر

واني امرؤ حبي الفضيلة انما
حياتي لها وقف والا فلي قبر
وليس سواها في الامور يهزني
ويلذه سمعي ويعشقه الفكر
خصوصا اذا كانت لقومي ومعشري
فتلك التي حقا لها مني الشكر
ليشهد كل النـاس اننـا معشر
نحب العلا معبودنا الفخر والذكر
نطالب بالاصلاح قد بح صوتنا
فهل من فتى يمشي بعزة النصر
لنـا امل في قائد النشء والالى
غدوا حوله يحدوهم الصدق والظفر
فسر بسفين القوم انت زمامهـا
تصرفها لا يلوك المد والجزر
وهذا الشباب الحي يهتف باسمكم
فلا ينثني دوما وان عزب الامر
فكونوا له في النائبات يكن لكم
وفي تنـتض منه المهـندة السمر
لتحيا الى الخضرا قانت امامهـا
ويحيا بكم ما انجب المعهد الحر

محمد الصالح الشتوي

ها نحن نحتفل بدورة فلكك

للاديب الشاب علي بن رمضان الشابي

يا طاهرا طهرت كل قديمنا — صوب الثقافة والمفاخر والعلى

وبعزمك اضحيت خير مديرنا — والعز والايمان بشرى لشعبنا

سر للامام فانك الرجل الذي — اما النظام اذا اليك قلادة

لم يعهد التاريخ طيلة نشئنا — البستة للشيخ مع تلميذنا

ايقظت من رقدت جفونه بالكرى — ذللت كل عويصة في سيرك

حتى يكون معززا لنشاطنا — ونجحت في العام الوحيد لجمعنا

ها نحن نحتفل بدورة فلكك — فسل المدارس اذ تجيبك بدورها

مثل النجوم نعز فيها بدرنا — من مطبخ اضحى وخاقر نومنا

من هو ذا البدر المضيء المرتضى — وزد الرياضة قد اتاها شبابنا

قلت العشور لواحد مع شهرنا — مثل الاسود تؤموا نحو عوبرنا

لله درك من فضيلة سائد — ابقاك رب الدنيا شيخا فاضلا

بالمعهد الزيتوني كعبة قطرنا — ترنو اليك منظما لصفوفنا

علي بن رمضان الشابي



خطاب نائب مدرسي القرى

الشيخ بو علي الغربي

ايها السادة الفضلاء !

لقد سنحت فرصة دعوة الاخوان الزيتونيين لاقامة هذا الحفل البهيج احياء لذكرى مرور سنة على عودة فضيلة مولانا الاستاذ الامام لمشيخة ادارة جامع الزيتونة المعمور وفروعه ومكنتني تلك الفرصة لالقاء هاته الكلمة الموجزة في التقدير والاعجاب والتأييد لما ابرزته مقدرة مولانا الاستاذ السامية من الاصلاحات والتحسينات التي طالما طالب بها الزيتونيون ومن يمت اليهم بادنى سبب ولم ينالوا منها شيئا حتى نيطت من جديد ادارة مشيخة الجامع لاستاذنا فضيلة الشيخ المحتفل به فنالوا البعض منها وسينالوها كاملة غير منقوصة بحول الله ومعونته .

غير اني ياصاحب الفضيلة الاحظ لسماحتكم ملاحظة هي من مشمولات القضية الزيتونية ومندرجة فيها تلك الملاحظة هي اغفال قسم مهم من طبقات المدرسين لم تشمله الاصلاحات والتحسينات بل بقي في طي الغفلة والاهمال لم يقع الالتفات اليه والنظر في شأنه الا وهم مدرسوا الافاق من غير الفروع المباشرون للتدريس بالقرى فهؤلاء رغم ما يقومون به من عمل جليل في تثقيف النشء واعداده للالتحاق بالزيتونة او باحد فروعها فقد بقوا مهملين بدون تنظيم ولا تحسين ولا ادري ما هو السبب الداعي لابقاء هذا القسم المهم من المدرسين مغفولا عنه ولماذا لم يقع تنظيم افراده بمن يماثلهم من معلمي المكاتب الدولية اليسوا من خريجي جامع الزيتونة المعمور الم يكونوا مدرسين رسميين باوامر علية وقعت تسميتهم بعد اجتياز مناظرات قانونية الا يوجد لهم مثيل من معلمي المكاتب ينظرون به الم يباشروا اقراء دروس في اليوم من نفس الفنون والكتب التي تدرس بالاصل وفروعه كلا ثم كلا.

وانما تقاصيهم وبعد المسافة بينهم وتعذر تكتلهم أسدل عليهم ستار الغفلة وعدم الظهور وحيث اني احد افراد اولئك المدرسين وسمحت الظروف بان اتشرف ثانيا بالمثول امام سماحتكم في هذا الحفل المبارك فها انا اتقدم اليكم أصالة عن نفسي ونيابة عن بقية زملائي مذكرا لمقامكم العلمي بما كنا طلبناه من الحاقنا بطبقة معينة من مدرسي الاصل وانتخاب عضو منا يمثلنا بمجلس الاصلاح الزيتوني والامل وطيد في تاييد طلبنا المحق وابداء النظر السريع في شأنه حتى تتحقق رغائبنا ونال حقوقنا سيما وفضيلة مولانا شيخ الجامع المعمور من قصر نفسه على تحقيق الطلبات والرغبات المحقة انالكم الله ما تتمنون والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون .

الشيخ بوعلي الغربي بالنيابة عن مدرسي القرى

خطاب العلامة الشيخ الناصر الصدام

ايها السادة ان يوما اجتلت فيه العيون ملؤها محامد لا تحصى وفضائل لا تستقصى لجدير بان يتخذه المعهد العلمي واهله عيدا لاولهم واخرهم استدرارا للرحمة وشكرا للنعمة والشكر كفيل بالمزيد هو ذلكم اليوم الخالد فخره المردد في الخافقين ذكره يوم اسبغ الله تعلى فيه النعمة على ذوي العلم واضفاها واتمها ووالاها اذ القى مقاليدها الى من اختصه فيهم بالامامه ونقله ما نقله من موبئات الرياسة والزعامة فوسع ابقاه الله معاهد العرفان اصولا وفروعا ورجالها افرادا وجموعا واتحد نظامهم ورجحت احلامهم وتقدم بهم الى الامام امامهم بما آتاه الله من مكارم اخلاق وحكمة واصالة راي وبصيرة بتمهيد مناهج التعليم واختيار الكتب الرئيسية في كل فن ذهابا منه (سدده الله تعلى بتاييده) الى ما هو اعلق بالافكار واوفق بالامزجة واخص بالقرائح المستنيرة

اذ العلم كما لا يخفى نقطة كثرها الجاهلون وحقيقة وضاءة كاد ان يطمس معالمها المنقولون

وانت خبير بان النازلة اذا اكل عليها الدهر وشرب وتكاثرت اوراقها عمد الحكماء من القضاة الى حرقها واعادتها الى نشأتها الاولى علما منهم بان كثرة الاقاويل من موجبات الاشتباه والتضليل ولقد اينع بيمن الله ثمر ما غرست يداه فراينا ذلك راي العين في تسابق التلامذة بميادين التمارين الدراسية في كل اسبوع فما منهم الا من سمت به همته الى الخيرات منقطع القرين واذا ما رفعت راية لمجد تلقاها باليمين

ولعمري ان ظاهرة كهذه تبشر بمستقبل زاهر وخير عميم وافر

فالى الله تعلى الضراعة في اطالة حياة استاذنا الامام الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور وامداده بمعونة من لدنه الى ان يشهد الجميع لامثال هذا الموسم الميمون اعيادا ويبلغ كل محب للصالح العام مرادا والسلام عليكم ورحمة الله

الناصر الصدام

يا ايها الاستاذ سر متقدما

للاديب الشاب صالح عباس

شيخ الشيوخ اليوم يكمل عزه
ونراه مصباحا يضيء المعهدا

يا شيخنا انتم رجاء نفوسنا
فاشفوا شبابا ناشطا متوحدا

فاتيتنا كالغيث تحي مواتنا
وتبث فينا عزمك المتجددا

فالفينا فيك كل فضيلة
وشعورنا الفياض اضحى زائدا

يا ايها الاستاذ سر متقدما
فسبيلنا الاصلاح امسى معبدا

ما فيه من ريب يعطل سيره
اهناك من يرضى ظلاما خالدا

فالشمس قد لاحت وسار سناؤها
شرقا وغربا بالنهوض مشيدا

مهما يكن امر العدو الحاسد
بالجامع المعمور دوما سائدا

بالطاهر المفضال يقوى نوره
ويكون في هل المعمور مؤبدا

فالنشء والشبان فيك امالهم
وكذا الشيوخ الاكرمون الرشدا

انا نقدس فيك كل عظيمة
حتى نراك تكون انت السائدا

حتى يكون المعهد مترافعا
يسمو الى الخيرات يعلو صاعدا

في عصركم يحضى بكل رجائه
وينال عزا ثابتا متزايدا

يا ايها المصباح اضو ربوعنا
فشبابنا الضمان صار مساعدا

يا راكبا فاسرع وبلغ صوته
وارفع لتونس راية فوق العدا

صالح عباس

ايها الطـاهر العظيم الممجد

لقد ارسل الاديب الشيخ سالم الضيف هذا القصيد لجمعية الاخوان بعد وقوع الحفلة ونظرا لتعميم الفائدة فانا ننشره لقراء مجلتنا الكرام

ايهـا الطـاهر العظيم الممجد
انت في الشعب مصلح ومجدد
وجليل في العلم والعلم اسمى
نعمة في الوجود يا خير مرشد
جئت للمعهد الذي فيك يرجو
لترقي تعليمه وتجدد
فازدهى باسمكم ونال حياة
في نظام التعليم لم تك تعهد
فاعتبار التطوير العصري فيها
واعتبار الذوق السليم مؤيد
يالها رحمة سرت وتجلت
في الفروع والاصل بعد التعقد
حبذا ما جرى ولكن بقينا
في انتظار الاتمام في كل معهد
ففروع الآفاق لا زال فيها
بعض نقص وتهوى ضما مخلد
فلعلا بالعلوم لا بسواها
وبالاصلاح والنظام الموحد
يا ابن عاشور اننا منك نرجو
ان تزيد الى الفروع التعدد
فالبلاد تريد علما عميما
عربيا يسمو بشرعة احمد
هذه نقطة تنادي اجرني
يا بن عاشور انت لي خير منجد
منك ابغي فرعا يصون حياتي
من شرور الجهل الذي ليس يجحد
عاقني البعد مما اصبو اليه
من علوم فكن الي مزود
فلقد تمت للترقي ولكن
هو بالعلم لا بغيره يقصد
علة الشرقيين جهل وبعد
عن علوم الحياة لا غير فاشهد
علم الغرب فارتقى وتعلا
وهوى الشرق حيث جهل منكد
ولقد كان عكس هذا قديما
يوم كان الزعيم هو محمد
يرشد الناس للمعالي ويدعو
اطلبوا العلم فهو فرض مؤكد
ذاك عهد مضى فياليت قومي
حافظوا عنه بالعلوم وازبد
كان مجد الاسلام فيه عظيما
ورفيعا بكل عز وسؤدد
يا بن عاشور اننا قد وضعنا
فيك آمالنا التي هي اوكد
فكن القائد الذي هو يدعو
وينادي بالعلم في كل مشهد
وكن القائد الذي هو يرضي
كل من يطلب الفروع وينشد

كلمة الشيخ محمد الصالح المهيدي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد الصادق الامين وعلى آله وصحبه الطاهرين الاكرمين وبعد :

فيا صاحب السماحة والرجاحة ومن انتهت اليه الكياسة والرئاسة الاستاذ الامام وعلم الاسلام الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور الشريف ويا ايها العلماء الاعلام والسادة لكم لقد طلبت مني جمعية الاخوان الزيتونيين احمد الله بيدها الى طريق الصواب ان اقول كلمة في حفلها هذا الذي اقامته كذكرى المودة مولانا الامام الى ادارة المعهد الزيتوني المعمور فلبيت نداءها ورغم تبلبل البال ووفرة الاعمال فقد امكن لي ان اجمع من المعلومات ما ملأ نحو الاربعين ورقة في صيغة خطاب وهي نقطة من بحر من الاعمال الزاخرة التي قام بها ابقاه الله وذرة من شعاع امتد سناه ونوره طيلة خمسين عاما

واني ارجو ان اعتبر هاته الصفحات التي جمعتها كعربون على الولاء اقدمها الى فضيلته بهاته المناسبة امد الله في انفاسه وابقاه ذخرا للامة الاسلامية

هذا وان ضيق المجال ليحول بيني وبين القاء هذا الخطاب لعاملين اولهما عدم تمكني من عرضه على فضيلته لإصلاح ما يكون به الاخطاء ثم الاجازة في اذاعته ونشره بين الناس الثاني ضيق المجال الذي ملأه علماء وادباء هم شيوخي الذي منهم استقيت ما تجمع عندي من قشور العلم

وسوف لا اعدم بحول الله الفرصة السانحة بعد اتمام موجباته من اسماعكم اياه او تقديمه اليكم مطبوعا . واشير هنا الى عناصره التي تالف منها ثم الى المصادر التي استقيت واعتمدت عليها

العائلة العاشورية

الجد الاعلى لهاته العائلة هو العالم الزاهد الولي الصالح الشريف المنعم الشيخ سيدي محمد ابن عاشور المولود بمدينة سلا من المغرب الاقصى بعد خروج والده من جزيرة الاندلس فارا بدينه (١) والمتوفي من شهر جمادى الاولى سنة عشر ومائة والف وترجم له الوزير في الحلل السندسية والوزير حسين خوجه في بشائر اهل الايمان في فتوحات آل عثمان

وقد تفرعت عن هذا الاصل الطيب الكريم الحسب الشريف النسب دوحات علم ومجادة من هاتيك الفروع محمد الطاهر ابن عاشور الجد قاضي قضاة افريقية المولود بالحاضرة

التونسية سنة ثلاثين من القرن الثالث عشر وشهرة هذا العالم وما تقلب فيه من الوظائف كالقضاء والافتاء والتدريس ونقابة الاشراف والحسبة على الاوقاف الخربة والنظارة على بيت المال والعضوية بمجلس شورى الملك المؤسس بمقتضى قانون عهد الامان . وما ترك من مؤلفات مطبوعة كحاشيته على القطر وشرحه على بردة البصيري او مخطوطة كالغيث الافريقي وهي الحاشية التي كتبها على عبد الحكيم على المطول وحاشيته على المحلي على جمع الجوامع وحاشيته على ابن سعيد على الاشموني وهي التي جمعها من خطه تلميذه العلامة الشيخ احمد كريم شيخ الاسلام وحاشيته على شرح العصام لرسالة البيان وتعليقاته على ما اقرأه من صحيح مسلم غنية عن البيان ويكفي ان نذكر ان من تلاميذه الوزير العلامة الشيخ محمد العزيز بوعتور . والوزير العالم الشيخ يوسف جعيط . والعلامة شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الخوجه . والعلامة المحقق والفهامة المدقق كبير اهل الشورى الشيخ سالم بوحاجب والعالم الدراكة شيخ الاسلام الشيخ محمود بن الخوجه والعلامة المفتي الشيخ محمد النجار . والعالم المؤرخ الشيخ محمد بيرم دفين مصر وكاتم اسرار الوزير الخطير خير الدين باشا وغيرهم من جهابذة تونس وعلماء بلدان المملكة . (١)

وتفرع عن هاته الدوحة المنعم الابن الشيخ محمد ابن عاشور والد شيخنا العلامة الذي لم يترك فرصة سانحة دون ان يغتنمها للسير بجمعية الاوقاف التي تولى رئاسة مجلسها الاداري من السنة السادسة الى العاشرة من هذا القرن فقد ابلى في عمله الاداري البلاء الحسن وانتدب الى هاته المامورية اثر حادث حل بالاوقاف وسار بها في مسالك العيش الرغيد الى ان خلفه في هاته المهمة زعيم شباب ذلك العصر وابو نخبته المثقفة المنعم محمد البشير صفر حيث سمته الدولة معتمدا لها ونائبا عنها في تلك المؤسسة .

وقد نشأ عن الرابطة العلمية التي كانت بين الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الجد وتلميذه محمد العزيز بوعتور الوزير رابطة نسبية وزيجة شرعية لابنة الثاني على ابن الاول وعقب ذلك زفاف شريف فولادة لشاب غطريف حصيف في السنة السادسة والتسعين من القرن الماضي وتباشر الاشراف في القصور بولادة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور .

شب الفتى الطاهر في وسط علمي شريف على تعلم القرآن حتى اتقنه حفظا ثم زاول ما تيسر له من اللسان الافرنجي وفي العام العاشر من هذا القرن دخل جامع الزيتونة الاعظم وزاول دروسه الى ان احرز على شهادة التطويع في العام السابع عشر (٢)

شيوخه

كان التدريس في اوائل هذا القرن بالنسبة للكتب الابتدائية وما يليها يقتصر فيه على بيان المتن والشرح وحفظ القواعد والمتون بحيث لا يقرأ التلميذ كتاب الا بعد ان يحفظ متنه . وبالنسبة للكتب العالية هناك طريقتان طريقة تحصيل وعليها غالب المدرسين فيقتصر فيها على بيان الشروح والبعض من الحواشي ومن شيوخ هاته الطريقة المنعم الشيخ حسين بن حسين والمرحوم الشيخ مصطفى رضوان . والطريقة الثانية طريقة تربية الملكة والثقافة العلمية وعليها جلة الاساتذة الذين درس عنهم شيخنا العلامة كالشيخ سالم بو حاجب والشيخ عمر بن الشيخ والشيخ محمد النجار والشيخ محمد بن يوسف (٣) سلك هاته الطريقة الاخيرة في تعلمه وتعليمه فتحصل على النجاح الاوفى ففاز في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية سنة عشرين وقد كان ذلك مرشحا له لمباشرة التدريس بالمدرسة الصادقية فسمي في العام الموالي مدرسا بها وفي العام الرابع والعشرين كان النجاح حليفه في الرتبة الاولى من التدريس بجامع الزيتونة وكان موضوع الدرس في بيع الخيار . وقد حياه احسن التحايا النثرية والشعرية اصدقاؤه واوداؤه من ادباء عصره ومن ذلك قول الشاعر الظريف الشيخ عبد العزيز المسعودي احد كتبة الدولة التونسية بالوزارة الكبرى من قصيدة ....

لو بان للعين ما يخفيه تعبير
لشابه الرسم والتشخيص تحرير
واصبحت صور الالفاظ ان كتبت
يبدي معانيها كالشكل تسطير
وكنت تبصر ما انشيه تهنئة
غب انتظار الى ان جاء تبشير
كانت هنالك انفاس تصعدها
منا القلوب وقد قاجها تحذير
ثم استضاءت لنا من بعد افئدة
كانما هي سلك فيه تنوير
واصبح الجامع المعمور مبتهجا
حيث استقر له بالعلم تعمير
وليت من خطط التدريس اعظمها
لما الامنك في التدريس تقرير
وجئت نحو مقام العلم تشهده
ثمار غرس له والقلب مسرور
فجئت بالواجب المقصود تشرحه
ولم نجد عن مقام فيه تقسير
وكم عهدناك قبل اليوم منتصرا
وصاحب العلم بين الناس منصور
الله يبقيك تحي العلم مرتقيا
مراتبا انت فيها اليوم مشكورا (٤)

وكانت خطة التدريس التي احرز عنها منحلة عن المنعم الشيخ حسين بن حسين المتوفي في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين (٥) اما تدريسه من الطبقة الثانية فقد كان عوضا

عن الشيخ محمد النخلي الذي ارتقى الى الرتبة الاولى بوفاة المرحوم الشيخ الصادق الشاهد .

وقد سلك في تدريسه بالزيتونة والصادقية نفس الطريقة التي سلكها اجلة اساتذته في الكتب العالية التي درسها كدلائل الاعجاز لعبد القاهر والشرح المطول للتفتزاني وشرح المحلي لجمع الجوامع ومقدمة ابن خلدون وتفسير القرءان الكريم وموطأ مالك وديوان الحماسة وهو ابقاه الله يمتاز بفصاحة منطق وبراعة بيان ويضيف الى غزارة العلم وقوة النظر صفاء الذوق وسعة الاطلاع في اداب اللغة

اجتماعه باكابر العظماء

ولقد كان لمجالس العلم التي تعقد بين اكابر عظماء الرجال سواء كانوا من نابتة هذا القطر او من الاقطار الاخرى ويحضرها شيخنا العلامة الاثر الاكبر فيما امتاز به من الاقدام على القيام بالاعمال العظيمة لفائدة المجتمع التونسي واذكر لكم من تلك المجالس مجلسين احدهما مع عالم شرقي والآخر مع عالم غربي . انه لا يخفى على حضراتكم ان الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده كان حيه زائرا الى البلاد التونسية في صائفة عام ١٣٢١ وقد حل ضيفا بمدينة مرسى جراح المشهور بالمرسى (٧) عند المنعم الوزير خليل بوحاجب بقصره المعروف هناك ذلك لان هذا الوزير كان زوجا لاميرة مصرية هي الاميرة نازلي هانم فكان ذلك سببا لنزوله ضيفا بالمرسى وكانت المجالس الخاصة التي تعقد بين الزائر العظيم ومفكري الشعب التونسي بما فيهم من شيوخ وشباب لا يتخلف عنها الشيخ الاستاذ ابن عاشور ولقد كان من جملة الذين طلبوا منه ان يلقي درسا بالجمعية الخلدونية في العلوم الاسلامية وقد كان عضوا بها في مجلسها الاداري والقى درسه المعروف في شهر جمادي الثانية سنة احدى وعشرين من هذا القرن ان روح المصلح العظيم المفتي المصري قد كان لها بعض الاثر المحسوس في النشاط الذهني لاستاذنا الامام ٨

اما العالم الغربي الذي اجتمع به شيخنا العلامة فهو المستشرق الشهير والعالم الباحث اوبنهايم المعروف بمباحثه عن اصول الفلسفة الاسلامية ومقارنتها بفلسفة المذاهب والملل الاخرى . حل هذا العالم بتونس شهر جمادي الاولى سنة ثلاث وعشرين (يتبع)

---

(١) انظر نشرة الخلدونية ١٣٥٠ ص ٢٦٠

(٢) مجلة الهداية الاسلامية م ٢ ص ٧

(٣) « « م ٥ ص (٢)

(٤) المجلة الزيتونية م ٣ ص ٤١٢

(٥) جريدة الحاضرة عدد ٨٣٢ الصادر في ٢٧ ذي الحجة ١٣٢٢

وجريدة اظهار الحق عدد ١٤ « ٢٦٠ «

(٦) جريدة الترقي عدد ٤٧ الصادرة في ٢٠ شوال ١٣٢٣

(٧) ـ جريدة الترقي عدد ٥١ الصادر في ٢ ذي القعدة ١٣٢٣

(٨) انظر ص ٣٠ من شرح قصيدة الاعشى الاكبر في مدح المحلق طبع تونس سنة ١٣٤٨

(٩) انظر المجلد السادس من مجلة المنار المصرية

على هامش خطاب فضيلة الاستاذ الاكبر ❀

الزيتونة مشكاة نور الاسلام

بقلم العلامة الاستاذ الصـــــادق الجريري
نائب وكيل الدولة لدى مجلس التعقيب

ان الاسلام نظام اجتماعي قويم . لما حل بالجزيرة العربية وهي متشتة الاطراف مختلفة العقول والآراء والعقائد . يتباهي فيها القوي بماله وجاهه وفروسيته وانانيته ويتنقص فيها عيش الضعيف انتشلها من حيوانيتها الساذجة واخرج من اعماق القلوب الشعور بالانسانية الواضحة . وامانة العقل النافذة فانفتحت البصائر من غفلتها في اقل من لمح البصر وساد النظام وانتشر وبرزت اكمل الصفات واحسن الفكر ولم يبق العربي يعيش لنفسه المادية الوقتية الفانية بل لاسعاد روحه بالقيام بالاعمال الصالحة لغيره من بني البشر . ولقد قام بنشر فلسفته الحكيمة المبنية على اخلاص النية وطهارة الطوية بما نزع عنه الاختصاص بالانانية العربية للدخـول في حضيرة اعم منها واجل وهي الجامعة الاسلامية التي ضمت الشرق الى الغرب وعمت السهول والجبال والعمار والقفار والبحار لا حبا في حطام الدنيا التي هي عرض زائل وانما حبا في التجرد منها وحبس الصالح الخاص على الصالح العام احياء للنفوس واكساء لشعورها الغريزي وربط الاعمال بالفكر والعقل حتى يستبقي الانسان معنويته بعده اذا ما دقت ساعة الرحيل .

فقد جدد الاسلام لهذا العالم وللانسانية جمعاء قانونا تسير عليه وجميع علاقاتها واكرم به من قانون فصل متشابه الاحكام العامة على اوفق اسلوب وترك للانسان حرية تامة في تدبير معاشه مراعاة لاختلافها زمانا ومكانا ومسابقة وجودا . فالقانون الاسلامي دائما في جدة ورقي لا تؤثر عليه العوامل ولامر الليالي والايام ولايفشله ولايقدمه كساد العزائم وفشلها .

وبث الاسلام في البشرية الفضيلة في احسن مظاهرها . ومكارم الاخلاق في اكملها بما ألف بين القلوب المتنافرة وبين الاجناس المختلفة وبين الشعوب المتغايرة والمتباعدة . حتى اصبح المسلمون كالجسد الواحد يتألم جمعهم من تألم الواحد فيجوعون ليشبع ويضحون بالنفس والنفيس لكي لا يهضم له حق واحترامهم للبشر

❀ الخطاب الذي القي في حفل ختم الامتحانات في السنة الماضية وقد تأخر نشر هذا المقال لعدم وصوله لادارة المجلة في ابانه

عامة اصبح عندهم ركنا صليا في الوجود .
وبفلسفتهم الحقة قاموا بواجبهم في هذه الحياة على احسن اسلوب تدلبا للسعادة الابدية في الحياة الباقية بعد الموت وكان ذلك هو خلاصة المدنية الاسلامية التي بنوا عليها آمالهم واوقفوا عليها حياتهم ففازوا بما اثبته التاريخ باوضح صورة وبما حقق رسوخ الاسلام باكمل تقويم وسيفوزون في يوم يقدم فيه كل من الانام حسابهم عما اقترفوا في هذه الحياة الدنيا .

واولئك المسلمون الكاملون هم الذين عاشوا كراما وماتوا كراما وهم الذين قال فيهم ربهم كنتم خير امة اخرجت للناس .
وبلدنا هذا الامين الذي مرت به المدنيات المادية القديمة قرونا عديدة ولم تبق منه الا الاطلال البالية سعد حظا عندما اقبل عليه فجر الاسلام وفاض به نوره واستقر به امره وتبث فيه عزيمته وحكمته وحريته .
فكانت مدنيته الجديدة الاسلامية مدنية معنوية روحية لا مادية . فاصطبغت بها نفوس اهله وتمكنت من دمهم الجاري بشرائينهم تمكن اللباس من اللابس فلا زالت اثارها يانعة وازهارها ارجة . ولا زال الاسلام رمز البلاد التونسية ولا زالت هي مهده الامكن . ففي القيروان تكونت الجامعة التي تلألأ نورها على العالم وكانت مضمارا جديدا لتسابق الافكار والاقدام على مسايرة الجدال الذهني واستخراج الحجج والبراهين الساطعة توصلا للحقيقة والحكمة في جميع الامور .

وما الزيتونة الاخلف عن تلك الجامعة العظيمة . فهي الركن اللازم للحياة الاجتماعية التونسية وهي المؤسسة الاصلية للبلاد الملتف عليها الشعب التونسي باكمله اذ بدوامها يستبقي ميزته الخاصة وشعوره الاسلامي الذي هو قوام حياته فهي الجديرة بعناية الحكومة والميزان لانها تمثل الروح التونسية الملتزم باحترامها وتلك الروح هي الواجب تغذيتها غذاء اسلاميا باركانها الثلاثة قانونا واخلاقا واعتقادا .

ان توالي الحوادث والكوارث كان سببا في تقهقر التسيير تعليم بتلك الجامعة الزيتونية التي اثرت عليها الاحوال الاقتصادية من جهة والتمسك بالقديم والمحافظة عليه من اخرى فاصابها ما اصاب غيرها من المؤسسات من الفشل تلقاء تغير الاحوال وتنازع القديم مع الجديد . لكن بالرغم عن ذلك فانا نجد في تاريخها الجديد صراعا قويا بين تفهم الاساليب الحديثة وربطها بالقديم ليستخلص من هذا اصوله ومن الآخر طرقه الموصلة وان تلك الحركة التجديدية المباركة لقد نضجت اليوم واصبحت آمالا شرعية جديدة آمنة طيبة تمتلك منا النفوس . ولقد ظهرت خلاصتها في الخطاب القيم البديع الذي القاه فضيلة الامام الاكبر

والعلامة الاعلم شيخ الجامع الزيتوني وفروعه ومدير ومسير التعليم الاسلامي بالقطر التونسي اذ جاء خطاب جنابه بفصاحته النادرة وبلاغته الحكيمة برنامجا جامعا مانعا لما يجيش بخاطر كل مسلم يريد ان يستجد مجده الاسلامي في افسح مجال.

والذي يعنينا من ذلك الخطاب المبدع والذي نعده اول خطاب في سبيل الاصلاح الزيتوني كما نعتبر صاحبه اول من اقدم على ايضاحه وبيان سبله هو ربط الحياة الاجتماعية التونسية بنظامها الاصلي وهو النظام الاسلامي والاسلام ككل نظام اجتماعي يرتكز على اركان ثلاثة القانون والاخلاق والاعتقاد فتلك هي اصول الدراسة في الكلية الزيتونية حتى يتخرج منها المسلمون الكاملون فقها واخلاقا واعتقادا والقادرون على ادراك اسم الاصول التي تربط حاضرهم بماضيهم وعلى المناظرة بينها وبين الفلسفة الغربية العصرية التي زاغت فقط بتفهم العناصر الطبيعية في ركنها المادي ليس الا ومتى شرع في تنفيذ ذلك البرنامج على احكم منوال فان اليقين يخامرنا بان كل تونسي مسلم سيتحمل كيفما كان وايا كان صبغته الاسلامية التي تنبيء بكمالاته في علاقاته مع الغير فيكون عنوانا لمجد امته وجب الاحترام لنفسه ويبعث في الغير الثقة به وتلك النتيجة المنشودة من الجميع متى تحققت الا وتحقق معها قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . والقيام على اتمام هذا الاصلاح من شدة الايمان بالله وقوة العزيمة النافذة التي لايعتريها فتور ولا تاخذها في الله لومة لائم.

الصادق الجزيري

وفات الاستاذ عبد القادر المبارك

اللغوي الشهير بسورية

ورد لنا في كتاب خاص من دمشق نعي الاستاذ الشيخ عبد القادر ابن العالم الشيخ محمد المبارك اللغوي الشهير بسورية والعضو بالمجمع العلمي بدمشق . وتاريخ الكتاب ١٠ محرم ١٣٦٥ وهو من اكابر العلماء في اللغة . كان استاذا للاداب في المدرسة التجهيزية بالشام وتخرج عليه فحول العلماء والادباء . وله كتب قيمة وشعر جزل وكان رحمه الله دمث الاخلاق متواضع. واصل عائلته من الجزائر من قبيلة زواوة وربما ناتي على ترجمة حياته وعلمه وشعره واثاره في الاعداد الآتية .

خطاب السيدة مفيدة الشاهد

في حفلة السيدات ببيت آل محسن الاشراف

اقامت نخبة من السيدات التونسيات حفلة خيرية في العاشر من ربيع الانور لفائدة الطالب الزيتوني ومدارسه التي يسكنها بالحاضرة وكان الاحتفال يشتمل على رواية تمثيلية قدمتها نخبة من الفتيات وسوق خيري عظيم وفي الاثناء القيت خطب في التعريف بالمشاريع النافعة التي تكونت لفائدة التلامذة وقد نجح الاحتفال الى اقصى حد ونال اعجاب الحاضرات وشكرهن لمن قمن به وهيأته وقد ورد علينا خطاب الفتاة صاحبة الامضاء ونحن نقدمه لقراء المجلة شاكرين عواطف صاحبة الخطاب واحساساتها الشريفة نحو جامع الزيتونة وتلامذته

ما كاد خبر اعداد هذا الاجتماع الميمون يطرق سمعي حتى صفق قلبي طربا واعترتني هزة الاعتزاز بتفكير المرأة التونسية حقا انه لفتح جديد يدعو الى الاعجاب والتقدير لما بلغت اليه فتاتنا من سمو المدارك حيث اخذت تفكر في اعانة المصلحين باذلة مجهودا جبارا في سبيل تحقيق هاته الغاية الشريفة فاندفعت تعمل وتعد العدة لبناء صرح الرقي ورفع مستوى العلم في هاته الربوع .

وما اجتماعكن هذا الذي اقف فيه بينكن مستحثة هممكن على الاستزادة من افعال البر والخير الا دليل واضح على ما اصبحنا نشعر به جميعا من الحاجة الاكيدة الى التكاتف والتعاون على تقويض بناء الجهل الذي خيم ببلادنا واناخ علينا بكلكله فتاخرنا بينما العالم من حولنا يسير واخلدنا الى الخمود واسلمنا ارواحنا الى نوم طويل . ولولا وجود جامع الزيتونة الاعظم ذلك البيت المشرف مطمح انظارنا وشمس آمالنا الذي بقي محتفظا لنا بديننا المقدس ولغتنا العتيدة لغة الضاد المجيدة وقوميتنا العزيزة لضل ضلالنا واصبحنا في عداد الهالكين .

سيداتي ! ان الجامع الزيتونة المعمور علينا فضلا لا يقدر مداه فمنه تنبعث انوار العلوم التي تهدي الى سواء السبيل تلك العلوم التي لا حياة لنا بدونها ولا نجاح لنا الا بالعمل بها وقد ظل هذا المعهد يفيض علينا من بركاته سيلا منهمرا ووابلا مدرارا . فقد اخرج ولا زال يخرج لنا جهابذة اعلاما وسادة كراما كان لهم القدح المعلى في ميادين العرفان وافادوا الامة بما ادوه لها من جلائل الاعمال .

ولو لا خوف الاطالة لأتيت ببسطة عما قام به اولئك الأفذاذ من اعمال مشكورة ومساع مبرورة .

واليوم وقد قيض الله سبحانه وتعالى لادارته والقيام على شؤونه بطلا مغوارا وعالما هماما وسيدا مفضلا هو علامة العصر ومفخرة القطر الأستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة الأعظم وفروعه ادام الله تعالى بهجته وحرس مهجته فنفخ فيه من روحه المفعمة ايمانا واخلاصا واخذ بيده الى

مستوي الرقي حيث أخذ مكانه اللائق به بين الكليات العليا المنظمة تنظيما يتفق وروح هذا العصر الزاهر والنهضة العلمية التي خفقت اعلامها في ربوع المعمورة المتمدنة . وقد اعد لذلك برنامجا متسع النطاق في تحسين حالة التعليم به وترقيتها الى اضعاف ماكانت عليه قبل وعهد بجزء من تنفيذ هذا البرنامج الى العالم النحرير والوطني الغيور الذي أشرب قلبه حب الاصلاح هذا العلامة المصلح سعادة الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي فقلد قلادة خطة ادارة مدارس سكنى الطلبة الزيتونيين لما عهد فيه من الاخلاص للمشاريع والحب للعمل المثمر المنتج وقد صادف هذا الاختيار محله فالشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي يبذل جهودا متواصلة في سبيل تحقيق غاية نبيلة وهي تنظيم المدارس واصلاحها وتوفير أسباب الراحة للطلبة الذين فارقوا عائلاتهم وذويهم وانقطعوا للعلم وناهيك به من صنيع يستحق كل اعانة وليس اجدر بالاعانة من هؤلاء . ورغم الصعوبات التي يلاقيها سعادة المدير المفضل فقد تمكن بعزمه من تنظيم بعض المدارس تنظيما محكما حيث انشأ لها المطابخ ليوفر على طلبتها الوقت لتحصيل العلم ولا زال واصل السعي في التحصيل على كل ما من شأنه ان يبعد عن الطالب الزيتوني المسكين شبح الجوع ويدعوه الى التفكير في امر المعاش جازاه الله احسن الجزاء وبارك في اعماله .

سيداتي : لست اقصد من بيان هاته الاعمال مجرد الاعلام فقط . كلا فهذا الامر لا اخاله يخفى على حضراتكن اذ قد سارت بذكره الركبان وانما اقصد الى تحريك هممكن للمؤازرة ومد يد المساعدة والمعونة الى الطالب الزيتوني عمدة مستقبلنا وعنوان نهضتنا والأخذ بقسط من العمل في هذا المضمار والتسابق الى فعل الخير فهي على العمل الجدي المثمر والتضامن ونعقد الخناصر ونعين المصلحين على اعمالهم الخيرية ابتغاء وجه الله وامتثالا لقوله جل من قائل : « وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » واتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم : المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

والسلام عليكن ورحمة الله وبركاته

مفيدة الشاهد

« من وحي الزيتونة المباركة »

بقلم الشيخ عمار الوسلاتي
المدرس بالفرع الزيتوني بسوسة

ايها الملأ الكريم

تشرق بهجة هذا الحفل الفخيم، في هذا اليوم الوسيم، بشمس يظللنا الآن ضحاها. ويغمرنا أشعة سناها. شمس اضناها التسيار حتى نضحت عرقها على جباهنا الراشحة. ثم هي لا تزال تجري لمستقرلها سابحة، والطلاب من حولها في الحلقات والفصول، يعرضون على الايام والشهور والفصول، فآونة يخصف عليهم الربيع من ورق الجنان فاذا هم افنان مخضرة، وآونة ينقض الخريف حلية تلك الاغصان. فاذا هي اعواد مصفرة، وحينا يدهمهم الشتاء برعده وبروقه، وحينا يتباهج عليهم الصيف بصبحه وشروقه

تلك هي الشمس التي تعلمنا بحرارتها ان لا نستهدف لبرودة الموت او المهلكة وترشدنا بسيرها الى تعشق الحركة، وتهدينا بنورها فلا تظلنا الحلكة، فكم سخر لنا الله منها ايادي رائحات علينا وغوادي

وبعد: فيا ايها المتعلم عليك بالعلم فانه الحرارة التي تبعث الحياة في رميم الاموات، وعليك بالسعي كسعي الشمس تنشر نورها. والجداول تروي بنورها * فلولا لكانت الشمس ذبلة الظل مملولة، والانهار آسنة غير معلولة، والجداول آجنة غير منهولة، واغترب للعلم لا يفزعك النواء، ولا يقعدك الثواء، لا سيما وقد قربت المسالك، وساد الامن فلا مهالك واذكر من كان قبلك يقضي في الطلب السنين ويطلب العلم ولو بالصين، وتدبر قول الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون، ففرض علينا ان نسير الابناء في الارض يمشون في مناكبها، ويستسقون من مشاربها، حتى اذا ما عادوا عادوا بالجنى من العمل. كالنحل ينبث في المسارح ثم يؤوب بالعسل، فيشتار من شرابه المختلف الالوان ما فيه دواء العقل والجسم والجنان، وشفاء الشيب والشواب والشبان، بل مثل الطلاب وقد انتشروا في مراتع العقول، كزهور حفلت بها مرابع الحقول ثم تحور ان تثبت الى ثماره والازهار بشير الثمار

وان هذا المعهد معهد العلم والدين، لهو الذي تتعهد فيه هاتيك الرياحين حتى لا تجتثها

عاصير العاصفة ولا الزوابع القاصفة ، وبفضله
بها السرور صغارا ويعم بها النفع كبارا
سادتي . يخيل الي ان هذا الثغر الاسلامي
ميل ، ثغر سوسة البلد النبيل ، يبتسم الآن
امته الثانية ، بعد ابتسامة ماضية يوم وقف
اسد ابن الفرات يجيل النظرات في خضم
جه يتلاطم ، من فوقه سفن تتزاحم ،
كتائب معبأة ، وعددا مهيأة وهو يردد
قه بين العدوتين ، وقلبه بين الحنينين
وبعد ان تقضت وا اسفاه ! تلك العهود .
ت على هذي المغاني السنين السود ، فذهبت
ام بحولها ، واحلولك الظلام من حولها ،
ن ! بينا هي تعاني عنت الايام ، وحلك
لام اذ عاودت الثغر ابتسامه ، كهلال لاح
غمامه ، وذلك حين بدا الامل يبوح
شرى ، ان سيكون من هؤلاء الاشبال اسود
ى بما يغرسه في النشء هذا المعهد الزاهر
الاداب والفنون والمآثر فان موارده من
العلم وطارفه ، هي مصادر ابن الفرات
علومه ومعارفه

ايها السادة . ان هذا القطر قد اصيب
و فتاك . شديد سفاك . جارف كالسيل
ود كالليل ؛ جبار ظلوم معتد غشوم طمس
عون الامة نورها ؛ فهي عمياء تتلامس
الملك وسلب النفوس سرورها فهي محزونة
قم المهالك ، ترك العقول تائهة ؛ والقلوب
والهة وكم اصاب بخنجره المسموم نحور
الامم فاردها واخفت صداها وقطع مداها
فهو آفة الحرث والزرع . وداهية النسل
والضرع . هو غول الاسلام من الرؤوس
والهدى من النفوس ، هو لفح يطفيء السراج
ويشل اليد عن الاسراج ، بل هو اعصار فيه
نار يحرق السفينة ويحطم المنار هو سموم دونه
حر السمائم وسموم دونها سم الاراقم

ذلك هو الجهل وكفى بالجهل ساحقا
واعظم به ماحقا ترك المدائن خرابا والمغاني
يبابا واودى بذويه في مهاو غير ذات قرار
ولم يبق منهم سوى الاثار للموعظة والاعتبار
بعد ان نزع عنهم العزة والكرامة والنجدة
والشهامة . ومعهدنا الذي عاهد الله ان يقي
الامة شر ذلك العدو المبين يناديكم الآن بصوت
اللغة والعلم والدين ان تنفروا معه لمحاربته
ومقارعته ومنازلته وها هو ذا يتقدم بالراية امامكم
وشعاره ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

عمار الوسلاني

جزيرة « فرسان »

العربية السعودية الاسلامية

هي احدى جزر البحر الاحمر ، فيها منابع
بترول غزيرة فهي منبع ثروة بترولية عظيمة
وعروق البترول متصلة بين عسير فيكون ذلك
القطر مناظرا من وجهة الزيوت المعدنية للعراق
وايران والقوقاز فهذه الجزيرة تعد قوة كبيرة
من قوى الاسلام والعرب الاقتصادية واسعدت
دولة السعد والسعود بالعز والمال الممدود ،
وكانت من زمان توجهت اليها الانظار وتغامزت
عليها الاعين . والآن تدر درها ويجني ثمارها
ابن السعود الملك المسلم الصادق العربي

تـــالة

بقلم امير الامراء السيد اسمــاعيل بلحفصية عامل تالة

تالة بلد بالوسط التونسي غربيها تبعد عن الحاضرة بنحو مائتين ميلا وهي تبعد ايضا بنحو هاته المساحة تقريبا من مدينتي سوسة وصفاقس والسفر اليها سهل ميسور على الطريق المعبدة بالسيـارة الرسمية (انوكار) او على طريق السكة الحديدية من تونس الى محطة قلعة الجردة التي لا تبعد عن بلدة تالة الا بعشرة اميال وتقع تالة على عشرين ميلا تقريبا من حدود الجـزائر واقرب مدينة اليها من القطر الشقيق هي بلدة تبسه

وتقع بلدة تالة على قمة جبل يسمى باسمها ولا يقل ارتفـاعه عن الف مترا فبهذا الموقع وبهذا الارتفاع صار مناخها طيبا والهواء فيها جافا رقيقا يناسب كل الاجسام وينعش جميع الابدان بعدما يتخلل الاشجار الكثيفة بالاجنة العديدة حول المدينة ، وبها عدة عيـون يتزود منها السكان جميعها صالحة عذبة نخص بالذكر منها عين تالة نفسها الواقعة في قلب المدينة وماؤها زلال ثبت صفاؤه ولياقته بالتحليل وفي الحقيقة فالشراب منها يلذ ويحلو ويطفىء الغلة من شدة برودته في شدة ايـام الحر وكذلك بدفئه في برد الشتاء وفي هـاته الجهة الجبلية تكثر الاودية والعيون فمن الاودية وادي الحطب وبه سد اسسه احد المعمرين الفرنسيين للانتفاع بمياهه الدافقة وسقي اراضيه الخصبة فبتدبيره هذا لا تعرف الأجاحة، ومن الاودية المشهورة ايضا وادي الدرب ووادي قرقور وبهما سدان كان بناؤهما على عهد الدايات وفي اول عهد المراديين ولا يبعد ان شارك في هاته الأسسات المفيدة النافعة جالية الاندلسيين التي حلت بالبلاد في ذلك العهد وهنالك وادي حيدرة وغيرها.

واما العيـون فهي كثيرة ومياهها دافقة عذبة منها عين الستارة التي تبلغ قوتها الدافقة مالا يقل عن نصف مليون لترة ماء زلالا في اليوم ومثلها عين سيدي بو غانم التي يبلغ سيلها نصف ذلك من الماء العذب في اليوم كذلك ومن ذلك العين تجذب شركة الارتال فرعا لتزويد محطاتها بفوسانه بما يلزمها من الماء الكثير

وبهـاته الجهـة تكثر اشجـار الصنوبر والعرعار بالاخص وعدة انواع أخرى اقـل اهمية تتكون منها جميعا غابات غناء وظلال كثيفة وبغاية الاستغـراب بعض ولم يزرع اهل هاته الجهة الاشجار المثمرة من زيتون وتين وغيرها من الاشجار رغم صلوحية الارض وخصبها والدليل على ذلك وجود كثير من الآثار الرومانية بهذه الجهة فغراسة الاشجار في هاته الجهة تكاد تكون عديمة الوجود الا غرس الهندي الذي اسسه

الحكومة وقد احسنت صنعا بذلك حيث يصلح هذا الهندي لتموين الحيوان في زمن الحر وفي سنين الجدب الحيوان هو اكبر مورد ثروة السكان واكثره من الغنم والمعز والابل واقل من ذلك البغال والبقر والسكان يعتنون ايضا بتربية الخيل الجياد التي تشرف عليها مصلحة تربية الحيوان التشجيع عليها من مصالح ادارة الاقتصاد العام ولها فرع للتجويد بتالة نفسها وأما ثمرة الهندي فهي من احسن ما يوجد بالاخص في هنشير زلفان فالهندي هنالك يسمونه ـ سي الهندي ـ لجودة لذة ثمرته وعظمة الكمية منه وهم يجففونه ويخزنونه لفصل الشتاء .

ومما يحسن ذكره ما تكنه الارض من مناجم صالحة غنية مثل الفسفاط والرصاص وقد تاسست عدة شركات عتيدة لاستغلالها كشركة قلعة الجردة ، قلعة سنان نسبة الى الوزير الخطير والقائد الشهير التركي وكذلك منجم عين الكرمة وغيره وقد مدت السكك الحديدية الطويلة لنقل نتاج هاته المناجم .

وبهاته الجهة تكثر الآثار الرومانية بقايا المدن العظيمة التي تدل على ما كانت عليه هاته الارجاء من العمارة الزاهرة واليسر وغبطة العيش مثل مدينة حيدرة ومدينة القصرين وغيرها ' وجميع هاته المسميات الجبلية والعمرانية لا تبعد اكثر من خمسين ميلا في اقصاها على مدينة تالة التي تسهل زيارتها بجميع انواع النقل للتفسح لان الجهة صالحة للاصطياف لطيب مناخها زيادة على نعومة الطقس في زمن الحر مع كثرة المياه .

وتتهاطل الامطار وينزل الثلج في فصل الشتاء ولا يزيد ذلك كله الا روعة لهاته المناظر الطبيعية من جبال وغابات التي ترتاح لها النفس وتهدأ بها القلوب وتخصب لها الابدان وكثيرا ما يرد عليها الاجانب لقضاء مدة استراحتهم ولا يبارحونها الا وهم في حسرة من فراقها مؤكدين الرجوع لأول فرصة .

واليوم الحكومة تعتني بها باعادة الروح في هاته الجهة بمجهودات جبارة تحمد وذلك بتنظيم الري بجعل سدود حديثة وترميم ما اندثر منها من السدود القديمة واصلاح الآبار وحفر اخرى لمن يهمهم الامر وتهتم الحكومة ايضا بتأسيس سوق وبناء عمارة بمركز فوسانة . وفوسانة هاته عبارة عن بحيرة شاسعة الاطراف تزيد . مساحتها على العشرة الآف هكتارا يشقها انصافا خط الحديد ما بين قلعة الجردة والقصرين وكذلك السكة الحديدية الموصلة الى مدينة تبسة واراضيها خصبة ومياهها غزيرة قريبة صالحة ولها مستقبل عظيم النفع على كما ساكنيها توجد حركة جديدة مباركة على العزم لبناء عدة محلات عصرية متوفر فيها جميع مرافق الراحة تصلح للسكنى والنزهة في رحلة الصيف وكذلك في العزم بناء مأوى طبي مرغوب فيه من حيث ارتفاع هاته الجهة وبعدها عن البحر وتوفر جميع شروط اللياقة فيها من الجهة الصحية

امير الامراء اسماعيل باصفصية

الشبـــاب والروح الدينية

- أو -

الاسلام ونفوذه الانشـــــائي

في شباب اليوم

لقد مضى على الاسلام والمسلمين دهر طويل وهم يعالجون امراضهم الاجتماعية والخلقية والسياسية وحتى النفسية وهم كلما احسوا ببوادر الشفاء تفطنوا الى خطر آخر فاسرعوا لمعالجته وهكذا مرت الايام والسنون، وهم ينتقلون من دور الى دور ومن حادث الى حادث ولكنهم اليوم وجدوا انفسهم في حاجة اكيدة الى العناية بامر اعظم اهمية واشد خطرا الا وهو شباب الامة الواقف في مفترق الطرق هذا الشباب الجاهل المتعطش للمعرفة الحائر المتطلع لنور الهداية المضطرب الباحث عمن يهديه سبل السعادة ولكنه مع الاسف يزج به او يزج بنفسه في مسالك حالكة السواد فيبقى يخبط خبط عشواء وهو يظن بنفسه انه احسن صنعا او على صواب وتظهر عليه في غضون ذلك المتناقضات من جراء الاهمال وسوء الوضعية التي هو عليها والامور المتقابلة المتناقضة التي يتلقاها في تعليمه وفي تربيته ومن البيئة والوسط الذين يعيش فيهما والاهم في هذا الباب امر العقيدة والدين فالشباب اليوم تبدو منه ظاهرتان متناقضتان متقابلتان تمام المقابلة فهو يتحمس للاسلام الى اقصى حد ولا يبغي عنه بديلا ويدافع عن دينه بكل ما اوتي من قوة وفي الوقت نفسه يتكرر منه اهمال تعاليمه ولا يقوم بواجبه الاسلامي كمسلم لا في عبادته ولا في معاملاته ولا في اخلاقه وآدابه ولا في معاشرته ولم يكن الدين عاملا مهما في حياته الخاصة والعامة حتى ساغ لبعضهم ان يقول: ان الاسلام لم يبق له نفوذ ما في نفوس شباب اليوم

ومن ثم شعر المسلمون بقلق شديد وخشوا على هذا الشباب الذي سيكون خليفتهم من بعد وفي كل يوم وباي مناسبة تظهر امارات الحيرة والقلق وتنادي الاصوات بالتوسل من الحالة الاسيفة الخطرة وتطلب المعالجة السريعة النافعة قبل ان يعظم الخطب ويتسع الخرق وتتعفن الجراحات ويتعسر العلاج.

واني اصرح هنا بلا مصانعة ولا تلبيس ان مشكلة الشباب لا تترك بدون اصلاح

روحي بعيد الاثر يتناول هذا الاصلاح الشباب.

وهذا الاصلاح يقوم على اركان التربية - التعليم - طرق المعاشرة - الحكم -

اما التربية فاعني بها ما يشمل التربية المدرسية وهنا تبدو انا مشكلة هي من اعقد المشاكل واغمضها فالطفل الذي يرسل به الى المدرسة اذا كان معلمه الذي سيتولى تربيته في حال الصغر هو على غير دينه كيف يمكن له ان يصور له عظمة الملة التي ينتسب اليها هذا الطفل وكيف يقدر على تصوير محاسن آدابها لينخلق بها الطفل وتصير له ملكة هذا من غير ان ننظر الى الدور العملي اما اذا علمنا وان التربية الصحيحة هي التي يتخذ اصولها من حياة الاستاذ العملية بطريق المحاكات والتقليد ثم - النصائح عند حدوث ما يدعو الى ذلك وفي كل آن وحادثه يقع الاصح بما يناسب المقام فان هذا يزيدنا بعداعن تحقق المطلوب وما دام الطفل يتربي على تلك الطريقة لامناص من كونه يشب وهو لا يحس بسلطان للاسلام عليه ولا يجد نفوذة يقوده للقيام بتعاليمه لا فيما يخصه ولا فيما هو من الامور العامة التي تربطه بالمجتمع الاسلامي الذي هو جزء من اجزائه وهنا يجب ان اصارح الاساتذة الذين يباشرون التعليم بان الامة بقدر ما هي مدينة لهم في تعليمهم لابنائها بقدر ما تحس بنقص في تربيتهم الاسلامية وتغذية شعورهم بالمبادي الدينية وتهذيب نفوسهم بالآداب الطاهرة التي يكونها نور العبادة وعلى الاخص في اهمال المراقبة والبحث والتساهل في الواجبات الدينية والاخلاقية .

ولو اعطى الاساتذة ثلاثة ارباع عنايتهم للتربية والتهذيب والربع الباقي من العناية للتعليم لكان الشباب اليوم ازكى وارقى مما هو عليه ولنشأ نشأة صالحة كما كان عليه شباب السلف

واما التعليم فان التلميذ ياخذ من التعاليم الاسلامية النزر القليل فلا يعطى منه ما يكون فيه الشعور الاسلامي وبث الروح الدينية السامية التي تنشط الاعضاء بتاثيرها للقيام بالواجب نحو الله تعالى ونحو النفس ونحو المجتمع وهذا الامر له خطورته على الشباب ايضا اذا وجب علينا ان نجاهر ونقول ان شباب اليوم ليس الذنب ذنبه بل هو ذنب من بيدهم مقاليد اسرة واساتذة وحكومة .

واما طرق المعاشرة والحكم فهي تجري على غير قواعد الدين فلا جرم اذا راينا شبابا لا تتكون في نفسه رهبة على هتك الحرمات ولا يحس بوازع يردعه عن ارتكاب المحارم لاسيما اذا لم يجد زاجرا يزجره وسلطانا يقهره وقديما قال الحكيم يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرءان . وسنعود

محمد الشاذلي بن القاضي

ما قل ودل

عالم انكليزي مسلم

يفسر كلمة « العلقة » بالعلم الحديث

المستر عبد الله كويلم الذي دخل في الاسلام واشتهر في الاوساط الاسلامية وحاز شهرة عظيمة بين المسلمين بالدفاع على الاسلام والمسلمين وصار قدوة واماما وشيخ اسلام للمسلمين في البلاد الانكليزية ' وبه وبارشاداته دخل في دين الله الناس افواجا عن روية واقناع واذعان وقبول وايمان . واظهر لعلماء اوروبا معجزة القرءان بالعلم الحديث ، وترك غيره يبحث من هذه الناحية حتى اهتدى والله يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم .

قال المستر عبد الله كويلم :

«ان ـ العلق ـ في قول الله تعالى خلق الانسان من علق هو الحوين المنوي الموجود في ماء الرجل الذي يخلق منه الجنين عند امتزاجه ببويضة المراة ' والحوين المنوي من شانه ان يعلق ببويضة المراة فسمي علقا لتعلقه »

وفي خلق الجنين من حوين منوي امر عظيم يدل على عظيم قدرة الخالق جل وعلا وان القرءان كتاب الله الذي انزله على عبده النبي العربي الامي والخالق هو الذي يعلم هذه الاسرار التي ابانها العلم الحديث اخيرا . هذه معجزة القرآن في هذا الزمان وهل ثمة مانع من تطبيق العلم الحديث على كلام الله القديم والاخذ بمثل هذه الاراء والفهوم ... ؟

هل علمت ؟

ان الفنيقيين اول من اخترع الصابون والغاليين تقلوه عنهم ' والجرمان نقلوه عن الغاليين .

*

وان الانكليز لا يسابقون الا بالخيول العربية الاصل وقد اشتهر نسل فرس عربي في ميادين السباق 'كان اهداه باي تونس الى لويز السادس عشر فابتاعه انكليزي واولده خيلا فحولا مطهمة منها المسمى « اكليس » الذي حاز شهرة واسعة ونال جوائز مالية عظيمة وكتب في مزاياه واوصافه كتابا ضخما .

*

وان اسيا الوسطى هي البلاد التي تمتد من بحر اورال وبحر الخزر غربا الى حدود الصين شرقا ومن بلاد فارس وافغانستان جنوبا الى مقاطعات طوبولسك وطومسك شمالا . فهي اكبر واوسع من كل اوروبا الغربية ومظاهر العمران محصورة في نواح معلومة كسمرقند وطاشقند ومرغاب وكوكندوموكند وموغلان وغيرها ويطلقون عليها اسم تركستان اي بلاد الترك .

المستقبل مضمون لاحسن الناس اخلاقا

جورج وشنطون

الجـــائزة الزيتونية

ان المجلة الزيتونية حرصا منها على كمال ثقافة الشباب العامل واعتقادا منها بان لا قوام لامة الا بمقدار ما يقوم به كل فرد منها بقسطه في الحياة من استنتاج خيرات بلاده وابتكاراته لتنمية ثروته فتنمو بها ثروة بلاده وسعادة الجميع لذلك خصصت جائزة قدرها ٥٠٠ فرنكات لاحسن واكمل ما يحرره كاتب تونسي في ناحية من نواحي الاقتصاد التونسي سواء كان في الحياة الفلاحية وما الى الفلاحة او في الحياة التجارية وما الى التجارة او في الحياة الصناعية وما الى الصناعات وعليه فالمرغوب من كل من يريد المشاركة في هذا العمل ان يحرر مقالا في اي موضوع كان من ابواب الاقتصاد التونسي كما ذكر اعلاه وذلك بثلاثة نظائر توجه مضمونة الوصول باسم السيد مدير المجلة الزيتونية في مدة لاتتجاوز الشهر من تاريخ هذا ليقع عرضها على لجنة من نخبة الاساتذة والمفكرين لاجازة من يستحق ذلك وعلى الله التوكل وهو نعم الوكيل.

العقل والدين

ـ لابن يامين كد

ليست المسألة الجوهرية في الدين ان يكون مبنيا على احكام العقل ومطابقا للعلم، وانما الاهمية تنحصر من الوجهة الاجتماعية في هذا السؤال هل للاديان دخل في نشوء الاجتماع ؟ فان كان لها ذلك ـ وهو الواقع النظر لتاريخ البشر ـ فالاديان باقية تعمل عملها في المستقبل كما كانت تعمله في الماضي.

التطور . والحياة . والموت

الزم لوازم الحياة التطور . والموت نفسه لا يمكن بها بل هي بدء تغيرات جديدة للاشياء المتغيرة منذ الازل. قوستاف لوبون

كبار الرجال

ان بلوتراك المؤرخ العظيم كتب كنتيجة لابحاثه في حياة كبار الرجال فقال:

«لقد اثبت التاريخ ان الحكام ورؤساء الجماعات البارزين كانوا دائما اقوياء باصدقائهم اكثر مما هم اقوياء بانفسهم »

اصلاح غلط

صفحة ١ السطر الاول من العمود الثاني لمسجد اسس من اول يوم على التقوى

والصواب :

« لمسجد اسس على التقوى من اول يوم »

صفحة ٥١٨ كلمة فرع سوسة

والصواب : للشيخ عمار الوسلاتي القاها بالنيابة الشيخ التجاني بوراوي

صحيفة ٤٩٠ ـ سطر ١٤ الاهبة عوض الهيئة

فهرس العدد

الصحيفة	المقال	صاحبه
٤٨٧	تقديم العدد	لجمعية الاخوان الزيتونيين
٤٨٨	حديث وصفي لحفل الذكرى السنوية	المجلة
٤٨٩	خطاب عميد الزيتونة	لفضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
٤٩١	خطاب رئيس جمعية الاخوان	للشاب الشيخ احمد بن محمد القروي
٤٩٧	خطاب	للاستاذ العلامة الشيخ محمد المختار بن محمود
٥٠٤	تلك يا نشء (قصيدة)	للشاعر العبقري الاستاذ جلال الدين النقاش
٥٠٧	كلمة	للعالم الشيخ التهامي الزهار
٥١١	خطاب	للكاتب الاديب الشيخ الطيب العنابي المحامي
٥١٦	ايها الاخوان من زيتونة (قصيدة)	للعالم الاديب الشيخ محمد التهامي عمار
٥١٨	كلمة فرع سوسة	للعالم الشيخ التجاني بوراوي
٥٢٠	كلمة	للكاتب الشيخ الصادق سيس
٥٢١	كلمة امين مال الجمعية	للشاب الاديب محمد كردوس
٥٢٦	كلمة الرابطة الرياضية	للشيخ محمد المازوني
٥٢٨	احييك (قصيدة)	للاديب الشيخ محمد الصالح الشتيوي
٥٢٩	ها نحن نحتفل بدورة فلكك	للاديب الشاب علي بن رمضان الشابي
٥٣٠	خطاب نائب مدرسي القرى	للشيخ ابو علي الغربي
٥٣١	خطاب	للعلامة الشيخ الناصر الصدام
٥٣٢	يا ايها الاستاذ سر متقدما (قصيدة)	للاديب الشاب صالح عباس
٥٣٣	ايها الطاهر العظيم الممجد (قصيدة)	للاديب الشيخ سالم الضيف
٥٣٤	كلمة	للبحاثة الشيخ محمد الصالح المهيدي
٥٣٨	الزيتونة مشكاة نور الاسلام	للعلامة الاستاذ الشيخ الصادق الجزيري
٥٤١	خطاب	للسيدة مفيدة الشاهد
٥٤٣	من وحي الزيتونة المباركة	للعالم الشيخ عمار الوسلاتي
٥٤٥	تالة	بقلم امير الامراء السيد اسماعيل بالحفصية عامل تالة
٥٤٧	الشباب والروح الدينية	لمدير المجلة الاستاذ الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي
٥٤٩	ما هنالك	نبذ واخبار علمية وادبية الخ الخ

عدد ٦

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

ربيع الانور - ربيع ٢ - مارس - افريل ١٣٥٦ - ١٩٤٦

الجزء ٩ | المدير محمد الشاذلي بن القاضي | المجلد السادس



منظر القبة
فوق
باب البهور
الباب الوسط
لجامع الزيتونة
بين الصحن وبيت الصلاة

الثمن : ١٥ فرنكا

مطبعة [الارادة] تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

ربيع الانور – ربيع ٢ – مارس – افريل ١٣٥٦ – ١٩٤٦

الجزء ٩ | المدير محمد الشاذلي بن القاضي | المجلد السادس

الشمال الافريقي

ماضيه وحاضره

يتحدث المؤرخ عن هذه الرقعة من الارض التي عمرها البشر احقابا من السنين وردحا من الزمن القديم وتعاقبت عليها دول وحكومات وغزاها جمع بعد جمع وطوائف بعد طوائف . فيثبت لنا حادثا من اهم الحوادث التى تعنينا اليوم وهو ان هذا الجمع الانساني تجمع مرة واحدة تحت اسم شعب واحد ينتسب الى الامة العربية بافريقية فالبربري والفنيقي والروماني كل هؤلاء العناصر المتعددة التي حافظت على عنصريتها احقابا متتابعة واجيالا متوالية استحالت الى شعب واحد بمفعول عملية موفقة حصلت من الامتزاج بالعرب الاول الذين دخلوا هذه الاصقاع واستوطنوها واختلطوا باهلها اختلاطا لم يسبق له نظير في تاريخ هذا القطر ولا حدث ما يماثله بعد ما اصبح الجميع يمثل شعبا واحدا يتصل برابطة القرابة النسبية الى تلك الامة النبيلة العظمى هي الامة العربية وزاد في متانة تلك الرابطة الدين واللغة والعوائد والثقافة حتى اصبحت وحدة غير قابلة للتجزئة او التفريق وبات كل فرد من افراد هذا المجموع يشعر بكونه عربيا شعوره بكونه كائنا حي له في هذه البقعة من بقاع العالم وكل عامل من عوامل السلخ والمسخ يستنكره وتشتد مقاومته له وذلك متولد عن هذا الشعور وهذا الاحساس الذي تكون من طبيعة الحال الذي اصبح عليه وآباؤه واجداده من قبله فالعامل

يبسط في جبال نفوسه اذا جرى بينه وبين غيره حديث تبجح بـانه عربي وهو معتز بعروبته من غير ان يطيل التفكير هل هو مخطيء في هذا الاعتزاز او مصيب ولكنه معتز بعروبته على كل حـال ولا يبغي عنها تحويلا .

وله الحق في ذلك ما دام يحس انه فرد من افراد شعب قد اضحى منذ آمـاد متطاولة يجعل هو تاريخ بدايتها متصل بشعوب الامة العربية الكبرى اتصال توالد ونسب ومصاهرة

وحتى الذي احتفظ بلهجة من اللهجات الافريقـية لا يقل شعورا عن الشعور الذي يتكلم باللغة الفصحى في كونه عربيا ولو خاطبته بـانه بربري او فنيقي تبرم وغضب وعدها منك اهانة له حيث نسلخته من الجامعة التي يعتز بنسبته اليها واخرجته من بين افراد الامة التي يفتخر بكونه من افرادها من غير ان يعرف سببا لذلك . وهذا شعور عام يحس به كل واحد من افراد هذا الشعب الذي يستوطن هذه البقعة المتنافس فيها منذ القدم

فهذا الشعور وذاك الاحساس هو ما تفيض به نفس كل فرد من افراد الشعوب التي تجمعها رابطة شعوبية متولدة من وحدة جـامعة فهو شعور وجداني فهل بعد ذلك يمكن ان ينجح من يحاول اخراج هذا الجمع العظيم المتماسك الاجزاء والافراد من الدائرة العامة التي هو حلقة من حلقاتها واعتبارها شعوب مستقلة عن الامة العربية مفصولة عنها وعن بعضهـا وقابلة للتكوين من جديد على اوضاع يختار لها القالب الملائم الذي يرام طبعها عليه ؟ كلا والف كلا ان مجموع الشمـال الافريقي شعب واحد عربي غير قـابل للتفكك والتجزئة وهو جزء من اجزاء الامة العربية وان باعدت بينه وبين بقية الاجزاء الاعتبارات والاوضاع الزمنية ولا يمكن بحال ان يركن لمن يريد منه ان يقبل هذه التجزية والخروج من جامعته الطبيعية والدخول في جامعة يصنعها له صنع الايدي التي اعتادت تصوير الامور على غير حقيقتها لقضاء حاجة في النفس فتعمل عملا كله سحر وشعوذة حتى تلبس على الانظـار ما من شانه ان يقوم حجر عثرة في سبيل المقاصد التي يراد الوصول اليها ولكن الحيل قد انكشفت للعيان ولم يبق لها سوق نافقة تروج فيها فنحن شعب عربي لا نبغي عن العروبة بديلا .

محمد الشاذلي بن القاضي

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

« فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »

بقلم الحجة الامام المولى محمد الطاهر ابن عاشور

اي فان لم تاتوا بسورة او اتيتم بما زعمتم انه سورة ولم تدعوا شهداءكم على التفسيرين المتقدمين وادخل ان على هذا الشرط مع ان عدم فعلهم هو الارجح بقرينة التحدي والتعجيز .لان المقصد اظهار هذا الشرط في صورة النادر مبالغة في توفير دواعيهم على المعارضة بطريق الملاينة والتحريض واستقصاء لهم في امكانها وذاك من استنزال طائر الخصم وقيد لاوابد مكابرته ومجادلة له بالتي هي احسن حتى اذا جاء للحق وانصف من نفسه يرتقي معه في درجات الجدل ولذلك جاء بعده ولن تفعلوا كان المتحدي يتدبر في شانهم فيقول اولا ائتوا بسورة ثم يقول قدروا انكم لا تستطيعون الاتيان بمثله واعدوا لهاته الحالة مخلصا منها ثم يقول ها قد ايقنت وايقنتم انكم لا تستطيعون الاتيان بمثله مع ما في هذا من توفير دواعيهم على المعارضة بطريق المخاشنة والتحذير ولذلك حسن موقع لن الدالة على نفي المستقبل فالنفي بها اوكد في النفي بلا ولهذا قال سيبويه واذا كانت لنفي المستقبل يدل على النفي المؤبد لانه لما لم يوقت بحد من حدود المستقبل دل على استغراق ازمنته اذ ليس بعضها اولى من بعض ومن اجل ذلك قال الزمخشري بافادتها التابيد حقيقة او مجازا وهو التاكيد ومن نازعه في ذلك لم يات بقول سديد وقوله ولن تفعلوا من اكبر معجزات القرءان فانها معجزة من جهتين الاولى انها اثبتت انهم لم يعارضوا لان ذلك اثبت لهم المعارضة لو كانوا قادرين وقد تاكد ذلك كله بقوله قبل ان كنتم

صادقين وذلك دليل العجز عن الاتيان بمثله فيدل على انه كلام من قدرته فوق طوق البشر الثانية انه اخبر بانهم لا ياتون بذلك في المستقبل فما اتى احد منهم ولا ممن خلفهم بما يعارض القرءان فكانت هاته الآية معجزة مستمرة على تعاقب السنين فان ءايات المعارضة الكثيرة في القرءان قد قرعت بها اسماع المعاندين من العرب الذين ابوا تصديق الرسول وتواترت بها الاخبار بينهم وسارت بها الركبان بحيث لا يسع ادعاء جهلها ودواعي المعارضة موجودة فيهم ففي خاصتهم يأنسونه من تاهلهم لقول الكلام البليغ وهم شعراؤهم وخطباؤهم وكانت لهم مجامع التقاول ونوادي التشاور والتعاون وفي عامتهم وصعاليكهم ورعاتهم بحرصهم على حث خاصتهم لدفع مسبة الغلبة عن قبائلهم وامتهم ودينهم والانتصار لآلهتهم وايقاف تيار دخول رجالهم في دين الاسلام مع ما عرف به العربي من اباية الغلبة وكراهة الاستكانة فما امسك الكافة عن الاتيان بمثل القرءان الا لعجزهم عن ذلك وذلك حجة على انه منزل من عند الله ولو عارضه واحد او جماعة لطاروا به فرحا واشاعوه وتناقلوه فانهم اعتادوا تناقل اقوال بلغائهم من قبل ان يغريهم التحدي فما ظنك بهم لو ظفروا بشيء منه يدفعون به عنهم هذه الاستكانة وعدم العثور على شيء يدعى من ذلك يوجب اليقين بانهم امسكوا عن معارضته وسيبين ذلك بالتفصيل آخر تفسير هذه الآية. وتفعلوا الاول مجزوم بلم لامحالة لان ان الشرطية دخلت على الفعل المنفي فتعتبر عاملة الشرط في مجموع الجملة فليس هذا من تنازع حرفين حتى يجيء فيه الخلاف بين النحاة في اعتبار التنازع بينهما لان شرط التنازع الاتحاد في العمل وفي المعمول مع اتحاد الاقتضاء من حيث المعنى. وقوله فاتقوا النار الخ لجواب الشرط على جمل محذوفة للايجاز لان جواب الشرط في المعنى هو ما جيء بالشرط لاجله وهو مفاد قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فتقدير جواب قوله فان لم تفعلوا فايقنوا بان ما جاء به محمد منزل من عندنا وانه صادق فيما امركم به من وجوب عبادة الله وحده واحذروا ان لم تمتثلوا امره عذاب النار فوقع قوله فاتقو النار موقع الجواب لدلالته عليه وايذانه به وهو ايجاز بديع والوقود بفتح الواو اسم لما يوقد به وبالضم مصدر وقيل بالعكس وقال ابن عطية حكى الضم والفتح في كل من الحطب والمصدر وقياس فعول بفتح الفاء انه اسم لما يفعل به كالوضوء والحنوط والسعوط والوجور الا سبعة الفاظ وردت بالفتح للمصدر وهي الولوع والقبول والوضوء والطهور والوزوع واللغوب والوقود والفتح هنا هو المتعين لان المراد الاسم وقد قرىء بضم الواو في النادر وذلك على اعتبار الضم مصدرا او على حذف مضاف اي ذوو وقودها الناس. والناس اريد به بعض منهم وهم الكافرون والحجارة هي الاصنام والآية تهديد تعريضي بالمخاطبين والمعنى المعرض به فاحذروا ان تكونوا انتم وما عبدتم وقود النار وقرينة التعريض قوله فاتقوا وقوله والحجارة لانهم لما امروا باتقائها امر تحذير علموا انهم هم الناس ولما ذكرت الحجارة علموا انها اصنامهم فلزم ان يكون الناس هم عباد تلك الاصنام فالتعريض هنا متفاوت فالاول منه بواسطة واحدة والثاني بواسطتين وحكمة القاء حجارة الاصنام في النار مع انها لا يظهر فيها حكمة ان ذلك تحقير لها واظهار خطا عابدتها

الحديث الشريف

حدثني ابو التياح عن آنس ابن مالك عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

مناسبة الترجمتين للحديثين الباب مترجم بترجمتين واورد فيه حديثين كل منهما مطابق واحدة منهما فقوله بالموعظة يطابق قول ابن مسعود كان النبيء صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السئامة علينا وقوله كيلا ينفروا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

المقصود من الحديثين والمراد من الحديثين تاليف القلوب وترك التشديد عليها في الاوامر والمناهي حتى يدخل الخلق في هذا الدين القويم على وجه الارتياح ويعملوا فيه على وجه السهولة والسماح قال جل جلاله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وفي الحديث عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ولا تبغضوا لانفسكم عبادة الله ومن سبر الشريعة المطهرة رءاهـا في مواردهـا ومصادرها ءاتية على التدريج والتلطف بالمكلفين حتى تخرجهم عن دواعي اهوائهم الى حال الاعتدال من غير انحلال

التشريع لاجل اخراج المكلف عن داعية هواه قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات لما كان تشريع الشارع الشريعة لاجل اخراج المكلف عن داعية هواه الذي اوجب له الانحراف عن الحد الوسط الى احد الطرفين حتى يكون عبد الله اختيارا كما انه عبد له اضطرارا كما قال سبحانه وتعلى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وقال جل وعلا ياايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون كان التشريع رادا الى الحد الوسط الاعدل على وجه تدريجي يميل به الى الجانب الاخر ليحصل الاعتدال فيه قلت ولاجل هذا المعنى امر صلى الله عليه وسلم في حديث الباب بالتيسير ونهى على التعسير لاجل تحصيل الحال الوسط الاعدل المقصود للشارع في التشريع

الدليل على الرد الى الحال الوسط قال ابو اسحاق والذي يدل على ان الشارع كان في تشريعه لنا الشريعة المطهرة رادا الى الحال الوسط على وجه تدريجي يميل به الى الجانب الاخر الاعدل

الخطاب في ابتداء التكليف ان الله سبحانه وتعلى خاطب الناس في ابتداء التكليف خطاب التعريف بما انعم عليهم من الطيبات والمصالح التي بثها فيهم في هذا الوجود لاجلهم ولحصول منافعهم ومرافقهم التي يكمل بها عيشهم وتستقيم بها تصرفاتهم فقال سبحانه وتعلى الذي خلق لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وءاتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار فعدد عليهم النعم ثم وعدهم بالنعيم ان ءامنوا وبالعذاب ان تمادوا على ما هم عليه من الكفران

الخطاب عند العناد فلما عاندوا وقابلوا النعم بالكفران لرغبتهم في العاجلة اخبروا بحقيقتها وانها في الحقيقة لا شيء لانها زائلة فانيه وضربت لهم الامثال في ذلك قال سبحانه وتعلى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فما ياكل الناس والانعام الى قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال سبحانه وتعلى وما هذه الحياة الدنيا إلّا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون

الخطاب عند الدخول والرغبة في الدنيا ولما دخل الناس في التكليف وءامنوا وظهر من بعضهم ما يقتضي الرغبة في الدنيا رغبة ربما امالته عن الاعتدال في طلبها قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح ان مما اخاف عليكم من بعدي ما يفتح لكم من زهرة الدنيا وزينتها فلما ذم متاعها هم جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ان يتبتلوا وينقطعوا الى العبادة خاطبهم صلى الله عليه وسلم بقوله من رغب عن سنتي فليس مني ودعا للناس بكثرة المال والولد بعد ما انزل سبحانه وتعلى انما اموالكم واولادكم فتنة والمال والولد هي الدنيا واقر الصحابة رضي الله تعلى عنهم على جمع المال والتمتع بالحلال ولم يزهدهم ولا امرهم بالترك إلّا عند ظهور حرص او وجود منع من حقه وظهور مخالفة التوسط واما ما سواه فلم يامر به صلى الله عليه وسلم

اوقات الوعظ قال في العمدة وكان صلى الله عليه وسلم يعظ في اوقات معلومة ولم يكن يستغرق الاوقات خوفا عليهم من الملل والضجر كما كان نهاهم بقوله لا يصلي احد ضاما وركيه وكما قال ابدؤوا بالعشاء لئلا تشغلوا عن الاقبال على الله تعلى بغيره وعن الصلاة وعن النية وقد وصفه الله تعلى بالرفق

امته فقال وهو اصدق القائلين عزيز عليه ما عنتم الاية والى هذا المعنى يشير حديث ابن مسعود رضي الله عنهما كان النبيء صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السئامة علينا

اعـراب الحديث قال العيني جملة قوله يتخولنا في محل النصب على انها خبر كان ولا يقـال كان لثبوت خبرها ماضيا ويتخولنا اما حال او استقبال فما وجه الجمع بينهما لان كان يراد بهـا الاستمرار وكذا الفعل المضارع فاجتماعهما يفيد شمول الازمنة

قال الاصوليون قولهم كان حاتم يكرم الضيف يفيد تكرار الفعل في الازمان والباء في قوله بالموعظة تتعلق بقوله يتخولنا وقوله في الايام صفة للموعظة اي بالموعظة الكائنة في الايام وقوله كراهة السئامة كلام اضافي منصوب على انه مفعول له اي لاجل كراهة السئامة وصلة السئامة محذوفة لانه يقال سئمت من الشيء والتقدير كراهة السئامة من الموعظة وقوله علينا اما يتعلق بالسئامة على تضمين السئامة معنى المشقة اي كراهة المشقة علينا اذ المقصود بيان رفق النبيء صلى الله عليه وسلم بالامة وشفقته عليهـم لياخذوا منه بنشاط وحرص لا عن ضجر وملل واما ان يجعل صفة والتقدير كراهة السئامة حالـة كونها طارئة علينا واما ان يتعلق بمحذوف والتقدير كراهة السئامة شفقة علينا

معنى الحديث قال القسطلاني ومعنى يتخولنا يتعهدنا او هي بالمهملة اي يطلب احوالنا التي تنشط منها للموعظة وصوبها ابو عمر الشيباني وعن الاصمعي يتخولنا اي يتعهدنـا قال ابن حجر والصواب من حيث الرواية يتخولنا واذا ثبتت الرواية وصح المعنى بطل الاعتراض

يستفـاد من الحديث ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال وان كانت المواضبة مطلوبة لكنها على قسمين اما كل يوم مع عدم التكلف واما يوما بعد يوم فيكون يوم الترك لاجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط واما يوما في الجمعة ويختلف باختـلاف الاحوال والاشخاص والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط

التخلص للحديث الثاني ثم ان الشارع لما ادخل عباده في التكاليف على وجه التيسير عليهم ودفع التعسير عنهم ومن عليهم بذلك النبيء الكريم الشفوق الرحيم امر ائمة الامة وحملة الشريعة حين ادائها اليهم بذلك ايضا وهو ما يشير اليه الحديث الثاني من الباب اعني قوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

وقد جمع في الخطاب بين الامر بالتيسير والنهي عن التعسير والامر بالتبشير والنهي عن التنفير والتعسير ضد التيسير والتنفير ضد التبشير

يتبع

الفتاوى والاحكام
توبة اليائس

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده * والصلاة والسلام على افضل رسله واشرف عباده * من جاء بمعجزة القرآن وجاهد في الله حق جهاده * واظهر الدين بافشاء كلمة التوحيد واعلاء عماده فتفجرت ينابيع شريعته لعلماء امته * وكل متمسك بكتابه الذي جاء به وبسنته وعلى ءاله واصحابه واهل بيته وعترته * والتابعين وتابعي التابعين وجملة اهل ملته * امـا بعد فيقول العبد الفقير الى مولاه الغني * محمد بن حسين البارودي الحنفي . قد مستني مناسبة في بعض دروسي بالجامع الاعظم . لا زالت العلوم فيه الى يوم القيامة تبث وتعلم * ان قلت ان في بعض كتب مذهبنا ان توبة اليائس من الحياة مقبولة بخلاف ايمانه * وقد وقع ذلك في ءاخر مساء ضـاق عن بسط الكلام وتحقيق النظر وامعانه فاجابني من خلفي شخص لم أر شخصه في البداية رادا بقوله تعـالى « وليست التوبة للذين يعملون السيئـات حتى اذا حضر احـدهم الموت الآية فالتفت اليه فاذا هيئته ليس من التلامذة المعهودين للقراءة والانتفاع فظننته انه جاء بقصد صلاة المغرب فجلس ورائي لمجرد الاستماع وعلمت انه به مماسة بالعلم حيث اورد للرد الآية التي ظاهرها كالصريح في رد هذا القيل وعليها اعتمد من قـال بعدم قبول توبة اليائس لان ظاهرها دليل فاجبته بقولي قد يجاب عن ورود الآية على هذا القيل ومرادي وان لم اصرح له بذلك ان تؤول ببعض التاويل ثم رجعت لاكمال الدرس خشية ان يدركني المغرب وما وقفت في محل الايقاف فسمعته وهو يقول تقبل توبته ما لم يغرغر وقام قاصدا الانصراف ثم من الغد اخبرني بعض تلامذتي انه ليس من اهل هذه البلد بل جاء من بعض البلدان ولا يدرى من اي بلد واخبرني بانه قيل انه من المنسوبين الى العلم الشريف وقد اتى الى بلدنا منذ مدة قريبة بقصد الزيارة والمضيف . فساءني ما وقع مني معه حين سمعت هاته الرواية حيث لم ابين له مـا يجب علي من بيان القائل وتاويل الآية اذ لا ينبغي لمن ينسب الى العلم الشريف ولو ادنى انتسـاب مثلي ان لا يكرم الضيف خصوصـا بعالم ملق لسـؤاله على من ظنه انه من رجاله وخشيت ان يظـن بي علم المبالات بالشان وعذري بين اذ ذاك بضيق الزمان فاردت ان اكاتبه بمكتوب يسلي وابين له فيـه مواضع نقلي وها انا احمد الله واقول مصليا على خير مصطفى ورسول : اما بعد اتم السلام واعظم الاجلال واكمل الاكرام فيا ايها الاخ الذي هو من ابناء جنسي لا تعجل بما قلت هذا القول من

تلقاء نفسي . بل قال صاحب الدر المختار . شرح تنوير الابصار . في اوائل باب صلاة الجنازة بعد شرحه لقول الماتن ويلقن بذكر الشهادتين عنده ما نصه: واختلف في توبة اليائس والمختار قبول توبته لا ايمانه والفرق في البزازية وغيرها . وقال ابن عابدين في حواشيه عليه قوله واختلف في قبول توبة اليائس بالياء المثنات التحتية ضد الرجاء وقطع الامل من الحياة او بالموحدة التحتية والمراد به الشدة واهوال الموت ويحتمل مد الهمزة على انه اسم فاعل واسكانها على المصدرية بتقدير مضاف ثم قال قوله والمختار الى ءاخره اقول قال في اواخر البزازية قيل توبة اليائس مقبولة لا ايمان اليائس وقيل لا تقبل كايمانه واطال بعض طول في نقل كلام البزازية في الاستدلال لكل من القولين وحاصل استدلال صاحب هذا القيل انه قال لان الكافر اجنبي غير عارف بالله تعلى ويبدا ايمانا وعرفانا والفاسق عارف وحاله حال البقاء والبقاء اسهل والدليل على قبولها منه مطلقا اطلاق قوله تعلى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم قال ابن عابدين انتهى ملخصا اي كلام البزازية ثم قال وظاهر ءاخر كلامه اي صاحب البزازية اختيار التفصيل اي بين الفاسق والكافر كما هو قول صاحب هاذا القيل اي وذلك سبب قول صاحب الدر والمختار الى ءاخره وقوله والفرق في البزازية انتهى كلام ابن عابدين وقال صاحب الدر ايضا في باب المرتد وتوبة الياس مقبولة دون ايمان الياس درر اي منقول من الدرر وعلله بحشيه المذكور هناك بما علله اولا ناقلا ذلك عن الدرر انتهى هذا وقد قال الشيخ عبد السلام ابن الشيخ سيدي ابراهيم اللقاني في شرحه لمنظومة والده جوهرة التوحيد بعد شرح البيت التي في اواخرها وهي قوله

لكن يجدد توبة لما اقترف ☆ وفي القبول رايهم قد اختلف

ما نصه: وشرطا صحتها اي التوبة صدورها قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها قال النووي رحمه الله تعلى ففي حال الغرغرة وهي حالة النزع لا تقبل توبة ولا غيرها كما ان الشمس اذا طلعت من مغربها اغلق باب التوبة وامتنعت على من لم يكن تاب قبل ذلك وهو معنى قوله تعلى يوم ياتي بعض ءايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها انلم تكن ءامنت من قبل الاية انتهى اي كلام النووي ثم قال الشيخ عبد السلام بعد قوله انتهى هذا عند الاشاعرة واما عند الماتريدية فانما عدم الغرغرة في الكافر دون المومن العاصي انتهى كلام الشيخ عبد السلام هذا وقد قال البيضاوي في تفسيره الاية وليست التوبة الى ءاخرها بعد حمله اياها على ان المراد منها التسوية بين الفسقة والكفار في عدم قبول التوبة من كل منهما عند الغرغرة كما هو قول صاحب القول الاخر ما نصه وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المومنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار انتهى كلامه وقال الحدادي في تفسيره لها بعد حملها على التسوية ايضا ما نصه ذهب الربيع الى ان المراد

وثيقة شرعية قديمة

الاخبار برؤية هلال الشهر بالتلغراف

في سنة ١٢٨٨ ورد تلغراف من صفاقس تضمن الاعلام بثبوت رؤية هلال شهر رمضان ليلة الاثنين التاسع والعشرين من شعبان فتوقف الوزير خير الدين في العمل به قبل استرشاد العلماء في ذلك فكتب سؤالا للشيخ المفتي سيدي احمد بن الخوجة في ذلك نصه :

قدوة الراسخين وعمدة المتقين جوابكم الشافي فيما لو ثبت رمضان في بلدة وارسل اهلها بسلك الاشارة الى بلدة اخرى للاعلام بذلك فهل يصوموا اهل هذه البلدة المرسل اليهم بحيث يعتمدون في امر ديانتهم تلك الاشارة وان كان الذي يشير بها كافرا والمظنون الذي كاد يصل الى درجة القطع صدق هذه الاشارة لامور سياسية معروفة عند اهلها وقد قرر الفقهاء انه لو نصب اهل محلة علامة على ما يثبت عندهم من تحقق سبب الصوم الى اهل محلة اخرى كايقاد النار فان للمحلة الاخرى العمل بتلك العلامة ولا ريب ان اشارة السلك من هذا النمط فما الفرق بين علامة النار مثلا حيث يعمل بمقتضاها واشارة السلك حيث لا يعمل كما لا ريب ان الذي يشير بالسلك ليس شاهدا في النازلة حتى يقال ان الشهادة من باب الولاية ولا ولاية لكافر على مسلم بنص القرءان «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» بل وزانه في النازلة وزان رسول او مخبر او ناقل او ناصب علامة. ارجو من جنابكم الاطناب في حل هذا السؤال وتحقيق اقوال العلماء في ذلك والله يديم حفظكم والسلام وكتب في ٣ رمضان المعظم سنة ١٢٨٨

نص جواب سيدي الوالد رحمه الله تعالى بعد فاتحته :

اما بعد فالجواب والله تعالى ولي الارشاد ان اشارة التل للاعلام بوقوع رؤية هلال رمضان في بلدة وان كان يغلب على الظن صدقها ففي القاعدة الثالثة من الاشباه ان غالب الظن ملحق عندهم باليقين وتبنى عليها الاحكام والاعلام كما يكون باللسان يكون بالاشارة ولذا لو سئل المفتي عن مسالة فحرك

الذين يعملون السيئات المنافقون ثم عطف الكافرين المجاهرين بالكفر على المنافقين انتهى كلام الحدادي وبهذين النقلين من هذين المفسرين اندفع الايراد على هذا القول لانه لما كان المراد من الاية بالذين عملوا السيئات المنافقين على هذا القول بقي اول الاية وهو الذين عملوا السوء بجهالة المراد به عصاة المومنين على اطلاقه فصح هذا القيل والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

راسه يكون جوابا كما في فصل ٣٣ من العمادية والصوم مما لا يتوقف على الاخبار الشفاهي بل يستند لرؤية القناديل في بلدة اخرى واطلاق المدافع مثلا كما نص على ذلك الفقهاء قالوا لانها توجب غلبة الظن بالصدق وهي حجة توجب العمل لكن قال ابو اسحاق في آخر مبحث السنة من الموافقات ما كان من المظنون معتبرا بلا اسناد الى اصل شرعي او كان الاصل معارضا له فهو مردود وساقط عن درجة الاعتبار وبسطه في المسالة الثانية من كتاب الادلة وبنى عليه قبيل مبحث الاجتهاد مسالة عدم اعتماد المكاشف على كشفه في الاحكام بل لا بد من الوقوف على الحدود الشرعية لا يتخطاها فعلى هذا نقول لا عبرة بغلبة الظن التي تفيدها اشارة التل حيث كان الذي يشير كافرا لا يقبل في الديانات باجماع علمائنا فلا نستند اليه في شيء من عباداتنا لا فرق في ذلك بين قوله بلسانه او باشارة يده والاخبار عن رؤية هلال رمضان من باب الديانات كما تضافرت على ذلك نصوص الحنفية وكذلك الشافعية على ما قال الجلال المحلي في مبحث السنة وكذلك شهاب الدين القرافي فلا نرتب على قول الكافر امرا من امور ديننا كالصلاة والصوم والحل والحرمة وما اشبه ذلك فلو سمعنا يهوديا يؤذن بدون واشهد ان محمدا رسول الله لا نصلي استنادا لاذانه بالوجه الذي تفرض الاذان خبرا او علامة على دخول الوقت قال العلماء وهذا لانه لا يعبأ بالدين ولا يكترث به ويراه استهزاء وسخرية فلا يصلح ان يكون ملزما لشيء من اموره ولم يقم الله قوله حجة في الدين البتة قال سعد الدين والملة نعمه الله في التلويح عند اشتراط صدر شريعة الاسلام في قبول خبر الواحد في الديانات ورد خبر الكافر فيها مع ان الكذب حرام في كل دين وتوجيه ذلك وربما كان الكافر مستقيما في دينه يغلب على الظن صدقه ومع ذلك يرد قوله في الديانات لان شان الكافر التعصب على دين الاسلام وهدم اركانه بقدر الطاقة وعدم المبالات به فيرد قوله فظهر ان رد قول الكافر لا لانه يصدق او يكذب بل لان صاحب الشرع من اصوله المؤسسة في هذا الدين ان اقوال المعتوه والكافر كلها ساقطة عن الاعتبار في الديانات وتوضيحه ان الله تعالى غني عن العالمين لا تعود اليه منفعة الطاعة ولا تلحقه مضرة المعصية والايام بالنسبة اليه تعالى على حد السواء فليس الصوم في رمضان الذي في نفس الامر والواقع فيه منفعة تلحقه وتفوت بالصوم في غيره حتى يكون مناط التكليف صدق الخبر ولو كان كافرا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فلم يكلفنا الله تعالى في شرعه إلّا برمضان الذي تثبت رؤيته بقول المسلم المرضي والخلاف في مستور الحال ولم يجعل في شرعه الاستناد في رمضان الى كافر بقوله او اشارته لا يسئل عما يفعل والقول الفصل في ان نبيه صلى الله عليه وسلم ـ كما رواه اصحاب السنن ـ جاءه اعرابي فقال اني رايت الهلال فقال اتشهد ان لا اله إلّا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فقال صلى الله عليه وسلم يا بلال اذن في الناس ان يصوموا غدا . وبما قررناه تبين ان لو كان مستعمل الاشارة بالتل مسلما مرضيا او مستور الحال على الخلاف كان علينا ان نستند في صومنا الى اشارته فان قوله مقبول واشارته معتبرة على ما علمت من العمادية وغيرها فلا يلزم مسلم الى صوم سنده قول كافر أو اشارته واختلاف الاعتبار في كونه علامة او رواية لا يخرجه عن الاستناد الى كافر الذي يرى ان ذلك العمل الديني عبثا محضا وعلمت ايضا لا فرق بين الرائي والناقل عنه اذ كل ملزم للصوم ولا شيء من الكافر بملزم له . هذا ما ظهر لخادم العلم الشريف احمد بن الخوجة اخذ الله بيده في ٩ رمضان المعظم سنة ١٢٨٨

الوعظ والارشاد

من محاضرات الناشئة الادبية بالمهدية

في سبيل نهضتنا الاجتماعية

ما هي طرق الوصول الى اصلاحنا

بقلم المرشد الشيخ الجيلاني حمزه واعظ المهدية

— ٢ —

السبيل الثاني (الاتحاد)

كلنا يعلم بأن الحق اليوم للقوة وبأن القوي هو الذي يسمع كلامه ويحترم جانبه ، والقوة تتولد كما لا يخفى من الاتحاد فاذا كانت الامة كتلة واحدة في اتحادها وتضامنها تمكنت من اثبات حقها ونيل مأربها ولو بعد حين . واذا كانت قطرات الماء على ضآلتها تتكون منها الانهار ، والشعرات الدقيقة تنسج من آحادها الثياب ، فكيف لا تنشأ من اتحاد ابناء الامة تلك القوة العظيمة التي تحيي ميت الرمم وتعيد سالف العظم لهذا نرجو من كل من يستطيع ان يقدم خدمة لامته بنفسه او ماله او جاهه ان لا يحجم عنها ولا يتردد فيها طرفة عين ، وعلى من كان بينه وبين اخيه نفور ان يمد يده لمصافحته ويطهر قلبه من عداوته ففي الاتحاد السعادة والخير ، ومن التنازع والشقاق والخصام الشقاء والشر ، وانه لحق فان الاتحاد هو الذي مكن للمسلمين السابقين في الارض ففتحوا البلاد وارشدوا العباد واستمر ملكهم عشرة قرون كانت فيها كلمتهم هي العليا ، وكانت سلطتهم هي العزيزة الغالبة القوية : تتزلف اليهم الملوك وتخشى باسهم القياصرة فخلف من بعدهم خلف عكفوا على لذاتهم واعرضوا عن هداية كتابهم ونصائحه . واكتفوا بحياة فيها ياكلون ويشربون ولم يعبئوا بذلة ولا مهانة يلقونها من الغاصبين فتفرقوا وتخاصموا وتنافروا واختلفوا وكان بعضهم لبعض عدوا خطيرا بعد ان كان الجد للجد ظهيرا ونصيرا فأراهم الله صدق قوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم صدق الله العظيم

فالتنازع ما حل في امة إلّا مزقها واسقطها واكسبها الخذلان فهو الذي انزل بامة الاندلس العذاب والهلاك والدمار فضاعت هذه البلاد التي كانت اثمن درة في تاج الاسلام ، بعد ان مكثت تحت سلطان المسلمين نحو تسعة قرون من الاعوام ، ولم يتمكن الكافرون من المسلمين في بلاد الاندلس إلّا بعد ان دب دبيب الشقاق فيهم ، وساد التنازع والخصام في مجتمعاتهم ونواديهم ، واصبح في كل ارض امير المومنين وفي كل بقعة خليفة المسلمين وسلطان السلاطين ، اختلفوا وحارب بعضهم بعضا فزال ما كان لهم من ملك وعز وامير وخليفة وسلطان فلم تغن عنهم القابهم الجوفاء ولا اعمالهم الخرقاء

وقد حدث التاريخ ان ابا عبد الله آخر ملوك غرناطة لما اضطر الى الفرار الى الشاطىء الثاني من بحر الروم بعد ان ادركه الفشل اعد سفينة للعبور ولكنه قبل ان يضع قدمه عليها وقف عند الشاطىء وحوله نساؤه واولاده ثم استدبر تلك السفينة ونظر الى الملك العظيم الذي خسره فغلبته عيناه وبكى كما تبكي النساء عند فقد الاولاد وبينما هو على هذه الحال اذ راى شيخا من المسلمين قائما على صخرة هناك يهتف باسم ملك الامس وطريد اليوم فاستمع له فسمعه يقول :

لك ان تبكي ايها الملك الذي اضاع ملكه كما تبكي النساء حين تفقد الاولاد والاصحاب انك ضحكت كثيرا ولعبت كثيرا والدهر لا يلهو ولا يلعب فابك اليوم بقدر ما ضحكت واندم على ما كان منك من لهو ولعب « فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فقد اتخذ بعضكم بعضا عدوا وتخاصمتم وتخاذلتم وتدابرتم وطلب كل منكم الملك لنفسه وحده فتم لعدوكم ما اراد من هزيمتكم واخراجكم من ديار اراق آباؤكم واجدادكم في سبيلها دماءهم وباعوا نفوسهم من اجلها لله الذي اشتراها منهم بجنة عرضها السموات والارض ووالله لتسالن في القيامة عن ملك اضعتموه وعن دين اضعفتموه. ثم ولى من حيث اتى فكانت كلمة الشيخ اشد على الملك من ضياع الملك فبكى بكاء مرا ثم نزل الى الفلك وهو يتمنى ان يدركه الغرق.

اتذكر هذا واتفقد احوالنا فأرى الشبه قريبا ، ثم اتمعق في الخيال فارى صورة الخراب قائمة وماثلة امام عيني والفرق بين الحالتين ان الهلاك والخيبة فيما مضى كانت بيد الملوك وان الضياع والفشل الذي ياتي لا قدر الله انما يكون على يد الرعايا فقد اصبحنا نتراشق بسهام الكلام الجارحة في المجالس والنوادي وحل النزاع والشقاق بيننا فلا تكاد تحس اثرا من آثار التعاون الانساني ولا تكاد تشعر بقليل او كثير من تنفيس الكروب ، كأن كلا منهم خلق لنفسه ولاسرته فحسب ، بل انه حضر عليه ان يمد يد المساعدة لمنكوب او مهموم او امر إلّا يعمل على انقاذ غيره مما الم به من الضر إلّا اذا كان له في ذلك منفعة او اجر . وبئست الحال وبئس المآل

فاتعظوا اخواني بما حل بامة الاندلس من الهلاك والفناء بسبب النزاع والشقاق والاختلاف وتحابوا واتحدوا وتوادوا واتركوا البغضاء والشحناء واريحوا ضمائركم من عناء التخاصم وكونوا من المؤمنين الذين وصفهم الله بالحب والاخوة في قوله « انما المؤمنون اخوة » فاجمعوا كلمتكم وكونوها على اساس هذه الاية ثم سيروا بها على بركة الله فان لكم بكل خطوة نصرا وفي كل عمل فتحا « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا »

السبيل الثالث (الثبات)

داؤنا القتال معشر التونسيين اننا لا نحسن الثبات في المشاريع التي نقوم بها بل يعترينا الملل بعد قليل من الزمن وتفتر همتنا فنقف في منتصف الطريق مع ان الثبات شرط اساسي لنجاح المسعى لذلك يجب على ابناء الامة ان يكونوا ذوي ارادة حديدية وان تكون قلوبهم مملوءة من الايمان بحسن النتيجة لان طريق الخلاص وان شئت قلت طريق الانتقال والنهوض من حال الى حال افضل واحسن لا يأتي عفوا بلا كد ولا تعب بل هو طريق شاقة ووعرة والسائر فيها تعترضه عقبات واهوال من شانها ان تثنيه عن عزمه فلا يجب ان يتراجع عند اول صدمة او تضعف ارادته ويتزعزع ايمانه وإلّا باء بالخسران وعاد بخفي حنين

السبيل الرابع (الانتاج والاقتصاد)

لقد اجمع المفكرون على ان لا نجاح ولا فلاح لامة بدون المؤسسات التعاونية والمشاريع الاقتصادية حيث بالمال تفتح جميع الابواب المغلقة وتذلل الصعوبات الكثيرة . وبدون هذه المؤسسات لا تقوم لنا قائمة ولا يصلح لنا حال . ولما كانت الجهود الفردية لا تنهض بالامم ، وجب على الامة ان يتعاون ابناؤها بجهودهم واموالهم ، على انشاء المعامل والمصانع التي تنتج ما تحتاجه البلاد فيد الله مع الجماعة وهذا عصر الجماعات ، وللصناعات والالات والطائرات في الجو والبواخر في البحر ، وكل امة لا تساير الزمن الذي تعيش فيه فهي الى الضياع صائرة ، وللفناء سائرة وكل شعب لا يتسلح بهذه الفنون فهو شعب خاسر متأخر والامة التي لا تنتج والتي تستورد ماتحتاجه من الخارج لا يمكن ان تحيي الحياة السعيدة التي ينشدها لها ابناؤها المخلصون . لذلك يجب علينا ان نقيم مصانع بالبلاد تغنينا عن استجلاب صادرات اوروبا واذا لم نجد ببلادنا من يدير الات هذه المصانع فلا يصعب علينا ان نستقدم من مصر او الشام من يسيرها . حتى تتكون عندنا شبيبة تذهب الى اروبا تتعلم الصنائع في معاهدها ثم ترجع الى بلادها للكفاح والعمل . وبوجود هذه المعامل يشتغل العدد العديد من ابناء الامة الذين عضهم الدهر بنابه لعدم وجود عمل يعملونه حتى التجأ كثير منهم الى التسول او محاولة اكتساب الرزق بطريقة غير شريفة .

[للكلام بقية]

ما هو الدين البرهمي

لفقيد الوطن الشيخ عبد العزيز الثعالبي

يحار الباحث المدقق ان يجد جوابا منطقيا على هذا السؤال لكي يعرفه الى قرائه بما يقرب من الافهام وذلك لما فيه من المتناقضات وكل ما يستطيع المنصف ان يقوله هو ان يعدد كتبهم المقدسه ويشير الى ما فيها من المضامين والمقرر منها ٢٥٠ كتابا : «الوايد» وهو مجموع في اربعة اسفار : « ارتاوايد » و « روق وايد » و شاع وايد » و « يجور وايد » ولهذه الاسفار الاربعة تفاسير تسمى « برهما » وهي مقدسة ايضا مثل الوايد ومنها كتاب بوران وهو ١٨ سفرا تحتوي على قصص الآلهة واخبارهم واحد منها يشتمل على تاريخ الخليقة منذ الازل الى يوم الناس واخر يسمى «باوش» اي المستقبل ويقول الذين قراوه في اللغة السانسيكريتية ان فيه بشارات خاصة بالرسالة المحمدية وسنتكلم على ذلك في موضعه وكتاب « مند وبرات » المنزل على الرسول « منذو » قبل خمسة آلاف عام وكتاب « ليلى » وكتاب « ابنى شد » وكتاب « منو سمرتي » المنزل على الرسول «منو» وكتاب «مهابهارت» وكتاب «بهكوت» الخ والهنادكة غير متفقين على وجوب الايمان بجميع هذه الكتب بل انهم يختلفون في ذلك ففريق يؤمن بالبعض ولا يؤمن بالباقي وفريق يؤمن بما لا يؤمن به الاخرون وهكذا تتعدد فرقهم بتعدد اختلافهم في الايمان بالكتب التي عددناها وذكرنا البعض منها وفي هذه الكتب تعاليم مختلفة واحكام متناقضة فمنها ما يدعو الى الايمان بالله الواحد الاحد ومنها ما يعدد ويحدد عدد الآلهة بـ« ٥٠ » الاها ومنهما ما يزيد فيهم الى « ١٠٠ » الف ومنها ما يرفعهم ٣٣٠ مليون من الآلهة ومنها ما ينكر وجود الالوهية على الاطلاق والكتب القائلة بالوحدانية تجسم الآله وتقول في صفاته ان له الف راس والف يد والف رجل ولما اراد خلق العالم اخرج « البراهما » من فمه و « الشترى » من يده و « الوايش » من بطنه و« الشودر » من ارجله (١) ومن عداهم « باريا » اي الانجاس المنبوذون اولاد « شومترا » وكان من الشتر فغضب على اولاده ودعا

(١) البراهمة هم رؤساء الدين وللطبقة التي لها الرئاسة العلمية والروحية في الهند والشترى هي طبقة الملوك والحكام والجند والوايش هي طبقة المزارعين والتجار والشودر هي طبقة العمال .

عليهم فصاروا من ارذل الناس والفرق بينهم وبين الشترى ان هؤلاء يدخلون المعابد والهياكل واولئك محرم عليهم ان يدخلوها وهذه الكتب كما اختلفت في تقرير العقايد مختلفة ايضا في تقدير الاحكام الى حد التناقض فمنها ما يحرم اكل اللحوم تحريما مغلظا ومنها ما يحرم الزنا ومنها ما يبيحه ومنها ما لا يتورع عن اقراره ويثبت ان الآلهة زناة ففي كتاب (معابهارت) ان الاخوة (باندو) الخمسة الذين تحاربوا مع (الكور) تلك الحرب الشعواء التي فنى فيها سكان الهند القدماء وكانت سببا في تغلب الآريين عليهم هؤلاء الاخوة الذين حكموا الهند زمنا ما كانت لهم زوجة واحدة اسمها (دروبادي) يشتركون فيها تعاشر كل واحد منهم شهرا ثم تنتقل الى لآخر وهكذا حتى تدور عليهم جميعا .

وفي كتب الاحكام اذا تزوج الرجل امرأة ولم يولد له منها فللزوجة ان تتصل بغيره الى ان تحمل منه فان لم تحمل صارت الى غيره ، وهكذا الى ان تعلق ثم تعود الى عصمة الزوج ويكون الولد له دون ابيه الحقيقي وان ادعاه .

والكتب القائلة بوجود الله تعلى تقول ان روحه ظهرت للعالم في عشرة حلول يجب الايمان بها على اليقين .

الحلول الاول في (سمكة)

يروي لنا هذه القصة الطريفة كتاب (بهتكوت) قال : ـ ان الله الذي لا تتصور كنهه العقول ولا تراه الاعين له زوجة لا ترى ولا تدرك مثله اسمها (مايا) اي محبة العالم رزق منها بثلاثة بنين وهم (براهم) و (وشنو) و (واشيو) وسمين ايضا (شانكر) وهم الذين يتالف منهم مثلث الهند الوثني فكان (لبراهم ديو) اربعة وجوه في جسم واحد ولكل وجه فم وكل فم اخرج للناس سفرا ومن مجموع هذه الاسفار الاربعة تالف كتاب (الوايد) فسطا المارد الشرير (شالك سر) على هذه الاسفار والقاها في اليم وبسبب ذلك وقع ارتباك شديد بين الآلهة الابناء الثلاثة ولسلامة العالم تدارك ابوهم الامر فحل في سمكة فاخرجت الاسفار من قاع البحر ووقت العالم من الهلاك .

الحلول الثاني في سلحفاة

وذلك ان ماردا آخر سرق هذه الاسفار والقاها ايضاً في البحر فحلت روح الاله في سلحفاة فانقذتها من الغرق .

الحلول الثالث في (خنزير)

قالوا ... ـ اوشكت الدنيا على الغرق لما علا الطوفان فحلت روح الاله في خنزير فتقدم اليها ورفعها

بنابه وخلصها من الغرق

الحلول الرابع في (نـــار سنه)

وهو حيوان ميثولوجي مركب من جسم انسان ورأس اسد ، واصل الاسطورة ان في الهند ملكين من ملوك المردة (المنبوذين) كان لاحدهما ولد صالح مؤمن بالله منقطع للعبادة والانابة خلاف ابيه الذي كان كافرا يدعي الربوبية لنفسة وهو يقسو على ابنه ويضطهده لايمانه وتقواه وقد حاول مرارا قتله بكل وسائل الفتــك لكي يحمـله على الكفر والزندقة فلم يفلح ثم عين له استاذا يعلمه الكفر فاخفق . وفي يوم من الايام جلس الى ابنه يتحداه في ايمانه فقال اخبرني اين الهك الذي تعبده من دوني عند ذلك خرج عليه (نار سنه) فمزق كرشه بمخلبه ومات بسبب ذلك وعاش اخوه الثاني الى ان قتل في حروبه مع (اندره) ملك الالهة والارواح جميعا

الحلول الخامس في (وامن)

وذلك ان احد ملوك المنبوذين نذر لله ان يوقد مئة (وكنة) (١) ليصير (اندره) فجعل يوقدها واحدة بعد اخرى حتى اوقدها وعند ذلك (اندره) زمنه وكان في السحاب فخاف على نفسه من الخلع فتوجه الى الاله وتوسل اليه ان ينقذه من منافسة المنبوذ فولد في تلك الساعة لاحد البراهمة مولود قزم له ثلاثة ارجل سماه (وامن) فخرج الى الملك يساله حاجة فقال له اعرضها فقـال اريد مكانا ثالثا اضع فيه رجلي الثالثة . فقال له الملك : اجبت سؤالك ، فجعل القزم يرتفع رويدا رويدا حتى بلغ عنان السماء فوضع احدى رجليه على الارض والاخرى في السماء ، وبقيت الثالثة فقال للملـك مرني اين اضعها . فقال ضعها فوق راسي فوضعها الى ان غاست في الارض فهـلك واستراح منه (اندره)

الحلول السادس في (برس رام)

وهو احد البراهمة الذين جاءوا الى العالم ٢١ مرة لقتال الملوك الظالمين فقاتلهم الى ان افناهم جميعا وطهر الارض منهم

الحلـول السابع في (رام)

وقيل الثامن وقصة ذلك ان والده الملك (دشرت) ملك (ايوديـا) (٢) تورط في احدى حروبه

١) شعلة مقدسة تنذر للالهة وقودهـــا النرجيل والورد والسمن وفي اثناء وقودها تعلوا الاصوات بالتسبيح والترتيل وهي من اعظم القرب عند البراهمة

٢) هي من الممالك المتحدة

مع الاعداء ثم انتصر بتدبير زوجه الاميرة (كي كي) فسالها الملك ان تساله حاجة يكافئها بها على حسن تدبيرها فقالت: اريد منك ان تحفظ لي هذا الحق الى ان ياتي وقته فاجابها الى ذلك ولما ضعف وتقدم به السن اراد اعتزال الملك والانقطاع الى العبادة وان يجلس على عرش مملكته ابنه (رام) ولي عهده واسم امه (كوشاليا) فتقدمت اليه زوجه المحبوبة (كي كي) تساله ان يفي لها بوعده الذي سلف منه فقال: لك ما تريدين فقالت: تعين ابني مكانك في الملك. عند ذلك صعق ومات فتنازل (رام) عن الملك لاخيه وفاء بوعد ابيه لزوجه. ثم صاحب زوجه الاميرة (سيتا) وسار الى (ناسك) (٣ فتبعهما اخوه (ليكشمان) واسم امه (سمترا) وانقطعوا هناك للعبادة والتنسك وخرج في بعض الايام (ليكشمان) الى الغابة يجمع الثمار لطعامهم فلقيته (بيش بناخا) اخت (راون) ملك المردة في (سيلون سرانديب) فاعجبها حسنه وافتتنت به فطلبت منه ان يتزوجها فاجابها على شرط رضاء اخيه (رام) فسارت اليه وكاشفته برغبتها فاظهر لها رضاه فقالت اكتب لاخيك بذلك فكتب له على ظهرها هذه اخت (راون) وهي غادرة بك فاحذر منها واجذع انفها ثم اطردها. فعادت الى (ليكشمان) ولما اطلع على رسالة اخيه جذع انفها وطردها فسارت الى اخيها باكية منتحبة فرق لها وعول على الانتقام وطار الى (ناسك) لكي يكيد لـ (رام) فاقبل على منزله في صورة احد العباد وسال (سيتا) طعاما وكان (رام) رسم لها دائرة واوصاها ان لا تخرج منها. ولما اتاها الفقير دعته اليها لكي تطعمه فابى ان يتقدم اليها خوفا من الرصد فاختطفها ونقلها الى (سيلون) عند ذلك حلت روح الاله في (رام) فخرج لقتاله وسارت القردة معه تحمل له العتاد حتى بلغ (سيلون) وقاتل (راون) الى ان انتصر عليه وقتله وانقذ (سيتا) من اسره كما انقذ بقية الالهة الذين اسرهم من قبل. وكان (رام) شديدا مع المنبوذين ومما يروى عنه في ذلك قصته مع العابد (شنبوك) الذي كان يتنسك في احدى الغابات. وخلاصتها انه هلك لاحد البراهمة ولد في عنفوان الشباب فشق ذلك على والده فذهب الى (رام) وشكا اليه مصابه في ابنه فقال غير بعيد ان يكون احد المنبوذين خرج يتنسك فابحثوا عنه فخرج الناس يفتشون الى ان عثروا على (شبوك) واحضروه بين يدي (رام) فجعل يعنفه ويشدد عليه لكي ينصرف عن العبادة التي تسببت في موت الشاب البرهمي ولما ابى (شنبوك) ترك العبادة امر (رام) بقتله لكي يخلص الهنادكة من شره. وتقص علينا الكتب الدينية احداثا كثيرة كانت تجري على المنبوذين منها قصة (لانتك) لما تخاصم مع زوجه وذهب مغاضبا يشكوها الى ابيها. قالوا انه مر في طريقه على بلد هلك ملكه عن غير عقب يتولى من بعده الملك فاتفق رعاياه على ان يجتمعوا في صعيد واحد ويضعوا قلادة من الورد على خرطوم فيل ومن يقلده اياها يملكونه فوضعها الفيل على راس المنبوذ (لانتك) فعينوه ملكا عليهم.

التاريخ

احاديث فضـــل أفريقية

٢

للعالم الاديب الشيخ الشاذلي النيفر

اكثر الاحاديث في فضل افريقيا نجد في سندها عبد الرحمن ابن زياد بن انعم ابا ايوب ويقال ابو خالد الافريقي وهو موضوع بحث عند علماء الحديث فمن مصحح لامره ومن مضعف له واني احدثكم عن اصحاب الرأيين وما ذكروه فيه ثم آتي على القول الفصل في الرجل فالمضعفون له هشام بن عروة وابن مهدي واحمد بن حنبل ويحي بن معين ويعقوب بن شيبة ويحي القطان والترمذي والنسائي والجوزجاني ويعقوب بن سفيان وابو زرعة وصالح بن محمد وابن خزيمة وابن عدي . وخلاصة تعابير القوم فيه انه ضعيف الحديث منكره لايحتج به مدلس ولاينبغي ان يروى حديثه وعامة حديثه لايتابع عليه ويروي الغرائب ويروي عن شيوخ غير معروفين واذا روى عن شيوخ بلده جاء بالغرائب بل ياتي بالمنكر حتى اذا روى عن المعروفين ومع ضعفه يكتب حديثه

وقد اخفى نسبه عليهم ومرت على ذلك بضع سنين الى ان دخل المدينة احد المنبوذين وكان يعرفه (لانتك) فكلمه وساله عن اهله فرآه احد المتجسسين وهو يكلم المنبوذ فرابه الامر ولما انفصل عنه الملك امسكه الجاسوس وما زال به يستدرجه حتى باح له بالسر وعلم ان الملك منبوذ فذهب الى الناس واطلعهم على ذلك فهاجوا لكنهم وقعوا في الخطيئة ولم يعد يكفرهـــا عنهم غير ان يتطهروا بحرق انفسهم فاوقدوا نارا وتقدموا اليها جميعا فاحرقتهم ولما راى المنبوذ مـا فعله الناس بانفسهم القى بنفسه فيها وبذلك كفروا عن هذه الخطيئة .

عبد العزيز الثعالبي

---

١) في السانسيكريتية معناه الانف وقد سميت به المدينة الواقعة شمال بومبي وهي تبعد عنها بمسافة ١٥٠ ميلا . وتعد من المدن المقدسة التي تحج اليها الهنود لانها كانت معبد الآله (رام)

ومما انكر عليه ستة احاديث كما ذكر البهلول بن راشد وقد اجملها التجاني في الرحلة ونحن نبينها ان شاء الله وهي حديث امهات الاولاد وحديث اذا رفع راسه من آخر السجدة فقد تمت صلاته. وحديث لاخير فيمن لم يكن عالما او متعلما وحديث اغد عالما او متعلما وحديث العلم ثلاثة وحديث من اذن فهو يقيم

والمقوون له يحي بن سعيد واحمد بن صالح وهذا الاخير بالغ في الثناء عليه وكان ينكر على من يتكلم فيه ويقول هو ثقة واطراه ابن وهب وكان ابو العرب القيرواني يقول هو من جلة التابعين

وهناك فريق ثالث يرى انه متروك اي لا يكتب حديثه وهو المروي عن ابن خراش ويقول ابن حيان يروى الموضوعات عن الثقات

واذا ما نظرنا الى المضعفين له والمثنين عليه نجد العدد الجم في الصنف الاول ولا نجد من اثنى عليه إلّا القليل وبالطبع ان المضعفين له علاوة على عددهم الكثير كل لما يذكر تضعيفه يذكر قادحا من رواية المنكرات والغرائب مما قامت عليه شواهد فالراي فيه انه ضعيف وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذا الاختيار قائلا والحق فيه انه ضعيف لكثرة روايته المنكرات وهو امر يعتري الصالحين

بعد التمحيص نعجب اذا راينا التجاني يقول انه متروك الحديث وفرق بين الضعيف ومتروك الحديث وكيف نقول انه متروك الحديث وقد روى عنه ابو داود والترمذي وابن ماجة والبخاري في الادب المفرد وجاء في الميزان للذهبي وقال ابن حبان واسرف يروي الموضوعات عن الثقات فقد حكم الذهبي على ابن حبان بالاسراف لما رماه برواية الموضوعات

والاحاديث التي ذكرها ابو العرب وفي سندها ابن زيناد حديث عن ابي عبد الرحمان الحبلي ان رسول الله قال لياتين اناس من امتي من افريقية يوم القيامة وجوههم افضل نورا من نور القمر ليلة البدر وقد روى هذه الاحاديث بصيغ مختلفة ــ وحديث عنه عن ابي عبد الرحمان الحبلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقطع الجهاد من البلدان كلها فلا يبقى إلّا بموضع هو في المغرب يقال له افريقية فبينما القوم بازاء عدوهم نظروا الى الجبال قد سيرت فيخرون لله تبارك وتعالى سجدا فلا ينزع عنهم اخلافهم يعني ثيابهم إلّا خدامهم في الجنة ــ وحديث المنستير باب من ابواب الجنة

وهذه الاحاديث زيادة على ضعف عبد الرحمان او تركه رواها ابو العرب عن فرات وفرات هذا مجرج فيه ومن مجرحيه ابو العرب نفسه قال في ترجمته وكان يغلب عليه الرواية والجمع ومعرفة الاخبار وكان اعلم الناس بمعائب الناس ــ اوقع الناس في الناس

واذا كان فرات بهذه المثابة فكيف يؤتمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد بان ان هذه الاحاديث فيها مطاعن عدة فابن زياد امره دائر بين امرين اما الضعف او الترك فغرائبه على كل حال ليست مقبولة . وفرات مجروح فيه فاي شيء تكون هذه الاحاديث ولا اخال احدا بعدما قررنا يحكم بغير وضعها . ولست ادري محل الداء اهو ابن زياد ام هو فرات

وفوق هذا التمحيص في الرجال نجد ابن ناجي يحكي عن شيوخه

وسمعت شيخنا ابا الفضل ابا القاسم بن احمد البرزلي يقول عن شيخه وشيخنا ابي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي انه يغلب على الظن ان هذه الاحاديث موضوعة وقصدوا بوضعها تحبيبها اساكنها ويدل على هذا ان فيها رونق الاحاديث الموضوعة

واذا بحثنا من الناحية غير الناحية السابقة نجد الفاظ هذه الاحاديث بعيدة عن الفاظ النبوة فانظر الى حديث انقطاع الجهاد من الدنيا إلّا من المغرب فانك تراه ثقيلا على السمع بعيد عن الطبع فانظر الى هذه الجملة وهي قوله ينقطع الجهاد من البلدان كلها فلا يبقى إلّا بموضع بالمغرب يقال له افريقية

وعلاوة على ذلك ، المجازفات في الفاظ هذه الاحاديث فجعل رباط المنستير باب من ابواب الجنة مجازفة لا تنكر فكونها ثغرا من ثغور المسلمين لا يبلغ بها ان تكون بابا من ابواب الجنة فاي شيء رفعها عن بقية الثغور

وقد ذكر في اللؤلؤ المرصوم يعرف الحديث الموضوع بركاكة الفاظه واشتماله على سماجة ومجازفات وظلمانية يشهدها اهل السنة

وازيدك بيانا لوضع هذه الاحاديث قال في حديث بقاء الجهاد في افريقية فبينما القوم بازاء عدوهم نظروا الى الجبال قد سيرت فيخرون لله تبارك وتعالى سجدا فلا ينزع عنهم اخلافهم إلّا خدامهم في الجنة

وهذا الحديث مناف لما هو مقطوع به من ان الساعة لا تقوم إلّا على شرار الخلق بينما هو يذكر انه اذ سيرت الجبال يتوفاهم الله وينزع اثوابهم خدمهم في الجنة وما ذاك إلّا لانهم من خيار الخلق مع انه ورد في الاحاديث الصحيحة عن انس رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله وعن عبد الله بن مسعود عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة إلّا على شرار الخلق ولم ار من تنبه الى مصادمة هذا الحديث الى الاحاديث الصحيحة في قيام الساعة على شرار الخلق

وهذا الحديث زيادة على تلكم العلل مرسل لانه رواه عبد الله بن يزيد الحبلي ابو عبد الرحمان عن النبيء صلى الله عليه وسلم وهو من التابعين ولم يكن من الصحابة فقد سقط منه الصحابي ويسمى عند اهل المصطلح بالمرسل وفي الاحتجاج به خلاف مشهور لا حاجة الى بسطه

هذه هي الاحاديث التي ذكرت في فضل افريقية وقد رايت كيف انها لم تقو امام عرضها على البحث والنقد وقد بقيت احاديث اخرى سيكون مآلها التوهين إلّا حديثا واحدا بلغ الى درجة الصحة مع انه قد ورد في معناه اختلاف كثير

محمد الشاذلي النيفر

الأدب

الحـــوار

الحوار مادة حياة البشر في كل عصور الانسان واسلوب المجتمع في سائر اطواره تجري به الحوادث الخاصة والعامة وتتنقل على متنه الاحداث الطارئة وتتردد فيه مآرب النفس وتكاد تنحصر لغة التخاطب فيه ولا تعرف من ضروب الكلام غيره

فهو مادة الحياة المتدفقة المؤثرة في الوصول الى غايات النفس ومراميها

وهو لسان الانسان المترجم له عن رغـائب النفس في سائر اطوارها وهو الطريق الذي يسلكه ويملأ ناظريه بقوته والوضاح وهو الذي يستمد من سوانح الافكار ما يسيطر به على الاذهان العطشا من غير اجالة او امعان تفكير

وهو المادة التي يتدفق بها الصدر من لحن القول ويشف بها الضمير عن الهام الروح في لهجات الحديث . هو ذلكم السيل الجارف الذي يفيض على الاذهان كل آن وحين ويطرق الاذان بمعسول القول وصخب الكلام فيهز النفوس هزا سريعا ويثير العواطف ويحرك الضغائن

هو ذلك المؤثر الفعال الذي يثير الحفائظ ويحرك السواكن ويدفع بالانسان الى ارتكاب الجرائم ويسوقه الى الاقدام على المخاطر

هو ذلك الاسلوب العجيب الذي يلازم الانسان ملازمة الظل فان هو صبغه بمادة الحق كان له اكبر معين على تصوير الحياة المثلى والسعادة العظمى في حديثه اذا نطق وفي اخباره اذا روى وفي خطابه اذا واجه به الفرد والجماعات وفي كتابه اذا خط وكتب

وان هو صبغه بمادة الوهم كان اخطر معول هدام تنسف به الفضيلة

والحوار لا يتطلب الوجه الجامع في القول ولا يحتاج لتسلسل الافكار ما يتطلبه غيره ولكنه مع ذلك ربما ينتهي في بعض المواقف الى هذا الطلب وذلك الاحتياج

ونحن اذا امعنا النظر وراقبنا المتحاورين عن كثب وترصدنا مواقفهم المتنوعة عد الرمال والحصى خرجنا بنتيجة واضحة وهي ان قسما من الحوار الذي يجري على الالسن في كل صباح ومساء هو فن من فنون الادب الرفيع جدير بالتسجيل والتدوين اجتمع فيه اللفظ البليغ والراي السديد والمعنى السامي والقول الفصل . وكأن هــذا هو الذي بعث بعض الكتاب الى اتخاذ الحوار طريقــا لاخراج افكارهم مطبوعة بطابعه لما وجدوه فيه من التاثير على النفس التي يكتبون لها لا لسواها ويخاطبونها هي دون غيرها والكاتب الذي يكتب للنفس يعمد الى اقوى المؤثرات عليــها فيتخذه وسيلة لما يراه هو انجع الوسائل واقربها في البلوغ الى مجاهل النفس .

محمد البشاذلي بن القاضي

المـدنيـة الإسـلانية

ان لنا مدنية اجتمــاعية تامة يجب ان نحــافظ عليها فهي الكفيلة بالمحافظة على شخصيتنــا والمميزة لنا عمن سوانا وهي بنت مــاض كله سؤدد ينبغي ان نذكره دائما ونتفخر به فان الشعوب لا تموت إلّا بنسيان ماضيهــا

***

الذي هو حقيقة الخلق الاجتماعي في الامة وهو الذي يجعل القلوب كلها طبقة واحدة على اختــلاف المظاهر الاجتماعية عالية ونازلة وما بينهما فهو بذلك الضمير القانوني للشعب وبه لا بغيره ثبــات الامة على فضائلها النفسية وفيه لا في سواه معنى انسانية القلب .

مصطفى صادق الرافعي .



الاصلاح الاجتماعي

بقلم الاستاذ سالم بن حميدة

تابع لما قبله

ومن قوله جل شأنه « آل فرعون » وما استجابته دعوة ابليس في استنظاره الى يوم البعث وما قوله تعالى له « اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم » الا جزاء عادلا عما انعم به عليهم من نعمة الايمان بكرامة النفس والحرمة الذاتية في حرية واستقلال .

ولولا ما مس ايمانهم ذلك من اشواك الغرور والكبر والحرص والعتو ومجاوزة الحدود لما مسهم الخزي ولا لعنوا في العاجل والمآل تنبيها لمن يأتي بعد فلا ينال ما نالوا حتى لا يصبح رهن النكال. امنت بالله تعالى ربا وبالقرءان حجة اذ يقول « ان الشرك لظلم عظيم » وءامنت ايضا بان هذا العلم لا ينال من مقام الالوهية امر ما يمس بمكانة تقديسها وتنزيهها وهو خلقها وبيدها مقاليده وماهو إلا رهن ارادتها وقدرتها وما هو إلا عقاب صارم تسلطه هي على من ارادت جزاء عن كفرانه بنعمة ربه عليه في تكريمه تكريما اضاعه في اعلاء شأنه اعلاء لم يقابله إلا بالتسفل والامتهان في حفظ حرمته حفظا مزق دروعه بالرضى بالهون والهوان في تحريره من ربقة مطلق من يتسلط عليه تحرير اشترى به العبودية هوى النفس والحاجة وان يكونا في موطن العلل ومرعى الذباب وفي استقلاله استقلالا استبدله باسر سخره لمن لا يملك له نفعا ولايدفع عنه ضرا اذا لم يكن منه لما يملك النافع والدافع المغذي المقوي النصير .

واها للمجتمع الانساني عموما وللمجتمع الاسلامي خصوصا كيف يسوقه الشرك والاشراك الى مجاهل غروره وحرصه واطماعه وكنوزه فيضيع كرامته من حيث يريد ايجادها ويتلف حرمته من حيث يطلب تكوينها ويبيع حريته وهو يسعى لسوق اشترائها ويبدد استقلاله من حيث يسعى لاعلانه كفرا بنعمة ربه عليه نعمة جعل مناطها الوحيد في اعتداده بما اودعه الله فيه من ارادة وقدرة سخر لهما السماوات والارض ليعرجا به الى ارقى مراقي الكمال على جناح وحدته وتوحيده حتى يكون بحفظ حرمته وكرامته وحريته واستقلاله في دائرة ما حده له وقدره فاحسن تقديره اهلا بخلافته باقيا خالدا ببقاء الصالح والاصلاح .

وهذا الشرك هو الذي سول لبني اسرائيل ان يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فحرفوا الكلم عن مواضعه وقتلوا انبيائهم بغيا وعدوانا .

وهو هو الذي سول لهم ان يرفضوا دعوة موسى صلى الله عليه وسلم لقتال المشركين فقالوا « ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » .

وهو هو الذي جعلهم يرفضون دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام كما جعلهم وجعل الرومان يقصرون جميعا هممهم على التنكيل به وبالحواريين وانصاره من بعده حتى لبثوا طيلة ثلاثمائة سنه مغربين مشردين في الصوامع والكهوف والغيران كي لاينفلت منهم جاه ولاسلطان . وهو هو الذي جعل من احلاس اولائك الحواريين واذنابهم بعد انحناء سلطان الروم امام قوة ايمان اسلافهم ذبابا يتساقط على موائد قسطنطين وغير قسطنطين وتركهم شيعا واحزابا يتزاحمون على خدمة ملوكهم المتشاكسين تزاحما ترك المسيحية ترزح تحت وتره في جهالة عمياء طيلة ثلاثمائة سنة اخرى والى ان ظهر الاسلام وحتى بعد ظهور الاسلام وهو هو الذي خضد شوكة الفرس والرومان .

وهو هو الذي احدث في وحدة الاسلام الاولى السالمة وتوحيده الخالص اول فتق اخذ به نجمه في الافول عند قتل عثمان وعلي رضي الله عنهما فاصبحنا من عهد حدوثه ننتقل من تضعضع اجتماعي وفساد الى تضعضع وفساد ومن هوان الى هوان .

وهو هو فيما ارى الذي قضى على عالم المدنية المزعومة الحاضر بالتناحر في غير قسط او رحمة الى حد ما نعاني ونرى من عبث في الارض وعوث وفساد وقتل وتدمير وخراب وجوع وعراء وشقاء وبلاء زلزلت منه الارض ودكت الجبال وتصدعت الاجواء مرسلة بشواظ من نار وحديد ونحاس يرسل كالوبل على البوء وما بعد العيان بيان

لقد كان لهاته الامم قديما وحديثا كما لا تزال توجد عادات وتقاليد وعلوم وتعليم واسر راقية وحياة زوجية عالية وحاجيات ومخاوف وآمال ولقد كانت المرأة فيهم تنهض بما ينهض به ابطالهم من جليل الاعمال .

ولقد كانت لهم اداب واخلاق تعلو وترسب ولقد كانت لهم ملاجىء ومستشفيات وقوانين ونظم وقضاء ولقد انعدم التسول في كثير من الاجيال ولقد كانت ثروتهم في نمو مطرد ولقد كانت الصوامع والديرة والزوايا والتكايا والجمعيات التعاونية تاتي الخير وتشجع عليه وتحاول ان ترقي مستوى طبقات الشعوب وتحسن معيشة العبيد والعمال الى حد يغبطه المثريون والاحرار الان ولقد حورب اللهو والفجور بكل لسان ومقمع وسنان .

[للكلام تتمة]

اصل بيعة الرضـــــوان

بقلم الفاضل الشيـخ محمد طراد

ـ ٣ ـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله اسس هذه الزاوية المباركة وبنى قواعدها الملك الهمام صاحب الصدقات والقرابات ابو عبد الله محمد باشا صاحب كرسي مدينة تونس ابن الملك الهمام المرحوم برحمة الملك الجواد ابي الخيرات مراد باشا وجعل الزاوية لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي زمعة البلوي على يد صانعيه الشقيقين البناءين لها احمد ومصطفى ولدي احمد الاندلسي عرف ديسم بتاريخ اوائل شهر الله رجب عام اثنين وسبعين والف

وبحاته الوثايق التاريخية التي تشاهدونها هناك وما ذكره المتاخرون من المؤرخين كابن ابي الضياف وحسين خوجه كاتب دولة المولى حسين باي ومترجمها وصاحب الحلل السندسية ومسامرات الظريف كلهم اتفقوا على ان الباني والمشيد للمقام الصحابي هو حموده باشا المرادي المتوفي علم ١٠٧٦ ستة وسبعين والف وحيث ان ابنه مراد الثاني لم يلبث في الامارة إلّا نحو عشر سنين فتولى بعده ابنه محمد ابي محمد بن مراد بن حموده هذا فان الجد حموده وحفيده محمد بن مراد الثاني هما اللذان لهما الاثر بهذا المقام ويزيد الحفيد عن الجد بمئاثر عظيمة تركها بالقيروان وهي بناءه للجامع الحنفي للذي فرغ من بنائه في عام ١٠٩٤ اربعة وتسعين والف حسب الابيات التي كانت بواجهة محرابه بلوح يقول في البيت الاخير منه في عام ١٠٩٤

تم البناء بهذا الجامع اشتهرا * تسعين مع الف واربعة

وفي الاصلاح الاخير انكسر هذا اللوح و دثبت الابيات باطار علق في محل اللوح بالجامع ومن مآثره بناء سبيل بيروطه وجعل دولاب له وهو المشاهد الان عوض الغرغاز ومجراه الذي كان مكانه بين سوقي العطارين والربع الذي تم بناءه في عام ١١٠١ واحد ومائة والف كما يوجد هذا التاريخ مصرحا به في ابيات تلوح فوق اقواس احواض هذا السبيل اعتنى بانشائه بعد ان راى العطش الذي احاط باهالي القيروان والواردين عليها وجلب ماء عدة آبار بهنشير السراج الغربي عن القيروان وبنى لها سواقي حتى اوصله الى هنشير الجزارة وبنى بهذا الهنشير فسقيه وجعل لها مواجن لتملا منها اهالي القيروان وبنى له ذلك هذان الاخوان الشقيقان احمد ومصطفى ابناء احمد الاندلسي المذكوران وهما من جالية الاندلس الواردين على تونس ولما لهما من الخبرة والبصارة بهندسة البناء وجلب المياه كلفهما

بذلك فباشراه . وشكل وهيئة الصومعة التي بطرف المدرسة الصحابية يخبرنا انه شكل اندلسي خاص كشكل صومعة مسجد ابن خيرون الاندلسي الجياني المتوفي عام ٣٠١ واحد وثلاثمائة اذ هذا الشكل الاندلسي فيهما يخالف شكل صومعة الجامع الاعظم واحرى الصوامع الاخرى بعدها ثم ان صومعة الزاوية الصحابية اراد مؤسسها ان يكون حجرها كحجر صومعة الجامع الاعظم فوجد مقطع حجر بقابس فجلبه اليها فكان لونها ذهبية حتى قال فيه ناظر الاثار والفنون المستظرفة عند ما جددت اخيرا صفة اعتراض ان هذا التجديد اضاع لونها الذهبي العزيز وله الف حق في هذا الاعتراض اذ المشاهد المحسوس لا يسع العاقل إنكاره وهذان البناءان اللذان هما من الجالية الاندلسية الكريمة فروعهم موجودة بتونس وتونسي اللقب الذي كان لهم وهو ديسم وصارو يعرفون بالتونسي ومن بينهم واسطة هذا العقد النفيس الصديق الاود الشيخ سيدي عبد السلام التونسي عين اعيان مدرسي جامع الزيتونة المعمور وفرقد سماء علمائه واساطينه الاجلة . وبالتامل من لون الرخامة المنبسطة ارضيا على قبر ابن زمعة التي ذكرت اولا انَ او نها الصفرة تجدها انها مختارة من حجر الصومعة التي هي من انشاء حموده باشا بن مراد الاول فان منها الى اعلى سطح التابوت تحققنا انه من عمل حموده باشا وانه ادمج في بنائه هذا التابوت السارية التي ذكر ابن ناجي انها جعلت من قديم علما على القبر ويبقى لوح للتاج فان كتابته الكوفيه تدل دلالة قطعية على ان تاريخ نقشها يرجع لاواخر القرن الرابع واوائل الخامس ثم ان توالي اشادة هذا المقام وتحسينه لم يقتصر تاريخه على عصور الدولة المرادية فقط بل دولتنا الحسينية خلد الله ملكهم قل ان تجد واحدا منهم وليس له اثر محمود في ذلك فالملك المرحوم المقدس المشير الاول سيدي احمد باشا باي الاول له الايادي البيضاء في اشادة باب القبة وشبابيكها وجعل الحزب القرءاني الاسبوعي ورواية صحيح الامام البخاري وسميه ملكنا الراحل قدس الله روحه ونور ضريحه غمر هذا المقام بمزيد عنايته وفائق رعايته فامر اخيرا باصلاح ما تداعى من زليجه ومن ابنيته وابنية المدرسة وتم ذلك في مدة مليكنا الحالي سيدنا ومولانا محمد الامين باشا باي جعله الله من السعي المقبول والعمل المبرور



السفور والحجاب

محاضرة العلامة الشيخ محمد القروي قاضي بسوسة

(تابع لما قبله)

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا * واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا » (سورة الاحزاب ٣٢-٣٣-٣٤)

وقوله تعالى : « يا ايها النبيء قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ») سورة الاحزاب ٥٩)

٢ — والحجاب في المعنى الثاني مذكور في آية من سورة الاحزاب ايضا ومحل الحاجة من هاته الاية قوله تعالى : « واذا سالتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن » (الاحزاب ٥٣)

وخلاصة ما قاله العلماء في تفسير آيات الحجاب بالمعنى الاول ان نقول : قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) غض البصر : خفضه وكفه وكسره والمعنى قل يا محمد للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي يكفوا عن بعض النظر وهو النظر العمد لغير ضرورة سواء اكان صادرا عن نفس طاهرة ام عن نفس فاجرة فمن في الاية للتبعيض اذ ليس القصد غض البصر مطلقا بل غض ما كان منه مقصودا لغير ما غرض صحيح داع الى النظر

ومنه النظر تلذذا بالجمال او اعجابا بصنع الخالق سبحانه كما يقولون وان كان صاحبه طاهر النفس عفيفا لان اعتياد ذلك يدعو الى تحريك النفس الامارة وافساد النفس اللوامة بالغة ما بلغت من الطهارة والصلاح فالانسان انسان مهما تقدس وتطهر لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا ابن عمه ذلك الرجل العظيم حكمة وصلاحا وجاشا وايمانا باب مدينة العلم الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : « يا علي لا تتبع النظارة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية » وفي رواية « الاخيرة » مكان الثانية

ايها السادة الكرام ! ايها التلامذة النجباء ! رجال المستقبل

إذا كان هذا النهي موجها بحسب اللفظ الى علي وهو من يعلم جميعنا منزلته في العلم والصلاح فما بالك بمن سواه صدق الله ورسوله فان النظر باب كثير من الشرور وهو بريد الزنى ورائد الفجور قال

الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة اورثت حزنا طويلا وقال بعضهم :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في اعين العين موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في القلب فاعلها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

وقال الاخر فاجاد :

وانت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

ولما كان الاسترسال في عدم غض البصر داعيا الى اثارة ما في النفوس وسببا في الوقوع فيما لا يحل في بعض الاحيان امرنا الله بالغض منه ثم حذرنا عواقبه فقال « ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم » اي اطهر لهم فان في غض البصر وحفظ الفروج طهارة اي طهارة . ويظهر للعبد القاصر ان في ذلك طهارتين اشارت اليهما الاية الكريمة الاولى طهارة روحية وهي طهارة القلب من ادران الهوى وانتصار النفس اللوامة على النفس الامارة وفوز الفضيلة على الرذيلة والثانية طهارة دينية شرعية وهي صيانة الذات عن الوقوع في محارم الله التي يغار عليها اكثر مما يغار احدنا على اهله . ثم لما كانت بعض النفوس تستحل المحرم بالتاويل او تدعي حسن النية فيما تقدم عليه من الامور التي تباح او تمنع تبعا للنيات قال تعالى (ان الله خبير بما يصنعون) اي بما يفعلونه من عدم غض البصر عما لا يحل النظر اليه مدعين انهم انما ينظرون نظرا عفيفا طاهرا مسببا عن ضرورة او حاجة او عن الاعجاب بجمال الله في خلقه واتقانه في صنعه فالله خبير بما في قلوبهم فليكونوا على حذر منه في كل حركاتهم وسكناتهم

وقد امر الله المؤمنات بمثل ما امر به المؤمنين فقال « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن » اي لا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ولا يتعمدن النظر لغير ما غرض صحيح ويحفظن فروجهن من دنس المعاصي فقد اخرج ابو داود والترمذي وصححه النسائي والبيهقي في سننه عن ام سلمة انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة قالت فبينما نحن عنده اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله احتجبا منه فقلت يا رسول الله هو اعمى لا يبصر قال أفعميا وان انتما الستما تبصرانه — وقد سال رسول صلى الله عليه وسلم السيدة فاطمة رضي الله عنها سؤالا معناه ما افضل شيء للمراة فاجابت بما معناه افضل شيء للمراة ان لا ترى الرجل ولا يراها فقبلها النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيها وقال : « ذرية بعضها من بعض » [يتبع]

ما قل ودل

من دستور الجـــامعة العربية

نحو ثقافة موحدة

نشرت مجلة الجامعة العربية مقالا للدكتور عبد الرازق السنهوري ننقل هنـا نصه افادة للقراء الكرام

اقر مجلس الجامعة العربية في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ٤٥ المعـاهدة الثقافية التي وضعت مشروعها اللجنة الثقافية ولقد احتوت هذه المعاهدة على اعمال تعاونيه واسعة النطاق قسمت الى جزئين جزء يقتضي جمع وثائق تمهيدية وجزء آخر يمكن تنظيمه مباشرة .

اما الجزء الاول فقد ارسلت الامانة العامة الى الحكومات العربية تطلب الوثائق اللازمه له .

واما الجزء الثاني فقد اختير اهم واسهل مـايمكن بحثه فوضع في جدول اعمال اللجنة الثقـافية الحاضرة وانتهت الى ما يأتي :

١ ـ معهد احياء الخطوط العربية من اهم المشاريع العلمية التي بحثتها واقرتها اللجنة هو تسهيل الوصول الى التراث العربي والاستفادة منه والتآليف العربية القديمة هي جزء كبير من هذا التراث وقد بقيت عرضة للتلف والتشتيت ومضى على الدول العربية امر كبير منذ يقضتها دون الوصول الى وضع نظام لنشر هذه التآليف والعمل على الاستفادة منها وحفظها من الضياع لذا قد اتفقنا على انشاء معهد احياء المخطوطات العربية وتكون مهمته ما يأتي :

١ ـ جمع فهارس دور الكتب العامة والخاصة وفهارس المخطوطـات التي يمتلكها الافراد ولهذا الغرض تتفق الدول العربية على اصدار قانون يقضي بان يقدم كل شخص يمتلك كتبـا مخطوطة كشفا بها ويصادر المخطوط الذي لم يشر ممتلكه الى وجوده في حيازته واذا تم جمع هذه الفهارس وحدت في فهرس عام .

٢ ـ تصوير اكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية القيمة ويتبع في هـــذا تصويرها في فلم او افلام صغيرة لا يتجاوز حجمها ربع قبضة اليد .

ولما كان عدد المخطوطات العربية الموجودة في العالم قد لايتجاوز ٢٠٠ الف مخطوط وعدد ما هو جدير منها بالتصوير ٢٠ الف مخطوط امكن وضعها في غرفة لايتجاوز ابعادها ٢٠ في ١٠ متر ووضع فهرس لها خاص مفصل .

٣ ــ وضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء اولا بعرضها لمن يطلبها للاطلاع عليها بواسطة الآلات العارضة المكبرة او باعطاء صور مكبرة عنها باسعار مناسبة : ثانيا ارسال نسخ ثابتة منها للعلماء الذين يطلبونها من البلدان الاخرى على ان تعاد بعد الاطلاع عليها .

٤ ــ طبع المخطوطات الصحيحة النص القيمة المكتوبة بخط نفيس بطريقة النقش التصويري (فوتغرافور)

٥ ــ تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات وفقا لمنهج يلاحظ فيه تقديم الاهم على المهم وتوزيع العمل بين المؤسسات العلمية والعلماء .

٦ ــ تزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات التي يعنون بها .

٧ ــ اصدار نشرة دورية عما طبع او يطبع من المخطوطات. ولقد تم وضع الاصول الاولى لنظام هذا المعهد واهمها ان هذا المعهد يتمتع بشخصية معنوية مستقلة ويقبل الاعانات والهبات وينظم الاكتتابات كما وضعنا ميزانية هذا المعهد وقد قدرت بمبلغ ١١ الف جنيه للسنوات الثلاث الاولى

٢ ــ حماية الملكية الادبية والفنية: وافقت اللجنة على تشكيل لجنة تعكف على وضع ودراسة التشريع الخاص بحماية الملكية الادبية والعلمية والفنية بين الدول العربية .

٣ ــ اللجنة القانونية : ان المادة ١٥ من المعاهدة الثقافية تنص على ان تتخذ دول الجامعة العربية الوسائل اللازمة للتقريب بين اتجاهاتها التشريعية وتوحيد مايمكن توحيده من قوانينها .

ولما كان من الواجب المبادرة بتحقيق هذه الاغراض البينة النفع وافقت اللجنة على تشكيل لجنة فرعية دائمة من ممثلين للدول العربية من رجال القانون المعروفين تناط بها هذه المهمة .

المؤتمر الثقافي العربي

لكل دولة من الدول العربية اليوم برنامج تعليمي مستقل تسير عليه : ولاريب ان اهم شيء في البرامج التعليمية له مساس بالروح العربية والتربية الوطنية هو اعطاء فكرة وافية توجيهية عن التاريخ العربي وجغرافية البلاد العربية وغرس بذور التربية العربية الاجتماعية والاخلاقيه هذه الفكرة وتلك البذور موجودة اليوم في برامج الدول العربية والحمد لله ولكن هل هي موجودة بقدر كاف وباتجاه صحيح؟ الجواب عن هذا السؤال عسير وهو امر لا يستوفيه باحث واحد ولا تقدر عليه لجنة مكونة من قطر

واحد انه جدير بان يتناوله مؤتمر من اخصائيين في التربية والتعليم ومن علماء في التاريخ العربي والثقافة العربية وجغرافية البلاد العربية فاذا اجتمع هؤلاء الاخصائيين والعلماء في مؤتمر عام امكنهم توحيد الاتجاه الفكري في العالم العربي كما امكنهم تبسيط تعليم اللغة العربية .

٥ ـ توثيق الصلات بين الثقافة العربية والغربية

بعد ان وضع دستور هيئة الامم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة في شهر نوفمبر الماضي . اصبح من المتعين على لجنة شؤون الثقافة لجامعة الدول العربية واغراضها متداخلة في الاغراض التي تسعى الهيئة العالمية لتحقيقها ان تتلمس الوسائل لتوثيق صلاتها بهذه الهيئة العالمية . وهناك مجال واسع لنا باشتراكنا في هذه الهيئة العالمية وتوثيق صلاتها بها اهمها :

١ ـ كفالة صيانة تراث العالم من المؤلفات العلمية والآثار الفنية والتاريخية .

٢ ـ امكان فوز الدول العربية في المجلس التنفيذي العالمي للثقافة ولو بمقعدين من ١٨

٣ ـ منع تسرب افكار العدوان

٤ ـ العمل بواسطة مندوبي البلاد العربية على اقرار فكرة جعل اللغة العربية من اللغات الاساسية التي تترجم اليها اعمال الهيئة

٥ ـ مكتب دائم للشؤون الثقافية . واخيرا امكننا في هذه الدورة ان نكون مكتبا دائما للتعاون الثقافي منبثقا عن اللجنة الثقافية ومتمما لها ومن اهم اعماله جمع المعلومات والاحصاءات في مختلف البلاد العربية وتحضير الموضوعات التي يجب ان تبحثها اللجنة الثقافية والعمل على تنفيذ ما تقرره اللجنة من المبادي والقواعد .

هذه صورة اجمالية عما قامت به اللجنة الثقافية في اجتماعها الاخير وارجو ان نكون قد وفقنا الى ما فيه فائدة الامة العربية في ثقافتها العظيمة والله يوفقنا جميعا الى ما فيه الخير والرشاد . ـ



فهرس العدد

الصحيفة	المقال	صاحبه
...	الشمال الافريقي	محمد الشاذلي بن القاضي
٥٥٣	تفسير آيات بينات	الامام الحجة المولى محمد الطاهر ابن عاشور
٥٥٥	الحديث الشريف	المنعم الشيخ محمد بن القاضي
٥٥٨	توبة اليائس	المنعم الشيخ محمد بن حسين البارودي
٥٦٠	الاخبار برؤية هلال الشهر	المقدس المبرور المولى احمد بن الخوجة شيخ الاسلام
٥٦٢	ما هي طرق الوصول الى اصلاحنا	العالم الشيخ الجيلاني حمزة
٥٦٥	ما هو الدين البرهمي	لفقيد الوطن الشيخ عبد العزيز الثعالبي
٥٦٩	احاديث فضل افريقية	العالم الاديب الشيخ الشاذلي النيفر
٥٧٢	الحوار	....
٥٧٤	الاصلاح الاجتماعي	الشيخ سالم بن حميدة
٥٧٦	اصل بيعة الرضوان	الشيخ محمد طراد
٥٧٨	السفور والحجاب	العلامة الشيخ محمد القروي قاضي سوسة
٥٨٠	نحو ثقافة موحدة	الجامعة العربية

عدد ٨

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

الجزء العاشر | جمادى الاولى - جمادى ٢ - ماي - جوان ١٣٥٦ - ١٩٤٦ | المجلد السادس

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس

تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جار مع ادارة البريد بباب سويقة ٣٤٢٢

فهرس العدد

الصحيفة	المقال	صاحبه
٥٨٤	المقال الافتتاحي ـ الشعب التونسي يطالب	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٥٨٧	خطاب سماحة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الاعظم في حفل ختم السنة الدراسية	صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
	التفسير	
٥٩١	تفسير آيات من سورة البقرة	« « « «
	الحديث	
٥٩٥	شرح حديث يسروا ولا تعسروا	المنعم الشيخ محمد ابن القاضي
	الفتاوي والاحكام	
٥٩٩	حكم ماء (الكولونيا)	المقدس شيخ الاسلام الشيخ محمد بن الخوجه
	الوعظ والارشاد	
٦٠٣	ما هي طرق الوصول الى اصلاحنا	الشيخ الجيلاني حمزة
٦٠٦	الاصلاح الاجتماعي	الاستاذ سالم بن حميدة
	التاريخ	
٦٠٨	ابو الحسن الشاذلي	الصحافي القدير السيد البشير الفورتي
٦١٤	احاديث فضل افريقيه	العالم الشيخ الشاذلي النيفر
٦١٩	خطاب الشيخ النائب بفرع صفاقس	العلامة الشيخ محمد المهيري مفتي صفاقس
٦٢١	الشيخ عمر المحجوب	صاحب الفضيلة الشيخ محمد البشير النيفر



مطبعة الارادة ـ تونس

عـدد ٨

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

جمادى الاولى ـ جمادى ٢ ـ ماى ـ جوان ١٣٥٦ ـ ١٩٤٦

الجـزء ١٠ | المدير محمد الشاذلي ابن القاضي | المجلد السادس

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس

تليفون ٤٩ـ٢٦

حساب جار مع ادارة البريد ٣٤٢٢

الشعب التونسي يطلب التحرير

بعد حرب الحرية

مضت سنة كاملة على انتهاء الحرب وقد انتقلت الامم التي خاضت غمارها من حرب السلاح ضد العدو الذي دامت مقاومته ما يقرب من ست سنوات انتقلت منها الى حرب سياسية لا يعلم احد مداها . ولم تكن هذه الحرب بين اعداء الامس بل بين الامم التي انتصرت على خصمها وقلمت اظفاره وحطمت معاقله ونزعت سلاحه ، فنراها تعقد المؤتمرات وتشكل اللجان وتبعث المندوبين للمفاوضات وفي كل ذلك تزداد نار الحرب السياسية تأججا وعلى الاخص بين الدول العظمى التي انتهى اليها التحكم في مصير جميع امم العالم وفي كل آن وعقب كل اجتماع ترفع الامم الصغيرة رؤوسها متطلعة لمصيرها وما سيكون عليه امرها وعلى الاخص الامم الضعيفة التي كتب لها ان تعيش ردحا من الزمن يحكمها الاستعمار المحكوم عليه في هذا العصر بالزوال والاضمحلال وتم على ايدي رجال تفطنوا قبل سواهم الى ان هذا العصر لا يليق باهله ان يحفظ لهم التاريخ عارا ومنقصة كان سجلها لاهل العصر الماضي الذين شجعهم الطمع على ارتكاب نقائص دنسوا بها تاريخ حضارتهم ورقيهم العلمي ونعتهم بمثل ما نعتت به الدول القديمة التي تحكمت في طبقات الشعوب ووضعتها تحت كلاكلها فسلبتها عزها وحريتها فباتت تنقص في الانفس والاموال والثمرات وربما هاجر ابناؤها اوطانهم من النير الذي نزل عليهم ونزحوا الى بلدان اخرى تنسموا فيها نسيم الحرية الذي فقدوه في اوطانهم فلما دخلت الامم المنتصرة اليوم الى الحرب وحست بالخطر العظيم الذي هدد كيانها في اول ايام الحرب ادرك زعماؤها ما تعانيه الامم التي غلبت على امرها في العصر الماضي وسلبت منها حريتها وسيطر عليها الاستعمار فقاست منه العذاب الوانا فقرروا في مؤتمرهم التاريخي العظيم القضاء على الاستعمار ! وتمكين جميع سكان العالم من الحرية حتى يعيش الناس جميعا في امن وسلام واخاء وقدر الله ان

يكون ابرام هذا القرار العظيم على ابناء الاعلى الارض المدنسة بآثام الجبارين و الملطخة بدماء الابرياء المظلومين و كأن في ذلك اشارة الى بعث الحياة لامم الارض من جديد (وجعلنا من الماء كل شيء حيا) فتنفس الناس الصعداء و حمدوا لهذا القرار و باتوا يتطلعون ليوم النصر يوم يأتيهم بفاتحة عصر جديد طالع فجره رحمة و بشر و ضحاه تآلف و تناصر و غسقه تعاون وجد عصر ينعم فيه الناس بحضارة تقوم على سواعد اهل الارض قاطبة و يشارك فيها اهل الارض قاطبة ، عصر تعم فيه مدنية العلم طبقات الشعوب و يساعد فيه القوي الضعيف على الالتحاق به و يمهد له فيه السبل و تعبد له الطرق حتى يتمكن من الالتحاق بقافلة الامم السابقة و الصعود معها في سلم الرقي.

عصر يسود فيه الحب و الولاء و يقضى فيه على التعصب و البغضاء و تتكاتف الشعوب و الامم على اقرار سلم دائم بين سكان هذا العالم على قواعد و مبادي عادلة تحفظ للناس مصالحهم و تضمن لهم الحرية في كنف الفضيلة و الرحمة و نعومة العيش.

و لكن مضت سنة كاملة و الناس في انتظار و ترتب و قادة الشعوب في حيرة و تردد و وزراء الدول الكبرى في تناحر و عراك سياسي لم ينتهوا بعد فهل عاد الجشع القديم يسيطر على نفوس رؤساء الامم الغالبة ؟ ذلك هو السؤال الذي يتردد في افواه اهل الارض قاطبة و اخذت الحيرة و القلق يسريان الى نفوس الامم و بالاخص الضعيفة منها التي فرحت و اهتزت طربا من قرار الامم المتحدة يوم بعثوا مع الاثير صدى اصواتهم يعدون العالم و يعاهدونه و يأمنونه على مستقبله يوم يكتب لهم النصر فنالوا بذلك عطف العالم على قضيتهم بل على القضية المشتركة وهي قضية الحرية و العدالة

مضت سنة لم يقض فيها قضاء يصح ان يكون مثالا لسياسة الامم المتحدة نحو الشعوب التي كانت تحت حكم الاستعمار القديم المحكوم بزواله و لكن لم يعط هذا الحكم للتنفيذ و ما زالت امم تئن تحت قيوده . خذلك مثلا هذه المملكة التونسية التي بمقتضى .... رزحت تحت حكم الاستعمار نيفا و ستين سنة رغم كونها ذات ... و اولها دولة ما انفك امرها يسير على نحو ما كانت

علية من قبل بل ربما اشد مما كانت عليه قبل نشوب الحرب فهي مكبلة بقيود لا يستسيغها الحق والعدالة ولم يبق يطيق الشعب تحملها وكل ما حدث هو خارج عن ارادة الشعب ورضاه وحتى الفئة القليلة التي رضيت بالمشاركة في المجالس التي جاء بها النظام الجديد منت نفسها بابلاغ صوت الشعب للمراجع التي تتمكن من مجالستها والحديث اليها بما يطلبه الشعب ولكنها لم تجد المجال فسيحا والاذن صاغية فخاب ظنها ولم تقدر على القيام باي دور وبقيت دار لقمان على حالها . ومندوب الحكومة الحامية يستدعي غير مرة بعض المفكرين ليسمع بعض رغائب الشعب التونسي ليسير في سياسته على ضوئها فاستنتجنا من موقفه هذا أمورا منها انه ادرك ان رغائب الشعب لا يمكن ان يصل اليها من طريق نواب المجالس ولذلك استدعى غيرهم في كل مرة ليعلم الحقيقة التي لا يجدها عند اعضاء المجالس او لا يريد ان يسمعها منهم لألا يعتادوا المجاهرة بمثلها وهذه طريقة لم تجد نفعا ولا غيرت موقفا ولا تحصل منها الشعب على فائدة او حق من حقوقه ولا افادت في نشر الحرية على هذه الربوع التي شارك ابناؤها الامم المتحدة في الضراء وابوا عليها ان تشاركهم في السراء .

واذا كانت هنالك فئة من رجال العصر القديم الذين لا يطيب لهم عيش إلّا اذا كان نيّر الاستعمار متسلطا على هذا الشعب الامين فان هذه الفئة التي مهدت لايقاد نار الفتن حتى نشبت تلك الحرب الضروس بما حاكته في الصدور من فرط جورها وظلمها فلم يبق للساسة شك في سقوط نظريتها مادام الجميع يعلم انها فئة لا يهمها إلّا ما يصل اليها من نعم الحياة على حساب البؤساء والمستضعفين والمظلومين فالى متى يقرأ لهذه الطائفة الحساب ويخشى صولة الذين اقاموا حياتهم الاجتماعية على مبدإ الاستعمار المشؤوم واذا جاز لرؤساء الحكومات الحامية ان يراعوا جانب هؤلاء في سياستهم فانهم سوغوا لانفسهم في نفس الوقت عدم الالتفات لجانب الشعب وما يتطلبه ولم يجد كيف يبلغ صوته وطال به الانتظار والترقب وهو يئن داخل نفسه فمكنوه ليبلغ صوته ويقول الحق في حرية . ومن تربى على مبدأ الحرية يجب ان يسمع المتكلم يتكلم في حرية ، ويجب عليه ان يفي بالوعود ويعطي الامة حقها كاملا غير منقوص

محمد الشاذلي بن القاضي

خطاب سماحة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الاعظم وفروعه

موسم ختم السنة الدراسية

سبحان الذي غمرت من لدنه فيوضات النعماء . فجلت عن الاحصاء ، وقصر عن شكرها لسان الثناء . احمده حمد موقن بجزيل خيره ، مخلص في التوكل عليه دون غيره . متبرىء له من الاغترار بالقوة والحول مستمد منه العصمة والتوفيق في الفعل والقول . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المؤيد بالعصمة . والباسط لما اوتي من الحكمة صلاة تكون كفاء ما علم بعد الجهالة . وهدى بعد الضلالة . وفتح قلوبا بعد الاغلاق . وفتق انوارا بعد الاطباق وعلى آله واصحابه الذين اقتفوا اثر هديه فانقلبوا ادلة . واستناروا من مدد سناه فطلعوا اهلة .

اما بعد فلو ان اقوم بيان . جرى على افصح لسان . فحاول ان يبرهن على ما للعلم الشريف من القدر النبيه . ومنازل التعظيم والتنويه . لما بلغ مبالغ برهان هذا الجمع المبارك الجليل الذي تجلى فيه ما لهذه الامة السعيدة من التعلق بتعليمها الديني واجلال مقامه . والاندفاع في سبيل معهدها الزيتوني ورفع اعلامه . فهو الموسم العلمي السني الذي يجدد للجامع الاعظم وفروعه كل عام من مهيئات النجاح ، ما تجدد الشمس للارض عند اشراقها كل صباح . اذ تبدو فيه العناية السنية عناية الحضرة الشامخة العلية حضرة سيدنا الملك العظيم المجد . السعيد الجد السائر على سنن اسلافه الامراء الصيد والفائز من مفاخرهم بالحظ المزيد والصيت الحميد سيدنا محمد الامين دام له العز والتاييد . ولا زال قرير العين في آله وبنيه . مبلغ الامال في كل ما يسره ويرضيه . موفقا بتوفيق الله لما وفق له الراشدون . مبلغا به رعاياه الامل الذي اليه يصبون . فكم دليل قائم على ما لحضرته ودولته في تاييد التعليم الاسلامي من صدق الهمة . المتجددة مظاهره عند كل مهمة .

فقد كنا في كامل امد هذا العام الدراسي نجد من جناب وزيره الاكبر المساعدة والتاييد على كل ما من شانه ان يبلغ بالتعليم الزيتوني اوج كماله . ويحقق سمو مكانته وشرف رجاله . وحقيق بان نشرك في هذا الثناء كامل الجهاز الإداري الذي يربط الصلة بيننا وبين جنابه وعلى راسه جناب رئيس القسم الاول اذ لم نجد منه إلا كامل الاعانة والحرص على انجاح جهودنا حتى تسنى لنا ان نوفي ما كنا عقدنا

عليه اواصر الالتزام في مثل هذا الموكب من ماضي العام .

وان مما نذكره في مقدمة ذلك اننا كنا في العام الماضي نخطب هنا وامتحان شهادة الاهلية بفرع صفاقس معلق بين شطري تمام وتعطيل فلم يدر الزمان دورته لهذا العام إلّا وقد تم امتحان تلك الشهادة بجميع مواده في اربعة مراكز من مراكز الفروع هي صفاقس وقفصة والقيروان وسوسة وبذلك تم الالتحام بين الجامع الاعظم وفروعه التحاما سيبلغ بمعونة الله مداه بانجاز ما تقرر لهيئة المشائخ المدرسين بالفروع من اللحاق بمدرسي الطبقة الثالثة في جميع حقوقها وواجباتها على انه اذا كان الوفاء بهذا الالحاق قد تاخر لمقتضيات ادارية اوشكت على الانتهاء فان اولائك المشائخ لم ينتظروا هذا الوفاء بالحقوق بوفائهم بالواجبات فقاموا من اول السنة الدراسية بزيادة في ساعات دروسهم ساوت بينهم وبين مدرسي الطبقة الثالثة في عدد الساعات الاسبوعية فبورك في سعيهم واجتهادهم وما بذلوا في خدمة دينهم وبلادهم .

اما المشائخ المكلفون بالتدريس في الفروع فقد جرينا في كامل هذه السنة على معاملتهم معاملة المشائخ المكلفين بالتدريس في الاصل سواء ونحن نرجو ان يشملهم ما ينال اخوانهم بالاصل .

ثم ان العزم معقود على ان تفتتح السنة المقبلة بزيادة ربط لعلاقة الفروع بالاصل وهو نظام التفقد بتكليف بعض ابنائنا العلماء بالتردد على الفروع للتنسيق بين مناهجها والربط بينها وبين مركزها ربطا محكم العرى حتى يستتب تطبيق برنامج التعليم بالجامع وفروعه على نسبة متساوية ذلك الذي اذنت به طلائع هذا العام فيما اسفرت عنه نتيجة الامتحانات . فقد كانت امتحانات الفروع برهانا على ان برنامج التعليم الذي سطرناه قد كان مطبقا في الفروع تطبيقا لايقل عما هو مطبق به في الاصل فكانت نتيجة الناجحين من عموم المشاركين نتيجة كاملة ان نقصت في البعض لوفرة العدد فباقل من اثنين في المائة .

ثم ان هذا الغراس لم يزل في نماء وتفرع بما التحق بعداد فروع الجامع اثناء هذا العام وذلك فرعان بالحاضرة بالجامع المرادي والجامع الحسيني وفرع بالمهدية وفرع بالمنستير وسيزيد امتدادا باعادة تنظيم الفروع المعطلة التي تم اعتبارها بصفة رسمية وتاهبت للاكتساء بالصفة العملية وهي فروع باجة وبنزرت ومدنين .

ثم سيعقب ذلك بانجاز ما تقرر من تاسيس فروع بالكاف وتالة وجمال ومنزل تميم فعسى ان يصبح بحر التعليم الزيتوني نميرا زاخرا تجيش غواربه وتترامى اواذيه الى بحري الشريعة والعربية فتنتعش بفيضه مشاربه وتصبح فروعه منتشرة فيها خلجان يمدها ذلك البحر بكل مترع لجب ومنها

ما يباكرها الغيث بقطر ثم ينسكب .

ولعل تسهيل هذا الخير يندرج فيما لله تعالى في تصرفاته من اسرار يعلم كنهها الراسخون ولا ينصرف عن ملاحظة ءاثارها المتوسمون . فاقبال الامة على هذا التعليم الذي هو عنوان ذاتيتها وقوام جامعتها ايذان بان الله تعالى قد هيا لها رشاد اعمالها وتحقيق ءامالها فساقها الى التعلق بالعلوم المستمدة من كلمة السعادة والكفيلة لمن اخذ بها بمنازل السيادة .

فعلينا ان نشعر باننا معشر الذين يسرنا لدلائل هذه العناية واقامنا هداة على الطريق المنتهية الى تلكم الغاية . قد وجب علينا من شكران هذه النعمة ما يفي به عملنا في خدمة هذا الجانب وان ترامت الهمم فان نعم الله لا يفي بحقها عظيم الشكر ولكن من بلغ المجهود حق له العذر فقد بذلنا الجهد في ضبط مواد التعليم وتوزيعها وتقرير المقادير والاساليب والكتب والمناهج على نحو ما شرطناه في مختتم العام الماضي وحرر في ذلك برنامج مفصل طبع ووزعت نسخه بمعاهد التعليم وكان السير على مقتضاه كفيلا بتقدم التعليم بخطى واسعة وقطعه نحو غاية الكمال مسافة شاسعة وقد روعيت في هذا البرنامج المحافظة على الصبغة الاصلية للتعليم الزيتوني وهي الصبغة الشرعية والعربية وتوسيع نطاق الضلاعة للطلبة في هاتين الخصوصيتين بترقية البرنامج في منتهاه الى اعلى رتبة من الكتب المشهورة التي شهد لها العالمون بغزارة العلم واحكام الوضع مع جعله متدرجا نحو هذا المرتقى في المناهج الموصلة الى صحة تصور معاني العلوم والقدرة على تطبيقها تطبيقا سريعا وتنمية الملكات في التحرير والتقرير ليتخرج من هذا التعليم العالم المقتدر على الغوص فيما درس من المسائل المضطلع سبكها في اعز القوالب من الدروس والرسائل .

وقد امكنت الاستعانة على تحقيق هذا المقصد بالتقليل من ساعات التلقي والتكثير من ساعات العمل الشخصي للطالب اذ يعهد له باعمال علمية يعملها خارج الدرس ويبني على الموازنة بين مواد التعليم بصفة لا تدع الطالب الزيتوني منحط الكفاءة في ناحية من نواحي ثقافته العامة الى منزلة تقضي على فكرته العلمية بالقصور او الاختلال وبخاصة نحو الناحية الادبية وناحية المعارف الرياضية والطبيعية كل ذلك مع المحافظة على تفوق نسبة العلوم الشرعية والعربية في كل سنة من سني التعليم مع ان البرنامج قد حقق الانتهاء في العلوم المتممة الى منتهى حميد يناسب عظمة هذا المعهد وقيمة شهاداته . هذا وقد وسع البرنامج في اوقاته ناحية الاخلاق الدينية والاداب الاسلامية والتخلق بخلق القرءان المجيد ــ ثم تعزز ذلك التوسع بالتخلق العملي بما شمله النظام الموضوع لمدارس سكنى الطلبة من الاعتناء بهذا التخلق اذ اصبحت المراقبة حازمة على الطلبة في سلوكهم الديني بالتخلي

والتحلي والسير بهم نحو طريق الادب والمروءة وقطع دابر الفوضى واخذهم بالانقياد للنظام وحملهم على المظهر المحمود . وصار شيـــخ المدرسة مطلوبا بقضاء اغلب الاوقات فيها مع الالترام ان لاتسند مشيخة مدرسة في المستقبل إلّا لمن تتاتى له الاقامة فيها وللمحافظة على سلامة افكار التلاميذ وسلامة صحتهم قد نظمت في المدارس اوقاتهم وجعل تحضير دروسهم واشغالهم التي يكلفون بها تحت مراقبة شيوخ من حملة شهادة العالمية او شهادة التحصيل مع الافساح لهم في نظام اوقاتهم بما يسمح لهم بالراحة والنزهة والاستجمام لتدفع عنهم دواعي الكلال والفتور ومع القيام على حفظ النظام الصحي واتخاذ وسائل التطهير والعيادة الطبية ووضع الادوية للمعالجات الاستعجالية وقد وجدنا في اقامة ذلك اعانة يتوجه عنها الشكر الى جناب وزير الشؤون الاجتماعية مفخر نبغائنا . وقد ابتدانا في ابطال الطبخ في بيوت الطلبة وعرصات مدارسهم بايجاد مطابخ لثلاث مدارس وتنظيم قاعات طعام منظمة ينخرط فيها الطلبة باشتراك مالي . مع افتتاح قسم للطعام المجاني بمائدة شرف لهم لايجادها تبرع بعض الافاضل ورسمنا فيها ثلاثة من التلامذة تونسي وجزائري وطرابلسي فكانت رمزا على اخوة أهل الشمال الافريقي في التغذي من علوم هذا المعهد .

وان ما نرتجيه من تمام مرافق السكنى الصحية العصرية وشمولها جميع المحتاجين من الوافدين في طلب العلم يزيدنا حرصا على انجاز المشروع العظيم مشروع الحي الزيتوني وتاكيدا للثقة في الجمعية الساعية لتشييده تحت رئاسة فضيلة العلامة الجليل شيخ الاسلام المالكي بارك الله في علمه وفضله وقد لاحظنا من اقبال الامة على هذا المشروع الصالح اقبالا نرجو ان يتزايد بفضل الاعانة الادبية المرتجاة من جناب الوزير الاكبر في مخاطبة الرؤساء الاداريين بالمملكة للحث على الاقبـال على الاشتراك . وما صدر من جناب وزير العدلية الهمام من الخطاب لعموم الهيئات الشرعية والعدلية في التنوية بهذا المشروع والحث على تعضيده بارك الله في كماله وزكى فضايل اعماله وفي هذه النفحة الالهية من المؤازرة والتاييد التي غمرتنا من عموم الامة حكومة وشعبا اكتسبنا واكتسب ابناؤنا الطلبة عدة لمنازلة الازمات وتذليل العقبات فقد مر هذا العام على الطالب باشد صعوباته فمن فقد المساكن وقلة الازواد والكسى . وغلاء الادوات وفقدان الكتب فصابروا في هذه الشدة الخطيرة على اللاواء وكانوا للعلم خير انصار واولياء وامتثلوا للنظام المدرسي امتثالا يصلح للحياة النظامية مثالا . فاذا نحن اخذنا بعضهم على تخلف او اخفاق فانما نؤاخذهم ونحن نالم لهم كما يالمون . ونضمر لهم المعذرة التي يدعون . ولكننا نعمل لهم عمل من طب لمن حب . ونسوسهم سياسة ناصح واب . يغالب رقته وعطفه حين ينظر الى مستقبل زاهر . يهون عليه الوحشة التي تمتلكه في الوقت الحاضر ولذلك لم نزل

(البقية على صفحة ٣٤)

القرآن الكريم

بقية تفسير قوله تعالى:

فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين

بقلم الحجة الامام المولى محمد الطاهر ابن عاشور

فيما عبدوا وتكرير لحسرتهم على اهانتها وقد تكرر مثل هذا الاخبار نحو قوله تعالى « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » الاية وتعريف النار باللام ووصفها بالموصول المقتضي علم المخاطبين بها اما لتنزيل الجاهل منزلة العالم للاشارة الى تحقيق وجود جهنم او لان العلم بذلك قد حصل من اخبار اهل الكتاب فقد كانوا يعرفون دار الوعيد وهي جهنم قال ورقة بن نوفل يرثي زيد بن عمرو بن نفيل :

رشدت وانعمت ابن عمرو وانما   تجنبت تنورا من النار مظلما

او لان وصف جهنم بذلك وقد تقرر فيما نزل قبل من القرءان كقوله تعالى في سورة التحريم وهي مكية « يايها الذين ءامنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » وفيه بعد اذ لا يلزم ان يكون جميع السامعين الان قد سمعوا الايات السالفة وفي جعل الناس والحجارة وقودا دليل على ان نار جهنم مشتعلة من قبل زج الناس فيها وان الناس والحجارة انما تتقد بها لان نار جهنم هي عنصر الحرارة كلها كما اشار له حديث الموطأ (ان شدة الحر من فيح جهنم) فاذا اتصل بها الادمي اشتعل ونضج جلده واذا اتصلت بها الحجارة صهرت وفي الاحتراق بالتيار الكهربائي نموذج يقرب ذلك وروي

عن ابن عباس ان جهنم تتقد بحجارة الكبريت فيكون نموذجها البراكين المتهبة الجارية منها المياه الحارة. وقوله « اعدت للكافرين » استيناف لم يعطف لقصد التنبيه على انه مقصود بالخبرية لانه لو عطف لاوهم العطف انه صفة ثانية او صلة اخرى وجعله خبرا اهول وافخم وادخل للروع في قلوب المخاطبين وهو تعريض بانها اعدت لهم ابتداء لان المحاورة معهم. وهذه الاية قد اثبتت اعجاز القرءان اثباتا متواترا امتاز به القرءان عن بقية المعجزات فان سائر المعجزات للانبياء ولنبينا عليهم الصلاة والسلام انما ثبتت باخبار احاد وثبت من جميعها قدر مشترك بين جميعها وهو وقوع الاعجاز بالتواتر المعنوي مثل كرم حاتم وشجاعة عمرو . واما القرءان فاعجازه ثبت بالتواتر النقلي ادرك معجزته العرب بالحس وادركها عامة غيرهم بالنقل وقد تدركها الخاصة من غيرهم بالحس كذلك على ما سنبينه اما ادراك العرب معجزة القرءان فظاهر من هذه الاية وامثالها فانهم كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وناووه واعرضوا عن متابعته فحاجهم على اثبات صدقه بكلام اوحاه الله اليه وجعل دليل انه من عند الله عجزهم عن معارضته فانه مركب من حروف لغتهم ومن كلماتها وعلى اساليب تراكيبها واودع من الخصائص البلاغية ما عرفوا امثاله في كلام بلغائهم من الخطباء والشعراء ثم حاكمهم الى الفصل في امر تصديقه او تكذيبه بحكم سهل وعدل وهو معارضتهم لما اتى به او عجزهم عن ذلك نطق بذلك القرءان في غير موضع كهاته الاية فلم يستطيعوا المعارضة فكان عجزهم عن المعارضة لا يعدو امرين اما ان يكون عجزهم لان القرءان بلغ فيما اشتمل عليه من الخصائص البلاغية التي يقتضيها الحال حدا لا طاقة لاذهان البشر به بحيث لو اجتمعت اذهانهم وانقدحت قرائحهم وتسامروا وتشاوروا في نواديهم وبطاحهم واسواق مواسمهم فابدى كل بليغ ما لاح له من النكت والخصائص لوجدوا كل ذلك قد وفت به ءايات القرءان ثم لو لحق بهم لاحق فابدى ما قيدوه من النكت لوجد تلك الاية التي انقدحت فيها الافهام السابقتين واحصت ما فيها من الخصائص قد اشتملت على ما لاح لهذا الاخير وهكذا فهذا هو القدر الذي ادركه بلغاء العرب فاعرضوا عن معارضته علما بانهم لا قبل لهم بمثله وقد كانوا من علو الهمة ورجاحة الراي بحيث لا يعرضون انفسهم للفضيحة فسكتوا واحتملوا هذا النداء عليهم بالعجز عن المعارضة في مثل هذه الاية فثبت بهذا انه معجز لبلوغه حدا لا يستطيعه البشر فكان هذا دليلا على ان الذي اوجده كذلك ليكون دليلا على صدق الرسول . فالعجز عن المعارضة لهذا الوجه كان لعدم القدرة على الاتيان بمثله وقد يجوز ان يكونوا قادرين على الاتيان بمثله ممكنة منهم المعارضة لكنهم صرفهم الله عن التصدي لها مع توفر الدواعي على ذلك فيكون صدهم عن ذلك مع ذلك ومع اختلاف احوالهم امرا خارقا للعادة ايضا وهو دليل المعجزة وهذا مذهب من قال ان الاعجاز بالصرفة

وهو مع كفايته في المطلوب ضعيف. فان قلت لم لا يجوزان يكون ترك العرب للمعارضة تعاجزا لا عجزا وبعد فمن ءامننا ان يكون العرب قد عارضوا القرءان ولم ينقل الينا ما عارضوا به. قلت يستحيل ان يكون تعلهم ذلك تعاجزا فان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث في امة مناوية له معادية لا كما بعث موسى في بني اسرائيل موالين معاضدين له ومشايعين فكانت العرب قاطبة معارضة للنبي صلى الله عليه وسلم اذ كذبوه ولمزوه بالجنون والسحر وغير ذلك ولم يتبعه منهم إلّا نفر قليل مستضعفون بين قومهم لا نصير لهم في اول الدعوة ثم كان من امر قومه ان قاطعوه ثم امروه بالخروج بين همم بقتله واقتصار على اخراجه كل هذا ثبت عنهم في اخبارهم واقوالهم المنقولة نقلا يستحيل تواطؤ ناقليه على الكذب وداموا على مناواته بعد خروجه لاجرم انه قصر معهم مسافة المجادلة وهيأ لهم طريق الزامه بحقية ما نسبوه اليه فاتاهم بكتاب منزل ودعاهم الى المعارضة بالاتيان بقطعة قصيرة مثله وان يجمعوا لذلك شهداءهم واعوانهم نطق بذلك هذا الكتاب. كل هذا اثبت بالتواتر فان هذا الكتاب متواتر بين الامم على الجملة وان اشتماله على طلب المعارضة ثابت بالتواتر المعلوم لدينا بانه هو هذا الكتاب الذي ءامن المسلمون به قبل فتح مكة وحفظوه وءامن به جميع العرب ايضا بعد فتح مكة فالفوه كما هو اليوم شهدت على ذلك الاجيال جيلا بعد جيل .

وقد كان هؤلاء المتحدون المدعوون الى المعارضة بالمكانة المعروفة من اصالة الراي واستقامة الاذهان ورجحان العقول وعدم رواج الزيف عليهم وبالكفاءة والمقدرة على التفنن في المعاني والالفاظ تواتر ذلك كله عنهم بما نقل من كلامهم نظما ونثرا وبما اشتهر وتواتر من القدر المشترك من بين المرويات من نوادرهم واخبارهم فلم يكن يعوزهم ان يعارضوه لو وجدوه على النحو المتعارف لديهم بل ان صحة اذهانهم ادركت بلا ريب انه تجاوز الحد المتعارف لديهم فلذلك اعرضوا عن المعارضة مع توفر دواعيهم بالطبع وحرصهم عليها لو وجدوا اليها سبيلا ثبت اعراضهم على المعارضة بطرق التواتر اذ لو وقع مثل هذا لاعلنوه واشاعوه وتناقله الناس لانه من الحوادث العظيمة وايا ما جعلت سبب اعراضهم عن المعارضة من خروج كلامه عن طوق البشر او من صرف الله اذهانهم عن ذلك فهو دليل على امر خارق للعادة كان بتقدير من خالق القدر ومعجز البشر. ووراء هذا كله دليل آخر يعرفنا بأن العرب بحسن فطرتهم قد ادركوا صدق الرسالة وتفطنوا لاعجاز القرءان وانه ليس بكلام معتادا لبشر وانهم ما كذبوا إلّا عنادا ومكابرة وحرصا على السيادة ونفورا من الاعتراف بالخطا وذلك الدليل هو اسلام جميع قبائل العرب وتعاقبهم في الوفادة بعد فتح مكة فانهم كانوا مقتدين بقريش في المعارضة مكبرين المتابعة لهذا الدين خشية المستبدين من قريش ومن ظاهرهم بل كانت كل قبيلة تخشى منابزة الاخرى فلما غلبت قريش لم يبق ما يصد بقية العرب عن المجيء طائعين معترفين عن غير غلب فانهم كانوا

يستطيعون الثبات للمقارعة اكثر مما ثبتت قريش فقد كان من تلك القبائل اهل الباس والشدة من عرب نجد وطي وغيرهم من اعتز بهم الاسلام بعد ذلك ليس مما عرف في عوائد الامم واخلاقها ان تنبذ اديانا تعتقد صحتها ويجيء جميعها طائعا نابذا دينه في خلال اشهر من عام الوفود لم يجمعهم فيه ناد ولم تمش بينهم سفراء لولا انهم كانوا متهيئين لهذا الاعتراف لا يصدهم عنه إلّا صاد ضعيف وهو المكابرة والمعاندة . ثم في هذه الايه معجزة باقية وهي قوله : « ولن تفعلوا » فهي قد مرت عليها العصور والقرون ومصداقها واضح اذ لم تقع المعارضة من احد من المخاطبين ولا ممن لحقهم الى اليوم فان قلت ثبت بهذا ان القرءان معجز للعرب وبذلك ثبت لديهم انه معجزة وثبت لديهم به صدق الرسول ولكن لم يثبت ذلك لدينا فما هي المعجزة لنا قلت ان ثبوت الاعجاز يستلزم مساواة الناس في طريق الثبوت فانه اذا اعجز العرب ثبت انه خارق للعادة لما علمت من الوجهين السابقين فيكون الاعجاز للعرب بالبداهة ولنا بالاستدلال والبرهان وهما طريقان لحصول العلم وبعد فان من شاء ان يدرك الاعجاز كما ادركه العرب فما عليه إلّا ان يشتغل بتعلم اللغة وادبها وخصائصها حتى يساوي او يقارب العرب في ذوق لغتهم ثم ينظر بعد ذلك في نسبة القرءان من كلام بلغائهم . قال الشيخ عبد القاهر في مقدمة دلائل الاعجاز « فان قال قائل ان لنا طريقا الى اعجاز القرءان غير ما قلت (اي من توقفه على علم البيان) وهو علمنا بعجز العرب عن ان ياتوا بمثله وتركهم ان يعارضوه مع تكرار التحدي عليهم وطول التقريع لهم بالعجز عنه ولو كان الامر كذلك ما قامت به الحجة على العجم قيامها على العرب وما استوى الناس فيه قاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب عن ان يكون محجوجا بالقرءان قيل له خبرنا عما اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبينا عليه السلام فان كانت معجزته باقية على وجه الدهر اتعرف له معنى غير انه لا يزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من اراد العلم به والعلم به ممكن لمن التمسه وان لا معنى لبقاء المعجزة بالقرءان إلّا ان الوصف الذي كان به معجزا قائم فيه ابدا اهـ» وقد بينت في كتاب لي في اعجاز القرءان تفاصيل من وجوه اعجازه فقد اشتملت هذه الاية عن اصناف من الاعجاز اذ نقلت الاعجاز بالتواتر وكانت ببلاغتها معجزة وكانت معجزة من حيث الاخبار عن المستقبل كله بما تحقق صدقه فسبحان منزلها ومؤتيها .

الحديث الشريف

حدثني ابو التياح عن انس ابن مالك عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

(٢)

الشرح بقلم المنعم الشيخ محمد بن القاضي

الخلاف في ان الامر هل يستلزم النهي

وقد اختلف الاصولون كما في اصول فخر الاسلام البزدوي في ان الامر بالشيء هل له حكم في ضده اذا لم يقصد ضده بنهي مستقل وكذا النهي عن الشيء هل له حكم في ضده اذا لم يقصد ضده بامر مستقل قال امام الحرمين والغزالي وهو مختار ابن الحاجب في مختصر الاصول ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده ولا مستلزما له وقال القاضي ابو بكر البقلاني اخرا وعليه جمع من الاصوليين ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده او ان النهي عن الشيء يستلزم الامر بضده وقال المحققون من المتاخرين من الحنفية ان امر الايجاب يستلزم النهي عن ضده تحريما ان فوت ذلك الضد ما قصد بالامر ويستلزم النهي عن ضده كراهة تحريم ان لم يفوت ذلك الضد ما قصد بالامر وان نهي التحريم يستلزم الامر بضده ايجابا ان فوت عدم الضد ما قصد بالنهي عنه ولا يستلزم الامر بضده ايجابا ان لم يفوت عدم الضد ما قصد بالنهي عنه بل يحتمل السنة المؤكدة ويحتمل الاباحة ويحتمل غيرهما

تحرير محل النزاع

قال المحقق الفنري في فصول البدائع المراد بالضد الضد الجزءي المعين كالامر بالصلاة يكون نهيا عن الاكل والشرب وكلام البشر وغير ذلك مما هو اضداد للشرائط والاركان المعتبرة شرعا وليس المراد بالضد مجرد ترك المامور في الامر ولا مجرد ترك المنهي عنه في النهي حتى يكون المعنى حينئذ الامر بالشيء يستلزم النهي عن ترك المامور به والنهي عن الشيء يستلزم الامر بترك المنهي عنه وإلّا صار النزاع لفظيا لان من قال بعدم الاستلزام يعترف بهذا وينكر الاستلزام للضد الجزءي المعين فهذا هو محل النزاع وادلة الاقوال مبسوطة في محلها .

دليل الحنفية والشافعية عن «المحصول»

نقتصر منها على الدليل الذي اجمع عليه متأخروا الاصوليين من الحنفية والشافعية المقتضي ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده والنهي عن الشيء يستلزم الامر بضده وحاصله كما في المحصول ان الامر بالشيء مطلقا امر بالمقدور الذي لا يتم ذلك الشيء إلّا به سواء كان ذلك المقدور الذي لا يتم ذلك الشيء إلّا به عقليا كترك ضد الواجب فانه لا وجود لذلك الواجب عقلا إلّا به اذ يستحيل ان يوجد بدونه وإلّا لزم اجتماع الضدين وهو محال كما تقرر في الحكمة او عاديا كغسل جزء من الراس لغسل الوجه فانه لا يمكن عادة ان يغسل الوجه كله ولا يغسل شعرة او شعرتين من الراس وان كان ممكنا عقلا او شرعيا كالوضوء للصلاة وهو مذهب كثير العلماء كما في اصول ابن السبكي

تحقيق الفنري في فصول البدائع

قال المحقق الفنري في فصول البدائع مفصلا لهذا الدليل ان فعل المامور به لا يحصل إلّا بالانتهاء عن اضداده المعينة الجزئية وترك المنهي عنه لا يحصل إلّا بالانتهاء عن اضداده المعينة الجزئية وترك المنهي عنه لا يحصل إلّا بفعل ضد المنهي عنه المعين الجزئي واقله السكون فانه كون عندهم فيتحقق الاستلزام وتصور الحاكم لوازم الحكم غير لازم في الحكم وحينئذ فلا تشترط الملاحظة والخطور بالبال قصدا وقت الايجاب ولذا قالوا ان جميع ما يتوقف عليه الواجب واجب بموجبه

قول الصفي الهندي

قال الصفي الهندي في النهاية ويجوز ان يكون الامر بالشيء امرا بما يتوقف عليه وجوده وان كان ما يتوقف عليه وجوده مغفولا عنه

دفع شبهة اشتباه المذهب الحنفي بمذهب الكعبي

ويرد على الحنفية في قولهم ان النهي عن الشيء يستلزم الامر بضده انه يلزم عليه نفي المباح وتصيير كل مباح واجبا مأمورا به اذ ما من مباح إلّا وهو ترك حرام والحرام منهي عنه وهذا هو مذهب الكعبي وهم لا يقولون به بل هو باطل في نفسه كما تقرر في الاصول والجواب انهم لا يقولون ان النهي يستلزم الامر مطلقا بل قالوا يستلزمه في الجملة وإلّا فقد يكون الضد مباحا كما حققه العلامة منلا خسرو في مرآة الاصول

كلام صدر الشريعة في بيان مذهب اصحابنا و المطلقات

قال صدر الشريعة في التوضيح وعلى ما ذهب اليه اصحابنا تقوله سبحانه وتعالى والمطلقات يتربصن ؛ امر بالتربص اي يكففن ويحبسن انفسهن عن نكاح زوج ءاخر ونحوه فيقتضي حرمة التزوج لانه ضده وهو مفوت له : فيكون التزوج منهيا عنه تحريما .

وقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الصلاة ثم ارفع رأسك حتى تستوي قائما ؛ امر بالقيام عقب رفع الراس من السجدة الثانية من الركعة الاولى وهو لا يقتضي التحريم ، اعني تحريم القعود لانه لا يفوت القيام المأمور به من اصله لجواز ان يعود اليه عقبه لعدم تعين الزمان فلا تبطل الصلاة اذا قعد بعد السجدة الثانية من الركعة الاولى ثم قام الى الركعة الثانية لكنه يكره تحريما فيجبر ذلك بسجود السهو اذا فعل ذلك ساهيا لتركه فور القيام عقب السجدة الثانية من الركعة الاولى .

ولا يحل لهن ان يكتمن

وقوله سبحانه وتعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق في الله ارحامهن نهي عن الكتمان فيقتضي وجوب الاظهار لان عدم الاظهار مفوت للمطلوب بالنهي وهو عدم الكتمان لكونه ضدا له واحدا ولا واسطة بينهما قال جار الله في كشافه عقب نهي الله سبحانه وتعالى عن كتمانهن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والقرء وذلك ان المرأة اذا ارادت فراق زوجها كتمت حملها لئلا ينتظر زوجها بطلاقها ان تضع حملها ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت قرأها وقالت وهي ذات قرء قد طهرت استعجالا للطلاق وقال القاضي البيضاوي بعدما نهين عن كتمانهن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والقرء قال الشيخ زاده في حواشيه : فتكتم الحمل ابطالا لحق الزوج في رجعتها او لاشتياقها الى الزوج تستكره الانتظار لوضع الحمل وتستطيل الاعتداد به فتكتم الحمل لذلك او تكتم القرء وتقول طهرت استعجالا في انقضاء العدة وابطالا لحق المراجعة .

نهي المحرم عن لبس المخيط

ونهي الشارع المحرم عن لبس المخيط حال احرامه كما في الصحيح لا يقتضي وجوب ضده كلبس الرداء والازار لان عدم لبس الرداء والازار ليس بمفوت للمقصود اعني ترك لبس المخيط لجواز ان لا يلبس المخيط ولا شيئا من الرداء والازار فيكون لبس الرداء والازار سنة مؤكدة بالنظر الى الاحرام وان كان واجبا بالنظر لستر ما يجب ستره من البدن اه

اذا تقرر هذا فان درجنا على ما قاله امام الحرمين والغزالي وهو مختار ابن الحاجب ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده ولا يستلزم ماله بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الباب يسروا ولا تعسروا الخ الامر بالتيسير فيه لا يستلزم النهي عن التعسير والامر بالتبشير لا يستلزم النهي عن التنفير وكذا عكسه من جانب النهي فيهما فليس ذكر التعسير والتنفير محتاجا الى التوجيه وان درجنا على ما قاله القاضي ابو بكر البقلاني ومن وافقه من الاصوليين من الحنفية وغيرهم من ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده وعكسه ففائدة التصريح به هي التاكيد اهتماما باللازم لكون المقام مقام اطناب حيث ان المقام للتعليم

قال في الارشاد ولانه لو اقتصر على الاول لصدق على من اتى بالتيسير والتبشير مرة واتى بالتعسير والتنفير غالب الاوقات فلما قال ولا تعسروا ولا تنفروا انتفى التعسير والتنفير في كل الاوقات انتهت ولا يخفى انه مبني على ان الامر لا يدل على العموم والتكرار وان المامور اذا اتى بالمامور به مرة واحدة كان ممتثلا وهو مذهب الحنفية وهو مختار امام الحرمين وابن الحاجب وان وقع خلاف بينهم في اصل مدلوله هل هو الماهية فقط وهو مختار ابن الحاجب او الماهية في ضمن فرد وهو مختار الحنفية واما على ما اختاره الاستاذ ابو اسحاق الاسفرابيني من انه يدل على العموم والتكرار وان الامر اذا ورد كان للتكرار مدة العمر في اوقات الامكان فلا يتم ذلك كما لا يخفى

قال المحقق ابن ابي جمرة في شرحه لاختصار البخاري امرهم صلى الله عليه وسلم بان يبشروا ولم يامرهم بان ييقنوا مثلا كما فعل هو صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر المروي في الصحيح وهو قوله وبشروا ولم يقل وايقنوا وذلك لوجهين احدهما ان الايقان قطع بالامر والقطع لا يكون إلّا لله سبحانه وتعالى وحده وانما الذي لغيره من العباد قوة الرجاء لا غير لانه ليس للعبد حق وجوب على الله سبحانه وتعالى كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة كما تقرر في علم الكلام وانما هو من طريق الفضل والمن وما كان من طريق الفضل والمن فلا يطمع فيه إلّا بقوة الرجاء لا انه يكون حتما مقطوعا به اذ لا حتم على الله سبحانه وتعالى وقد قال سبحانه وتعالى «ومن اوفى بعهده من الله» فتكون قوة الرجاء في هذا الوعد بحسب ما يرجى من عظيم الفضل اللائق بجلاله وكماله

الوجه الثاني بعد التيقين

ثانيهما ان ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم سد للذريعة لانه لو قال في حديث بشروا بداه ايقنوا وقال في حديث الباب بدل بشروا بدله ايقنوا اي اجعلوهم مومنين قاطعين بالثواب لحصل به للضعفاء اغترارا وهو عين الهلاك فلربما كان ذلك سببا للتقصير مهلكا بخلاف البشارة لان للبشارة رجاء ونفس الرجاء يشرح الصدر وينشط للعمل وتنعش به الروح

[للبحث بقية]

الفتاوى والأحكام

حكم ماء الكلونيا

قد جلب في عصر المشير الاول من بلاد الافرنج ماء من المستقطرات يتداوى به ويتطيب به يسمى بالكلونيا وسأل ذلك المشير احمد باشا الاول شيخ الاسلام سيدي محمد ابن الخوجة عنه من حيث الحل والحرمة والطهارة والنجاسة والسؤال ورد على لسان الشيخ سيدي احمد ابن ابي الضياف ونص السؤال «سيدي ادام الله بك الانتفاع ونزه بعلومك القلوب والاسماع جوابكم الشافي في سبب نجاسة الخمر هل هو الاسكار حتى تزول بزواله مثل الخمر والطرطرأ وهي نجسة العين مثل الخنزير وعليه تشكل طهارة الخل وعلى هذا الماء المسمى كلونية وهو مستقطر من عرق الخمر المسمى بالعراقي تضاف له عشب مثل التارنج والخزامي وغير ذلك لا يشرب ابدا وانما يستعمل طلا لتبريد ظاهر الجسم ودفع مضار فساد الاهوية بالشم وهو من المقتلات مثل السم لا يتصور فيه تسخين ولا شدة هل هو طاهر بناء على انه لا يسكر واستحالت فيه عين الخمر بالتقطير مثل دماء النجس والملح في موضع النجاسة الذي استحالت فيه عين (الخمر بالتقطير) بل اللحمية والعظمية الى الملحية وهل يقال ان تمثيل المشر نبلالي لما يستقطر من النجاسة نجس بالعراقي منطبق على الماء المسمى كلونية ام لا لان العراقي يسكر وهذا لا يسكر افدني متع الله ببقائك المسلمين ومن البلاغة الجواب في خال هذا السؤال الاطناب وكتبت في جوابه: اما بعد اجلالك واكرامك والسلام اللائق بمقامك اخي شرح الله صدرك ورفع في الدارين قدرك فاني لما اسمت سرح اللحظ في هذا السؤال ظهر في جوابه ان يقال ان الخمر نجسة العين وهي حرام غير معلول بالسكر ولا متوقف عليه كما نص عليه الامام الزيلعي في كتاب الاشربة ولا يشكل عليه طهارة الخل لان انقلاب العين الذي منه كما في فتح القدير استحالة الخمر خلا من المطهرات والماء المسمى كلونيا حيث كان مستقطرا من اصل بعض اجزائه نجاسة يكون نجسا لان القطارة تتبع الاصل في النجاسة والطهارة وهي ليست في الحقيقة إلّا بعضا من الاصل المستمدة هي منه وليس امرها من باب انقلاب العين في شيء بل من باب الطبخ وقد صرح الامام الزيلعي بأن الطبخ لا يؤثر في الخمر إلّا انه لا يحد فيه ما لم يسكر وقال في موضع آخر ولو

جعلت الخمر في مرقة لا يؤكل للتنجس والطبخ لا يؤثر في الخمر. ولو اكل منه لايحد إلّا ان سكر لغاية غيرها عليها ولكونها مطبوخة وليس مدار النجاسة على الاسكار وانما الذي مداره عليه هو الحد فيما سوى الخمر فانها يحد شاربها وان لم يسكر هذا وان ابيت إلّا البسط واقامة وزن الكلام بالقسط فاقول ان المحرم من الاشربة اربعة احدها الخمر وهو النيء من ماء العنب اذا غلى واشتد وقذف بالزبد والثاني الطلاء وهو العصير ان طبخ حتى ذهب اقل من ثلثيه. والثالث السكر وهو النيء من ماء الرطب. والرابع نقيع الزبيب وهو النيء من ماء الزبيب وهذه الاربعة وان اشتركت في الحرمة إلّا ان الخمر تفارق الثلاثة الباقية من وجوه منها ان شاربها يحد وان لم يسكر بخلاف الثلاثة الباقية فانه لايحد شاربها إلّا اذا سكر ومنها انه يكفر مستحلها بخلاف الثلاثة الباقية فانه لا يكفر مستحلها ومنها انها نجسة نجاسة مغلظة كالبول باتفاق الروايات بخلاف الثلاثة الباقية فان فيها ثلاث روايات نقلها صاحب البحر في باب الانجاس وعن البدائع في رواية مغلظة و في اخرى مخففة وفي اخرى طاهرة قال وينبغي ترجيح التغليظ ومنها ان شرب الخمر كبيرة بخلاف غيرها من الثلاثة الباقية فان شربها صغيرة حتى شرطوا في سقوط العدالة الادمان عليها بلهو ومنها ان بيع ما سوى الخمر من الاشربة التي هي السكر ونقيع الزبيب والمنصف جائز عنده خلافا لهما كما في البحر من باب البيع الفاسد معزيا للبدائع وذكره صاحب الدرر في كتاب الغصب تبعا لصاحب الهداية وانها تتضمن بالقيمة لا بالمثل. والحل اربعة احدها المثلث العنبي وهو ما طبخ من ماء العنب حتى ذهب ثلثاه وان غلا واشتد وسكن من الغليان والثاني نبيذ التمر والزبيب مطبوخا ادنى طبخة وان غلا واشتد وسكن والثالث الخليطان وهو المجموع من ماء التمر والزبيب مطبوخا ادنى طبخة وان غلا واشتد. والرابع نبيذ العسل والبر والشعير والذرة وان لم يطبخ فهذه الاربعة طاهرة يحل شرب القدر الغير المسكر منها ان كان ذلك الشرب بلا لهو وطرب قال في الدرر وهذا القيد غير مختص بهذه الاشربة بل اذا شرب الماء ونحوه من المباحات بلهو وطرب على هيئة الفسقة حرمت واذا سكر الشارب منها كان القدح الاخير حراما لانه المفسد وهل يحد قولان والاصح انه يحد والمستقطر من هذه الانواع الثمانية يتبع الاصل المستمد منه في الطهارة والنجاسة والحل والحرمة وترتب الحد ما عدا المستقطر من الخمر فانه لا يحد شاربه إلّا اذا سكر لان الحد مطلقا انما ثبت في النيء خاصة. فلا يتعدى على طلاقه للمطبوخ هذا كله رأي الامام وقال محمد ما اسكر كثيره فقليله حرام من اي نوع كان قال الزيلعي والفتوى في زماننا على قول محمد - بقي الكلام على مسألة التداوي بالخمر هل يجوز ام لا قال الزيلعي في كتاب الكراهية كل تداوي لايجوز إلّا بالاشياء الطاهرة ولا يجوز بالنجس كالخمر لما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم

ذكره البخاري قال وقال في النهاية يجوز التداوي بالمحرم كالخمر والبول اذا اخبره طبيب مسلم ان فيه شفاء ولم يجد غيره من المباح ما يقوم مقامه والحرمة ترتفع للضرورة فلم يكن متداويا بالمحرم فلم يتناوله حديث ابن مسعود ويحمل انه قاله في داء عرف ان له دواء غير المحرم هذا كلامه وفي البحر من كتاب الشهادات ان الانسان لو شرب الخمر للتداوي لم تسقط عدالته لان الاجتهاد فيه مساغا وعزاه لابن الكمال وفي هذا القدر كفاية ولله الحمد في البداية والنهاية اه. كلام الشيخ ابن الخوجة تعليق شيخ الاسلام احمد كريم الذي قال وقد اشار رحمه الله بقوله هذا كله رأي الامام الى ان من ذلك ما ذكره في تعريف الخمر من اشتراط القذف بالزبد هو قول الامام وعندهما اذا اشتد ولا يشترط القذف بالزبد كما في الهداية وغيرها كما اشار رحمه الله الى ان علة حرمة الكولونيا كون بعض اجزائها مستقطرا من نجس ومقتضاه انها لو سلمت اجزاؤها من النجس او جهل الحال مع ان الاصل في الاشياء الاباحة فلا حرمة والله اعلم اه. كلامه ثم قال واعلم ان الجزء المعلل به حرمة الكولونيا هو المعبر عنه في بلادنا بالسبيريتو وهو اسم لخلاصة المستقطرات وارواحها كالعطر المستقطر من الزهر والورد والنسرين والياسمين ونحوها ولكل مستقطر خلاصة وروح وحكم ذلك حكم الماء المستقطر في كونه تبعا لاصله في الطهارة والنجاسة واليك النظر في تطبيق الاحكام على الموجود في الخارج والله الموفق للصواب.

تعليق المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي وانا اقول قول الشيخ ابن الخوجة ما عدا المستقطر من الخمر فانه لا يحد شاربه إلا اذا سكر بني على قول من قال كما في القهستاني ان الخمر لم تبق خمرا بالطبخ وح فلا يحد شاربها إلا اذا سكر وعلى هذا ينبغي ان لا يحد شارب العراقي مالم يسكر واما من قال انها بقيت خمرا فالحكم عنده بالعكس واليه ذهب الامام السرخسي وعليه الفتوى كما في تتمة الفتاوي اه فعلم بهذا ان المعتمد المفتى به ان العراقي لم تخرج بالطبخ والتصعيد عن كونها خمرا فيحد شاربها بشرب قطرة منها وان لم يسكر واما اذا سكر فلا شبهة في وجوب الحد به وقد صرح في منية المصلي بنجاستها ايضا فلا يغرنك ما اشاعه في زماننا بعض الفسقة المولعين بشربها من انها طاهرة حلال قال في رد المختار في باب حد الشرب لكن هذا القائل قاله قياسا على ما قالوه في ماء الطابق اي الغطا من زجاج ونحوه فانه قياس فاسد لان ذاك فيما لو احرقت نجاسة في بيت فاصاب ماء الطابق ثوب انسان تنجس قياسا لا استحسانا ومثله حمام فيها نجاسات فعرق حيطانها وكواتها وتقاطر فان الاستحسان فيها عدم النجاسة للضرورة لعدم امكان التحرز عنه والقياس النجاسة لانعقاده من عين النجاسة ولا شك ان العراقي المستقطرة من الخمر هو عين الخمر تتصاعد مع الدخان وتقطر من الطابق بحيث لا يبقى منها إلا اجزاؤها الترابية ولذا يفعل القليل منها في الاسكار اضعاف ما يفعله كثير الخمر بخلاف المتصاعد من ارض الحمام

ونحوه فانه ماء اصله طاهر خالط نجاسة مع احتمال ان المتصاعد نفس الماء الطاهر ويمكن ان يكون هذا وجه الاستحسان في طهارته وعلى كل فلا ضرورة الى استعمال العراقي الصاعد في بل من نفس الخمر النجسة العين ولا يطهر بذلك وإلّا لزم طهارة البول ونحوه اذا استقر في اناء ولا يقول به عاقل اه وأنا اقول ومثل العراقي جميع المستقطرات من الخمر كالكنياك والروم والبنج وهو نوع من الروم والحاصل ان كل ما استقطر من الخمر فهو خمر حكمه كحكمه . نعم ان حرمة هذه الاشياء ليست كحرمة الخمر لعدم اكفار مستحلها لشبهة الخلاف كما ذكره صاحب رد المحتار في كتاب الاشربة ثم ان قول شيخنا مع ان الاصل في الاشياء الاباحة هو قول بعض اصحابنا كما نقله النسفي في شرحه للمنار وقول جمهور اصحابنا ان الاصل في الاشياء التوقف بمعنى انه لابد لها من حكم لكنا لم نقف عليه بالعقل اه .ونقل الكمال ابن الهمام في التحرير ان المختار ان الاصل في الاشياء الاباحة عند جمهور الحنفية والشافعية اه ومثله في شرح اصول فخر الاسلام لاكمل الدين وفي البدائع المختار ان لا حكم للافعال قبل الشرع والحكم عندنا وان كان ازليا فالمراد به هنا عدم تعلقه بالفعل قبل الشرع التعلق لعدم فائدته اه . فان قلت ان الكولونيا حيث كانت نجسة فاذا طلي بها ثوب او بدن وجفت كما هو مشاهد فيها فانها بمجرد وضعها على البدن تجف فهل جفافها يكون مطهرا ام لابد من غسل الموضع الذي اصابته قلت لابد من غسله ولايكفي الجفاف لما صرح به اصحابنا في كتبهم من ان الجفاف ليس بمطهر إلّا في الارض وهي من النجاسة الغير المرئية كما لا يخفى فيطهر محلها بغلبة ظن الغاسل طهارة محلها وقدروه بغسل وعصر ثلاثا فيما ينعصر وبانقطاع تقاطر في غيره ان كان مما يتشرب النجاسة وإلّا فالغسل ثلاثا ولو بدفعة بلا تجفيف .

القواعد الاساسية لمبادي العربية

اصدر الشاب الحازم الشيخ الحبيب بن المولدي بن عاشور المحصل على شهادة التحصيل بالجامع الاعظم اخيرا كتابا في قواعد العربية قدمه للمدارس الابتدائية والقرآنية والشبيبة التونسية . فنشكر له حزمه ونشاطه . ويطلب الكتاب من كل المكاتب الشهيرة ومن صاحبه بنهج بكار عدد ١٢ بتونس وثمنه خمسة عشر فرنكا بالتفصيل اما بالجملة فيتفاوض مع صاحبه فنرجو له الرواج والانتشار

الوعظ والارشاد

من محاضرات الناشئة الادبية بالمهدية

في سبيل نهضتنا الاجتماعية

ما هي طرق الوصول الى اصلاحنا ؟

بقلم المرشد الشيخ الجيلاني حمزة واعظ المهدية

(٣)

ان الامة التي لا تعبأ بالانتاج والاقتصاد وتكثر من استيراد البضائع الاجنبية تصبح فقيرة معدمة وبدلا من ان تسير في طريق السعادة تمشي رويدا رويدا نحو الفناء والاضمحلال

ايها السادة

ان وطننا يجتاز الان مرحلة من ادق مراحل حياته تصل بين دورين مختلفين دور مظلم انقضى ودور مشرق بدا فيجب علينا اذا اردنا العزة والحياة ان نثبت وجودنا في هذا الدور المشرق فالسعادة لا تنال بغير العمل والنصر لا يتأتى بالنوم والكسل ورحم الله صفي الدين اذ يقول :

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا * ولا ينال العلا من قدم الحذرا
ومن اراد العلا عفوا بلا تعب * مضى ولم يقض من ادراكها وطرا

فلا يقول الانسان نحن معاشر التونسيين قد حطنا الزمان ولم يعد يرجى لنا النهوض فجهود الامة تزيل كل الصعاب ونهضة الشعوب ليست بالامر العسير على امة كالامة التونسية اذا نشطت من عقالها واخذت بأسباب الرقي والاعمال الصائبة المحكمة . لذلك ارجو ان لا يكون فينا احد من اولئك المتشائمين الذين اعتادوا ان ينظروا الى المشاريع والاعمال من نواحيها السوداء معتقدين استحالة نهوضنا وآيسين من فوزنا انه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون وفلاحنا . فالمؤمن الكامل الصادق في ايمانه تراه يطرق جميع الابواب الموصلة لكرامته وعزته وفلاحه ويجتهد في ترقية نفسه ويواصل السير حتى يحصل على مرغوبه وينعم بالخير « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون »

السبيل الخامس ـ التعليم ـ

اذا ما علمنا بان الجهل هو آفة رقي الامم ، وعقبة التقدم ومصيبة المصائب ، واذا ما تحققنا بانه لا رقي ولا فلاح لامة اذا كان رائدها الجهل المطبق ، تبين لنا حينئذ اهمية العلم وضرورة العنـآية به ، ولا يكفي ان نتعلم القليل من القراءة والكتابة لندعي المعرفة والكمال لان العلم الناقص كثير الضرر ومن ثم يجب ان ينتشر التعـليم في كافة المدن والقرى وان نسعى في جعله اجبـاريا اسوة بالامم المتمدنة وان نرسل البعثات العلمية الى اوروبا لتتخصص في جميع الفنون وبالخصوص الميكانيكية (علم الالات) وبذلك تستنير بصائرنا ونميز بين الغث والسمين ، فلقد صار زماننا زمن الالات والطائرات والمخترعات . لذلك يجب علينا ان نسائر الزمن الذي نعيش فيه فكل امة لا تساير الزمن فهي الى الضياع صائرة وقد راينا في هذه الايام كيف بالعلم والتفكير اهتدى الانسان الى اختراع قنبلة دك بها الجبال والبلدان دكا وحصد بها الانفس حصدا في اقرب من لمح البصر . وكانت النتيجة التجاء اليبان الى الاستسلام من غير قيد ولا شرط كل ذلك نتيجة العلم والتفكير ونحن عندنا الكثير من المتعلمين الذين لو اخذوا بسبل التفكير لابتكروا ولاخترعوا ولكنهم اكتفوا من علمهم بان اتخذوه سلاحا لكسب معاشهم واصبحت المادة غايتهم من الحياة والامة بقرة حلوب يستدرونها لانفسهم فهم والاجنبي عليهـا سواء

نسائل انفسنا هل لرجالنا او لشبابنا المتعلمين آراء علمية او اكتشافات او اختراعات تبرهن على شخصيتنا ؟ تساءل احد علماء الاجتماع من الفرنسويين عما هي قوة فرنسا فاجاب فرنسا ان هي إلّا مائة عالم اخصائي في التشريع ومثلهم في الكيمياء والميكانيك والطب والاقتصاد والزراعة

ايها السادة ـ لا تقوم لنا قائمة إلّا بالاعتمـاد على انفسنا وبالتفكير الصحيح في كل مـا هو نافع ومفيد . وان يختص كل متعلم بفرع من فروع العلم ليتقنه . فاساس حركة الاصلاح التي تنشدها هو تغيير ما عليه نفوسنا من الضعف والوهن والتحول عن ذلك الى طلب العزة والقوة والرفعة والعمل المنتج « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون »

السبيل السادس ـ التربية الوطنية ـ

من الثابت المقرر انه كما يشب الفتى يشيب فان نشأ منذ الصغر على محبة الوطن والمواطنين وكان متحليا بالمبادىء القومية والاخلاق الحميدة . يظل هكذا الى ما شاء الله يخدم بلاده بامانة واخلاص فيتحتم علينا ان نربي ابناءنـا تربية قومية صالحة ، وان نغرس في نفوسهم الاباء والشمم والميل الى الاتحاد والتضامن ، وان ندربهم على النشاط والاقدام وعلى الخصوص ان نعلمهم اعتبار ابناء الوطن الواحد اخوة واصدقاء دينهم واحد ولغتهم واحدة .

السبيل السابع ـ التضحية ـ

بقدر ما تكون التضحية كبيرة بقدر ذلك يكون النجــاح مضمونا والنتيجة حسنة . لا تنال السعادة بالاقوال التي لا طائل تحتها بل بالتضحيات الكثيرة من وقت ومال ورجال

المقالات والخطب مفيدة جدا لتنوير الاذهان ولكن الامة التي لا تضحي بشيء في سبيل كرامتها وعزها هي امة جديرة بالذل والفناء . فلا بد حينئذ للمسارعة وبذل النفس والنفيس والتضافر على رفع شان مستقبلنا فالوقت قد حان للبذل والتضحية . فليس تاخر المسلمين وانحطاطهم إلّا من حب الدنيا وفقد العزائم وعدم التضحية بما حرضهم عليه كتابهم العزيز . فالذي ينقصهم الاعمال والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . اقتصر المسلمون على اداء الواجبات الدينية من صلاة وصيام وتركوا الواجبات الاجتماعية من اعانة عاجز ومعوز وغير ذلك من الفضائل التي بعثت الامة العربية من خمولها الاول الى ذروة جلالها التالي فقد ضربوا عنها صفحا مع انها لباب الدين وروح الاسلام والغرض الوحيد من وانزاله تشريعه وانك اذا تدبرت ايها الاخ الكريم جميع الايات القرءانية والاحاديث النبوية الواردة في الواجبــات الاجتماعية لظهر لك ان الاسلام جاء لصلاح الدين والدنيا معا وفي القرءان « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة » « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كمـــا استخلف الذين من قبلهم » « وقيل للذين اتقوا ما انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك دنيــاه لاخرته ولا آخرته لدنياه بل خيركم من اخذ من هذه وهذه » اما الانقطاع للعبادة فليس من مقررات الاسلام قال تعالى « ولا تنس نصيبك من الدنيا » وفي الحديث : من تبتل فليس منا . لذلك نرى من الجهل الفادح ان نجعل الناس قسمين قسم يسمى باهل الدنيا والاخر باهل الاخرة . فهذا التفريق بين الدين والدنيا مناقض تمام المناقضة لمبادي الاسلام من كل وجه ، ومعارض لاوامره فان الاسلام دين عام موفق بين مطالب النفس والجسم يحض على فعل الخير وعلى الكسب والعدل ويردع عن الخمول والكسل فهل نحن مضحون باوقاتنا واموالنا في سبيل عزنا ومجدنا ؟ ام نتمنى على الله الاماني ، ونحن قــاعدون ؟! فالشرف والمجد ، والعزة ، وسعادة الحياة الدنيوية والاخروية لا تاتي عفوا بلا تعب

ذريني انــال مــا لا ينــال من العلا * فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهـــد من ابر النحل

فهذا الشاعر يحدث نفسه فيقول دعيني ايتها النفس اسعى الى طلب العلا . فادراك المعالي لا يكون بالكسل والنوم والقليل من الجهد فلا شيء من ذلك يكسب صاحبه جني النحل وهو الشهد [يتبع]

الاصلاح الاجتماعي

تابع لما قبله

بقلم الاستاذ سالم بن حميدة

ومع ذلك لم يتسن للبشرية الضالة الضالة ان تنفلت من ربقة الشرك والاشراك ذلك الظلم العظيم الذي سلطه الله عليها جل شأنه جزاء كفرانها لما يريده منها لوحدة خالصة وتوحيد سالم حنيف تسمو به الى حفظ كرامتها وحرمة ذاتها في حرية واستقلال يحفلان كل فرد فرد منها . وحدة كريمة محترمة حرة مستقلة تألف وتؤلف فيكون منها بعد تآلفها مجتمعا بشريا صالحا كما كونه الله تعالى على يد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم ظهور الاسلام بايمانه ووحدته وتوحيده على اصناف الشرك الظاهر والخفي والى حد مقتل علي وعثمان .

لذلك ارى ان لا سبيل لاصلاح مجتمعنا التونسي اصلاحا اجتماعيا صحيحا مجديا موطد الاركان إلا اذا رجعنا في ايماننا بكرامتنا وبحرمتنا الذاتية وحريتنا واستقلالنا الشخصي الى الوحدة المتماسكة المتآنسة المتناسقة ولا يتم لنا ذلك إلا اذا كونا لنا ولنشئنا ايمانا خالصا بالله تعالى سالما من الشرك الظاهر والخفي حنيفا نقيا من اوضار الخوف وادران الطمع والتسفل والمهانة والذل والابتذال لغير الله .

واذا كان الايمان الخالص بالله تعالى وحده ربا يصح ويجمل بالحر المستقل ذي الكرامة والحرمة الذاتية ان يحصر فيه همه وخوفه ورجاءه دون سواه واذا كان هذا التوحيد الخالص يعيذ الانسان من شر العبودية للنفس والهوى ولكل ما يرى ويسمع ويلامس ويجانس فلا غرابة في صيانته لكرامة البشر من الرق ولا بدع ان حمى حرمته من شر العبودية والذل والهوان والابتذال ولا نكر على من يرى فيه مناط الحرية والاستقلال ولا غرابة ولا بدع ولا نكر على من يقول ان التوحيد الخالص هو مناط الاصلاح الاجتماعي في كل مكان وفي كل زمان وفي كل الاجيال والاقيال .

وان المجتمع التونسي بالاخص والمجتمع الانساني عموما لا يصلح جميعها إلا اذا كان اكسير اصلاحه وقوامه ذلك التوحيد الموحد لجهود الساعين لما به يتوحد فيحيي ويسعد جنس الانسان

فجدير بمن يربو بكرامته عن ان تخنع للسماوات والارض وما بينهما إلا بحق واحد يستحق ذلك وخليق بمن يحمي حرمته الذاتية من الخشوع لكل ما يدخل او يمكن ان يدخل تحت قيد حسه وتصوره

وتخيله وادراكه إلّا بحق ذلك الحق الواحد واجدر بمن يكلا حرمته من الامتهان لخير يناله او شر يصيبه من غير طريق هذا الحق الواحد واخلق بمن يصون استقلاله من التلاشي في مهرب زغزع الرجال من مثله ايا كان وفي منحدر تيار الخوف ممن يشبه كيف خلق ان يكون عبد الله الحق الواحد الذي لا يسعه إلّا قلبه المؤمن الطاهر من ظلم الشرك العظيم ورجسه حرا مستقلا كريما محترما لا يألف ولا يتألف فيؤلف إلّا حرا مستقلا كريما محترما .

ولمثل تكوين هذا الايمان في نفوس البشر فليعمل العاملون لاصلاح المجتمع لانه هو هو الدعامة الاولى في بناء كل عمل صالح وهو هو الحجر الاساسي لكل اصلاح وصلاح وهو هو الحد الفاصل بين الحق والباطل والموت والحياة والسعادة والشقاء والجنة والنار .

وناهيك بايمان يخضع العادات والتقاليد والعلم والتعليم والاديان والحكمة والفلسفة والقوانين والعمل والمال والاسرة والحياة الزوجية والمرأة والرجل والآداب والاخلاق والعليل وطبيبه والقاضي والسلطان والخادم والمخدوم والمالك والمملوك والخير والشرير والمتسول والمسؤول والشريك وقسيمه والثروة والفقر والصانع وصنعه والعامل وعمله والريفي والمدني والجمعية والفرد والراعي ورعيته واللهو والجد والدجل والاخلاص والشاهد والغائب لسلطان واحد حرمه الظلم على نفسه كما حرمه على الكل واستوى الكل امامه فما هو إلّا سلطان الله تعالى الاله الحق الواحد الاحد الفرد الصمد الذي يؤمن به القلب الطاهر والضمير المستقل والوجدان الكريم الحر المعتز بجلال الحق في كل حال وبأي زمان ومكان ايمان كهذا الايمان يحرر الانسان من كل شرك يدخل عمله وفكره وسعيه وكسبه واحلامه وامانيه فلا يعمل إلّا للحق الذي يجب ان يعمل له تحقيقا للوحدة والتوحيد ولا يفكر إلّا فيما ترتضيه الوحدة والتوحيد ولا يسعى إلّا له ولا يأمل إلّا اكتسابه ولا يحلم إلّا به ولا يمني النفس بسواه هو الاحق بأن يكون وحده لباب الاصلاح الاجتماعي وجوهره الفرد الذي لا يخلق خلق بسواه :

فهل للشباب المسلم ان يثق بما اودعه الله فيه من كرامة ويعتمد على ما خصه به من جليل حرمه ويعانق الى الابد ما افرغه الله عليه من سوابق حرية ويتدرع بما مكنه منه من استقلال شخصي ويومن باستخلاف الله تعالى له في ارضه فيرضى بما منحه اياه ويرضيه ويوحده تعالى توحيدا خالصا نقيا ينحصر به خوفه ورجاؤه وطمعه وامانيه فيه دون سواه ثم يبحث ببصره وبصيرته عما وسع الله تعالى ليسمعه حتى لكأنه يراه ويناديه على لسان نبيه فيحاه على عرش خلافته « انها لا تسعني السماوات والارض ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن »

لعل الشباب المسلم يثق بالله تعالى وبما اودعه الله فيه واختصه به يجاهد في سبيل الله تعالى للتخلص من ربقة كل شرك فيعانق حريته ولعله يرفض الاستناد الى سند او دعامة غير ما وسعه قلبه من اجلال حرمة الاله تعالى وحرمة خلافته فيحرز على استقلاله بحول الله تعالى .

اي وربي لو هدى الله تعالى الشباب المسلم لنور الوحدة والتوحيد ونزهه عن ظلم الشرك العظيم المضربه وبجنبه لوسع قلبه ربه ولسمعه يناديه « ما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه »

والله ارجو ان يلهمنا جميعا لمثل هذا الايمان لنكون ذرة من نواة هذا الصلاح والصلوحية للقيام باشادة هذا الاصلاح

ابو النجاة سالم بن حميدة

التاريخ — ابو الحسن الشاذلي

٥٨٣ — ٦٥٦

هو علي بن عبد الله. وقد روى نسبه بالغا الى فاطمة الزهراء منبع الشرف. ويكنى (ابو الحسن الشاذلي) تسمية لشاذلة (١) ومن نسبته هاته اشتهر هذا اللقب واصبح اسما وعم استعماله في تسمية الناس في تونس ومصر وما اليهما . ولد سنة ٥٨٣ ابان صولة الموحدين الذين اتموا امتزاج عناصر المشرق والمغرب في افريقية بموجة اخرى آتية من المغرب نحو الشرق

وقد نص كتاب مناقبه على انه ولد في « مغارة » (٢) من القبائل المغربية الشهيرة ، فهو وصل تونس ضمن تلك الموجات المتدفقة اذاك من قبــائل المغرب « وصل تونس صغيرا وخرج منها الى سياحة » في طلب العلم فركب من ثغر المهدية ، فنزل الشام ودخل بغداد من العراق فلقي شيوخا مذكورين من اهل العلم ومن تلامذة شيخ الاسلام عبد القادر الجيلي (٣) ثم رجع اثر تمكن الخليفة الناصر من تمهيد افريقية واقامة امير بها من قبله عليها هو المولى عبد الواحد حفــيد ابي حفص احد العشرة المقربين من المهدي ، والذي اسس الدولة الحفصية

دخل صاحبنا المغرب الاوسط وساح فيه سنة كاملة ثم آب لتونس العاصمة فلم يطب له المقام بها

---

(١) كانت من ضواحي مدينة تونس وكانوا يتهمون اهلها لعصرها بسرقة الحمير وتدليسها انظر صحيفة ٧ و٨ من كتاب درة الاسرار وتحفة الابرار . والذي نعرفه عن لفظة «الشارنة» اسم لقبيلة من القبائل البربرية النازلة اليوم حول مدينة الكاف ولا يزال فيهم وفي اجوارهم الفوازين صنعة صبغ الحمير حتى انها قد تباع الى صاحبها نفسه فلا يعرفها حتى تنصل عنه الصباغ بعد اشهر وهم يسمون الشوارنة

(٢) المشهور مغراوة والنسبة المغراوي

(٣) من علماء الاسلام جمع بين علمي الظاهر والباطن ومن اشهر تلاميذ الجيلي الذين اخذ عنهم الشاذلي «ابو الفتح الواسطي ولد سنة ٥٣٥ ومات سنة ٥٦١»

فلجأ اولا للاقامة بشاذلة « صحبة شيخه الغوث ابي محمد عبد السلام بن مشيش » ومنها انتقل الى جبل زغوان فكان يقيم قريبا من العين الشهيرة به وكان الجبل عامرا ثريا بالبساتين والانعام ومدينة زغوان منزل العلماء والادباء الذين يميلون الى العزلة عن مراكز النفوذ والحياة على حاشية الحضارة، ولو في فصل من السنة، وكان مثابرا على النزول الى المدينة يوم الجمعة لحضور الجماعة في الجامع وهناك عرف وذاعت شهرته ونسب لشاذلة، وهناك فارقه شيخه واستاذه بعد ان اكتسب منه منابع الكمالات واقتبس الاسلوب والجرأة فتصدر للكلام بما استلفت الانظار.

ثم نزل مدينة تونس من جديد، وهو لم يتخط عتبة الثلاثين « وكان آدم اللون نحيف الجسم طويل القامة خفيف العارضين طويل اصابع اليد كانه حجازي (١) » وكان فصيح العبارة طلق اللسان واسع التشبيه رحب الصدر مغرى بالابانة والايضاح والتعمق وتبسيط المطالب الكبيرة للعموم، دون ان يتنازل عن اعراب اللفظ او يتورط في الاغراب. مع ان عجمة اللهجة البربرية كانت سائدة بتونس التي لم يتزلها الفتح العربي راسا ولا اتخذها مركزا بل تركها على مقربة من قرطاج ـ ليسبكها الدهر في سمط العروبة على مهل، في منجاة من التيارات الدافقة اللهم إلّا فيوضات معدودة خرجت فيها الحملة بالوادي عن حدوده. وانما اكبر ما مسها من حملاة الاسلام تائل بني خرسان فيها لعهد صنهاجة ... ولم تترك في تاريخ الثقافة من اثر منظور... حتى وصلتها النوبة الصنهاجية بموجة الشعوب المستعربه ابناء المغربين وزعماء الموحدين احفظ ما يكون على ارتذاء العربية ورقي مجد الاسلام. وكتب الرحلات والاخبار تدلنا كما درسناه في مناسبات على تدرج من المصلى الى حلقة الدرس ومن حلقة الدرس الى محكمة القاضي الى مجالس الولاة حتى تصبح لغة السوق والشارع ثم تعم المنزل والبيت. قاضية على الرطانة البربرية واللاطينية التي كان التعليم العربي يقشع من ظلها شيئا فشيئا ومع ذلك فقد انتشرت العربيه وعمت السوق والطريق من عاصمة بني حفص ولكنها كانت جديرة في السنتهم بدخائل وآثار بينة في مخارج الحروف وفي كلم متاصلة ... فهي في السن العامة لهجة على نحو مما نلحظه اليوم

انما استلفت ابو الحسن الانظار باجتذابه العامة لحضور مجلسه. وكان يتحدث فيها بلسان الخاصة من اهل السيادة والنهضة والعلم، احاديث جذابة ليست هي العلم المدون ولا هي الوعظ المجرد الذي كان له خطباؤه وحلقاته وروات رقائقه (١)

فقد كان يعمد الي آيات القرآن الكريم فينزلها على المعنويات والالهيات وما يسميه بالعلم الباطن والفقه الرباني ولو كانت من آيات المعاملات والقصاص فيكون لاستظهاراته تلك دويا مسموعا

---

(١) درة الاسرار ص ١٤٦

(٢) الرقائق قصص صغيرة تنتهي بالموعظة او كلمة الحكمة من حوادث الصالحين وقد تكون ابيات زهدية واكثر مؤلفاتها بين القرنين الرابع والسادس

بين العامة وأعناق الفقهاء وحتى طلبة العلم الذين اخذوا يتقلقلون بما سمعوا، فاستلفتوا انظار الفقهاء وشيوخ معاهد العلم في هاته العاصمة الجديدة

فثلر اركان العلم وفسقوا صاحبنا وتهموه بحمل كلام الله على غير محمله وما انزل له. خصوصا عندما اصر على معرفة كنه (الروح) (١) فقد عقد له مجلس مناظرة حضره علماء تونس وتولاه ابو القاسم ابن البراء قاضي بني حفص وعالم تونس (٢) وقد نقل المؤرخون ان العلامة قد تجرأ على الشيخ الصالح وان العامة قد انساقت في تيار معاد اضطرت الشيخ للالتجاء الى مغارة فوق مقبرة الجلاز يتعبد فيها ويقصده مريدوه لا يخرجون منها إلّا الى اعلا الجبل من حيث يشرفون على البحيرة والمدينة من بعد.

ومع ذلك لم يلبث الامير الحفصي ان امر باخراجه عن افريقيا. فاذا بالشيخ يلجو الى الامير أبي عبد الله محمد اللحياني وينزوي في قلب داره داخل بستانه الخاص خارج المدينة «العاصمة» فاستدعى الملك اخاه وقال له «إن مشائخ الشورى قد ايدو شيوخ العلم. وليس لنا نحن ان نحمي من لا يحبون بقائه في بلادهم» فخضع اللحياني للارادة التنفيذية العليى وخرج مشيعا لصاحبه حتى الساحل حيث ركب ابو الحسن من ثغر سوسه متجها للمشرق.

نزل بمدينة الاسكندرية فصادف فيها خير تربة من اللاجئين من المغاربة والافارقة فئة حركة ابن غانية واللاجئين من كبار الموحدين وزعماء الغاضبين من الاحتكاك المريني والنشأة الحفصية ووجد كل هؤلاء من الطريقة الربانية وحدة تجمعها حول بعضهم ولا تنذر الدولة القائمة بمصر بخطر سياسي. ونرى الشيخ قد وضع هنالك اساسا على غاية الحكمة والمرونة لطريقته التي وجدت التربة الخصبة ولعل من المناسب ان نلحظ من بين مريديه الذين التفوا به وظاهروه عنصرا على غاية الاهمية من الناحيتين الفكرية والمالية، ذلك هم بقاي الفاطمين من متأثر المغاربة في مصر، فان دولتهم لم يمض على انقراضها اكثر من نصف قرن هناك وقد كانوا وزراء الدولة وقوادها ومحظوظيها فألجاهم تبدل الظروف الى الابتعاد عن القاهرة ومظاهر التعصب السياسي فلا غرابة ان يجد جيلهم الثاني في طريقة الشيخ ملاذا ومعادا وخطة ربانية ينصرفون اليها بنفوسهم ويؤيدونها بعطاياهم.

هناك تزوج الشيخ واقام لنفسه دارا رحيبة انسته مغارة الجبل وابتني خلوة وسط العمران يقصدها اصحابه الكبراء من قرب ... ويحدثونا ان الفقهاء في تونس لم يكفوا عنه اذ بلغهم ما انقلب اليه فكتبوا لملك مصر وذكروا الاسباب التي استوجب الطرد على رأيهم ولم ينسوا في مذكرتهم،

---

١ ـ انظر درة الاسرار ص ٣٢ ـ ٢ ـ ابن البراء نراه في التاريخ يقرأ بيعة مكة المكرمة للسلطان المستنصر الحفصي ٦٥٩ توفي على القضاء ٦٧٩

تلك ان يقدحوا في ما بلغهم عن انتسابه للشرف النبوي من طريق ابنة النبي فاطمة الزهراء زوجة علي لا مزين له جهارا بإيقاظ الدعوة الشيعية التي قضى على ملوكها دولة المماليك » فهو يتقرب الى الشيعة بنسبه وطريقته المرتكزة على الباطن »

والتاريخ يقدم لنا الشيخ ابي الحسن وقد اصبح في مصر رئيسا وممثلا لاصحاب الاراضي والمنافع المرتكزة على التقاليد القديمة . اذ نراه يصعد الى القلعة مقر الحكومة الايوبية حذو القاهرة مترأسا لوفد اللمتونيين من اهل المغرب المتوسط المتأثلين بمصر طالبين من الملك ان يبقي على منحهم في الاراضي بالوجه البحري من صعيد مصر فيما بين القاهرة والثغر ونرى كتاب المناقب يهتلون حادث توفقه في هاته المأمورية لكتاب صفحة من كرامات الشيخ رضي الله تعالى عنه وان لم يخفوا ما في بقاء الافارقة في مناطق الرباط من حماية لبلاد النيل . وبالفعل فان ابا الحسن لم يخرج من ديوان الملك إلّا بوثائق احترام بقايا اللمتونيين مع منح الطريقة الشاذلية في شخص رئيسها جميع البرج القديم من سور الاسكندرية فانتقل الشيخ اليه حالا ورتب فيه السبت والاذكار الليلية الدائمة

العودة الى تونس

يوم ٢٢ جمادى الاخرة ٦٤٧ توفى الامير أبو زكرياء الحفصي وسط جيشه على مدينة بونه وتولى اخوه الامير محمد اللحياني (صديق ابي الحسن وحاميه) اخذ البيعة لابن الهالك المستنصر بالله

فاذا نحن بابي الحسن يطوي كل شيء بين يديه في مصر ويركب لتونس فوصلها في رمضان المعظم لسنتها، واشترى لنفسه دارا «بالربض الاعلى من المدينة خارج باب الجديد في بطحاء الشعارين» واقام للاخوان خلوة يجتمعون بها لسماع الشيخ وقبول ارشاداته

وفي هته الحقبة اصطفى الشاب احمد بن عمر بن علي الانصاري من مهاجري مدينة مرسية بالاندلس الذي اشتهر في مصر من بعد باسم «ابي عباس المرسي» وهو في العشرين من عمره فاصطفاه الشيخ مريدا حتى كان له من بعد اكبر خليفة في المشرق

الهجرة من جديد

ثم نرى الشيخ ابا الحسن يتعسف صحراء طرابلس راجعا في جماعة من الزهاد الافارقة سنة ٦٤٨ والناس تتجافى الركب ولا تقابله بالمعروف فضلا عن الضيافة! الى ان جاز طرابلس، بل حتى اضطر الركب الى الانقسام عن الشيخ ولم يبق معه إلّا اخص مريديه

والظاهر ان صلات الشيخ مع الامير اللحياني التي كانت قد ارجعته من مصر الى تونس مؤملا مكرما، هي نفسها التي اخرجته من تونس على غير طريق!

فانتا نعرف ان المستنصر بالله الحفصي الشاب. ما كان يقتعد عرشه حتي قتل عمه اللحياني واستأصل اتباعه ومن اليه، إلّا من لاذ منهم بالهروب

ثم اجتمع ركب الزهاد الافارقة عند عمود الصواري من الاسكندرية اوائل سنة ٦٤٩ والشيخ ابو الحسن ينشد قصيدته التي يقول فيها

لو سالمتنا تونس من اهلها . . . كانت لنا دارا ونعم الدار
لا يشهدون لفاضل بفضيلة . . . وهم لكل ضلالة انصار

ومن يومها ينزع الشيخ عن نفسه حلم الرجوع الى وطنه . معتنيا بتأليف احزاب طريقته وتحقيق نظمها وترتيب اتباعه وتربية بناته وبنيه وتثقيفهم ثقافة علميه وصوفيه

ومما عرفناه ان الملك في مصر لم يخصص للحصن الذي اقتطعه للشيخ ، شيأ . ولا رتب له طعاما . ومع ذلك فقد كان الشيخ واسع الدنيا طلق الكف « ينفق عن الفقراء مما لا تنفقه الخوانق المرتبه» ويطعم فيها الفطائر بالعسل صباحا والطعام (الكسكسو) باللحم عشاء بل رأينا بعض اصحابه المنتسبين اليه وقد تورط ابنه في عشية ، فاستنجد بالشيخ ان ينقذ إبنه من ان تخرج عينه . فلما جاء الشيخ امتنع اصحاب الحق من قبول شفاعة الشيخ . الا ان يؤديها لهم ٥٠٠ خمسمائة دينارا ذهبا (حول المليون فرنك بصرف اليوم) فأخرجها الشيخ لحينه لاولئك الاعراب الراحلين ، ثم « دعى عليهم ان لا ينتفعوا بها . فرحلوا من عشيتهم. ثم لم يلبثوا الا يومين حتي رجعوا واذا بقطاع الطريق قد باغتوهم ليلا واخذوا جميع ما معهم من المال ». وكان يعتني بالجاليه الافريقية والمهاجرين منهم فيخلع عليهم اكسيته الرفيعه ويكلف بهم من يحسن تدريبهم وتربيتهم وربما قدم لهم الاموال لاقامة متجر لهم.وله من ذلك في كتب المناقب حادثات اعتبرت من كراماته ومناقبه المباركة

ولقد تأثر الشيخ وصاهر بناته نخبة المتمصرين واقبل الناس على طريقته وحلقته

ولما كبر حدث عليه ما اتلف بصره . وكان تلميذه ابو العباس المرسي « يتكلم بجامع العطارين بالاسكندرية فقطع عن حلقته وجاء لشيخه » متفجعا . فاذا الشيخ مطمئن لقضاء الله وقال « لاتجزع . فلقد انعكس بصري على بصيرتي فلم اعد ابصر الناس حتى لا ارى إلّا الله! انكم اصحابي افضل من في زماني وانفضل اصحابي انت فلاروثنك خير ما اعطاني ربي . ولتكونن بعدي صديقا » وكان صاحبه اذ ذاك لم يبلغ الثلاثين من عمره

واخيرا فان الشيخ خرج الي الحج . فتوفي في حميثرة ببرية عيذاب على طريق الصعيد (١) المصري اوائل شهر ذي القعدة سنة ٦٥٦ وهو ابن ٦٣ سنة

(١) ـ الوافي بالوافيات ج ١٩ الورقة ٩٣ خطية المتحف البرطاني

ابنــــاء الشيخ

كبر للشيخ خمسة ابنـاء حفظ التـاريخ ذكرهم ذكورا واناثا وقد حرص الشيخ على تعليمهم

١ ــ السيدة ام الخير . ولا نعرف عنها إلّا انها تصدرت لتدريس علم التجويد وادائه بعد ان توفي عنها زوجها . واعمرت حتى سنة ٧١٥ هـ

٢ ــ زينبا وهي ابنته البكر . ولم يشتهر عنها شيء من الميل الى التصوف فيما خلده كتاب المناقب وقد زوجها والدها من احد كبراء مريديه الذين التفوا به لاول نزوله مصر وهو الشيخ شرف الدين فكان الزوج يصلح ان يكون ابا للصبية فلقد زلت امامه ايام كان منقطعا للطريقة الشاذلية وهو متزوج لمرأته الاولى حتى اذا ترعرعت ابنة الشيخ وشبت خطبها فاعطاها له وطار بالشابة الكاعب الى بلدته دمنهور منقطعا بابنة الشيخ عن الزاوية وانما نرى منزله في دمنهور قد اصبح ملاذا لاصحاب الطريقة وكلما شرقوا عن الاسكندرية يجدون فيه المنزل والضيافة من صهر الشيخ « يرسل لهم بطعامهم وشرابهم من فضل الله ولا يزورهم إلّا قليلا ولا يسالهم ارتحالا »

كما نعرف له من الذكور ثلاثة

٣ ــ ابو عبد الله محمد شرف الدين . فكان يقيم في دمنهور اذ تزوج ابنة زوج اخته من زوجته الاولى ولا نعرف عنه شيئا آخر

٤ ــ ابو العباس شهاب الدين احمد ونعرف له رسالة ومنظومة في مسالة الروح والنفس على روي النون مطلعها : ان كنت تسالني عن خالص المنن * وعن تآلف ذات النفس بالبدن

وقد توفي سنة ٦٨٥ بالاسكندرية وكان من العلماء الزهاد

٥ ــ ابو الحسن علي ، وهو الذي رجع الى المغرب واسس الطريقة الشاذلية فيه ، ومع ذلك فقد كانت له في بدايته حالات رواها كتاب المناقب قال الشيخ ابو العزائم ماضي « لقيته بالاسكندرية سكرانا بالخمر فاتيت به للدار وضربته ضربا وجيعا حتى تعلق بامه فجذبته جذبة حتى خرج بخيوط راسها في يده ، فصاحت وبكت فدخل عليها الشيخ وقال لها ما يبكيك فاخبرته بالقصة ولم تخبره بسكره فتغير الشيخ لذلك فلما دخل الزاوية قال لي : يا ماضي لما قلت كذا وكذا ؟ قلت لاني وجدته سكرانا والله لو تعلق بك لجلدته الحد . فقال لي : هكذا هو ؟ وتغير وجهه ودخل الخلوة ساعة واستدعاني فدخلت عليه ووجدته فارحا مستبشرا فقال لي يا ماضي دخلت وهممت ان ادعو على ولدي فقيل لي يا علي مالك ولولي دعه حتى ينفذ ما قدرت عليه ... ! (ثم قال ابو العزائم) فلم تمض إلّا مدة يسيرة حتى خرج في سياحة وظهر بارض المغرب وظهرت ولايته نفع الله به وبوالده » (١)

(١) كتاب درة الاسرار ص ٢٠

احاديث فضل أفريقية

— ٣ —

ان احاديث فضل افريقية الموضوعة لم تقف عند العدد الذي ذكرناه بل هناك احاديث اخرى منها الحديث الذي في فضل المنستير عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحل قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ومن خرج منه فبعفو الله .

روى ابو العرب هذا الحديث عن فرات بن محمد عن خلف بن محمد القابسي عن عبد الله ابن عمر بن غانم فمن ابي العرب الى عبد الله بن غانم هي السلسلة الافريقية ثم من بعد ابن غانم تصير شرقية ولا مرية ان وضع هذه الاحاديث لا يعدو الافارقة فلنبحث في مصدر الداء من هؤلاء .

اما عبد الله بن عمر بن غانم فهو ابو عبد الرحمن الافريقي قاضيها اخرج له ابو داود وروى عن ابن انعم ومالك بن انس واسرائيـل بن يونس وداود ابن قيس وابي يوسف . ولم يرو عنه إلّا العتبي لقيه بالاندلس .

ومن الناحية التحديثية الناس فيه بين رجلين فمن ذاهب إلّا انه مجهول وهو ابو حاتم الرازي وابن حبان في الضعفاء واسرف حيث قال روى عن مالك ما لم يحدث به مالك قط لايحل ذكر حديثه ولا الرواية عنه في الكتب إلّا على سبيل الاعتبار وذكر له عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه الشيخ في بيته كالنبي في امته وهذا موضوع .

ومن ذاهب الى خلاف ذلك وهو ابن يونس حيث قال هو احد الثقات الاثبات دخل الشام والعراق في طلب العلم وابو داود حيث قال واحاديثه مستقيمة :

والرأي الحكم بين هؤلاء قد تصدى له عالمان جليلان الاول الذهبي لما ذكر الاحاديث الموضوعة المنسوبة اليه قال ولعل التآفة في الخبرين من عثمان صاحبه ومراده بالخبرين حديث الشيخ في بيته كالنبي في امته المتقدم والثاني ما من شجرة احب الى الله من الحنـاء والذي تردد فيه الذهبي جزم به ابن حجر حيث قال ولعل ابن حبان ما عرف هذا الرجل لانه جليل القدر ثقة لا ريب فيه ولعـل البلاء في الاحاديث التي انكرها ابن حبان ممن هو دونه .

وازيد على ما نسب اليه من احاديث ابن حبان هذا الحديث فلعله ما نسب اليه لكن يعكر هذه التبرئة

ما ذكره ابو العرب في ترجمته ما حدث به عن ابن ابي الليث قال كنت مع علي ابن ابي زياد امشي بالقيروان فلقينا ابن فروخ فصد عنه علي بن زياد فقال له ابن فروخ يا ابا الحسن لم صددت عني فقال انت المشير بابن غانم فقال والله ما اشرت به انما سئلت عنه فقلت ما اعلم إلّا خيرا فقال له علي بن زياد مع الانكار واي خير مع الكبر والكذب والله ما صدق في حسبه ثم ولى .

فعلي بن زياد من اهل قطرة رماه بالكذب وهو اعرف به من ابن يونس الكوفي الذي ربما اجتمع معه على شيخهما اسرائيل بن يونس .

على انه مما ينفي رواية خلف بن محمد القابسي عنه ان ابا داود يقول انما اعلم حدث عنه غير القعنى لكن ابا العرب يذكر في ترجمة خلف انه اخذ عن ابن غانم .

وخالف هذا وصفه ابو العرب نقلا عن سحنون انه لم يبدل ولم يغير فمصدر العلة في كتب ابي العرب هو فرات . فقد اضحى هذا الفرات اجاجا .

نجتزيء بهذا القدر في الاحاديث الموضوعة منتقلين الى ما صح منها ذكر ابو العرب حديثا عن ابي عثمان الهندي عن سعد ابن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة .

وهذا الحديث عينه رواه مسلم بالسند نفسه قال حدثنا يحي ابن عيسى انبأنا هشيم عن داود بن ابي هند عن ابي عثمان عن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ولم يقع اختلاف بين الروايتين إلّا في قوله اهل المغرب ففي ابي العرب اهل المغرب بالميم وفي مسلم اهل الغرب وفي فتح الباري ووقع في بعض طرق الحديث المغرب بفتح الميم وسكون المعجمة وهذا يرد تأويل اهل الغرب بالعرب .

ثم ان العلماء اختلفوا في معنى الحديث واليك عبارة القاضي عياض في مشارق الانوار وفي الحديث الآخر لا تزال طائفة من امتي ظاهرين وهم اهل الغرب ولا يزال اهل الغرب قال يعقوب بن شيبة عن علي بن المديني الغرب هنا الدلو واراد العرب لانهم اصحابها والمستقون بها وليست لاحد إلّا لهم ولاتباعهم وقال معاذهم اهل الشام فحمله على انه غرب الارض خلاف الشرق. والشام غرب من الحجاز وقال غيره هم اهل الشام وما وراءه. وقيل المراد هنا اهل الجرءة والاستنصار في الجهاد ونصرة دين الله والغرب الحرة وذكر بعض المتأخرين ناقلا انهم اهل بيت المقدس ويؤيده ما وقع عند احمد من حديث ابي امامة انهم ببيت المقدس وجاء في كتاب التشوف الى رجال التصوف للشاذلي ان المراد من اهل المغرب المعروف قال ومن تأول قوله عليه الصلاة والسلام على ان الغرب الدلو وانه اراد اهل الغرب وهم العرب يبطل

خطاب سماحة الاستاذ الاكبر

[بقية ما بصفحة ٨]

نتوخى لهم ما يجمع بين بذل النصيحة . وبين مراعاة ازمانهم الشحيحة . فربما اعقبنا العقوبة بالعفو الجميل .واتبعنا الحرمان بالتاجيل . عسى ان يكون مزج اللين بالحرص لنجاحهم خير كفيل كما قال القاضي الفاضل .

ما ناصحتك خبايا الود من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل

محبتي فيك تابى ان تساعدني * بان اراك على شيء من الزلل

على ان هذه الصعوبات الجمة التي اعترضت سير التعليم قد كان الكثير منها نازلا على جوهر برنامج التعليم . مما عرض المشيخة في تذليلها لملاقاة العناء العظيم .

واهم ذلك ما لاح في فقدان كتب الدراسة والحاجة الى محلات التعليم فاعتمدنا في جبر نقص الكتب على همم فضلاء الامة الذين امدونا بنسخ قلائل من الكتب المقررة في البرنامج امكن ان

تأوله ما رويناه من طريق يحي ابن مخلد في مسنده قال اخبرنا يحي بن عبد الحميد قال حدثنا هشام قال حدثنا داود عن ابي عثمان النهدي عن سعيد عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة او ياتي امر الله وخرج الدار قطني في فوائده الى سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق في المغرب حتى تقوم الساعة

وايد هذا الراي بالرسالة التي بعثها ابو بكر الطرطوشي نزيل الاسكندرية الى بعض ملوك مراكش ذكر فيها بعد ان ذكر الحديث هل اراكم رسول الله صلى الله عليه وسلم او اراد بذلك جملة من أهل المغرب لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين والانتماء لآثار من مضى من السلف الصالح رضي الله عنهم ؟

وبالطبع نحن الافارقة الذين يقطنون المغارب نميل الى ما مال اليه صاحب التشوف ومع ذلك يبعد الجمع بين هذه الاراء ولكن الحق احق ان يتبع فان ما اشار اليه القاضي في المشارق من انهم اهل الحدة والاستصار هو المتعين عند التامل

محمد الشاذلي النيفر

توفي بها حاجة الشيوخ في الجملة وفي مقدمة هذه الاريحيات نذكر اريحية جناب وزير الدولة الذي امد مكتبة الطلبة بعدد ذي بال من الكتب المدرسية لا زال عضدا للعلم وذويه .

وقد دعا هذا الحال الاضطراري الى توسيع دائرة املاء تلاخيص الدروس توسيعا كاد ان يشمل جميع مواد التعليم . وعلى ما اوجد هذا التوسيع من افراط في الاعتماد على احدى طريقتي الاملاء او المراجعة بالكتاب ومن مضايقة في الاوقات دعت في كثير من الدروس الى عدم البلوغ بالضبط عند المقادير المقررة فقد كان من جهة اخرى عونا على توجيه الطلبة نحو الناحية العملية التطبيقية وعلى تكوين دواعي التاليف والتصنيف للمشائخ المدرسين .

واما محلات التعليم التي عظمت مشكلتها بتوسيع دائرة التعليم الرياضي والاكثار من الاعمال التطبيقية في دروس العربية . وتعدد الفروع بالحاضرة وخارجها فقد توصلنا الى تخفيف الشدة بايجاد اقسام دراسية بالحاضرة وسوسة والقيروان ورجاؤنا ان نتمكن في العام القابل من نوال بنايات مناسبة وذلك ما تحصلنا فيه على وعود معتبرة من المراجع الحكومية هذا ما دخل في اختصاص المشيخة من الصعوبات التي ذللت في المنطقة الداخلية علمية وادارية وهنالك صعوبات خارجة عن اختصاص المشيخة ترجع الى الناحية التشريعية او الناحية المالية سعينا في علاجها بالاسباب وسلكنا لها من الابواب . فوجدنا من فضل الله تسهيلا عجيبا جعل منالها الاقصى قريبا . واكسب الهيئات التي اعانت على تحقيقها فخرا خالدا يسجل لجميع افرادها واحدا واحدا . فقد وجدنا لدى اعضاء مجلس الاصلاح ورئيسه الهمام انقطاعا الى علاج المشاكل التي طرحت لدى انظار ذلك المجلس حتى توصلوا بمضاعفة الجهود وموالاة الاعمال الى وضع لائحة رفعت عن اجماع اصواتهم الى الوزارة الكبرى ليجري اللازم في عرض ماتظمنته على الطابع السعيد . وهي لائحة تتضمن اصلاح نظام الادارة ونظام المدرسين ونظام التعليم وامتياز الشهادات تذلل بها ان شاء الله ثلاث عقبات كاداء هي :

عقبة الميزانية المالية بتصيير مشيخة الجامع مستقلة في تحرير ميزانيتها وتصريفها .

وعقبة القيمة الدولية لشهادات الجامع بتنظيرها بما يقابلها من الشهادات الثانوية والعليا وما يقتضي ذلك بالاولى ان تكون اصغر شهادات الجامع وهي شهادة الاهلية محققة الاعفاء التام من الخدمة العسكرية الذي هو من حقوق الشهادات الابتدائية فضلا عن الثانوية . وعقبة التعليم التحضيري للجامع بحسب نظر المشيخة على عموم المدارس القرءانية والكتاتيب وهو المبدأ الذي خطونا نحو تطبيقه بالاتصال بالمدارس القرءانية الحرة وتخطيط برامجها وتفقد العمل بها .

على ان ناحية التسهيلات المالية لتقوم المقاصد الاصلاحية قد تم منها امر ذو بال بما لقينا لدى

السادة النواب الامناء اعضاء المجلس الكبير من بذل الجهود العظيمة في خدمة القضية الزيتونية والنضال عنها حتى تم تقرير جميع الاعتمادات اللزومية التي اقترحنا تقريرها في ميزان الدولة للعام الجاري فكانوا اللسان الناطق بالاعراب عن رغبة عموم الامة منوبيهم في شدة التمسك بهذا التعليم والحرص على انهاضه وتوسيعه .

وان الوقت الذي مضى في تحقيق هذه التاسيسات المهمة لم يصد عن اطراد سير النهضة التدريسية والتنفيذات الادارية بما عم من التكاتف والاخلاص الذين وفقا بين المقاصد ومرجا بين الاشخاص فيما لقينا من العلماء الجلة افراد الهيئة التدريسية من الحرص والاعانة على تنفيذ البرامج والنظم التدريسية اعانة بلغت درجة الايثار على الصالح الذاتي ومزجت بين المشيخة وهيئة التدريس مزجا جعل هذه الهيئة مشاركة في سن كل عمل يرجع الى برامج التعليم ونظامه وانا لنرجو ان يدابوا على مواصلتنا بارائهم الصائبة . وكذلك من الشيوخ المكلفين بالتدريس في المعهد وفروعه والاساتذة القائمين بتدريس الرياضيات والطبيعيات الذين اخلصوا في ايصال الطلبة الى الدرجات التي رجوناها . فكانوا محل الظن من الوفاء بين الابوة التي اودعناها وقربوا بين الثقافتين الزيتونية والصادقية فقربوا من هذه الامة مناها . وكانوا في مقابلة الشيوخ الزيتونيين القائمين بالتعليم في الصادقية خير مظهر لصفاء الاخوة الاسلامية من كل شائبة منكرة من شوائب الطائفية والعنصرية .

واما الهيئة الادارية من حضرات الشيوخ الاعلام اعضاء مجلس الاصلاح المؤلفين للجنة المناظرات والامتحانات واصحاب الفضيلة الشيخين النائبين بالمشيخة والشيخ النائب بادارة امور المدارس ورجال الهيئة الشرعية المشرفين على ادارة فروع المملكة وسائر الموظفين بالاصل والفروع من المشايخ الكتبة ووكلاء الكتب والقيمين ومن الاعوان فلو اننا حاولنا شكرهم لكان لسانهم يثني عليهم ومحامدهم تعود اليهم ولكنها النتائج تعرب عن اربابها والاعمال تزكي جهود اصحابها فقد كانت نتائج الامتحانات افصح ناطق بشكر الهيئتين يشهد لهما بما بذلا من جهد واستحقا من حمد . فقد شارك في امتحان شهادة العالمية في العلوم سبعة واربعون احرز منهم تلك الشهادة واحد وعشرون وشارك في امتحان العالمية في القرامات اثنان احرز كلاهما على الشهادة وشارك في شهادة التحصيل في العلوم مائتان واربعة وسبعون نجح منهم مائة وسبعة عشر وفي التحصيل في القراءات ثمانية احرز منهم على الشهادة سبعة وتخلف واحد وفي شهادة الاهلية اربعمائة وواحد وستون احرز منهم ثلاثمائة وثمانية وثلاثون . وانها نتيجة في مجلتها بهجة سارة تكافيء شرف هذا الجمع الذي اقبل على تلقيها بعناية تقوي همم محرزيها وتهيب بمن حولهم على ان يلتحقوا بهم فيدركوا مقاما نبيها ويفخروا

خطاب الشيـــخ المهيري

مفتي صفاقس

الذي القاه في حفلة ختم السنة الدراسية بجامع صفاقس

الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ، وجعله سراجـا منيرا ارشادا للمكلفين ، واتم به على من اتبعه نعمته السابغة ، واقام به على من خالفه حجته البالغة ، صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه اجمعين

اما بعد فيا ايها الفضلاء الكرام واعيان بلد صفاقس العظام . ان تطور الاصلاح في الكون هو من وسائل الرقي الذى ينتضم به العمران ، وما تفوقت فيه امة إلّا عظم شانهـا وازداد اعتبارها بين الاقران ، وذلك لا يتم إلّا بافذاذ منها هم مصابيحها الذين تستطع اشعة حكمتهم في ديجور ظلماتها وتبعث هممهم ارواح من اديسوا منها في غفلاتها ، ولقد قيض الله للاصلاح العلمي بهذا القطر رجـل

بما لامتهم من العناية باكرام النوابغ من بنيها .

فباسم الهيئة التدريسية والادارية واسم عموم طلبة المعاهد الزيتونية اتقدم بشكر هذا الاقبـال العظيم الذي تكامل بحضور صاحبي المعالى الوزيرين الجليلـين لا زالا اقوى سند للنهضة العلمية في مقاصدها الخيرية واستنار بالهيئة الشرعية العلية عنوان الشرف العلمي والعدالة الدينية يتقدمها فضيلة جناب شيـخ الاسلام لازال في افق المعالي بدر تمام . وجناب شيخ الجامع الاسبق الذي سجلت له عراص هذا البيت ذكريات مـا بذل في خدمته من نصح واستقـامة وما قرب لطلبته من نجح وكرامة وازدهر بحضور هذه النخبة الكريمة من قادة الامة ونوابها ورؤساء الهيئتين العدلية الموقرة والادارية المعتبرة ممثلي الصحافة الوطنية التي لها في توسيع صدى نهضة التعليم الزيتـوني اكبر مزية ورؤساء الجمعيات والمنظمات ووجوه الهيئات الحرة من العدول والمحامين والفلاحين والتجـار وارباب الصناعات فان التفاف هولاء الفضلاء حولنا يقوي الساعد ويكون على البراءة في بذل الجهـد خير شاهد ويدعنا نعتبر جميعهم شركاء لنا في شرف الخدمة ومعينتين على توجيهنا للعمل بصادق الهمة متواصين بالاخلاص لهذا المهم الخطير وتطهير النفوس من ادران التخاذل والتقصير ومراعاة حق الله في احتمال هذا العبء الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الحزم والتفكير ، وامام العلم والتحرير علامة هذا العصر ، ومفخرة هذا الدهـر ، وعين انسان هذا القطر الحجة الفهامة البحر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع المعمور فاخذ فيه بزمام التعليم وسار به في الطريق المستقيم وايده الله بروح منه وجعل له من لدنه انصارا ، وقوم به المعوج وسده به انظارا وفتح به اذانا وابصارا ، فتطور التعليم في بحر مدته اطـوارا ، واينعت ثمرته كالبرق الخاطف ، وبلغت حجته وسارت في الافق سير الهاتف ، وبتـلك الهمة الشمـاء قضى على ايام التراخي والاهمال . والزم كلا من المعلم والمتعلم ان يخلعا ثوب الضعف في الانتاج والاتكال وان يعتمدوا على نفسهم في جميع الاحوال تلك هي الاسباب القديمة الصحيحة والطرق الناجحة الصريحة فتاقت النفوس الى الورود من حياض العلوم واصبح كل يقول وما منا إلّا له مقام معلوم فاعجب به من تجديد ينشره العصر . وافخر به من تاييد جاد به الدهر . كيف لا ومصدره صدر شيخ الشيوخ المجدد على راس هذا القرن ، باعث روح الحياة في الامة ومزودها من جليل كل فن ، مسايرا بها قواعد شريعة الاسلام ، وناشرا للعيان صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان واقوام ، وها هو قد ابـدى من خصائصها مجاه لا القلوب بحقيقة ما تحويه من احكام ، ذلكم هو الرجل الذي يتبع اقواله بافعاله ويوفي بالعهد فيما ينتهجه من جليل اعماله ، وها قد اوفد الى فرعنا معاشر الصفاقسيين لجنة لاجراء امتحان الشهادة الاهلية ، وازال الحواجز المؤلمة للنفوس من عهد بعيد في هاته القضية وكانت على الكواهل اثقل من الجبال ، فانجابت عنها واجاب صوت الامة بمنتقى الاقوال ، وهذا هو اول امتحان يجري في هذا الجامع لشهادة الاهلية بطريق الكمال ، وهذا هو اول احتفال من نوعه تقيمه الامة من نفسها لنفسها اظهارا لحسن الاستقبال ، فالامة الصفاقسية التي تشاهدونها تشنع افئدتها فرحا ببلوغ امانيها — وها هي ترى اولادها واكبادها قد ادوا شهادة كاملة ناجحة بين ظهرانيها ، وها هي الجمعيات العلمية والجموع من كل صوب تجيب صوت داعيها حيى الله تلك النفوس الطيبة الزكية التي هي على علم تام بما لها وما عليها ، هذا وان فضيلة مولانا شيخ الجامع حفظه الله لما اوفد لجنة الينا اختارها من خيرة العلماء المطبوعين بالعدل والفضيلة وشفعهم باخوانهم من علماء بلدنا اولى فضل وخصال جليلة وسمى على راس تلك اللجنة العلامة النحرير الدراكة الشهير الشيخ سيدي محمد المختار ابن محمود فقامت هاته اللجنة المباركة بماموريتها احسن قيام وادت ما انيط بعهدتها في بضع ايام وسيتلى على مسامعكم الشريفة اسماء الناجحين مع بيان ما احرزوا عليه من صفة الاستحسان بين الفائزين ، واليكم على وجه الاجمال كلمة من البيان فلقد دخل في هذا العام اربعة وخمسون الى الامتحان فرسب في الكتابي اربعة وقبل خمسون ، ولما اتموا بقية اعمالهم احرز على الاحسنية منهم ثلاثة وعشرون ، كما نال ايضا

مسند القضاء المالكي

الشيخ عمر المحجوب

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد البشير النيفر المفتي المالكي

[تابع لما قبله]

ما تقلبوا فيه من الخطط العلمية السامية

تقلب رجال هذ البيت في خطط علمية وجيهة منها القضاء في اقسنطينة وقضاء الانكحة وقضاء الجماعة بحاضرة تونس والفتوى بجامع التوفيق وجامع الزيتونة بالحاضرة ومنينا الامامة والخطابة بجامع التوفيق وجامع الموحدين وجامع الزيتونة الاعظم ومنها التدريس بمدارس تونس منها العنقية والمنتصرية ومدرسة المعرض وكان لهم الاثر الصالح في ذلك كله رحمهم الله اجمعين

الاستحسان ثلاثة وعشرون واربعة بدون وصف الاستحسان ولكن كلهم ناجحون فستة واربعون يفوزون بالاستحسان والاحسنية ان هذا إلّا اجمل وصف وقع بالشهادة الاهلية وكفى صفاقس فخرا بهذا الفوز العظيم في بلوغ الامنية ولقد اناط فضيلة مولانا شيخ الجامع اجراء الاختبار للتنقل من سنة الى سنة بعهدة شيوخ فضلاء من علماء صفاقس فادوا ماموريتهم على احسن حال واثنوا ثناء جميلا على ما شاهدوه من الاقبال فلقد اخذ الاسرار اربعة من نحو اربعمائة تلميذ وتقدم الباقون للرقي والكمال ولذلك نقدم للسادة الشيوخ اجمل شكر باوجز عبارة في هذا المقام ونثني عليهم ثناء عاطرا لما قاموا به في هذا العام شكر الله سعيكم ايها العلماء الفضلاء الخيرة واما انتم فقد احسنتم يا معشر الطلبة النجباء البررة فتح الله عليكم وادام نعمه واحسانه اليكم ، فلقد رفعتم جميعا مجد هاته البلاد وبيضتم وجوهكم في كل محفل وناد كما انى بلسان العلم واهله اقدم عاطر الثناء والشكر لهؤلاء . الفضلاء الاماجد الحاضرين الذين لبوا الدعوة الوجدانية ليتشرفوا بهذا الحفل العلمي ويشرفوا جامعهم وابناءهم بهذا الفتح المبين وعلى راس هذا الجمع ذلكم الرجل الماجد الكامل أمير الامراء سيدي العامل نصر بن سعيد وانا لنرفع جميعا اكف الضراعة والابتهال الى مالك الملك ذي الجلال ان يحفظ لنا شيخنا شيخ المعهد المحترم محفوفا بالعناية والاحترام والاقبال ، في ظل ملك البلاد امير هذا القطر الرفيع العماد والكهف الاسمى والملاذ الاحمى سيدنا ومولانا محمد الامين باشا صاحب المملكة التونسية ادام الله دولته وحفظ في سماء العز سدته محفوفا بانجاله ووزرائه واله وجعل اعمالهم ناجحة ببركة القرءان العظيم وسر الفاتحة . محمد المهيري

وجاهتهم في المشرق والمغرب

لرجال هذا البيت ذكر سيار في كتب التراجم وغيرها واصل هذه الوجاهة فيما يظهر امران احدهما نشر العلم بالتدريس والتآليف فقد كان كثير من علماء البلاد النائية يردون على حاضرة تونس يغترفون من بحار علمائها ويقتبسون من انوارهم ثم يرجعون الى بلادهم معهم من علم جم يرجع الفضل الى شيوخهم بتونس ناشرين من اخبارهم واحاديثهم ما يعرف بقيمتهم ومكانتهم وينشرون من مؤلفاتهم ما يؤيد ما حدثوا به

ثانيهما الرحلة : فقد ارتحل الى المشرق من رجال هذا البت الشيخ محمد بن عمر القلشاني « وسياتي التعريف به » واقام بمصر سنين ورجل من بيت كهذا يقيم بمصر سنين ويقلد فيها بعض المناصب السامية لا جرم ان يكون لا سترته من الوجاهة والشهرة برحلته فوق ما يكون لاسرة اخرى اكدا فرادها

رجوع الى ترجمة الشيخ عمر القلشاني

ولد الشيخ ابو حفص عمر القلشاني رحمه الله بباجة تونس ليلة السبت ثاني شوال سنة ٧٧٣ واخذ عن شيوخ عصره منهم والده والشيخ الغبريني والشيخ الابي والشيخ البرزلي والشيخ ابن عرفة وحكى الرصاع في فهرسته عن صاحب الترجمة انه كان بصحبته يوما فمرا بسوق السكاجين هكذا والصواب الشكازين فقال له يا ولدي كنت احضر درس الشيخ ابن عرفة بالمدرسة التوفيقية واقصدها من هذه الطريق وكنت اكثر السهر بالليل (اي في المطالعه والنظر) فإذا مررت بأهل السوق وهم لايزالون نائمين تمنيت ان انام ساعة مثلهم. واخذ المترجم عن الشريف الصقلي الطب وكان والده كلما احس منه فتورا في الطلب انشده قول الشاعر

اذا احرج الدهر حبرا نجيبا * فكن في ابنه فاسد الاعتقاد

فلست ترى من نجيب نجيبا * وهل تلد النار غير الرماد

يقصد رحمه الله بهذا ان يذكي نار عزيمته ، ويشحذ غرار همته ، فيحتذي اسلوب آبائه ويتشد بنائهم ببنائه ، حتى لايكون نصيبه من المجد : اسلافي قدس الله اسرارهم ، وجعل الفردوس دارهم وهو يفرق ما جمعوا ، ويجتاح ما زرعوا .

ولنا ان صاحب الترجمة اخذ عن جماعة من شيوخ عصره وكان لابيه من العناية به وله حظ من العناية بالعلم ما تمثل لك فيما سلف فكان هذان الامران من اركان نبوغه ، وتفوقه على معظم اقرانه معما اوتي من قوة الفكر كما يشهد بهذا ما ترك في الناس من نفائس التآليف التي يعز أن ينسج على منوالها ناسج وصرح به غير واحد ممن كتب في ترجمته حتى قال في شأنه صاحب نيل الابتهاج :

الفقيه العالم الامام العلامة المحقق النظار الحجة الامام المطلق الجليل... نخبة الازمان وفريد الوقت ممن قل سماح الزمان بمثله علما وجلالة. . . كان رحمه الله من اكابر علماء تونس ومحققيها وحفاظهم الاجلاء اهـ باختصار

وقد اخذ عنه جماعة من مشهوري اهل العلم كولده القاضي الشيخ محمد والشيخ ابراهيم الاخضري والشيخ حلولو وغيرهم ودرس الاصلين والفقه والمنطق والبلاغة وغيرها وتقلب في خطط علميه كثيرة فولي قضاء الانكحة والتدريس بالعنقية بعد موت ابيه سنة ٨٣٩ وولي الخطابة بجامع التوفيق والفتيا به بعد ارتقاء ابي القاسم القسنطيني الى الامامة والخطابة بجامع الزيتونة ثم رقي بعد وفاته الى قضاء الجماعة والامامة والخطبة والفتيا بالجامع وكان من مشهوري فقهاء عصره . وفي المازونية والمعيار النقل عنه في غير موضع .

ولما كانت سنة ٨٤٧ ظهر الوباء بتونس ونواحيها فاصيب به صاحب الترجمة فيمن اصيب وطال به المرض الى ان توفي ليلة الاربعاء (٢٤) من شهر رمضان وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر . ودفن بالزلاج

(يتبع)

عـدد ١

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

(تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة)

الجزء الاول | ربيع الانور ـ جانفي ـ ١٣٦٦ ـ ١٩٤٧ | المجلد السابع

المدير
محمد الشاذلي بن القاضي

رئيس قلم التحرير
محمد المختار بن محمود

المراسلات ترسل باسم
مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة
نهج بن محمود رقم ٦ ـ تونس
تليفون : ٩٢٢٤

حساب مستمر بادارة البريد شارع باب سويقة رقم ٢٤٢٢

ثمن العدد فرنكات ٢٠

٢٢ * ٦

فهرس العدد

الصحيفة	المقال	صاحبه
٦٢٦	فاتحة العدد	محمد الشاذلي بن القـاضي
٨٢٦	تفسير ءايات من سورة البقرة	للاستاذ الامام المولى محمد الطاهر ابن عاشور
٦٣٢	الحديث الشريف	
٦٣٦	الحديث الشريف	للمنعم الشيخ محمد ابن القاضي
٦٤٠	فتوى رد الفعل	للمقدس المبرور الشيـخ احمد كريم شيخ الاسلام كان بالديار التونسية
٦٤١	السنن الكونية	محمد الشاذلي ابن القاضي
٦٤٤	السفور والحجاب	للعلامة الشيخ محمد القروي قاضي سوسة
٦٤٩	من لم يهتم بامر المسلمين (حديث)	للامام المحقق المولى
٦٤٩		محمد الطاهر ابن عاشور
٦٥٢	المكتبة الصادقية	محمد المقداد الورتتاني
٦٥٣	يوم العروبة ... ـ قصيد	الشيـخ محمد بوشربية



المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الاول | ربيع الانور جانفي ١٣٦٦ ـ ١٩٤٧م | المجلد السابع

المدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

الادارة :

نهج ابن محمود رقم ٦ تونس

تليفون ٦٤ـ٩٢

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة محل الادارة

ثمن العدد

فرنكات ٢٠



حساب مستمر بادارة البريد شارع باب سويقة رقم ٢٤٢٢

فـــاتحة العـــدد

الحمد لله الذي هيأ لنا اسباب السعادة والنجاح واكرمنا بولوج مناهج الرشاد والفلاح وانار بصائرنا بنور العرفان . وتدبنا للدعوة الى الحق بين الاخوان . ونصلي ونسلم على رسول الرحمة والسلام . وناشر الوية العدل بين الانام . وعلى آله الكرام وصحابته الاعلام .

اما بعد فالمجلة الزيتونية تستفتح بهذا العدد الجزء الأول من مجلدها السابع في غبطة وجد مجدة في سيرها شاقة طريقا من طرق الاصلاح التي ما فتئت منذ نشأتها تخطها وتتابع العمل الصالح في تعبيدها وتيسير السبيل للسالكين وتاخذ بيد القاعدين وفي كل مرحلة تجتازها يتعزز جانبها باولي العزيمة الصادقة وذوي الغيرة والاصلاح ، العاملين على النهوض بالامة والسلوك بها في ميادين العز والسؤدد فلا جرم انا والينا السعي وبذل الجهود على مواصلة العمل ما دام الاخلاص رائدنا وتعميم النفع لابناء وطننا مقصدنا والدعوة الى الاصلاح طريقتنا ومبدانا الذي رسمناه لنفوسنا من يوم نشاتها الاولى وكان علينا ان تكون خطانا اوسع ومناهجنا احكم . ولكن شاءت الاقدار ان نجابه اعاصير تلقيناها بصبر واناة من غير ان تخور قوانا فنفشل او تتحكم فينا المادة فتصدنا عن متابعة المسير فاستعنا بالله وقطعنا ست مراحل معتمدين فيها على توفيق الله ونصرته فوفقنا سبحانه الى منهج السداد واعاننا على مواصلة السير برفق واناة فله الحمد في الاخرة والاولى وليس لسواه فضل على هذه المثابرة واذا اراد تعالى الخير للامة هيأ لها اسبابه ووفق المتمسكين به لولوج بابه جعلنا الله من الهادين المهتدين الموفقين لاعلاء كلمة الحق والدين الباذلين النصيحة لجماعة المسلمين الرافعين مجد الاسلام بين العالمين

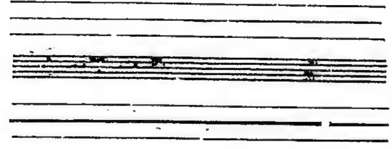
***

« حذفته الرقـابة »

« حذفته الرقابة »

[البقية على صفحة ٧]

القرآن الكريم



بسم الله الرحمن الرحيم

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

بقلم الحجة الامام المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

قال في الكشاف من عادته عز وجل في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة اه وجعل في الكشاف قوله وبشر معطوفا على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين يعني من مقدماته الى غايته وهو الذي فصل في قوله تعالى وان كنتم في ريب الى قوله اعدت للكافرين فعطف مجموع جمل دالة على ثواب المؤمنين على مجموع جمل تدل على عقاب الكافرين والمناسبة واضحة كمال الوضوح فهي مسوغة لعطف المجموع على المجموع وليس عطف جملة معينة على جملة معينة حتى يتطلب التناسب بين المعطوفة والمعطوف عليها في الخبرية والانشائية والسيد يسمي هذا النوع بعطف القصة على القصة لان المعطوف ليس جملة على جملة اخرى .

وجوز صاحب الكشاف ان يكون قوله وبشر معطوفا على قوله فاتقوا الذي هو جواب الشرط فيكون له حكم الجواب ايضا وذلك لان الشرط وهو فان لم تفعلوا سبب لهما لانهم اذا عجزوا عن المعارضة فقد ظهر صدق النبيء فحق اتقاء النار وهو الانذار لمن دام على كفره وحقت البشارة

لذين ءامنوا . وانما كان المعطوف على الجواب مخالفا له لان الآية سيقت مساق خطاب الكافرين على لسان النبيء صلى الله عليه وسلم فاما اريد ترتب الانذار لهم والبشارة للمؤمنين جعل الجواب خطابا لهم مباشرة لانهم المبتدأ بخطابهم وخطابا للنبيء ليخاطب المؤمنين اذ ليس للمؤمنين ذكر في هذا الخطاب فلم يكن طريق لخطابهم إلّا الارسال اليهم.

والبشارة الخبر بالامر المحبوب فهي اخص من الخبر وقيدها بعض العلماء بان يكون المخبر (بالفتح) غير عالم الخبر. والحق انه يكفي عدم تحقق المخبر (بالكسر) ان المخبر (بالفتح) عالم بذلك الخبر لا يلزمه البحث عن علم المخاطب فاذا تحقق علم المخاطب لم يصح الاخبار إلّا اذا استعمل الخبر في لازم الفائدة او في توبيخ ونحوه .

والصالحات جمع صالحة وهي الفعلة الحسنة واصلها صفة جرت مجرى الاسماء لانهم يقولون صالحة وحسنة ولا يقدرون موصوفا محذوفا وكان ذلك وجه تانيثها للنقل من الوصفية لى الاسمية والتعريف هنا الاستغراق وهو استغراق عرفي يحدد مقداره بالتكليف والاستطاعة والادلة الشرعية مثل كون اجتناب الكبائر يغفر الصغائر فيجعلها كالعدم فن التكاليف منوطة بالاوسع .

والجنات جمع جنة والجنة في الاصل فعلة من جنه اذا ستره تناوله للمكان الذي تكاثرت اشجاره والتف بعضها ببعض حتى كثر ظلها وذلك من وسائل التنعم والترفه عند البشر قاطبة لاسيما في بلد يغلب عليه الحرارة كبلاد العرب قال تعالى وجنات الفافا . والانهار جمع نهر بفتح الهاء وسكونها والفتح افصح والنهر الاخدود الجاري فيه الماء على الارض وهو مشتق من مادة نهر الدالة على الانشقاق والاتساع

واكمل محاسن الجنات جريان المياه في خلالها وذلك شيء اجتمع البشر كلهم على انه من انفس المناظر لان في الماء طبيعة الحياة ولان الناظر يرى منظرا بديعا وشيئا لذيذا واودع في النفوس حب ذلك لانه على صورة ما اعد الله في جنته فاما ان الله تعالى اعد نعيم الصالحين في الجنة على نحو ما الفته ارواحهم في هذا العالم فان للالف تمكنا من النفوس والارواح بمرورها على هذا العالم عالم المادة اكتسبت معارف ومالوفات لم تزل تحن اليها وتعدها غاية لمنى ولذا اعد الله لها النعيم الدائم في تلك الصور . واما ان الله تعالى حبب الى الارواح هاته الاشياء في الدنيا لانها على نحو ما الفته في العوالم العليا قبل نزولها للابدان. والوجه الاول الذي خطر لي اراه اقوى في حكمة جعل لذات الجنة على صورة اللذات المعروفة في الدنيا وسينفعنا ذلك عند قوله تعالى « واتوا به متشابها » والله اعلم . وقد اورد صاحب الكشاف توجيها لتعريف الانهار ومخالفتها لتنكير جنات . بأن يراد من التعريف العهد إلّا انه عهد تقديري لان الجنات لما ذكرت استحضر ذهن السامع لوازمها ومقارناتها فساغ للمتكلم ان يشير الى ذلك العهد فجيء باللام يريد ان المتكلم في مثل هذا المقام في خيرة بين ان ياتي بالانهار معرفة بالاضافة

للجنات وبين ان يعرفها بال العهدية عهدا تقديريا واختير الثاني تفاديا من كلفة الاضافة وتنبيها على ان الانهار نعمة مستقلة جديرة بان لا يكون التنعم بها تبعا للتنعم بالجنات – وعندي ان الداعي للتعريف هو التفنن لئلا يعاد التنكير مرة ثنية فخولف بينهما في اللفظ اقتناعا بصورة التعريف

« كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »

جملة كلما رزقوا منها يجوز ان تكون صفة ثنية لجنات ويجوز ان تكون خبرا عن مبتدإ محذوف هو ضمير الذين ءامنوا فتكون جملة ابتدائية الغرض منها بيان شان ءاخر من شؤون الذين ءامنوا ولكمال الاتصال بينهما وبين جملة ان لهم جنات فصلت عنها كما فصلت الاخبار المتعددة – وكلما ظرف زمان لان كل اضيفت الى ما الظرفية المصدرية فصارت لاستغراق الازمان المقيدة بصلة ما المصدرية وقد اشربت معنى الشرط لذلك فان الشرط ليس إلّا تعليقا على الازمان المقيدة بمدلول فعل الشرط ولذلك خرجت كثير من كلمات العموم الى معنى الشرط عند اقترانها بما الظرفية نحو كيفما وحيثما واذ ما وانما . ومهما والناصب لكلما الجواب لان الشرطية طارئة عليهما طريانا غير مطرد بخلاف مهما واخواتها ، واذا كانت كلما نصا في عموم الازمان تعين ان قوله من قبل المبني على الضم هو على تقدير مضاف ظاهر التقدير اي من قبل هذه المرة فيقتضي ان ذلك ديدن صفات ثمراتهم ان تاتيهم في صور ما قدم اليهم في المرة السابقة وهذا اما ان يكون حكاية لصفة ثمار الجنة وليس فيه قصد امتنان خاص ويحتمل ان في ذلك تعجيبا لهم والشيء العجيب لذيذ الوقوع عند النفوس لذلك يرغب الناس في مشاهدة العجائب والنوادر وهذا الاحتمال هو الاظهر من السابق

ومن المفسرين من حمل قوله (من قبل) على تقدير من قبل دخول الجنة اي هذا الذي رزقناه في الدنيا ووجهه في الكشاف بأن الانسان بالمالوف ءانس – وهو بعيد لاقتضائه ان يكون عموم كلما مرادا به خصوص الاتيان به في المرة الاولى في الجنة ولانه يقتضي اختلاف الطعم واختلاف الاشكال وهذا اضعف في التعجيب ولان من اهل الجنة من لا يعرف جميع اصناف الثمار فيقتضي تحديد الاصناف بالنسبة اليه مع ان قوله (واتوا به متشابها) ظاهر في ان التشابه بين المأتي به لا بينه وبين ثمار الدنيا

ثم من الله عليهم بنعمة النساء من الانس بهن – ونزه النساء عن عوارض نساء الدنيا مما تشمئز منه النفس لولا النسيان فجمع لهم سبحانه اللذات على نحو ما الفوه فكانت نعمة على نعمة والازواج جمع زوج يقال للذكر والانثى لانه يجعل الاخر بعد ان كان منفردا زوجا وقد يقال للانثى زوجة بالتاء وورد ذلك

في حديث عمار بن ياسر في البخاري « اني لاعلم انها زوجته في الدنيا والاخرة » يعني عائشة وقال الفرزدق :

وان الذي يسعى ليفسد زوجتي * كساع الى اسد الشرى يستبيلها

وقوله (وهم فيها خالدون) احتراس لان جميع اللذات في الدنيا معرضة للزوال وذلك ينغصها عند المنعم عليه كما قال ابو الطيب :

اشد الغم عندي في سرور * تحقق عنه صاحبه انتقالا

وقوله (مطهرة) هو بزنة الافراد وكان الظاهر ان يقال مطهرات كما قرىء بذلك ولكن العرب تعدل عن الجمع مع التأنيث لثقلهما لان التانيث خلاف المالوف والجمع كذلك فاذا اجتمعا تفادوا من الجمع بالافراد – وهو كثير شايع .

[تتمة المقال الافتتاحي]

« حذفته الرقابة »

محمد الشاذلي بن القاضي

الحديث الشريف

شعب الايمـــان

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الايمان بضع وستون شعبة او بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا إلاه إلّا الله و ادناها اماطة الاذى عن الطريق و الحياء شعبة من الايمان

(رواه الشيخـان و اللفظ لمسلم)

﴿ البيـــان ﴾

هذا الحديث اخرجه البخاري في كتاب الايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه ولفظه الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان فقد جزم بالستين من غير ترديد بينهمـــا وبين السبعين واخرجه مسلم ايضا ورواية مسلم كما رأيت على الترديد بين الستين والسبعين والشك من الراوي غير ابي هريرة فالراوي شك هل قال النبي (صلعم) بضع وستون او قال بضع وسبعون شعبة .

وقد اختلف العلماء هل الافضل الاخذ برواية الستين او الافضل الاخذ برواية السبعين ؟

فقال بعضهم الارجح الاخذ برواية الستين لانها متفق عليها وقد رواها البخـــاري على سبيل الجزم فهذا القدر هو المقطوع به عن النبي (صلعم) ورجح جماعة منهم القاضي عياض والنووي الاخذ برواية السبعين لانهـــا زيادة من ثقة فتقبل وليس في رواية الاقل ما يضعفها واننا بذلك نجمع بين الروايتين لان الستين مندرجة في السبعين فبالاخذ برواية السبعين نكون قد اخذنا بالروايتين جميعا على سبيل الاحتياط.

وايا ما كان فالذي عليه المحققون من العلماء ان المراد بهذا العدد الكثير لا التحـــديد فليس مراد صاحب الشرع حصر انواع الطاعات واغصان شجرة الايمان في البضع والستين او السبعين كما يفيده ظاهر اللفظ وانما المراد بيان ان شعب الايمـــان وخصاله كثيرة بحيث قد تبلغ الى هذا العدد الذي يعبر به عن الكثرة .

وقد اخذ بعض العلماء بظاهر اللفظ واجتهد في تحصيل ابواب الايمان وجمع شعبه ويتتبع الخصال التي عدها النبي (صلعم) من الايمان في مختلف الاحاديث وما جاء في الكتاب العزيز مما جعله الله تعالى ايمانا او من صفات المؤمنين اصولا وفروعا فاذا جملة ما جاء في الكتاب والسنة من ذلك بعد حـــذف

المكرر يبلغ سبعا وسبعين شعبة واذن يكون المراد بالبعض في الحديث بعض ما صدقاته وهو السبع وان الايمان سبع وسبعون شعبة وهو تحقيق حسن ترتاح اليه النفس ومن هؤلاء الحافظ ابن حبان والحافظ ابو بكر البيهقي فقد صنف فيها كتابا اسماه شعب الايمان

والذي شفى الغليل واروى الغليل في هذا المقام العلامة العيني في العمدة فقال في تفصيلها رضي الله عنه ما يتلخص فيما ياتي : اعلم ان الايمان الكامل التام هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح فهذه ثلاثة اقسام الاول يرجع الى الاعتقادات واعمال القلب وهي تتشعب الى ثلاثين شعبة الاولى الايمان بالله تعالى وهو اصلها واساسها ولهذا جاء في حديث مسلم افضلها قول لا اله إلّا الله والمراد القول المقارن للتصديق لا محالة ويدخل في الايمان بالله الايمان بذاته وصفاته وانه ليس كمثله شيء . الثانية اعتقاد حدوث ما سوى الله تعالى . الثالثة الايمان بملائكته . الرابعة الايمان بكتبه . الخامسة الايمان برسله . السادسة الايمان بالقدر خيره وشره . السابعة الايمان باليوم الاخر ويدخل فيه سؤال القبر وعذابه والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط . الثامنة الوثوق بالجنة وانها دار الخلود للمؤمنين . التاسعة اليقين بوعيد النار وعذابها وانها لا تفنى . العاشرة محبة الله تعالى . الحادية عشر الحب في الله والبغض في الله ويدخل فيه حب الصحابة وحب آل النبيء صلى الله عليه وسلم . الثانية عشر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته . الثالثة عشر الاخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق . الرابعة عشر التوبة والندم . الخامسة عشر الخوف السادسة عشر الرجاء . السابعة عشر ترك الياس والقنوط . الثامنة عشر الشكر . التاسعة عشر الوفاء العشرون الصبر . الحادية والعشرون التواضع الثانية والعشرون الرضاء بالقضاء الثالثة والعشرون الرحمة والشفقة الرابعة والعشرون التوكل الخامسة والعشرون ترك العجب والزهو ويدخل فيه ترك مدح نفسه وتزكيتها السادسة والعشرون ترك الحقد والضغن الثامنة والعشرون ترك الغضب التاسعة والعشرون ترك الغش ويدخل فيه الظن السوء والمكر الثلاثون ترك حب الدنيا ويدخل فيه حب المال وحب الجاه .

فاذا وجدت شيئا من اعمال القلب من الفضائل والرذائل خارجا عما ذكر بحسب الظاهر فانه في الحقيقة داخل في فصل من الفصول السابقة يظهر ذلك عند التأمل

والقسم الثاني يرجع الى اعمال اللسان وهي تتشعب الى سبع شعب الاولى التلفظ بكلمة التوحيد الثانية تلاوة القرآن الثالثة تعلم العلم الخامسة الدعاء السادسة الذكر ويدخل فيه الاستغفار السابعة اجتناب اللغو

والقسم الثالث يرجع الى اعمال البدن وهي تتشعب الى اربعين شعبة الاولى النظر ويدخل فيه طهارة البدن والثوب والمكان ويدخل في طهارة البدن الوضوء من الحدث والاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس الثانية اقامة الصلاة ويدخل فيه الفرض والنفل الثالثة الصدقة ويدخل فيها اداء الزكاة المفروضة وصدقة الفطر. واطعام الطعام واكرام الضيف الرابعة الصوم فرضا ونفلا الخامسة الحج ويدخل فيه العمرة السادسة الاعتكاف ومنه التماس ليلة القدر السابعة الفرار بالدين ومنه الهجرة من دار الشرك الثامنة الوفاء بالنذر التاسعة التحري في الايمان العاشرة اداء الكفارة الحادية عشر ستر العورة في الصلاة وخارجها الثانية عشر ذبح الضحايا الثالثة عشر القيام بامر الجنائز الرابعة عشر اداء الدين الخامسة عشر الصدق في المعاملات ومنه الاحتراز عن الربا السادسة عشر اداء الشهادة بالحق وترك كتمانها السابعة عشر التعفف بالنكاح الثامنة عشر القيام بحقوق العيال ويدخل فيه الرفق بالخدم التاسعة عشر بر الوالدين ومنه الاجتناب عن العقوق العشرون تربية الاولاد تربية صالحة الواحدة والعشرون صلة الرحم الثانية والعشرون طاعة الموالي الثالثة والعشرون القيام بالامارة مع العدل الرابعة والعشرون متابعة الجماعة الخامسة والعشرون طاعة اولي الامر السادسة والعشرون الاصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة السابعة وللعشرون المعاونة على البر الثامنة والعشرون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التاسعة والعشرون اقامة الحدود الثلاثون الجهاد في سبيل الله ويدخل فيه المرابطة الواحدة والثلاثون اداء الامانة ويدخل فيه اداء الخمس الثانية والثلاثون القرض مع الوفاء به الثالثة والثلاثون اكرام الجار الرابعة والثلاثون حسن المعاملة ويدخل فيه جمع المال من حله الخامسة والثلاثون انفاق المال في حقه ويدخل فيه ترك التبذير والاسراف السادسة والثلاثون رد السلام السابعة والثلاثون تشميت العاطس الثامنة والثلاثون كف الضرر عن الناس التاسعة والثلاثون اجتناب اللهو الاربعون اماطة الاذى عن الطريق فهذه سبعة وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله إلّا الله وادناها اماطة الاذى عن طريق الناس والحياء شعبة منها .

فكانه صلى الله عليه وسلم شبه الايمان بشجرة نبتت في ارض طيبة وتفرع منها فروع واغصان فكلمة التوحيد هي افضل الشعب واصلها متى حلت في القلب اوحت الى الاعضاء بالطاعات فابتدات بالاركان كالصلاة والزكاة والصوم والحج ثم اخذت في تحصيل النوافل والسنن والمندوبات بالمقدار الذي تطيقه وهكذا بادئه بالاهم قبل المهم حتى تؤتي اكلها وتحقق معنى المؤمن الكامل الذي وصل الى مقام الاحسان فهي كالشجرة ذات الشعب المتفاوتة بعضها افضل من بعض فافضلها لا اله إلّا الله محمد رسول الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق اي ازالة ما عساه يؤذي الناس في طريقهم من نحو شوك

وحجر فهذا اول غصن من شجرة الايمان اليانعة وبين الشعبتين العليا والدنيا مراتب متفاوتة كتفاوت الفروع والاغصان في الشجرة ومن هنا اختلف الناس كاختلاف الشجر ومن هنا ايضا تفاوتت مراتب الايمان ايضا كمالا ونقصانا بقدر كمال الشعب ونقصانها فمن كمل فقد جمع الشعب كلها بل هذا هو الاكمل ثم يليه الكاملون بحسب ما عندهم من طاعة وما جمعوا من اوصاف المؤمنين ثم ذكر صلى الله عليه وسلم شعبة وسطى من شعب الايمان فقال والحياء شعبة من الايمان

وهنا تتجلى حكمة تخصيص الحياء بالذكر فانه شعبة وسطى وهو مع ذلك بمنزلة الميزان للطاعات والايمان لانه خير كله ولا ياتي إلّا بخير كما قال صلى الله عليه وسلم الحياء لا ياتي إلّا بخير وقد اختلفت عبارات الحكماء وعلماء النفس في تحديد معنى الحياء الممدوح ومما قيل في تعريفه انه انكماش يعرض للانسان عند ظهور ما يعاب عليه او يذم وهذا الانكماش يمنعه طبعا من فعل هذا الشيء الذي يعرضه للعيب والذم وعن الزمخشري الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تغير ما يعاب به ويذم وبالجملة فان الحياء خلق في النفس يبعثها على ترك القبيح وفعل الحسن وهو ممدوح لا محالة واما الانكماش عن اظهار الحق خوفا من بطش المبطلين المتبسين به فليس حياء بل هو جبن ونذالة وهو مذموم باعتبار ما يترتب عليه من ضياع الحق وهو من اخص صفات الانسانية حتى قيل من حرم الحياء فقد حرم اخص الخصائص الانسانية وكان اشبه شيء بالحيوان الاعجم

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

لذلك ترى الشر في افظع مظاهره لا يرتسم إلّا على الوجوه التي قل فيها ماء الحياء فخلت من كل معنى انساني وراحت تمعن في الشر ولا تبالي بالعاقبة قال الشاعر

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه اذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وانما يدل على فعل الكريم حياؤه

ومن حفظه الله تعالى بالحياء فقد صانه من كل سوء فعقد لسانه عن اللغو وجوارحه عن الشهوات لانه اذا حدثته نفسه بقبيح راى ان الله مطلع عليه فاستحيا من الله وانكمش عن كل شر وهذا اعلى مراتب الحياء وهو الحياء من الله تعالى روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا نبي الله انا لنستحيي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الراس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء

ومن الحكم الخالدة التي تتابعت عليها كلمات الانبياء واتفقت عليها الشرائع ـ اذا لم تستح فاصنع

الحديث الشريف بقية ما نشر بالعدد الماضي

حدثني ابو التياح عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

(٣) الشرح بقلم المنعم الشيخ محمد بن القاضي

الرجاء اعلى من الخوف

قال حجة الاسلام الغزالي في احياء علوم الدين العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله سبحانه وتعلى احبهم له والحب يغلب ويقوى بالرجاء وهو احد الجناحين الذين يطير بهما المقربون الى كل مقام محمود واحد مقامات السالكين واحوال الطالبين وقد رجا صلى الله عليه وسلم كثيرا فمن ذلك ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال له صلى الله عليه وسلم هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة

وجه ضدية التنفير للتبشير

فان قلت المناسب بحسب الظاهر ان يؤتى في حديث الباب بدل ولا تنفروا ولا تنذروا لانه هو الضد للتبشير قلت السر في ذلك التصريح بالمقصود وذلك لان الانذار ليس المقصود منه ذاته بل المقصود منه التنفير فصرح صلى الله عليه وسلم بما هو المقصود وهو المطلوب

ما شئت - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت ومن كلام الحكماء . من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه ومن كلام البلغاء حياة المرء حياؤه كما ان حياة الغرس بمائه ومن كلام الادباء من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من البكر في خدرها

وبالجملة متى كمل حياء المرء كمل ايمانه وكملت فيه اسباب الخير وكان في ميدان الرجولة والفضل سباقا اكمل الله لنا شعب الايمان ورزقنا الحياء

الاشكال على ان الشارع لا يقصد المشقة

وبما قررناه يعلم ان الشارع لا يقصد في التكليف بما كلف به عباده المشقة على المكلفين وانه يقصد الاعتدال في الطاعة من غير ميلان الى طرفي الافراط والتفريط وهو معنى ارادة التيسير ودفع التعسير وذلك بسبب ان الذي كلف به لا مشقة فيه ولا عنت يحاذيه وربما يقال ان هذا مشكل وذلك لان كون المكلف به لا مشقة فيه مناف لما تقرر في الاصول من ان التكليف هو الزام ما فيه كلفة او طلب ما فيه كلفة والكلفة تشعر بالمشقة على ما هو المعنى اللغوي لها ولا خفاء في ان التكليف فيه الزام النفس شيئا ليس بمعتاد لها قبل التكليف وهو معنى المشقة فكيف يصح القول بان المكلف به لا مشقة فيه ولا عنت يحاذيه

الجواب عن الاشكال

الجواب ما قرره ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات حيث قال ان المكلف به من حيث هو على ثلاثة انواع

النوع ١ ـ ان يكون غير مقدور للمكلف اصلا وهو تكليف ما لا يطاق الموقع للمكلف في العناء والتعب وهذا مرفوع على المكلف قطعا ومسئلته بادلتها مقررة في الاصول

النوع ٢ ـ ان يكون مقدورا للمكلف إلّا انه خارج عن المعتاد في الاعمال العادية المستمرة بين الخلق بحيث ان ارتكابه يشوش على النفس في تصريفها ويوقعها في القلق في القيام بما فيه تلك المشقة سواء كان يحصل بمرة واحدة وهذا هو الموضع الذي وضع الشارع سبحانه وتعالى له الرخص المقررة في الشريعة كالصوم في السفر والحضر واتمام الصلاة في السفر او كان لا يحصل بمرة ولكن يحصل بالدوام على العمل حتى يصير شاقا وتلحق المشقة العامل به وهذا يوجد في النوافل خاصة اذا تحمل الانسان منها فوق ما يتحمله على وجه يتعبه حتى يحصل للنفس بسببه ما يحصل لها بالعمل مرة واحدة في القسم الذي قبله وهذا هو الموضع الذي شرع فيه الشارع سبحانه وتعالى الرفق والاخذ من العمل بما لا يحصل مللا حسبما نبه عليه نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم والتكلف في الاعمال فقال عليه الصلاة والسلام خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وهذا النوع بفرديه مرفوع عن المكلف ايضا بدليل تشريع الرخص والرفق وبدليل قوله سبحانه وتعالى وماجعل عليكم في الدين من حرج

النوع ٣ ـ ان يكون مقدورا للمكلف وليس فيه من التاثير في تعب النفس خروج عن المعتاد بين الخلق في العاديات وهذا هو الموضع الذي وضعت عليه الشريعة المطهرة وهو من حيث ذاته لا مشقة فيه

ولا عنت يحاذيه بل هو فعل كسائر الافعال التي اعتادها المكلف قبل التكليف كالاكل والشرب والمشي والقيام وغير ذلك نعم هو بالنسبة لكونه زائدا على ما عادته الانفس قبل التكليف شاق عليها ولذا اطلق عليه اسم التكليف لانه امر يشعر بالمشقة لان فيه دخولا في اعمال زائدة على ما اقتضته الحياة الدنيا في مجاري العادات فاطلاق اسم التكليف عليه نظرا الى هذا الامر العارض الزائد على مقتضى الحياة الدنيا والشارع قاصد الى التكليف بهذا الامر الذي فيه المشقة العارضة الزائدة على مقتضى الحياة الدنيا وليست فيه مشقة بالنسبة الى العادة المستمرة ولا يسمى بها في العادة المستمرة طلب المعاش والتحرف بالحرف وسائر الصنائع لانه ممكن معتاد لا يقطع ما فيه من الكلفة عن العمل في الامر الغالب المعتاد بل ارباب العقول واصحاب العادات يعدون المقطع عن الحرف ونحوها كسلان ويذمونه بذلك فكذلك المعتاد في التكاليف لانها اعمال متوسطة معتدلة لا عنت فيها ولا عناء بوجه البتة

الشارع قاصد باصل التكليف اخراج المكلف الخ

وكما ان الشارع قاصد للتكليف بهذا النوع كذلك قاصد باصل التكليف اخراج المكلف عن داعية هواه ولم يعتبر تلك المشقة التي تحصل للمكلف في ذلك لانها مشقة غير معتبرة اصلا في نظر الشارع لانها في نفسها ليست بمشقة موجبة للتعب والعنت وانما هي مجرد اتباع الهوى فصح بهذا ما تقرر من ان الشارع كما لم يعتبر مشقة اتباع الهوى لم يعتبر مشقة المكلف به الناشئة من كون المكلف به ليس معتادا للمكلف قبل التكليف وثبت ان المكلف به لا مشقة فيه من حيث هو بالنظر الى معتاد الافعال

وجه الجمع في ما يقتضي طلب ما فيه مشقة وعكسه

فان قلت مقتضى ما تقرر ان الشارع لا يقصد المشقة في التكليف وهذا يعضده قوله سبحانه وتعلى يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا وقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وما خير صلى الله عليه وسلم بين اثنين إلّا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وما ورد من النهي عن التشديد والتعمق في الاعمال المروي في الصحيح ولكن يشكل عليه ما في الصحيح وحديث جابر رضي الله عنه قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا الى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا الى قرب المسجد قالوا نعم يارسول الله قد اردنا ذلك فقال لهم صلى الله عليه وسلم بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم فامروا بالصعب ووعدوا بالاجر وروى ابن المبارك ان ابا موسى الاشعري رضي الله عنه كان يتتبع اليوم الشديد الحر فيصومه وغير ذلك مما يدل على ان قصد المكلف الى التشديد على نفسه في العبادة وسائر التكاليف صحيح مثاب عليه فكيف الجمع

الجواب

الجواب انه لا دليل فيما ذكر وغيره مما يجري مجراه على صحة قصد المشقة بل القصد في كل من الحديث والاثر وغيرهما الى الدخول في عمل يعظم اجره بسبب المشقة فليس المقصود التشديد على النفس وانما المقصود الدخول في عبادة عظم اجرها لعظم مشقتها فالمشقة تابعة لا متبوعة

فهم امام دار الهجرة

على ان الحديث قد فهم منه امام دار الهجرة رضي الله عنه ان ذلك ليس من جهة ادخال المشقة بل من جهة فضيلة المحل الذي ارادوا الانتقال عنه وهو العقيق وكان نزل به رضي الله عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويأتيه

ارادة الشارع التيسير

وبالجملة فنهي الشارع عن التشديد وارادته التيسير شهير في الشريعة بحيث صار اصلا قطعيا فيها ومن اعظم الادلة عليه ما وعد به من الاجر الجزيل على العمل القليل فمن ذلك ما روى الترمذي وابن ماجه عنه صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة ومنه ما رواه المصنف رحمه الله تعالى من قوله عليه الصلاة والسلام كلمتان حبيبتان الى الرحمان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ختم عام ١٣٣٦



الفتاوى والأحكام

مسألة رد الفعل

من تحرير العالم الامام المقدس الشيخ احمد
كريم شيخ الاسلام كان بالديار التونسية

*****

مسألة رد الفعل المعبر عنها بالتسفيه في هذا القطر هي رد البكر البالغة عقد النكاح اذا عقده الولي من غير اذنها ابا او غيره ولا رضاها بذلك . هل يتوقف فسخه على القضاء ام لا ؟

اقول : مقتضى نصوص كتبنا ان ذلك العقد يبطل بالرد وعليه فلا يتوقف على القضاء : ففي المختار : ولو استأذنها في معين فردت ثم زوجها منه فسكتت صح في الاصح بخلاف ما لو بلغها فردت ثم قالت رضيت لم يجز لبطلانه بالرد . انتهى اقول وقد صرح في الفصل الخامس والعشرين من جامع الفصولين بان رد الفعل لا يحتاج الى القضاء وان النكاح يبطل بمجرد الرد قال نقلا عن قاضي خان لو اختار احدهما الفرقة ورد النكاح بخيار البلوغ لم يكن ردا ولا يبطل به العقد ما لم يحكم به القاضي فيتوارثان قبل الحكم بخلاف النكاح بعد البلوغ فانه يبطل برده اه .

فان قلت فما بال العمل جرى بيننا معشر الحنفية على عدم الاذن لها بالتزوج حتى يقضى بالفسخ عند الاب المذكور او يطلق الزوج ؟

قلت ذلك من باب الاحتياط في الفروج لمراعاة مذهب المخالف حتى يكون العقد منحلا في المذهبين اذ حكم الحاكم يرفع الخلاف وحينئذ تصير حلالا للازواج باتفاق المذهبين من حيث ان المذهب المالكي يرى ان الاب مجبر مطلقا ولو بعد البلوغ ولا يصح العقد بدون الولي وعليه فالعقد ماض ولو ردته البنت البالغة .

وعليه جرى العمل في شهود هذا القطر ان لا يكتبوا اشهاد البنت البالغة برد فعل ابيها إلّا بالاذن من احد المشائخ الحنفية من اهل المجلس الشرعي وان لا يؤذن لها في العقد على من رضيته زوجا حتى يقضى بفسخ ذلك العقد او يطلقها الزوج بقوله ان كانت لي زوجة فهي طالق خروجا من الخلاف الى الوفاق

ولكن نشأ عن ذلك مع اجراء مسالة المطلوبيه وان المطلوب يذهب الى اي المذهبين شاء ما لم يقع الترافع على احد المذهبين مفسدة عظيمة وهي ان المرأة لا تقدر ان تطالب ذلك الزوج بالرد خشية ان تتمسك بمذهب من لا يراه والزوج لا يطالبها بالبناء خشية ان تتمسك بمذهب من يراه مبطلا لذلك العقد فتبقى كالمعلقة كما ان اطلاق العنان في الاذن بكتب شهادة رد الفعل مما لا ينبغي لغلبة الفساد في البنات وتحيلهن على فك العصمة بذلك ولو بعد رضاها والله الموفق والهادي الى سواء السبيل

السنن الكونية

لارتقاء الامم وانحطاطها

من المقرر عند علماء الاجتماع ان الامم كائنات حية تولد فتحي ثم يلحقها الهرم فتموت وتفنى وان لها في حياتها ادوارا تمر بها منها ادوار الرقي ومنها ادوار الانحطاط والسقوط ، ولكل منهما اسباب وسنن وهذه الادوار لها اتصال متين بالادوار التي تمر بالافراد والاعمال التي تصدر منهم وحالاتهم النفسية وصفاتهم الكسبية فهي تؤثر في حيوية المجتمع قوة وضعفا وان العلل التي تصيب الافراد لها كبير اثر في المجتمع ومنها ما يكون سببا في هلاك الامة باسرها . ومن تأمل مليا في تواريخ الامم الحاضرة والغابرة يجدها على قسمين منها ما حفظ لها التاريخ مدنية وحضارة ومنها ما كانت في سذاجة وسقوط اخلاق حتى كانت للحيوانية اقرب ، والامة المتحضرة تمتاز بصفات تؤهلها لادراك الكمال البشري ونيل السعادة الحقة فتجد وتسعى لتكوين مقومات اجتماعية تحفظ لها كيانها ويصطلح قادتها على اوضاع ويسنون لها النظم التي تؤهلها لاكتساب المعالي والسؤدد والشرف ويبحثون على استئصال الشر والفساد وكل ما هو من شأنه أن يكون حجر عثرة في سبيل تقدمها وسيرها نحو الكمال الانساني وتجد الامة في طلب الصفات التي من شأنه ان تبلغ بها المقصد الاسمى والغايات الشريفة وتفكر في كل ما يقع تحت الحس لتستفيد منه الى اقصى حدود الاستفادة وتعمل ما في وسعها ليتوفر لديها النتاج وتستغني عمن سواها ولو في الجملة وبالنسبة للضروري من اسباب العيش وتكون لنفسها حوزة ومنعة تحميها من عبث الغير بمصالحها ومقوماتها . وكل امة تأخذ باسباب الحضارة تمر عليها ادوار كل دور له اثر في تكوين مدنيتها واول هذه الادوار هو دور التفكير والشعور فيسبق دور النهوض الفكري غيره فتبدأ في الامة نهضة فكرية تسوق الامة الى تكوين اوضاع تقوم عليها حياتها العامة وتحفظ لها مصالحها وتدرأ عنها الفساد وتجمع لها كلمتها على حب الخير واتباع الحق حتى اذا تسرب هذا التفكير وخامر عقول افرادها احس الجميع بوجوب تحققه ثم يصير عقيدة راسخة وإيمانا ثابتا تتزحزح الجبال الشامخات ولا يتزحزح ثم تندفع الامة بقوة لم تكن تعهدها من قبل ويكون امرها في هذا الاندفاع كما لو حلت بها روح جديدة . تبحث الامة في تفكيرها لتتوصل الى الى اصول السعادة واسباب الحضارة ومؤهلات الرقي فتأخذ في تحصيل الاسباب لادراك شريف

الغايات ولكنها تصل مرة وتتعثر احيانا وهذا يتسبب من عدم النضوج الفكري فتقع الامة في الاخطاء التي تنجر لها من تصوراتها للاشياء على غير وجهها الصحيح فيتفق لها ان تستحسن ما هو قبيح وتستقبح ما هو حسن وفي هذه الصورة يكثر منها الخطأ وتحكم على الاشياء باحكام غير صحيحة فلا تلبث طويلا حتى تتنبه الى خطائها وما جر لها من ويلات فتحول تفكيرها الى البحث عن اوجه الصواب وهكذا يمر الطور الاول من دور التفكير وهو بين هدم وبناء واستحسان واستقباح

ويذكر علماء الاجتماع ان دور التفكير يتقضى معظمه استخلاص الصفات التي يجب ان تصطفيها الامة وتختارها لنفسها وتتخلق بها وتتحلى بكرائمها والصفات التي يجب ان تنفر منها وتحول وجهتها عنها والامة اذا تمكنت من ادراك الصفات الكاملة ووطدت نفسها على التحلي بها حتى تصبح لها احوالا وتصير لها ملكة راسخة امكن لها ان تكون لنفسها مدنية سامية بما تتحصل عليه من تأثير صفاتها الفاضلة من الفضائل وبعكس ذلك اذا حجبت عنها هذه المدركات لا يتسنى لها ان تبني لنفسها مجدا ولا تتمكن من اقامة هيكل مجتمعها على اسس الفضيلة .

فالانسان الذي كمن في نفسه خلق الاسراف والتبذير كانت افعاله وصفاته النفسية متأثرة كل التأثر بذلك وكان له هذا الخلق اكبر معين على تبديد ثروته حتى ينضب معينها ولا يلبث ان يتهدم كيان عائلته وتنحط الى الدرك الاسفل وذلك له من التاثير السيء على المجتمع الذي يعيش فيه ما لا يخفى

وكذلك الذي تمكن من نفسه الغلو في ايثار مصالحه عمن سواه تتمكن منه صفات لها اخطر اثر على المجتمع كالتهاون بمصالح الغير اذا صادمت مصالحه والتعدي على الناس في سبيل تحصيل اغراضه ، ومن توطدت نفسه على حب الانتقام تمكنت منه صفة الظلم والتعدي على حقوق الناس وسخر من دعاة العدل فمن شب على ظلم اقاربه واخصائه كيف يرتجى منه ان يعدل بين العموم اذا ولي امرا من امورهم ومن كان طبعه الخيانة كيف يظن به ان لا يخون الناس فيما يولونه من امورهم وما يجعلونه تحت تصرفه وحراسته .

فكل هذه الصفات الادبية للافراد ونظائرها لها تاثير في حياة المجتمع ولها اكبر اثر في رقي الامة وانحطاطها والمدار في هذا كله على الاحوال النفسية فهي العامل في اعداد الامم لقبول الصفات التي يقوم عليها بناء المجتمع باسره وقد اعتنى علماء الاجتماع بهذا الموضوع وبنوا نظرياتهم على استقراء احوال النفس البشرية حتى شاع عندهم اعتبار النفسية في جميع احكامهم واتخذوا من صفات الافراد الادبية دليلا على رقي الامة او انحطاطها وصار من المقرر الثابت عندهم ان معظم العلل التي تفتك بالامة ترجع في مجموعها الى تدهور الاخلاق وسقوطها ونضوب معين الفضائل واهمال شانها فكان

اهتمامهم بتربية النفس الشغل الشاغل لما علموا من عظيم الاثر الذي ينجر منها وقد يتعجب المرء من ارتباط امر الاخلاق بحضارة الامم قوة وضعفا ويتساءل عن الصلة والمؤثرات التي تفعل مفعولها في بعث الحضارة والمدنية وكيف يكون للصفات التي عليها الناس اثر فعال في مدنية الشعوب ورقيها وانحطاطها ولاستجلاء هذا الغموض وفتق اكمام الحقيقة حتى تنجلي ناصعة للعيان نقول :

ان أفعال الانسان التي يكون لها الاثر الفعال في الحياة قوامها الحالات النفسية والصفات الظاهرة والخفية التي يكون عليها الانسان وكل ما يصدر من الانسان هو داخل تحت تاثير تلكم الصفات والاحوال خذ لك مثلا اذا كان المرء خمولا كسولا لا يهمه إلّا راحة جسمه فلا تتحرك همته للاقدام على تحمل غرض من الاغراض ويفضل راحة اعضائه على تحصيل ما تتوق اليه نفسه وتصبو اليها النفوس الشريفة ومن كانت هذه نفسيته ظهرت عليها صفات كلها متولدة من هذه الحالة النفسية الكامنة فيه فتكون آثاره في الحياة مرتبطة كل الارتباط بتلك الحالات ومتأثرة بصفاته الخاصة به وتظهر اعراضها فيما ينتابه من علل اجتماعية كالبطالة وقلة ذات اليد فينجر له منهما ويلات وتتولد له منهما صعوبات في الحياة تجر لارتكاب الاخطار كتفضيل حياة العزوبية وبناء مستقبل حياته على الغير الى غير ذلك من المساوي التي تتكون وتحدث من صفاته التي ارتكزت عليها حياته الخاصة والعامة واذا كانت الامة هذه حالة افرادها فانها تبعد عن الحضارة بعدها عن الفضيلة والانسان الذي كمن في نفسه حب الشهوات التي يجد في نفسه لذتها وتمكنت منه صفة الشره تجده يغامر في تحصيل ملذاته وما يمليه عليه هواه ولا يبالي في هذا السبيل فيرتكب المناكر للتحصيل على اغراضه ولو ادى به ذلك الى الحاق الضرر بالغير اودكه شرفه فلا يقيم وزنا لفضيلة من الفضائل ويدوسها اذا وقفت تصده عن هواه

فعلم الاجتماع يقرر ان الذي يدك صرح المدنية هو الفسد يتطرق الى الاخلاق فيتسلط على النفوس ويدفعها الى التمرد والفوضى

فكل إمة تفرط في جانب الاخلاق وتستهين بها ينالها نصيب عظيم من الفساد والاخلال بقدر تفريطها وتهاونها وهذه الحقيقة المقررة يلمسها المرء ويراها عيانا كلما تامل في احوال الامم افرادا وجماعات وقاس اخلاق افرادها بالمقياس الادبي وما هي عليه من رقي او انحطاط فيجد ذلك الامر لا يتخلف بحال لشدة الارتباط بين صفات الافراد وما ينتج عنها من إعمال وما عليه الامة من اوضاع

فان شؤون الامم تجرى على سنن ثابتة لا تتغير بتغير الازمنة والامكنة وكل ما تلقاه امة من نتائج اعمال افرادها هو من تاثير صفاتهم الادبية واحوالهم النفسية وكذلك الامر في كل ما تلقاه سائر الامم في سائر العصور.

السفــــور والحجــــاب

بقلم الشيخ محمد القروي قاض سوسة

(تابع لما قبله)*

ثم قال تعالى مخصصا النساء بحكم زائد عما سبق : (ولا يبدين زينتهن إلّا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن .) فهذه الزيادة خاصة بالمراة والرجل لا يجب عليه ذلك لما فيه من الحرج لانه مكلف بالسعي للرزق والعمل والجهاد وغير ذلك مما يجب عليه دون المراة

نهى الله هنا المؤمنات ان يبدين زينتهن اي يظهرنها عمدا فذلك محرم لا يليق بدينهن وشرفهن واخلاقهن والزينة عامة في كل ما يقصد به التجمل : من قلادة وسوار وقرط وثوب ونحوها فان ظهر منها شيء ظهورا غير مقصود بحيث انكشف ما ستره بريح او حركة غير مقصودة فذلك لا يؤاخذن عليه فان تنبهن له سترنه وذلك هو قوله تعالى (إلّا ما ظهر منها) استثنى من قصد الاظهار ما يظهر بلا قصد الى اظهاره فليس فيه حرج - هذا هو راي المحققين في تفسير الآية وهو الصواب والاقرب للذوق السليم واسلوب سياق القرآن الحكيم

ولما كانت هذه الحقائق تخفى على الجمهور ندب الله تعالى منهم افرادا يقومون بالدعوة لاصلاح ما فسد من احوال البشر وخاصة الرسل فقد اولاهم الله تعالى امر عباده ليقوموا بهدايتهم وارشادهم الى ما فيه صلاحهم وسعادتهم فيتلافوا ما ادركه العطب ليصلحوه ويتداركوا ما تداعى بنيانها فيقيموه على اكمل وجه وقامت الشرائع الالهية على اسس ثابتة وبنيت احكام الدين على نشر الفضيلة بين الناس وهدايتهم للتي هي اقوم وتطهير النفوس من الفساد فكانت في مقدمة مبادي الشريعة ما يرجع الى مكارم الاخلاق حتى قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ما ذلك إلّا لكبير مفعوله في بناء صرح المجتمع العام وبقائه سالما ما بقيت السموات والارض

ولما كان الركن الاساسي الذي تقوم عليه جميع الامور والمنبع الفيض الذي تصدر عنه جميع الاحوال التي يتشكل بها الانسان وتتولد منه سائر الصفات هو القلب كان الاهتمام به اشد والاعتناء به بالغا الحد الاقصى في سائر الديانات وعند الفلاسفة وعلماء الاخلاق والاجتماع وكانت القاعدة العامة هي اصلاح القلب فاصلاحه يتمكن من اصلاح احوال الانسان كلها وفي ذلك اصلاح حال المجتمع العام .

محمد الشاذلي ابن القاضي

---

* راجع الجزء العاشر من المجلد السادس

فالاية حينئذ ليس فيها دلالة على جواز كشف شيء من بدن المراة لا وجهها ولا غيره ولا على عدم جواز كشفه وانما فيها عدم جواز ابداء الزينة إلّا ما ظهر منها بغير قصد الى اظهاره

وجواز كشف الوجه والكفين ماخوذ من السنة (فقد اخرج ابو داود وابن مردويه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها ان اسماء بنت ابي بكر دخلت على النبيء صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق اعرض عنها وقال : (يا أسماء ان المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها إلّا هذا وهذا واشار الى وجهه وكفيه صلى الله عليه وسلم

ولبعض المفسرين راي آخر في تفسير الزينة وهو ان المراد بها مواضعها فلا يجوز ابداء هذه المواضع إلّا ما ظهر منها مما في ستره حرج وذلك هو الوجه والكفان وزاد بعضهم القدمين (اي الرجلين الى الكعبين) لان في سترهما حرجا ايضا على الفقيرات والعاملات في المزارع ونحوها .

والحق الراي الاول كما تقدمت الاشارة الى ذلك لانه هو الظاهر من اسلوب الكلام بلا تاويل ولا اضطرار الى تقدير حذف وانما يلجأ الى التقدير والتاويل حيث يتعذر صرف الكلام على حقيقته ولا شيء من هذا في الاية الكريمة قال العلامة الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني (مدرس التفسير والآداب العربية في الكلية الاسلامية في بيروت) في سياق الحديث عن هذه الاية : والعقل السليم لا يابى وجوب اخفاء زينة المراة ايا كان موضعها : الوجه او الكفان أو الاذنان وغيرهما لما في اظهارها من ضعف الحياء ورقة الدين ووهن الخلق واثارة النفوس الامارة فجواز كشف الوجه والكفين بشرطه لا يفهم صراحة من قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلّا ما ظهر منها) واذا دار الامر بين التقدير وعدمه فعدمه اولى .

ثم قال الاستاذ المذكور على اننا لو سلمنا ان المراد بالزينة مواضعها فليس المراد بما ظهر منها الوجه والكفين وانما المراد به ما ظهر من هذه المواضع من غير قصد الى اظهاره بان ظهر اتفاقا هذا ما يقتضيه الاسلوب (انتهى كلامه)

ثم قال تعالى . « وليضربن بخمرهن على جيوبهن . » كتب العلامة شهاب الدين الشيخ محمود الالوسي البغدادي في تفسيره روح المعاني عند التعرض لهذه الاية قوله — ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن ابدائها والخمر جمع خمار ويجمع في القلة على اخمرة وكلا الجمعين مقيس قال ابن مالك .

في اسم مذكر رباعي بمد * ثالث افعله عنهم اطرد
وفعل لاسم رباعي بمد * قد زيد قبل لام اعلالا فقد

قال : وهو المقنعه التي تلقيها المراة على راسها من الخمر وهو الستر (قلت ولذلك سميت الخمر خمرا لانها تستر العقل وتحجبه عن الادراك) —

والجيوب جمع جيب وهو فتح في اعلى القميص يبدو منه بعض الجسد واطلاقه على ما ذكر هو المعروف لغة واما اطلاقه على ما يكون في الجنب لوضع الدراهم ونحوها كما هو الشائع بيننا اليوم فليس من كلام العرب كما ذكره ابن تيميه لكنه ليس بخطا بحسب المعنى

والمراد من الاية كما روى ابن ابي حاتم عن ابن جبير امرهن بستر نحورهن (النحر محل القلادة من العنق) وصدورهن بخمرهن لئلا يرى منها شيء وكان النساء يغطين رؤوسهن بالخمر ويسدلنها كعادة الجاهلية من وراء الظهر فيبدو نحورهن وبعض صدورهن (اه بتصرف)

وقول الشيخ مصطفى الغلاييني : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اي على اطواق قمصهن والجيوب جمع جيب وهو طوق القميص حيث يدخل منه الراس كانت هذه الجيوب اي الاطواق واسعة تبدو منها نحورهن وشيء من صدورهن وما حوا ليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى هذه المواضع مكشوفة فامرهن بضرب الخمر عليها حتى يغطينها كما يسدلنها من وراء فيغطون الرقبة وما يبدو من الظهر وما يليه وصح انه لما نزلت هذه الاية سارع نساء المهاجرين الى امتثال ما فيها فشققن مروطهن (جمع مرط اي ازرهن) ـــ (المرط كل ثوب غير مخيط كساء من صوف ونحو ولا يؤتزر به) فاختمرن بها تصديقا وايمانا بما انزل الله تعالى من كتابه ـ روي الامام البخاري عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت : « يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما انزل الله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطهن فاختمرن به) اي بما شققنه من المروط قال القسطلاني : « ولابي الوقت : فاختمرن بها » اي بالازر المشقوقة . اه .

وصفة ضرب الخمر على الجيوب على ما يؤخذ من كلام بعض المحققين ان تضع المراة الخمار على راسها وتسدله من وراء فتغطي الرقبة وما يبدو من الظهر وما يليه ثم ترميه من الجانب الايمن على العاتق الايسر وهذا هو المعروف بالتقنع ـ

ثم بين سبحانه من يحل لهن ان يبدين زينتهن إلّا لبعولتهن او آبائهن الى قوله تعالى (او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) (قد يكون الطفل واحدا وجمعا لانه اسم جنس) بعد ان ذكر سبحانه من لا يحل لهن اظهار زينتهن له إلّا ما ظهر منها اتفاقا من غير قصد الى اظهاره ذكر هنا من يحل لهن ابداؤها له قصدا فقال إلّا لبعولتهن اي ازواجهن ولا يخفى مــا في تقديم الازواج في هذا الاستثناء من الاشارة الى انهم هم المقصودون بالزينة وان النساء مامورات بها لهم كما ان الرجل مطلوب منه ان يتزين لامراته قال ابن عباس رضي الله عنهما إني لاتزين لزوجي كما تتزين هي لي.

وقوله (او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او إخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن) ظاهر لا يحتاج الى البيان وقد علل العلماء جواز اظهار الزينة لمن ذكر بكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم وقوله تعالى (او نسائهن) اي النساء الحرائر (بدليل ما بعده) المختصات بهن بالصحبة والخدمة (او ما ملكت ايمانهن) اي من الاماء واختلف في عبيد المراة الذكور هل يجوز لها ابداء زينتها لهم ولا يجوز فالظاهر من الاية الجواز لعموم لفظ ما الصادق على الذكر والانثى ويؤيد هذا ما روي عن عائشة رضي الله عنها من انها كانت تمتشط وعبدها ينظر اليها وانها قالت لذكوان (اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر) ـ وعن انس رضي الله عنه ان النبيّ صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة رضي الله عنها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ راسها فلما رأى النبيء صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك)

ثم قال تعالى عطفا على ما تقدم (او التابعين غير اولي الاربة من الرجال) اي الذين يتبعون ليصيبوا من فضل الطعام ويعيشوا في اكناف من يتصلون به غير اولي الاربة اي غير اصحاب الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الطاعنون في السن الذين قبت شهواتهم والاولى ما قاله الالوسي من ان المراد بغير اولي الاربة هم الذين لا حاجة لهم بالنساء ولا يعرفون شيئا من امورهن بحيث لا تحدثهم انفسهم بفاحشة ولا يصفونهن للاجانب اما اذا كان الرجل يعرف امور النساء وتحدثه نفسه بذلك او يصف المراة للاجانب فانه يمتنع دخوله عليها يدل لذلك ما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها (قالت كان رجل يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل النبيء عليه الصلاة والسلام يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة قال اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم (الا ترى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن فحجبوه) وآخر المستثنيات في الاية الكريمة قوله تعالى (او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) اي الاطفال الذين لم يعرفوا العورة ولم يميزوا بينها وبين غيرها وذلك لان المتبادر ان قوله تعالى لم يظهروا على عورات النساء مأخوذ من قولهم ظهر على الشيء اذا اطلع عليه فجعل ذلك كناية عن عدم المعرفة وعدم التمييز ولا ينبغي التساهل في امر اختلاط الاطفال بالنساء بل يجب الوقوف عند حد الاية والتحري فيما يخص ذلك القيد المبين بها لان مجاوزة ذلك تؤدي الى مفاسد قد لا نحسب لها حسابا

ولله در فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة ابي العلاء المعري حيث يقول في هذا المعنى :

اذا بلغ الوليد لديك عشرا * فلا يدخل على الحرم الوليد
فإن خالفتني واضعت نصحي * فانت وان رزقت حجا بليد
الا ان النساء حبال غي * بهن يضيع الشرف التليد

ثم قال تعالى (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كالخلاخيل ـ نهى الله المؤمنات ان يسمعن الاجنبي قعقعة الخلاخيل عمدا بأن تقرع الخلخل بالخلخل وكذا يحرم عليها تحريك يدها قصدا الى اسماعه وسوسة الاساور (جمع سوار) لان العلة في النهي واحدة ـ قال الاستاذ الغلاييني والمراد انما هو ارشادهن الى ادب السلوك اللائق بهن ليربأن بانفسهن عما يحمل على الريبة والظنة (التهمة) او ضعف الخلق او سوء التربية . وقوله تعالى (ولا يضربن بارجلهن) بعد قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن) يدل على ما قدمنا : من ان المراد بالزينة الزينة بعينها لا مواضعها لان المؤمنة قد نهيت ان تسمع الاجنبي قعقعة الخلخال وهو من الزينة التي لا تظهر وانما تعرف بصوتها فدل ذلك على ما ذكرنا من ان النهي في الاول نهي عن ابداء نفس الزينة .

واما مواقع الزينة فانما يجوز ابداء الوجه والكفين منها بشرطه اذا لم تزين فان زينت فلا يجوز اظهارها ووجوب سترها في هذه الحال تابع لوجوب ستر زينتها . ثم لما كان الله سبحانه وتعالى توابا على من عصى ثم رجع نادما تائبا وكان التهاون بما تقدم في الاية من الاوامر والنواهي قد يقع قال تعالى في ختامها (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون)

ايها السادة الكرام

الى هنا انتهى بنا الكلام على تفسير آيتي سورة النور عدد ٣٠ وعدد ٣١ وهما الايتان الاوليان من آيات الحجاب بالمعنى الاول الذي هو ستر للبدن بحيث لا يرمي من بدن المرأة شيء

ويجدر بنا قبل ان نغوص على الدرر المخبوءة تحت اصداف جواهر بقية الايات ان نلخص تلخيصا اجماليا

[للكلام بقية]



حديث من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم

بقلم الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه

** سند الحديث واختلاف الفاظه **

هذا الاثر تناقلته الالسن من كتاب الاحياء للغزالي ، فقد ذكره في مبحث النصيحة للمسلمين من كتاب آداب الصحبة بلفظ « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » وهو مما رواه الحاكم في مستدركه عن حذيفة مرفوعا ، ورواه الطبراني كذلك عن ابي ذر مرفوعا

وقد ذكره الطبراني ايضا والسخاوي في المقاصد الحسنة بلفظ « من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم » قال العراقي (في المغنى عن حمل الاسفار) وكلتا الروايتين سندهما ضعيف

وذكره السخاوي في كتاب المقاصد الحسنة عن شعب الايمان للبيهقي من رواية وهب بن راشد عن فرقد السبخي عن انس بلفظ « من اصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم ، ومن اصبح وهمه غير الله فليس من الله »

وذكره السيوطي في جمع الجوامع وفي الجامع الصغير بلفظ « من اصبح وهمه غير الله فليس من الله ، ومن اصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم » قال في جمع الجوامع : رواه الحاكم عن ابن مسعود وتعقبه ، والبيهقي وابن النجار عن انس

هذه خلاصة ما قيل في الفاظه واسانيده وهي كلها مخرجة في الكتب المعروفة بالاكثار من تخريج الضعيف ، وقد صرح العراقي والمرتضى بانه حديث ضعيف ولم يبلغ مبلغ الحسن بله الصحيح

معناه

معنى هذا الحديث على اختلاف رواياته والفاظه ان شان المسلمين ان يعتني بعضهم بما يهم البعض الاخر . والمقصود من ذلك وارد في صحيح الاثار ، ففي صحيح البخاري ومسلم واللفظ للبخاري : عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وفي صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي : عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

لكننا نجد في الحديث المسئول عنه زيادة توهم معنى خطيرا ، وهي زيادة قوله « فليس منهم » ومثل هذه الجملة موجود في احاديث كثيرة بعضها من الصحيح وبعضها دونه ، كمــا في حديث الصحيحين من طريق مالك بن انس عن ابن عمر وابى موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلــم قال « من حمل علينا السلاح فليس منا » وفي حديث سنن الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من غش فليس منا » وفي سنن ابي داود عن عبد الله بن عمرو بن العــاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا » وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من شق الجيوب ولطــم الخدود ودعا بدعوى الجاهلية » يعني عند مصيبة الموت كان يدعو بالويل والثبور

فهذه الاحاديث كلها توهم ان الآتي بهذه الاحوال منتف عنه وصف الاسلام فيكون غير مسلـم ، لان ضمير المتكلم المشارك اذا نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم تبادر منه ان المراد به الرسول مـع جماعته وهم المسلمون ، والحديث الذي نتكلم عليه ضميره اظهر لانه عائد على لفظ المسلمين السابق ، ولكن هذا الظاهر الذي اوهم هذا المعنى غير مراد من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم قطعا ، لما ثبت في اصول الدين من الادلة الموجبة للقطع بان الوقوع في بعض المحرمات ليس بموجب خروج الواقع فيها عن الاسلام ، ولذا كان من اصول اعتقاد اهل السنة ان لا يكفر احد بذنب ولا بذنوب كائنة تلك الذنوب ما كانت . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين معنى الاسلام للامــة بما لم يبق معه ريب لاحد من المسلمين في فهمه . وحاصله انه النطق بالشهادتين عن اعتقاد معناهما والتصديق به في القلب ، وكذلك كان شان الرسول عليه الصلاة والسلام في بيان اصول الدين وعماده ، فان ذلك اهــم شيء ، اذ هو مدخل الجامعة الاسلامية ــ فلذلك لم يكن المسلمون في عصر النبوة وما يليه يجهلون انهــم مسلمون ؛ وكانوا يميزون المسلم من غير المسلم ، وقد الم بعض المسلمين ببعض الكبائر في زمن الرسول والخلفاء الراشدين ، فلم يعدهم خارجين عن حظيرة الاسلام ، ولا اجرى عليهم السلف ما اجروه على المرتدين ، فالرسول غني عن التصدي لزيادة التفصيل في بيان من هو مسلم ومن ليس بمسلم ، فمتى وجدنا في بعض ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ايهــام نفي الاسلام عن المتصف ببعض الافعال نعلم ان ذلك مراد به غير ظاهره ونحمله على معنى يناسب ذلك النفي والغرض منه

وقد اتفق علماء الامة على تأويل هذه الاحاديث بقانون يعم جميعها ناظر الى اعتبار لفظ « ليس منا » ونحوه مستعملا في كلام العرب لاخراج المخبر عنه معنى من نوع المجرور بمن الواقع في الخبر معنى وقانون تاويله انه جاء للزجر والتهويل ، فنقل عن سفيان ابن عيينة انه يكره الخوض في تاويله

ويقول ينبغي ان يمسك عنه ليكون اوقع في النفس وابلغ في الزجر ، يعنى مع اعتقاد عدم ارادة ظاهره عند العلماء . وتأوله بعض الشراح بأن المراد « ليس من اهل هدينا وسنتنا » اي ليس من خيرة المسلمين . فيكون التأويل في الضمير المجرور بان يكون صادقا على الرسول وخيرة اصحابه ، فيكون الضمير مجازا مرسلا علاقته البعضية ، او يكون في الكلام إيجاز بمجاز الحذف ، وهذا التأويل يستقيم في ضمير « منهم » العائد على لفظ المسلمين السابق . فان معاده عام اذ المقصود من لم يهتم بأمر جميع المسلمين ، والضمير على وزان معاده . وقال ابن المنير : المعنى انه « ليس اهلا لصحبتنا والاختلاط بنا» وعلى تاويله تكون من التبعيضية مستعارة لمعنى مع على طريقة الاستعارة التبعية ، وقال بعض الشراح المراد من عامل بهاته الافعال حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام (ومعاملة الرسول بذلك ومواجهته به كفر لا محالة) فيكون المراد من الضمير في مثله المتكلم وحده ، وهذا لا يستقيم في نحو « فليس منهم»

وقال بعضهم : المراد من فعله مستحلا له مع علمه بان الرسول حرمه ، وهذا ابعد التاويلات لاحتياجه الى كثرة التقادير التي لا يهتدي اليها السامع

وانا ارى في تاويل هذه الآثار تاويلين هما احسن مما تاول به المتقدمون :

التاويل الاول : نسلك فيه طريقهم الذي سلكوه ، وهو اعتبار لفظ « ليس منا » مستعملا في كلام العرب للنفي من النوع وانه مستعمل في الحديث على ضرب من المجاز ، فنقول ان المتلبس بالفعل الذي يكثر ان يتلبس به غير المسلمين يكون مشابها بسببه لغير المسلم ، فنخبر عنه بانه غير مسلم على طريقة الاستعارة في المفرد بسبب ان المنهيات كلها كانت من شعار الجاهلية اهل الشرك ، وصار التعفف عنها من شعار المسلمين ، كما يشهد له حديث الصحيحين عن ابي ذر انه سب رجلا بامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « انك امرؤ فيك جاهلية » وحديث الموطا ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي بالناس وكان في المسجد محجن الديلي فلم يقم للصلاة لانه كان صلى في بيته ، فقال له رسول الله : « ما منعك ان تصلي مع الناس؟ الست برجل مسلم ؟ » وفي حديث جميلة بنت أبي زوجة ثابت بن قيس انها شكت لرسول الله ثابتا فقالت « ولكني اكره الكفر في الاسلام » تريد خشية الزنا

وعلى هذا يكون موقع قوله « ليس منهم » وليس منا » ونحوه كموقع قوله عليه الصلاة والسلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »

التاويل الثاني وهو التحقيق : ان نعدل عما سلكوه من اعتبار لفظ « فليس منا » ونحوه مستعملا في كلام العرب للنفي من النوع بل ان العرب لا يستعملونه إلّا استعمالا شبيها باستعمال المثل يلازم هذه الصيغة ، فهو خبر مستعمل في معنى الغضب على المخبر عنه وايذانه بالسخط والقطيعة . وقد تكرر هذا

المكتبة الصـــــادقية

بالجـــــــــامع الاعظم

المكتبة الصادقية ثانية المكاتب الزيتونية بعد المكتبة الاحمدية التي اسسها احمد باشا الاول جدد تعميرها في عهد المشير الثالث الصادق باي بعناية الوزير الخطير خير الدين وهي من جملة حسناته جمع فيها من الكتب القيمة والنوادر التي امكن له الحصول عليها العدد الكثير كمكتبة الشيخ ابراهيم الرياحي ومكتبة الشيخ محمد بيرم الرابع وقد توفرت الهمم في العهد الماضي على تعميرها بمختلف العلوم والفنون حتى صار لها ذكر عند اهل العلم والآثار العلمية .

وقد وقع الاهتمام بجعل فهارس لها في مختلف العلوم على احدث الطرق وتكونت لجنة علمية لهذا الغرض قامت بهذا العمل الجليل وتعاقب على هذه اللجنة أعيان علماء جامع الزيتونة الاعلام واللجنة الان تحت رئاسة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه وعضوية الاساتذة الجلة صاحب الفضيلة الشيخ محمد البشير النيفر المفتي المالكي والشيخ محمد الزغواني المدرس من الطبقة العليا والشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس من الطبقة العليا والشيخ محمد المقداد الورتتاني كاتب اللجنة .

الاستعمال في كلام العرب ، قال النابغة يحذر عيينة بن حصن من الغدر ببنى اسد :

اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني

فانه لو حمل على المعنى الاصلي لكان تحصيل حاصل، اذ ليس عيينة بن حصن ببعض من النابغة وقال بعض العرب

ايها السائل عنهم وعني لست من قيس ولا قيس مني (١)

وقريب من قوله تعالى ﴿ قال يا نوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح ﴾ اي لا تهتم بامره واعرض عنه . ويقولون في عكس ذلك انت مني وانا منك . ويؤيد هذا التاويل ان بعض الاثار الواقع فيها لفظ « ليس منا » قد روى بلفظ « فليس مني » وما في صحيح مسلم ان ابا موسى الاشعري اغمى عليه في مرضه فصاحت امرأة من اهله . فلما افاق قال « انا بريء ممن بريء رسول الله منه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا الصالقة والحالقة والشاقة » ففسر قول رسول الله « ليس منا » في ذلك الحديث بمعنى البراءة

---

(١) قوله « وعني » يقرأ بتخفيف النون للضرورة وكذلك نون « مني »

وقد وقع تاليف فهارس عديدة جمعت في مجلدات تم طبع اربعة منها و اللجنة بصدد تحضير الفهارس التي كمل تحريرها لتقدمها للطبع .

وقد استانفت اعمالها في هذا العام على برنامج واسع النطاق احكم اصول قواعده سماحة الرئيس وقد اتصلنا بالخطاب الذي نطق به كاتب اللجنة ودون في محضر احدى جلسات هذا العام ونصه :

هذا وعلى لسان هيأة اللجنة نقدم الى جناب الشيخ الرئيس مزيد الثناء و المنة على اهتمامه بمكتبة الزيتونة . وما اسداه نحوها ونحو القائمين بها من المعونة ، والمؤمل ان تبلغ الكتب على عهده حفظه الله تنسيقا ونفعا : واقتناء وطبعا . فوق ما هي عليه الان اضعافا . حاوية من التاليف النافعة آلافا . فقد بلغت ستين الفا في اواخر القرن الثامن على عهد الامام ابن عرفة . وعسى ان يضاهي بها هذا الامام خلفه سلفه .

اذ العلم الهام الى الاحلام . وهي تمليه على الاقلام . فتقتبس من خطوطه الاعلام ما تستنير به الافهام ، وتنشره بين الانام . فالكتب فيض دفاق . وكنز الاستفادة و الانفاق وهي الغمام الذي لاينقطع ودقه . والاستاذ الذي لا يتاتى سبقه ولا لحقه .

والامر الذي يسر اهل العلم ان تكون هاته المكتبة كاملة الفهارس . مذيلة بمجلد ينص على ما بها من النوادر والنفايس . يكشف الحجب عن مخدرات الكتب فيعلم الواقف في الحال ما بها من الخطوط المنسوبة للمؤلفين والكاتبين وما منها هنالك يرجع لبعض الممالك ومتى كانت وجهة المطالع خصوص بعض الفنون . وجد في قسمها المهمات والعيون واراء الشيخ انفع وتدبيره اوسع .

وقد علمنا انه ايده الله جاهد في سبيل نشر العلم جهادا . وبلغه النصر من ذلك مرادا . وكأنه في اياته اليسوع . حين بعث الحياة في الفروع . وازال الاوصاب . عن المهاجرين من الطلاب . ووفى للمتعلمين من علوم الدنيا والدين . وزاد في المدرسين فجأة اربعين فوق خمسين . وما تاسيس حي المدارس إلا من اوفق المؤسسات والمغارس .

فلتونس الان ما يشنف المسامع في الاقطار والمجامع . بفخار شيخ الجامع . فالله يديم به كوكب العلم مشرقا . وروض الكتب مورقا .

كاتبه : محمد المقداد الورتاني

يوم العـــــروبة ...

يوم العـــروبة هـــذا عيدك الـثاني * يفــتر عن امل بـــالشعر اغــراني

عنـــت القرائح لامـــداح مزخرفـــة * ونيل زلفـــى وزاهي اللــون رنـان

وقـــد سمـــوت به للروح ابعـــثها * خفـــاقة طهـــرت مـــن كل ادران

(حذفت الرقابة بيتا)

هـــذا هو الشعر لا شعر السخـــافة في * ثوب المطـــامع في خبث وادهـــان

وقـــد هـــديت الى خـــل اطـــارحه * رايي والهـــمه شجوي واحـــزاني

(حذفت الرقابة خمسة ابيات)

تدعو لابنائك العرب الكرام اولى الـــمجامـد الغر من ابنـاء عـدنـان

يـا عيد هـذا مجـال القول مـتسع * فاقبل ـ فديتـك ـ منـي حر اوزاني

واسمع ابثك ما قد قيل من شجن * فالصدق في القول من ديني وايماني

قـالوا بلـيت بـاقوال ينمقهـا * دهـاة سكسونهـم في ايمـا آن

وانـهم اسسوا مـنـا محمـنـة * لـرد روس ولاتـين وجـرمـان

حتى اذا مـا قضـوا منـا مـآربهم * هـدوا الحصون بتـقويض لاركان

وارجـعونـا الى حـال لهم عـرفت * فينا ولـيست سوى جور وعـدوان

(حذفت الرقابة ستة ابيات)

كذا يقولون فاسمع ما يقـال وكن * منـهم على حـذر فـالضد ضـدان

ضـد يحاول ان تبـقى ضـحاياهم * ـ وهي العداوة ـ فينا طول ازمـان

(حذفت الرقابة اربعة ابيات)

اين الوعود التي غر الحسين بهـا * واين كان مصير الملك ذي الشان ؟

وهل جنى فـيصـل من بعـده املا * سوى اغتيـال و تسمـيم بلـوزان ؟

اني اعـيذكمو ان يستعـاد بكم * عصر التـغـفل محـشوا بـ اظغـان

وان يكونـوا كمشدوهين قـد فهوا * بزخرف من خـداع القول فـتان

ليسوا رجـالا فيوفوا بـالوعود كما * وفت بهـا العرب في سلم واثخـان

***

آمنت ان بلاد العـرب سوف ترى * حزم الرشيد وعزمـات ابن مروان

ووحـدة الضـاد تلـتف العـروش بهـا * وصولة الـدين في عز وسلطـان

والـفة تتـمشى في منـاكبهـنا * تقصي الخلاف بـايلاف لتيجـان

هنـاك ينبـعث الاسلام ثـانـيـة * في الارض يهـدي لارشاد واحسـان

يحـيى المساواة حـقـا والعـدالة في * صـدق تنـزه عن زور وبهـتان

***

يا عيد في عامك الماضي هنأت بك الـحشد المجمع من صحب واخوان

دعـوا فلبـيت والفضل العظـيم لهم * في دعوتي اذ بهـا اطلـقت وجداني

واليوم في عـامك الثـاني اعـيد على * اسمـاعـهم زهر آمـالي وتـحنـاني

يـا عيد ابـلغ عن الخضرا تحيتهـا * لقومك الصيد من شيب وشبـان

ابلـغ لجامعـة العـرب الالى رفعـوا * سماكها بين اكبـار واذعان

(حذفت الرقابة خمسة ابيات)